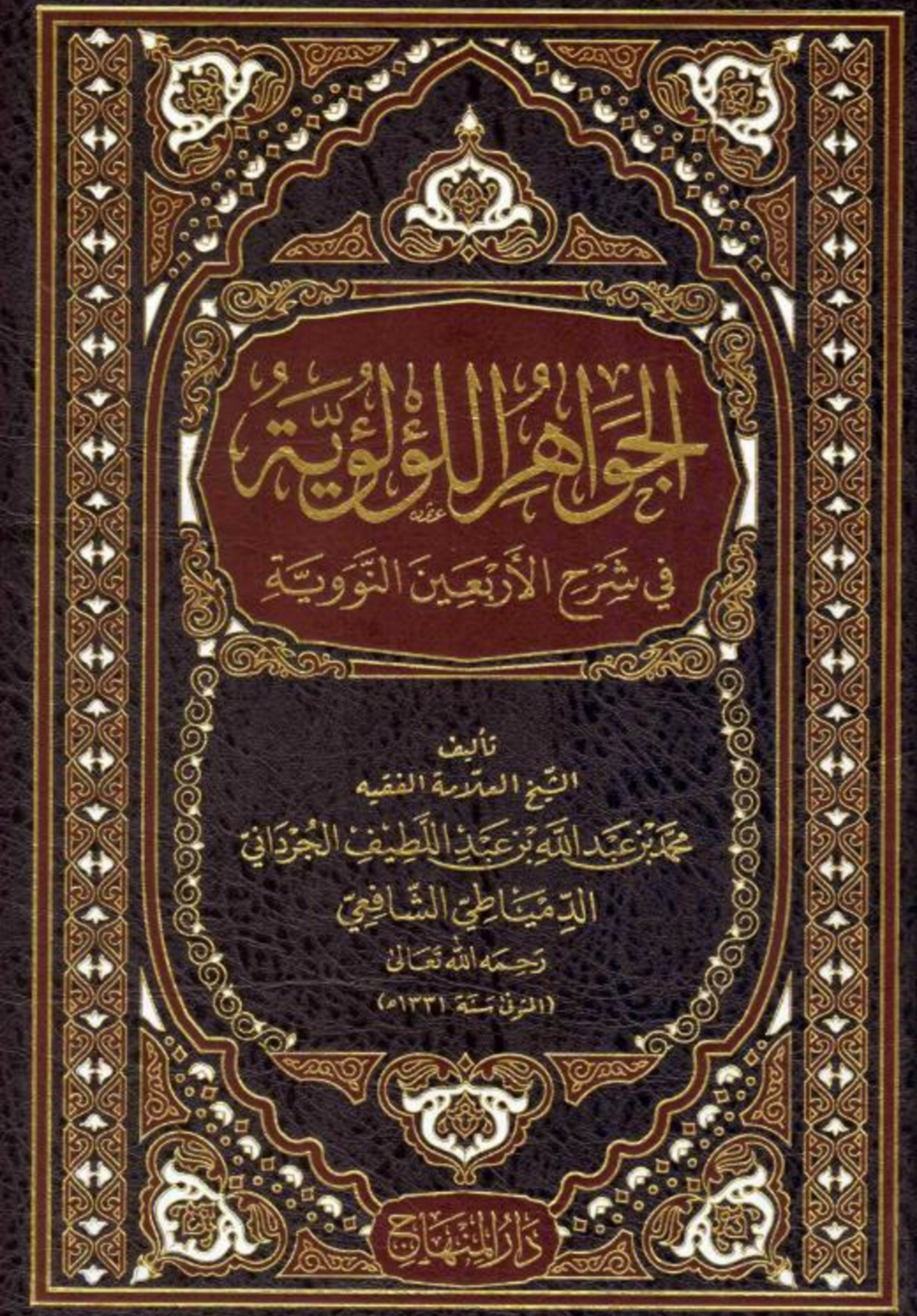
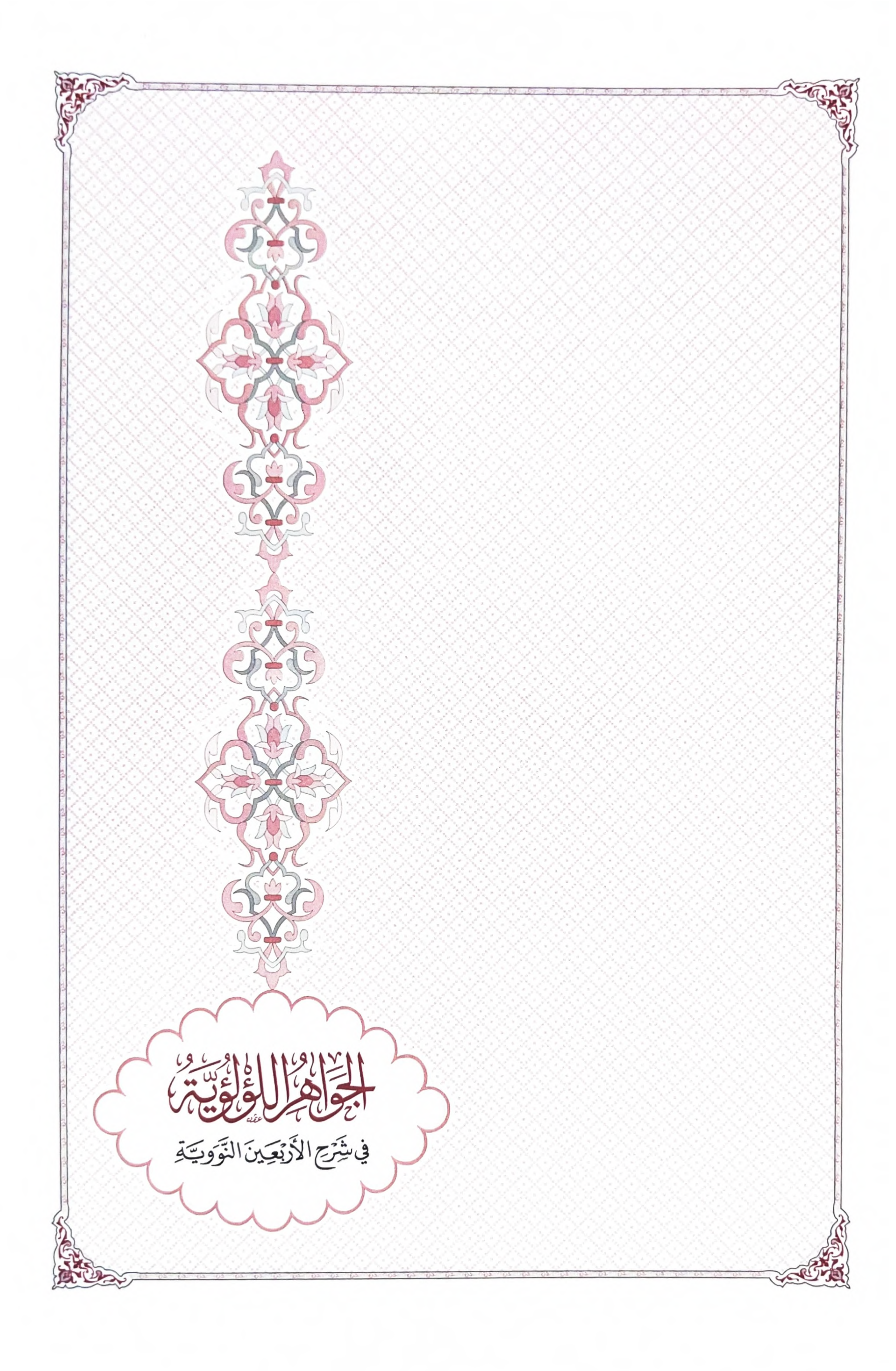
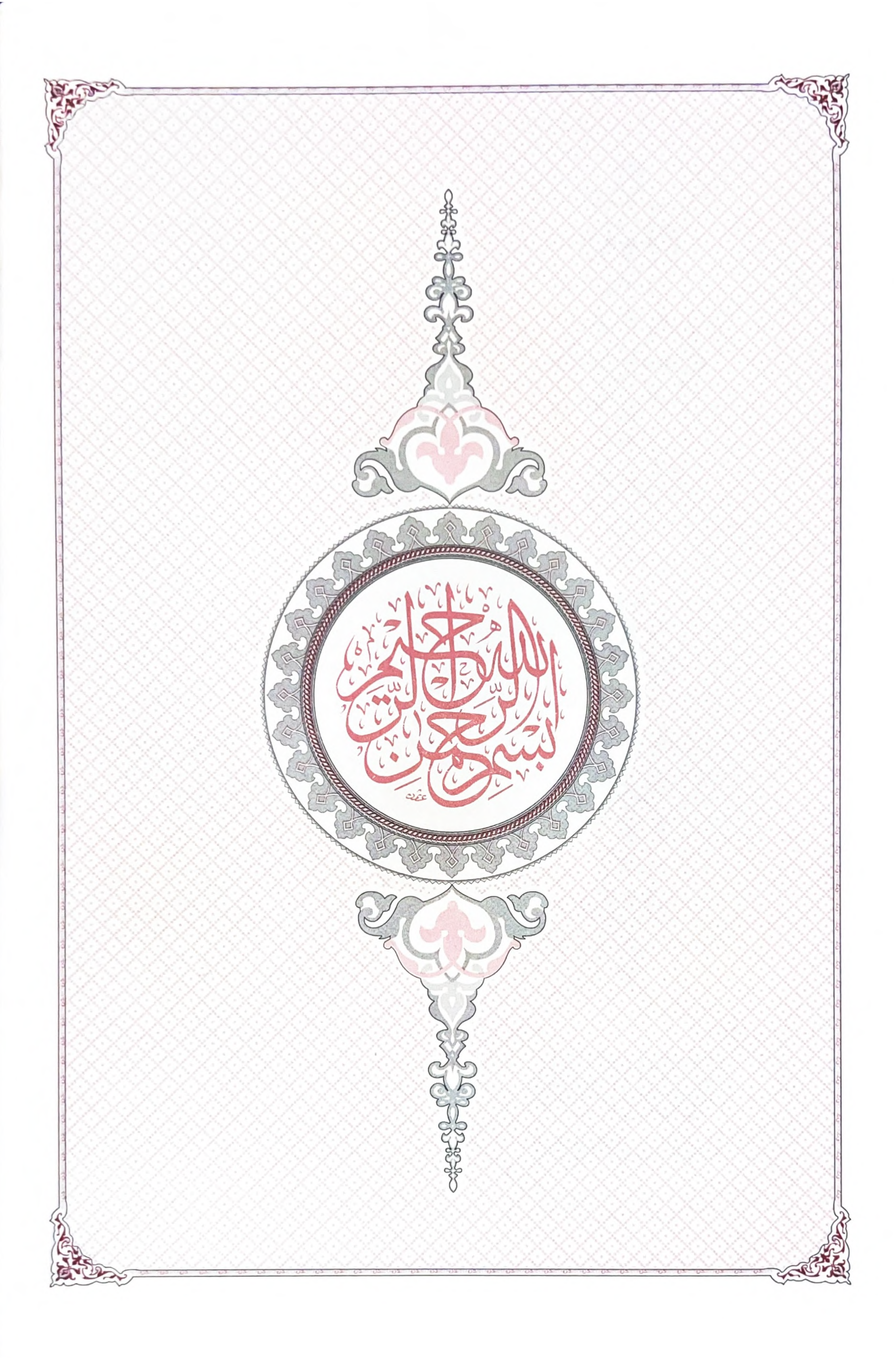

الجواهر اللؤلؤية
في شرح الأربعين النووية
تأليف
الشيخ العلامة الفقيه
محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف الجرداني
الدمياطي الشافعي
رحمه الله تعالى
(المتوفى سنة ١٣٣١هـ)
دار المنهاج


الجواهر اللؤلؤية
في شرح الأربعين النووية


بسم الله الرحمن الرحيم

الجواهر اللؤلؤية

في شرح الأربعين النووية

تأليف

الشيخ العلامة الفقيه

محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف الجرداني

الدمياطي الشافعي

رحمه الله تعالى

(المتوفى سنة ١٣٣١هـ)

تشرفت بخدمته والعناية به

اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي



الإصدار الأول ـ الطبعة السادسة
١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

اسم الكتاب : الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية

المؤلف : العلامة محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف الجرداني الدمياطي الشافعي (ت ١٣٣١ هـ)

موضوع الكتاب : حديث

قياس الكتاب : (٢٥ سم)

تصنيف ديوي الموضوعي : (٢١٣،٠٤)

عدد المجلدات : (١)

عدد الصفحات : (٦٤٠ صفحة)

نوع الورق : شاموا فاخر

نوع التجليد : مجلَّد فني

عدد ألوان الطباعة : لونان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

لا يسمح بإعادة نشر هٰذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأيِّ شكلٍ من الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكِّن من استرجاع الكتاب أو أي جزءٍ منه ، وكذٰلك لا يسمح بترجمته إلىٰ أي لغة أخرىٰ دون الحصول علىٰ إذن خطي سابقٍ من الناشر .



الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 43 - 3



دار المنهاج
لبنان ـ بيروت
هاتف : 806906 05 ـ فاكس : 813906 05

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سالم باجخيف
وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة
حي الكندرة ـ شارع الملك فهد ـ جانب البنك الفرنسي
هاتف رئيسي 00966 12 6326666
المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392
ص . ب 22943 ـ جدة 21416

عضو اتحاد الناشرين العرب
عضو جمعية الناشرين السعوديين
عضو نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com





مكتبة جرير بجميع فروعها داخل المملكة وخارجها
هاتف عام 920000089

جدة
مكتبة دار كنوز المعرفة
هاتف 012 6570628 - 012 6510421

جدة
مكتبة الشنقيطي
هاتف 0126893638 - 0504395716

مكة المكرمة
مكتبة الأسدي
هاتف 0125570506 - 0125273037

المدينة المنورة
دار البدوي
هاتف 0503000240

المدينة المنورة
مكتبة الزمان
هاتف 014 8366666 - فاكس 014 8383226

الرياض
دار التدمرية
هاتف 0114459993 - فاكس 0114937130

الدمام
مكتبة المتنبي
هاتف 0138344946 - فاكس 0138432794

خميس مشيط
مكتبة الغريب
هاتف 0172273134 - جوال 0530433638

لدينا خدمة توصيل داخل المملكة وخارجها

كتابك إلى بابك

dar_alminhaj

@dar_alminhaj



@daralminhaj



+966 12 6326666

ps@alminhaj.com

الموزّعون المعتمدون خارج المملكة العربيّة السّعوديّة

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة - حضرموت

هاتف 417130 - فاكس 418130

جمهورية مصر العربية

دار السلام - القاهرة

هاتف 22741578 - فاكس 22741750

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس - عمّان

هاتف 4653390 - فاكس 4653380

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع - أبو ظبي

هاتف 5593007 - فاكس 5593027

الجمهورية العربية السورية

دار السنابل - دمشق

هاتف 0988156620 - فاكس 2237960

دولة الكويت

مكتبة دار البيان - حَوَلِّي

تلفاكس 22616490 - جوال 99521001

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق - المنامة

هاتف 17272204 - فاكس 17256936

مكتبة الريان - المنامة

هاتف 0097339247759

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم - بيروت

هاتف 785107 - فاكس 786230

مكتبة التمام - بيروت

هاتف 01707039 - جوال 03662783

جمهورية العراق

مكتبة الوراقين - صلاح الدين

هاتف 07706311103 - 07800442414

دولة قطر

مكتبة الثقافة - الدوحة

هاتف 44421132 - فاكس 44421131

سلطنة عمان

مكتبة روازن - مسقط

جوال 0096891609993

جمهورية الجزائر

دار المشرق والمغرب - الجزائر

هاتف 0780380501 - 0559380141

المملكة المغربية

دار الأمان - الرباط

هاتف 0537723276 - فاكس 0537200055

الدار العالمية - الدار البيضاء

هاتف 052282882 - فاكس 052283354

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر - مقديشو

هاتف 002525911310

دار العلوم - مقديشو

جوال 00252615573951

فلسطين

مكتبة دنديس - الضفة الغربية

هاتف 0097022225174

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية - سوروبايا

هاتف 0062313522971

جوال 00623160222020

بنغلادش

مكتبة الحسن - دكا

هاتف 008801675399119

جمهورية داغستان

مكتبة دار الرسالة - محج قلعة

هاتف 0079285708188

مكتبة نور الإسلام - محج قلعة

هاتف 0079882124001

الهند

مكتبة الشباب العلمية - لكنؤ

هاتف 00919198621671

مكتبة المدينة العربية - مومباي

جوال 00917400262692

الولايات المتحدة الأمريكية

مكتبة الإمام الشافعي - جورجيا

هاتف 0017036723653

إنكلترا

دار مكة العالمية - برمنجهام

جوال 07533177345 - فاكس 01217723600

ليبيا

الدار الأسمرية - زليتن

واتس 00218925540836

ماليزيا

مكتبة توء كنالي - كوالا لمبور

هاتف 00601115726830

جمهورية جنوب أفريقيا

دار الإمام البخاري - بينوني

هاتف 0027114210824

باكستان

مكتبة المدينة العربية - كراتشي

جوال 00923102864568

مكتبة المدينة العربية - لاهور

جوال 00923218188780

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد - إستانبول

هاتف 02126381633 - فاكس 02126381700

أستراليا

المكتبة الإسلامية

هاتف 0061297584040

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا - باريس

هاتف 0148052928 - فاكس 0148052997

جميع إصداراتنا متوافرة على



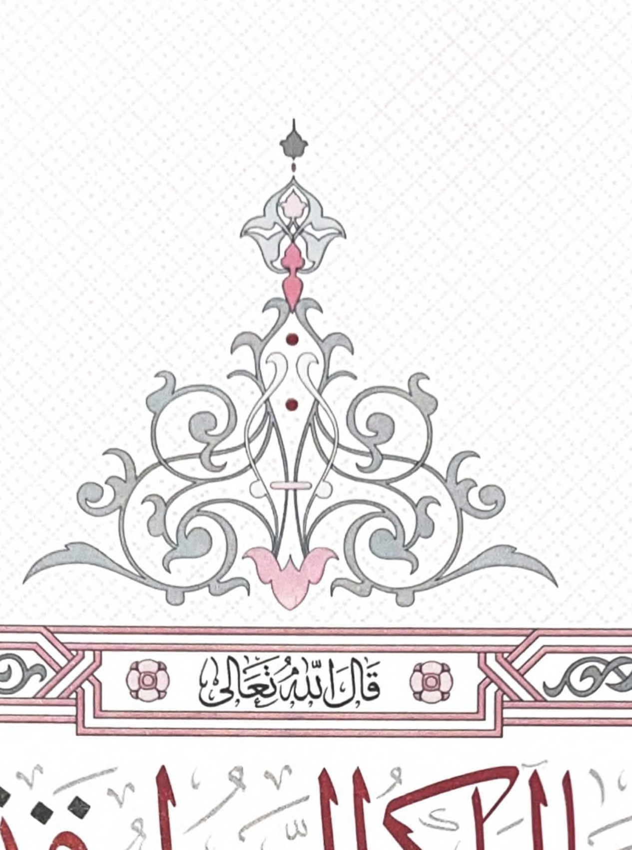
موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب

www.nwf.com



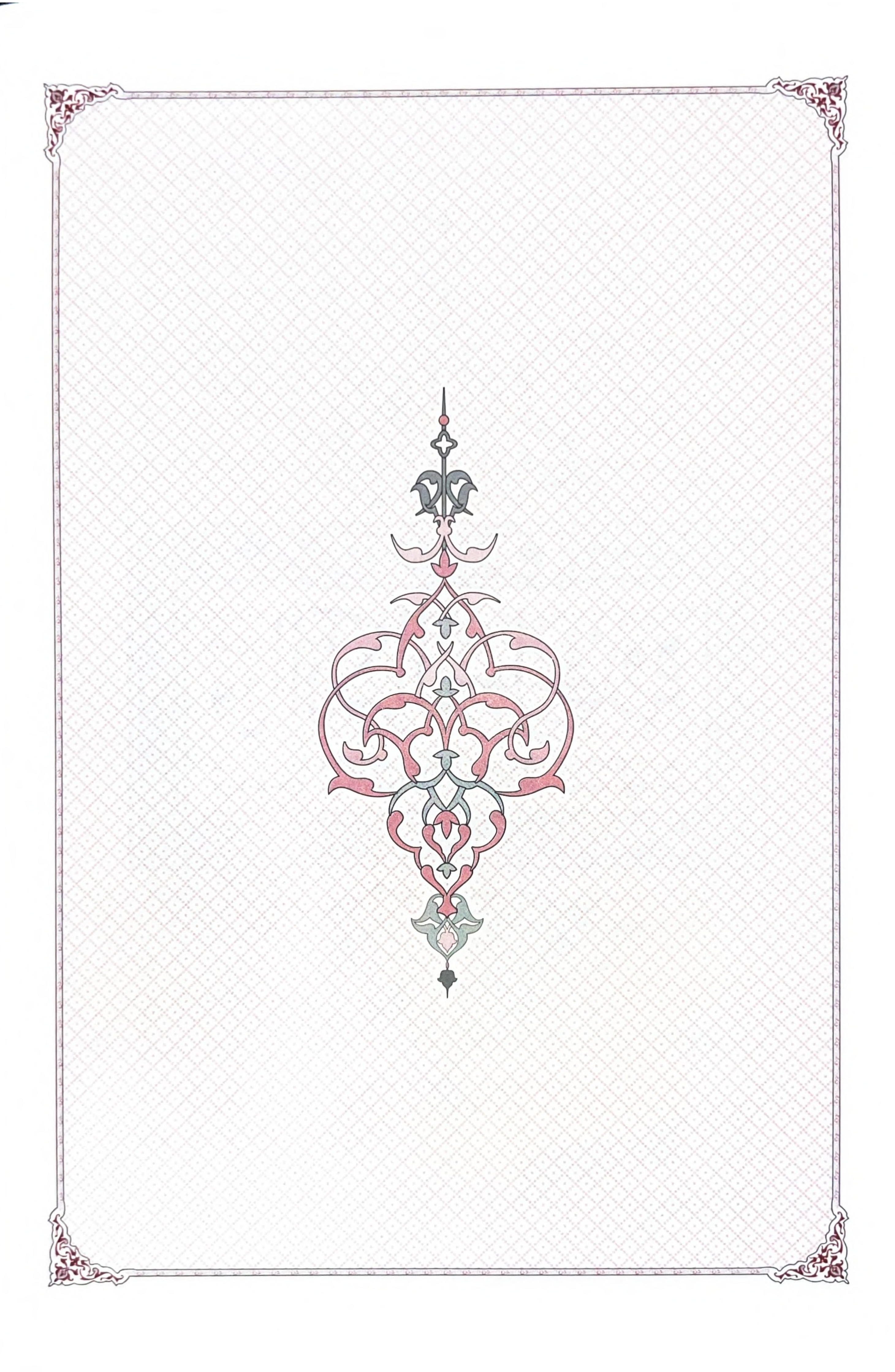
موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية

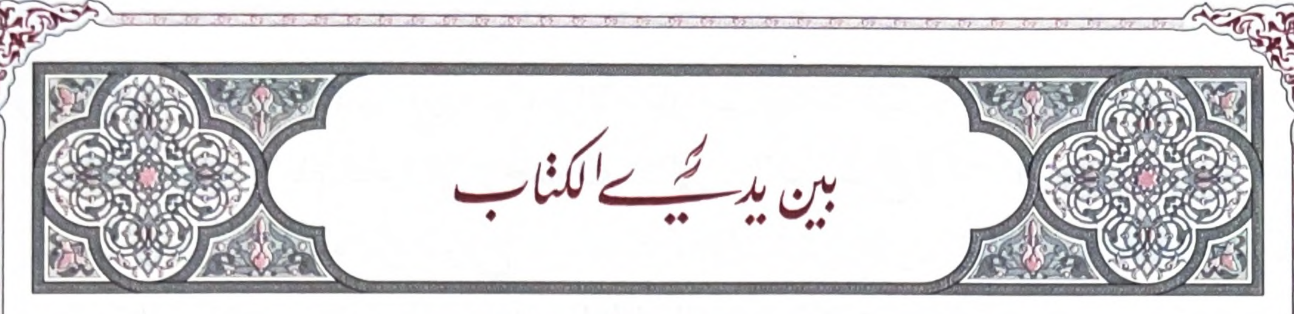
www.furat.com




قَالَ اللهُ تَعَالَى
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ







بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، **أكرمنا بالقرآن المحكم** ، فهو الدر المصون ، والجوهر المكنون .

وفضلنا بسيد الأنام وخير البرية ، وأمده بالجواهر اللؤلؤية ؛ من الأحاديث النبوية ، **ووفق طائفة من العلماء** للقيام بهٰذه الأحاديث والسُّنن ، **فأوضحوا لنا المحجة وأقوم السَّنن** ، جزاهم عنا واهبُ المنن ، جزيل الأجر الحسن .

والصلاة والسلام علىٰ سيد السادات ، وفخر الكائنات ؛ **سيدنا محمد خير أهل الأرَضين والسماوات** ، وعلىٰ آله وأصحابه الكواكب النيرات ، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد :

فإن السنة النبوية هي ينبوع التشريع الحنيف ، بعد القرآن المنيف ، **وهي مبينةٌ لأحكامه** ، **مفصلة لمجمله** ، دالةٌ علىٰ حلاله وحرامه ، ومستقلة بالتشريع أحياناً **وردتنا عمَّن لا ينطق عن الهوىٰ** ، إن هو إلا وحي يوحىٰ ، **صلى الله وسلم عليه** ، **وعلىٰ آله وصحبه وكل مُنتمٍ إليه** .

وقد هيأ الله لهٰذا الدين ، **أعلاماً موفقين** ، وجهابذةً مدققين ، **حفظوا لنا هٰذه السُّنن من الدين** ، وبلغوها لمن بعدهم من المسلمين ، **فكانوا ورثةً لسيد المرسلين** ، وقائد الغر المحجلين ، عليه الصلاة والسلام إلىٰ يوم الدين .

استنبطوا لنا أحكامها ، وبينوا لنا مقاصدها لقاصدها ، **ووضحوا مبانيها** ، **وقربوا معانيها** ، وأثْرَوا بذلك مكتبة الإسلام، وأدوا أمانة التبليغ والإعلام ، **فاستنارت الطريق بتلك الجواهر المتلألئة** ، فهم كالنجوم في الليلة الظلماء يهتدي بهم الحائرون .

ومن هٰذه الكواكب النيرات ، والأسفار المباركات كتاب « الجواهر اللؤلؤية » للعلامة الفقيه الإمام الجرداني رحمه الله تعالى ، الذي شرح فيه « الأربعين النووية » شرحاً وجيزاً ، انتقاه من شروح مَنْ سبقه ، وقد ذكر أصول كتابه ، ورقمها علىٰ صفحة العنوان من مخطوطته ، وأشرنا إلىٰ ذلك عند ذكر ترجمته .

والمؤلف أراد أن يكون ممن بلغ عن معلم البشرية الخير ، صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون مع ورثة الأنبياء ، وأن يبقي بعده أثراً يُذكَر به ، ويكون في ميزان حسناته ، ويُترحَّم عليه به بعد مماته ؛ فالكتاب ولدك المخلد ، وقيمة المرء ما يحسن ، وإنما أنتم أخبار فطيبوا أخباركم .

قال ذو النون المصري ضمن قصة ذكرها الإمام اليافعي رحمه الله تعالىٰ في « روض الرياحين » (ص٤٥) :

وما من كاتبٍ إلا سيبلىٰ ... ويُبقي الدهر ما كتبت يداهُ
فلا تكتبْ بكفِّكَ غيرَ شيءٍ ... يسُرُّكَ في القيامةِ أن تراهُ

فأراد المؤلف أن يترك خلفه صدقةً جارية ، فخطت يراعته لنا هٰذا الشرح اللطيف المبارك ، بدأ فيه بشرح المقدمة ، ثم بشرح الأحاديث بأسلوب ميسَّر ، ذكر فيه ما يتصل بهٰذه الأحاديث من أحكام وفوائد فقهية ، ولا سيما عند السادة الشافعية وهو من فقهائهم ، وكذلك أتحفنا بقصص لها صلة بموضوع الأحاديث .

فجاء كتابه كعروس تختال علىٰ أترابها ، وتزدان بجلبابها ، وسماه :

« الجواهر اللؤلؤيّة في شرح الأربعين النّوويّة »

ولما أدركت دار المنهاج أهمية هٰذا الكتاب ، ومدىٰ فائدته للقراء الأعزاء . . شمرت عن ساعد الجد لتحقيقه ، وإخراجه إخراجاً لائقاً به ، يتناسب مع رفيع قدر صاحب السنة وهادي الأمة ؛ لتتناغم جلالة المحتوىٰ مع حسن المظهر .

ومن منن الله سبحانه علىٰ دار المنهاج : أن أكرمها بنسخة المؤلف الخطية ، فاستغنت بها عن غيرها ؛ ومن قصد البحر . . استقل السواقيا .

فقامت لجنتها العلمية بتخريج الأحاديث والآثار ، وعزوها لمصادرها ، ووثَّقت نقولات المؤلف ، وأحالتها إلىٰ مراجعها قدر الوسع ، وعلىٰ حسب الطاقة والإمكان ، ثم شرحت الغامض ، وحلت المشكل ، وزادت بعض الفوائد .

ثم قامت هـٰذه اللجنة بكتابة مقدمة وافية استعرضت فيها من اعتنىٰ بـ« الأربعين » ورتبتهم علىٰ حسب وَفَياتهم .

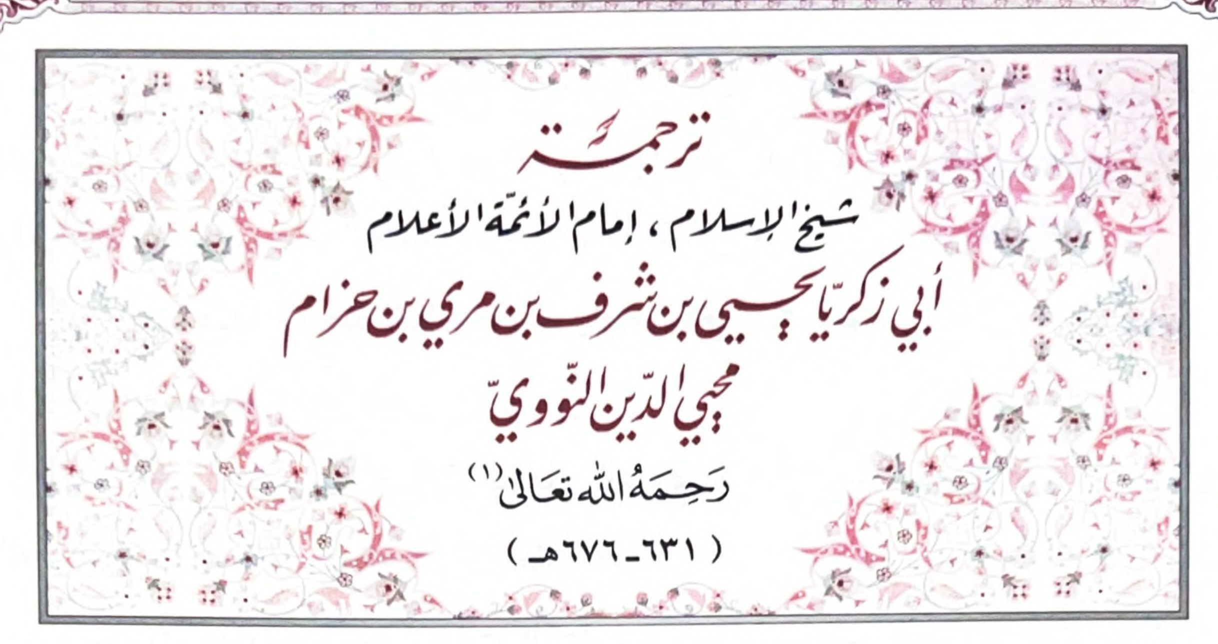
ثم ترجمت ترجمة ضافية للإمام النووي ، وترجمة موجزة للإمام الشارح الجرداني ؛ وذلك لشح مصادر ترجمته .

وصنعت فهارس لموضوعات الكتاب ، وزادت بعض العناوين بين معكوفين للفائدة ؛ ليسهل الاطلاع عليها ، والرجوع إليها .

ثم وشته بعلامات الترقيم ، وجعلته لونين ، فغدا يزهو بمنظره ، وينبي عن طيب مخبره ، وتؤكد به دار المنهاج علىٰ أنها ماضية بإذن الله في كشف اللثام عن مخدرات التراث ، وتبرزها في حلل قشيبة .

أسأل الله سبحانه أن يجعله في صحيفة الحسنات ، ويتقبله منا ويدَّخره لنا إلىٰ ما بعد الممات ، وأن ينفع به جميع البريات ، ويجعله ذخراً لمؤلفه وشارحه ، ومحققه ومدققه وناشره وقارئه ، وبائعه ومشتريه ؛ إنه سميع مجيب ، وهو مولانا ونعم النصير .





اسمه ونسبه

هو الإمام **محيي الدين** ، أبو زكريا ، **يحيى بن شرف** بن مُرِي[2] بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حِزَام ، الحزامي[3] ، **النووي**[4] ، ثم **الدمشقي** .

---

(١) **مصادر الترجمة** : « تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي » لابن العطار ، « ذيل مرآة الزمان » لليونيني (٣/٢٨٣) ، « تاريخ الإسلام » للذهبي (٥٠/٢٤٦) ، « طبقات الشافعية الكبرىٰ » لابن السبكي (٨/ ٣٩٥) ، « حياة الإمام النووي » للسخاوي ، « المنهاج السوي » للسيوطي ، « الدارس في تاريخ المدارس » للنعيمي (١/ ٢٤) .

(٢) قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ في « المنهاج السوي » (١/ ٥١) : (**مُرِي** : بضم الميم وكسر الراء ، كما رأيته مضبوطاً بخطه) . غير أن الإمام الزبيدي رحمه الله ضبطه في « تاج العروس » ، مادة (مري) فقال : (**مِرَىٰ** ـ بالكسر والقصر ـ : الجدُّ الأعلىٰ للإمام أبي زكريَّا النووي) . وكذلك صنع العلامة سليمان الجمل رحمه الله تعالىٰ في مقدمة « فتوحات الوهاب » (١/ ٢٤) إذ قال : (**مِرَىٰ** : بكسرٍ ففتح المهملة المخففة وبالقصر) .

وبقيٰ أمر آخر ؛ وهو ضبط الياء عند من ضبط الميم بالضم والراء بالكسر ؛ فإنه لم يذكر تشديد الراء أو تخفيفها ، وكذلك الأمر حيال الياء ، **والذي يظهر من عدم تعرضهم لذلك** : أنهما مخففتان ، والله أعلم بالصواب .

(٣) وقد زعم بعض أجداد الإمام النووي : أن نسبه ينتهي إلىٰ والد الصحابي الجليل حكيم بن حزام رضي الله عنه ؛ لـٰكن الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ قال : (إنه غلط) كما ذكر ذلك الإمام ابن العطار رحمه الله تعالىٰ في « تحفة الطالبين » (ص ٤٠) .

(٤) قال العلامة ابن العطار تلميذ الإمام النووي رحمهما الله تعالىٰ في « تحفة الطالبين » (ص ٤١) : (**والنووي** : نسبة إلىٰ « نوىٰ » ، وهي بحذف الألف بين الواوين على الأصل ، ويجوز كَتْبُها بالألف على العادة) .

العالم الرباني ، والإمام الصمداني ، شيخ الإسلام ، الحافظ المجتهد ، الزاهد العابد الورع ، رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه .

مولده ونشأته

ولد الإمام رضي الله عنه بـ(نَوَىٰ) في شهر محرم الحرام ، سنة إحدىٰ وثلاثين وست مئة للهجرة النبوية الشريفة[1] ، وبها نشأ وترعرع .

كانت بدايته رضي الله عنه مشرقة ؛ فهـٰذا أبوه يحدثنا عن شيء من ذلك فيذكر : أنه كان نائماً إلىٰ جنبه وقد بلغ من العمر سبع سنين ، ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، فانتبه نحوَ نصف الليل وأيقظني ، وقال : يا أبت ؛ ما هـٰذا الضوء الذي قد ملأ الدار ؟! فاستيقظ أهله جميعاً فلم يروا شيئاً ، قال والده : فعرفت أنها ليلة القدر[2] .

ويحدثنا أيضاً تلميذه العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ عن أمر آخر فيقول : (ذكر لي الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي ولي الله رحمه الله تعالىٰ قال : رأيت الشيخ محيي الدين وهو ابن عشر سنين بنوىٰ ، والصبيان يُكرهونه على اللعب معهم ، وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ، ويقرأ القرآن في هـٰذه الحالة ، فوقع في قلبي محبته .

وكان قد جعله أبوه في دكان ، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن ، قال : فأتيت معلمه الذي يُقرئه القرآن ، فوصيته به ، فقلت له : هـٰذا الصبي يُرجىٰ أن يكون أعلمَ أهل زمانه وأزهدَهم ، وينتفع الناس به .

= وقال الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ في « المنهاج السوي » (١/ ٨٥) : (ورأيت كلا الأمرين بخطه رحمه الله تعالىٰ) . وهي الآن من أرض حوران بمحافظة درعا ، وتبعد حوالي (١٠٠) كيلو متر تقريباً عن دمشق الشام باتجاه الجنوب .

(١) ذهب أكثر من ترجم له إلىٰ أنه ولد في أواسط المحرم ، بينما ذهب بعضٌ منهم إلىٰ أنه ولد في العشر الأول منه ، والمعتمد الأول ، كما جاء في « حياة الإمام النووي » (ص ٣) والله أعلم .

(٢) تحفة الطالبين (ص ٤٢ـ٤٣) ، وطبقات الشافعية الكبرىٰ (٨/ ٣٩٦) .

فقال لي : **أَمنَجِّمٌ أنت** ؟! فقلت : لا ؛ وإنما أنطقني الله بذلك ، فذكر المعلم ذلك لوالده ، **فحرص عليه إلىٰ أن ختم القرآن** وقد ناهز الاحتلام)[1] .

هـٰذا في نوىٰ ، **أما في دمشق** . . فقد أتاها وهو في التاسعة عشرة من العمر ، **سنة تسع وأربعين وست مئة** طالباً للعلم ، فسكن المدرسة الرواحية ، وانطلق في طلب العلم بهمة قعساء ، وعزمٍ ماض ، ونشاطٍ منقطع النظير . **فأَكْرِمْ بها من نشأة** !![2] .

طلبه للعلم

أجمع كل من ترجم للإمام النووي رضي الله عنه علىٰ **أنه لم يكن يميل إلى الراحة والدَّعَة** ، ولم يستلذَّ الكسل والتواني ، بل إن الجِدَّ والاجتهادَ كانا متجسدَين في شخصٍ اسمه النووي .

فبعد ختمه القرآن بنوىٰ . . أحب أن يستزيد من العلم ، ويرويَ غليله بالنهل من معينه ، **فما كان من أبيه** ـ وهو الرجل الصالح الورع ـ **إلا أن اصطحبه معه إلىٰ قِبلة طلاب العلم** ، وكعبة المعرفة المحجوجة دمشق ؛ وذلك لِمَا ضمته بين جوانحها من جهابذة العلماء والمحققين .

ذكر القطب اليونيني رحمه الله تعالىٰ : أن الشيخ أول ما قدم دمشق . . **اجتمع بخطيب الجامع الأموي وإمامه الشيخ** : جمال الدين عبد الكافي بن عبد الملك الرَّبَعي الدمشقي (ت ٦٨٩هـ) ، وعرَّفه رحمه الله مقصدَه ، **فأخذه الشيخ جمال الدين** إلىٰ حلقة الشيخ تاج الدين عبد الرحمـٰن بن إبراهيم الفزاري ، **المعروف بالفركاح** (ت ٦٩٠هـ) رحمه الله تعالىٰ ، **فقرأ عليه دروساً** ، **ولازمه مدة** ، ولم

---

(١) تحفة الطالبين (ص ٤٤ـ ٤٥) .

(٢) قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ في « المنهاج السوي » (١/ ٥٢) : (من الكامل)

وإذا الفتىٰ لله أخلص سرَّهُ ... فعليه منه رداءُ طِيبٍ يظهرُ
وإذا الفتىٰ جعلَ الإلـٰهَ مرادَه ... فلِذِكْرِه عَرْفٌ ذكيٌّ يُنْشَرُ

يكن له موضع يأوي إليه ، **فدلَّه على الشيخ كمال الدين إسحاق المغربي** بالمدرسة الرواحيَّة ، فتوجه الإمام إليه ولازمه ، واشتغل عليه ، وصار منه ما صار[1] .

قال الإمام ابن العطار نقلاً عن الإمام النووي رحمهما الله تعالىٰ : (قال : **وحفظت « التنبيه »** في نحو أربعة أشهر ونصف ، **وحفظت ربع العبادات** من « المهذب » في باقي السنة)[2] .

وكان مضرب المثل في إكبابه علىٰ طلب العلم ليلاً ونهاراً ، **وهجره النومَ إلا عن غلبةٍ** ، وضبط أوقاته بلزوم الدرس أو الكتابة ، أو المطالعة ، أو التردد إلى الشيوخ[3] .

وقال العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ أيضاً : (وذكر لي ـ أي : النووي ـ **أنه كان لا يضيع وقتاً في ليل ولا في نهار إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم** ، حتىٰ في ذهابه في الطريق ومجيئه **يشتغل في تكرارٍ أو مطالعة** ، وأنه بقي على التحصيل علىٰ هـٰذا الوجه نحو ست سنين ، **ثم اشتغل بالتصنيف والاشتغال والإفادة والمناصحة للمسلمين وولاتهم** ، مع ما هو عليه من المجاهدة بنفسه ، والعمل بدقائق الفقه ، والاجتهاد على الخروج من خلاف العلماء)[4] .

ولعل من أدلِّ الدلائل علىٰ مثابرة الإمام النووي في التحصيل ، وهمته العالية في طلب العلم . . **أنه كان يقرأ كلَّ يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً** .

فقد ذكروا أنه كان يقرأ **درسين** في « الوسيط » ، **ودرساً** في « المهذب » ، **ودرساً**

---

(١) ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٨٥) .

(٢) تحفة الطالبين (ص ٤٦) ، ونقل أيضاً : أنه أراد الاشتغال بعلم الطب ، واشترىٰ كتاب « القانون » فأظلم قلبه ، فألهمه الله أن ذلك بسبب اشتغاله بذلك فباع الكتاب ، ورجع إليه حاله ، رحمه الله تعالىٰ .

(٣) حياة الإمام النووي (ص ٨)، وذكر تلميذه ابن العطار رحمه الله تعالىٰ في « تحفة الطالبين » (ص ٤٧ـ ٤٩): أنه حج مع والده **سنة إحدىٰ وخمسين** ، وكانت وقفة عرفة يوم الجمعة ، وقد أخذته الحمىٰ من سفره إلىٰ يوم عرفة ، ولم يتأوه ، **ولما رجع . . صب الله عليه العلم صباً** ، ولازم شيخه الكمال المغربي حتىٰ توفي ، **فلما توفي شيخه . . ازداد شغله بالعلم والعمل** .

(٤) تحفة الطالبين (ص ٦٤) ، والمنهاج السوي (١/ ٥٧) .

في أصول الفقه ، ودرساً في أسماء الرجال ، ودرساً في أصول الدين ، ودرساً في « الجمع بين الصحيحين » ، ودرساً في « صحيح مسلم » ، ودرساً في « اللمع » لابن جني ، ودرساً في « إصلاح المنطق » لابن السِّكِّيت .

قال العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ نقلاً عن الإمام النووي رضي الله عنه : (وكنت أُعلِّق جميع ما يتعلق بها : من شرح مشكل ، وإيضاح عبارة ، وضبط لغة ، وبارك الله لي في وقتي واشتغالي ، وأعانني عليه)[1] .

وذكر القطب اليونيني رحمه الله تعالىٰ عن الإمام النووي رضي الله عنه قوله : (وبقيتُ نحو سنتين لم أضع جنبي إلى الأرض) . يعني أنه ما كان ينام إلا عن غلبة ، وقد سئل عن ذلك فقال : (كنت إذا غلبني النوم .. أتكىء على الكتب قليلاً ثم أنتبه)[2] .

فهٰذه إشارة موجزة إلىٰ دأبه في الطلب ، وحرصه على العلم ، والمسكوت عنه في هٰذا المقام أكثر من هٰذا بكثير ، فللّٰه درُّه من طالبٍ اليوم ، ولله درُّه من إمام كبير الشأن غداً !!

شيوخه

كان عصر الإمام النووي رضي الله عنه حافلاً بجهابذة العلماء في شتى الفنون ، وقد حظي الإمام النووي رضي الله عنه بعناية علماء أجلاء ، وشيوخ فضلاء ؛ فقد أخذ الفقه عن الإمام الجليل أبي إبراهيم الكمال المغربي ، وأبي حفص عمر بن

---

(١) تحفة الطالبين (ص ٥٠) ، وحياة الإمام النووي (ص ٧) ، وقد سمع الإمام النووي رضي الله عنه العديد من الكتب ، وكان من أهمها : الكتب الستة ، و« الموطأ » ، و« مسند الإمام الشافعي » ، و« مسند الإمام أحمد ابن حنبل » ، و« سنن الدارمي » ، و« مسند أبي عوانة » ، و« مسند أبي يعلى الموصلي » ، و« سنن الدارقطني » ، و« شرح السنة » للبغوي ، و« معالم التنزيل » في التفسير للبغوي أيضاً ، و« الأنساب » للزبير بن بكار ، و« الرسالة القشيرية » ، و« عمل اليوم والليلة » لابن السني ، و« آداب السامع والراوي » للخطيب البغدادي ، وغير ذلك الكثير .

(٢) ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٨٤) .

أسعد الرَّبَعي ، وأبي الحسن سلاَّر بن الحسن الإربلي .

وأخذ أصول الفقه عن جماعة أشهرهم : القاضي أبو الفتح عمر بن بندار التفليسي الشافعي ، وأخذ اللغة والنحو والتصريف عن فخر الدين ابن المالكي ، وكذلك أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن سالم المصري النحوي اللغوي التصريفي .

وقرأ أيضاً على العلامة حجة العرب أبي عبد الله ابن مالك أحد تصانيفه وعلَّق عليه شيئاً .

وأخذ فقه الحديث وأسماء الرجال وما يتعلق بذلك عن الشيخ المحقق أبي إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي ، وقرأ « مقدمة ابن الصلاح » علىٰ جماعة من أصحاب ابن الصلاح نفسه ، وقرأ « الكمال في أسماء الرجال » على الشيخ أبي البقاء خالد بن يوسف النابلسي ، وعلق عليه بعض الحواشي والأشياء المستجادة[1] .

ولولا ضيق المقام . . لترجمنا لكلٍّ واحد من هـٰؤلاء الأعلام الكرام ترجمةً تليق بمقامه ، ولـٰكن نسلِّط شعاعاً من الضوء علىٰ من أسعفتنا المصادر بذكرهم ؛ فأولهم :

ـ الشيخ العلامة ، كمال الدين ، أبو إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي (ت ٦٥٠هـ) ، وهو أول شيوخ الإمام النووي على التحقيق[2] .

ـ الإمام العارف ، الزاهد العابد ، الورع المتقن ، مفتي دمشق في وقته ، أبو محمد عبد الرحمـٰن بن نوح بن محمد بن إبراهيم بن موسى المقدسي ، ثم الدمشقي (ت ٦٥٤هـ) ، أخذ عنه الفقه أيضاً[3] .

---

(١) انظر « تحفة الطالبين » (ص ٥٣ـ ٦٠) .

(٢) وقد أثنىٰ عليه الإمام النووي رضي الله عنه في « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٨٤) فقال : (أولهم : شيخي الإمام المتفق علىٰ علمه وزهده ، وورعه وكثرة عباداته ، وعظم فضله ، وتميزه في ذلك علىٰ أشكاله) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٨٥) .

ـ **الإمام المفتي** ، **جمال الدين** ، **أبو محمد عبد الرحمـٰن** بن سالم بن يحيى ابن هبة الله الأنباري الأصل ، البغدادي ، ثم الدمشقي (ت ٦٦١هـ)[١] .

ـ **شيخ الشيوخ** ، **شرف الدين** ، **أبو محمد عبد العزيز** بن محمد بن عبد المحسن **الأنصاري الأوسي** (ت ٦٦٢هـ) ، كان من ذوي الذكاء المفرط ، وله محفوظات كثيرة[٢] .

ـ **الشيخ الإمام القاضي** ، **عماد الدين** ، **أبو الفضائل عبد الكريم** بن عبد الصمد بن محمد **المعروف بابن الحرستاني** ، خطيب دمشق (ت ٦٦٢هـ) ، أخذ عنه علم الحديث[٣] .

ـ **الحافظ الزين** ، **أبو البقاء خالد** بن يوسف بن سعد بن حسن بن مفرج النابلسي ، **ثم الدمشقي** (ت ٦٦٣هـ) ، قرأ عليه « كتاب الأربعين » للحاكم ، و« الكمال في أسماء الرجال » للحافظ عبد الغني المقدسي ، وعلق عليه حواشي ، وضبط عنه أشياء حسنة[٤] .

ـ **الشيخ الإمام** ، **رضي الدين** ، **أبو إسحاق إبراهيم** بن عمر بن مضر بن محمد بن فارس ، المضري ، **الواسطي** ، **التاجر** ، **المعروف بابن البرهان** (ت ٦٦٤هـ)[٥] .

ـ **الإمام الحافظ** ، **شرف الدين** ، **أبو الفضل محمد** بن محمد بن محمد **البكري الدمشقي** (ت ٦٦٥هـ) ، سمع منه الحديث[٦] .

---

(١) تحفة الطالبين (ص ٦٢) .

(٢) شذرات الذهب (٧/ ٥٣٥) .

(٣) تحفة الطالبين (ص ٦٢) .

(٤) حياة الإمام النووي (ص ١٣) .

(٥) **روىٰ عنه « صحيح مسلم » كاملاً** ، وقد أثنىٰ عليه الإمام في « شرح مسلم » (١/ ٦) فقال : (أما إسنادي فيه . . فأخبرنا بجميع « صحيح الإمام مسلم بن الحجاج » رحمه الله الشيخُ العدل الرضيُّ : **أبو إسحاق إبراهيم بن أبي حفص** عمر بن مضر الواسطي رحمه الله بجامع دمشق ، حماها الله وصانها وسائر بلاد الإسلام وأهله) .

(٦) تحفة الطالبين (ص ٦٢) ، وحياة الإمام النووي (ص ١٤) .

ـ الإمام الحافظ المتقن ، ضياء الدين ، أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي ، ثم المصري ، ثم الدمشقي (ت ٦٦٨هـ)[1] .

ـ الإمام الكبير المحدِّث ، ضياء الدين ، أبو المظفر يوسف بن أبي القاسم بن تمام بن إسماعيل ، الدمشقي الحنفي (ت ٦٦٨هـ)[2] .

ـ مسند الشام ومحدثها ، وفقيهها الحنبلي ، زين الدين ، أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ، المعروف بالناسخ (ت ٦٦٨هـ) ، كان من جملة مشايخه في الحديث[3] .

ـ الإمام العلامة ، مفتي الشام ، كمال الدين ، أبو الحسن سلاَّر بن الحسن بن عمر بن سعيد الإربلي ، ثم الحلبي ، ثم الدمشقي (ت ٦٧٠هـ) .

ـ العلامة جمال الدين ، أبو العباس أحمد بن سالم المصري ، النحوي اللغوي التصريفي (ت ٦٧٢هـ) .

ـ العلامة الرئيس الفاضل ، تقي الدين ، أبو محمد إسماعيل ابن الشيخ الإمام إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي (ت ٦٧٢هـ) .

ـ القاضي كمال الدين ، أبو الفتح عمر بن بندار بن عمر التفليسي الشافعي (ت ٦٧٢هـ) ، كان ممن جالس الإمام أبا عمرو ابن الصلاح رحمه الله تعالىٰ .

ـ العلامة جمال الدين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيَّاني (ت ٦٧٢هـ) ، حجة العرب ، وصاحب التصانيف العديدة ، والتآليف المفيدة .

ـ الإمام المتقن ، القاضي عز الدين ، أبو حفص عمر بن أسعد بن أبي غالب

---

(١) قال العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ في « تحفة الطالبين » (ص ٥٩) : (أخذ عنه فقه الحديث ، وشرح عليه « مسلماً » ، وقرأ « البخاري » ، وجملةً مستكثرةً من « الجمع بين الصحيحين » للحميدي) .

(٢) قال العلامة ابن أبي الوفاء رحمه الله تعالىٰ في أثناء ترجمته له في « الجواهر المضية » (٤/ ٤١٢) : (لازمه النووي لسماع الحديث منه ، وما يتعلق بعلم الحديث ، وعليه تخرَّج ، وبه انتفع) .

(٣) تحفة الطالبين (ص ٦٢) ، وحياة الإمام النووي (ص ١٤) .

الرَّبَعي الإربلي (ت ٦٧٥هـ) ، أخذ عنه الفقه ، وذكره في « تهذيب الأسماء واللغات » عند ذكر سنده في الفقه ، ونعته بـ(الإمام المتقن)[١] .

ـ **الإمام العالم** ، **المفتي المعمَّر** ، **جمال الدين** ، **أبو زكريا** يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع **الحرَّاني** ، يعرف بابن الصيرفي وابن الحُبيشي (ت ٦٧٨هـ)[٢] .

ـ **شيخ الإسلام** ، **وبقية العلماء** ، **شمس الدين** ، **أبو الفرج** عبد الرحمـٰن بن محمد بن أحمد بن محمد **بن قُدَامة** (ت ٦٨٢هـ) ، قال العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ : (**وهو أجل شيوخه**)[٣] .

ـ **العلامة الجليل** ، **والسيد النبيل** ، **ياسين بن عبد الله المغربي** (ت ٦٨٧هـ) ، وذكره العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ باسم : ياسين بن يوسف المراكشي[٤] .

ـ **فقيه أهل الشام** ، **وشيخ الإسلام** ، **تاج الدين** ، **أبو محمد عبد الرحمـٰن** بن إبراهيم بن ضياء بن سباع ، **الفزاري الشافعي** ، **الملقب بالفركاح** (ت ٦٩٠هـ) .

ـ **شيخ الإسلام** ، **بركة الشام** ، **تقي الدين** ، **أبو إسحاق إبراهيم** بن علي بن أحمد بن فضل **الواسطي الصالحي** (ت ٦٩٢هـ) ، تولَّىٰ في آخر عمره دار الحديث الظاهرية ، وذكر العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ أن الإمام النووي سمع منه ، رحمهما الله تعالىٰ[٥] .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٨٥) .

(٢) تحفة الطالبين (ص ٦٢ـ ٦٣) .

(٣) تحفة الطالبين (ص ٦٢) .

(٤) تحفة الطالبين (ص ٤٤) ، قال العلامة اليافعي رحمه الله تعالىٰ في « مرآة الجنان » (٤/ ٢٠٦) : (كان السيد الجليل ، الشيخ الإمام محيي الدين النواوي رحمه الله تعالىٰ يزوره ، ويتبرك به ، ويتتلمذ له ، ويقبل إشاراته ، ويمتثل ما أمره به ، **ومن جملة إشاراته المباركة** : أنه أمر الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالىٰ أن يردَّ الكتب المستعارة إلىٰ أهلها ، وأن يعود إلىٰ بلاده ، ويزور أهله ففعل ذلك ، ثم توفي عند أهله رحمه الله تعالىٰ) .

(٥) تحفة الطالبين (ص ٦٣) .

ما كادت تمضي مدة من الزمن يسيرة حتىٰ بدأت ثمار هٰذه الشجرة الباسقة بالظهور .

قال العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ : (قال الإمام النووي : **وجعلتُ أشرح وأُصحح** علىٰ شيخي الإمام الزاهد إسحاق المغربي رحمه الله تعالىٰ ، ولازمته ، فأُعجب بي ؛ لِمَا رأىٰ من اشتغالي وملازمتي ، وعدم اختلاطي بالناس ، وأحبني محبةً شديدة ، **وجعلني معيدَ الدرس بحلقته لأكثر الجماعة**)[1] .

ثم بعد ذلك باشر الإمام النووي رضي الله عنه التدريس في المدرسة الإقبالية[2] ، والمدرسة الفلكية[3] ، والمدرسة الركنية للشافعية[4] ؛ غير أن أبرز ما أُسند إليه **هو مشيخةُ دار الحديث الأشرفية** ؛ وقد ذكرت بعض المصادر أن واقف هٰذه المدرسة جعل من شروط وقف هٰذه الدار : **ألاَّ تُسند إلا لأعلم أهل البلد بالحديث** ، فقد قال الإمام السخاوي رحمه الله تعالىٰ : (إنه ـ أي : الكمال المعرِّي ـ

---

(١) تحفة الطالبين (ص ٤٧) ، وحياة الإمام النووي (ص ٦) . **والمعيد** : عليه قدر زائد علىٰ سماع الدرس ؛ فيقوم بإعادة الشرح لبعض الطلبة لتفهيمهم ونفعهم ، وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة ، وينوب عن الشيخ حال غيابه ؛ وإلا . . فهو والفقيه سواء .

(٢) **المدرسة الإقبالية الشافعية** : أنشأها **جمال الدولة إقبال** ، عتيق ستِّ الشام ، أخت صلاح الدين الأيوبي ، المتوفىٰ سنة (٦٠٣هـ) في بيت المقدس ، وتقع بين باب الفرج وباب الفراديس ، شمالي الجامع الأموي ، وقد ناب بها الإمام **النووي** عن شمس الدين **ابن خلكان** سنة (٦٦٩هـ) ، ثم تولاَّها بعده **ابن الجوَّاب** .

(٣) **المدرسة الفلكية** : أنشأها الأمير **فلك الدين سليمان** (ت ٥٩٩هـ) ، أخو الملك العادل سيف الدين أبي بكر لأمه ، وقفها مدرسةً في سنة وفاته أو قبل ذلك بقليل ، وتقع بحارة الأفتريس ، غربي المدرسة الركنية الجوَّانية ، في حي العمارة ، في زقاق عبد الهادي ، وَلِيَها **شمس الدين بن سنيِّ** الدولة ، وابنه **صدر الدين** قاضي القضاة ، أبو العباس أحمد ، والإمام **النووي** رضي الله عنه كان ممن تولَّى التدريس فيها .

(٤) **المدرسة الركنية الجوَّانية** : أنشأها الأمير **ركن الدين منكورس الفلكي** ، عتيق فلك الدين ، أخي الملك العادل لأمه (ت ٦٣١هـ) ، وقد كان محتشماً عفيفاً ، كثير الصدقات ، شيَّد الركنية في حدود سنة (٦٢٥هـ) ، وتقع شرقي المدرسة الفلكية ، في حي العمارة ، في زقاق عبد الهادي ، وقد تولَّى التدريس فيها ثلَّة من العلماء الأجلاء ؛ أمثال الشيخ **أبي شامة** ، وشمس الدين **ابن خلكان** ، والإمام **النووي** رحمهم الله جميعاً .

انتزع دار الحديث الأشرفية من ابن كثير . . . **ولم يلتفت لكون شرطها أن تكون لأعلم أهل البلد بالحديث**)[1] .

وقال الإمام السخاوي نقلاً عن الحافظ الذهبي رحمهما الله تعالىٰ : (**إن تولّي الإمام النووي لدار الحديث كان مع صغر سنِّه ، ونزول روايته في حياة مشايخه**)[2] .

وهٰذا لم يكن من باب المحاباة للإمام ، أو أنه كان حريصاً علىٰ ذلك ، بل هو كما قال : (من المتقارب)

ولـــم تـــكُ تصلـــحُ إلا لـــهُ ولـــم يـــكُ يصلـــحُ إلا لهـــا

وقد كان تولِّيه رضي الله عنه لدار الحديث الأشرفية **بعد وفاة الإمام أبي شامة** عبد الرحمٰن بن إسماعيل سنة (٦٦٥هـ) رحمه الله تعالىٰ ، وبقي فيها حتىٰ أتاه داعي ربه سنة (٦٧٦هـ)[3] .

تلامذته

سمع من الإمام النووي رضي الله عنه خلقٌ من العلماء والحفاظ ، والصدور والرؤساء ، وتخرج به خلق كثير من الآفاق ؛ منهم : **الحافظ الزاهد** ، **الثقة الثبت** ، **علاء الدين** ، **أبو الحسن علي** بن إبراهيم بن داوود **بن العطار** (ت ٧٢٤هـ) ، **والإمام المقرىء** ، **شهاب الدين** ، **أبو عبد الله محمد** بن عبد الخالق بن عثمان بن مزهر **الأنصاري الدمشقي** (ت ٦٩٠هـ) .

والصدر الرئيس ، **نور الدين** ، **أبو العباس أحمد** بن إبراهيم بن عبد الضيف بن مصعب **الخزرجي الدمشقي** (ت ٦٩٦هـ) ، **والحافظ الزاهد** ، **شهاب الدين** ،

---

(١) وجيز الكلام (١/ ٢٥٦) في أثناء ترجمة الكمال عمر بن عثمان المعرِّي .

(٢) حياة الإمام النووي (ص ٣٩) .

(٣) **دار الحديث الأشرفية** : بناها الملك **الأشرف مظفر الدين** موسى ابن العادل (ت ٦٣٥هـ) ، أخي صلاح الدين الأيوبي ، وتقع جوار باب قلعة دمشق الشرقي ، غربي سوق العصرونية .

أبو العباس أحمد بن فَرْح اللخمي الإشبيلي الشافعي (ت ٦٩٩هـ) ، والشيخ الإمام ، المحقق الزاهد ، شهاب الدين ، أحمد بن محمد بن عباس بن جعوان الدمشقي الشافعي (ت ٦٩٩هـ) .

والشيخ الفاضل ، نجم الدين ، أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن ركاب الأنصاري ، المعروف بابن الخباز (ت ٧٠٣هـ) ، والعلامة المفتي ، والمحدث النحوي ، شمس الدين ، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي الحنبلي (ت ٧٠٩هـ) ، والعلامة المفتي ، رشيد الدين ، أبو الفداء إسماعيل بن عثمان بن المعلم الحنفي (ت ٧١٤هـ) .

والقاضي صدر الدين ، أبو الفضل سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح الجعفري الداراني ، خطيب داريًّا (٦٤٢ـ ٧٢٥هـ) ، والعلامة أمين الدين ، أبو الغنائم سالم بن أبي الدُّر (٦٤٥ـ ٧٢٦هـ) ، وقاضي القضاة ، شيخ الإسلام ، بدر الدين ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة (ت ٧٣٣هـ) .

وقاضي القضاة ، جمال الدين ، أبو محمد سليمان بن عمر بن سالم الأنصاري الزرعي (ت ٧٣٤هـ) ، والشيخ الأديب ، شهاب الدين ، أبو العباس أحمد بن محمد بن سلمان بن حمائل الجعفري ، المعروف بابن غانم (ت ٧٣٧هـ) ، والحافظ الكبير ، شيخ المحدثين ، وعمدة الحفاظ ، أعجوبة الزمان ، جمال الدين ، أبو الحجاج يوسف بن الزكي الدمشقي ؛ المشهور بالحافظ المِزِّي (٦٥٤ـ ٧٤٢هـ) ، والإمام العلامة ، بقية السلف ، قاضي القضاة ، شمس الدين ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن ؛ المعروف بابن النقيب (ت ٧٤٥هـ) .

والإمام الفقيه ، علاء الدين ، أبو الحسن علي بن أيوب بن منصور المقدسي (ت ٧٤٨هـ) ، والشيخ الإمام ، زين الدين ، أبو الفرج عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي (ت ٧٤٩هـ) .

وصفه وملبسه

كان عديم الميرة[1] **والرفاهية والتنعم** ، مع التقوىٰ والقناعة والورع ، والمراقبة لله في السر والعلانية ، وتَرْكِ رعونات النفس ؛ من ثياب حسنة ، ومأكل طيب ، وتجمُّل في هيئة ، بل طعامه جلف الخبز بأيسر إدام ، **ولباسه ثوب خام** ، وسختيانية لطيفة[2] .

ووصفه : بأنه **كان أسمرَ** ، **كثَّ اللحية** ، ربعةً مهيباً ، قليل الضحك ، عديم اللعب ، بل هو جِدٌّ صِرْفٌ ، يقول الحق وإن كان مراً ، **لا يخاف في الله لومة لائم** ، عليه هيبة وسكينة ، وكان لا يتعاطىٰ لَغَط الفقهاء وعياطهم في البحث ، بل يتكلم بتؤدةٍ وسمتٍ ووقار[3] .

بعض مناقبه

حاز الإمام النووي رضي الله عنه صفاتٍ عزَّ نظيرها في نظرائه ، وقلَّ مثيلها في أمثاله ؛ **فلقد بلغ من الزهد والورع والتقوى الغاية القصوىٰ** ، إلىٰ جانبِ رسوخِ قدمه في العلم ، وعلوِّ كعبه في التحقيق ، ومع هـٰذا وذاك . . فإنه رضي الله عنه **كان آيةً في التواضع وحسن الخلق** ، ولعل الحديث في هـٰذا الشأن يحتاج إلىٰ مؤلَّفٍ ضخمٍ ليفيَ بالغرض ، ولله در الإمام الذهبي رحمه الله تعالىٰ حيث قال : (**وذِكْرُ مناقبه يطول**)[4] .

قال العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ : (**كان رفيقاً بي** ، **شفيقاً عليَّ** ،

---

(١) أي : عديم الطعام قليله .

(٢) السختيانية : هي قلنسوة من جلد الماعز المدبوغ ، وإلىٰ هـٰذه الصنعة نسب الإمام أيوب السختياني ، وقد صحفت هـٰذه الكلمة في كثير من المراجع التي ترجمت للإمام النووي إلىٰ (شبختانية) كما في « تاريخ الإسلام » وغيره ، وقد نبه علىٰ ذلك العلامة المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالىٰ في أحد دروسه الصوتية علىٰ « مقدمة ابن الصلاح » .

(٣) تاريخ الإسلام (٥٠/٢٥٦) .

(٤) تاريخ الإسلام (٥٠/٢٥٦) .

لا يمكِّن أحداً من خدمته غيري ، علىٰ جهد مني في طلب ذلك منه ، مع مراقبته لي في حركاتي وسكناتي ، ولطفه بي في جميع ذلك ، وتواضعه معي في جميع الحالات ، **وتأديبه لي في كل شيء حتى الخطرات** ، وأعجز عن حصر ذلك) .

وكان إذا ذكر الصالحين . . **ذكرهم بتعظيم وتوقير** ، وذكر مناقبهم وكراماتهم .

هـٰذا عن أدبه وتواضعه ، **أما الحديث عن زهده رضي الله عنه** . . فهو الذي لا يكاد يصدِّقه أحد لولا أن الذين نقلوه هم من أصدق الناس لهجة ، وأكثرهم تحرِّياً وتثبتاً ، فمن ذا الذي يقوىٰ علىٰ ما صنعه الإمام الذي كان لا يأكل من فاكهة دمشق ورعاً ، وهي جنة الله في الأرض ؟! قال العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ : (فسألته عن ذلك ؟ فقال : **دمشق كثيرة الأوقاف** وأملاكِ مَنْ هو تحت الحجْر شرعاً ، والتصرفُ لهم لا يجوز إلاَّ علىٰ وجه الغبطة . . . فكيف تطيب نفسي بأكل ذلك ؟!)[1] .

وقال العلامة ابن دقماق رحمه الله تعالىٰ : (**إنه كان يأكل من خبزٍ يبعثه له أبوه من نوىٰ** يخبزونه له ، ويشترون له ما يكفيه جمعةً فيأكله ، **ولا يأكل معه سوىٰ لون واحد** : إما دبس ، وإما خلٌّ ، وإما زيت ، **وأما اللحم** . . **ففي كل شهر مرة** ، ولا يكاد يجمع بين لونين من إدام أبداً)[2] .

كان لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة بعد العشاء الآخرة ، ولا يشرب إلاَّ شربة واحدة عند السحر ، وكان لا يشرب الماء المبرَّد .

ولقد نذر الإمام النووي رضي الله عنه حياته لله ، فأعرض عن حطام الدنيا وزخرفها ، قال الإمام السخاوي رحمه الله تعالىٰ : (**ولم يتزوج قط فيما علمت** ؛

---

(١) تحفة الطالبين (ص ٦٨) ، وقال عنه أيضاً (ص ٤٩) : (قال لي شيخنا أبو المفاخر ، محمد بن عبد القادر الأنصاري رضي الله عنه : **لو أدرك القشيريُّ صاحبُ « الرسالة » شيخَكم وشيخَه** ـ أي : الكمال المغربي ـ . . **لَمَا قدَّم عليهما في ذكره لمشايخها أحداً** ؛ لِمَا جُمع فيهما من العلم والعمل ، والزهد والورع ، والنطق بالحكم ، وغير ذلك) .

(٢) حياة الإمام النووي (ص ٥٤) .

لاشتغاله بالعلم والعمل) ، وكذا جزم بكونه لم يتزوج غير واحد ، منهم قاضي صفد[1] .

قال الإمام السخاوي رحمه الله تعالىٰ : (وذكر لي صاحبنا الفاضل أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي في حياة الشيخ قال : كنت ليلةً في أواخر الليل بجامع دمشق ، والشيخ واقف يصلي إلىٰ سارية في ظلمة ، **وهو يردِّد قوله تعالىٰ** : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ **مراراً ، بخوف وخشوع حتىٰ حصل عندي من ذلك أمر عظيم**)[2] .

ثناء العلماء عليه

وعلى الرغم من زهده رضي الله عنه وتواضعه ، ودماثة خلُقه ، ولين عريكته ، ورِفْقه ورحمته بالناس . . **فقد كان قوياً في الحق ، صلباً في مواجهة الظلم والظلَمة** ، يَلِين الحديد وهو في ذلك لا يلين ، وتنحني الشُّمُّ الشوامخ وهو لا ينحني .

قال تلميذه العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ : (**وكان مواجهاً للملوك والجبابرة بالإنكار** ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وكان إذا عجز عن المواجهة . . كتب الرسائل ويتوصل إلىٰ إبلاغها)[3] .

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالىٰ : (**وله غير رسالة إلى الملك الظاهر في الأمر بالمعروف**)[4] .

وذكر القطب اليونيني رحمه الله تعالىٰ طرفاً من جرأته فقال : (إنه واقَفَ الملكَ الظاهر ـ رحمه الله ـ غير مرة في دار العدل بسبب الحوطة علىٰ بساتين دمشق وغير ذلك .

---

(١) حياة الإمام النووي (ص ٥٤) .

(٢) حياة الإمام النووي (ص ٥١) .

(٣) تحفة الطالبين (ص ٩٨) .

(٤) تاريخ الإسلام (٥٠/ ٢٥٤) .

وحُكي لي : أن الملك الظاهر قال عنه : أنا أفزع منه ، أو ما هـٰذا معناه)[1] .

وأما مواجهته لعلماء السوء . . فقد ذكر العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ في هـٰذا الشأن رسالته الشهيرة لابن النجار ، الذي سعىٰ لإحداث أمور باطلة على المسلمين ، فتصدىٰ له الإمام النووي رضي الله عنه ، وبالغ في زجره وكفِّه عن ذلك ، فغضب ابن النجار ، وبعث إلى الإمام يهدده ويتوعده ، فما كان من الإمام إلا أن بادره برسالة تنبىء عن قوته في الحق ، وجرأته في إزالة المنكر[2] .

وصفه تلميذه العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ : (أَوْحَدُ دهره ، وفريد عصره ، **الصوَّام القوَّام** ، **الزاهد في الدنيا** ، الراغب في الآخرة ، صاحب الأخلاق المرضية ، والمحاسن السنية ، **العالم الرباني** ، **المتفق علىٰ علمه وإمامته وجلالته** ، وزهده وورعه وعبادته ، وصيانته في أقواله وأفعاله وحالته . . . **وكان كثير التلاوة والذكر لله تعالىٰ** ، حشرنا الله تعالىٰ في زمرته ، وجمع بيننا وبينه في دار كرامته ، مع من اصطفاه من خليقته ، أهل الصفاء والوفاء والودِّ ، العاملين بكتاب الله تعالىٰ ، وسنة محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته)[3] .

وقال الإمام السخاوي رحمه الله تعالىٰ : (**شيخ الإسلام** ، **وإمام الأئمة الأعلام** ، وقطب الأولياء الكرام ، ونادرة الزهاد الوافر في ورعهم السهام ، المجتهد في الصيام والقيام ، والقائم بخدمة الملك العلام)[4] .

وقال الإمام التقي السبكي رحمه الله تعالىٰ : (**شيخ الإسلام** ، **أستاذ المتأخرين** ، **وحجة الله على اللاَّحقين** ، والداعي إلىٰ سبيل السالفين ، كان يحيىٰ رحمه الله سيداً وحصوراً ، وليثاً على النفس هصوراً . . . **لا يصرف ساعة في غير طاعة** ، هـٰذا مع

---

(١) ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٨٣) .

(٢) انظر « تحفة الطالبين » (ص ١٥٥) ، وانظر نص الرسالة فيها من (ص ١٥٥) إلى (ص ١٦٤) .

(٣) تحفة الطالبين (ص ٤٠) .

(٤) حياة الإمام النووي (ص ١) .

التفنن في أصناف العلوم ، فقهاً ومتونَ حديث ، وأسماء رجال ، ولغة وتصوُّفاً ، وغير ذلك)[1] .

وثمة شاهدٌ ينطق بأفصح لسان ، وأعذب بيان عن علم الإمام الغزير . . **ألا وهو ما تركه الإمام من كتب ومصنفات** كانت نتاج فكره ويراعته .

مؤلّفاته

يقول العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ بعد أن عدَّد طائفة من مؤلفاته : (ولقد أمرني ببيع كراريس ؛ نحو ألف كراس بخطه ، وأمرني بأن أقف علىٰ غسلها في الوراقة ، وخوَّفني إن خالفت أمره في ذلك ، فما أمكنني إلا طاعته ، وإلى الآن في قلبي منها حسرات)[2] .

ودونك مسرداً لبعض مؤلفاته مرتبة علىٰ حروف المعجم :

ـ الأذكار من كلام سيد الأبرار ، **وقد صدر بحمد الله عن دار المنهاج محققاً علىٰ نسختين خطيتين** ؛ **قوبلتا علىٰ نسخة الإمام ابن العطار** ، **تلميذ المؤلف وعليها خطه** .

ـ الأربعون النووية ، **وقد صدر مفرداً بحمد الله عن دار المنهاج محققاً مضبوطاً علىٰ ثلاث نسخ خطية نفيسة**[3] .

ـ إرشاد طلاب الحقائق ، مطبوع .

ـ الإشارات إلىٰ بيان الأسماء المبهمات ، مطبوع .

ـ الإملاء علىٰ حديث : « إنما الأعمال بالنيات » .

ـ الإيجاز في المناسك .

ـ الإيضاح في مناسك الحج والعمرة ، مطبوع .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٨/ ٣٩٥) .

(٢) تحفة الطالبين (ص ٩٤) .

(٣) وستأتي الإشارة إلىٰ أهمية هـٰذه النسخ في هامش (ص ٥٦) .

ـ بستان العارفين ، **وسيصدر بعون الله تعالىٰ عن دار المنهاج محققاً** .

ـ التبيان في آداب حملة القرآن ، **وقد صدر بحمد الله عن دار المنهاج محققاً مضبوطاً علىٰ نسخ خطية عزيزة** .

ـ الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام ، مطبوع .

ـ تصحيح التنبيه ، مطبوع .

ـ تقريب الإرشاد إلىٰ علم الإسناد .

ـ التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير .

ـ التنقيح في شرح الوسيط ، مطبوع مع « الوسيط » للإمام الغزالي .

ـ تهذيب الأسماء واللغات ، مطبوع .

ـ حزب أدعية وأذكار (حزب الإمام النووي) ، مطبوع .

ـ خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام .

ـ دقائق المنهاج ، مطبوع .

ـ رؤوس المسائل وتحفة طلاب الفضائل ، مطبوع .

ـ روضة الطالبين ، مطبوع .

ـ رياض الصالحين من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد العارفين ، **وقد صدر بحمد الله عن دار المنهاج محققاً علىٰ نسخ خطية** .

ـ شرح صحيح مسلم ، مطبوع .

ـ فتاوى الإمام النووي ، رتبها تلميذه ابن العطار ، مطبوع .

ـ المجموع شرح المهذب ، مطبوع .

ـ مناقب الشافعي .

ـ منتخب طبقات الشافعية .

ـ المنتخب مختصر التذنيب للرافعي ، لم يكتمل .

ـ منهاج الطالبين ، **وقد صدر بحمد الله عن دار المنهاج محققاً مضبوطاً** علىٰ أربع نسخ خطية **برواية ابن البيشي** عن عدَّة علماء منهم : **الحافظ العراقي والحافظ ابن الملقن** رحمهم الله تعالىٰ .

ـ نُكت المهذب .

قال الإمام السخاوي رحمه الله تعالىٰ : (قال اليافعي : **ولقد بلغني أنه حصلت له نظرة جمالية من نظرات الحق سبحانه وتعالىٰ بعد موته ، فظهرت بركتها علىٰ كتبه ، فحظيت بقبول العباد ، والنفع في سائر البلاد**)[1] .

وفاته

وهكذا بعد مسيرة حافلة بالعمل الصالح ، وخدمة الدين الحنيف ، آن للفارس أن يترجَّل ، والمسافر أن يحطَّ الرحال ، فقد كاد الآمل أن يبلغ الغاية ، ويدرك المرام .

لقد شعر الإمام النووي رضي الله عنه بدنوِّ الأجل ، وقرب الرحيل عن هـٰذه الدار ، ولنصغِ إلى العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ وهو يحدثنا عن ذلك إذ يقول : (قال لي : **قد أُذِن لي في السفر** .

قال : وكنت حملت كلام الشيخ علىٰ ظاهره ، **ثم تبين لي أنه إنما عنى السفر الحقيقي** ، ولما انتهىٰ من حكاية ذلك . . قال لي : **قم حتىٰ نودع أصحابنا وأحبابنا** .

قال : فخرجت معه إلى المقبرة التي بها بعض شيوخه ، **فزار وقرأ شيئاً ، ودعا وبكىٰ** ، ثم زار أصحابه الأحياء ؛ كالشيخ يوسف الفقاعي « ت ٦٧٩هـ » ، والشيخ محمد الإخميمي « ت ٦٨٤هـ » ، والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر « ت ٦٨٢هـ » .

---

(١) نقل في « حياة الإمام النووي » (ص ٢٢) قول العثماني قاضي صفد في ترجمته من « طبقات الشافعية » له : سمعت الخطيب جمال الدين محمود بن جملة ـ الخطيب بالجامع الأموي ـ يقول بحضرة جماعة من مشايخ العصر : إنه سمع من شخص يخاطبه وهو بين النائم واليقظان : **إن الله أفاض على النووي في قبره فيضاً** ، فصرف ذلك الفيض إلىٰ كتبه ؛ فمن ثَمَّ شاعت وذاعت) .

وسافر صبيحة ذلك اليوم إلىٰ نوىٰ ، ثم زار القدس والخليل عليه السلام ، ثم عاد إلىٰ نوىٰ ، ومرض عقب زيارته بها وهو في بيت والده .

فبلغني مرضه ، **فتوجهت من دمشق لعيادته** ، فسُرَّ بذلك ، ثم أمرني بالرجوع إلىٰ أهلي ، فودعته بعد أن أشرف على العافية في يوم السبت العشرين من رجب ، وانصرفت ، **فتوفي بعد أيام**)[1] .

وقد كانت وفاته في الثلث الأخير من الليل ، ليلة الأربعاء في الرابع والعشرين من شهر رجب ، **سنة ست وسبعين وست مئة** ، ودفن في مسقط رأسه نوىٰ .

رضي الله عنه ورحمه رحمة المقربين الأبرار ، وحشرنا وإياه في زمرة المصطفَيْن الأخيار .

رثاؤه

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالىٰ : (**وقد رثاه غير واحد ، يبلغون عشرين نفساً بأكثر من ست مئة بيت** ؛ منهم : مجد الدين ابن الظهير ، وقاضي القضاة نجم الدين ابن صَصْرىٰ ، ومجد الدين ابن المهتار ، وعلاء الدين الكندي الكاتب ، والعفيف التلمساني الصوفي الشاعر)[2] .

وقد أورد العلامة ابن العطار رحمه الله تعالىٰ بعضاً من مراثيه ، نذكر منها طرفاً ؛ فمن ذلك : **مرثيّة أبي الفضل يوسف بن محمد بن عبد الله** الكاتب ، قارىء دار الحديث ؛ الذي قال[3] : (من الكامل)

تبكيـهِ دارٌ للحـديـثِ وأهلُهـا ... لخلـوِّهـا مـنْ فضلـهِ المعتـادِ

لـمْ يبـقَ بعـدَكَ للصحيـحِ معـرِّفٌ ... قـدْ كنـتَ فيـهِ جهبـذَ النقَّـادِ

ونصـرتَ ديـنَ اللهِ وحـدَكَ جـاهـداً ... ودفعـتَ عنـهُ شبهـةَ المـرَّادِ

---

(١) تحفة الطالبين (ص ٩٦ـ ٩٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٥٠/٢٥٦) .

(٣) تحفة الطالبين (ص ١٢٨) .

وكذلك : رثاء شيخ الأدب **محمد بن أحمد ابن شاكر الإربلي** رحمه الله تعالى ؛ الذي قال[1] : (من البسيط)

عـزَّ العـزاءُ وعـمَّ الحـادثُ الجلـلُ وخابَ بالموتِ في تعميرِكَ الأملُ
واستوحشَتْ بعدَما كنتَ الأنيسَ بها وساءَها فقدُكَ الأسحارُ والأُصُلُ
قدْ كنتَ للدينِ نوراً يُستضاءُ بهِ مسـدَّدٌ منكَ فيـهِ القـولُ والعمـلُ
يا محيِيَ الدينِ كمْ غادرْتَ منْ كبدٍ حـرَّىٰ عليـكَ وعيـنٍ دمعُهـا هطـلُ

ومما رثاه به **نجم الدين ابن صَصْرىٰ** رحمه الله تعالىٰ[2] : (من الطويل)

أعينـيَّ جـودا بـالـدمـوعِ الهـواملِ وجودا بها كالساريات الهواطلِ
على الشيخِ محيِي الدينِ ذي الفضلِ والتقىٰ وربِّ الهدىٰ والزهدِ حاوي الفضائلِ
لقـدْ كـانَ بـالمعروفِ للنـاسِ آمـراً ونـاهيَهُـمْ عـنْ منكـراتٍ وبـاطـلِ

وأخيراً نقول : كان هـٰذا قبساً من نور شمسٍ طلعت في فلك الإسلام ، ثم أَفَلَتْ فغاب جِرمها ، وبقي نورها ينير طريق طلبة العلم والمعرفة ، ويهدي أهل الإسلام في حالك الظلام .

فرحم الله الإمام النووي ، وقدس روحه ، ونوَّر ضريحه ، **وأدخلنا وإياه الجنة بغير حساب** ؛ فهو أكرم مسؤول ، وأجل منعم مأمول .

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات

(١) تحفة الطالبين (ص ١١٤ ـ ١١٥) .
(٢) تحفة الطالبين (ص ١٢١) .



اسمه ونسبه

هو العلامة الفقيه الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف الجرداني ، الشافعي ، الدمياطي ، نسبة إلىٰ محافظة دمياط بمصر ، بيد أن المصادر التي بين أيدينا لم تسعفنا بسنة ولادته ، ولا أين نشأ ، ولا عمن أخذ ، ولا من أخذ عنه .

مؤلفاته

للمؤلف كتب مفيدة نافعة ؛ فمنها :

ـ إتحاف الناسك ببيان المناسك ، مطبوع .

ـ البهجة السنية في صحيح حديث خير البرية ، مخطوط .

ـ الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية ؛ **وهو كتابنا هـٰذا**[2] .

---

(١) **مصادر الترجمة** : « الأعلام » (٦/ ٢٤٤) ، « هدية العارفين » (٦/ ٣٨٥) ، « معجم المؤلفين » (٣/ ٤٣٤ ، ٤٤٥) ، « معجم المطبوعات » (١/ ٦٨٥) .

(٢) وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالىٰ علىٰ طرة المخطوط مصادره التي استقىٰ منها هـٰذا الكتاب فقال : (هـٰذا الشرح ملخص من شرح العلامة الشيخ أحمد بن حجر **الهيتمي** ، وشرح العلامة الشيخ إبراهيم **الشبرخيتي** ، وشرح العلامة الشيخ أحمد **السحيمي** ، وشرح العلامة الشيخ أحمد **الفشني** ، وشرح العلامة الشيخ محمد **الشبشيري** ، وشرح العلامة الشيخ عبد المجيد **الشرنوبي** ، وحاشية العلامة الشيخ عبد الله **النبراوي** ، وهوامش للعلامة الشيخ **حسين براده** ، جزاهم الله خيراً ، وأثابني وإياهم ، آمين ، بجاه سيد المرسلين ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم) .

- فتح العلام شرح مرشد الأنام ، مطبوع .

- مرشد الأنام إلىٰ ما يجب معرفته من العقائد والأحكام ، مطبوع .

- مصباح الظلام وبهجة الأنام في شرح نيل المرام من أحاديث خير الأنام ، مطبوع .

- النفحة المسكية في شرح البهجة السنية في صحيح حديث خير البرية ، مخطوط .

وفاته

وقد فارقته المنية رحمه الله تعالىٰ سنة (١٣٣١هـ) .

رحمه الله رحمة الأبرار

عناية العلماء بـ « الأربعين النووية » (١)

إنَّ كتاب « الأربعين » للعلامة الإمام ، الزاهد القدوة شيخ الإسلام ، **أبي زكريا يحيى بن شرف النووي** تغمده الله برحمته . . كتاب لطيف حجمه ، جمة فوائده ، **حوىٰ درراً من مشكاة النبوة** ، اشتهرت فيما بين الناس ، وعُرفت بـ« الأربعين النووية » نسبة لجامعها الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ ، أما هو . . فسمَّاها : « **الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام** » .

وقد أخذ الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ ستة وعشرين حديثاً من الإمام ابن الصلاح رحمه الله تعالىٰ ، وتمم عدتها وجعلها أصول الدين ؛ قال الإمام النووي في « بستان العارفين » (ص٣٠) : (**قال الشيخ أبو عمرو** رحمه الله تعالىٰ بعد أن حكىٰ أقوال الأئمة في تعيين الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ، واختلافهم في أعيانها وعددها ، **فبلغت ستة وعشرين حديثاً** : أحدها . . .) ثم سرد الأحاديث ، لـٰكنه ذكر تسعة وعشرين حديثاً .

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالىٰ في مقدمة كتابه الجليل « جامع العلوم والحكم » (١/٥٦) : (**وأملى الإمام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح** مجلساً سماه « **الأحاديث الكلية** » جمع فيها الأحاديث الجوامع التي يقال : **إن مدار الدين عليها** ، وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة ، **فاشتمل مجلسه هـٰذا علىٰ ستة وعشرين حديثاً** ، ثم إن الفقيه الإمام الزاهد القدوة أبا زكريا يحيى النووي رحمة الله عليه **أخذ هـٰذه الأحاديث التي أملاها ابن الصلاح** ، **وزاد عليها تمام اثنين وأربعين حديثاً** ، وسمىٰ كتابه بـ« الأربعين » التي جمعها ، **وكثر حفظها** ، **ونفع الله بها ببركة نية جامعها** ، وحسن قصده رحمه الله) .

---

(١) تم الاعتماد في ذلك علىٰ كتاب « الفهرس الشامل » ، و« جامع الشروح والحواشي » (١/١٢٩-١٥٠) ، و« إتحاف الأنام بذكر جهود العلماء على الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام » .

ولقد تناول أهل العلم من عصر المؤلف رحمه الله إلىٰ يومنا هـٰذه الأربعين بالشرح والتعليق ، والتخريج والتحقيق ، والحفظ والتدريس ، وهم في ذلك بين مقلٍّ ومكثرٍ ، فإليك أخي القارىء ما وقفنا عليه من الشروح وغيرها ، **مرتبةً علىٰ تاريخ وفاة مؤلفيها رحمهم الله تعالىٰ** :

ـ فشرحها مؤلفها الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري **النووي** ، المتوفىٰ سنة (٦٧٦هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو علي الحسين بن عبد العزيز القرشي الفهري الغرناطي ، المعروف **بابن الناظر** ، المتوفىٰ سنة (٦٧٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فَرْح **اللخمي الإشبيلي** ، المتوفىٰ سنة (٦٩٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب المعروف **بابن دقيق العيد** ، المتوفىٰ سنة (٧٠٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

وعلىٰ هـٰذا الشرح :

❊ تقريرات للشيخ **محمد بن أحمد ابن الشريف** العلوي المغربي ، المتوفىٰ سنة (١٣٦٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو البركات بدر الدين عبد اللطيف بن محمد بن الحسين **الحموي ثم المصري** ، المتوفىٰ سنة (٧١٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسمَّاه : « **منحة الطالبين لحفظ الأحاديث الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام أبو الربيع نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم **الطُّوفي الصرصري** ، المعروف **بابن أبي عباس** ، المتوفىٰ سنة (٧١٦هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **المورد المعين شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام أبو الحسن علاء الدين علي بن إبراهيم بن داوود المعروف **بابن العطار** والملقب **بمختصِر النووي** ، المتوفىٰ سنة (٧٢٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام **أحمد بن عبد الوهاب** المصري ، المتوفىٰ حوالي سنة (٧٣٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو حفص تاج الدين عمر بن علي بن سالم **اللخمي الإسكندري** ، المعروف **بالفاكهاني** ، المتوفىٰ سنة (٧٣١هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **المنهج المبين في شرح الأربعين** » ، ثم اختصره في كتابٍ سماه : « **مختصر المنهج المبين في شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام **جمال الدين عبد الله بن إبراهيم** بن إسماعيل **اللخمي الشطنوفي** ، المتوفىٰ سنة (٧٣٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم **الشِّيحي** ، المعروف **بابن الخازن** ، المتوفىٰ سنة (٧٤١هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **عمدة الطالبين في شرح الأحاديث الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام أبو عبد الله شمس الدين **محمد بن كامل التدمري** ، المتوفىٰ بعد سنة (٧٤١هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام شهاب الدين أحمد بن موسىٰ **بن خفاجا الصفدي** ، المتوفىٰ سنة (٧٥٠هـ)، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **منهاج السالكين وعمدة الطالبين** » .

ـ وشرحها الإمام علي بن محمد بن علي **المقرىء الفيومي** ، المتوفىٰ سنة (٧٧٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد **ابن مطير الحكمي اليمني** ، المتوفىٰ سنة (٧٧٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام زين الدين سَريجا بن محمد بن سريجا **الملطي المارديني** ، المتوفىٰ سنة (٧٨٨هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **نشر فوائد المربعين المَنْوِيَّة في نشر فرائد الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله **التفتازاني** ، المتوفىٰ سنة (٧٩٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو عبد الله نور الدين محمد بن عبد الله **الإيجي الكرماني** ، المتوفىٰ سنة (٧٩٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **سراج الطالبين ومنهاج العابدين في شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله **الزركشي** ، المتوفىٰ سنة (٧٩٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو الفرج زين الدين عبد الرحمـٰن بن أحمد ، الشهير **بابن رجب الحنبلي** ، المتوفىٰ سنة (٧٩٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم** » ، زاد على « الأربعين النووية » ثمانية أحاديث سردها في مقدمة كتابه ، ولهـٰذا سمَّاه كذلك ، **وهو أجل شروح « الأربعين النووية »** ، وأكثرها فائدة ، **وعلىٰ هـٰذا الشرح** :

❊ مختصر للشيخ **أبي بكر بن محمد** بن عمر آل ملاَّ ، المتوفىٰ سنة (١٢٧٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو الطاهر جلال الدين أحمد بن محمد بن محمد **الخُجَنْدي** ، المعروف **بالأَخوي** ، المتوفىٰ سنة (٨٠٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام عز الدين يوسف بن الحسن بن محمود ، المعروف **بالحَلوائي** ، المتوفىٰ سنة (٨٠٢هـ) ، وقيل : سنة (٨٠٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عمر **المصري** ، المعروف **بالسعودي** ، المتوفىٰ سنة (٨٠٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الدر الرصين المستخرج من بحر الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد **الأنصاري** ، المعروف **بابن الملقن** ، المتوفىٰ سنة (٨٠٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **المعين علىٰ تَفهُّم الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام شمس الدين محمد بن الحسين بن علي **الأسيوطي** ، المتوفىٰ سنة (٨٠٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام **ظهير الدين** أسعد بن مسعود بن يحيى **العمري** ، المتوفىٰ بعد سنة (٨١٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام حميد الدين حامد بن موسى بن عبد الله **القيصري** ، المتوفىٰ سنة (٨١٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو عبد الله عز الدين محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز **الكناني** ، المعروف **بابن جماعة** ، المتوفىٰ سنة (٨١٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **التبيين في شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام **أبو زرعة** ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين ، المعروف **بابن العراقي** ، المتوفىٰ سنة (٨٢٦هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الجواهر البهية في شرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن **الحسيني الدمشقي** ، المعروف **بتقي الدين الحِصْني** ، المتوفىٰ سنة (٨٢٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو العباس شهاب الدين أحمد بن حسين بن الحسن ابن رسلان ، المعروف **بالعجيمي** ، المتوفىٰ سنة (٨٤٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو محمد برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن محمد **الخُجَنْدي** ، المتوفىٰ سنة (٨٥١هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **إيضاح الكلمات النورانية في شرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** ، المتوفىٰ سنة (٨٥٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها بالقول الإمام أبو بكر عفيف الدين محمد بن محمد بن عبد الله **النِّيريزي الحسيني** ، المتوفىٰ سنة (٨٥٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو الحسن صلاح الدين محمد بن أبي بكر بن علي **السيوطي** ، المتوفىٰ سنة (٨٥٦هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو القاسم محب الدين محمد بن محمد بن محمد **النويري** المعروف **بأبي القاسم النويري** ، المتوفىٰ سنة (٨٥٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو محمد كمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمـٰن **القاهري** ، المعروف **بابن إمام الكاملية** ، المتوفىٰ سنة (٨٦٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام مرشد بن إمام **الشيرازي** ، المتوفىٰ ـ لعله ـ سنة (٨٧٥هـ) .

ـ وشرحها الإمام أبو حفص سراج الدين عمر بن أحمد بن محمد **القاهري** ، المعروف **بالبلبيسي** ، المتوفىٰ سنة (٨٧٨هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الفيض المعين في شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام بدر الدين الحسين بن خواجه أحمد بن محمد **الكيلاني** ، المعروف **بابن قاوان** ، المتوفىٰ سنة (٨٨٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام جمال الدين إسماعيل بن عبد الله **الخلوتي** ، المتوفىٰ سنة (٨٩٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام عبد القادر بن محمد بن عبد الله **الضُّمَيري الدمشقي** ، المتوفىٰ سنة (٩٠٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الدرر المضية في شرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام معين الدين محمد بن عبد الرحمـٰن بن محمد **الإيجي** ، المتوفىٰ سنة (٩٠٦هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو الفضل **جلال الدين** عبد الرحمـٰن بن أبي بكر بن محمد **السيوطي** ، المتوفىٰ سنة (٩١١هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام **محمد بن العز الحجازي** ، المتوفىٰ بعد سنة (٩١٢هـ) ،

رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الأفكار النورانية في شرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام أبو الحسن علي بن ميمون بن أبي بكر **الغُمَاري الفاسي** ، المتوفىٰ سنة (٩١٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام نور الدين أحمد بن محمد بن خضر **الكازروني** ، المتوفىٰ بعد سنة (٩٢٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الهادي للمسترشدين في شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام **شيخ الإسلام زين الدين زكريا** بن محمد بن أحمد **الأنصاري** ، المتوفىٰ سنة (٩٢٦هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام فصيح الدين محمد بن عبد الكريم **القهستاني النظامي** ، المتوفىٰ سنة (٩٣٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **مجمع العينين** » .

ـ وشرحها الإمام شمس الدين أحمد بن سليمان **بن كمال باشا الرومي** ، المتوفىٰ سنة (٩٤٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام شمس الدين محمد بن محمد بن محمد **الدُّلَجي العثماني** ، المتوفىٰ سنة (٩٤٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام عبد الهادي بن عبد الله بن أحمد **الشتيوي** ، المتوفىٰ بعد سنة (٩٥٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد **ابن حجر الهيتمي** ، المتوفىٰ سنة (٩٧٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الفتح المبين بشرح الأربعين** » ، **وقد صدر محققاً بحلة قشيبة عن دار المنهاج ولله الحمد** .

وعلىٰ هٰذا الشرح عدة حواش لجماعة من العلماء :

* حاشية للشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب **الشَّوبري المصري** ، المتوفىٰ سنة (١٠٦٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماها : « **تعليقات ظريفة وتحقيقات لطيفة علىٰ شرح الأربعين النووية** » .

* حاشية للشيخ إلياس بن إبراهيم بن داوود **الكردي** ، المتوفىٰ سنة (١١٣٨هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

* حاشية للشيخ إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني ، الشهير **بالجَرَّاحي** ، المتوفىٰ سنة (١١٦٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماها : « **استرشاد المسترشدين لفهم الفتح المبين علىٰ شرح الأربعين** » .

* حاشية للشيخ حسين بن علي بن أحمد **المنطاوي** الشهير **بالمدابغي** ، المتوفىٰ سنة (١١٧٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

* حاشية للشيخ أحمد بن محمد بن علي **القلعاوي** ، المعروف **بالسحيمي** ، المتوفىٰ سنة (١١٧٨هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماها : « **مفتاح الطالبين للفتح المبين** » ، وله شرح على « الأربعين » كما سيأتي .

* حاشية للشيخ مصطفىٰ تقي بن محمد تقي **المنتيني** ، المتوفىٰ بعد سنة (١٢١٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

وعلىٰ « الفتح المبين » أيضاً مختصران :

* مختصر **لحفيد المصنف** رضي الدين بن عبد الرحمـٰن بن شهاب الدين أحمد ابن حجر الهيتمي ، المتوفىٰ سنة (١٠٤١هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

* مختصر للشيخ ضياء الدين يوسف بن عبد الله **العمري الموصلي** ، المتوفىٰ بعد سنة (١٢٤٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام شهاب الدين أحمد بن حجازي بن بدير **الفشني** ، المتوفىٰ بعد سنة (٩٧٨هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **المجالس السنية في الكلام على الأربعين النووية** » ، **وعلىٰ هـٰذا الشرح :**

* مختصر للشيخ عبد الرحمـٰن (أو عبد الرحيم) بن إبراهيم بن عبد الله **التغارغرتي** ، المتوفىٰ سنة (١٢٧٨هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام محمد بن صلاح الدين بن جلال الدين ، **الملتوي** المعروف **بمصلح الدين اللاري** ، المتوفىٰ سنة (٩٧٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام عبد الجليل بن يوسف **الأقحصاري** ، المتوفىٰ في حدود سنة (٩٨٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه « **ذخر الآخرة في شرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام غانم بن أحمد الخطيب **البقاعي الشافعي** ، المتوفىٰ سنة (٩٨٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الرياحين البقاعية في شرح الأحاديث النووية** » .

ـ وشرحها الإمام تقي الدين محمد بن علي ، المعروف **ببير علي البركلي** ، المتوفىٰ سنة (٩٨١هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو العباس أحمد بن تركي بن أحمد **المنشليلي** ، المتوفىٰ سنة (٩٩٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام سالم بن بهاء الدين **الدنوشري** ، المتوفىٰ في حدود سنة (١٠١٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام محيي الدين محمد بن عبد الله ، المعروف **بباتمكجي زاده** ، المتوفىٰ سنة (١٠١٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي ، المعروف **بالملا علي القاري** ، المتوفىٰ سنة (١٠١٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **المبين المعين لفهم الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام سعيد بن محمد **المفتي** ، رحمه الله تعالىٰ ، كتبت المخطوطة سنة (١٠١٥هـ) .

ـ وشرحها نظماً الإمام محمد بن عبد الجليل خاقاني ، الشهير **بابن إياس باشا الرومي** ، المتوفىٰ سنة (١٠١٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **مفتاح الفتوحات في شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام أبو الفضل ولي الدين محمد بن علي بن سالم **الشبشيري المصري** ، المتوفىٰ سنة (١٠١٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الجواهر البهية في شرح الأربعين النووية** » .

وعلىٰ هـٰذا الشرح حاشيتان :

* حاشية للشيخ علي بن محمد بن زهران **الرشيدي** ، الشهير **بالخضري** ، المتوفىٰ سنة (١١٨٦هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماها : « **خلاصة الغرر الرضية البائحة بسر الأربعين النووية وشرحها الجواهر البهية** » .

* حاشية للشيخ عبد الله بن محمد **النبراوي** ، المتوفىٰ بعد سنة (١٢٥٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماها : « **عروس الأفراح** » .

ـ وشرحها الإمام زين الدين **محمد عبد الرؤوف** بن تاج العارفين بن علي **المناوي** ، المتوفىٰ سنة (١٠٣١هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام إسماعيل بن أحمد **البيرامي المولوي** ، المتوفىٰ سنة (١٠٤٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها عبد المعين بن أحمد البلخي ، المعروف **بابن البكاء** ، المتوفىٰ سنة (١٠٤٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام حسام الدين خليل **البرسوي الرومي** ، المتوفىٰ سنة (١٠٤٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو الحسن نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد **الحلبي القاهري** ، المتوفىٰ سنة (١٠٤٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو الخير مجد الدين عبد المجيد بن محرم بن محمد بن عارف **الزيلي السيواسي** ، المتوفىٰ سنة (١٠٤٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام محمد بن محمد **الحجازي المنزلي الرشيدي** ، المتوفىٰ بعد

سنة (١٠٥٥هـ)، رحمه الله تعالىٰ، وسماه : « **الفيض المتين في شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام أبو الحجاج يوسف بن حجازي **القاسمي الجنيدي** ، المعروف **بابن حجازي** ، المتوفىٰ سنة (١٠٦٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام **مسعود بن منصور** بن عبد الله العلوي ، المتوفىٰ سنة (١٠٦٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الكافي في شرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام إسماعيل بن عبد الباقي بن إسماعيل **الدمشقي** ، المعروف **باليازجي** ، المتوفىٰ سنة (١١٢١هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الجوهر الثمين في شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام يوسف بن يعزي **الرسموكي** ، المتوفىٰ في القرن الحادي عشر ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام سليمان بن عبد الله الكريدي ، المعروف بالأزميري ، المتوفىٰ سنة (١١٠٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام برهان الدين إبراهيم بن مرعي بن عطية **الشبرخيتي** ، المتوفىٰ سنة (١١٠٦هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام **محمد الحُجَيّج** الأندلسي التونسي ، المتوفىٰ سنة (١١٠٨هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام رمضان بن محمد نقرة **البوسالمي القيرواني** ، المتوفىٰ سنة (١١١٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو العباس أحمد بن غنيم بن سالم **النفراوي** ، المتوفىٰ سنة (١١٢٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام عبد الوهاب بن عبد الحي بن أحمد المعروف **بابن العماد العكري** ، المتوفىٰ سنة (١١٢٨هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام سليمان بن فاضل بن أحمد **الرومي الواعظ** ، المتوفىٰ سنة (١١٣٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى **الإستانبولي** ، المتوفىٰ سنة (١١٣٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام **عمر بن عبد الحي الطرابلسي** ، المتوفىٰ سنة (١١٤٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الدرر السنية في شرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام أحمد بن أمين الدين **البسطامي** مفتي الشافعية بنابلس ، المتوفىٰ سنة (١١٥٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أحمد بن أبي بكر بن محمد **الصماقوي** المعروف **بالكشفي** ، المتوفىٰ سنة (١١٦٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام محمد حياة بن إبراهيم **السندي المدني** ، المتوفىٰ سنة (١١٦٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **تحفة المحبين في شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام محمد بن مصطفى **الشهاوي الدسوقي** ، المتوفىٰ بعد سنة (١١٦٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **حسن النية في شرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام **محمد أبو السعود الحسيني** ، رحمه الله تعالى ، المتوفىٰ في القرن الثاني عشر الهجري ، وسماه : « **بغية الطالبين شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام محمد بن الحاج حميد بن مصطفى **الكفوي الآقكرماني** ، المتوفىٰ سنة (١١٧٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **نبراس العقول الذكية بشرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام أحمد بن محمد بن علي **القلعاوي** ، المعروف **بالسحيمي** ، المتوفىٰ سنة (١١٧٨هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **لباب الطالبين بشرح الأربعين** » ، أو « أزهار الطالبين بشرح الأربعين » .

ـ وشرحها الإمام علي بن حجازي بن محمد **البيومي الإدريسي** ، المتوفىٰ سنة (١١٨٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **النور المبين علىٰ متن الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام أبو الفداء عصام الدين إسماعيل بن محمد بن مصطفى **القونوي** ، المتوفىٰ سنة (١١٩٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام مصطفى بن محمود **الطورحالي** ، المتوفىٰ سنة (١١٩٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام علي بن محمد **الزيات** ، المتوفىٰ في القرن الثاني عشر ، وسماه : « **تعليق على الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها في شرحين الإمام أبو عبد الله محمد بن الطالب ابن سودة **الفاسي التاودي** ، المتوفىٰ سنة (١٢٠٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو العباس أحمد بن موسى بن أحمد **العدوي** ، المعروف **بالبيلي** ، المتوفىٰ سنة (١٢١٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه « **تقريرات على الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام محمد بن أحمد **بُنَيِّس الفاسي** ، المتوفىٰ سنة (١٢١٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام **وجيه الدين** بن مجيب الله بن محمد **الهندي** ، المتوفىٰ بعد سنة (١٢١٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام **إسماعيل مفيد** بن علي العطار **الرومي** ، المتوفىٰ سنة (١٢١٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام عبد القادر بن أحمد ابن **شقرون الفاسي** ، المتوفىٰ سنة (١٢١٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام محمد عبد الله بن الطالب عبد الله **المحجوبي** ، المتوفىٰ سنة (١٢٢٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام عبد الباسط بن رستم علي بن علي أصغر **القنوجي الهندي** ، المتوفىٰ سنة (١٢٢٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الحبل المتين في شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام رفيع الدين بن فريد الدين **الفاروقي** ، المتوفىٰ سنة (١٢٢٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام يحيى بن محمد **الحلبي الدمشقي** ، المعروف **بالمسالخي** ، المتوفىٰ سنة (١٢٢٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام **محمد بن شيخ الإسلام** مصطفىٰ عاشر **الرومي** ، المتوفىٰ سنة (١٢٢٦هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام **الفاسي** ، المعروف **بابن كيران** ، المتوفىٰ سنة (١٢٢٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام **وجيه الله** بن مجيب الله بن **محمد الهندي** ، المتوفىٰ سنة (١٢٢٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام عبد القادر بن أحمد **التاودي** ابن سودة **المري الفاسي** ، المتوفىٰ سنة (١٢٣٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام محمد فال بن متالي **التندغي الشنقيطي** ، المتوفىٰ سنة (١٢٣٨هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام عبد الله بن عبد القادر **المدراسي** ، المتوفىٰ سنة (١٢٦٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الثمين في شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام محمد عكاشة **الشرقاوي الشبراويني** ، المتوفىٰ بعد سنة (١٢٦٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الدرر السنية على الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام عمر بن عبد العزيز **الكرسيفي** ، المتوفىٰ في القرن الثالث عشر ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام محمد بن أحمد بن عبد الرحمـٰن **المشرع** ، المتوفىٰ في القرن الثالث عشر ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام محمد بن علال **الدليمي الفاسي** ، المتوفىٰ سنة (١٣٠٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **اللطائف السنية على الأحاديث النووية** » .

ـ وشرحها بالقول الإمام أبو المحاسن شمس الدين محمد بن خليل بن إبراهيم بن محمد **المشيشي الطرابلسي** ، المعروف **بالقاوقجي** ، المتوفىٰ سنة (١٣٠٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الإمدادات الإلـٰهية على الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام **إسماعيل بن محمد الأنصاري** ، المتوفىٰ سنة (١٣١٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثاً النووية** » .

ـ وشرحها الإمام أبو العباس **أحمد بن الطالب** ابن محمد بن سودة **المري** ، المتوفىٰ سنة (١٣٢١هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام هاشم بن محمد الشحات **الشرقاوي** ، المتوفىٰ (بعد سنة ١٣٢٦هـ) ، رحمه الله تعالى .

ـ وشرحها الإمام **أبو الهدىٰ** محمد بن حسن وادي بن علي **الصيادي** ، المتوفىٰ سنة (١٣٢٨هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **النفحات المحمدية في الأحاديث الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها بالقول الإمام أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد **الفاسي القادري** ، المتوفىٰ سنة (١٣٣١هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف **الجرداني الدمياطي** ، المتوفىٰ سنة (١٣٣١هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية** » .

وهو كتابنا هـٰذا .

ـ وشرحها الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد الحافي **العبيدي السباعي** ، المتوفىٰ سنة (١٣٣٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **المنح المولوية بشرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام أبو محمد عبد المجيد بن إبراهيم **الشرنوبي الأزهري** ، المتوفىٰ سنة (١٣٤٨هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام عبد السلام بن محمد الفضيل ، المعروف **بالسكوري** ، المتوفىٰ سنة (١٣٤٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **الفتح المبين في شرح الأربعين** » .

ـ وشرحها الإمام إبراهيم بن صالح **السوسي العروسي** التازروالتي ، المتوفىٰ سنة (١٣٥٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام عبد الوهاب بن مصطفى بن محمد **الطلسي الحلبي** ، المعروف بابن طلس ، المتوفىٰ سنة (١٣٥٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **البرود الطلسية في شرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام قاسم بن أحمد **القيسي** ، المتوفىٰ سنة (١٣٧٤هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **النزهة البهية في شرح أحاديث الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام محمد عبد الحي بن عبد الكبير **الكتاني** ، المتوفىٰ سنة (١٣٨٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وله أيضاً : « **ختمة كتاب الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها العلامة **محمد صالح** بن عبد الله بن محمد صالح **الفرفوري الدمشقي** ، المتوفىٰ سنة (١٤٠٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **من مشكاة النبوة في شرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها الإمام عمر بن سليمان الغرياني المالكي ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **منحة رب البرية بشرح الأربعين النووية** » .

ـ وشرحها بالقول علي بن محمد الأحمدي ، المعروف **بالميهي** ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام سليمان بن مصطفى **الإسكندراني** ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ وشرحها الإمام رضيع الدين **المراد آبادي** ، رحمه الله تعالىٰ .

❁ ❁ ❁

وممن عني برجال « الأربعين النووية » :

ـ الإمام محمد علي **بن** محمد **علان** بن إبراهيم الصديقي ، المتوفىٰ سنة (١٠٥٧هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ الإمام **علي كبير الإلـٰه آبادي** ، المتوفىٰ سنة (١٠٩٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **مطلوب الطالبين في أسماء رجال الأربعين** » .

❁ ❁ ❁

وممن عني بتخريج « الأربعين النووية » :

ـ الإمام محمد بن أحمد بن محمد المصري السعودي ، المعروف **بابن شيخ البئر** ، المتوفىٰ سنة (٨٠٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ الإمام أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين **العراقي** ، المتوفىٰ سنة (٨٠٦هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **أمالي على الأربعين** » .

ـ الإمام أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** ، المتوفىٰ سنة (٨٥٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **تخريج الأربعين النووية بالأسانيد العلية** » .

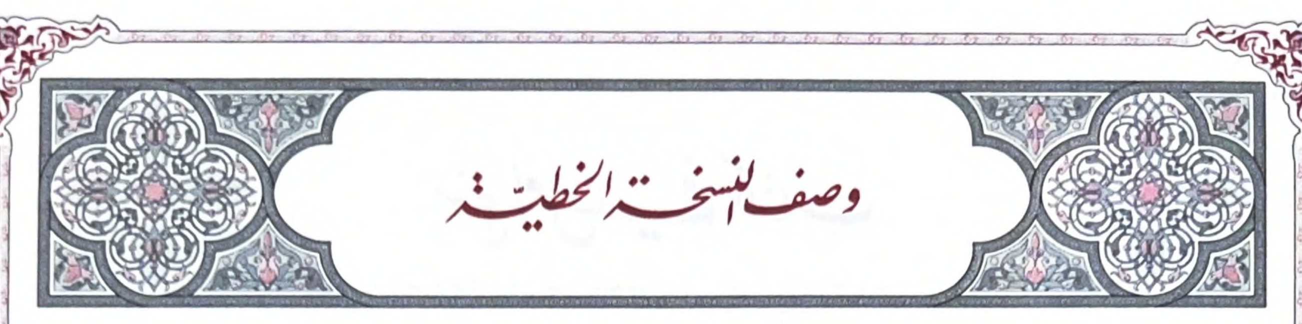
ـ الإمام أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمـٰن بن محمد **السخاوي** ، المتوفىٰ سنة (٩٠٢هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ الإمام أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد **ابن عبد الهادي** ، المعروف **بابن المبرد الصالحي** ، المتوفىٰ سنة (٩٠٩هـ) ، رحمه الله تعالىٰ ، وسماه : « **النصيحة في تخريج الأحاديث النووية بالأسانيد الصحيحة** » .

ـ الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن علي بن محمد **الدمشقي** ، المعروف **بابن طولون** ، المتوفىٰ سنة (٩٥٣هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

ـ الإمام أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد **الزبيدي ثم المصري** المعروف **بمرتضى الزبيدي** ، المتوفىٰ سنة (١٢٠٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

❁ ❁ ❁



وصف النسخة الخطية

اعتمدنا في إخراج هـٰذا السِّفْر النافع علىٰ **نسخة فريدة بخط المؤلف** رحمه الله تعالىٰ .

وهي نسخة مكتبة الأزهر الشريف ، ذات الرقم (عام ١٣٠٩٤٤ـ خاص ٧٥٦٤) .

وهي نسخة كاملة ، خطها نسخي معتاد ، **وفيها هوامش للمؤلف** يشرح فيها بعض الكلمات ، ويذكر فيها بعض الفوائد ، **وقد أثبتناها** في هوامش الكتاب .

تتألف هـٰذه النسخة من (٤٠٨) ورقة ، عدد سطور الورقة (٢١) سطراً ، عدد كلمات السطر الواحد (٩) كلمات تقريباً .

وُضع متن « الأربعين النووية » في هامشها .

انتهى الإمام الجرداني من خطها يوم الثلاثاء ، الخامس عشر من شعبان ، سنة (١٣٢٧هـ) ، وهي كما أشرنا سابقاً بخطه رحمه الله تعالىٰ .

❋ ❋ ❋

منهج العمل في الكتاب

كان سير العمل في هـٰذا الكتاب المبارك وفق المنهج الآتي :

ـ **نسخنا الكتاب** وقابلناه علىٰ نسخة المؤلف الخطية .

ـ **وضعنا هوامش المؤلف كلَّها** ، التي شرح فيها بعض الألفاظ ، أو ذكر فيها بعض الفوائد ، وأشرنا لذلك بقولنا : (**اهـ مؤلف**) .

ـ **خرجنا الأقوال والآثار** الواردة في الكتاب ، **وعزوناها** لمصادرها المتوافرة بين أيدينا .

ـ **أضفنا الحديث من « الأربعين »** عند بداية الكلام عليه بعد مقابلة الأحاديث علىٰ ثلاث نسخ خطية نفيسة ، إحداها وهي الأنفس **عليها إجازتان خطيتان** ؛ الأولىٰ بالسند إلى **الحافظ المزي** عن المؤلف ، والأخرىٰ من طريقين : من طريق **الحافظ المزي** أيضاً ، ومن طريق **الحافظ العراقي** رحمهم الله تعالىٰ[1] .

ـ **جعلنا المتن مرصعاً بالشكل** ، مخرَّجاً إلىٰ ما عزاه الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ ضمن إطار ملوّن .

ـ **وضعنا المتن** المشروح ضمن النص بين قوسين **وبلون مغاير** .

---

(١) **في خاتمة هـٰذه النسخة إجازتان** : **الأولىٰ** لكاتبها السيد **نصر الله** بن المرحوم عماد الدين أبي الفداء إسماعيل **الإربلي** ، ولولد الكاتب السيد **زين الدين أبي حفص عمر** ، قراءة على العلامة محمد بن إبراهيم بن محمد **السلامي** الشافعي ، قراءة على العلامة الحافظ إبراهيم بن محمد بن خليل **سبط ابن العجمي** ، بقراءته على العلامتين : كمال الدين **أبي حفص عمر** بن الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن العجمي ، والقدوة الخطيب **شهاب الدين أحمد** بن جمعة الأنصاري الخزرجي خطيب حلب ، قالا : أنبأنا بها الحافظ الجهبذ **المزي** ، قال : أنبأنا بها **المؤلف** .

والإجازة الأخرىٰ للكاتب ولولده أيضاً ولعدة من العلماء : من طريق الإمام المسند أبي الفهم زين الدين عبد الرحمـٰن بن خليل **الأذرعي** القابوني ، بإجازته لها من الشيخ المسند **برهان الدين إبراهيم** بن صديق المجاور ، بإجازته من الحافظ **المزي** ، بإجازته من **المؤلف** ، (ح) قال : المُسْمع : و(أنا) بها إجازة الشيخ **زين الدين العراقي** ، بإجازته من **فخر الذوات المصري** بإجازته من **المؤلف** .

ـ **أضفنا بين معقوفين [ ]** ما وجدناه مناسباً لتقويم العبارة ، معتمدين علىٰ ما بين أيدينا من المصادر .

ـ **عنونا أحاديث « الأربعين »** ، والتنبيهات والفوائد ، **وجعلناها أيضاً** بين معقوفين [ ] .

ـ **حصرنا الآيات القرآنية** بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ ، **وجعلناها برسم المصحف الشريف** من رواية حفص عن عاصم رحمهما الله تعالىٰ .

ـ **ترجمنا للإمام النووي** رحمه الله تعالىٰ ترجمة وافية ، **وللإمام الجرداني** رحمه الله تعالىٰ ترجمة موجزة لقلة المعلومات عنه .

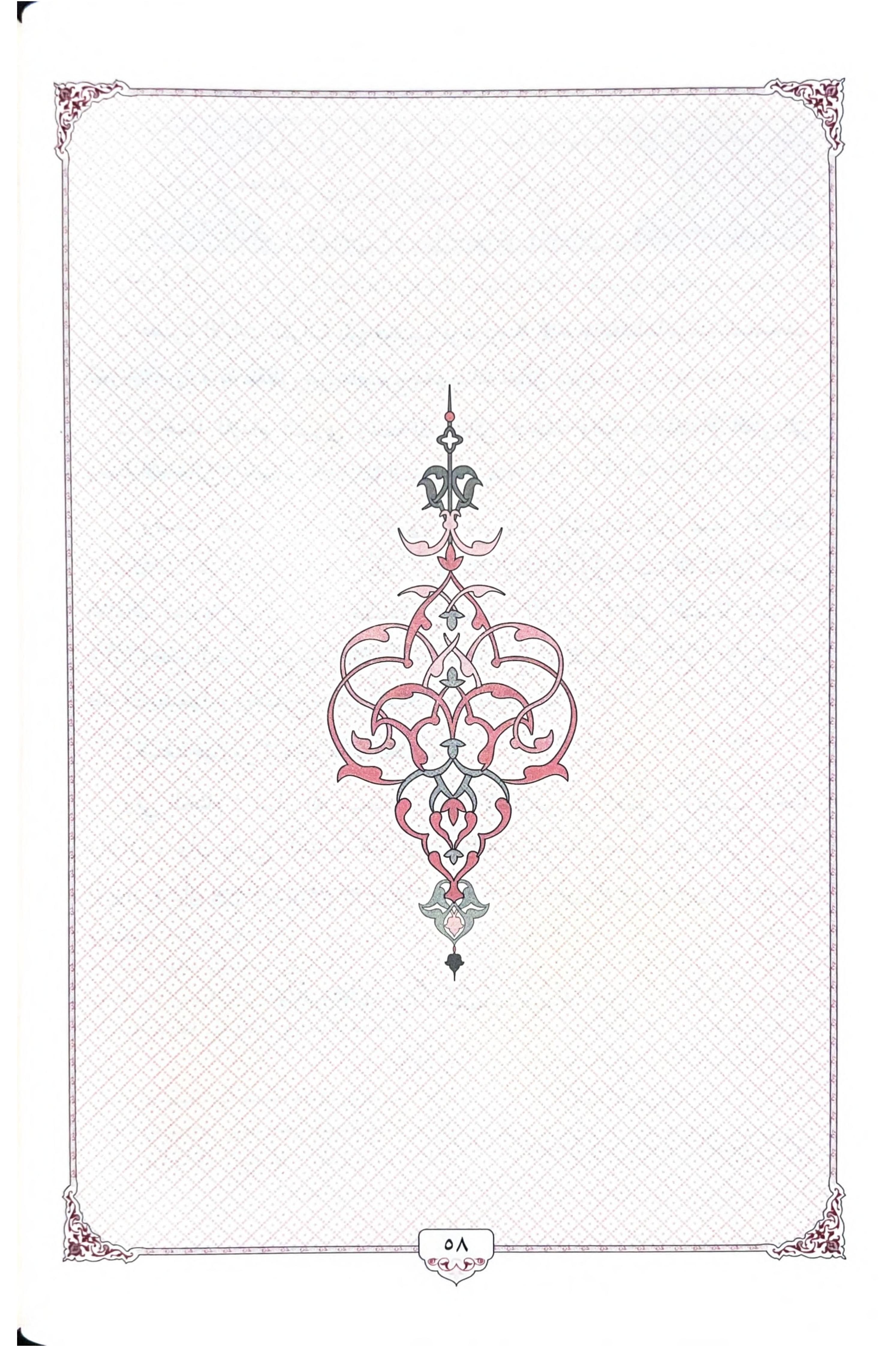
ـ **وضعنا خاتمة « الأربعين النووية »** مع باب الإشارات إلىٰ ضبط الألفاظ المشكلات آخر الكتاب ؛ **وهو بابٌ ضبط فيه الإمام النووي** رحمه الله تعالىٰ بعض الألفاظ كعادته في كتبه ، **وأخذناها من نسخة « الأربعين » التي اعتمدنا عليها** ، فرأينا وضع الخاتمة مع هـٰذا الباب آخر الكتاب مع أن كثيراً ممن طبع « الأربعين » فاته أن يطبعها ، والشارح رحمه الله تعالىٰ لم يعرج عليه .

ـ **صنعنا فهارس** لموضوعات الكتاب .

وفي الختام : نسأل الله سبحانه وتعالى الإخلاص في العمل ، وتجنب الخطأ والزلل ، **وأن يخرج الكتاب كما أراده مؤلفه وشارحه** رحمهما الله تعالىٰ رحمة الأبرار ، **وأن يجعلنا وإياهم تحت لواء سيدنا محمد** صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

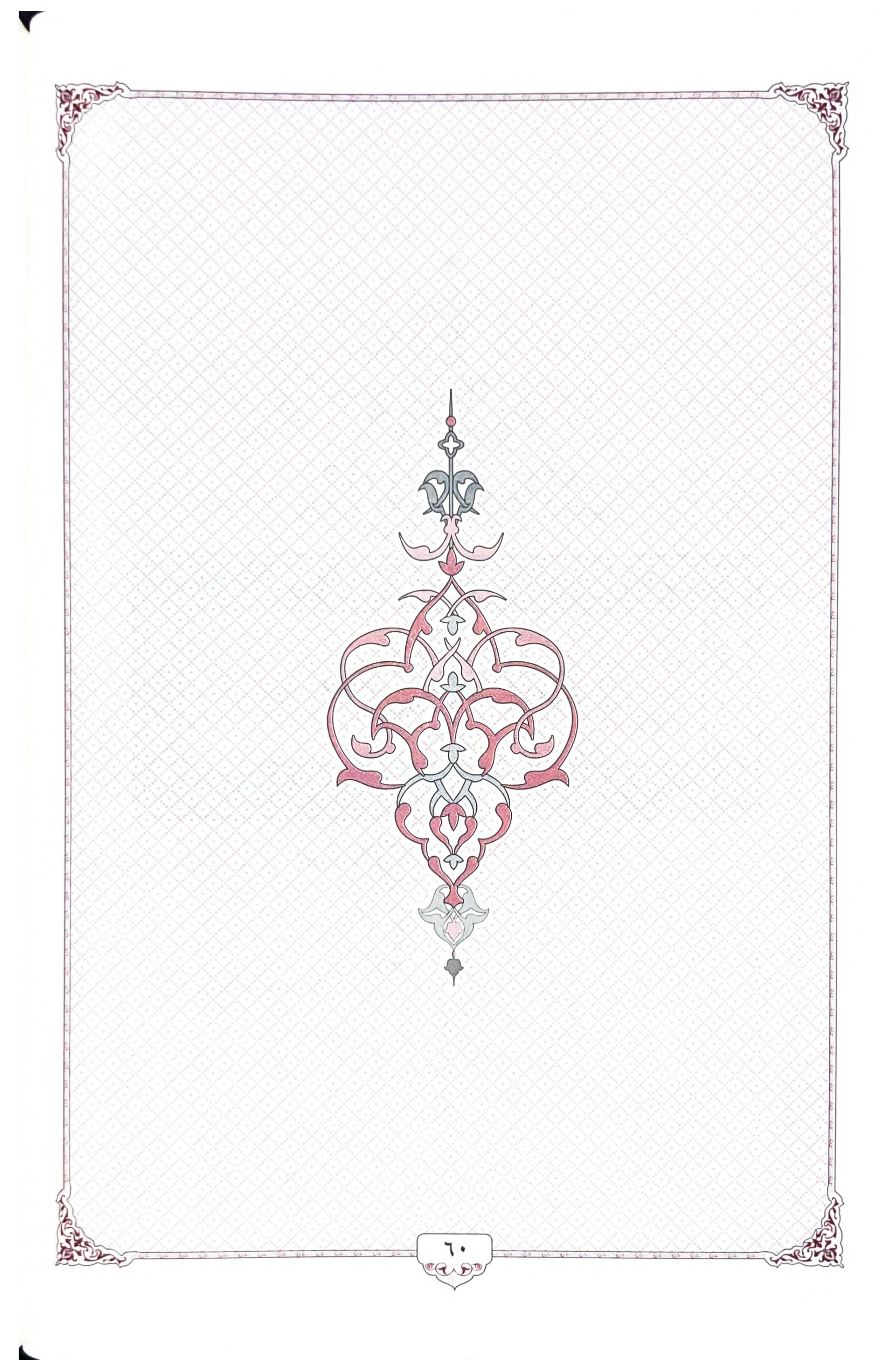
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

اللجنة العلمية
بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي



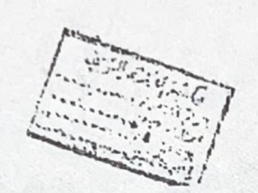


صور من المخطوطة المعتمدة



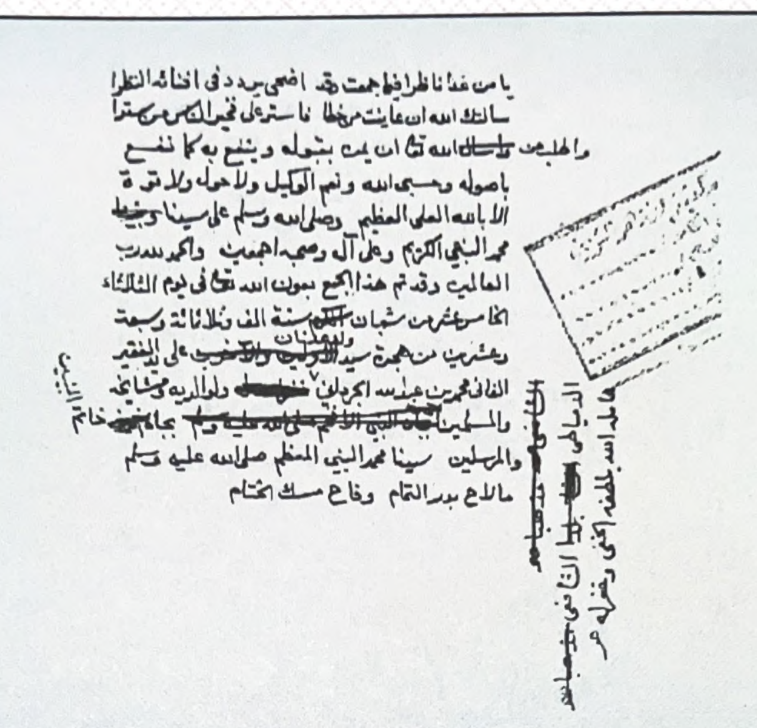
هذا كتاب لطيف ووضع حسن ظريف يسمى
الجواهر اللؤلؤية في شرح الاربعين
النووية لجامعه الفقير
الفاني محمد بن عبد الله
الجرداني الدمياطي الشافعي
غفر لهما

هذا الشرح ملخص من شرح العلامة الشيخ ابراهيم
الشبرخيتي وشرح العلامة الشيخ احمد السحيمي
وشرح العلامة الشيخ احمد الحنفي وشرح العلامة
الشيخ محمد الشبشيري وشرح العلامة الشيخ عبد
المجيد الشرنوبي وحواشي العلامة الشيخ حسين
براده جزاهم الله خيرا واثابني واياهم آمين
بجاه سيد المرسلين عليه افضل الصلاة والتسليم



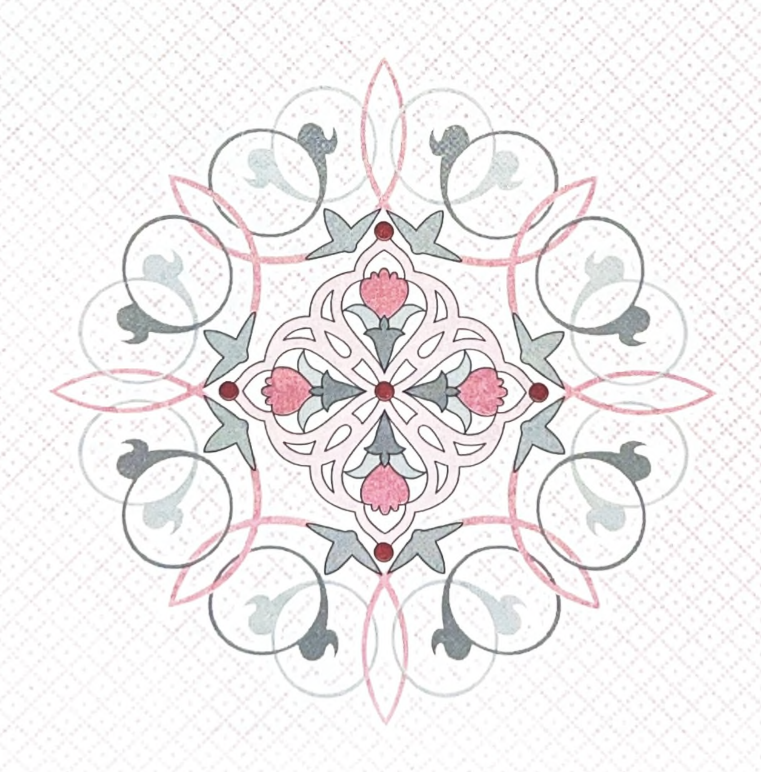
راموز ورقة العنوان

راموز الورقة الأولى



يا من غدا ناظرا فيما جمعت وقد اضحى يردد في اثنائه النظرا
سألتك الله ان عاينت من خطأ فاستر على فجميل الكل من سترا
والطلب من الله تعالى ان يمن بقبوله وينفع به كما نفع
باصوله وحسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا
محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب
العالمين وقد تم هذا الجمع بعون الله تعالى في يوم الثلاثاء
الخامس عشر من شعبان [illegible] سنة الف وثلاثمائة وسبعة
وعشرين من هجرة سيد [illegible] على يد الفقير
الفاني محمد بن عبد الله الكردي [illegible] ولوالديه ومشايخه
والمسلمين [illegible] خاتم النبيين
والمرسلين سيدنا محمد النبي المعظم صلى الله عليه وسلم
ما لاح بدر التمام وفاح مسك الختام

راموز الورقة الأخيرة



الجواهر اللؤلؤية

في شرح الأربعين النووية

تأليف

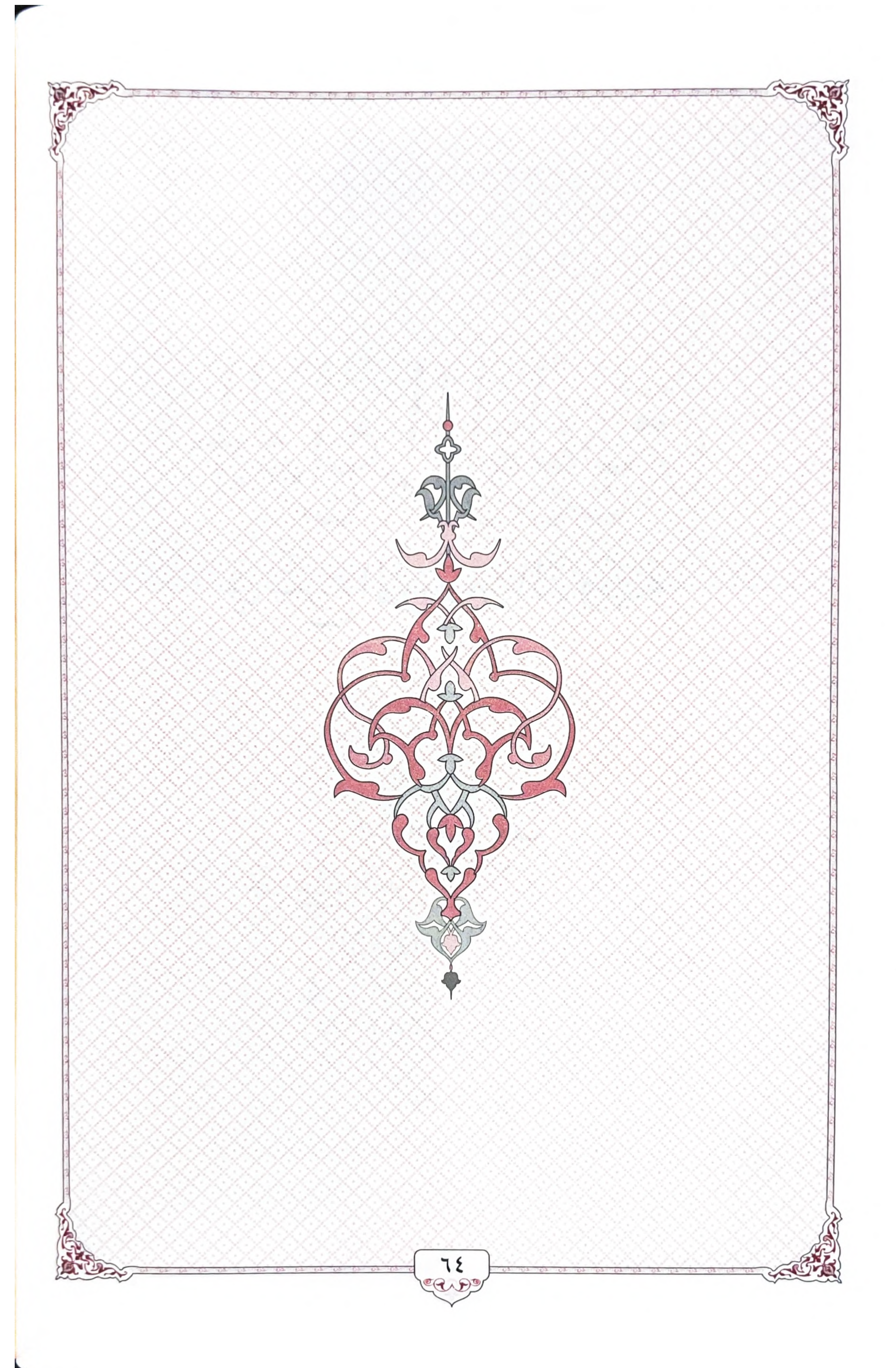
الشيخ العلامة الفقيه

محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف الجرداني

الدمياطي الشافعي

رحمه الله تعالى

(المتوفى سنة ١٣٣١هـ)





بسم الله الرحمن الرحيم

[خطبة الكتاب]

الحمد لله الذي شرَّف قَدْر مَنِ اشتغل بحديث سيِّد المخلوقات ، صلى الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه ما دامت الأرض والسماوات .

وبعد :

فيقول راجي عفو ربِّه الغني ، **محمد بن عبد الله الجرداني** : طلب منِّي بعض إخواني المحبِّين أن أجمع له شرحاً وجيزاً علىٰ « متن الأربعين »[1] ، فأجبته لما طلب ؛ **راجياً من الله تعالى الإعانة وبلوغ الأرب**[2] ، وبادرت بالشُّروع فيه ؛ مؤمِّلاً الدخول في حديث : « واللهُ في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »[3] .

وسمَّيته :

« الجواهر اللؤلؤيّة في شرح الأربعين النّوويّة »

جعله الله خالصاً لوجه الكريم ، ونفع به النفعَ العميم ، آمين .

❋ ❋ ❋

---

(١) قوله : (**وجيزاً**) أي : قصيراً سريع الوصول إلى الفَهْم . **اهـ مؤلف** .

(٢) قوله : (**الأرب**) بفتحتين ؛ أي : الحاجة . **اهـ مؤلف** .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

[ترجمة الشارح للإمام النووي]

ثم إنَّ مصنِّف هٰذه « الأربعين » : كان قطب زمانه ، وفريد عصره وأوانه ؛ **واسمه** : يحيى بن شرف الدين ، **ولُقِّب بمحيي الدين** . . لكونه حرَّر مذهب الشافعيِّ رضي الله تعالىٰ عنه .

وقيل له : النَّوَوِيّ ؛ لأنَّه وُلد بنوىٰ قرية من قرىٰ دمشق ، ودُفن فيها ، **وكان مولده** في المحرم ، **سنة ست مئة وثلاثين** ، وقيل : وإحدىٰ وثلاثين .

وكان شديدَ الورع والزهد ، صابراً علىٰ خشونة العيش ، تاركاً لجميع ملاذِّ الدنيا .

وكان لا يأكل في اليوم والليلة إلاَّ أكلةً واحدة بعد العشاء ، ولا يشرب إلاَّ شربة واحدة عند السَّحَر ، **ولم يجمع بين أُدْمين** .

وله رضي الله عنه كرامات كثيرة :

منها : أن سبابة يده اليسرىٰ أضاءت له حين فقد وقت التصنيف ما يُسرجه .

ومنها : أنه كان من أصحاب الخطوة ، فكان يذهب إلىٰ مكة ليلاً ويطوف ويرجع ، واشتهر أن الخضر عليه السلام كان يجتمع به .

ولمّا مرض مرض الموت . . **اشتهى التفاح** ، فجيء له به فلم يأكله ، فلمَّا مات . . رآه بعض أهله فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أكرم نُزُلي ، وتقبَّل عملي ، وأوَّل قَرائي جاءني التفاح(١) .

وكانت وفاته في رجب ، سنة ست وسبعين وست مئة ، وعمره نحو ست وأربعين سنة .

رحمه الله تعالىٰ عليه

---

(١) **قَرائي** : أي : ضيافتي ، من قَرَى الضيف قِرىً وقَرَاءً ـ بالفتح والمد ـ : إذا أضافه وأحسن إليه .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[خطبة الأربعين النووية]

ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ، قَيُّومِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرَضِينَ ، مُدَبِّرِ ٱلْخَلائِقِ أَجْمَعِينَ ، بَاعِثِ ٱلرُّسُلِ صَلَوَاتُهُ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ إِلَى ٱلْمُكَلَّفِينَ ، لِهِدَايَتِهِمْ وَبَيَانِ شَرَائِعِ ٱلدِّينِ ، بِٱلدَّلائِلِ ٱلْقَطْعِيَّةِ وَوَاضِحَاتِ ٱلْبَرَاهِينِ ، أَحْمَدُهُ عَلَىٰ جَمِيعِ نِعَمِهِ ، وَأَسْأَلُهُ ٱلْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ، ٱلْكَرِيمُ ٱلْغَفَّارُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ ، أَفْضَلُ ٱلْمَخْلُوقِينَ ، ٱلْمُكَرَّمُ بِٱلْقُرْآنِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُعْجِزَةِ ٱلْمُسْتَمِرَّةِ عَلَىٰ تَعَاقُبِ ٱلسِّنِينَ ، وَبِٱلسُّنَنِ ٱلْمُسْتَنِيرَةِ لِلْمُسْتَرْشِدِينَ ، ٱلْمَخْصُوصُ بِجَوَامِعِ ٱلْكَلِمِ وَسَمَاحَةِ ٱلدِّينِ ، صَلَوَاتُ ٱللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ سَائِرِ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلْمُرْسَلِينَ ، وَآلِ كُلٍّ وَسَائِرِ ٱلصَّالِحِينَ .

[البسملة وخواصها]

وافتتح كتابه بقوله : (**بسم الله الرحمـٰن الرحيم**) اقتداءً بالقرآن العزيز ، وعملاً بحديث : « كلُّ أمرٍ ذي بال » أي : صاحب حالٍ يُهتم به شرعاً « لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمـٰن الرحيم » أي : لا تذكر البسملة في أوله . . « فهو أجذم »[1] أي : ناقصٌ وقليل البركة ، فهو وإن تمَّ حِسّاً . . لا يتمُّ معنىً .

وورد : « إذا كتبتم كتاباً . . فاكتبوا في أوله : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، وإذا كتبتموها . . فاقرؤوها »[2] .

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١٢٣٢) ، والسمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص ٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ؛ **وفيه** : (أقطع) بدل : (فهو أجذم) . وانظر « نتائج الأفكار » للحافظ ابن حجر (٣/ ٢٧٩ـ ٢٨٢) .

(٢) انظر « رسالة الصبان الكبرىٰ على البسملة » (ص ٣٧) .

ومن خواصها : أن من تلاها عند النوم إحدىٰ وعشرين مرة . . أمن تلك الليلة من الشيطان ، ومن موت الفجأة ، وأمن بيته من السرقة[١] .

ومن كتبها ست مئة مرة وحملها . . رزق الحفظ والقبول عند جميع الخلق[٢] .

وقيل : (إن مَنْ كتبها في أول يومٍ من المحرم مئةً وثلاث عشرة مرة وحملها . . لم ينله مكروهٌ هو وأهل بيته مدة عمره)[٣] .

ومن استيقظ من منامه وقال : بسم الله الرحمـٰن الرحيم . . رزقه الله رضوانه الأكبر .

وفي الحديث : « إذا قال العبد : بسم الله الرحمـٰن الرحيم . . قالت الجنة : لبيك وسعديك ، اللهم ؛ إن عبدك فلاناً قال : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، اللهم ؛ زحزحه ـ أي : باعده ـ عن النار ، وأدخله جنتك »[٤] .

(الحمد) أي : الثناء بكل كمالٍ ثابتٌ ومستحَقٌّ (لله) فلا فرد منه لغيره سبحانه وتعالىٰ ؛ لأنّ الكمال : إما قديمٌ فهو وصفه ، وإما حادثٌ فهو فعله .

وأتى المصنف بالحمدلة بعد البسملة ؛ اقتداءً بالقرآن الكريم ، وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله يحبُّ الحمد يحمد به ؛ ليثيب حامده »[٥] .

وورد : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « حَمْدُ الله أمانٌ للنعمة من زوالها »[٦] .

---

(١) انظر « مجربات الديربي الكبير » (ص ٥) ، وذكر العلامة الصبان في « الرسالة الكبرىٰ على البسملة » (ص ٣٩) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه قال : (من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر . . فليقرأ البسملة ، فيجعل الله له بكل حرف منه جُنَّة من كل واحدٍ منهم) ، ومعنىٰ (فليقرأ البسملة) : فليواظب علىٰ قراءتها ؛ كما صرَّح المناوي في « شرح ألفية السيرة » .

(٢) انظر « مجربات الديربي الكبير » (ص ٤) ، لـٰكنه ذكر أنها تكتب ست مئة وخمسة وعشرين مرة .

(٣) انظر « مجربات الديربي الكبير » (ص ٤) ، و« خزينة الأسرار » (ص ٩٣) .

(٤) ذكره الصبان في « الرسالة الكبرىٰ على البسملة » (ص ٣٩) .

(٥) أخرجه الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٥٦٥) ، وبنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » (١/ ٢٨٣) عن سيدنا الأسود بن سريع رضي الله عنه .

(٦) أخرجه الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٢٧٨٣) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقال بعض العارفين : (**الحمد لله** : ثمانية أحرف ، وأبواب الجنة ثمانية ؛ فمن قال : الحمد لله . . استحق أن تفتح له الأبواب الثمانية يدخل من أيها شاء ، فيخيَّر بينها إكراماً له)[١] .

[الاختلاف في التفضيل بين الحمدلة والتهليل]

واختلف العلماء : هل الأفضل قول : الحمد لله ، أو قول : لا إلـٰه إلا الله ؟

فذهب جمعٌ إلى الأول ، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من قال : لا إلـٰه إلا الله . . كُتب له عشرون حسنة ، وحُطَّ عنه عشرون سيئة ، ومن قال : الحمد لله رب العالمين . . كُتب له ثلاثون حسنة ، وحُطَّ عنه ثلاثون سيئة »[٢] .

وذهب جمع إلى الثاني ، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الجنة : لا إلـٰه إلا الله »[٣] ، واختار هـٰذا ابن عطية ، واستدل له بقوله صلى الله عليه وسلم : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له »[٤] .

(**ربِّ العالمين**) أي : مالك جميع المخلوقين ؛ من الإنس والجن والملائكة والدَّوابِّ وغيرهم ، ولا يجوز إطلاق لفظ (رب) علىٰ غيره تعالىٰ إلاّ مقيَّداً ؛ كربِّ الدار[٥] .

---

(١) نقله الشبرخيتي في « الفتوحات الوهبية » (ص ٩) عن ابن ناجي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (١٠٦٠٨) عن سيدنا أبي هريرة وسيدنا أبي سعيد رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه أحمد في « المسند » (٥/٢٤٢) ، والبزار في « مسنده » (٢٦٦٠) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٤) المحرر الوجيز (١/٦٦) ، والحديث أخرجه الترمذي (٣٥٨٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٥) قال العلامة سعد الدين التفتازاني في « شرحه على الأربعين » (ص ٧) : (هـٰذا هو المشهور ، وفيه بحث ؛ إذ ورد في « صحيح مسلم » [١٥/٢٢٤٩] : « ولا يقل أحدكم : ربي ، وليقل : سيدي ، مولاي » فلعل الجواز في المقيد بغير أولي العلم ، وأما قول يوسف عليه السلام : ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ ﴾ . . فملحقٌ بالسجود في الاختصاص بزمانه) .

قال بعضهم : (وفي هـٰذا اللفظ خصوصية لا توجد في غيره من أسماء الله تعالىٰ ؛ وهي أنك إذا قرأته طرداً ـ أي مستقيماً ـ . . كان من أسمائه تعالىٰ ، وإذا قلبته . . كان من أسمائه أيضاً ؛ وهو بَرّ ـ بفتح الباء ـ **بمعنىٰ** : محسن)[1] .

وقيل : إنه اسم الله الأعظم ؛ لما ورد في الحديث : « إذا قال العبد : يا رب ، يا رب . . قال الله تعالىٰ : لبيك عبدي ، سَلْ تُعْطَ »[2] .

وقال بعضهم : من أكثر ذكر هـٰذا الاسم . . أجاب الله دعوته ، وقضىٰ حاجته .

(**قيوم السماوات والأرضين**) أي : القائم بتدبيرهما وحفظهما وحفظ ما فيهما .

فائدة

[في فضل يا حيّ يا قيوم]

من قال : يا حيُّ يا قيوم . . أذهب الله عنه كل همٍّ وحزن وغمٍّ ، ورزقه من حيث لا يحتسب[3] .

وقال بعضهم : من قال ذلك كل يوم أربعين مرّةً عند طلوع الشمس . . أحيا الله قلبه ، ونوَّر فكره ، ويسَّر عسره ، وأنطقه بالحكمة ، وشرح بالمعرفة صدره .

[أربعٌ دواءٌ لأربع]

وقال جعفر بن محمد : (عجبت لمن بُلي بأربع كيف يَغفل عن أربع :

من بُلي بالغمّ . . كيف لا يقول : ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ،

---

(١) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١١) .

(٢) أخرجه البزار في « مسنده » (٩٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٢٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمرٌ . . قال : « **يا حي يا قيوم ؛ برحمتك أستغيث** » .

والله تعالىٰ يقول : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ومن خاف شيئاً . . كيف لا يقول : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ ، والله تعالىٰ يقول : ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ .

ومن مُكر به . . كيف لا يقول : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ ، والله تعالىٰ يقول : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ .

ومن رغب في شيء . . كيف لا يقول : ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ ، والله تعالىٰ يقول : ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾)[1] .

(**مدبِّر الخلائق أجمعين**) أي : مصرّف أمورهم علىٰ وَفق مشيئته ؛ من إيجاد وإعدام ، وإعطاء ومنع ، وإعزاز وإذلال ، وصحة ومرض ، وغير ذلك ، علىٰ حسب ما تقتضيه حكمته البالغة ، فينبغي للعاقل ألا يهتمّ بأحوال الدنيا ، بل يُسلِّم أمره لمولاه ؛ كما قال الشيخ أبو الحسن البكري نفعنا الله به : [من الكامل]

سلِّمْ أَمورَكَ للَّطيفِ العالِمِ ... وأَرِحْ فؤادَكَ من جميعِ العالَمِ[2]
واعلمْ بأنَّ الأمرَ ليسَ كما تشا ... بَلْ ما يشاءُ اللهُ أحكمُ حاكمِ
فاطربْ وطِبْ وانسَ الهمومَ جميعَها ... إنَّ الهمومَ تُزيلُ لُبَّ الحازمِ[3]
لا ينفعُ التدبيرُ عبداً عاجزاً ... فاتركْهُ تبقَ في نعيمٍ دائمِ

وقيل[4] : [من الكامل]

سيكونُ ما هوَ كائنٌ في وقتِهِ ... وأخو الجهالةِ متعبٌ محزونُ
ولعلَّ ما تخشاهُ ليسَ بكائنٍ ... ولعلَّ ما ترجوهُ ليسَ يكونُ

---

(١) أورده الطرطوشي في « سراج الملوك » (٢/ ٧٦١) .
(٢) قوله : (**فؤادك**) أي : قلبك . **اهـ مؤلف** .
(٣) **قوله** : (**لُبَّ**) أي : عقل ، **والحازم** : المتقن الذي يضبط الأمور . **اهـ مؤلف** .
(٤) البيت الأول منهما في ديوان سيدنا علي رضي الله عنه الموسوم بـ« أنوار العقول لوصي الرسول » (ص ٢٥٠) ، والثاني في « ديوان أبي العتاهية » (ص ٢٥٨) ، وكلاهما في « فيض القدير » (٦/ ٤١٩) .

وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي : (من أراد عزَّ الدَّارين . . فليُرح من الدنيا جسده وقلبه)[1] .

(**باعث الرسل**) أي : مرسلهم بالأوامر والنواهي ، وهم ثلاثُ مئةٍ وثلاثة عشر أو وأربعة عشر أو وخمسة عشر ، **يجب علينا** : أن نعرف خمسةً وعشرين منهم بأسمائهم ، وقد نظمهم الشيخ محمد الدمنهوري علىٰ حسب ترتيبهم في الإرسال فقال : [من الطويل]

ألا إنَّ إيمـانـاً بـرسـلٍ تحتَّمـا	وهمْ آدمٌ إدريسُ نـوحٌ علـى الـولا
وهودٌ وصالحْ لوطُ مَعْ إبرهَمْ[2] أتىٰ	كذا نجلُهُ ٱسماعيلُ إسحاقُ فُضِّلا
ويعقوبُ يوسفْ ثمَّ يتلو شعيبُهم	وهارونُ معْ موسىٰ وداوودُ ذو العلا
سليمانُ أيوبٌ وذو الكِفل يونسٌ	وإلياسُ أيضاً واليسعْ ذاكَ فاعقلا
كـذا زكـريـا ثـمَّ يحيـىٰ غُـلامُـهُ	وعيسـىٰ وطـه خـاتمـاً قـد تكمَّـلا

(**صلواته**) المتكررة ، وفي بعض النسخ : (صلاته) بالإفراد ؛ أي : رحمته المقرونة بالتعظيم .

(**وسلامه**) أي : تحيته .

(**عليهم**) أي : الرسل ، **وجمع المصنِّفُ بين الصلاة والسلام** ؛ خروجاً من كراهة إفراد أحدهما عن الآخر لفظاً أو خطاً ، واستظهر المُناوي : **أنَّ أصل السُّنة** يحصل بالإتيان بأحدهما ، **وكمالها** إنما يحصل بجمعهما[3] .

وقوله : (**إلى المكلفين**) متعلِّق بـ(باعث) ، **والمكلفون** : هم البالغون العاقلون ، سُمُّوا بذلك لتحمُّلهم كلفة ـ أي : مشقَّة ـ الأوامر والنواهي .

وقوله : (**لهدايتهم**) متعلِّق أيضاً بـ(باعث) ، **والهداية** : معناها الدلالة

---

(١) انظر « الطبقات الكبرىٰ » للشعراني (٢/٦) ، و« طبقات الصوفية » للمناوي (٢/ ٤٧٧) .
(٢) في الأصل : (إبراهم) ، ولعل الصواب ما أثبت ، ليستقيم به الوزن ، والله أعلم .
(٣) فيض القدير (١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) .

والإرشاد ؛ أي : لأجل إرشادهم ودلالتهم علىٰ سلوك سبيل الهدىٰ ، وتجنُّب طريق الردىٰ ؛ أي : الهلاك .

(**وبيان شرائع الدين**) أي : ما شرعه الله من الأحكام .

وقوله : (**بالدَّلائل القطعيّة**) متعلّق بـ(بيان) ، **والقطعيّة** : ما تَقطع مجادلةَ الخصم ومعارضتَه .

وقوله : (**وواضحات البراهين**) من إضافة الصِّفة إلى الموصوف ؛ أي : البراهين الواضحة التي لا إشكال فيها .

(**أحمده**) : أي : أُثني عليه ثناءً جميلاً (**علىٰ جميع نعمه**) وهي كثيرةٌ لا تحصىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ .

وأعظم النعم الدنيوية : الإيمان ، **وأعظم النعم الأخروية** : مشاهدة ذات الله تعالىٰ في الجنان .

(**وأسأله المزيد**) أي : أطلب منه مزيد النعم ؛ أي : زيادتها ، (**من فضله**) أي : إحسانه ، (**وكرمه**) أي : إكرامه .

[حكاية طريفة بأن فضل الله الأكبر مقدم علىٰ فضل أم جعفر]

حُكي : أن رجلينِ أعميينِ جلسا علىٰ طريق أم جعفر ـ وكانت موصوفةً بالكرم ـ وكان أحدهما يقول : **اللهم ؛ أعطني من فضلك** ، والآخر يقول : **اللهم ؛ أعطني من فضل أم جعفر** .

فكانت ترسل كلَّ يوم للأول درهمين ، وللثاني رغيفين معهما دجاجة مشوية في جوفها عشرة دنانير ، فكان طالب فضلها يقول لصاحبه : أعطني الدرهمين وخذ الدجاجة لأولادك وهو لا يعلم ما في جوفها ، ففعل ذلك مدة .

فقالت أم جعفر : قولوا لطالب فضلنا : **أما أغناك عطاؤنا** ؟!

فقال : لا والله ؛ إنما كنتم تعطوني رغيفين ودجاجة ، فكنت أبيع ذلك لصاحبي بدرهمين .

فقالت : صدق ؛ ذلك يطلب من فضل الله ، **فأعطاه الله من حيث لم نقصد غناه** ، وهـٰذا طلب فضلنا ، **فحرمه الله من حيث أردنا غناه** .

ليعلم الخلق : أنَّ المقادير لا تُغالَب ، وأن ما شاء الله . . كان ، وما لم يشأ . . لم يكن .

(**وأشهد**) أي : أُقرُّ وأُذعن (**أن لا إلـٰه**) أي : لا معبودَ بحقٍّ (**إلاّ الله**) الواجب وجوده .

قال بعضهم : وحظ العبد من (لا إلـٰه إلا الله) : أن يعلم أنه لا معطي ولا مانع إلا من ثبتت له الألوهيّة ؛ ولذا قيل : إذا قال أحد : (لا إلـٰه إلا الله) . . طالبه بحقِّها ؛ وهو أنه لا ينسب شيئاً إلا إليه .

(**الواحد**) أي : المنفرد في ذاته وصفاته وأفعاله ، لا شريك له ولا نظير ، ولا مشابهة بينه وبين غيره بوجهٍ من الوجوه .

(**القهّار**) أي : الذي لا موجود إلا وهو مقهورٌ تحت قدرته ، مسخَّرٌ بقضائه ، عاجزٌ في قبضته . وقيل : هو الذي أذلَّ الجبابرة وأهلكهم .

(**الكريم**) أي : الذي إذا قدر . . عفا ، وإذا وعد . . وفىٰ ، وإذا أعطىٰ . . زاد علىٰ منتهى الرجاء ، ولا يبالي كم أعطىٰ ولا لمن أعطىٰ ، وإن رُفعت حاجةٌ إلىٰ غيره . . لا يرضىٰ ، ولا يضيع من لاذ به والتجأ[1] ، بل يغنيه عن الوسائل والشفعاء .

(**الغفَّار**) أي : الكثير المغفرة لعباده .

---

(١) قوله : (**والتجأ**) عطفه علىٰ ما قبله للتفسير ، **ومعناه** : اعتصم ؛ كما في « المصباح » . **اهـ مؤلف** .

فَائِدَة

[في فضل الاستغفار]

قال بعض السلف : (من أحبَّ أن يَكثر ماله وولده ، ويبارَك له في رزقه . . فليقل : أستغفر الله إنه كان غفاراً ، في اليوم سبعين مرة) .

(**وأشهد أنَّ**) سيدنا (**محمّداً**) عَلَمٌ علىٰ نبينا صلى الله عليه وسلم (**عبده ورسوله**) قدَّم وصف العبودية امتثالاً لما في الحديث الصحيح : « ولـٰكن قولوا : عبد الله ورسوله »[1] ؛ ولأنها أشرف أوصافه .

ومن ثَمَّ : لمَّا خُيِّر بين أن يكون مَلِكاً رسولاً ، أو عبداً رسولاً . . اختار أن يكون عبداً رسولاً ؛ لعلمه بشرف العبودية[2] .

والرسول لغة : المرسَل ، **واصطلاحاً** : ذَكَرٌ حُرٌّ من بني آدم ، أَوحى الله إليه بشرعٍ يعمل به وأُمِر بتبليغه ، وهو أخصُّ من النبي ؛ إذ هو مأمور بالعمل بما أُوحي إليه فقط ، **فكلُّ رسول نبي ولا عكس** .

(**وحبيبه وخليله**) أي : الذي أحبَّه الله تعالىٰ وجعله خليلاً ، **روي** : أنه صعِد المنبر يوماً مستبشراً فرحاً فقال : « إنَّ الله قد اتَّخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ؛ **فأنا حبيب الله ، وأنا خليل الله** »[3] .

ومحبة الله للعبد : ثناؤه عليه ورضاه عنه ؛ وهي تكون بحسب معرفته به ، ولا شك أنَّ أعرف الناس به : نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فهو أحبُّهم وأحقُّهم باسم الحبيب .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) كما رواه الإمام أحمد في « المسند » (٢/ ٢٣١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٣٦٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أورده بهـٰذا اللفظ أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٢٣١) ، وأخرجه مسلم (٥٣٢) عن سيدنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه دون زيادة : (فأنا حبيب الله ، وأنا خليل الله) ، وقوله : « حبيب الله » أخرجه الترمذي (٣٦١٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وخُلَّة الله للعبد : تمكينه من طاعته وعصمته ، **ومعنىٰ كون المصطفىٰ خليل الله** : أنه شديد الطاعة لمولاه ، وأنَّ الله اصطفاه وخصَّه بالكرامات ؛ من إجابة الدعوة ، وإظهار الخوارق علىٰ يديه ، والنُّصرة علىٰ أعدائه .

[مراتب الخَلْق في التفضيل]

(**أفضل المخلوقين**) من أهل السماوات والأرَضين ؛ أي : أرفعهم وأشرفهم في الدنيا والآخرة ، **ويليه** سيدنا إبراهيم ، ثم سيدنا موسىٰ ، ثم سيدنا عيسىٰ ، ثم سيدنا نوح ، **ثم بقية الرسل** ، **ثم الأنبياء غير الرسل** ، وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله تعالىٰ(١) .

ثم جبريل ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم عزرائيل ، **ثم بقية رؤساء الملائكة** ؛ كرضوان ومالك ، وحملة العرش ، والكَرُوبيين ؛ وهم الحافُّون به ، **سُمُّوا بذلك** : لأنهم متصدُّون للدعاء برفع ما نزل بالأمة من الكروب .

ثم صلحاء هٰذه الأمة ؛ كالصحابة والتابعين والشهداء ، ثم عوامّ الملائكة وهم غير رؤسائهم .

وأفضل الصلحاء : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، **ثم الستة الباقون من العشرة المبشرين بالجنة** ، ثم أهل غزوة بدر ، ثم أهل غزوة أحد ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم بقية الصحابة ، **ثم التابعون** ؛ **وأفضلهم** : أويس القَرَني ، ثم أتباع التابعين رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين(٢) .

---

(١) قال تعالىٰ : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ .

(٢) قال الإمام اللقاني رحمه الله تعالىٰ في « جوهرة التوحيد » ، كما في « مهمات المتون » (ص١٥) : (من الرجز)

وصحبه خير القرون فاستمعْ	فتابعيْ فتابعٌ لمن تبعْ
وخيرهم من وُلِّي الخلافةْ	وأمرهم في الفضل كالخلافةْ
يليهمُ قومٌ كرامٌ بررةْ	عدتهم ستٌّ تمام العشرةْ
فأهل بدرٍ العظيم الشانِ	فأهل أحدٍ بيعةِ الرضوانِ
والسابقون فضلهم نصاً عُرف	هٰذا وفي تعيينهم قد اختُلِفْ

(**المكرَّم**) علىٰ غيره من الرسل (**بالقرآن**) وهو الكلام المنزل عليه للإعجاز ، المتعبَّد بتلاوته ؛ أي : المثاب علىٰ قراءته ولو بدون معرفة معناه .

بخلاف غيره من الأذكار ؛ فإنه لا يُثاب عليه قارئه إلا إذا عرف معناه ولو إجمالاً ، والأحاديث وباقي العلوم لا يثاب عليها من حيث قراءةُ لفظها ، وإنما يثاب عليها من حيث تعليمُها وتعلُّمها وكتابتها .

(**العزيز**) أي : الذي لا نظير له ، الممنوع من تغييره أو تحريفه لحفظ الله له .

(**المعجزة**) أي : الذي أعجز الفصحاء من العرب عن معارضته ؛ **وذلك** : أنه صلى الله عليه وسلم دعاهم للإتيان بمثله فعجزوا ، ثمَّ بعشر سورٍ فعجزوا ، ثمَّ بمثل أقصر سورة منه فعجزوا ، ثم نادىٰ بذلك علىٰ جميع البلغاء والفصحاء منهم مع كثرتهم فعجزوا ؛ **حتىٰ إنَّهم آثروا مقارعة السيوف**[1] ، **علىٰ معارضة الألفاظ والحروف** .

[من وجوه إعجاز القرآن]

ووجه إعجازه : كونه في أعلىٰ طبقات الفصاحة والبلاغة ، مع اشتماله على الإخبار بالمغيَّبات الماضية والآتية ، وعلىٰ دقائق العلوم ، وأحوال المبدأ والمعاد ، ومكارم الأخلاق ، والإرشاد إلى المصالح الدينية والدنيوية .

وجاء : أنهم كانوا يتعجبون من حسن نظمه وبلاغة معانيه ؛ حتَّىٰ إن جماعة منهم كانوا يُرقصون رؤوسهم عند سماع قوله تعالىٰ : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾[2] .

وسجد واحدٌ منهم عند سماع قوله تعالىٰ : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[3] ،

---

(١) قوله : (**آثروا مقارعة السيوف**) أي : اختاروا ضربها . **اهـ مؤلف** .

(٢) انظر « الكشاف » (٢/٣٧٦) .

(٣) قوله : (**فاصدع بما تؤمر**) قال الفراء : (أراد : فاصدع بالأمر) أي : أظهر دينك . اهـ « مختار » . **اهـ مؤلف** .

وقال : (**سجدت لفصاحة هٰذا الكلام**)[1] .

وروي : أنَّ الأصمَعي ـ بفتح الميم ـ سمع بنتاً صغيرة تتكلَّم ، فتعجَّب من فصاحتها !!

فقالت له : (**يا هٰذا ؛ وهل ترك القرآن لأحد فصاحة** ؟! اقرأ قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ . . . ﴾ الآية . . **فقد جمع فيها بين أمرين** ، **ونهيين** ، **وخبرين** ، **وبشارتين**)[2] .

وقيل : إن بعض بطارقة الروم[3] سمع من يقرأ : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ ، فأسلم ، وجاء إلىٰ سيدنا عمر رضي الله تعالىٰ عنه ، وأخبره : (**أنَّ هٰذه الآية جمعت كلَّ ما أُنزل علىٰ سيدنا عيسىٰ من أحوال الدنيا والآخرة**)[4] .

فَائِدَة

[في أهمية علم البلاغة]

ذكر بعض العلماء : أنَّ كمال الإيمان متوقّفٌ علىٰ معرفة علم المعاني والبيان والبديع ؛ لتوقُّف إدراك إعجاز القرآن ـ الذي هو معجزة المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ـ علىٰ معرفتها ؛ فلذا كانت معرفتها فرض كفاية .

---

(١) نقله السيوطي في « الإتقان في علوم القرآن » (٢/ ٨١٣) ، والصالحي في « سبل الهدىٰ والرشاد » (٩/ ٥٧٨) .

(٢) نقله الماوردي في « النكت والعيون » (١/ ٣١) ، والصالحي في « سبل الهدىٰ والرشاد » (٩/ ٥٧٨) ، وتمام الآية : ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ، وقولها : (فقد جمع فيها بين أمرين) هما : أرضعيه وألقيه ، و(نهيين) وهما : ولا تخافي ، ولا تحزني ، (وخبرين) وهما : أوحينا ، وفإذا خفت ، (وبشارتين) وهما : إنا رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين .

(٣) قوله : (بَطارقة) بفتح الموحدة : جمع بِطريق بكسرها ؛ وهو القائد المقدم علىٰ عشرة آلاف فارس . اهـ مؤلف .

(٤) أورده ابن جزي في « التسهيل » (٣/ ٧١) ، والقرطبي في « تفسيره » (١٢/ ٢٩٥) .

(**المستمرَّةِ**) أي : الدائمة (**علىٰ تعاقب**) أي : توالي (**السنين**) فيُعارَض بها من طعن في رسالته في كل زمان إلىٰ يوم القيامة ، بخلاف باقي معجزاته ، وكذا معجزات سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ فإنَّها انقرضت بانقراضهم .

(**وبالسنن**) أي : والمكرم بالسُّنن ، جمع سُنَّة ؛ وهي **لغةً** : الطريقة ، **والمراد بها هنا** : ما أُوحي إليه به وأُلهمه .

وقال بعضهم : (هي ما سَنَّه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أي : شرعه من الأحكام فرضاً أو نفلاً)[1] .

(**المستنيرة**) أي : الواضحة (**للمسترشدين**) أي : طالبين الرُّشْدَ والاستقامة .

(**المخصوص**) دون غيره من الأنبياء والرسل (**بجوامع الكلم**) من إضافة الصفة للموصوف ؛ أي : بالكلم الجوامع ، وهي : إيجاز اللفظ مع سَعة المعنىٰ ، فيجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل ، وهـٰذا أمر محمود ؛ فقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : (**خير الكلام ما قلَّ ودلّ**)[2] .

[أنواع جوامع الكلم المخصوص بها صلى الله عليه وسلم]

وجوامع الكلم التي خُصَّ بها صلى الله عليه وسلم نوعان :

أحدهما : ما هو في القرآن ؛ كقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ ﴾ .

قال الحسن : (**لم تترك هـٰذه الآية خيراً . . إلا أمرت به** ، ولا شراً . . **إلا نهت عنه**)[3] .

---

(١) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٧) .

(٢) أورده الماوردي في « الحاوي الكبير » (١/ ٩) .

(٣) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » (١٣٨) ، وأورده الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » (١/ ٥٥) .

وثانيهما : ما هو في كلامه صلى الله عليه وسلم ؛ كقوله : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[1] .

وقوله لمن سأله الوصية : « لا تغضب »[2] .

وقوله : « اتَّقِ الله حيثما كنت ، وأتبعِ السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخُلُق حسن »[3] .

وقوله : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »[4] .

وقوله : « رحم الله امرأ تكلّم فغنم ، أو سكت فسلم »[5] .

وقوله : « الدالُّ على الخير كفاعله »[6] .

وجوَّز ابن حبيب أن يكون **المراد بجوامع الكلم** : (ما جاء : أنه صلى الله عليه وسلم كان يكلِّم كلَّ قبيلة بلسانها وإن لم يكن رآها قبلُ)[7] .

(**وسماحة الدِّين**) معطوف على (جوامع الكلم) أي : والمخصوص بسماحة الدين ؛ أي : **سهولته وخُلُوِّه من المشاق التي كانت على اليهود** ؛ كعدم إجزاء أخذ الدية في القتل ولو خطأ ، وكقطع الأعضاء الخاطئة ، وفقء العين في النظر إلى ما لا يحلّ ، وأداء ربع المال في الزكاة ، واسترقاق السارق للمسروق منه ، وتحريم مجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها ، وكون من أذنب منهم يحرم عليه أكل الطيّبات ، ويصبح ذنبه مكتوباً على بابه فيقام عليه حدُّه .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) ، وابن ماجه (٣٩٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) أخرجه البخاري (٦١١٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣) أخرجه الترمذي (١٩٨٧) عن سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه .
(٤) أخرجه البخاري (٦٤١٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
(٥) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٤٥٨٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٦) أخرجه الترمذي (٢٦٧٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٧) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٨) .

وكما أن هٰذا الدِّين خال من المشاق . . فهو خالٍ أيضاً من التفريط المفوِّت لمحاسن الآداب كما كان في النصرانية ؛ من نحو : جواز مخامرة النجاسة ـ أي : مخالطتها ـ ووطء الحائض .

وقد ورد : « أحبُّ الأديان إلى الله تعالىٰ . . الحنيفية السمحة »[1] أي : الملة المائلة عن دين اليهود والنصارى ، السهلة التي لا حرج فيها ولا تضييق ؛ وهي ملَّة الإسلام التي تمنَّى الأنبياء أن يتّبعوه فيها ؛ **كما جاء** : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لو كان موسىٰ وعيسىٰ حيَّين . . لما وسعهما إلا اتِّباعي »[2] .

(**صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ سائر**) أي : باقي ، أو جميع (**النَّبيِّين**) وهم مئة ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفاً ، والرسل منهم ، وتقدَّم أنهم ثلاث مئة وثلاثة عشر ، أو وأربعة عشر ، أو وخمسة عشر .

وأعاد المصنف الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم خصوصاً ، ثم على الأنبياء عموماً ؛ لمزيد التعظيم لهم ـ إذ هم الواسطة بين الله وبين العباد ، وجميع النعم الواصلة إليهم التي أعظمها الإنقاذ من الضلالة ، والإرشاد إلىٰ ما يُوصِل إلى السعادة الأبدية . . إنما هي بسببهم ـ **واغتناماً للثواب الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم** : « من صلَّىٰ عليَّ في كتاب . . لم تزل الملائكة تستغفر له ـ وفي رواية : تصلِّي عليه ـ ما دام اسمي في ذلك الكتاب »[3] .

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (١/ ٢٣٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والبخاري تعليقاً في كتاب الإيمان ، باب : (الدين يسر) ، وأخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٢٣٨) عن محمد بن واسع رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أخرجه بنحوه أحمد في « مسنده » (٣/ ٣٣٨) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٢١٣٥) ، وغيرهما ، عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وليس فيه ذكر سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام ، وأورده بلفظ المصنف أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٨٤) .

(٣) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (١٨٥٦) ، والخطيب في « شرف أصحاب الحديث » (ص ٣٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٨١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وأما رواية : « تصلي عليه » . . فأخرجها أبو طاهر السِّلَفي في « الوجيز في ذكر المجاز والمجيز » (٩) .

وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « صلُّوا على النبيين إذا ذكرتموني ؛ فإنهم بُعثوا كما بُعثت »[1] .

فَائِدَة

[في فضل الصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم]

من قال ثلاث مراتٍ حين يمسي وحين يصبح : (**اللهم** ؛ صلِّ علىٰ سيدنا محمد في الأولين ، وصل علىٰ سيدنا محمد في الآخرين ، وصلِّ علىٰ سيدنا محمد في النبيين ، وصلِّ علىٰ سيدنا محمد في المرسلين ، وصل علىٰ سيدنا محمد في الملأ الأعلىٰ إلىٰ يوم الدِّين . . هُدمت ذنوبُه ، ومُحيت خطاياه ، ودام سرورُه ، واستجيب دعاؤُه ، وأُعطي أملَه ، وأُعين علىٰ عدوِّه) .

(**وآل كل**) أي : وعلىٰ آل كلِّ واحدٍ ممَّن ذُكر ، **والمراد بالآل** : الأقارب أو الأتباع ، وهو أولىٰ ؛ لأنه اللائق بمقام الدعاء .

(**وسائر الصَّالحين**) وهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده .

واعلم : أنَّ الصلاة على الأنبياء والملائكة مطلوبةٌ استقلالاً ، بخلاف غيرهم ؛ فتُطلب لهم تبعاً كما هنا ، وتكره استقلالاً ، وقيل : تَحرُم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « **اللهم** ؛ صلِّ علىٰ آل أبي أوفىٰ »[2] . . **فهو من خصائصه** ؛ لأنَّ الصلاة حقُّه ، فله أن يَخصَّ بها من شاء ، ومثله في ذلك باقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .



---

(١) أخرجه البزار في « مسنده » (٩٤١٢) ، والبيهقي في « الشعب » (١٣٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « صلوا علىٰ أنبياء الله ورسله ؛ فإن الله بعثهم كما بعثني » .

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٨) ، ومسلم (١٠٧٨) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه .

[روايات حديث :
« من حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثاً »]

أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَأَبِي ٱلدَّرْدَاءِ ، وَٱبْنِ عُمَرَ ، وَٱبْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَاتٍ بِرِوَايَاتٍ مُتَنَوِّعَاتٍ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ حَفِظَ عَلَىٰ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثاً مِنْ أَمْرِ دِينِهَا . . بَعَثَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ ٱلْفُقَهَاءِ وَٱلْعُلَمَاءِ » ، وَفِي رِوَايَةٍ : « بَعَثَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فَقِيهاً عَالِماً » ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ٱلدَّرْدَاءِ : « وَكُنْتُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ شَافِعاً وَشَهِيداً » ، وَفِي رِوَايَةِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ : « قِيلَ لَهُ : ٱدْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ شِئْتَ » ، وَفِي رِوَايَةِ ٱبْنِ عُمَرَ : « كُتِبَ فِي زُمْرَةِ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَحُشِرَ فِي زُمْرَةِ ٱلشُّهَدَاءِ » ، وَٱتَّفَقَ ٱلْحُفَّاظُ عَلَىٰ أَنَّهُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ وَإِنْ كَثُرَتْ طُرُقُهُ .

(**أمّا بعد**) هٰذه كلمة تذكر للانتقال من نوع من الكلام إلىٰ نوع آخر منه ، **ويستحبُّ الإتيان بها** في أوّل الكتب والخطب ؛ اقتداءً به صلى الله عليه وسلم[1] .

وأصلها : مهما يكن من شيء بعد ، فحذفت (مهما) و(يكن) ، وأقيمت (أمّا) مُقامهما ؛ أي : بعدما تقدَّم من البسملة والحمدلة وما معهما . . (**فقد**

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٢/٤٠٦) : (وقد تتبّع طرق الأحاديث التي وقع فيها « أما بعد » الحافظ عبد القادر الرُّهاوي في خطبة « الأربعين المتباينة » له ، فأخرجه عن اثنين وثلاثين صحابياً) .

وأخرج الطبراني في « الأوائل » (٤٠) عن سيدنا أبي موسىٰ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **أول من قال** : (أما بعد) داوود النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو فصل الخطاب » .

رَوينا) أي : فأقول لك : قد روينا ؛ أي : نقلنا (عن) أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي الدَّرداء) عويمر بن زيد (و) عبد الله (ابن عمر ، و) عبد الله (ابن عبَّاس ، وأنس بن مالك ، وأبي هريرة) عبد الرحمٰن بن صخر (وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم) أي : حفظهم من سخطه .

(من طرق كثيرات) متعلِّق بـ(روينا) (بروايات متنوِّعات) أي : مختلفة الألفاظ : (أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حفظ علىٰ أمتي) أي : نقل لها وبلَّغها (أربعين حديثاً من أمر دينها) أي : ممّا يتعلَّق بأمر دينها أصولاً وفروعاً . . (بعثه الله تعالىٰ يوم القيامة في زمرة) أي : جماعة (الفقهاء) أي : الذين يعرفون المسائل الفقهية (والعلماء)[1] أي : المتَّصفين بالعلم فِقهاً كان أو غيره ؛ كالحديث والتفسير ، فهو[2] أعمّ مما قبله .

(وفي رواية : « بعثه الله فقيهاً عالماً »)[3] ، قال بعضهم : استفتيت أبا الحسن إلكيا الطبري : فيمن أوصىٰ بثلث ماله للعلماء والفقهاء ، أو وقف وقفاً عليهم . . هل يدخل فيهم كتبة الحديث ؟

فكتب : نعم ؛ كيف لا تدخل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها . . بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً » ؟ ![4] .

(وفي رواية أبي الدَّرداء : وكنت له يوم القيامة شافعاً) أي : سائلاً من الله أن يتجاوز عن ذنوبه (وشهيداً)[5] أي : شاهداً له باستحقاقه رِفعة درجته ، وعلوَّ مرتبته .

---

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » (١٥٩٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد ساقه بأسانيده عن جملة من الصحابة المتقدم ذكرهم ابن الجوزي في « العلل » (١/١١٩ـ ١٢٩) ، وزاد عن أبي أمامة ، وابن عمرو ، وابن سمرة ، وبريدة رضي الله عنهم .

(٢) أي : العلم .

(٣) أخرجه الدارقطني في « العلل » (٦/٣٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/١٢٤) .

(٤) انظر « وفَيات الأعيان » (٣/٢٨٧) .

(٥) أخرجه البيهقي في « الشعب » (١٥٩٧) .

(وفي رواية ابن مسعود : قيل له : ادخل من أيِّ أبواب الجنَّة شئتَ)[1] بفتح المثناة الفوقية ؛ أي : فتفتح له أبوابها الثمانية ، وكل بوَّاب يدعوه إلى الدخول من الباب الذي هو موكَّل به ؛ تعظيماً له وإكراماً ، ولا يدخل إلا من الباب الذي سبق في علمه تعالىٰ أنه يدخل منه بأن يُزيِّنه له ، ويزهِّده في الباقي .

(وفي رواية ابن عمر : كتب في زمرة العلماء) أي : ضمَّ إليهم ، وفائدة ذلك : أن يكون له أجرٌ من نوع أجورهم .

(وحشر في زمرة الشُّهداء)[2] فيعطىٰ مثل منازلهم ، بل قيل : إنه يأخذ ثواباً أكثر منهم ؛ فقد ورد : (أنه يوزن مِداد العلماء ـ أي : الحِبر الذي يكتبون بهِ ـ فيرجح علىٰ دم الشهداء)[3] .

وورد : (أنَّ أوَّل من يشفع المرسلون ، ثم النبيون ، ثم العلماء ، ثم الشهداء)[4] .

وجُمع بين هٰذه الروايات : بأنَّ حفَّاظ الأربعين مختلفو المراتب .

(واتفق الحفَّاظ) أي : أئمة الحديث (علىٰ أنه) أي : هٰذا الحديث المذكور في المتن (حديث ضعيف وإن كثرت طرقه) وقد أوضح ضعفها ابن الجوزي وغيره[5] .

والحديث الضعيف : هو ما فُقد فيه شرطٌ من شروط القبول ؛ وهي ستة : اتصال السند ، والعدالة ، والضبط ، ونفي الشذوذ ، ونفي العلَّة القادحة ، والعاضد عند الاحتياج إليه .

❋ ❋ ❋

---

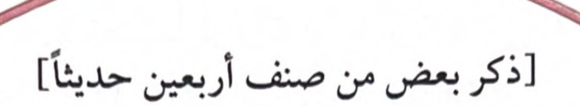
(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٨٩) .

(٢) أخرجه ابن الجوزي في « العلل » (١/ ١٢٤) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/ ١٧٨) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٥٣) عن سيدنا عبد الله بن عمرو وأبي الدرداء رضي الله عنهم .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٣) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بنحوه .

(٥) العلل المتناهية (١/ ١١٩) وما بعدها .



[ذكر بعض من صنف أربعين حديثاً]

وَقَدْ صَنَّفَ ٱلْعُلَمَاءُ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ فِي هَـٰذَا ٱلْبَابِ مَا لَا يُحْصَىٰ مِنَ ٱلْمُصَنَّفَاتِ ، **فَأَوَّلُ مَنْ عَلِمْتُهُ صَنَّفَ فِيهِ** : عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْمُبَارَكِ ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ ٱلطُّوسِيُّ ٱلْعَالِمُ ٱلرَّبَّانِيُّ ، ثُمَّ ٱلْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ ٱلنَّسَوِيُّ ، وَأَبُو بَكْرٍ ٱلْآجُرِّيُّ ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ٱلْأَصْفَهَانِيُّ ، وَٱلدَّارَقُطْنِيُّ ، وَٱلْحَاكِمُ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ ، وَأَبُو عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلسُّلَمِيُّ ، وَأَبُو سَعِيدٍ ٱلْمَالِينِيُّ ، وَأَبُو عُثْمَانَ ٱلصَّابُونِيُّ ، وَعَبْدُ ٱللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱلْأَنْصَارِيُّ ، وَأَبُو بَكْرٍ ٱلْبَيْهَقِيُّ ، وَخَلَائِقُ لَا يُحْصَوْنَ مِنَ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ وَٱلْمُتَأَخِّرِينَ .

(**وقد صنَّف العلماء رضي الله تعالىٰ عنهم في هـٰذا الباب**) أي : باب الأربعينات (**ما لا يحصىٰ من المصنفات**) أي : ما لا يُعدُّ منها ، وهـٰذا من المبالغة ؛ **فالمراد** : أنه يعسُر إحصاؤها ؛ لبلوغها في الكثرة حدّاً عظيماً .

(**فأول من علمته صنَّف فيه : عبد الله بن المبارك**) صاحب أبي حنيفة ، ولد سنة تسع عشرة ومئة ، ومات سنة إحدىٰ وثمانين ومئة .

(**ثم محمد بن أسلم**) بفتح الهمزة واللام (**الطوسي**) بضم الطاء : نسبةً إلىٰ طُوس بلد من خراسان ، (**العالم الرباني**) وهو مَن أُفيضت عليه معارف ربِّه ، وربَّى الناس بعلمه ، توفي في المحرم سنة اثنتين وأربعين ومئتين .

(**ثم الحسن بن سفيان**) مثلث السين (**النَّسَوي**) بنون فمهملة مفتوحتين ، فواو : نسبة إلىٰ نَسا مدينة بخراسان ، ويقال في النسبة إليها أيضاً : نَسائي ؛ بهمزة بعد الألف ، توفي سنة ثلاث وثلاث مئة .

(**وأبو بكر**) محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي (**الآجرِّي**) بهمزة مفتوحة

ممدودة مع ضم الجيم وتشديد الراء : نسبة إلى الآجُرّ ؛ وهو الطوب المحرّق لبيعه أو عمله ، مات بمكة في المحرم سنة ستين وثلاث مئة .

(**وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهاني**) بالفاء أو الباء ، مع فتح الهمزة أو كسرها : نسبة إلىٰ أصفهان أو أصبهان ؛ بلدة من بلاد العجم ، توفي سنة ست وستين وأربع مئة .

(**والدارقطني**) بفتح الدال والراء بينهما ألف : نسبة إلىٰ دار القطن ؛ حارة كبيرة ببغداد ؛ **واسمه** : علي بن عمر ، ولد سنة خمس أو ست وثلاث مئة ، ومات سنة خمس وثمانين وثلاث مئة .

(**والحاكم**) محمد بن عبد الله النيسابوري ، ولد سنة إحدىٰ وعشرين وثلاث مئة ، وتوفي سنة خمس وأربع مئة .

(**وأبو نعيم**) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ، ولد سنة ست أو سبع وثلاثين وثلاث مئة ، ومات سنة ثلاثين وأربع مئة .

(**وأبو عبد الرحمـٰن**) محمد بن الحسين (**السُّلَمي**) بضم السين وفتح اللام : نسبة إلىٰ سُلَيم ؛ قبيلة مشهورة من قبائل العرب ، توفي سنة اثنتي عشرة وأربع مئة .

(**وأبو سعيد**) بالياء ، وفي نسخة : (أبو سعد) بلا ياء ، **وهو الصواب** كما نقل عن ابن الأثير[1] ؛ **واسمه** : أحمد بن محمد (**الماليني**) بفتح الميم ، وكسر اللام ، ثم مثناة تحتية ساكنة ، ثم نون : نسبة إلىٰ مالين ؛ وهي قرىً مجتمعة من أعمال هَراة ، يقال لجميعها : مالين ، مات سنة اثنتي عشرة وأربع مئة .

(**وأبو عثمان**) إسماعيل (**الصَّابوني**) نسبة إلىٰ عمله ، قال بعضهم : ولعل أحد أجداده كان يعمله .

(**وعبد الله بن محمد الأنصاري**) نسبة إلى الأنصار ؛ وهم الأوس والخزرج ، ولد سنة خمس وتسعين وثلاث مئة ، وتوفي بهَراة سنة إحدىٰ وثمانين وأربع مئة ،

---

(١) الكامل (٧/ ٦٦٩) .

وما في بعض النسخ من أنه : محمد بن عبد الله . . انقلاب من الكاتب .

(**وأبو بكر**) أحمد بن الحسين بن علي (**البيهقيّ**) نسبة إلىٰ بَيهَق ـ بفتح الباء ـ قرية علىٰ عشرين فرسخاً من نيسابور ، ولد بها سنة أربع وثمانين وثلاث مئة ، ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربع مئة ، ونقل إلىٰ بيهق فدفن بها .

ولعلَّ المصنف أتىٰ بـ(ثمّ) في الأولَين ؛ لعلمه بالتأخّر الزماني فيهما ، بخلاف الباقِين .

ولمَّا خصَّص المشاهير بالذكر . . عمَّم فقال : (**وخلائق لا يُحصون**) بالبناء للمجهول ؛ أي : لا يُعَدُّون لكثرتهم .

(**من المتقدمين**) أي : بعد الصحابة والتابعين ؛ كالطائي ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام .

(**والمتأخرين**) كالمنذري ، والزين العراقي ، وولده ، وابن حجر ، والمُناوي .





[طلب صلاة الاستخارة وصفتها الشرعية]

وَقَدِ ٱسْتَخَرْتُ ٱللهَ فِي جَمْعِ أَرْبَعِينَ حَدِيثاً ؛ ٱقْتِدَاءً بِهَـٰؤُلَاءِ ٱلْأَئِمَّةِ ٱلْأَعْلَامِ ، وَحُفَّاظِ ٱلْإِسْلَامِ ، وَقَدِ ٱتَّفَقَ ٱلْعُلَمَاءُ عَلَىٰ جَوَازِ ٱلْعَمَلِ بِٱلْحَدِيثِ ٱلضَّعِيفِ فِي فَضَائِلِ ٱلْأَعْمَالِ ، وَمَعَ هَـٰذَا فَلَيْسَ ٱعْتِمَادِي عَلَىٰ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ، بَلْ عَلَىٰ قَوْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْأَحَادِيثِ ٱلصَّحِيحَةِ : « لِيُبَلِّغِ ٱلشَّاهِدُ مِنْكُمُ ٱلْغَائِبَ » ، وَقَوْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَضَّرَ ٱللهُ ٱمْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا » .

(**وقد استخرت الله**) تعالىٰ (**في جمع أربعين حديثاً ؛ اقتداء بهـٰؤلاء الأئمة الأعلام**) أي : الذين يُهتدىٰ بعلمهم كما يهتدىٰ بالأعلام إلى الطريق (**وحفاظ الإسلام**) أي : حفاظ أحكامه الشرعية بتعليمها للناس .

وقدَّم المصنف الاستخارة علىٰ جمع هـٰذه الأربعين ؛ لطلبها من كل عازم علىٰ أمر ، **فقد روي** : (**أنَّ من سعادة ابن آدم** : الرضا بالقضاء ، واستخارة الله في أموره ، ومن شقاوته تَرْك ذلك)[1] .

وورد : « لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار »[2] .

وصفتها الشرعية : أن يصلِّي الشخص ركعتين ، يقرأ في الأولى (الفاتحة) و(الكافرون) ، وفي الثانية (الفاتحة) و(الإخلاص)[3] ، ثم بعد السلام منها ،

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (١/١٦٨) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وبنحوه الترمذي (٢١٥١) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦٦٢٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) قال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في « الأذكار » (ص ٢١٨) : (**قال العلماء** : تُستحب الاستخارة بالصلاة والدعاء المذكور ، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة ، **والظاهر** : أنها تحصل بركعتين من السنن =

أو في أثنائها في سجود الركعة الأخيرة ، أو بعد التشهد يقول : (**اللهم** ؛ إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ؛ فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علاّم الغيوب .

اللهم ؛ إن كنت تعلم أن كذا خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله . . فاقدره لي ويسِّره لي ، ثم بارك لي فيه .

وإن كنت تعلم أن كذا شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله . . فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضِّني به)[1] .

ويفعل ما ينشرح إليه صدره من الفعل أو التَّرْك ؛ **فإن لم ينشرح لشيء** . . كرَّر الصلاة والدعاء ، أو الدعاء فقط حتىٰ ينشرح صدره لشيء ، فلو فُرِض عدم انشراحه مع التكرار . . أخَّر ما هو عازمٌ عليه إن أمكن ، وإلاَّ . . توكَّل على الله وشرع فيما تيسّر له ، فيكون الخير فيه إن شاء الله تعالىٰ ببركة الاستخارة[2] .

(**وقد اتفق العلماء**) أي : أكثرهم (**علىٰ جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال**) لأنَّ مقتضاه لا يترتَّب عليه تحليل ولا تحريم ، بل هو طاعة ، والطاعة لا حرج علىٰ فاعلها .

نعم ؛ إن اشتدَّ ضعفه بألاَّ يخلو طريق من طرقه من كذَّابٍ أو متَّهم بالكذب . . فلا يُعمل به .

(**ومع هـٰذا**) الذي ذكرته من جواز العمل بالحديث الضعيف في الفضائل

= الرواتب ، وبتحية المسجد وغيرها من النوافل ، ويقرأ في الأولىٰ . . . ـ ثم قال ـ ولو تعذرتْ عليه الصلاة . . استخار بالدعاء ، **ويستحب افتتاح الدعاء المذكور وختمه** بالحمد لله ، والصلاة والتسليم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(١) حديث صفة الاستخارة أخرجه البخاري (١١٦٢) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وفي آخره : (قال : ويسمي حاجته) .

(٢) قال العلامة الشبرخيتي في « الفتوحات الوهبية » (ص ٣٨) : (**واعلم** : أن الاستخارة لا تكون في واجبٍ ، ولا محرم ، ولا مكروه ، ولا في فعل مندوب وتركه ، وإنما تطلب في الجائز ، وفي تقديم بعض المندوبات علىٰ بعض) .

(**فليس اعتمادي علىٰ هٰذا الحديث**) أي : المتقدم ـ وهو « من حفظ علىٰ أمتي . . . » إلخ ـ أي : لستُ مستنداً إليه فقط (**بل**) عليه و(**علىٰ قوله صلى الله عليه وسلم**) الداخل (**في الأحاديث الصحيحة : لِيبلِّغَ**) بكسر اللامين مع تشديد الثانية ، ويجوز تخفيفها ، وفي الغين الكسر والفتح .

و(**الشَّاهدُ**) بالرفع فاعل (يبلغ) ، و(**منكم**) خطاب للصحابة ، ثم لمن بعدهم إلىٰ يوم القيامة .

و(**الغائبَ**)[1] بالنصب على المفعولية ، **والمعنىٰ** : ليبلغ الحاضرُ منكم السامعُ ما أقولُه الغائبَ الذي لم يسمع .

(**وقوله صلى الله عليه وسلم : نضر الله امرأ**) أي : إنساناً ، و(نضر) روي بتشديد الضاد المعجمة وبتخفيفها : من النضارة ؛ وهي حسن الوجه وبريقه .

والمعنىٰ : ألبسه الله النضرة ـ وهي الحسن والإضاءة ـ يعني : جمَّله الله وزيَّنه ، وخصَّه بالبهجة والسرور .

وقيل : **المعنىٰ** : أوصله الله إلىٰ نضرة الجنة ؛ أي : بهجة نعيمها .

(**سمع مقالتي**) أي : كلامي مني ، أو من أصحابي ، أو من أتباعي (**فوعاها**) أي : حفظها (**فأداها**) أي : بلَّغها إلىٰ من لم تبلغه (**كما سمعها**)[2] أي : مثل ما سمعها ، من غير زيادة ولا نقص ؛ **فمن زاد أو نقص . . فهو مغيِّر لا مؤدٍّ** .

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٥) ، ومسلم (١٦٧٩) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وابن ماجه (٢٣٠) عن سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وأخرج الرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (٤/٥٩) عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ قال : (**ما من أحد يطلب الحديث إلا في وجهه نضرة** ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « نضر الله امرأ . . . ») يعني : لأنها دعوة أُجيبت ، وخص حامل السنة بالدعاء ؛ لأنه سعىٰ في نضرتها وتجويدها ، فجازاه الله في دعائه له بما يناسب حاله ، **والجزاء من جنس العمل** .

فَائِدَة

[في فضل أهل الحديث]

رأىٰ بعض العلماء المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال له : أنت قلت : « نضر الله امرأ . . . » إلخ ؟ قال : « نعم ـ ووجهه يتهلَّل بالسرور ـ أنا قلته » ، وكرَّره ثلاثاً[1] .

ونُقِل عن سيدي محمد الشاذلي : (أن أهل الحديث اختُصُّوا من دون سائر العلماء بأنهم لا تزال وجوههم نضرة ؛ لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم بقوله : « نضر الله امرأ سمع منَّا حديثاً فحفظه حتىٰ يبلِّغه غيره »)[2] .

ومن نظم الجلال السيوطي رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به[3] : [من الكامل]

مَنْ كان من أهلِ الحديثِ فإنَّهُ ... ذو نضرةٍ في وجهه نورٌ سطعْ
إنَّ النبيَّ دعا بنضرةِ وجهِ مَنْ ... أدَّى الحديث كما تحمَّل واتَّبعْ

وفي الحديث : « من أدَّىٰ إلىٰ أمتي حديثاً واحداً يقيم به سُنَّةً ، أو يردُّ به بدعةً . . فله الجنة »[4] .

❊ ❊ ❊

---

(١) عزاه العلامة أبو الطيب آبادي في « عون المعبود » (١٠/ ٩٥) إلى القاضي أبي الطيب الطبري .

(٢) نقله العلامة الشبرخيتي رحمه الله تعالىٰ في « الفتوحات الوهبية » (ص ٤١) عن السيد محمد الشاذلي في كتابه « البيان » ، والحديث أخرجه أبو داوود (٣٦٦٠) ، والترمذي (٢٦٥٦) عن سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وابن ماجه (٢٣٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٤١) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٤٤) ، وابن عساكر في « الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين » (ص ٣٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .



[بيان سبب تأليف « الأربعين » وشرطه فيها]

ثُمَّ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ مَنْ جَمَعَ ٱلأَرْبَعِينَ فِي أُصُولِ ٱلدِّينِ ، وَبَعْضُهُمْ فِي ٱلْفُرُوعِ، وَبَعْضُهُمْ فِي ٱلْجِهَادِ، وَبَعْضُهُمْ فِي ٱلزُّهْدِ، وَبَعْضُهُمْ فِي ٱلآدَابِ، وَبَعْضُهُمْ فِي ٱلْخُطَبِ ، وَكُلُّهَا مَقَاصِدُ صَالِحَةٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْ قَاصِدِيهَا .

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمْعَ أَرْبَعِينَ أَهَمَّ مِنْ هَـٰذَا كُلِّهِ ؛ وَهِيَ أَرْبَعُونَ حَدِيثاً مُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ ، وَكُلُّ حَدِيثٍ مِنْهَا قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ ٱلدِّينِ ، قَدْ وَصَفَهُ ٱلْعُلَمَاءُ بِأَنَّ مَدَارَ ٱلإِسْلَامِ عَلَيْهِ ، أَوْ هُوَ نِصْفُ ٱلإِسْلَامِ ، أَوْ ثُلُثُهُ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ .

ثُمَّ أَلْتَزِمُ فِي هَـٰذِهِ ٱلأَرْبَعِينَ أَنْ تَكُونَ صَحِيحَةً ، وَمُعْظَمُهَا فِي « صَحِيحَي ٱلْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ » ، وَأَذْكُرُهَا مَحْذُوفَةَ ٱلأَسَانِيدِ ؛ لِيَسْهُلَ حِفْظُهَا ، وَيَعُمَّ ٱلانْتِفَاعُ بِهَا إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ ، ثُمَّ أُتْبِعُهَا بِبَابٍ فِي ضَبْطِ خَفِيِّ أَلْفَاظِهَا .

(**ثم من**) وفي نسخة : (ثم إن من) (**العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين**) **والمراد بها** : الأمور الاعتقادية المتعلِّقة بالإلـٰه عز وجل ، وبالأنبياء ، والحشر والنشر .

(**وبعضهم**) جمعها (**في الفروع**) أي : المسائل الفقهية ، (**وبعضهم**) جمعها (**في الجهاد**) أي : في فضل قتال الكفار ، (**وبعضهم**) جمعها (**في الزهد**) أي : في فضل ترك ما لا يحتاج إليه من الدنيا ، والإعراض عمَّا يشغل عن الأخرىٰ .

(**وبعضهم**) جمعها (**في الآداب**) بالمدِّ : جمع أدب ؛ وهو استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً .

(**وبعضهم**) جمعها (**في الخطب**) أي : في فضلها وكيفيتها ، **والمراد** : الخطب التي كان يخطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في نحو جمعة ، وعيد ، وعند نزول الأمور المهمة ، وقدوم الوفود عليه ، ونحو ذلك .

ومن بعض خطبه : « أيها الناس ؛ إن العبد لا يُكتب من المسلمين حتىٰ يَسلم الناس من يده ولسانه »[1] .

« ولا ينال درجة المؤمنين حتىٰ يأمن جارُه بوائقَه أو بوادره »[2] ، و« لا يُعَدُّ من المتقين حتىٰ يدع ما لا بأس به ؛ حذراً مما به بأس »[3] ، **والبوائق** : الظلم والشر ، **والبوادر** : السقطات عند الحِدّة .

(**وكلها**) أي : الأربعينات التي جمعوها (**مقاصدُ صالحة**) أي : أغراضٌ حسنة (**رضي الله عن قاصديها**) أي : مريديها .

(**وقد رأيت**) أي : اخترت (**جمع أربعين أهم من هـٰذا كلِّه**) أي : أشدَّ فائدة ممّا جمعه هـٰؤلاء (**وهي أربعون حديثاً مشتملة**) أي : محتوية (**علىٰ جميع ذلك**) أي : الذي جمعوه .

(**وكل حديث منها قاعدة عظيمة**) أي : أمر كلِّي (**من قواعد الدِّين**) أي : أموره الكليّة التي يرجع إليها غالب الأحكام ؛ يعني : أن كلاًّ منها ـ لظهور أحكامه منه للأفهام ـ كأنه قاعدة مرفوع عليها أبنية ظاهرة للأبصار .

(**قد وصفه العلماء بأنَّ مدار**) أي : مرجع (**الإسلام عليه**) أي : غالب أحكام الإسلام مستفادة منه (**أو هو نصف الإسلام**) أي : نصف أدلة أحكامه (**أو ثلثه**) أي : ثلث أدلَّته (**أو نحو ذلك**) كالربع ؛ أي : ربع أدلته ، **والمراد** : أن كل حديث منها لا يخلو من وصفه بواحد من تلك الأوصاف .

---

(١) أخرجه البخاري (١٠) ، ومسلم (٤٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .
(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٦) ، عن سيدنا أبي شريح رضي الله عنه ، ومسلم (٤٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٥١) ، وابن ماجه (٤٢١٥) عن سيدنا عطية السعدي رضي الله عنه .

(ثم ألتزم في هـٰذه الأربعين أن تكون صحيحة) ليعمل بها في الفضائل وغيرها ، والمراد بكونها صحيحة : أنها غير ضعيفة ، فتشمل الحسن (ومعظمُها) بالرفع علىٰ أنه مبتدأ وما بعده خبر ، أو علىٰ أنه معطوف على اسم (تكون) ، والتقدير : وألتزم أن يكون معظمها ؛ أي : أكثرها (في « صحيحي البخاري ومسلم ») لأنهما أجلُّ الكتب المؤلفة في الحديث .

وقد وفَّى المصنِّف بما قال ؛ إذ فيها منهما : تسع[1] وعشرون حديثاً ؛ اتَّفقا على اثني عشر ، وانفرد البخاري بأربعة ، ومسلم بثلاثة عشر ، ولا شكَّ أنَّ ذلك أكثرها .

وفيها لغيرهما ثلاثة عشر : خمسة للترمذي ، وواحد لابن ماجه ، وواحد للبيهقي ، وواحد للدارقطني ، وواحد للترمذي مع النسائي ، وواحد له أيضاً مع أبي داوود ، وواحد لابن ماجه مع البيهقي ، وواحد له أيضاً مع الدارقطني ، وواحد في كتاب « الحجة » .

(وأذكرَها) بالرفع عطفاً علىٰ (ألتزم) ، وبالنصب عطفاً علىٰ (تكون) أي : وأن أذكرها (محذوفة الأسانيد) جمع إسناد ؛ وهو حكاية الطريق الموصلة إلىٰ ألفاظ الحديث ، وعلَّل ذلك بقوله : (ليسهل حفظها) أي : بسبب قلَّة ألفاظها ، (ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالىٰ) وقد حقَّق الله له ما تمنَّاه .

(ثم أُتبِعُها) بالرفع ؛ أي : أُلحقها بعد تمامها (بباب) أي : بجملة من العلم مترجمة بلفظ باب (في ضبط خفيِّ ألفاظها) من إضافة الصفة للموصوف ؛ أي : ألفاظها الخفية باعتبار غرابة مبانيها أو معانيها علىٰ بعض المشتغلين بها ؛ لئلا يغلَط في شيء منها ، وليستغني به عن مراجعة غيره .

* * *

---

(١) كذا في الأصل ، ويؤول المعدود المذكر وهو (حديثاً) بمؤنث وهو (رواية) ، انظر « همع الهوامع » (٣/ ٢٥٤) .



[أهمية معرفة هٰذه الأحاديث]

وَيَنْبَغِي لِكُلِّ رَاغِبٍ فِي ٱلآخِرَةِ أَنْ يَعْرِفَ هَٰذِهِ ٱلأَحَادِيثَ ؛ لِمَا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمُهِمَّاتِ ، وَٱحْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلتَّنْبِيهِ عَلَىٰ جَمِيعِ ٱلطَّاعَاتِ ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ .

وَعَلَى ٱللهِ ٱعْتِمَادِي ، وَإِلَيْهِ تَفْوِيضِي وَٱسْتِنَادِي ، وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَٱلنِّعْمَةُ ، وَبِهِ ٱلتَّوْفِيقُ وَٱلْعِصْمَةُ .

(**وينبغي**) أي : يُطلب (**لكل راغب في الآخرة**) أي : في نيل درجاتها (**أن يعرف هٰذه الأحاديث**) أي : يعلم ألفاظها ، ويبحث عن معناها ، وينقلها ويعمل بما فيها .

وعلَّل ذلك بقوله : (**لما اشتملت عليه من المهمَّات**) أي : من الأمور التي يجب الاعتناء بها (**واحتوت عليه من التنبيه علىٰ جميع الطَّاعات ؛ وذلك**) أي : ما ذكر من الاشتمال والاحتواء (**ظاهر**) أي : منكشف (**لمن تدبره**) أي : تأمّله وتفكر فيه .

ووجه ظهوره : أن الشرع وُضع لبيان مصالح الخلق ، وانتظام أحوالهم في معاشهم ومعادهم .

وانتظام حال الأول : إنما يتمُّ بوضع قانون المعاملات علىٰ وَفق العدل .

وانتظام حال الثاني : إنما يوجد بالتوحيد ، ويتمُّ بالطاعات القلبية والعلمية والعملية ، وهٰذه الأحاديث بعضها ناصّ على الأول ، وبعضها على الثاني .

(**وعلى الله**) وفي نسخة زيادة : (الكريم) (**اعتمادي**) أي : معتمدي في هٰذا الجمع وغيره (**وإليه تفويضي**) أي : ردُّ أموري (**واستنادي**) أي : التجائي .

وفي الحديث القدسي : « يا بن آدم ؛ عليك التوكُّل وعليَّ الكفاية ، يا بن آدم ؛ عليك التفويض وعليَّ الحفظ » .

وفيه أيضاً : « من فوَّض أمره إليَّ من أمَّتك . . حفظته من آفات الدنيا ، وأعتقته من النار في العقبىٰ » .

(**وله الحمد**) ملْكاً واستحقاقاً واختصاصاً (**والنعمةُ**) إيجاداً وإيصالاً إلىٰ خلقه (**وبه**) أي : بسبب عونه ، وفي نسخة : (وبيده) أي : بقدرته وتصريفه (**التوفيق**) وهو خلق قدرة الطاعة في العبد (**والعصمة**) أي : الحفظ من المعصية .

❋ ❋ ❋

الحديث الأول

[الأعمالُ بالنِّيَّاتِ]

عَنْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ **عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ** رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِٱلنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مَا نَوَىٰ ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ . . فَهِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ ٱمْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا . . فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » **رَوَاهُ إِمَامَا ٱلْمُحَدِّثِينَ** : أَبُو عَبْدِ ٱللهِ **مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ** بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَهِ **ٱلْبُخَارِيُّ ٱلْجُعْفِيُّ** ، وَأَبُو ٱلْحُسَيْنِ **مُسْلِمُ بْنُ ٱلْحَجَّاجِ** بْنِ مُسْلِمٍ ٱلْقُشَيْرِيُّ ٱلنَّيْسَابُورِيُّ فِي « صَحِيحَيْهِمَا » **ٱللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ ٱلْكُتُبِ ٱلْمُصَنَّفَةِ**[1] .

[من ترجمة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

(**عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه**) هو أوَّل من سُمِّي أمير المؤمنين على العموم ، سمَّاه بذلك بعض الصحابة ، وقيل : إنه قال للناس في بعض خطبه : (أيها الناس أنتم المؤمنون وأنا أميركم) ، فسمِّي أمير المؤمنين ، وكان قبل ذلك يقال له : (يا خليفةَ خليفةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2] .

والذي كنَّاه بأبي حفص النبيُّ صلى الله عليه وسلم[3] ؛ لما رأىٰ فيه من الشدة ، **والحفص لغة** : الأسد .

---

(١) صحيح البخاري (١) ، صحيح مسلم (١٩٠٧) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٩٧) .

(٣) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٩٩٩) ، وفيه : (وإنه لأول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

ولقَّبه **بالفاروق** ؛ لأنَّ الله تعالىٰ فرَّق به بين الحق والباطل[1] ، **فهو أوَّل من جهر بالإسلام** ، وأَيَّد الله به دعوة الصادق المصدوق لمَّا قال صلى الله عليه وسلم : « **اللهم** ؛ أعزَّ الإسلام بأحبِّ الرجلين إليك ؛ بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام »[2] يعني : أبا جهل ، فأصبح عمر فأسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل فقال : **قد استبشر** ـ أي : فرح ـ **أهل السماء بإسلام عمر** »[3] .

وكان إسلامه سنة ست ـ وقيل : خمس ـ من النبوة ، **وسببه** : أنه لما بلغه إسلام أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد . . قصدهما ليعاقبهما ، فقرأت عليه شيئاً من القرآن ، فأوقع الله في قلبه الإسلام فأسلم ، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مع أصحابه في دارٍ عند الصَّفا فأظهر إسلامه ، فكبَّر المسلمون فرحاً بذلك[4] .

وبشَّره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة[5] ، وشهد له بأن الله تعالىٰ جعل الحق علىٰ لسانه وقلبه[6] ، وأن الشيطان يفرُّ منه[7] .

ثم إنه خرج إلىٰ مجامع قريش فنادىٰ بإسلامه ، فأصابهم من ذلك كآبة[8] لم يصبهم مثلها ، قال صهيب : (لما أسلم عمر . . جلسنا حول البيت وتحلّقنا وطفنا ، وانتصفنا ممن غلظ علينا)[9] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٤٠) ، والبزار في « مسنده » (٣٨٩٨) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٨١) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، **وتتمته** : (قال : وكان أحبَّهما إليه عمر) .

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٠٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (١/ ١٧٤) وذكر أن السورة التي كانا يقرأانها هي (سورة طه) ، وذكره الإمام الشبشيري في « الجواهر البهية » (ص ٤٥) .

(٥) كما في حديث العشرة المبشرين بالجنة الذي أخرجه أبو داوود (٤٦٤٩) ، والترمذي (٣٧٤٨) وابن ماجه (١٣٣) عن سيدنا سعيد بن زيد رضي الله عنه .

(٦) كما أخرجه الترمذي (٣٦٨٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٧) كما أخرجه البخاري (٣٢٩٤) ، ومسلم (٢٣٩٧) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٨) قوله : (**كآبة**) أي : غم وحزن شديد . **اهـ مؤلف** .

(٩) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ٢٤٩) .

وهو رضي الله تعالىٰ عنه أفضل الصحابة بعد أبي بكر رضي الله تعالىٰ عنه ، وأجمعوا علىٰ كثرة علمه ، ووفور فهمه ، وزهده ، وتواضعه ، ورفقه بالمسلمين ، واهتمامه بمصالحهم .

وكان يبكي ليلاً ونهاراً ، فسئل عن ذلك فقال : (قد وُلِّيت أمراً إن أَعدل . . أُحاسب ، وإن أَظلم . . أُعاقب ، وإن نمت نهاراً . . أضعت الرعية ، وإن نمت ليلاً . . أضعت نفسي)[1] .

وكان يتصفَّح الناس ـ أي : ينظر في شؤونهم وأحوالهم ـ **ويسألهم عن أمرائهم** ، وإذا بلغه عن أحد منهم أنه لا يعود المريض ، ولا يدخل على الضعيف . . عزله .

ودخل عليه عامل له فوجده رضي الله تعالىٰ عنه مستلقياً وصبيانه يلعبون علىٰ بطنه ، فأنكر ذلك ، فقال له عمر رضي الله تعالىٰ عنه : (كيف أنت مع أهلك ؟!) .

قال : إذا دخلت عليهم . . سكت الناطق ، فقال له : (**اعتزل عنَّا** ؛ **فإنك لا ترفق بأهلك وولدك** ، **فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم** ؟)[2] .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يتعاهد العميان والزَّمنىٰ والعجائز والصبيان ليلاً ، ويحمل إليهم الماء والحطب بنفسه ، ويخرج عنهم الأذىٰ .

وكان يأتي إلى النساء اللاتي غاب عنهن أزواجهن ويقول لهن : (ألكُنَّ حاجة ؟) فيرسلن معه جواريهن ، فيشتري لهن ما يحتجن إليه ، ومن كانت لا تملك شيئاً . . يشتري لها من عنده[3] .

[ذكر شيء من كرامات سيدنا عمر رضي الله عنه]

ومناقبه رضي الله تعالىٰ عنه كثيرة :

ـ **منها** : أنه أرسل جيشاً وأمَّر عليهم سارية ، فاشتدَّ عليهم الحال ، وكثرت

---

(١) أخرج نحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٢٧٣) .

(٢) أورده الزمخشري في « ربيع الأبرار » (٥/ ٣١٣) .

(٣) أورده الطرطوشي في « سراج الملوك » (٢/ ٥٣٧) .

جموع الأعداء عليهم ، فبينما هو يخطب بالمدينة ؛ إذ نادىٰ بأعلىٰ صوته ثلاث مرات : (**يا ساريةُ ؛ الجبلَ**) ، فسمعه سارية ومن معه وهم بأرض العجم ، فانحازوا إلى الجبل ، فنصرهم الله على الأعداء[1] .

ـ وأتت زلزلة عظيمة في زمنه حتىٰ كادت الجبال أن تقع ، فضرب الأرض بسوطه وقال لها : (**اسكني** ، **إن لم أكن عدلاً** . . **فويل لعمر**) ، فسكنت ، ولم يأت بعدها مثلها[2] .

ـ وكتب إليه عمرو بن العاص وهو أمير علىٰ مصر : أن النيل لا يزيد زيادته المعتادة إلا أن تُلقىٰ فيه امرأة بِكر ، فأرسل إليه عمر كتاباً فيه : (من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ نيل مصر ، **أما بعد** : فإن كنت تجري من قِبَلك . . فلا تجري[3] ، وإن كان الواحد القهَّار يجريك . . فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك) ، وأمره أن يلقيه في النيل بدل المرأة ، فألقاه عمرو فيه ، فزاد زيادة عظيمة ، ولم يُلْقَ فيه بعد ذلك امرأة[4] .

ـ وكانت نار تأتي كلَّ عام إلى المدينة المنورة ، فشكا المسلمون له ذلك ، فقال لغلامه : (خذ هـٰذا الرداء ، فإذا جاءت النار . . فأفرده في وجهك[5] ، وقل : **يا نار ؛ هـٰذا رداء عمر بن الخطاب** ، **فهي ترجع لوقتها**) ، فلما جاءت . . فعل الغلام ما أمره به سيِّدُه ، فرجعت في الحال ولم تعد[6] .

وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مئة وتسعة وثلاثون حديثاً ، وعاش ثلاثاً وستين سنة ، ومات شهيداً بطعنةٍ طعنها له أبو لؤلؤة النصراني .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/٩٦) .

(٢) أورده الحافظ السيوطي في « كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة » (ص ٦٦) .

(٣) قوله : (**فلا تجري**) كذا في المخطوط ، بإثبات الياء ، وهي لغة نقلها أبو حيان في « البحر المحيط » (٥/٣٤٣) عن رؤساء النحويين .

(٤) أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٩٣٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/٣٣٧) .

(٥) كذا في الأصل ؛ ولعل الصواب : (في وجهها) .

(٦) ذكره الإمام الشبشيري في « الجواهر البهية » (ص ٤٧) .

ودفن في الحجرة عند النبي صلى الله عليه وسلم ، قيل : كان عليها قفل فانفتح من غير أن يفتحه أحد ، وسمعوا قائلاً منها يقول : (أدخلوا الحبيب إلى الحبيب ؛ فإنَّ الحبيب إلى الحبيب مشتاق)[1] .

ولما توفي . . أظلمت الأرض ، فجعل الصبيُّ يقول لأبيه : (أقامتِ القيامة ؟! فيقول : لا يا بني ، ولـٰكن قُتِل عمر)[2] .

وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال[3] .

(قال) نفعنا الله به : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي : سمعت صوته حال كونه (يقول : إنما الأعمال بالنيات) أي : إنما صحَّتها بنيَّاتها ، فلا يصح العمل بدون نية .

وقيل : لا حاجة إلىٰ تقدير هـٰذا المضاف وهو (صحة) لأن المراد : نفي حقيقة العمل بانتفاء ركنه أو شرطه وهو النية ، والتقدير : إنما وجود الأعمال شرعاً كائن بالنيات ، فإذا انتفت النية . . انتفى العمل ، بمعنىٰ أنه غير معتبر شرعاً .

ثم إن الحصر المستفاد من (إنما) أكثري لا كلي ؛ إذ قد يصح العمل بلا نية ؛ كالأذان والقراءة وغسل الميت وإزالة النجاسة .

(وإنما لكل امرىء) أي : إنسان (ما نوىٰ) أي : جزاء ما نواه في عمله من خير أو شر ، فهـٰذه الجملة أفادت غير ما أفادته التي قبلها ؛ لأن تلك أفادت : أن العمل لا يكون معتبراً شرعاً إلا بالنية ، وهـٰذه أفادت : أن الإنسان يعود عليه من نفع عمله وضرره بحسب نيته .

---

(١) أخرج ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/٤٣٦) هـٰذا القول في وفاة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه ، لا في وفاة سيدنا عمر رضي الله عنهما ، وكذا الآجري في « الشريعة » (١٨٦١) ، وانظر « لسان الميزان » (٤٥٥٦) .

(٢) أورده المحب الطبري في « الرياض النضرة » (٢/٤١٩) .

(٣) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٤٧٣) ، و« أسد الغابة » (٤/١٤٥) ، و« الإصابة » (٢/٥١١) .

[قصةٌ في حسن الخاتمة وسوئها]

كما حكي : أنَّ أخوين كان أحدهما عابداً والآخر عاصياً ، فجاء إبليس يوماً إلى العابد وقال له : وا أسفا عليك !! ضيَّعت عمرك في حصر نفسك[1] ، وإتعاب بدنك ؟! فأطلِقْ نفسك في شهواتها .

فقال في نفسه : لعلِّي أنزل إلىٰ أخي في أسفل الدار وأوافقه علىٰ ما هو فيه من اللذات ، ثم أتوب .

وأما العاصي . . فإنه استيقظ من سكره فوجد نفسه في حالةٍ رديئة ، قد بال علىٰ ثيابه وهو مطروح على التراب ، فقال : قد أفنيت عمري في المعاصي وأخي يتلذَّذ بطاعة ربه ؟!

ثم تاب ونوى الخير ، وطلع ليوافق أخاه على الطاعة ، ونزل أخوه علىٰ نية المعصية ، فسقط علىٰ أخيه فوقعا ميِّتين ، **فيحشر العابد علىٰ نية المعصية** ، **ويحشر العاصي علىٰ نية الطاعة**[2] .

وقيل : إنها تفيد تخصيص الألفاظ بالنية في الزمان والمكان وإن لم يكن في اللفظ ما يقتضي ذلك ؛ كمن حلف : لا يدخل دار فلان وأراد في شهر كذا أو سنة كذا ، أو حلف : لا يكلِّم فلاناً وأراد كلامه بالقاهرة مثلاً دون غيرها . . فإن له ما نوىٰ ، ولا كفارة عليه[3] .

وقيل : إنها تفيد أن الأعمال العادية تصير طاعةً يثاب عليها فاعلها إذا نوىٰ بها القربة ؛ كالأكل والشرب إذا قصد بهما التقوي على العبادة ، والنوم إذا قصد به الاستراحة لأجل الاستيقاظ لصلاة الصبح أداءً ، والوطء إذا أراد به العفة عن الزنا وحصول النسل ، والتنظُّف إذا نوىٰ به دفع الروائح المؤذية لعباد الله ، والإنفاق على

---

(١) قوله : (**حصر نفسك**) أي : حبسها والتضييق عليها . **اهـ مؤلف** .

(٢) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٥٤) .

(٣) ذكره الحافظ العراقي في « طرح التثريب » (٢/ ١٩) .

الزوجة والرقيق والدابة إذا قصد به امتثال أمر الشارع[1] .

[نية المرء خير من عمله]

وقيل : إنها تدل علىٰ أن من نوىٰ شيئاً . . يحصل له وإن لم يعمله لمانع شرعي ؛ كمريض تخلَّف عن الجماعة وكان قصده فعلها لولا المرض[2] ، **وقد ورد** : (أنّ الله تعالىٰ يقول للحفظة يوم القيامة : اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الأجر ، فيقولون : يا ربنا ؛ لم نحفظ ذلك منه ولا هو في صحيفته ؟ فيقول الله تعالىٰ : إنه نواه)[3] .

وقيل : إنه يؤتىٰ بالعبد يوم القيامة ، فيُدفع له كتاب فيأخذه بيمينه ، فيجد فيه حجّاً وجهاداً وصدقة ، وما فعلها !! فيقول : هـٰذا ليس بكتابي ؛ فإني ما فعلت شيئاً من ذلك !!

فيقول الله تعالىٰ : (هـٰذا كتابك ؛ لأنك عشت عمراً طويلاً وأنت تقول : لو كان لي مال . . حججت منه ، لو كان لي مال . . تصدَّقت منه ، فعرفت ذلك من صدق نيتك ، وأعطيتك ثواب ذلك كله)[4] .

وفي الحديث : « نية المؤمن أبلغ من عمله ، ونية الفاجر شرّ من عمله »[5] .

وفي رواية : « وإنَّ الله عز وجل ليعطي العبد علىٰ نيته ما لا يعطيه علىٰ عمله »[6] أي : لأنَّ النية لا رياء فيها ، والعمل يخالطه الرياء ، ولأنها تحتمل التعدُّد والتكثر في العمل الواحد ، فيتضاعف أجره بقدر النيات فيه ؛ كما إذا جلس شخص في

---

(١) ذكره في « الفتوحات الوهبية » (ص ٥٣ـ ٥٤) وعزاه إلى السمعاني في « أماليه » .

(٢) ذكره في « الفتوحات الوهبية » (ص ٥٤) .

(٣) أورده البدر العيني في « عمدة القاري » (١/ ٣٥) وعزاه إلىٰ أبي يعلىٰ في « مسنده » .

(٤) أورده في « المجالس السنية » (ص ٦) .

(٥) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (١٤٨) عن سيدنا النواس بن سمعان رضي الله عنه ، وبنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٢٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٤٤٥) .

(٦) أخرجه الديلمي كما في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٦٨٤٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة ، والعزلة وقراءة القرآن ، وحفظ السمع والبصر واللسان عما لا يعنيه ، وعمارة المسجد بالذكر ، **فينبغي للعاقل أن يكثر من النيات الصالحة** ؛ ليحوز ثوابها .

حكي : (أنَّ جماعة دخلوا علىٰ بعض الصوفية يعودوه في مرضه[1] ، فقال لهم : انووا بنا حجّاً ، انووا بنا كذا . . . وعدَّد لهم أنواعاً من البر ، فقالوا له : كيف وأنت علىٰ هـٰذه الحالة ؟! فقال : **إن عشنا . . وفَّينا** ، **وإن متنا . . حصل لنا أجر النية**)[2] .

[الهجرة ومعناها شرعاً وكم مرة وقعت]

(**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله**) الفاء واقعة في جواب شرط مقدَّر ، و(من) شرطية ، وجوابها قوله : (**فهجرته إلى الله ورسوله**) **والتقدير** : إذا عرفت أن الأعمال بحسب النيات ، وأن حظ العبد من عمله نيته لا صورته : فمن كانت نيته في الهجرة التقربَ إلى الله تعالىٰ والامتثال لرسوله . . فهجرتُه إلىٰ طاعة الله تعالىٰ وامتثالِ رسوله مقبولةٌ عندهما ، ويثاب عليها ، فالجزاء كناية عن قبولها والإثابة عليها ، والمذكور مستلزِم لذلك دالٌّ عليه ، فأقيم السبب مُقام المسبَّب .

وقال بعضهم : إذا اتَّحد لفظ الشرط والجواب . . يعلم منه المبالغة ؛ **إما في التعظيم** : كما في هـٰذه الجملة ، **وإما في التحقير** : كما في الجملة التي بعدها[3] ؛ وهي : (**ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها**) أي : يحصِّلها (**أو امرأة ينكِحها**) بكسر الكاف ؛ أي : يتزوجها . . (**فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه**) من الدنيا أو المرأة ؛ أي :

---

(١) قوله : (**يعودوه**) كذا في المخطوط بحذف النون حالة الرفع ، وهي لغة معروفة صحيحة ، نقلها الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (٢/ ٣٦) ، وفي القياس عليها قولان ، قال السيوطي في « همع الهوامع » (١/ ٢٠١) : (ولا يقاس علىٰ شيء من ذلك في الاختيار) أي : مما ورد عن العرب من شواهدها ، وانظر « خزانة الأدب » (٨/ ٣٣٩ـ ٣٤١) ، و« تصحيح لسان العرب » (ص ٤٢) .

(٢) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٥٤) .

(٣) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٥٦) .

هي منصرفة لهما وإن كانت صورتها صورة الهجرة إلى الله ورسوله .

والمعنىٰ : ومن كانت نيته في الهجرة تحصيلَ الدنيا أو التزوج بالمرأة . . فهجرتُهُ إلىٰ ما هاجر إليه من الدنيا أو المرأة قبيحةٌ غير مقبولة ، فلا ثواب له فيها ؛ لأنَّ قاصد الأولىٰ تاجر ، وقاصد الثانية خاطب ، وليس واحد منهما بمهاجر لله ورسوله .

ومعنى الهجرة شرعاً : مفارقة دار الكفر إلىٰ دار الإسلام ، وهي واجبة علىٰ من لا يمكنه إظهار دينه ، أو يخاف فتنة وقد أطاقها في الحالتين .

وقد وقعت في زمنه صلى الله عليه وسلم علىٰ وجهين :

الأول : انتقال بعض الصحابة من مكة إلى الحبشة ؛ **وذلك** : أنه لما اشتدَّ عليهم الأذىٰ من المشركين . . أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلىٰ أرض الحبشة **سنة خمس من النبوة** ، ثم بلغهم أن أهل مكة أسلموا ، فقدموا في تلك السنة ، فوجدوهم لم يسلموا واستقبلوهم بالأذىٰ ، **فلما كان سنة سبع من النبوة** . . ذهبوا ثانياً إلىٰ أرض الحبشة بأمره صلى الله عليه وسلم ، ثم لحقوه إلى المدينة بعد أن أعلى الله كلمته .

الثاني : انتقال من كان منهم بمكة إلى المدينة بعد البعثة بثلاثة عشر سنة .

[حقيقة الدنيا وذمها وذم فتنة النساء]

ثم اعلم : أنَّ حقيقة الدنيا جميعُ المخلوقات قبل الدار الآخرة ، **وتطلق علىٰ** ما يتمتع به من ذهب وفضة وامرأة وملبوس ونحو ذلك ، **وهـٰذا هو المراد هنا** .

ونصَّ صلى الله عليه وسلم على المرأة مع دخولها في مسمَّى الدنيا ؛ إيذاناً وإعلاماً بشدة فتنتها ، **ولأن سبب هـٰذا الحديث** : أن رجلاً أراد أن يتزوج بامرأة يقال لها : أم قيس ، فأبت أن تتزوجه حتىٰ يهاجر ، فهاجر لأجلها[1] .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٩/١٠٦) .

وقال بعضهم : يحتمل أنه هاجر لمالها مع نكاحها ، فجمعهما لذلك ، ولم يكرر ذكرهما كما كرر ذكر الله ورسوله حثّاً على الإعراض عن الدنيا والنساء ، وعدم الاحتفال بشأنهما ، وتنبيهاً علىٰ أنَّ العدول عن ذكرهما أبلغ في الزجر عن قصدهما لدناءتهما ؛ أي : خستهما ، قال الشاعر : [من البسيط]

أعـافُ دنيـا تسمَّـىٰ مـن دنـاءتِهـا ... دنيا وإلاَّ فمـن مكـرورِهـا الـدَّانـي[1]

وقال غيره[2] : [من مجزوء الرمل]

أفٍّ للـــدُّنيـــا الـــدَّنيَّـــةْ ... خبثـــت فعـــلاً ونيَّـــةْ[3]

عيشُهـــا بـــدؤُهُ هـــمٌّ ... وفـــي عقبـــاهُ المنيّـــةْ

وقال الفرزدق : [من البسيط]

لا تعجبنَّـك دنيـا أنـتَ تـاركُهـا ... كمْ نالها مِنْ أناسٍ ثمَّ قدْ ذهبوا

وقال بعضهم[4] : [من الطويل]

أرىٰ طالبَ الدُّنيا وإن طالَ عمرُهُ ... ونـالَ مـنَ الـدُّنيـا سُروراً وأَنْعُمـا

كبـانٍ بَنـىٰ بُنيـانَـهُ فـأقـامَـهُ ... فلمَّـا استوىٰ مـا قـدْ بنـاهُ تهـدَّمـا

وقال آخر[5] : [من الرمل]

إنَّ للهِ عبـــاداً فُطَنـــا ... طلَّقـوا الـدُّنيـا وخـافـوا الفِتَنـا

نظـروا فيهـا فلمَّـا عـرفـوا ... أنَّهـا ليسَـتْ لحـيٍّ وطنـا

جعلـوهـا لُجَّـةً واتَّخـذوا ... صـالـحَ الأعمـالِ فيهـا سُفُنـا[6]

---

(1) قوله : (أعاف) أي : أكره ، وقوله : (من دناءتها) أي : خستها ، وقوله : (الداني) أي : القريب . اهـ مؤلف .

(2) ذكرهما الثعالبي في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٥١) ، وفيه : (ثمَّ عقباها) .

(3) قوله : (أفّ) : كلمة تَكَرُّه . اهـ مؤلف .

(4) أوردهما الحافظ السِّلَفي في « معجم السَّفَر » (ص ٤٦٣) .

(5) الأبيات للإمام الشافعي في « ديوانه » (١٣١) .

(6) قوله : (جعلوها لُجة) أي : كاللجة ، وهي معظم الماء . اهـ مؤلف .

ومما جاء في ذم النساء : ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما تركت في الناس بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء »[1] أي : لعدم الاستغناء عنهن ، وهو يحمل على الزنا ، وعلىٰ ما يَشغل عن طلب أمور الآخرة من الانهماك علىٰ طلب الدنيا ، وذلك أشر الفساد .

وقال الإمام علي كرم الله وجهه : [من الوافر]

رأيتُ الهمَّ في الدُّنيا كثيراً ... وأكثرُهُ يكونُ مِنَ النِّساءِ
فلا تأمنْ لأنثىٰ قطُّ يوماً ... ولوْ قالَتْ نزلْتُ مِنَ السَّماءِ

وقال بعضهم[2] : [من البسيط]

إنَّ النِّساءَ شياطينٌ خُلِقْنَ لنا ... نعوذُ باللهِ من شرِّ الشياطينِ
فهنَّ أصلُ البَلِيَّاتِ الَّتي ظهرَتْ ... بينَ البريَّةِ في الدُّنيا وفي الدِّينِ

وقيل : إنَّ كيدهنَّ أعظم من كيد الشيطان ؛ لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ، وقال الله تعالىٰ : ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ .

وفي كلام سيدنا علي رضي الله تعالىٰ عنه : (**إن فيهن ثلاث خصال من خصال اليهود** : يتظلمن وهن الظالمات ، ويتمنعن وهن الراغبات ، ويحلفن وهن الكاذبات ، فاستعيذوا بالله من شرارهن ، وكونوا علىٰ حذر من خيارهن)[3] .

وقال بعضهم : (ما نُهِيَتِ امرأةٌ عن شيء قط . . إلا أتته)[4] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) ، ومسلم (٢٧٤٠) عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما .
(٢) عزا البيت الأول منهما الماوردي في « أدب الدنيا والدين » (ص ٢٥٠) ، والقرطبي في « تفسيره » (٦٨/٧) إلىٰ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعزاه السبكي في « طبقاته » (٢٩٨/١) إلى الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ ، وذكر السبكي والقرطبي أن امرأة أجابت :

إن النساءَ رياحين خُلِقْن لكم ... وكلكم يشتهي شمَّ الرياحينِ

(٣) أورده القرطبي في « التذكرة بأحوال الموتىٰ والآخرة » (٨١٨/٢) .
(٤) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١١٣/٤) .

وفي معنىٰ ذلك قال الشاعر[1] : [من البسيط]

إنَّ النِّساء متىٰ يُنَهيْنَ عن خُلُقٍ فإنَّهُ واجبٌ لا بدَّ مفعولُ

ثم إنَّ هٰذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، وقد تواتر النقل عن الأعلام بعموم نفعه ، وعظيم وقعه ، وابتدأ المصنف كتابه به تبعاً للسلف ؛ **فإنهم كانوا يحبون افتتاح مصنفاتهم به** ؛ لعموم الحاجة إليه .

قال أبو عبيد : (**ليس في الأحاديث أجمع وأغنىٰ وأكثر فائدة منه**)[2] .

وقال بعضهم : **إنه نصف العلم** ؛ لتضمُّنه حكم النيات التي محلها القلب ، وأعمال القلب تقابل أعمال الجوارح .

وقال كثيرون : **إنه ثلثه**[3] ؛ لأن كسب العبد إما بقلبه ، أو بلسانه ، أو بجوارحه ، فالنية أحدها ، بل هي أرجحها ؛ لأنهما تابعان لها صحةً وفساداً ، وثواباً وحرماناً .

(**رواه**) أي : نقله (**إماما المحدثين**) أي : المصنفين في علم الحديث ، وسُميا إمامين ؛ لأنهما بلغا الغاية في الزهد والورع والاجتهاد في تخريج الصحيح من الحديث حتى ائتم بهما من جاء بعدهما .

[من ترجمة الإمام البخاري]

أحدهما : (**أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغِيرة**) بضم فكسر (**ابن بَرْدِزْبَهْ**) بموحدة مفتوحة ، فراء ساكنة ، فدال مهملة مكسورة ، فزاي ساكنة ، فموحدة مفتوحة ، فهاء ساكنة : اسم فارسي ، **ومعناه** : الزرَّاع .

(**البُخارِي**) بضم الباء الموحدة ، وفتح الخاء المعجمة ، وبالراء المكسورة بعد

---

(١) البيت للطفيل الغنوي في « ديوانه » (ص ٨٢) .

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١/ ١١) لٰكن عن أبي عبد الله ، وذكره العلامة المناوي رحمه الله تعالىٰ في « فيض القدير » (١/ ٣٢) .

(٣) ومنهم : الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ كما رواه البيهقي في « معرفة السنن والآثار » (٥٨٩) ، وانظر « السنن الصغير » (١/ ١٢) .

الألف : **نسبة إلىٰ بُخارَىٰ** ؛ بلدة معروفة ، **ولد بها** ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ بعد صلاة الجمعة ، لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال ، **سنة أربع وتسعين ومئة** .

(**الجُعْفي**) بضم الجيم ، وسكون العين المهملة ، ففاء : نسبة إلى اليمان بن أخنس الجعفي والي بُخارىٰ ، **وإنما نسب إليه** ؛ لما له عليه من ولاء الإسلام بسبب أن جده المغيرة أسلم علىٰ يديه ، ومات بَرْدِزْبَهْ علىٰ دين قومه ، وكان مجوسياً ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة ، آمين .

ومحاسن هـٰذا الإمام لا تُحصىٰ ، ومناقبه لا تُستقصىٰ ، أُلهم حفظ الحديث وهو ابن عشر سنين أو أقل ، وقيل : إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سرداً ، وكان إذا نظر في الكتاب مرّةً واحدةً . . حفظ ما فيه .

وروي عنه : أنه قال : (أحفظ مئة ألف حديث صحيح ، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح)[1] .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يختم في رمضان كلَّ يوم ختمة ، ويقوم بعد التراويح كلَّ ثلاث ليال بختمة[2] .

وكان في سعة من الدنيا ، قد ورث من أبيه مالاً كثيراً ، **وكان يتصدَّق به** ، وربما كان يأتي عليه نهار ولا يأكل فيه إلا لوزتين أو ثلاثاً ، وقيل : إنه كان يصوم الدهر لا يفطر إلا لعذر شرعي ، **وكان زاهداً ورعاً مفرطاً في الكرم** ، وكان من العلماء العاملين ، وممن تنزل الرحمة عند ذكرهم .

ومن كلامه رضي الله تعالىٰ عنه[3] : [من الخفيف]

اغتنم في الفراغِ فضلَ ركوعٍ فعسىٰ أن يكونَ موتُك بَغْتَةْ[4]

---

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٦٤/٥٢) ، و« تهذيب الكمال » (٤٦١/٢٤) .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٧٩/٥٢) ، و« تهذيب الكمال » (٤٤٦/٢٤) ، وكان يقول : (عند كل ختمة دعوة مستجابة) .

(٣) أوردهما الحافظ ابن حجر في « مقدمة صحيح البخاري » (ص ٤٨١) ، والإمام السبكي في « طبقاته » (٢٣٥/٢) .

(٤) قوله : (**بغتة**) أي : فجأة . **اهـ مؤلف** .

كمْ صحيحٍ رأيتَ من غيرِ سقمٍ ذهبت نفسُهُ الصَّحيحةُ فَلْتَةْ[1]

ومن مناقبه رضي الله تعالىٰ عنه :

ـ أنّ كتابه المشهور : **لم يقرأ في كرب .. إلا فُرج** ، ولا رُكِب به في مركب فغرقت ، وقد دعا لقارئه[2] ، ويقال : إنه أخرجه من نحو ست مئة ألف حديث ، وإنَّ مدة تصنيفه ست عشرة سنة .

ـ **وحكي** : أن أمير بخارىٰ طلب منه أن يأتيه بكتابه المذكور ، ويحدثه به في قصره ، فامتنع من ذلك وقال : (**لا أُذِل العلم ولا أحمله إلىٰ أبواب الناس**)[3] .

فطلب منه أن يعقد مجلساً لأولاده ، ولا يحضر معهم غيرهم ، فامتنع من ذلك أيضاً وقال : (**لا يسعني أن أخص قوماً بالسماع دون قوم**) ، فحصل بينهما وَحْشة بسبب ذلك ، فأمره الأمير بالخروج من البلد ، **فدعا عليه** ، فلم يمض شهر حتىٰ ورد أمر الخليفة : بأن يُنادىٰ عليه في البلد ، فنُودِي عليه وهو علىٰ حمار ، **وحُبس إلىٰ أن مات** ، ولم يبق أحد ممن ساعده إلا ابتُلي ببلاء شديد[4] .

ـ ولما خرج من بخارىٰ .. كتب إليه أهل سمرقند يطلبونه إلىٰ بلدهم ، فسار إليهم ، **فلما كان بـ(خَرْتَنْك)** ـ بفتح الخاء المعجمة ، وسكون الراء ، وفتح المثناة الفوقية ، وسكون النون : قرية علىٰ فرسخين من سمرقند ـ .. **بلغه أنه وقع بينهم بسببه فتنة** ؛ فقومٌ يريدون دخوله ، وقومٌ يكرهونه ، فأقام بـ(خرتنك) حتىٰ ينجلي الأمر ، فضجر ليلة ، فدعا وقد فرغ من صلاة الليل فقال : (**اللهم ؛ قد ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك**)[5] .

فمات في ذلك الشهر ، ليلة عيد الفطر ، **سنة ست وخمسين ومئتين** ، وعمره

---

(١) قوله : (فلتة) أي : خرجت بسرعة . اهـ مؤلف .

(٢) ذكره الإمام ابن أبي جمرة في « بهجة النفوس » (٩/١) .

(٣) انظر « تهذيب الكمال » (٤٦٤/٢٤) .

(٤) أوردها الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٢/٢) .

(٥) انظر « تهذيب الكمال » (٤٦٦/٢٤) .

اثنان وستون سنة ، ودفن بالقرية المذكورة ، **وفاح من قبره رائحة أطيب من المسك** ، واستمرت أياماً كثيرة حتىٰ تواترت عند جميع أهل تلك الناحية[1] .

[من ترجمة الإمام مسلم]

(**و**) ثانيهما : (**أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشَيْري**) بضم القاف ، وفتح الشين المعجمة ، وسكون الياء المثناة تحت : نسبة إلىٰ قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ قبيلة كبيرة .

(**النَّيْسابوري**) بفتح النون ، وسكون المثناة التحتية : نسبة إلىٰ نَيسابور بفتح النون ؛ أعظم مدائن خُراسان .

ولد رضي الله تعالىٰ عنه سنة أربع ومئتين ، وأخذ الحديث عن أحمد ابن حنبل ، وحرملة ، وخلائق كثيرين ، وصنف « صحيحه » من ثلاث مئة ألف حديث ، **ومات سنة إحدىٰ وستين ومئتين** ، ودفن بنَيسابور ، **وقبره بها مشهور يزار ويتبرَّك به** .

قيل : إنَّ وفاته كانت بسببٍ غريب نشأ من غَمْرة ـ أي : شِدَّة ـ فكرة علمية ؛ **وذلك** : أنه عُقد له مجلس للمذاكرة ، فذُكر له حديث ، فلم يعرفه ، فانصرف إلىٰ منزله ، فأوقد السراج وقال لمن بداره : (**لا يدخل عليَّ أحد منكم**) ، فقالوا : أُهديت لنا سلة[2] تمر ، وقدَّموها له ، فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة ، فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث ، فمات نفعنا الله به[3] .

(**في « صحيحيهما »**) متعلِّق بـ(رواه) ، والضمير عائد على الإمامين : البخاري ومسلم ؛ يعني : أنهما رويا هٰذا الحديث ؛ أي : نقلاه في « صحيحيهما » .

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٢/٣٣) ، و« تاريخ دمشق » (٥٢/٩٨) ، وانظر ترجمة الإمام البخاري في « تهذيب الكمال » (٢٤/٤٣٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/٣٩١) .

(٢) قوله : (**سلة**) : وعاء يحمل فيه الفاكهة ، والجمع : سلات مثل : جنة وجنات . اهـ « مصباح » . **اهـ مؤلف** .

(٣) انظر « تاريخ بغداد » (١٣/١٠٣) ، و« تاريخ دمشق » (٥٨/٩٤) ، وانظر ترجمة الإمام مسلم في « تهذيب الكمال » (٢٧/٤٩٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/٥٥٧) .

(**اللذينِ هما أصح الكتب المصنَّفة**) أي : المؤلفة في الحديث ، بإجماع المحقِّقين من العلماء ، **وقول الإمام الشافعي** : (ما بعد كتاب الله أصح من « الموطأ »)[1] . . **لا يقدح في ذلك** ؛ لأنه كان قبل وجودهما .

وذهب الجمهور إلىٰ : أن أصحهما كتاب البخاري ؛ لأنه ـ أي : البخاري ـ كان لا يروي عن شخص حتىٰ يجتمع به ، ومسلم يكتفي بالمعاصرة .

[أقسام الحديث الصحيح]

ويدل لما ذُكِر تقسيم المحدثين الحديث الصحيح إلىٰ سبعة أقسام :

أحدها : ما اتفق عليه الشيخان .

ثانيها : ما انفرد به البخاري .

ثالثها : ما انفرد به مسلم .

رابعها : ما خُرِّج علىٰ شرطهما .

خامسها : ما خُرِّج علىٰ شرط البخاري .

سادسها : ما خُرِّج علىٰ شرط مسلم .

سابعها : ما حَكَم بصحته إمامٌ معتبر ولا معارض له[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في « التمهيد » (١/ ٧٦ـ ٧٧) ، وأورده القاضي عياض في « ترتيب المدارك » (١/ ١٠١) .

(٢) انظر « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر » (ص ٦٢) .

الحديث الثّاني

[مراتبُ الدِّينِ : الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ]

عَنْ عُمَرَ أَيْضاً رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ[1] عِنْدَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ . . إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ ٱلثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ ٱلشَّعْرِ ، لاَ يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ ٱلسَّفَرِ ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ أَخْبِرْنِي عَنِ ٱلإِسْلاَمِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ٱلإِسْلاَمُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ ، وَتُقِيمَ ٱلصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِيَ ٱلزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ ٱلْبَيْتَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » قَالَ : صَدَقْتَ ، فَعَجِبْنَا لَهُ ؛ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ !! قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ ٱلإِيمَانِ ؟ قَالَ : « أَنْ تُؤْمِنَ : بِٱللهِ ، وَمَلاَئِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِٱلْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ ٱلإِحْسَانِ ؟ قَالَ: « أَنْ تَعْبُدَ ٱللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ . . فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .

قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ ٱلسَّاعَةِ ؟ قَالَ : « مَا ٱلْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ ٱلسَّائِلِ » ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ؟ قَالَ : « أَنْ تَلِدَ ٱلأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى ٱلْحُفَاةَ ٱلْعُرَاةَ ٱلْعَالَةَ رِعَاءَ ٱلشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي ٱلْبُنْيَانِ» ثُمَّ ٱنْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيّاً ، ثُمَّ قَالَ : « يَا عُمَرُ ؛ أَتَدْرِي مَنِ ٱلسَّائِلُ ؟ » قُلْتُ : ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ[2] .

---

(١) قوله (جلوس) كذا تواردت في النسخ المطبوعة ، وهي غير مثبتة في نسخ « الأربعين النووية » المخطوطة التي وصلت إلينا ، وأيضاً هي غير موجودة في « صحيح مسلم » فليتنبه .

(٢) صحيح مسلم (٨) .

[وصف الصحابة لسيدنا جبريل عليه السلام]

(**عن**) سيدنا (**عمر**) بن الخطاب (**أيضاً**) أي : كما عنه الحديث الأول ، وقد تقدمت ترجمته[1] (**رضي الله تعالىٰ عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم . . إذ طلع علينا**) أي : ظهر لنا (**رجل**) وهو جبريل عليه السلام ، أتىٰ إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة رجل لا يعرفونه ، وكان في الغالب يأتيه في صورة دِحية ـ بكسر الدال ـ الكَلْبي الصحابي ، وكان أجملَ أهل زمانه وأحسنَهم صورة .

وجملةُ نزول جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرون ألف مرّة ، وقيل غير ذلك .

(**شديد بياض الثِّياب شديد سواد الشعر**) بفتح العين وتسكّن ؛ أي : شعر اللحية كما وقع مصرَّحاً به في روايةٍ لابن حِبّان[2] .

ومجيئه في تلك الهيئة الحسنة : يدل على استحباب التجمُّل للقادم على الكبراء ، ولطالب العلم ، ومعلمه ؛ لأنه قدم علىٰ سيد الكبراء معلِّماً للصحابة في صورة متعلم .

ونقل عن ابن عبد السلام أنه قال : (**لا بأس بلباس شعار العلماء** ـ أي : الذي يُعرفون به ـ فإني كنتُ محرماً ، فأنكرتُ علىٰ جماعةٍ محرمين لا يعرفونني ما أخلّوا به من آداب الطواف ، فلم يقبلوا ، فلمّا لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك . . سمعوا وأطاعوا !!

فإذا لبسها فقيه لمثل ذلك . . كان له أجر ؛ لأنه سبب لامتثال أمر الله والانتهاء عما نهىٰ عنه)[3] .

وقوله : (**لا يُرىٰ عليه أثرُ السفر**) روي بضم المثناة التحتية مبنياً للمفعول ،

---

(١) انظر ما تقدم (ص ٩٨) من الحديث الأول .
(٢) صحيح ابن حبان (١٦٨) .
(٣) الفتاوى الموصلية (ص ٦٦) .

فـ(أثر) بالرفع نائب الفاعل ، وروي بالنون المفتوحة مبنياً للفاعل ، فـ(أثر) بالنصب مفعول ، والرواية الأولىٰ أبلغ ، **والمعنىٰ** : لا يرىٰ أحد عليه أثر السفر ؛ أي : علامته وهيئته من غبرة وشعوثة .

(**ولا يعرفه منا**) أي : معاشر الصحابة (**أحد**) .

وقوله : (**حتىٰ جلس**) أي : فجلس ، فـ(حتى) ابتدائية ، ويصح أن تكون غائية فتتعلق بمحذوف ؛ أي : فسلم واستأذن ، ودنا حتىٰ جلس (**إلى النبي صلى الله عليه وسلم**) أي : عنده أو معه قريباً منه .

(**فأسند**) أي : ألصق (**ركبتيه إلىٰ ركبتيه**) أي : وضع الرَّجُل ركبتيه متَّصلتين بركبتي رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ووضع**) أي : الرجل (**كفيه علىٰ فخذيه**) أي : فخذي النبي صلى الله عليه وسلم .

وإنما فعل ذلك ؛ للتنبيه علىٰ أنه **ينبغي للسائل** عدم الاستحياء عند السؤال ، **وينبغي للمسؤول** الصفح عن السائل وإن تعدَّىٰ ما ينبغي من الاحترام للمسؤول والأدب معه .

[أركان الإسلام]

(**وقال : يا محمد ؛ أخبرني عن الإسلام**) أي : عن حقيقته ، وكذا يقال فيما بعده ، وناداه باسمه مع أنه حرام ؛ لأن ذلك كان قبل التحريم ، أو لأن الحرمة مختصة بالآدميين دون الملائكة .

وإنما فعل ذلك ؛ ليقوي ظن الصحابة أنه من جُفاة الأعراب[1] ؛ لمزيد التعمية عليهم .

(**فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم**) مجيباً له : (**الإسلام أن تشهد**) أي : تعلم وتصدق وتُسلِّم (**أنْ لا إلـٰه إلاَّ الله**) أي : لا معبودَ بحقٍّ إلا الله (**وأن محمداً**)

---

(١) قوله : (جفاة الأعراب) جمع جاف ، وهو الفظ الغليظ . اهـ مؤلف .

أي : وأن تشهد أن محمداً (**رسول الله**) أرسله إلى الناس ليعلمهم دينهم .

(**و**) أن (**تقيم الصلاة**) أي : تأتي بها بأركانها وشروطها ، وتواظب عليها في أوقاتها .

(**و**) أن (**تؤتي الزكاة**) أي : تعطيها لمستحقيها ، أو للإمام ليدفعها لهم .

(**و**) أن (**تصوم**) شهر (**رمضان**) أي : تمتنع عن جميع المفطرات في أيامه .

(**و**) أن (**تحجَّ البيت**) أي : تقصد بيت الله الحرام للنسك وتأتي بأفعاله (**إن استطعت إليه سبيلاً**) أي : إن قدرت على الوصول إليه بدون مشقة عظيمة ، مع الأمن على النفس والمال ، ووجود مؤن السفر .

(**قال**) أي : الرجل : (**صدقت**) أي : فيما أَجبت به ، قال عمر رضي الله تعالىٰ عنه : (**فعجبنا له**) أي : منه (**يسأله ويصدِّقه !!**) **ووجه تعجُّبهم** : أن سؤاله قرينة علىٰ عدم علمه بما سأل عنه ، وتصديقه يقتضي أنه عالم به ، ثم زال تعجبهم لمَّا علموا أنه جبريل ؛ لأنه ظهر أنه كان عالماً في صورة متعلم ؛ تعليماً لهم ، وتقوية لإيمانهم .

[أركان الإيمان]

(**قال**) أي : الرجل : (**فأخبرني عن الإيمان ؟ قال**) أي : النبي صلى الله عليه وسلم مجيباً له عن ذلك : (**أن تؤمن**) (أن) وصِلتها في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف ؛ أي : الإيمان هو أن تؤمن ؛ أي : تُصدِّق (**بالله**) أي : بوجوده وربوبيته ووحدانيته ، وأنه متصف بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص ومحال .

(**وملائكته**) أي : وأن تؤمن بملائكته ؛ وهم أجسام نورانية قادرون على التشكل بأشكال مختلفة ، **ومعنى الإيمان بهم** : التصديق بوجودهم ، وأنهم عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهم بالغون في الكثرة ما لا يعلمه إلا الله تعالىٰ .

وقد ورد مرفوعاً : « ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شِبر ولا كف . . إلاَّ وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد »[1] .

وذكر بعضهم : (أن من أعجب ما خلق الله فيهم : ملكاً نصفه من نار ونصفه من ثلج ، فلا النار تذيب الثلج ، ولا الثلج يطفىء النار ، وهو يُسبِّحُ الله تعالىٰ ويقدِّسه ويمجِّده ويوحِّده ، ويقول في كلامه : اللهم ، يا من ألَّف بين الثلج والنار ؛ ألِّفْ بين قلوب عبادك المؤمنين)[2] .

فائدة

[فيمن يجب معرفتهم من الملائكة]

يجب علينا معرفة عشَرةٍ من الملائكة تفصيلاً ؛ وهم : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ، ومنكر ، ونكير ، ورضوان ، ومالك ، وكاتبا الحسنات والسيئات ، ويسمَّىٰ كلٌّ منهما رقيباً عتيداً .

(وكتبه) أي : وأن تؤمن بكتبه التي أنزلها علىٰ رسله ، ومعنى الإيمان بها : التصديق بأنها كلام الله تعالىٰ ، وأن جميع ما تضمنته حق .

واختلف في عددها ؛ فقيل : إنها مئة وأربعة ، وقيل غير ذلك .

ويجب معرفة أربعة منها تفصيلاً ؛ وهي : التوراة لسيدنا موسىٰ ، والإنجيل لسيدنا عيسىٰ ، والزبور لسيدنا داوود ، والقرآن لنبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين .

(ورسله) أي : وأن تؤمن برسله ؛ بأن تصدق بأن الله تعالىٰ أرسلهم إلى الخلق لهدايتهم إلىٰ طريق الحق ، وأنهم صادقون في جميع ما جاؤوا به عن الله تعالىٰ ،

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢/ ١٨٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وعند الترمذي (٢٣١٢) ، وابن ماجه (٤١٩٠) نحوه عن سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٣٣٣) مرفوعاً عن سيدنا معاذ بن جبل ، وسيدنا العرباض بن سارية رضي الله عنهما ، وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢١٤) من كلام خالد بن معدان .

وتقدَّم أنه يجب معرفة خمسة وعشرين منهم بأسمائهم ، ومرَّ بيانهم[1] .

(**واليوم الآخر**) أي : وأن تؤمن باليوم الآخر وهو يوم القيامة ، وسُمِّي آخراً ؛ لأنه لا ليل بعده ، **ومعنى الإيمان به** : التصديق بوجوده وبجميع ما اشتمل عليه ؛ من بعث المخلوقات ، وحسابهم ، ووزن أعمالهم ، ومرورهم على الصراط ، وإدخال بعضهم النار بالعدل ، وبعضهم الجنة بالفضل .

(**وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه**) أي : بأن تعتقد وتصدق بأن الله تعالىٰ قدَّر الخير والشر قبل خلْق الخلق ، وأن جميع ما كان وما يكون بقضاء الله تعالىٰ وقدره وإرادته .

وأعاد العامل وهو (تؤمن) إما لبعد العهد ، وإما للاهتمام بشأن الإيمان بالقدر ؛ إذ لا يؤمن به كل أحد ، ولا يعلمه إلا حاذق بأمور الدين[2] .

وقد جاء في الحديث : (أنَّ الإيمان به يُذهب الهمَّ والحزن)[3] .

وكان السَّلف الصَّالح يجيبون من سألهم عن القضاء والقدر بقولهم : (أن تعلمَ أنَّ ما أصابك . . لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك . . لم يكن ليصيبك)[4] .

وروي عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه : أنه قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما أرسلني في حاجة فلم تتهيّأ . . إلا قال : « لو قضي . . كان ، ولو قُدِّر . . كان »[5] .

---

(١) قوله : (**ومرَّ بيانهم**) وهم : آدم وإدريس ، ونوح وهود ، وصالح ولوط ، وإبراهيم وإسماعيل ، وإسحاق ويعقوب ، ويوسف وشعيب ، وهارون وموسىٰ ، وداوود وسليمان ، وأيوب وذو الكفل ، ويونس وإلياس ، واليسع وزكريا ، ويحيىٰ وعيسىٰ ، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين . **اهـ هامش المخطوط** .

(٢) قوله : (**إلاَّ حاذق**) أي : ماهر يعرف الغوامض والدقائق . **اهـ مؤلف** .

(٣) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٢٧٧) ، والديلمي كما في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣٨٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أبو داوود (٤٦٩٩) ، وابن ماجه (٧٧) من كلام سيدنا أبيِّ بن كعب رضي الله عنه .

(٥) أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٧١٧٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٧١٤) ، ونحوه عند أحمد في « المسند » (٣/٢٣١) .

وورد : أن الله تعالىٰ قال : « خلقت الخير والشر ، فطوبىٰ لمن خلقته للخير وأجريت الخير علىٰ يديه ، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر علىٰ يديه ، وويل ثم ويل لمن قال : لِمَ وكيف »[1] .

وبالجملة : فجميع أفعال العباد وما يحصل لهم من نفع أو ضر إنما هو علىٰ حسب ما سبق في علمه تعالىٰ ، فلا ينفع حذر من قدر .

حكي : أنَّ مَلِكاً قال له منجموه : إنك تموت في اليوم الفلاني في الوقت الفلاني بلدغة عقرب ، فلما آن الوقتُ . . تجرَّد من ثيابه ، وركب فرسه بعد غسلها وتسريح شعرها ، ودخل بها البحر حَذِراً ، فعطست فخرج من منخرها عقرب ، فلدغته فمات ، **وما أغناه الحذر من القدر**[2] .

[الإحسان ومقامات العبد في عبادته]

(**قال**) أي : الرجل السائل : (**صدقت**) أي : فيما أخبرتني به .

ثم (**قال** : **فأخبرني عن الإحسان ؟**) يعني به : الإخلاص ، ويجوز أن يراد به إتقان العمل ؛ من قولهم : أحسن في كذا : إذا أتقنه وأجاد فعله .

(**قال**) أي : النبي صلى الله عليه وسلم : (**أن تعبد الله كأنك تراه**) أي : أن تطيعه وأنت مخلص له في العبادة ، خاضع ذليل خاشع كأنك تعاينه .

(**فإن لم تكن تراه . . فإنه يراك**) أي : فإن لم تكن في عبادته كأنك تراه بأن غفلت عن تلك المشاهدة . . فاستمر علىٰ إحسان العبادة ، واستحضر أنك بين يدي الله تعالىٰ ، وأنه مطلع علىٰ سرك وعلانيتك ؛ ليحصل لك أصل الكمال .

وقد ذكر العلماء أن للعبد في عبادته ثلاثة مقامات :

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢/ ١٧٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والديلمي كما في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٧١١٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .
(٢) أوردها اليافعي في « مرآة الجنان » (٣/ ١٩٩) .

الأول : أن يفعلها على الوجه الذي يسقط معه الطلب ؛ بأن تكون مستوفيةً للشروط والأركان .

الثاني : أن يفعلها كذلك وقد استغرق في بحر المكاشفة حتىٰ كأنه يرى الله تعالىٰ ، وهـٰذا مقام المشاهدة .

الثالث : أن يفعلها كذلك وقد غلب عليه أن الله تعالىٰ يشاهده ، وهـٰذا مقام المراقبة .

وكلٌّ من المقامات الثلاثة إحسان ، إلا أن الإحسان المشروط في صحة العبادة إنما هو الأول ، وأما الإحسان بالمعنيين الأخيرين . . فهو من صفة الخواص ، ومتعذِّرٌ من كثيرين .

وقال بعضهم : (**من راقب الله في خواطره . . عصمه اللهُ في جوارحه**)[1] .

وسئل ابن عطاء : (**ما أفضل الطاعات** ؟ فقال : مراقبة الحق علىٰ دوام الأوقات)[2] .

وحكي : أنَّ بعض المشايخ كان يخصُّ بعض تلامذته بإقباله عليه ، فقالوا له في ذلك ، فدفع إلىٰ كلّ واحد منهم طيراً ، وقال : اذبحه بحيث لا يراه أحد .

فمضىٰ كلُّ واحد فذبح ما معه بمكان خالٍ ، وجاء هـٰذا التلميذ ومعه الطير غير مذبوح ، فسأله الشيخ عن عدم ذبحه ؟

فقال : إنك أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ، ولم يكن موضع إلاَّ والحقُّ سبحانه وتعالىٰ يراه .

فقال الشيخ لتلامذته : لهـٰذا أقدِّمه عليكم ؛ فإنَّ الغالب عليكم رؤية الخلق ، وهـٰذا غير غافل عن الحق[3] .

---

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٣٣٣) .

(٢) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٣٣٥) .

(٣) أوردها القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٣٣٤) .

وقال الأستاذ البكري نفعنا الله تعالىٰ به : [من مخلع البسيط]

إنْ رمْتَ تدنو مِنَ المعالي ... وترتقي أحسنَ المسالكْ
وتحظىٰ بالقربِ والتَّداني ... وتنجو أيضاً مِنَ المهالكْ
وعنكَ حُجْبُ البعادِ تُجلىٰ ... وتجري ما شئتَ في الممالكْ
وينجلي عنكَ كلُّ غيمٍ ... وتنمحي ظلمةُ الحوالكْ[1]
ففرِّغِ القلبَ مِنْ سِواهُ ... وراقبِ اللهَ في فِعالِكْ

[الساعة وبعض أماراتها]

(**قال**) أي : الرجل : (**فأخبرني عن السَّاعة**) أي : عن وقت مجيئها ، **والمراد بها** : القيامة ، وسميت ساعة ؛ لأنها تأتي الناس بغتة في ساعة ، فيموت الخلق كلهم في مكانهم بصيحة واحدة ، حتىٰ إن أحدهم يرفع اللقمة إلىٰ فيه فلا يَطْعَمها .

(**قال**) النبي صلى الله عليه وسلم : (**ما المسؤول عنها**) أي : عن وقت مجيئها (**بأعلم من السَّائل**) أي : كلانا سواء في عدم العلم بزمن وقوعها .

وقيل : إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : متىٰ قيام الساعة ؟ وإني قد ألقيت حَبّاتي فمتى السماء تمطر ؟ وحَمْل امرأتي ذكر أم أنثىٰ ؟ وما أعمل غداً ؟ وأين أموتُ ؟ فنزل قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ . . . ﴾ الآية[2] .

والحق : أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ لم يقبض نبيّنا صلى الله عليه وسلم حتىٰ أطلعه علىٰ كلِّ ما أبهمه عليه ، إلا أنه أمره بكتم البعض والإعلام بالبعض .

(**قال**) أي : الرجل : (**فأخبرني عن أمارتها**) بفتح الهمزة ، وروي :

---

(١) قوله : (**تُجلىٰ**) أي : تكشف ، وقوله : (**الحوالك**) قال في « المختار » : (**الحلَك** بفتحتين : السواد) . **اهـ مؤلف** .

(٢) أورده البيضاوي في « تفسيره » (٢/ ٨٢١) ، وأخرج البخاري (٥٠) ومسلم (٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في خمس لا يعلمهن إلا الله » ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ . . . ﴾ الآيَة .

(أماراتها) بالجمع ؛ أي : علاماتها ومقدماتها التي تظهر قبل قيامها ، وتدل علىٰ قربها .

(قال) أي : النبي صلى الله عليه وسلم مجيباً له عن ذلك : (أن تلد الأمة) أي : الجارية المملوكة (ربَّتها) أي : سيدتها ، وفي رواية : (ربَّها)[1] أي : سيدها .

واختلف في معنىٰ ذلك علىٰ أقوال :

منها : أنه كناية عن كثرة اتخاذ السراري ، فتلد السرية مولوداً من سيدها ، والولد بمنزلة أبيه في السيادة عليها .

ومنها : أنه كناية عن كون الأرقاء يَلِدْن الملوك ، فتكون أم الملك من جملة رعيته ، وهو سيدها وسيد غيرها من الرعية ، ويؤيد هـٰذا : أن الرؤساء في الصدر الأول كانوا يستنكفون غالباً عن وطء الإماء ، ويتنافسون في الحرائر ، ثم انعكس الأمر سيما في أثناء دولة بني العباس ، لـٰكن رواية : (ربتها) بالتأنيث لا تساعد ذلك ؛ لندرة كون الأنثىٰ ملكة ، إلا أن تجعل (التاء) لتأنيث النفس ، والمعنىٰ : أن تلد الأمة نفساً هي ربَّتها ، فتشمل الذكر والأنثىٰ .

(وأن ترى الحُفاة) بضم الحاء جمع : حاف ؛ وهو من لا نعل برجله (العُراة) بضم أوله جمع : عارٍ ، وهو من لا شيء علىٰ جسده ، والمراد به هنا : من ليس عليه ثيابُ أشرافِ الناس ؛ بدليل رواية : (الحَفَدة) بالتحريك ؛ أي : الخدمة[2] .

(العالَة) بفتح اللام المخففة ؛ أي : الفقراء الذين يعولون علىٰ غيرهم في أمر المعيشة (رِعاء الشاء) بكسر الراء والمدّ ـ ويجوز ضمُّها ـ جمع : راعٍ ، ويجمع أيضاً علىٰ (رُعاة) كقُضاة ، وعلىٰ (رُعيان) كشُبّان .

والشاء : الغَنَم ؛ وهو جمع : شاة ، وخصهم بالذكر ؛ لأنهم أضعف أهل البادية .

---

(١) أخرجها البخاري (٥٠) ، ومسلم (٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) نقلها القاضي عياض في « مشارق الأنوار » (١/ ٢٠٩) عن ابن الحذاء .

(**يتطاولون في البنيان**) أي : يتفاخرون بطوله وكثرته وارتفاعه ، **والمراد** : أن أسافل الناس يصيرون أكابر وأصحاب ثروة ظاهرة ، فتكثر أموالهم ، وتنصرف هممهم إلىٰ تشييد البنيان وزخرفته ، حتىٰ إنهم يتباهون ويتفاخرون به ، فيقول الواحد منهم لصاحبه : بنياني أطول من بنيانك ، ويقول الآخر : بنياني أحسن من بنيانك ، يقولون ذلك عجباً وتكبراً .

واعلم : أن إطالة البناء لم تكن معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، بل كان بنيانهم قصيراً بقدر الحاجة .

وعن الحسن البصري أنه قال : (كنت وأنا مراهق أدخل بيت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان ، فأتناول سقفها بيدي)[1] .

وروىٰ أبو داوود عن أنس قال : رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبّةً مشرفةً ـ أي : عالية ـ فقال : « ما هٰذه ؟ » قالوا : هٰذه لفلان ، فسكت حتىٰ جاء ، فأعرض عنه ، فشكا لأصحابه ، فأُخبر الخبر ، فهدمها ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرها ، فسأل عنها ، فقالوا : شكا إلينا صاحبها إعراضك ، فأخبرناه فهدمها ، فقال : « **أما إن كل بناء فهو وبال علىٰ صاحبه إلا ما لا بد منه** »[2] .

وروي عن ابن مسعود : « من بنىٰ فوق ما يكفيه . . ناداه مناد من السماء : **يا عدوّ الله ؛ إلىٰ أين تريد ؟!** »[3] .

وينبغي لمن مرَّ علىٰ بناء مزخرف عالٍ ألا ينظر إليه ؛ **فقد حكي** : أنَّ سفيان الثوري مشىٰ مع رفيق له ، فرآه ينظر إلىٰ باب دار مرفوع معمور ، فقال له : (لا تنظر إليه ؛ فإن الناس لو لم ينظروا إليه . . لكان صاحبه لا يتعاطىٰ هٰذا الإسراف ، فالناظر إليه معين له على الإسراف)[4] .

---

(١) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٤٥٠) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٢٤٩) .

(٢) سنن أبي داوود (٥٢٣٧) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٧٥) مرفوعاً عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وفيه : (يا أفسق الفاسقين) بدل (يا عدو الله) .

(٤) أورده الإمام أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٧٠) .

ونقل عن ابن مطيع أنه نظر يوماً إلىٰ داره ، فأعجبه حسنها ، فبكىٰ ثم قال : (والله ؛ لولا الموت . . لكنت بكِ مسروراً ، ولولا ما نَصير إليه من ضيق القبور . . لقرَّت بالدنيا أعيننُا ، ثم بكىٰ حتى ارتفع صوته رحمة الله تعالىٰ عليه)[1] .

تَنْبِيهٌ

[علىٰ علامات الساعة الصغرىٰ والكبرىٰ]

للساعة علامات كثيرة ؛ صغرىٰ وكبرىٰ :

أما الصغرىٰ . . فمنها : قبض العلم بموت أهله ، وكثرة الزلازل والفتن ، والزنا ، وشرب الخمر ، والربا ، وعقوق الوالدين ، والتجاهر بالمعاصي ، وإضاعة الصلاة والأمانةِ ، وتعطيل الحدود ، وقلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإعراض الأكابر عن الأذان وتركه للسَّفِلَة .

وأما الكبرىٰ . . فمنها : ظهور المهدي ، وخروج الدجال ، ونزول عيسىٰ عليه السلام ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها .

ولعلَّ اقتصار المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم علىٰ ما ذكره هنا ؛ لقرب وقوعه ، فحذَّر الحاضرين منه .

قال عمر رضي الله تعالىٰ عنه : (**ثم انطلق**) ، وفي نسخة : (فانطلق) بالفاء بدل : (ثم) أي : ذهب الرجل السائل عما ذكر .

(**فلبثتُ**) بضم تاء المتكلم ؛ أي : مكثت لا أدري مَنِ الرجل ، وفي رواية : (فلبثَ) أي : النبي صلى الله عليه وسلم ؛ يعني : أمسك عن الكلام في هـٰذه القضية (**مَلِيّاً**) بفتح الميم وكسر اللام وتشديد المثناة التحتية ؛ أي : زمناً طويلاً ؛ وهو ثلاثة أيام كما في بعض الروايات[2] .

---

(١) أورده ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٢٧٢) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٢٨٣) .

(٢) أخرجه أبو داوود (٤٦٩٥) ، والترمذي (٢٦١٠) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

(**ثم قال**) أي : النبي صلى الله عليه وسلم : (**يا عمر ؛ أتدري**) أي : أتعرف (**مَنِ السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم**) أي : من غيرهما .

وتخصيص عمر بالنداء من بين الحاضرين . . يدلُّ علىٰ جلالته ورفعة مقامه ، ومنزلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **ويؤخذ منه** : ندب تنبيه العالم أكبر تلامذته علىٰ فوائد العلم والغرائب ؛ لتفهمهم وتيقظهم .

ولا يخفىٰ ما في قول عمر : (الله ورسوله أعلم) من حسن الأدب من جهة تفويض العلم إليهما .

ويؤخذ منه : أنَّ التلميذ إذا سأله شيخه عن شيء : هل يعلمه أم لا ؟ . . لا يقول : أعلم ؛ لأنه إن لم يعلمه . . فقد كذب ، وإن علمه . . حُرم من بركة لفظ أستاذه ، ومن فائدة يستفيدها زيادة علىٰ ما عنده ، بل يقول : الله وأهل العلم أعلم .

ثم لما قال عمر ما ذكر . . (**قال**) أي : النبي صلى الله عليه وسلم له : (**فإنه**) وفي نسخة : (هـٰذا) (**جبريل أتاكم يعلِّمكم دينكم**) أي : يفهمكم أمر دينكم بسبب سؤاله .

وهـٰذا الحديث عظيم الموقع ؛ لاشتماله علىٰ وظائف العبادات الظاهرة والباطنة .

(**رواه**) الإمام (**مسلم**) في (كتاب الإيمان) بهـٰذا اللفظ ، وظاهره مخالف لما في الحديث الذي رواه هو والبخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه ؛ من أنَّ الرجل أدبر ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ردوه عليَّ » ، فأخذوا يردونه ، فلم يروا شيئاً ، فأخبرهم حينئذ أنه جبريل(١) .

وأجيب عن ذلك : بأن عمر رضي الله تعالىٰ عنه لم يكن حاضراً وقت هـٰذا الإخبار ، بل كان قام من المجلس ، ولم يتفق الإخبار له إلا بعد ثلاثة أيام .

* * *

---

(١) صحيح البخاري (٥٠) ، صحيح مسلم (٩) .

الحديث الثالث

[أركانُ الإسلامِ]

عَنْ أَبِي عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ **عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ** رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « **بُنِيَ ٱلْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ** : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ ، وَإِقَامِ ٱلصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ ، وَحَجِّ ٱلْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » **رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ**[1] .

(عن أبي عبد الرحمـٰن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنهما) أي : عن عبد الله وأبيه عمر ، وأشار المصنف بذلك إلىٰ أنه ينبغي لمن يذكر صحابياً ولأبيه صحبة أن يترضىٰ عنهما .

[من ترجمة سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما]

أسلم عبد الله هـٰذا بمكة مع أبيه وهو صغير ، وهاجر معه إلى المدينة ، وكان من فقهاء الصحابة ومُتَّقيهم وزهادهم .

حجَّ سِتِّين حجة ، **واعتمر ألف عمرة** ، وأعتق ألف رقبة ، وحمل علىٰ ألف فرس في سبيل الله ، وأتاه اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتىٰ فرقها .

وكان كثيراً ما يتقرَّب بما يعجبه ويستحسنه من ماله ، ولمَّا عَرف أرقاؤه منه ذلك.. كانوا يُقبلون على الطاعة ويلازمون المسجد ليعتقهم ، فقيل له : إنهم

---

(١) صحيح البخاري (٨) ، صحيح مسلم (١٦/ ٢١) .

يخدعونك !! فقال : (**من خدعنا بالله . . انخدعنا له**)[1] .

وكان عنده جارية يحبُّها ، فقال لها : (إني سمعت الله تعالىٰ يقول : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، فاذهبي فأنت حرَّة لوجه الله تعالىٰ) ، ثم أنكحها نافعاً وقال : (**لولا أني لا أعود في شيء جعلته لله . . لنكحتها**)[2] .

وكان نافع هـٰذا رقيقه ، فدُفع له فيه عشرة آلاف دينار ، فقال له عاصم بن محمد : يا أبا عبد الرحمـٰن ؛ فما تنتظر أن تبيع ؟! فقال : (**فهلا ما هو خير من ذلك ؟! هو حُرٌّ لوجه الله تعالىٰ**)[3] .

وجيء له وهو مريض بعُنْقودِ عِنَبٍ ، فجاء مسكين ، فقال : (أعطوه إياه) ، فذهب إليه إنسان فاشتراه منه ، ثم جاء به إليه ، فجاءه المسكين يسأله ، فقال : (أعطوه إياه) ، فذهب إليه إنسان فاشتراه منه ، وأراد السائل أن يرجع فمُنِع ، **ولو عَلِم ابنُ عمر بذلك العنقود . . ما ذاقه**[4] .

وجاءه سائل فقال لابنه : (أعطه ديناراً) ، فلما انصرف . . قال له ابنه : تقبَّل الله منك يا أبتاه ، فقال : (لو علمت أنَّ الله عز وجل تقبَّل مني سجدةً واحدةً أو صدقة واحدة بدرهم واحد . . لم يكن غائبٌ أحبَّ إليَّ من الموت ، **أتدري ممن يتقبل الله ؟ إنما يتقبل الله من المتقين**)[5] .

وكان يقول : (لا يصيب عبدٌ شيئاً من الدنيا . . إلاَّ انتقص من درجاته عند الله عز وجل وإن كان على الله كريماً)[6] .

ومن مناقبه رضي الله تعالىٰ عنه : أنه خرج في بعض أسفاره ، فبينما هو يسير ؛ إذ وجد قوماً وقوفاً فقال : (ما لهـٰؤلاء القوم ؟). قالوا : أَسَدٌ على الطريق قد

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١/ ١٣٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٩٤) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٩٥) .
(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/ ٤٢٨ـ ٤٢٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٩٦) .
(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٩٧) .
(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١/ ١٤٦) .
(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١/ ١٥٣) .

أخافهم !! فنزل عن دابته ثم مشىٰ إليه حتىٰ أخذ بأذنه ونحّاه عن الطريق[1] .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف وست مئة وثلاثون حديثاً ، وعاش أربعاً وثمانين سنة ، **ومات بمكة شهيداً** ، **وسببه** : أنَّ الحجاج خطب يوماً فأخَّر الصلاة ، فقال له ابن عمر : (**إن الشمس لا تنتظرك**) .

فقال له الحجاج : لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك .

فقال له ابن عمر : (**إنك سفيهٌ مسلَّط**) ، فتغيَّر من ذلك ، وأمر رجلاً فسمَّ طرف رمح وزاحمه في الطواف حتىٰ وضعه علىٰ قدمه ، فمرض أياماً ، ثم مات رحمة الله تعالىٰ عليه[2] .

[الشهادتان وإقام الصلاة وفضلهما]

(**قال : سمعت رسول الله**) وفي نسخة : (النبي) (**صلى الله عليه وسلم يقول : بُني الإسلام علىٰ خمس**) أي : أُسِّس علىٰ خمس قواعد ، وفي رواية لمسلم : (علىٰ خمسة) أي : خمسة أشياء ، أو أصول ، أو أركان ، **والمراد** : أن دين الإسلام يتحقَّق ويُوجَد بهٰذه الخمس :

(**شهادةِ**) بالجرِّ علىٰ أنه عطف بيانٍ أو بدلٌ من (خمس) ، ويجوز رفعه علىٰ أنه مبتدأ ، والخبر محذوف تقديره : منها ، أو علىٰ أنه خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره : أحدها ، ويجوز أيضاً نصبه بفعل محذوف تقديره : أعني شهادة (**أنْ لا إلٰه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله**) وفي نسخة : (وأنَّ محمداً عبده ورسوله) .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١/ ١٧١) .

(٢) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٤٩١) ، و« أسد الغابة » (٣/ ٣٤٠) ، و« الإصابة » (٢/ ٣٣٨) ، وذكر ابن عبد البر رحمه الله تعالىٰ : أن الحجاج دخل عليه يعوده ، فقال له : **من فعل بك يا أبا عبد الرحمٰن** ؟ فقال : (ما تصنع به ؟!) قال : قتلني الله إن لم أقتله . قال : (**ما أراك فاعلاً** ؛ أنت الذي أمرت الذي نخسني بالحربة) ، وفي رواية أنه قال للحجاج : (أنت الذي أمرت بإدخال السلاح في الحرم) .

(**وإقام الصلاة**) أي : المعهودة شرعاً ، وهي خمسٌ في كل يوم وليلة ، **والمراد بإقامتها** : المحافظة عليها في أوقاتها مع استيفاء شروطها وأركانها .

وقد ورد في الحديث : « من حافظ على الصلواتِ الخمس ؛ علىٰ وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ، ويعترف أنها حقٌّ لله سبحانه وتعالىٰ . . كان جسده حراماً على النار »[1] .

ورُوي : (إذا كان يومُ القيامة . . أُمر بطبقات المصلِّين إلى الجنة ، فتأتي أول زمرة كالشمس ، فتقول الملائكة : من أنتم ؟ قالوا : نحن المحافظون على الصلاة .

قالوا : كيف كانت محافظتكم ؟ قالوا : **كنَّا نسمع الأذان ونحن في المسجد** .

ثم تأتي زمرة أخرىٰ كالقمر لية البدر ، فتقول الملائكة : من أنتم ؟ قالوا : نحن المحافظون على الصلاة .

قالوا : كيف محافظتكم ؟ قالوا : **كنا نتوضأ قبل الوقت ثم نحضر مع سماع الأذان** .

ثم تأتي زمرة أخرىٰ كالكواكب ، فتقول الملائكة : من أنتم ؟ قالوا : نحن المحافظون على الصلاة .

قالوا : كيف كانت محافظتكم ؟ قالوا : **كنا نتوضأ بعد الأذان**)[2] .

وروي مرفوعاً : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة : الصلاة ، فإن

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٤/٢٦٧) عن سيدنا حنظلة الأُسَيدي الصحابي رضي الله عنه ، قال الإمام النووي رحمه الله في « شرح مسلم » (١٧/٦٥) : (**الأسيدي** : ضبطوه بوجهين ، **أصحهما وأشهرهما** : ضم الهمزة وفتح السين وكسر الياء المشددة ، **والثاني** : كذلك إلا أنه بإسكان الياء ، ولم يذكر القاضي إلا هٰذا الثاني ، وهو منسوب إلىٰ بني أسيد بطن من بني تميم) . وهو حنظلة بن الربيع ، واشتهر **بحنظلة الكاتب** ، له الحديث المشهور في « صحيح مسلم » (٢٧٥٠) الذي يقول فيه : (نافق حنظلة . . .) .

(٢) أورده الإمام الغزالي في « الإحياء » (١/٥٥٢) ، وبنحوه أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/١٠١) .

صَلَحَتْ . . صَلَحَ سائر عمله ، وإن فسدت . . فسد سائر عمله »[1] .

[الزكاة وبعض ما ورد في فضلها]

(**وإيتاء الزكاة**) أي : دفعها لمستحقيها ، وسُميت زكاة ؛ لأنها سبب في زكاء المال ونموه وحصول البركة فيه ، **وقد ورد** : « حصِّنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة »[2] .

وورد : « ما ضاع مال في برٍّ أو بحرٍ . . إلا من عدم الزكاة »[3] .

وجاء : (إنَّ مَنْ لم يخرج زكاة ماله . . سلَّط الله عليه وجوهاً من الظلم أو الهلكة يصرفه فيها)[4] .

وفي الحديث : « ما من صاحب ذهبٍ ولا فضةٍ لا يؤدِّي حقَّها . . إلا إذا كان يوم القيامة . . صُفِّحت له صفائح من نار ، فتكوىٰ بها جبهته وجنباه وظهره ، كلَّما بردت . . أُعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتىٰ يقضي اللهُ بين العباد ، فيرىٰ سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »[5] .

وورد : (أنه يجيء مال مانع الزكاة يوم القيامة طوقاً في عنقه من نار ، لو أنَّ ذلك الطوق وضع في الدنيا لاحترقتْ منه ، وتقطَّعت بجبالها ، ويبست بحارها ، وما من عبد أدَّىٰ زكاة ماله بطيب نفس . . إلا جاء عقداً من نور في رقبته ، يشرق نور ذلك العقد على المؤمنين يوم القيامة ، حتىٰ يمشي في نوره على الصراط ويدخل الجنة)[6] .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (١٨٨٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وبنحوه الترمذي (٤١٣) ، وابن ماجه (١٤٢٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٠٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٣/ ٣٨٢) ، والطبراني في « الكبير » (١٠/ ١٥٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠/ ١٦٥) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنهما .

(٤) أخرج بنحوه ابن الجعد في « مسنده » (١٠٨٧) عن قتادة رحمه الله تعالىٰ قال : (من منع زكاة ماله . . سلط الله عليه البناء) .

(٥) أخرجه مسلم (٩٨٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) ذكره ابن الجوزي في « بستان الواعظين » (ص ٣٥١) ، وعنده : (وتقطعت جبالها) بدل (وتقطعت بجبالها) .

(**وحج البيت**) وهو واجب على المستطيع ، وفِعْلُه يكفِّر الصغائر والكبائر حتى التبعات ـ وهي حقوق الآدميين ـ إن مات في حجِّه ، أو بعده وقبل التمكن من أدائها مع عزمه عليه عند القدرة .

وذكر ابن العماد : (**أن حكمة تركُّبه من الحاء والجيم** : الإشارة إلىٰ أنَّ الحاء من الحِلْم ، والجيم من الجُرْم ، فكأنَّ العبد يقول : يا رب ؛ جئتك بجُرْمي ـ أي : ذنبي ـ لتغفره بحِلْمك)[1] .

ولا يجب الحج إلا مرة واحدة في العمر ؛ **فقد ورد** : « من حج حجة . . أدَّىٰ فرضه ، ومن حج ثانية . . داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج . . حرَّم الله شعره وبشره على النار »[2] .

ووجوبه على التراخي عند الشافعي ، وبه قال محمد صاحب أبي حنيفة ، وقال مالك وأحمد : على الفور ، وبه قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ، وكذلك المزني .

ولو تعارض الحجُّ والنكاح . . فالأفضل لمن لم يَخَفِ العَنَت ـ أي : الفجور والزنا ـ تقديم الحج ، ولخائف العَنَت تقديم النكاح ، بل يجب عليه ذلك إن تحقَّق أو غلب علىٰ ظنِّه الوقوع في الزنا .

ومثل الحج : العمرة ؛ فهي واجبة عند الشافعي في العمر مرة واحدة ، ونقل عن أبي حنيفة ومالك أنها سنة ، وهو قول للشافعي ، وعن أحمد أنها فرض كالحج .

وقد جاء في فضلهما أخبار كثيرة :

---

(١) انظر « فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب » (٢/ ٣٧٠) .

(٢) أورده القاضي عياض في « الشفا » (ص ٥٩٩) ، **وأوله** : حُكي : أن قوماً أتوا سعدونَ الخولاني بالمُنَسْتِير ـ مدينة شرقي تونس ـ فأعلموه : **أن كُتامة** ـ قبيلة من البربر شمالي المغرب ـ **قتلوا رجلاً** ، وأضرموا عليه النار طول الليل ، **فلم تعمل فيه شيئاً** ، وبقي أبيضَ البدن ، فقال : **لعله حج ثلاث حجج** ؟! قالوا : نعم . قال : حُدِّثت : (أن من حج حجة . . .) .

منها : قوله صلى الله عليه وسلم : « من خرج من بيته حاجاً أو معتمراً ومات . . أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر إلىٰ يوم القيامة »[1] .

ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : « تابعوا بين الحج والعمرة ـ أي : ائتوا بهما متتابعَيْنِ بدون فاصل كبير ـ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد »[2] .

وفي رواية : « فإن متابعة ما بينهما تزيد في العمر والرزق »[3] أي : يبارك فيهما .

ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : « العمرة إلى العمرة كفَّارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »[4] .

وحكي عن محمد بن المنكدر : أنه حج ثلاثاً وثلاثين حجّة ، فلما كان في آخر حجَّة حجها . . قال وهو في عرفات : **اللهم** ؛ إنك تعلم أني وقفت في موقفي هٰذا ثلاثاً وثلاثين وَقفة ؛ فواحدة عن فرضي ، والثانية عن أبي ، والثالثة عن أمي ، وأُشهدك يا ربِّ أني وهبتُ الثلاثين لمن وقف بموقفي هٰذا ولم تتقبَّل منه .

فلما دفع من عرفات ـ أي : رحل عنها وفارقها ـ نودي : (**يا بن المنكدر** ؛ **أتتكرَّمُ علىٰ من خلق الكرم والجود** ؟! وعزتي وجلالي ؛ لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألف عام)[5] .

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٦٣٥٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٨٠٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي (٨١٠) ، والنسائي في « المجتبىٰ » (٥/ ١١٥) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وابن ماجه (٢٨٨٧) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) أخرجها أحمد في « المسند » (٣/ ٤٤٦ـ ٤٤٧) عن سيدنا عامر بن ربيعة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (١٧٧٣) ، ومسلم (١٤٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أورده السيد البكري في « إعانة الطالبين » (٢/ ٢٨٨) ، وذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله في « لطائف المعارف » (ص ٤٩١ـ ٤٩٢) عن علي بن الموفق : (أنه وقف بعرفة في بعض حجاته ، فرأىٰ كثرة الناس ، فقال : **اللهم** ؛ إن كنت لم تتقبل منهم أحداً . . فقد وهبته حجتي ، فرأىٰ ربَّ العزة في منامه وقال له : **يا بن الموفق** ؛ **أتتسخىٰ عليَّ** ؟! قد غفرت لأهل الموقف ولأمثالهم ، وشفَّعْتُ كل واحد =

[صوم رمضان وأخبار في فضل ذلك]

(**وصوم رمضان**) أي : الإمساك عن المفطرات في نهاره بنيةٍ ، **وفُرض في السنة الثانية من الهجرة** ، فصام صلى الله عليه وسلم تسع رمضاناتٍ كلها ناقصة إلا واحداً ، **ولعل الحكمة في ذلك** : تطمين نفوس من يصومه ناقصاً من أمته[1] .

وقد جاء في فضل رمضان وصومه أخبار كثيرة :

منها : **ما روي** : « إنَّ الجنة لتتزيَّن من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان ، فإذا كان أوَّل ليلة من رمضان . . هبَّتْ ريحٌ من تحت العرش يقال لها : المثيرة ، فتصفق ورق أشجار الجنة وحلق المصاريع ـ أي : الأبواب ـ فيُسمَع لذلك طنين لم يَسمع السامعون أحسن منه ، فتبرز الحور العين حتىٰ يقمن علىٰ شُرَفِ الجنة فينادين : هل من خاطب ؟ ثم يقلن : يا رضوان ؛ ما هٰذه الليلة ؟ فيُجيبهن بالتلبية فيقول : يا خيرات حسان ؛ هٰذه أول ليلة من رمضان »[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو يعلم الناس ما في رمضان من اليمن والبركة . . لتمنَّوا أن يكون حولاً كاملاً »[3] .

= في أهل بيته وذريته وعشيرته ، وأنا أهل التقوىٰ وأهل المغفرة . ويروىٰ عن غيره أيضاً من الشيوخ) .

(١) قال ملا علي القاري رحمه الله تعالىٰ في « مرقاة المفاتيح » (٤/٤٠٧) : (قال بعض الحفاظ : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع رمضانات ؛ منها رمضانان فقط ثلاثون ؛ كذا في « شرح ابن حجر ») .

وقال العلامة الدميري رحمه الله تعالىٰ في « النجم الوهاج » (٣/٢٧٩) : (قال ابن مسعود رضي الله عنه : « صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعاً وعشرين أكثر مما صمنا معه ثلاثين » رواه أبو داوود [٢٣١٦] ، والترمذي [٦٨٩] ، وقال بعض الحفاظ : إن النبي صلى الله عليه وسلم صام تسعة رمضانات ؛ منها رمضانان ثلاثون ثلاثون ، وسبعة تسع وعشرون) ، **فالمراد** : أن رمضان وإن نقص عدده . . فثوابه كامل بفضل الله .

(٢) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٣٤٢١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢/٢٩١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (١٨٨٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٣٦١) عن سيدنا أبي مسعود الغفاري رضي الله عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً . . غُفر له ما تقدَّم من ذنبه »[1] ، وفي رواية : « وما تأخر »[2] .

وورد : « لو أَذِن الله للسماوات والأرض أن تتكلما . . لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة »[3] .

وما أحسن قول بعضهم[4] : [من الكامل]

شهرَ الصِّيامِ لقدْ علوتَ مكرَّما	وغدوتَ منْ بينِ الشُّهورِ معظَّما
يا صائمي رمضانَ هٰذا شهرُكُمْ	فيهِ أَبَاحَكُمُ المهيمنُ مغنما
يا فوزَ مَنْ فيهِ أطاعَ إلٰهَهُ	متقرِّباً متجنِّباً ما حرَّما
فالويلُ كلُّ الويلِ للعاصي الَّذي	في شهرِه أَكلَ الحرامَ وأجرما

فائدة

[في حكم من تمنىٰ زوال رمضان]

نقل عن ابن حجر : (أنَّ تمنِّي زوال رمضان من الكبائر) ؛ ولعلَّه كما قال الأمير : (إذا كان بُغْضاً للعبادة ، وربما يُخشىٰ منه الكفر والعياذ بالله تعالىٰ) .

ومما يخالف تعظيم شعائر الله تعالىٰ قول العوام : رمضان مريض ، أو يطالع في الروح أو نحو ذلك ، فينبغي تجنُّب ما ذكر .

ثم إنَّ هٰذا الحديث قد اشتمل علىٰ أركان الإسلام، فهو من قواعد الدين العظيمة .

(**رواه البخاري**) في (الإيمان) و(التفسير) (**ومسلم**) في (الإيمان) و(الحج) .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨) ، ومسلم (٧٦٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجها أحمد في « المسند » (٢/ ٣٨٥) .

(٣) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٧/ ٤٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) أوردها السيد البكري في « إعانة الطالبين » (٢/ ٢٥٦) من غير عزوٍ .

الحديث الرّابع

[مراحلُ خلقِ الإنسانِ وتقديرُ رزقِهِ وأجلِهِ وعملِهِ]

عَنْ أَبِي عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ٱلصَّادِقُ ٱلْمَصْدُوقُ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً[1] ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ ٱلْمَلَكُ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ ٱلرُّوحَ ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكَتْبِ رِزْقِهِ ، وَأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، فَوَٱلَّذِي لاَ إِلَـٰهَ غَيْرُهُ ؛ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ ٱلْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلنَّارِ ، فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلنَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ ٱلْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ، فَيَدْخُلُهَا » رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[2] .

[من ترجمة سيدنا ابن مسعودٍ رضي الله عنه]

(عن أبي عبد الرحمـٰن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) أسلم بمكة قديماً ، ويقال : إنه سادس ستة في الإسلام .

وسبب إسلامه : أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ به وهو يرعىٰ غنماً لعُقبة بن

---

(١) قوله (نطفة) كذا جاءت في نسخة الشارح الجرداني رحمه الله تعالىٰ ، وهذه اللفظة لم ترد في « الصحيحين » ، وقد تكلم الأئمة الحفاظ عنها مطولاً .

(٢) صحيح البخاري (٣٢٠٨) ، صحيح مسلم (٢٦٤٣) .

أبي مُعَيط ، فقال له : « يا غلام ؛ هل عندك من لبنٍ تسقينا ؟ » قال : نعم ، ولٰكني مؤتمن .

قال : « هل عندك جذعة لم يَنْزُ عليها الفحل ؟ » قال : نعم ، فأتاه بها ، فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها ودعا فامتلأ ضرعها باللبن ، فحلب في إناءٍ أتاه به أبو بكر ، وشرب وسقىٰ أبا بكر رضي الله تعالىٰ عنه ، ثم قال للضرع : « اقلِص » بكسر اللام ، فقلَص بفتحها ؛ أي : رجع كما كان لا لبن فيه ، فلما رأىٰ ذلك . . أسلم رضي الله تعالىٰ عنه[1] .

وكان شديد الأُدمة ـ بالضم ؛ أي : السمرة ـ خفيف اللحم ، قصيراً جداً نحو ذراع ، دقيق الساقين ـ أي : رفيعهما ـ أخذ يجتني سواكاً من الأراك ، فجعلت الريحُ تكفؤه ، فضحك القوم منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ممَّ تضحكون ؟ » فقالوا : يا رسول الله ؛ من دقِة ساقيه ! !

فقال : « **والذي نفسي بيده ؛ لهما في الميزان أثقل من أُحُد** »[2] .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه صاحب سِرِّ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، وكان يمشي أمامه بالعصا ، ويوقظه إذا نام ، ويُلْبسه نعليه إذا قام .

وكان من أجود الناس ثوباً ، وأطيبهم ريحاً ؛ تعظيماً لنعلي رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فإنه كان يحملهما إذا جلس ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقرِّبه ولا يحجبه ؛ فلذا كان كثير الدخول عليه صلى الله عليه وسلم .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه يقول : (والله الذي لا إلٰه غيره ؛ **ما نزلت آيةٌ من كتاب الله تعالىٰ . . إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم نزلت** ، ولو أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا . . لأتيته)[3] .

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٥٠٤) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٤٩٨٥) ، والطبراني في « الكبير » (٩/ ٧٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٣٧) ، وأحمد في « المسند » (١/ ١١٤) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٥٣٩) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٠٢) ، ومسلم (٢٤٦٣) .

[أُذُنٌ بأُذنٍ والرأس زيادة]

وهو رضي الله تعالىٰ عنه أوّل من جهر بالقرآن من الصحابة ؛ وذلك أنه لما نزلت (سورة الرحمـٰن) . . قال المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم : « **من يقرؤها علىٰ قريش** ؟ » فقال ابن مسعود : أنا يا رسول الله ، وذهب إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة ، فافتتح القراءة بها ، فقام أبو جهل فلطمه ، وشقَّ أذنه وأدماه ، فذهب وعينه تدمع ، فاغتمَّ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، فنزل جبريل عليه السلام ضاحكاً ، فقال المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم : « أنت تضحك وابن مسعود يبكي ؟! » فقال : **ستعلم يا رسول الله ممَّ أضحك**[1] .

فلما كان يوم بدر ونصر الله المسلمين . . أمر المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ابن مسعود أن يأخذ رمحه ويلتمس في الجرحىٰ من به رمق ـ أي : بقية حياة ـ فيقتله ، فمرَّ بأبي جهل وهو مُلقىً في شدائد الهلاك ، فخاف أن يكون به قوة ، فوضع الرمح في أنفه من بُعْدٍ ، فلما عرف عجزه . . ارتقىٰ علىٰ صدره ، وقطع رأسه ، وشقَّ أذنه ، وجعل فيها خيطاً وجرَّه ـ أي : الرأس ـ إلىٰ أن ألقاه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك ويقول : « **أذنٌ بأذنٍ والرأس زيادة** »[2] .

[مرض ابن مسعود وعيادة عثمان له رضي الله عنهما]

ولي رضي الله تعالىٰ عنه قضاء الكوفة وبيت مالها لعمر وصدراً من خلافة عثمان ، ثم أتىٰ إلى المدينة وتمرَّض بها ، فدخل عليه عثمان رضي الله تعالىٰ عنه فقال له : **ما تشتكي** ؟ قال : ذنوبي .

قال : **فما تشتهي** ؟ قال : المغفرة .

قال : **ألا آمر لك بطبيب** ؟ قال : الطبيب أمرضني .

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في « فضائل الصحابة » (١٥٣٥) بنحوه .

(٢) أخرجه البزار في « مسنده » (١٤٣٦) بنحوه .

قال : **ألا آمر لك بعطاء** ؟ قال : لا حاجة لي به .

قال : يكون لأولادك من بعدك ؟ قال : إني لا أخشىٰ عليهم الفقر بعد أن علمتهم (سورة الواقعة) يقرؤونها كلَّ ليلة ؛ وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **من قرأ (سورة الواقعة) كل ليلة . . لم تُصِبْه فاقة** ـ أي : فقر واحتياج ـ **أبداً** »[1] .

روي له ثمان مئة حديث وثمانية وأربعون حديثاً ، **ومات بالمدينة على الأصح** سنة اثنين أو ثلاث وثلاثين ، وهو ابن بِضع وستين سنة[2] ، ودفن بالبقيع[3] .

وروي : (أنه خلَّف ستين ألف دينار سوى الرقيق والماشية) رحمة الله تعالىٰ عليه[4] .

(**قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق**) أي : الآتي بالصّدق (**المصدوق**) أي : الذي يصدِّقه الله تعالىٰ في دعواه الرسالة بإظهار المعجزات علىٰ يديه ، ويصدِّقه الخلق فيما يقول ، أو الذي يأتيه جبريل بالصدق من عند الله تعالىٰ .

[بدء خلق الإنسان]

(**إن**) بكسر الهمزة وفتحها[5] (**أحدكم**) أي : معشر بني آدم (**يُجمع**) بالبناء

---

(١) أخرجه بهٰذا السياق ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/١٨٦) ، وأخرج متنه البيهقي في « الشعب » (٢٤٩٨) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٦٨٠) .

(٢) قوله : (**بضع**) بكسر الباء ؛ وهو ما بين الثلاث والتسع . **اهـ مؤلف** .

(٣) صلىٰ عليه سيدنا الزبير رضي الله عنهما ليلاً ، ودفنه بالبقيع بإيصائه له بذلك ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخىٰ بينهما رضي الله عنهما . انظر « الفتح المبين بشرح الأربعين » (ص ١٩٩) .

(٤) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص٤٠٧) ، و« أسد الغابة » (٣/ ٣٨٤) ، و« الإصابة » (٢/ ٣٦٠) .

(٥) قوله : (**بكسر الهمزة وفتحها**) وقد جاءت الرواية بهما كما نقل عن القاضي جمال الدين الجويني ؛ أما الكسر . . فهو علىٰ حكاية لفظه صلى الله عليه وسلم ، وأما الفتح . . فهو علىٰ أن (أن) وما عملت فيه مفعول (حدثنا) **اهـ مؤلف** .

للمفعول ، أي : يضم ويحفظ (**خَلْقُه**) نائب الفاعل ، وهو علىٰ حذف مضاف ؛ أي : مادة خلقه ؛ وهو المنيُّ الذي يُخلق منه (**في بطن أمه**) أي : في رحمها الذي هو في بطنها .

والرحم : ما يشتمل على الولد يكون فيه تخليقه من كونه نطفة إلىٰ كونه خَلْقاً آخر ، وقيل : إنه خشن كالسَّفَنْج[1] ، وله أفواه وأبواب ؛ فإذا دخل المنيُّ من باب واحد . . خلق الله منه جنيناً ، وإذا دخل من بابين . . خلق الله منه ولدين ، وإذا دخل من ثلاثة أبواب . . خلق الله منه ثلاثة أولاد ، فيكون عدد الأجنة في الرحم بعدد دخول المني من أفواه الرحم .

(**أربعين يوماً**) ظرف لـ(يُجمع) ، وقوله : (**نطفةً**)[2] حال من (خَلْقُه) أي : حال كونه نطفة ؛ أي : منيّاً ، يعني : أنه يمكث في الرحم هٰذه المدة مجموعاً بعد انتشاره في جميع بدن المرأة ، وفي تلك المدة لا يختلط منيُّ الرجل بمنيِّ المرأة ، بل يكونان متجاورين لا يُغيِّر أحدهما الآخر ، وفي الأربعين الثانية يختلطان ؛ لأنَّ مني المرأة لا يصلح للتخلُّق إلا بضمِّ مني الرجل له ، فهو بمنزلة الإنْفحة للبن[3] ، فلا يصلح اللبن للجبن إلا بعد ضم الإنفحة إليه .

مَوْعِظَة

[في ترك الفخر والخيلاء]

روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال : (**ما لابن آدم والفخر ؟! أوله** : نطفةٌ مذرة ـ أي : خبيثة ـ **وآخره** : جيفةٌ قذرة ، وما بينهما يحمل العَذِرة) أي : النجاسة[4] .

---

(١) **السَّفَنْج** : بفتح السين وكسرها مع فتح الفاء وسكون النون ، وبضم السين مع كسر الفاء : الإِسْفَنْج ، كلمة يونانية . « المنجد » (ص ٣٣٨) .

(٢) انظر التعليق رقم (١) في الصفحة (١٣٦) .

(٣) **الإنفحة** : شيء أصفر ، يستخرج من بطن الجدي ، يوضع في اللبن ليروب ويغلظ ويجبَّن .

(٤) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٧٨٦١) بنحوه .

وحكي : أنَّ بعض أولاد المهلَّب مرَّ بمالك بن دينار ، فقال له مالك : لو تركت الخيلاء . . لكان أحسن لك .

فقال : أما تعرفني ؟! فقال : والله ؛ أعرفك معرفةً جيدة : أَوَّلك : نطفة مذرة ، وآخرك : جيفة قذرة ، وأنت مع ذلك تحمل العذرة ، فأرخى الفتىٰ رأسَه وكفَّ عمَّا كان عليه[1] .

[العلقة والمضغة وإرسال الملك]

(ثم) عَقِبَ تلك الأربعين (يكون) أي : يصير (علقة) بعد ذَرِّ التراب عليه وعجنه به من المكان الذي يدفن فيه ؛ فقد ورد : أن الملَك الموكَّل بالأرحام ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يُدفن فيه فيذرُّ على النطفة ، فيخلق من التراب ومن النطفة[2] .

والعلَقة ـ بفتح اللام ـ : قطعة دم غليظ ، وسُمِّيت بذلك ؛ لكونها تعلق بما يمر عليها .

(مثلَ ذلك) بالنصب صفة لموصوف محذوف ؛ أي : زمناً مثل ذلك ؛ أي : مقدار ذلك الزمن الذي مرَّ ؛ وهو أربعون يوماً .

---

(١) أوردها الإمام الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٨/٢١٧) ؛ وفيه : أن المارَّ هو المهلب بن أبي صُفْرة .

(٢) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (٢/٢٨٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود إلاَّ وقد ذُرَّ عليه من تراب حفرته » .

وأخرج الحاكم في « المستدرك » (١/٣٦٦ـ ٣٦٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة عند قبر فقال : « قبر مَنْ هـٰذا ؟ » فقالوا : فلان الحبشي يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا إلـٰه إلا الله ، لا إلـٰه إلا الله ؛ سيق من أرضه وسمائه إلىٰ تربته التي منها خُلق » . وأخرج نحوه أحمد في « فضائل الصحابة » (٥٢٨) عن سوار بن عبد الله عن أبيه ؛ وفيه : (قال أبي : يا سوار ؛ ما أعلم لأبي بكر وعمر فضيلة أفضل من أن يكونا خُلقا من التربة التي خُلق منها رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(**ثم**) عقب الأربعين الثانية (**يكون مضغة**) بضم الميم وسكون المعجمة ؛ أي : قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغ (**مثلَ ذلك**) الزمن المذكور وهو أربعون يوماً ، وهي الأربعون الثالثة ، وفيها يصوِّرها الله ، ويجعل لها فماً وسمعاً وبصراً وأمعاء وغير ذلك من الأعضاء .

(**ثم**) إذا تمَّ التصوير وكملت الأجزاء وصار ابن أربعة أشهر . . (**يُرسَل إليه المَلَك**) بالبناء للمجهول ، والمرسِل هو الله تعالىٰ كما صرَّح به مسلم في رواية[1] ، وهـٰذا المَلك هو الموكَّل بالرحم .

والمراد بإرساله : أمره بالتصرُّف ؛ أي : يأمر الله المَلكَ (**فينفخ فيه الروح**) التي بها يحيا الإنسان ، **وحقيقة النفخ** : إخراج ريحٍ من النافخ يتصل بالمنفوخ فيه ، **والمراد به هنا** : الإدخال ؛ أي : يدخل الملك الروح في البدن بعد تمام خلقته ، فتسري في أجزائه الظاهرة والباطنة ، فيجد اللذَّة والألم ، وهـٰذا الإدخال يكون من اليأفوخ كما أن خروجها عند الموت يكون منه ، **واليأفوخ** ـ بالهمز ـ : وسط الرأس حيث يكون ليِّناً من الصبي .

وقال بعضهم : نفخ الملك في الصورة سبب لإيجاد الله تعالىٰ فيها عنده الروح والحياة[2] .

وأوَّل شيءٍ تَحلُّه الحياة العين ، وهي آخر شيء تُنزع منه الروح ، وأول شيء يُسرع إليه الفساد .

ويجوز التسبُّب في إلقاء الحمل قبل نفخ الروح فيه ، ويَحْرُم بعدَه[3] .

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٤٥) ؛ **وفيه** : « إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة . . بعث الله إليها ملكاً . . . » .

(٢) انظر « المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم » (٦/ ٦٥١) .

(٣) في هـٰذه المسألة بحث مطول ، وقد مشى المؤلف فيها علىٰ معتمد الإمام الرملي رحمه الله تعالىٰ ، وأما معتمد الإمام ابن حجر رحمه الله تعالىٰ . . فحرمة الإجهاض مطلقاً . وقد فصل هـٰذه المسألة بأدلتها الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه « مسألة تحديد النسل » انظر (ص ٧٢) وما بعدها .

وروي : (أنَّ السِّقْط يأتي يوم القيامة وله صوت مثل الرعد يستغيث وينادي : أنا المظلوم ، فيتعلَّق بأمه ويقول : يا ربِّ ؛ سَلْ هـٰذه لِمَ قتلتني ؟ فيقول الله تعالىٰ : لِمَ قتلتيه وقد حرَّمتُ قتل النفس إلا بالحق ؟! يا ملائكتي ؛ سلِّموها لمالك خازن النار يحبسها في جُبِّ الأحزان ، فتُغَلُّ يدها إلىٰ عنقها ، ويوضع الطوق والسلسلة فيه ، وتُسحب إلى النار ، فيرميها مالك في جُبِّ الأحزان ، وفيه نار وسباع وزنابير وحيات وعقارب تنهش المعذَّبين ، وزبانية بأيديهم حراب من نار تطعن القاتلين) .

وأفتىٰ بعضُهم : بأنه لا يحلُّ للمرأة أن تستعمل دواءً يمنع الحبل .

واتفق العلماء علىٰ أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر ؛ أي : عقبها كما صرَّح به جماعة[1] ، فيتحرَّك الجنين بين نفخها وعشرة أيام بعده ، فتحسُّ أمُّه بحركته ؛ ولذا صارت عدَّة الوفاة أربعةَ أشهر وعشراً .

ونقل عن أهل التشريح : أنَّ الولد يتحرَّك لمثل ما يتخلق فيه ، ويوضع لمثل ما يتحرك فيه ، وتخلُّقه يختلف في العادة ؛ فتارةً يكون لشهر ، وتارة يكون لشهر وخمسة أيام ، وتارة يكون لشهر ونصف .

فإذا تخلَّق لشهر . . تحرَّك لشهرين ووضع لستة ، وإذا تخلَّق لشهر وخمسة أيام . . تحرَّك لشهرين وثلث ووضع لسبعة ، وإذا تخلَّق لشهر ونصف . . تحرَّك لثلاثة ووضع لتسعة ؛ ولذلك لا ينقص الحمل عن ستة ، ولا يعيش ابن ثمانية إلا كرامة ؛ كما وقع لسيدنا عيسىٰ عليه السلام ؛ فإنه ولد في الشهر الثامن .

وقال بعض الأطباء : إنَّ الولد عند استكمال سبعة أشهر يتحرَّك للخروج حركةً عنيفةً أقوىٰ من حركته في الشهر السادس ، فإن تهيَّأ له الخروج . . خرج وعاش ، وإن لم يتهيأ له الخروج . . استراح في البطن عقب تلك الحركة المضعفة له ، فتقلُّ

---

(١) لـٰكن يشكل عليه رواية مسلم في « صحيحه » (٢٦٤٣) ؛ وفيه : « ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك . . . » أي : في الأربعين الأولىٰ ، ورواية مسلم تؤيد ما ثبت مؤخراً علمياً من أن النفخ يكون في الأربعين الأولىٰ ، فليتنبه .

حركته في البطن في الشهر الثامن ولا يتحرَّك فيه للخروج ، فإن اتفق تحرُّكه للخروج وخرج . . فقد ضعف غاية الضعف ، فلا يعيش ؛ لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه ، ولو فرض أنَّه يعيش . . يكون معلولاً[1] .

(**ويُؤمَر**) بالبناء للمفعول ، وهو معطوف علىٰ (فيَنفخ) أي : يأمر الله الملَك (**بأربع كلمات**) أي : بكتابة أربع قضايا ، وهـٰذه الكتابة علىٰ جبهته أو بطن كفِّه ، أو في ورقة تعلَّق بعنقه ، قيل : ولا مانع من الكتابة على الثلاثة .

وظاهر هـٰذا الحديث : أنه يؤمر بهـٰذه الكتابة ابتداءً ، وليس كذلك ، بل إنَّما يُؤمر بها بعد أن يَسأل عنها بقوله : (يا رب ؛ ما الرزق ؟ ما الأجل ؟ ما العمل ؟ وهـٰذا شقي أو سعيد ؟) .

وقوله : (**بِكَتْب**) بكسر الباء الموحدة : بدل من قوله : (بأربع) ، و(كَتْب) مضاف ، وقوله : (**رزقِه**) بالجرِّ مضاف إليه .

والمراد بكتبه : كتب قدره قليلاً أو كثيراً ، وصفته حلالاً أو حراماً أو مكروهاً ، ومن أي جهة ، **وهو عند أهل السنة** : ما ساقه الله إلى الحيوان فانتفع به بالفعل مأكولاً أو غيره ؛ كملبوس ومركوب ومنكوح .

وقيل : إنه يتناول العلوم ونحوها ؛ **لأنَّ الرزق نوعان** : ظاهر للأبدان كالقوت ، وباطن للقلوب والنفوس كالعلوم والمعارف .

(**وأجله**) أي : قدره طويلاً أو قصيراً ، وفي أيِّ ساعة وأي موضع يكون انتهاؤه .

(**وعمله**) أي : بيانه صالحاً أو فاسداً .

(**وشقي أو سعيد**) مرفوعان على الخبرية لمبتدأ محذوف ، **والتقدير** : وهو شقي في الآخرة أو سعيد فيها ، **والمراد** : أنه يكتب لكل واحد إما الشقاوة وإما السعادة ، ولا يكتبان لواحد معاً .

---

(١) ذكره في « الفتوحات الوهبية » (ص٩٧ـ ٩٨) .

قيل : **لما حضرت عبد الرحمـٰن بن عوف الوفاة** . . **غُشي عليه** ، ثم أفاق فقال : (أتاني الساعةَ ملكان فقالا لي : قم نحاكمك بين يدي العزيز الحكيم ، ففزعت منهما ؛ فإذا بملَك ثالث قد نزل من السماء فقال : **خَلِّيا عنه** ؛ **فإنه كُتب في بطن أمه سعيداً**)[1] .

(**فوالذي لا إلـٰه غيره**) الفاء فصيحة واقعة في جواب شرط مقدر ، والواو للقسم ، و(الذي) صفة لمقسم به محذوف ، **والتقدير** : إذا كان كلٌّ من الشقاوة والسعادة مكتوباً . . فأقسم بالله الذي لا إلـٰه معبودٌ بحق غيرُهُ (**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة**) أي : بأن يأتي بالطاعات ويترك المنهيات .

(**حتىٰ ما يكون**) بالنصب والرفع فيه وفيما بعده[2] ، **والمعنىٰ** : إلىٰ ألاَّ يوجد (**بينه وبينها**) أي : الجنة (**إلاَّ ذراع**) زاد البخاري : (أو باع)[3] وهـٰذا كناية عن شدَّة القرب (**فيسبق**) أي : يغلب (**عليه الكتاب**) أي : مضمونه وحكمه الذي كتب له في بطن أمه (**فيعمل بعمل أهل النار**) وهو المعاصي كفراً كانت أو كبيرة (**فيدخلها**) أي : النار يوم القيامة ، ويفتح له في قبره طاقة منها ، **فالمراد** : مطلقُ مَنْ تغيَّر حالُه قبلَ موته ، **وهو قسمان** :

الأوَّل : من تغيَّر حاله بالكفر ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ وهـٰذا يتحتَّم دخوله النار ويخلد فيها .

والثاني : من تغيَّر حاله بمفسق ؛ كأن ارتكب كبيرةً ومات بلا توبة ، وهـٰذا يدخل النار إن لم تنله رحمة العزيز الغفَّار ، ولا يخلد فيها ، بل لا بدَّ من خروجه منها ودخوله الجنة .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٣٥٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٢٣٥) .

(٢) قوله : (**بالنصب والرفع**) أي : لأن الفعل يحتمل أن يكون مستقبلاً فيجب النصب ، أو مؤولاً بالحال فيجوز نصبه ورفعه ، قاله العلامة الشرنوبي . **اهـ مؤلف** .

(٣) صحيح البخاري (٦٥٩٤) .

(**وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع . . فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة**) بأن يتوب من ذنبه ؛ إما بالإسلام إن كان كافراً ، وإمَّا بالإقلاع والندامة وردِّ المظالم إن كان مسلماً عاصياً .

(**فيدخلها**) أي : الجنة بحكم القدر الجاري عليه ، فمن سبقت له السعادة . . صَرَفَ الله قلبه إلى الخير قبل موته ، ومن سبقت له الشقاوة والعياذ بالله تعالىٰ . . كان بعكسه .

[حكايتان في حسن الخاتمة وسوئها]

حكي : أنَّ رجلاً مسلماً كان يهوى امرأةً نصرانيةً ، فمرض مرض الموت ، فقال في نفسه : أنا أعشق هـٰذه ولم أجتمع بها في الدنيا ، وإن متُّ على الإسلام . . لم أجتمع بها في الآخرة ، فتنصَّر ومات على النصرانية ـ حفظنا الله من ذلك ـ ولما مرضت المرأة . . قالت : إنَّ فلاناً كان يهواني ولم يجتمع بي في الدنيا ، وأخشىٰ إن متُّ على النصرانية ألاَّ أجتمع به في الآخرة ، فأسلمت ، وماتت على الإسلام[1] .

وحكي : أنَّ رجلاً دخل بلاد الروم ، فرأىٰ جاريةً فافتتن بها فخطبها ، فأبوا أن يُزوِّجوه بها حتىٰ يتنصَّر ، فأجابهم إلىٰ ذلك ، فأحضروا له القسيسين وتنصَّر ، فخرجت الجارية وبصقت في وجهه وقالت : ويحك !! تركت دين الحق لشهوة ؟! فكيف لا أترك أنا دين الباطل لنعيم الأبد ؟! أنا أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله[2] .

ثم إن من لطف الله تعالىٰ وسَعة رحمته : أن انقلاب الناس من الشر إلى الخير كثير ، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر . . ففي غاية الندور ونهاية القلَّة ، ولا يكون إلا لمن أصرَّ على الكبائر .

---

(١) أوردها ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص٣١٥) .
(٢) أوردها ابن الجزري في « الزهر الفائح » (ص٣٣ـ ٣٤) .

[أسباب سوء الخاتمة]

وقال بعضهم : **الأسباب المقتضية لسوء الخاتمة** ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ **أربعةٌ** : التهاون بالصلاة ؛ أي : التكاسل عن فعلها ، وشرب الخمر ، وأذى المسلمين ، وعقوق الوالدين(١) .

وروي : أنَّ رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إن هٰهنا غلاماً قد احتضر ، فيُقال له : قل : لا إلٰه إلا الله ، فلا يستطيعُ أن يقولها !!

قال : « أليس كان يقولها في حياته ؟ » قالوا : بلىٰ .

قال : « فما منعه منها عند موته ؟! » .

فنهض النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه ، حتىٰ أتى الغلام فقال : « يا غلام ؛ قل : لا إلٰه إلا الله » . فقال : لا أستطيع أن أقولها .

قال : « ولِمَ ؟ » قال : لعقوق والدتي . قال : « أحيَّة هي ؟ » قال : نعم .

قال : « أرسلوا إليها » فأرسلوا إليها فجاءته ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبنك هو ؟ » قالت : نعم .

قال : « أرأيتِ لو أنَّ ناراً أُجِّجتْ فقيل لك : إن لم تشفعي فيه . . قذفناه في هٰذه النار ؟ » فقالت : إذاً كنت أشفع .

قال : « فأشهدي الله وأشهدينا بأنك قد رضيت » فقالت : قد رضيت عن ابني .

فقال : « يا غلام ؛ قل : لا إلٰه إلا الله » فقال : لا إلٰه إلا الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الحمد لله الذي أنقذه من النار** »(٢) .

---

(١) انظر « شرح الصدور » (ص٩٤) .

(٢) أخرجه مختصراً أحمد في « مسنده » (٤/٣٨٢) ، ومطولاً البيهقي في « الشعب » (٧٥٠٨) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه ، وانظر « تنزيه الشريعة » (٢/٢٩٦) .

[علامة الشقاوة وعلامة السعادة]

وفي الحديث : « علامة الشقاوة : جمود العين ـ أي : قلة دمعها ـ وقساوة القلب ، وحبُّ الدنيا ـ أي : الرغبة فيها والانهماك عليها ـ وطول الأمل »[١] أي : رجاء الإكثار من الإقامة في الدنيا .

وقال ذو النون المصري : (علامة السعادة : حبُّ الصالحين ، والدنوُّ منهم ، وتلاوة القرآن ، وسهر الليل ، ومجالسة العلماء ، ورقَّة القلب)[٢] .

وقيل : (علامة السعادة : أن تطيع الله ، وتخاف أن تكون مردوداً ، وعلامة الشقاوة : أن تعصيه وترجو أن تكون مقبولاً)[٣] .

خاتمة

[في الأمن من سلب الإيمان]

قال أبو إدريس الخولاني : (سألت السيد الخضر عليه الصلاة والسلام فقلت : يا نبيَّ الله ؛ أيُّ عمل إذا عمله العبد . . آمنه الله على الإيمان ؟

فقال لي : أدركتُ مئة ألف نبي وسألتهم عن استعمال شيءٍ يأمن العبد به من سلب الإيمان ، فلم يجبني أحد منهم ؛ حتى اجتمعتُ بمحمد صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك .

فقال : حتىٰ أسأل جبريل عن ذلك ، فسأله عن ذلك ، فقال : حتىٰ أسأل رب العزة عن ذلك ، فسأل ربَّ العزة عن ذلك ، فقال الله عز وجل : من واظب علىٰ قراءة آية الكرسي و﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ . . . ﴾ إلىٰ آخر السورة[٤] ، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ ، إلىٰ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٧٥) ، والبزار في « مسنده » (٦٤٤٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) أورده البروسوي في « تفسير روح البيان » (٣/ ٢١٩) .

(٣) أورده أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٤٦) من كلام أبي عثمان الحيري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) وهي بتمامها : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ =

قوله : ﴿ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ، و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ ، إلىٰ قوله : ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1] ، و« سورة الإخلاص » و« المعوِّذتين » و« الفاتحة » عقب كلِّ صلاة . . أمن من سلب الإيمان)[2] .

وقال الحكيم الترمذي : (رأيت رب العزة ألف مرة ، فقلت : يا ربِّ ؛ إني أخاف من زوال الإيمان ، فأمرني بقراءة هٰذا الدعاء بين سنَّة الفجر وفريضته ، وهو هٰذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم ؛ بحرمة الحسين وأخيه ، وجده وأبيه ، وأمه وبنيه . . نجِّني من الغمِّ الذي أنا فيه ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام ؛ أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك ، يا الله يا الله يا الله ، يا أرحم الراحمين) .

وذكر في « حياة الحيوان » : (أنَّ من صلَّىٰ بعد سُنَّة المغرب ركعتين كلَّ ليلةٍ ، يقرأ في كلِّ ركعة « فاتحة الكتاب » وآية الكرسي ، و« قل هو الله أحد » و« المعوذتين » ، فإذا سلَّم منهما . . صلَّىٰ على النبي صلى الله عليه وسلم عشراً ، وقال ثلاثاً : **اللهم** ؛ إني أستودعك ديني فاحْفظه عليَّ في حياتي وعند مماتي وبعد وفاتي . . **أَمِنَ من سوء الخاتمة**)[3] .

= بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

(١) **الأولى هي** : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ .

والثانية : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

(٢) أوردها السيد البكري في « إعانة الطالبين » (١/ ١٧٧ـ ١٧٨) نقلاً عن الشيخ الشعراني في كتابه « الدلالة على الله » .

(٣) حياة الحيوان (١/ ١٤٢) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قال : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، اللهم ؛ اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلـٰه إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك . . كتب بِرَقٍّ ـ أي : فيه ـ ثم طُبع بطابع فلم يكسر إلىٰ يوم القيامة »[1] أي : لم يتطرق إليه إبطال .

قال العلماء رضي الله تعالىٰ عنهم : وهـٰذا يدلُّ علىٰ أن قائل ذلك يموت على الإيمان ؛ إذ صريحه عدم تطرُّق البطلان له أصلاً ، ولو مات كافراً . . لتطرَّق إليه ؛ وحينئذٍ : فيتأكد قول ذلك ؛ حرصاً علىٰ هـٰذه البشارة ويا لها من بشارة !!

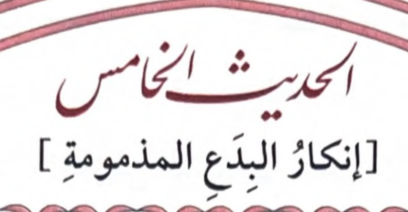
ثم إن هـٰذا الحديث حديثٌ عظيم ، جامع لجميع أحوال الشخص ؛ إذ فيه بيان حال مبدئه وهو خلقه ، وحال معاده وهو السعادة أو الشقاوة ، وما بينهما وهو الأجل ، وما يتصرف فيه وهو الرزق .

(رواه البخاري ومسلم) في « صحيحيهما » رحمهما الله تعالىٰ ونفعنا بهما .

❋ ❋ ❋

---

(١) سياق المؤلف رحمه الله تعالىٰ مجموع حديثين : أخرج الأوَّل منهما إلىٰ قوله : « المتطهرين » الترمذي (٥٥) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ وفيه : « فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء » ، والثاني : أخرجه الحاكم في « المستدرك » (١/٥٦٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٨٣) موقوفاً .



[إنكارُ البِدَعِ المذمومةِ]

عَنْ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ ٱللهِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَـٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ . . فَهُوَ رَدٌّ » رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[1] .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا . . فَهُوَ رَدٌّ »[2] .

[من ترجمة سيدتنا عائشة رضي الله عنها]

(عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله تعالىٰ عنها) هي الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق رضي الله تعالىٰ عنه ، وكنيت بأم المؤمنين ؛ لأنها من أزواجه عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾ أي : منزلاتٌ منزلَتهن في الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح ، دون جواز الخلوة والنظر وتحريم البنات .

وقيل لها : أم عبد الله ، مع أن الأصح أنها لم تلد ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كنَّاها بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير لما سألته أن يكنيها ، ولعل السبب في تكنيتها به : ما بينها وبينه من شدة العلاقة والمودة والرحمة والمحرمية ، وكونه أحبَّ الأسماء إلى الله تعالىٰ .

وكانت رضي الله تعالىٰ عنها أحبّ نسائه إليه صلى الله عليه وسلم بعد خديجة

---

(١) صحيح البخاري (٢٦٩٧) ، صحيح مسلم (١٧١٨) .

(٢) صحيح مسلم (١٨/١٧١٨) .

رضي الله تعالىٰ عنها ، وفي التفضيل بينهما خلاف ، **والأصح** : أنَّ خديجة أفضل ثم عائشة ، وبعدها زينب بنت جحش ، ثم حفصة ، وبقية نسائه سواء ، **والمتفق عليه** : أنّهن كُنَّ إحدىٰ عشرة ، مات في حياته منهن اثنتان : خديجة وزينب بنت خزيمة ، وتوفي عن الباقي ، ونظمهن المقدسي فقال : [من الطويل]

تـوفِّـيْ رسـولُ اللهِ عـنْ تسعِ نسوةٍ إليهـنَّ تُعزَى المكرمـاتُ وتُنْسَـبُ
فعـائشـةٌ ميمـونـةٌ وصفيَّـةٌ وحفصـةُ تتلـوهـنَّ هنـدٌ وزينـبُ
جـويـريـةٌ مـعْ رملـةٍ ثـمَّ سـودةٌ ثـلاثٌ وسـتٌّ ذكـرهـنَّ مهـذَّبُ

ولم يتزوَّج صلى الله عليه وسلم منهن بكراً غير عائشة ، وهي أول امرأة عقد عليها بعد موت خديجة ، وكان ذلك بمكة ، وهي بنت ست أو سبع ، ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع أو عشر .

روي : أنه لما ماتت السيدة خديجة . . اغتمَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فجاءه جبريل عليه السلام بورقة من الجنة منقوش عليها صورة السيدة عائشة ، وقال : يا محمد ؛ إنَّ الله تعالىٰ يقرئك السلام ويقول : **إنِّي زوَّجتك البكر التي تُشْبه هـٰذه الصورة في السماء** ، فتزوجْها أنت في الأرض .

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الخطَّابة وقال لها : « هل تعرفين في مكة بكراً تشبه هـٰذه الصورة ؟ » .

قالت : نعم ، بنت أبي بكر تشبهها ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وقال له : « إنَّ لك بنتاً تشبه هـٰذه تسمىٰ عائشة ، **زوَّجَني الله تعالىٰ بها في السماء** ، وأَمَرَكَ أن تزوِّجَني بها في الأرض » .

فقال : يا رسول الله ؛ إنها صغيرة لا تصلح لك .

قال : « **لو لم تكن صالحة . . لَمَا زوَّجني الله تعالىٰ بها** » فعقد النكاح ، ورجع أبو بكر إلىٰ منزله ، وأرسل مع عائشة طبقاً من تمر ، وقال لها : اذهبي بهـٰذا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولي له : يا رسول الله ؛ هـٰذا الذي ذكرته لأبي ،

إن كان يصلح لك . . فمبارك عليك ، فمضتْ وهي تظنّ أنّ أبا بكر يقصد التمر ، فدخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلَّغته الرسالة .

فقال : « **قبلنا يا عائشة ، قبلنا** » وجذب طرف ثوبها ، فنظرت إليه مغضبة وذهبت ، فدخلت علىٰ أبيها فأخبرته بما وقع ، فقال : يا بنية ؛ لا تظني برسول الله صلى الله عليه وسلم ظنّ سوء ؛ إنّ الله تعالىٰ قد زوَّجكِ به ، وإنِّي قد زوَّجتكِ منه ، قالت : فما فرحتُ بشيءٍ أشدَّ من فرحي بقول أبي بكر : قد زوجتكِ منه[1] .

ويقال : (**إنَّ أول حب وقع في الإسلام** : حب النبي صلى الله عليه وسلم لها)[2] .

وكانت رضي الله تعالىٰ عنها صائمة الدهر[3] ، صاحبة كرم وزهد .

بعث لها معاوية رضي الله عنه طوقاً من ذهب فيه جوهر قيمته مئة ألف ، فقسَّمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم[4] .

وبعث لها عبد الله بن الزبير مالاً في غِرارتين نحو ثمانين ومئة ألف ، ففرَّقته على الناس ، وأمست وهي صائمة وما عندها درهم ، وأفطرت بخبز وزيت ، فقيل لها : هلا أبقيت درهماً فتشتري به لحماً ؟ فقالت : (**لو ذكرت . . لفعلت**)[5] .

وكانت رضي الله تعالىٰ عنها فقيهةً عالمةً حافظةً فصيحة .

طلب منها معاوية رضي الله تعالىٰ عنه أن ترسل إليه كتاباً توصيه فيه ولا تكثر ، فكتبت : (من عائشة إلىٰ معاوية ، سلام عليك ، **أما بعد** : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **من التمس رضا الناس بسخط الله** . . وَكَلَهُ الله إلى

---

(١) أورد هـٰذا الخبر الصفوري في « نزهة المجالس » (٢/ ١٧٠) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/ ٤٤) من قول سيدنا أنسٍ رضي الله عنه .

(٣) أخرج الحارث في « مسنده » (٩٩٦) عن ضمرة بن حبيب رحمه الله : أن عائشة ذُكرتْ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « دعوا عائشة فإنها صوامة قوامة ، زوجتي في الدنيا وزوجتي في الآخرة » .

(٤) أخرجه هناد في « الزهد » (٦١٨) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٤٧) ، وهناد في « الزهد » (٦١٩) .

الناس ، **ومن التمس رضا الله بسخطهم** . . كفاه الله مؤونة الناس » والسلام عليك)[1] .

وكتبت له مرة أخرىٰ : (**أمَّا بعد** : فاتَّق الله ؛ فإنك إن اتَّقيت الله . . كفاك الناس ، وإن اتقيتهم . . لم يغنوا عنك من الله شيئاً ، والسلام)[2] .

وقد ورد فيها : « خذوا نصفَ دينكم عن هـٰذه الحميراء »[3] تصغير حمراء .

وقال أبو موسىٰ : (ما أشكل علينا حديث قطُّ فسألنا عنه عائشة . . إلاَّ وجدنا عندها منه علماً)[4] .

وقيل : (إن الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسألونها عن الفرائض)[5] .

وقال الزهري : (لو جمع علم عائشة إلىٰ علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع النساء . . كان علم عائشة أكثر)[6] .

روي لها ألف حديث ومئتا حديث وعشرة أحاديث[7] ، وماتت وعمرها ست وستون سنة ، ودفنت بالبقيع ، نفعنا الله تعالىٰ بها[8] .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٤) ؛ **ولفظه** : « من التمس رضا الله بسخط الناس . . كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله . . وكله الله إلى الناس » .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٩١) .

(٣) قال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٢/ ١٦٧) : (وقد قيل : **إن كل حديث فيه** : « يا حميراء » . . **لم يصح** ، وأوهىٰ ذلك : تشميس الماء ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لها : « لا تفعلي يا حميراء ؛ فإنه يورث البرص » فإنه خبر موضوع) ، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « موافقة الخبر » (١/ ١٤٩) عن هـٰذا الحديث : (لا أعرف له إسناداً ، ولا رواية في شيء من كتب الحديث إلا في « النهاية » لابن الأثير ، ولم يذكر من خرجه) .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٨٣) .

(٥) أخرجه الدارمي في « سننه » (٢٨٥٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣١٦٨٤) .

(٦) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣/ ١٨٤) .

(٧) قوله : (**ألف**) كذا هو بالإفراد في عبارة الجماعة ، وفي عبارة الآخرين بالتثنية ، فليحرر . **اهـ مؤلف** .

(٨) انظر ترجمتها في « الاستيعاب » (ص٩١٨) ، و« أسد الغابة » (٧/ ١٨٨) ، و« الإصابة » (٤/ ٣٤٨) .

(قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحدث) أي : أنشأ واخترع من قِبَلِ نفسه أمراً حادثاً ؛ أي : لم يكن موجوداً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهو المسمىٰ بالبدعة (في أمرنا) أي : شأننا الذي نحن عليه وهو دين الإسلام كما جاء في روايةٍ : (في ديننا)[1] .

وأشار إليه بقوله : (هـٰذا) تنزيلاً له منزلة المحسوس المشاهد ؛ تعظيماً له .

وقوله : (ما ليس منه) أي : ليس من أمرنا ؛ بأن كان ينافيه ، أو ليس له مستندٌ من أدلة الشرع . . (فهو ردٌّ) أي : مردودٌ لا يعتدُّ به (رواه البخاري ومسلم) .

(وفي رواية لمسلم : من عمل عملاً) أي : أحدثه هو أو غيره (ليس عليه أمرنا) أي : حكمنا وإذننا ؛ بأن كان غير مستندٍ إلىٰ دليلٍ شرعي . . (فهو ردٌّ) أي : مردود كما مرَّ .

وأتى المصنف بهـٰذه الرواية؛ لأنها تفيد : أن كل عملٍ لم يكن علىٰ أمر الشارع . . فهو مردود ، وفاعله آثم ؛ سواء كان مُحْدِثاً له أو مسبوقاً به ، فهي أعم مما قبلها .

[تقسيم البدعة إلىٰ مكروهة ومحرمة]

ثم إن هـٰذا الحديث قاعدةٌ عظيمة من قواعد الإسلام ، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، وفيه التحذير من البدع والمخترعات المذمومة مكروهةً كانت أو محرَّمة .

فمن الأولىٰ : زخرفة المساجد ، وتزويق المصاحف ، والتزام القبور وما عليها من نحو تابوت ، وشرب الدخان المعروف ، وأوَّل حدوثه كان في بلاد الإنكليز ، ثم انتشر في بلاد الإسلام بعد الألف بخمس سنين أو عشر ، ولم يجلبه الإنكليز لبلاد الإسلام إلا بعد أن اجتمع أطباؤهم علىٰ منعهم من الملازمة عليه ، وألا يستعملوا منه إلا القدر الذي لا ضرر فيه .

---

(١) أوردها الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » (ص١٧٦) .

وقيل : إنهم شرَّحُوا رجلاً بعد موته كان ملازماً علىٰ شربه ، فوجدوه سارياً في عروقه وعصبه ، حتىٰ إن مخ عظامه قد اسودَّ ، ووجدوا قلبه مثل السفنجة اليابسة ، وكبده محروقاً كأنه شوي على النار ، ومن ذلك الوقت منعوا من المداومة عليه ، وأمروا ببيعه للمسلمين ؛ ليضرَّهم في الآجل ؛ **ولذا نقل عن بعض العلماء أنه قال بتحريمه** ، فالاحتياط المنع من شربه[1] .

ومن أمثلة الثانية ـ وهي المحرمة ـ : المكوس[2] ، والاشتغال بمذهب أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة ، والتقرُّب إلى الله تعالىٰ بآلة اللهو كالكاس والمزمار ، وترك الحدود الشرعية وإبدالها بعقوبات أخرىٰ مالية أو بدنية ، وبيع الخمر والكلب والخنزير ، وأكل الحشيشة المعروفة وشربها ، **وكان حدوثها في أواخر المئة السابعة** ، وذكر العلماء أن فيها مئة وعشرين مَضَرَّةً دينية وأخروية .

واعلم : أنَّ من أحدث بدعة محرمة . . كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها إلىٰ يوم القيامة ؛ كما أن من سنَّ سنة حسنة . . فله أجرها وأجر من يعمل بها إلىٰ يوم القيامة[3] .

وأخرج ابن ماجه عن حذيفة مرفوعاً : « **لا يقبل اللهُ لصاحب بِدْعَةٍ** : صلاةً ولا صوماً ولا صدقةً ، ولا حَجّاً ولا عُمْرَةً ، ولا جهاداً ولا صَرْفاً ولا عدلاً ـ أي : لا فرضاً ولا سُنَّة ـ يخرجُ من الدّين كما تخرج الشعرة من العجين »[4] .

وكان السلف الصالح ينكرون البدعة المباحة ؛ فضلاً عن المحرَّمة والمكروهة[5] .

---

(١) هـٰذا قبل تيقن ضرره ، **أما وقد ثبت ضرره . . فلا خلاف في تحريمه** .

(٢) **المكوس** : نوع من الضرائب يؤخذ من التجار .

(٣) أخرج مسلم (١٠١٧) عن سيدنا جرير بن عبد الله رضي الله عنه نحوه .

(٤) سنن ابن ماجه (٤٩) .

(٥) **اعلم** : أن البدعة تعتريها الأحكام الخمسة ؛ **فتارة تكون واجبة** : كضبط المصاحف والشرائع إذا خيف عليها الضياع ، **وتارة تكون محرمة** : كالمكوس وسائر المحدثات المنافية للقواعد الشرعية ، **وتارة تكون مندوبة** : كصلاة التراويح جماعة ؛ ولذلك قال سيدنا عمر رضي الله عنه في التراويح : (نعمت البدعة =

حكي : أنَّ أبا يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة حضر مائدة الخليفة هارون الرشيد ، فطلب الملاعق ، فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ قد قال جدك ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ : (أي : جعلنا لهم أصابع يأكلون بها ، ولم نجعلهم كالدواب تأكل بأفواهها) ، فأبىٰ إلا أن يأكل بالملاعق ، وقيل : إنه ردَّها وأكل بأصابعه[1] .

وما أحسن قول بعض علماء الأندلس : (**ثلاث بهن خير الدنيا والآخرة** : اتبع ولا تبتدع ، اتضع ولا ترتفع ، من ورع لا يتسع)[2] .

❋ ❋ ❋

= هي) ، **وتارة تكون مكروهة** : كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف ، **وتارة تكون مباحة** : كاتخاذ المناخل للدقيق ؛ ففي الآثار : (**إن أول شيء أحدثته الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم** : اتخاذ المناخل) وإنما كانت مباحة ؛ لأن لين العيش وإصلاحه من المباحات ، فوسائله مباحة . اهـ « تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد » (ص ٣٤٣) .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ : (**المحدثات ضربان** : ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً . . **فهٰذه بدعة الضلال** ، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك . . **فهٰذه محدثة غير مذمومة**) انظر « فتح الباري » (١٣/ ٢٥٣) .

(١) أوردها الإمام الرازي في « تفسيره » (٢١/ ١٢ـ ١٣) .

(٢) انظر « نفح الطيب » (٥/ ٣٠٩) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص ١١١) .

الحديث السّادس

[الابتعادُ عنِ الشُّبهاتِ]

عَنْ أَبِي عَبْدِ ٱللهِ **ٱلنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ** رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ ٱلْحَلاَلَ بَيِّنٌ ، وَإِنَّ ٱلْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبَهَاتٌ ، لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ ، فَمَنِ ٱتَّقَى ٱلشُّبُهَاتِ . . فَقَدِ ٱسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي ٱلشُّبُهَاتِ . . وَقَعَ فِي ٱلْحَرَامِ ؛ كَٱلرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ ٱلْحِمَىٰ ، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً ، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى ٱللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلاَ وَإِنَّ فِي ٱلْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ . . صَلَحَ ٱلْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ . . فَسَدَ ٱلْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ ٱلْقَلْبُ » **رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ**[1] .

[من ترجمة سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما]

(**عن أبي عبد الله النعمان**) بضم النون الأولىٰ (**بن بشير**) بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة (**رضي الله عنهما**) .

وُلد النعمان هـٰذا علىٰ رأس أربعةَ عشرَ شهراً من الهجرة ، وحملته أمُّه إلى المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، فطلب تمرةً فمضغها ، ثم وضعها في فمه .

وهو أول مولود ولد للأنصار بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة[2] .

ومات صلى الله عليه وسلم وعمره ثمان سنين وسبعة أشهر ؛ فقد تحمّل الحديث

---

(١) صحيح البخاري (٥٢) ، صحيح مسلم (١٥٩٩) .
(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٦٢/١١٨) .

وهو صغير ، وأدَّاه بعد بلوغه[1] ، وولي إمارة الكوفة وقضاء دمشق وحمص .

وكان من أخطب الناس ، ومن خطبه :

(إنَّ للشيطان مصايد وفخوخاً ، وإن من مصايده وفخوخه البطر بنعم الله[2] ، والفخر بعطاء الله ، والكبر علىٰ عباد الله ، واتِّباع الهوىٰ في غير ذات الله)[3] .

روي له مئة حديث وأربعة عشر حديثاً ، وقُتِل غِيلةً ـ أي : بحيلة ـ سنة أربع أو خمس أو ست وستين ، وله أربع وستون سنة ، وكان قتله مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم لأمه حين طلبت منه أن يدعو له بكثرة ماله وولده : « أما ترضين أن يعيش حميداً ، ويقتل شهيداً ، ويدخل الجنة ؟ »[4] .

(**قال**) نفعنا الله تعالىٰ به : (**سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول** : **إن الحلال بيِّن**) أي : ظاهر متضح لا يخفىٰ حله ، **وهو عند الشافعي ومالك** : ما لم يَرِدْ دليل بتحريمه ؛ بأن ورد دليل بحلِّه ، أو لم يرد دليل لا بحلِّه ولا بحرمته ؛ كشرب القهوة والدخان[5] .

وعن أبي حنيفة : أنه ما ورد دليل بحلِّه ، فهو أخصُّ مما قبله لخروج المسكوت

---

(١) أخرج البخاري (٢٦٥٠) ، ومسلم (١٣/١٦٢٣) واللفظ له عن سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : تصدَّق عليَّ أبي ببعض ماله ، فقالت أمي عمرة بنت رواحة : لا أرضىٰ حتىٰ تُشهِد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ليُشهده علىٰ صدقتي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أفعلت هـٰذا بولدك كلهم ؟!** » قال : لا . قال : « **اتقوا الله ، واعدلوا في أولادكم** » فرجع أبي فردَّ تلك الصدقة .

(٢) قوله : (**البطر**) أي : الطغيان . **اهـ مؤلف** .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢/ ١٢٤) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢/ ١٢٠) ، وقال في « الاستيعاب » (ص ٩٢٢) : (عمرة بنت رواحة ، أخت عبد الله بن رواحة ، زوجة بشير بن سعد الأنصاري ، وأم النعمان بن بشير رضي الله عنهم ، لما ولدت النعمان بن بشير حملته إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بتمرة فمضغها ثم ألقاها في فيه ، فحنكه بها ، فقالت : يا رسول الله ؛ ادع الله أن يكثر ماله وولده . فقال : « **أما ترضين أن يعيش كما عاش خاله حميداً ، وقُتل شهيداً ، ودخل الجنة ؟** ») . وانظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص٧٢٣) ، و« أسد الغابة » (٥/ ٣٢٦) ، و« الإصابة » (٣/ ٥٢٩) .

(٥) لـٰكن لما ثبت ضرره.. دخل تحت قاعدة : (**لا ضرر ولا ضرار**) .

عنه ؛ فهو حرام عنده ، لٰكن **الصحيح في مذهبه** : موافقة ما قاله الشافعي ومالك وهو الحلُّ .

[أحكام أخذ الشيء والاستيلاء عليه]

واعلم : أنَّ أخذ الشيء والاستيلاء عليه : إما أن يكون بغير اختيار ، وإما أن يكون باختيار ؛ **فالذي بغير اختيار** : كالإرث .

والذي باختيار : إما أن يكون من غير مالك ، وإما أن يكون من مالك ؛ **فالذي من غير مالك** : كالأشياء المباحة التي لم يَسبِق عليها ملْك ؛ كثمار الجبال والبراري وحشيشها .

والذي يكون من مالك : إما أن يؤخذ كرهاً ، وإما أن يؤخذ بالتراضي ؛ **فالمأخوذ كرهاً** : كالغنائم وكالزكوات ، والنفقات الواجبات من الممتنعين عن دفعها .

والمأخوذ بالتراضي : إما أن **يؤخذ بعوض** : كالبيع والصداق ، **وإما بغير عوض** : كالهبة والصدقة ، وجميع هٰذه الأشياء حلال إذا رُوعي في تحصيلها شروط الشرع المذكورة في كتب الفقه .

(**وإن الحرام بيِّن**) أي : ظاهر غير خفي ؛ وهو ما منع من تعاطيه دليل **علىٰ مذهب الشافعي ومالك** ، فهو ما نصَّ الله أو رسوله أو أجمع المسلمون علىٰ تحريمه .

وعن أبي حنيفة : ما لم يرد دليل بحلِّه ، فهو أعم مما قبله ؛ لدخول المسكوت عنه ، **والصحيح في مذهبه** : أنه ما دل الدليل علىٰ حرمته والمنع منه ، فهو موافق لمذهب الشافعي ومالك .

ثم إن منع الشارع منه : **إما لمفسدةٍ فيه ظاهرة** ؛ كالمسكرات ، **أو خفية** ؛ كالزنا .

وإما لمضرة فيه ظاهرة ؛ كالسُّمِّيَّات ، أو خفية ؛ كلحم ما لا يؤكل ومذكَّى المجوس ، وإما لخلل في تحصيله ؛ كالمأخوذ بالغصب أو السرقة ، أو العقد الفاسد أو المعاطاة ـ وهي أن يتراضيا بغير صيغة شرعية ـ وهي محرمة في الحقير وغيره .

وقيل : ينعقد البيع بها في كل ما يعده الناس بها بيعاً ، وقيل : في المحقرات فقط ؛ كرغيف عيش ونحوه .

وذهب المالكية والحنفية إلى انعقاد البيع بها في الحقير وغيره .

ونقل عن الغزالي : (أن الحرام كله خبيث ؛ ولـٰكن بعضه أخبث من بعض)[(١)] .

فليس المأخوذ بالمعاطاة كالمأخوذ بالغصب ، بل المغصوب أغلظ ؛ إذ فيه ترك طريق الشرع وإيذاء الغير ، وليس في المعاطاة إلا الأول ، ودرجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذىٰ ـ بفتح الذال المعجمة ـ فالمأخوذ ظلماً من فقير أو صالح أو يتيم . . أخبث وأغلظ من المأخوذ من غني أو فاسق أو قوي .

وفي الحديث : « إن الله تعالىٰ ملَكاً علىٰ بيت المقدس ينادي كل ليلة : من أكل حراماً . . لم يُقبل منه صرف ـ أي : نافلة[(٢)] ـ ولا عدل »[(٣)] أي : فريضة .

[اتقاء الشبهات]

(وبينهما) أي : بين الحلال والحرام الواضحَينِ (أمورٌ مشتبهات) أي : غير واضحات الحل والحرمة ، والمراد : أنها تشتبه علىٰ بعض الناس دون بعض ؛ ولذا قال : (لا يعلمهن) أي : لا يعرف حكمهن من التحليل والتحريم (كثير من

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/٣٦٦) .

(٢) قوله : (أي : نافلة . . . إلخ) : فسَّر هنا الصرف بالنافلة ، والعدل بالفريضة ، وتقدم تفسيرهما بعكس ذلك ، وكلٌّ صحيح ؛ كما في « القاموس » فراجعه . اهـ مؤلف .

(٣) أورده الإمام أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/٢٨٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً ، وفي معناه : ما رواه الديلمي كما في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٥٨٥٣) : « من أكل لقمةً من حرام . . لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، ولم يستجب له دعوة أربعين صباحاً » .

الناس) بل الذي يعرف ذلك قليل ؛ وهم العلماء الراسخون في العلم ، وإذا عرفوا حكم شيء . . اتبعوا فيه ؛ فإن لم يظهر لهم شيء : بأن تعارض لهم دليلان في شيء ولم يظهر لهم ترجيح أحدهما . . فالمختار التوقف فيه ، وإذا كان الدليل غير خال عن الاحتمال . . فالورع تركه .

(فمن اتقى الشبهات) أي : تحرَّز عنها وتركها ، والمراد بها : المشتبهات . . (فقد استبرأ) بالهمز وتركه ؛ أي : حصل البراءة (لدينه) عن النقص (وعِرضه) من الطعن فيه .

واعلم : أنَّ من أتىٰ شيئاً يظنُّه الناس شبهة وهو يعلم أنه حلال . . فلا حرج عليه من الله في ذلك ؛ ولـٰكن إذا خشي من طعن الناس فيه بسبب ذلك . . كان تركه حينئذ حسناً ؛ استبراء لعرضه .

وقال بعضهم : يستحب لكل من ارتكب ما يدعو الناس إلى الوقيعة فيه أن يستر علىٰ نفسه ؛ كمن أحدث في صلاته ، أو وهو منتظر إقامتها لا سيما مع قرب الزمان . . فيستحب له أن يأخذ بأنفه ثم ينصرف موهماً أنه رعف ؛ ستراً علىٰ نفسه لئلا يخوض الناس فيه[1] .

وجاء : أن أنساً رضي الله تعالىٰ عنه خرج لصلاة الجمعة ، فرأى الناس راجعين منها ، فدخل محلاً لا يرونه وقال : (من لا يستحي من الناس . . لا يستحي من الله)[2] .

[لا تقف مواقف التهم]

وقال بعض السلف : (من عرَّض نفسه للتُّهم . . فلا يلومنَّ من أساء به الظن)[3] .

---

(١) انظر « تسهيل المقاصد لزوار المساجد » (ص٥٦٨) ، و« نهاية المحتاج » (٢/ ١٦) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٧١٥٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه مرفوعاً ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٥٤٣٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩/ ٣٣٢) من قول سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٧/ ١٥٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٩٢) من كلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وروي : أن السيدة صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها جاءت إليه تزوره وهو معتكف في المسجد ، فتحدَّثا ثم قامت إلىٰ منزلها ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها ، حتىٰ إذا بلغت باب المسجد . . مرَّ رجلان فسلَّما علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا رأياه ، واستحيا فرجعا مسرعَينِ ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : « امشيا علىٰ رِسْلكما ـ بكسر الراء وسكون المهملة ؛ أي : علىٰ هِينتكما ـ فليس شيئاً تكرهانه ؛ إنما هي صفية » .

فشق عليهما ذلك ، وقالا : سبحان الله !! وهل نظنُّ بك إلا خيراً ؟!

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أقول لكما هـٰذا أن تكونا تظنان شراً ، ولـٰكن قد علمت أنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ـ أي : يتمكَّن من إغوائه وإضلاله تمكناً تاماً ـ وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرّاً ؛ **فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فلا يقفنَّ مواقف التهم** »[1] .

ويُؤخذ من ذلك : طلب التحرُّز مما يُتوهم منه نسبة الإنسان إلىٰ ما لا ينبغي ، وهو متأكد في حق العلماء ومن يُقتدىٰ بهم ، فلا ينبغي لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب ظنَّ السوء بهم وإن كان لهم مخلص ؛ لأنَّ ذلك سبب إلىٰ إبطال الانتفاع بعلمهم .

(**ومن وقع في الشبهات**) بأن لم يترك فعلها . . (**وقع في الحرام**) المحض ، أو قارب أن يقع فيه ؛ يعني : أن من أكثر من تعاطي الشبهات . . صادف الحرام وهو لا يشعر به .

وقيل : **المعنىٰ** : أنه يعتاد التساهل في ارتكابها ويتمرَّن عليه ، ويتجاسر علىٰ فعل شبهةٍ ثم شبهةٍ أغلظ منها ، ثم أغلظ وهـٰكذا حتىٰ يقع في الحرام عمداً ، وربما استولت عليه الذنوب وأخذت بمجامع قلبه ، فيصير بطبعه مائلاً إليها ، مستحسناً إياها ، ظاناً أنه لا لذة سواها ؛ وحينئذ يُبغِض من يمنعه عنها ، ويُعرِض عمن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٥) ، ومسلم (٢١٧٥) .

ينصحه فيها ، وقد قيل : الصغيرة تجر الكبيرة ، وهي تجر الكفر ، نسأل الله السلامة[1] .

ويدل لذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ ﴾ أي : تدرَّجوا بالمعاصي إلىٰ قتلهم .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده »[2] أي : يتدرَّج منهما إلىٰ نصاب السرقة فتقطع يده .

[الذنوب كالطين من وقع فيه خاض]

وحكي عن هشام : أنه قال : كنت أمشي خلف العلاء[3] ، فكان يتوقَّى الطين ، فدفعه إنسان فوقعت رجله في الطين فخاضه ، فلما وصل إلى الباب . . قال لي : رأيت يا هشام ؟ قلت : نعم ، قال : **كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب ، فإذا وقع فيها . . خاضها**[4] .

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم مثَّل لما ذكره بقوله : (**كالراعي**) أي : هو ـ أي : حاله ـ كحال الراعي الذي هو حافظ الحيوان (**يرعىٰ**) مواشيَه (**حول**) يعني : جانب (**الحمىٰ**) أي : المكان المحمي ، **والمراد به** : موضع الكلأ الذي منع منه الغير ، وتُوُعِّد مَنْ رعىٰ فيه .

(**يُوشِك**) بضم الياء وكسر الشين المعجمة ؛ أي : يسرع ويقرب (**أن يَرْتَع**)

---

(١) قال العلامة المناوي رحمه الله تعالىٰ في « فيض القدير » (٢/ ١٣٢) : (إن القلب إذا امتلأ من الخوف . . أحجمت الأعضاء جميعها عن ارتكاب المعاصي ، وبقدر قلة الخوف يكون الهجوم على المعاصي ، فإذا قلَّ الخوف جداً ، واستولت الغفلة . . كان ذلك من علامة الشقاء ؛ ومن ثَمَّ قالوا : **المعاصي بريد الكفر** ؛ كما أن القُبلة بريد الجماع ، والغِناء بريد الزنا ، والنظر بريد العشق ، والمرض بريد الموت ، وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالعقل والبدن والدنيا والآخرة ما لا يحصيه أحدٌ إلا الله) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٣) ، ومسلم (١٦٨٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) **هو العلاء** بن زياد العدوي ، **وهشام** : هو هشام بن حسان الراوي عن العلاء رحمهما الله تعالىٰ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٤٥) .

بفتح الياء والتاء ، وفي نسخة : (يقع) (فيه) أي : المحمي ؛ أي : تدخله الماشية وتأكل منه ، ووجه هٰذا التمثيل : أن الراعي يجره رعيُه حول الحمىٰ إلىٰ وقوعه فيه فيستحق العقاب . . فكذلك المكثر من الشبهات ينجر إلىٰ فعل الحرام فيستحق العقاب بسبب ذلك .

(ألا) هي للتنبيه ، أتىٰ بها إشارة إلىٰ أن ما بعدها أمر ينبغي التنبيه له ، والجملة بعدها معطوفة علىٰ مقدَّرٍ بعدها ؛ أي : ألا إن الأمر كما ذكر (وإن لكل مَلِكٍ) بكسر اللام من ملوك العرب (حمىً) يتحجره لرعي خيله أو غير ذلك من مصالحه ، ويوقع العقوبة علىٰ من دخله ، ومن احتاط لنفسه . . لا يقرب منه خوفاً من الوقوع فيه .

ومن ذلك : ما حكي أن كليباً كان إذا مرَّ بمرعىً وأعجبه . . حماه ، وعلامة ذلك أن يأخذَ جرواً فيقطع أذنه وذنبه ، ويتركه في ذلك المكان ينبح ، فإذا سمعتِ العرب نباحه . . تجنَّبت ذلك المرعىٰ ؛ خوفاً من حصول العقوبة لهم[1] .

(ألا وإن حمى الله محارمه) أي : معاصيه التي حرمها ، فمن دخل حماه بارتكاب شيء من المعاصي . . فقد استحق العقوبة ، ومن قاربه . . يوشك أن يقع فيه .

فينبغي للعاقل : أن يتباعد عن المحرمات كل التباعد ، وأن يجعل بينه وبينها حاجزاً ؛ خوفاً من الوقوع فيها فتحل عليه العقوبة .

حكي عن الجنيد نفعنا الله تعالىٰ به : أنه دخل مغارةً في ليلة شاتية وكان معه حمارة ، فأخرجها من المغارة وقال : مغارة وحمارة ، وليلة مطَّارة ونفسٌ أمارة ؟!

وحكي أن الشبلي رضي الله تعالىٰ عنه : دخل مرّةً خرابةً فرأىٰ فيها حمارة ، فصاح بأعلىٰ صوته : الحقوني ؛ فإني أخاف أن ينهض بي الشيطان ؛ أي : يسرع إليَّ[2] .

---

(١) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص١١٦) .

(٢) أوردها الشعراني في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ١٠٠) .

(**ألا وإن في الجسد مضغة**) أي : قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغ (**إذا صلَحت**) بفتح اللام ؛ أي : بالإيمان والعلم والعرفان . . (**صلَح الجسد كله**) أي : بالإخلاص في الأعمال للملك الديان .

(**وإذا فسدت**) بفتح السين ؛ أي : بالجحود والكفران . . (**فسد الجسد كله**) أي : بالفجور والعصيان ، (**ألا وهي القلب**) وهو محل العقل المميز بين الضار والنافع .

وورد في الحديث الشريف : « لا يستقيم إيمان عبدٍ حتىٰ يستقيم قلبه »[1] **ومعنى استقامته** : كونه ممتلئاً من محبة الله ومحبة طاعته وكراهة معصيته .

وقيل : (إن لقمان كان عبداً حبشياً ، فدفع إليه سيِّده شاةً وقال له : **اذبحها وأْتني بأطيب مضغتين منها** ، فأتاه بالقلب واللسان ، ثم بعد أيام دفع إليه شاةً أخرىٰ وقال له : **اذبحها وأْتني بأخبث مضغتين منها** ، فأتاه بالقلب واللسان ، فسأله عن ذلك فقال : هما أطيب شيء إذا طابا ، وأخبث شيء إذا خبثا)[2] .

[تسعة أمور بها صلاح القلب]

وذكر العلماء : أن صلاح القلب في **تسعة أشياء** :

أحدها : قراءة القرآن بالتدبر . **ثانيها** : خلاء البطن بتقليل الأكل .

ثالثها : قيام الليل بالعبادة . **رابعها** : التضرُّع عند السحر .

خامسها : مجالسة الصالحين . **سادسها** : الصمت عما لا يعني .

سابعها : العزلة عن أهل الجهل . **ثامنها** : ترك الخوض في الناس .

تاسعها : أكل الحلال ، وهو رأسها ؛ فإنَّه ينوِّر القلب ويُصلحه ، فتزكو بذلك الجوارح ، وتُدْرَأُ المفاسد ، وتكثر المصالح .

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٣/١٩٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .
(٢) أخرجه أحمد في « الزهد » (٢٧١) .

[آثار أكل الحرام]

وأكل الحرام والشبهات يُصدىء القلب ويُظلمه ويقسيه ، وقد قيل : يخاف علىٰ آكل الحرام والشبهة ألاَّ يُقبل له عمل ، ولا يُرفع له دعاء ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ وآكل الحرام والمسترسل في الشبهات ليس بمتَّق على الإطلاق[1] .

وقال أبو ذر رضي الله تعالىٰ عنه : (**تمام التقوىٰ** : أن يتقي الله العبدُ بترك بعض الحلال ؛ مخافة أن يكون حراماً)[2] .

وروي : أنَّ أبا بكر الصديق رضي الله تعالىٰ عنه ونفعنا به أتاه غلامُه بلبن فشربه ، فقال له الغلام : كنت إذا جئتك بشيء . . تسألني عنه ؛ ولم تسألني عن هـٰذا اللبن ؟! فقال له : (**وما قضيّته** ؟) قال : رقيتُ قوماً رَقْي الجاهلية ـ بفتح الراء وسكون القاف ـ فأعطَوْني هـٰذا ، فلما سمع ذلك . . أجهد نفسه حتىٰ تقايأه وقال : (**اللهم** ؛ **هـٰذا مقدرتي** ، **فما بقي في العروق** . . **فأنت حبسته**) .

فقيل له : أكلّ ذلك في شربة ؟! فقال : (**والله** ؛ **لو لم تخرج إلا بنفسي** . . **لأخرجتها** ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **كلُّ لحمٍ نبت من سُحتٍ** . . **فالنار أولىٰ به** » فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هـٰذه الجرعة)[3] .

وفي رواية : أنه قال لغلامه : (هل عندك شيء ؟) فقال : نعم ، قطعة لحم . فقال له : (اشوها وهاتها) فلما أكلها . . قال له الغلام : ما لك ما سألت عنها علىٰ عادتك ؟! فقال : (**كنت جائعاً** ، **فمن أين هي** ؟) قال : مررت علىٰ قوم من الجاهلية قد عملوا عرساً فأعطوني هـٰذه القطعة ، فقام أبو بكر رضي الله تعالىٰ عنه ولم يزل يتقايأ حتىٰ أخرجها وهي مصبغة بالدم ، فقيل له : يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وما مقدار هـٰذه ؟! فقال : (**والله** ؛ **لو لم تخرجْ إلا**

(١) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص١١٧) .
(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٧٩) من كلام سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .
(٣) أخرجه بنحوه البخاري (٣٨٤٢) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

بروحي . . **لأخرجتُها** ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كلُّ لحم نشأ من سحت . . فالنار أولىٰ به »)[1] .

والسحت ـ بضم فسكون وبضمتين ـ : الحرام ، أو ما خبث من المكاسب ولزم عنه العار .

وقال إبراهيم بن أدهم : (**الورع** : ترك كل شبهة ، وترك ما لا يعنيك)[2] .

وما أحسن قول بعضهم[3] : [من المنسرح]

المـرء إن كـان عـاقـلاً ورعـاً ... أشغلَـهُ عـن عيـوبهِـمْ ورعُـهْ
كمـا العليـلُ السَّقيـمُ أشغلَـهُ ... عـنْ وجـعِ النَّـاسِ كلِّهِـمْ وجعُـهْ

وروي عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « **كن ورعاً** . . تكن أعبد الناس ، **وكن قنعاً** . . تكن أشكر الناس ، **وأحبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك** . . تكن مؤمناً ، **وأحسن مجاورة من جاورك** . . تكن مسلماً ، **وأقلَّ الضحك** ؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب »[4] .

وقيل : (إنَّ الله أوحىٰ إلىٰ موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه : **لا يتقرَّب إليَّ المتقربون بمثل الورع**)[5] .

وقال الحسن : (**مثقال ذرَّة من الورع** . . خيرٌ من ألف مثقال ذرَّة من الصوم والصلاة)[6] .

ورُئي سفيان الثوري في المنام وله جناحان أخضران يطير بهما من شجرة إلىٰ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣١) .
(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٢١٠) ؛ **وفيها** : (**وترك ما لا يعنيك هو** : ترك الفضلات) .
(٣) البيتان للإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ في « ديوانه » (ص٩١) .
(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٧) ، وبنحوه الترمذي (٢٣٠٥) .
(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/ ١١٩ـ ١٢٠) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٠٤٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٦) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٢١٣) .

شجرة ، فقيل له : (**بم نلت هـٰذا ؟** قال : **بالورع**)[1] .

لَطِيفَةٌ

[في مراتب الورع]

قيل : **إنَّ ورع العوام** : ترك الشبهات ، **وأما ورع الخواصِّ** . . فهو صحة اليقين ، وكمال التعلق برب العالمين ، وعدم الركون إلىٰ غيره ؛ **كما حكي عن بعضهم** : أنه قال : خرجتُ من بغداد أريد الموصل ، فبينما أنا أسير ؛ وإذا بالدنيا قد عُرضت عليَّ بعزِّها وجاهها ورفعتها ، ومراكبها وملابسها ، وزيناتها ومشتهياتها ، فأعرضتُ عنها ، فعُرضت عليَّ الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها . . فلم أشتغل بها ، فقيل لي : **لو وَقفتَ مع الأولىٰ** . . لحجبناك عن الثانية ، **ولو وقفت مع الثانية** . . لحجبناك عنَّا ، **فها نحن لك** ، **وقسطُك** ـ أي : نصيبك ـ **من الدارين يأتيك**[2] .

ثم إن هـٰذا الحديث قد أجمع العلماء علىٰ كثرة فوائده ، ومن أمعن النظر فيه . . وجده حاوياً لعلوم الشريعة ؛ إذ هو مشتملٌ على الحث علىٰ فعل الحلال ، واجتناب الحرام ، والإمساك عن الشبهات ، والاحتياط للدين والعرض ، وعدم تعاطي الأمور الموجبة سوء الظن والوقوع في المحذور ، وتعظيم القلب ، والسعي فيما يصلحه ، وغير ذلك .

(**رواه البخاري**) في (كتاب الإيمان) و(البيع) ، (**ومسلم**) في (البيع) ، ورواه أيضاً الأربعة رحمهم الله تعالىٰ[3] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٢١٥) .

(٢) انظر « إيقاظ الهمم » لابن عجيبة (ص١٦٢) .

(٣) سنن أبي داوود (٣٣٢٩) ، سنن الترمذي (١٢٠٥) ، المجتبىٰ (٨/٣٢٧) ، سنن ابن ماجه (٣٩٨٤) .



الحديث السابع

[النصيحةُ عمادُ الدينِ]

عَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيم بْنِ أَوْسٍ ٱلدَّارِيِّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « ٱلدِّينُ ٱلنَّصِيحَةُ » قُلْنَا : لِمَنْ يَا رَسُولَ ٱللهِ ؟ قَالَ : « للهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١] .

[من ترجمة سيدنا تميم بن أوس الداري رضي الله عنه]

(عن أبي رُقيَّة) بضم الراء وتشديد المثناة التحتية (تميم بن أَوْس) بفتح الهمزة وسكون الواو (الداري رضي الله عنه) كني بأبي رُقيَّة التي هي بِنْته ؛ لأنه لم يولد له غيرها ، وقيل له : الداري ؛ نسبةً إلىٰ جده الدار بن هانىء ، وقيل : إلىٰ موضع يقال له : دارين .

أسلم رضي الله تعالىٰ عنه ونفعنا به سنة تسع من الهجرة ، وكان من مشاهير الصحابة وأفاضلهم رضي الله تعالىٰ عنهم .

وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان صاحب دينٍ وقيامٍ وقراءة ، كان يختم القرآن في ركعة[٢] ، وربما كان يُردِّد الآية الواحدة الليل كله إلى الصباح[٣] .

---

(١) صحيح مسلم (٥٥) .

(٢) عدَّه الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ فيمن ختموا في ركعة واحدة في كتابه « التبيان في آداب حملة القرآن » (ص ٧٩) .

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن الأثير رحمه الله تعالىٰ في « أسد الغابة » (١/٢٥٦) ، وذكر أن الآية هي : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

واشترىٰ حُلَّة بألفٍ كان يقوم فيها الليل ، وقيل : كان يخرج فيها إلى الصلاة[1] .

ويقال : إنه لما قدم المدينة . . صحب معه قناديل وحبالاً وزيتاً ، وعلَّق تلك القناديل بسواري المسجد وأوقدت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نوَّرت مسجدنا ، نوَّر الله عليك في الدنيا والآخرة ، أما والله ؛ لو كان لي ابنة . . لأنكحتكها » فقال رجل : يا رسول الله ؛ أنا أزوِّجه ابنتي ، فزوَّجه إياها[2] .

[قصة الجساسة ورواية الأكابر عن الأصاغر]

ومن مناقبه رضي الله تعالىٰ عنه : أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حَدَّثَ عنه على المنبر قِصَّة الجسَّاسة والدَّجَّال[3] .

وحاصلها : أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم جمع الناس ، فلما حضروا وقضىٰ صلاته . . جلس على المنبر وهو يضحك فقال : « ليلزم كلُّ إنسان مُصَلَّاه » ثم قال : « أتدرون لِمَ جمعتكم ؟ » .

قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « والله ؛ ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولٰكن جمعتكم لأنَّ تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال .

حدثني : أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لَخْم وجُذام ، فلعب بهم الموج شهراً في البحر ، فأرسوا إلىٰ جزيرة ـ أي : قاربوها ـ حيث تغرب الشمس ،

---

(١) أخرج ذلك ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١١/ ٧٩) ، وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ، ويدخل المسجد ويقول : (أجالس ربي) ، وكان الحسن يلبس ثوباً بأربع مئة درهم ، وفرقد السبخي كان يلبس المسوح ، فقال : (يا أبا سعيد ما ألين ثوبك !! فقال الحسن : يا فريقد ؛ ليس لين ثيابي يباعدني عن الله ، ولا خشونتها يقربك منه ؛ إن الله جميل يحب الجمال) .

(٢) أورده ابن الأثير في « أسد الغابة » (٦/ ٢٨) ، وأخرج ابن ماجه (٧٦٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (أول من أسرج في المساجد : تميم الداري) .

(٣) قال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في « شرح صحيح مسلم » (١/ ١٤٢) : (وقد روىٰ عنه النبيُّ صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة ، وهٰذه منقبة شريفة لتميم ، ويدخل في رواية الأكابر عن الأصاغر ، والله أعلم) .

فجلسوا في أقرُب السفينة ـ بضم الراء جمع قارِب بكسرها ؛ سفينة صغيرة يقال لها : سنبوك ـ فدخلوا الجزيرة ، **فلقيتهم دابةٌ كبيرة كثيرة الشعر** ، لا يدرون ما قُبُلها من دُبُرِها من كثرة الشعر ، فقالوا : **ويلكِ !! ما أنتِ** ؟

قالت : **أنا الجَسَّاسة** ـ بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولىٰ ، سميت بذلك ؛ لتجسُّسها الأخبار ؛ أي : تفتيشها عنها للدجال ـ قالت : أيها القوم ؛ انطلقوا إلىٰ هـٰذا الرجل في الدير ؛ فإنه إلىٰ خبركم بالأشواق » أي : شديد الأشواق إليه .

« قال : **فلما سمت لنا رجلاً . . فزعنا منها** ـ أي : خفنا أن تكون شيطانة ـ فانطلقنا سراعاً حتىٰ دخلنا الدير ؛ **فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه خلقاً وأشدَّه وثاقاً** ، مجموعة يداه إلىٰ عنقه ما بين ركبتيه إلىٰ كعبيه بالحديد ، قلنا : **ويلك !! ما أنت** ؟

قال : قد قدرتم علىٰ خبري ، فأخبروني ما أنتم ؟

قالوا : نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية ، فلعب بنا الموج شهراً ، فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابة كثيرة الشعر ، فقالت : أنا الجساسة ، اعمدوا إلىٰ هـٰذا الدير ، فأقبلنا إليك سراعاً .

فقال : **أخبروني عن نخل بيسان هل تثمر** ؟[1] قلنا : نعم . قال : أما إنها يوشك ـ أي : يقرب ـ ألاَّ تثمر .

قال : **أخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء** ؟ قلنا : هي كثيرة الماء .

قال : إن ماءها يوشك أن يذهب . قال : **أخبروني عن عين زُغَر**[2] ـ بضم الزاي وفتح الغين المعجمة ـ **هل في العين ماء** ؟ **وهل يزرع أهلها بماء العين** ؟

قلنا : نعم ؛ هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها .

قال : **أخبروني عن نبي الأميين ما فعل** ؟ قلنا : قد خرج من مكة ونزل بيثرب ـ

---

(١) قوله : (**بيسان**) بباء موحدة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة ، قيل : كانت مدينة بالشام وفيها سوق كبير . اهـ السحيمي . **اهـ مؤلف** .

(٢) قوله : (**عن عين**) هي بالجانب القبلي في الشام من أرض البلقاء . اهـ سحيمي . **اهـ مؤلف** .

اسم للمدينة قبل النهي عنه ـ قال : أقاتلته العرب ؟ قلنا : نعم .

قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر علىٰ من يليه من العرب وأطاعوه .

قال : أما إنَّ ذلك خيرٌ لهم أن يطيعوه ، وإني مخبركم عني : إني أنا المسيح ـ سُمِّي بذلك ؛ لأنه يمسح الأرض في المدة اليسيرة ـ وإني يوشك أن يؤذَن لي في الخروج فأخرج ، فأسير في الأرض ، فلا أَدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة ؛ هما محرمتان عليَّ ـ أي : ممنوع من دخولهما كلتاهما ـ كلما أردتُ أن أدخل واحدةً منهما . . استقبلني ملك بيده السيف صلتاً ـ بفتح الصاد وضمها ؛ أي : مسلولاً ـ يصدَّني عنهما ، وإن علىٰ كل نقب ـ أي : طريق ـ منهما ملائكة يحرسونهما » وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمِخْصَرته في المنبر وقال : « هـٰذه طيبة ، هـٰذه طيبة ، هـٰذه طيبة ـ يعني : المدينة ـ أَلاَ هل كنت حدَّثتكم ذلك ؟ » قالوا : نعم[1] .

والمِخصرة ـ بكسر الميم ـ : ما يُتوكأ عليه كالعصا ونحوها ، وما يشير به الخطيب إذا خاطب الناس .

وانتقل تميم من المدينة إلى الشام بعد مقتلة عثمان رضي الله تعالىٰ عنه ، وسكن بيت المقدس ، ومات سنة أربعين ، ودفن ببيت جبريل ـ ويقال : جبرين ـ قرية من قرى الخليل عليه وعلىٰ نبينا وعلىٰ جميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام[2] .

روي له ثمانية عشر حديثاً ، وليس له في « صحيح البخاري » رواية ، ولا في « مسلم » إلا هـٰذا الحديث الذي ذكره المصنف ؛ وهو :

(أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : الدين) أي : دين الإسلام (النصيحة) وهي كلمة جامعة ؛ معناها : حيازة الحظ للمنصوح ، والكلام علىٰ حذف مضاف ؛ أي : عماد الدين ومعظمه : النصيحة ، وقيل : لا حذف ، بل الدِّين محصورٌ فيها ؛

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) عن سيدتنا فاطمة بنت قيس رضي الله عنها .

(٢) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٩٧) ، و« أسد الغابة » (١/٢٥٦) ، و« الإصابة » (١/١٨٦) .

لأن من جملتها الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما ، والعمل بما قالاه ، وليس وراء ذلك من الدين شيء ، فهي جامعة له .

وقد قيل : ليس في كلام العرب أجمع لخيري الدنيا والآخرة من كلمة النصيحة وكلمة الفلاح .

(**قلنا**) معشر السامعين : (**لمن**) أي : هي لمن (**يا رسول الله ؟ قال** : **لله**) بمعنى الإيمان به ، ونفي الشريك عنه ، والإخلاص له ، والقيام بطاعته ، واجتناب معصيته ، وموالاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه .

[من الناصح لله ؟]

وروي : أنَّ الحواريين قالوا لعيسىٰ صلوات الله وسلامه عليه : (**مَنِ الناصح لله** ؟ قال : الذي يُقدِّم حق الله علىٰ حق الخلق ، وإن عرض عليه أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا . . بدأ بحق الله تعالىٰ)[1] .

[حكاية الإخوة الثلاثة]

أي : **كما حكي** : (أن ثلاثة إخوة كانوا يغزون ، فأسرهم الروم ، وقال لهم الملك : **إنِّي أجعل فِيكم المُلْك وأُزوِّجكم بناتي وتدخلون في دين النصرانية** ؟ فأبَوا ، فأمر بثلاث قدور فَصُبَّ فيها الزيت ، ثم أوقد تحتها ، وعرضهم عليها ثلاثة أيام وهو يدعوهم إلى النصرانية فيأبَون ، فأُلقي الأكبر ، ثم الأوسط ، ثم أُدني الأصغر فجعل يفتنه عن دينه فيأبىٰ ، فقام إليه علج[2] فقال : **أيها الملك ؛ أنا أفتنه عن دينه** .

قال : بماذا ؟ قال : قد علمت أنَّ العرب أسرع شيء إلى النساء ، وليس في الروم أجمل من بنتي ، فادفعه إليَّ حتىٰ أخليه معها ؛ فإنها ستفتنه ، فدفعه إليه وضرب له أجلاً أربعين يوماً ، فجاء به ، فأدخله مع ابنته في محلٍّ وأخبرها بالأمر .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ٤٤٩) .

(٢) قوله : (**علج**) : قال في « النهاية » : **العلج** : الرجل القوي الضخم . **اهـ مؤلف** .

فأقام عندها صائم النهار ، قائم الليل حتىٰ مضىٰ أكثر الأجل ، فقال العلج لابنته : ما صنعتِ ؟ قالت : هٰذا رجلٌ فقد أخويه في هٰذه البلدة ، وربما أن يكون امتناعه بسبب رؤية آثارهما ، فاسْتَزِدِ الأجل من الملك ، وانقلني معه إلىٰ غير هٰذه البلدة ، ففعل ما أمرته به وأخرجهما إلىٰ قرية .

فمكث أياماً كما كان ؛ صائم النهار قائم الليل حتىٰ قرب انتهاء الأجل ، فقالت له البنت : يا هٰذا ؛ إني أراك تُقدِّس ربّاً عظيماً ، وإني قد دخلت معك في دينك ، وتركت دين آبائي .

فقال لها : فكيف الحيلة في الهرب ؟ فجاءت له بما يركبانه ، فجعلا يسيران بالليل ، ويكمنان بالنهار .

فبينما هما يسيران ليلة . . إذ سمعا وَقْع خيل ؛ فإذا هو بأخويه ومعهما ملائكة ، فسلَّم عليهما وسألهما عن حالهما .

فقالا : ما كانت إلا السقطة التي رأيتَها حتىٰ خرجنا إلى الفردوس ، وإن الله أرسلنا إليك ؛ لنشهد تزوُّجك بهٰذه الفتاة ، فزوَّجوه إياها ورجعوا ، وذهب هو إلىٰ بلاد الشام فأقام بها)[1] .

(ولكتابه) أي : القرآن ؛ بمعنى الإيمان به والعمل بما فيه ، وتعظيمه وإكرامه ، فيحرم مدُّ الرِّجل إلى المصحف إن لم يكن مرتفعاً ، ويسن جعله علىٰ كرسي ، والقيام له ، وتقبيله وتطييبه .

[طيبت اسمي لأُطيبنَّ اسمك]

حكي عن بعضهم : أنه رأىٰ ورقةً في الأرض ، فأخذها فوجد فيها البسملة وشيئاً

---

(١) أخرجها ابن الجوزي في « عيون الحكايات » (ص ٢٢٨ـ ٢٣٠) ، وأوردها السيوطي في « شرح الصدور » (ص ٤٠٣ـ ٤٠٤) ، وقال الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ في ختام القصة : وكانا مشهورَين بذلك ، معروفَين بالشام في الزمن الأول ، وقد قال فيهما بعض الشعراء أبياتاً منها : (من الوافر)

سيُعطي الصادقين بفضل صدقٍ نجاةً في الحياة وفي المماتِ

من القرآن ، فقبَّلها وطيَّبها ، فرأىٰ ربّه سبحانه وتعالىٰ في تلك الليلة وهو يقول له : (كما طيَّبتَ اسمي في الدنيا . . لأطيِّبنَّ اسمك في الدنيا والآخرة) ، فصار بعد ذلك من الأولياء[1] .

(ولرسوله) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ بمعنى الإيمان به وتصديقه في جميع ما جاء به ، والتزام طاعته في أمره ونهيه ، وإحياء سنَّته ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومحبة آل بيته وأصحابه .

(ولأئمة المسلمين) أي : ولاة أمورهم بمعنىٰ معاونتهم على الحق وأمرهم به ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ، والدعاء بالصلاح لهم ، وأداء الزكاة إليهم ، وامتثال أمرهم لٰكن في غير معصية الله .

[لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق]

فقد روي : أنَّ عبد الله بن حذافة السهمي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وجعله أميراً عليها ، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، فأغضبوه في شيء ، وكان فيه مزاح ، فأمرهم أن يجمعوا حطباً ويوقدوه ناراً ، فلما أوقدوها أمرهم بدخولها . . فأبَوا .

فقال لهم : ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي ؛ وقال : « من أطاع أميري . . فقد أطاعني » ؟

فقالوا : ما آمنا بالله واتبعنا الرسول . . إلاَّ لننجو من النار ، فسكن غضبه وطفئت النار .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٤) في سبب توبة بشر بن الحارث الحافي رحمه الله تعالىٰ ، وذكره أيضاً في « التحبير في التذكير » (ص ٢٤) وقال قبله : (ومن عرف اسم ربه . . نسي اسم نفسه ، وتنعَّم بروح أنسه ، قبل وصوله دار قدسه ، وسمت رتبته ، وعلت في الدارين منزلته ، فمن أجلَّ قدر الله . . أجلَّ الله قدره) .

فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم . . استصوب قولهم وقال : « **لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق** »[1] .

ويصح أن يراد بـ(أئمة المسلمين) : علماء الدين ، **ومعنىٰ نصيحتهم** : قبول ما رووه وتقليدهم في الأحكام ، ونشر مناقبهم ، وإحسان الظن بهم ، وتعظيمهم .

قال سهل بن عبد الله : (لا يزال الناس بخير ما عظَّموا السلطان والعلماء ، فإذا عظموا هٰذين . . أصلح الله دنياهم وأخراهم ، وإذا استخفوا بهٰذين . . أفسد الله دنياهم وأخراهم)[2] .

قال بعضهم : (**وليس المراد بالعلماء** : من تزيَّا بزيِّهم ، وادعى العلم وأكل الدنيا بالدِّين ، ولا عذر لمن أكل الحرام وقال : العالم الفلاني يأكله ؛ لأنه كيف يعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به ، فإنَّ من خالف الله . . لا يُقتدىٰ به ، ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر علىٰ عدم دخولها . . فلا عذر لك في دخولها)[3] .

(**وعامتهم**) أي : المسلمين ، **والمراد بهم** : من لم يكن أميراً ولا عالماً ، ولم يُعِدِ اللامَ فيهم[4] ؛ لكونهم تبعاً لأئمتهم لا استقلال لهم .

ومعنىٰ نصيحتهم : إرشادُهم إلىٰ ما يصلح دينهم ودنياهم ، وإعانتُهم علىٰ مهماتهم ، وسترُ عوراتهم ، وجلبُ المنافع إليهم ، وكفُّ الأذىٰ عنهم ، وتعليمُهم ما جهلوه من أمر دينهم ، والذبُّ ـ أي : المنع ـ عن أموالهم وأعراضهم ، وأمرُهم بالمعروف ونهيُهم عن المنكر ، ومحبتُه لهم ما يحب لنفسه من الخيرات ، وكراهتُه لهم ما يكره لنفسه من المكروهات .

---

(١) أورده هٰكذا القرطبي في « تفسيره » (٥/ ٢٦٠) ، أما حديث : « من أطاع أميري . . فقد أطاعني » . . فأخرجه البخاري (٧١٣٧) ، ومسلم (١٨٣٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وأما حديث : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » . . فأخرجه أحمد في « المسند » (١/ ١٣١) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) نقله الشبرخيتي في « الفتوحات الوهبية » (ص ١٢٤) .

(٣) انظر « إحياء علوم الدين » (٥/ ٥٢٨ـ ٥٢٩) ، و« فيض القدير » (١/ ١٤٠) .

(٤) أي : لم يقل : (ولعامتهم) .

وقد ورد في الحديث : « إنَّ أحبَّ عباد الله إلى الله أنصحهم لعباده »[1] .

وقال بعض التابعين : (خير الناس أنصحهم لهم ، وشرُّ الناس أغشُّهم لهم)[2] .

[آداب مطلوبة لقبول النصيحة]

ويطلب كون النصيحة برفق ؛ لتكون أقرب للقبول ، ومن ثَمَّ : كان السلف الصالح إذا أرادوا نصيحة أحد . . وعظوه سِرّاً[3] .

وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه : (من وعظ أخاه سِرّاً . . فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية . . فقد فضحه وشانه)[4] .

وسُئل ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر فقال : (إن كنتَ فاعلاً ولا بدَّ . . ففيما بينك وبينه)[5] .

وحكي : أن رجلاً وعظ المأمون وأغلظ عليه ، فقال له : (خيرٌ منك وَعَظَ مَن هو شرٌّ مني ؛ فإن موسىٰ وهارون علىٰ نبيِّنا وعليهما أفضل الصلاة والسلام لمَّا أرسلهما الله تعالىٰ إلىٰ فرعون . . قال لهما : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلًا لَّيِّنًا ﴾ أي : ارفقا به)[6] .

وينبغي للناصح : أن يرىٰ نفسه دون المنصوح ، وأن يمهِّد ـ أي : يسوي ـ له بساطاً قبل النصح ؛ فقد حكي : أن الحسن والحسين رضي الله تعالىٰ عنهما أقبلا علىٰ شيخ يتوضأ وضوءاً باطلاً ، فقال أحدهما للآخر : تعالَ نرشد هـٰذا الشيخ .

فقال أحدهما : (يا شيخ ؛ إنَّا نريد أن نتوضَّأ بين يديك حتىٰ تنظر إلينا وتعلم من

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » (١٦٤٨) عن الحسن مرسلاً ؛ وفيه : « أحب العباد إلى الله : الذين يُحبِّبون الله إلىٰ عباده ، ويعملون في الأرض نصحاً . . . » .

(٢) أورده أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٢٤) من كلام بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالىٰ .

(٣) انظر « جامع العلوم والحكم » (١/ ٢٢٥) .

(٤) أورده أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١٤٠) .

(٥) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٧١٨٦) .

(٦) انظر « إحياء علوم الدين » (٤/ ٦٣٠) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص ١٢٤) .

يُحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه) ففعلا ذلك ، فلما فرغا من وضوئهما . . قال : (**أنا والله الذي لا أُحسنُ الوضوء** ، وأما أنتما . . فكلٌّ واحد منكما يُحسن وضوءه) فانتفع بذلك منهما من غير تعنيف ولا توبيخ[1] .

[من النصح في البيوع بيان العيوب]

ويجب علىٰ من باع شيئاً : أن يُظْهر للمشتري جميع عيوبه ؛ نصحاً له ، فإن أخفى العيب . . كان ظالماً غاشاً ، والغش حرام في البيوع والصنائع .

وروىٰ مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ برجل يبيع طعاماً فأعجبه ، فأدخل يده فرأىٰ بللاً ، فقال له : « **ما هـٰذا يا صاحب الطعام ؟!** » فقال : أصابته السماء ؛ أي : نزل عليه المطر منها .

فقال : « **أفلا جعلته فوق الطعام حتىٰ يراه الناس ؟! من غشَّنا . . فليس منا** »[2] أي : ليس علىٰ طريقتنا الكاملة .

وقد قيل : إنه كان في السلف الصالح من بلغت به النصيحة إلى الإضرار بدنياه ؛ أي : **كما حكي** : أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ، ضَرْبٌ ـ أي : صنف ـ منها قيمة كل حلة منه أربع مئة ، وضَرْبٌ قيمة كل حلة منه مئتان ، فذهب يوماً إلى الصلاة وخلَّفَ ـ أي : ترك ـ ابن أخيه في الدكان ، فجاءه أعرابي وطلب منه حلةً بأربع مئة ، فعرض عليه حلةً من حلل المئتين ، **فاستحسنها ورضيها واشتراها منه** ، فمشىٰ بها وهي علىٰ يده ، فلقيه يونس فعرف حلته ، فقال للأعرابي : **بكم اشتريت هـٰذه** ؟ فقال : بأربع مئة .

فقال له : **إنها ما تساوي أكثر من مئتين** ، **فارجع حتىٰ تردها** . فقال : هـٰذه تساوي ببلدنا خمس مئة وأنا ارتضيتها .

---

(١) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٢٤) .

(٢) صحيح مسلم (١٠٢) ؛ وفيه : « من غشَّ . . فليس مني » ، ولفظ : « من غشنا . . . » من غير القصة عنده برقم (١٠١) .

فقال له يونس : انصرف ؛ **فإن النُّصْح في الدِّين خيرٌ من الدنيا بما فيها** ، ثم ردها إلى الدكان ، وردَّ عليه مئتي درهم ، وخاصم ابن أخيه وقال له : **أما استحيت** ؟! **أما اتقيت** ؟! تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين ؟!

فقال : والله ؛ ما أخذها إلاَّ ورضي بها . قال : **فهلا رضيت له ما ترضاه لنفسك** ؟![1] .

ونظير ذلك : ما حكي عن محمد بن المنكدر أنَّه كان له شِقاق[2] ؛ بعضها بخمسة وبعضها بعشرة ، فباع غلامه في غيبته شقةً من الخمسيات بعشرة ، فلما علم بذلك . . صار يطلب المشتري طول النهار حتىٰ وجده وقال له : إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة .

فقال : يا هـٰذا ؛ قد رضيت . فقال : وإن رضيت . . **فإنا لا نرضىٰ لك إلا ما نرضاه لأنفسنا ، فاختر إحدىٰ ثلاث خصال** :

إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك ، وإما أن نردَّ عليك خمسة ، وإما أن تردَّ علينا شقتنا وتأخذ دراهمك ؟!

فقال : أعطني خمسة ، فدفعها إليه ، فانصرف الأعرابي وهو يسأل ويقول : **من هـٰذا الشيخ** ؟ فقيل له : هـٰذا محمد بن المنكدر .

فقال : **لا إلـٰه إلا الله ، هـٰذا الذي نستقي به في البوادي إذا قحطنا**[3] .

ثم إن هـٰذا الحديث ألفاظه قليلة ، وفوائده كثيرة ، بل قيل : إن أحكام الإسلام داخلة تحته ، بل تحت كلمة منه ؛ وهي : (ولكتابه) إذ هو مشتمل على الدِّين كله أصلاً وفرعاً ، وعملاً واعتقاداً .

(**رواه**) الإمام (**مسلم**) في (كتاب الإيمان) .

* * *

---

(١) رواها أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٥) ، وأوردها الإمام الغزالي في « الإحياء » (٣/ ٣٠٩) .

(٢) قوله : (**شقاق**) جمع شِقَّة ، قال في « النهاية » : **الشقة** : جنس من الثياب . اهـ . **اهـ مؤلف** .

(٣) أوردها الإمام أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٢٦٧ـ٢٦٨) .

الحديث الثامن

[حرمةُ دمِ المسلمِ ومالِهِ]

عَنِ **ٱبْنِ عُمَرَ** رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ ، وَيُقِيمُوا ٱلصَّلاَةَ ، وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَٰلِكَ . . عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ ٱلإِسْلاَمِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ » **رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ**[1] .

(**عن**) عبد الله (**ابن عمر**) تقدمت ترجمتهما[2] (**رضي الله**) تعالىٰ (**عنهما** : **أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال** : **أُمرت**) بالبناء للمفعول ؛ أي : أمرني ربي (**أن أقاتل الناس**) أي : بقتالهم ، فـ(أن) والفعل مؤولان بمصدر مجرور بحرف جرٍّ محذوف .

[متىٰ كان الأمر بالقتال ؟]

وكان هـٰذا الأمر بعد الهجرة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم مكث بعد البعثة يبلغ الدعوة وينذر من غير قتال ، وهو صابر علىٰ شدة أذية العرب بمكة واليهودِ بالمدينة .

وكان جماعة من أصحابه ـ منهم عبد الرحمـٰن بن عوف ، والمقداد بن الأسود ،

---

(١) صحيح البخاري (٢٥) ، صحيح مسلم (٢٢) .

(٢) انظر ما تقدم من ترجمة سيدنا عمر (ص ٩٨) من الحديث الأول ، وترجمة سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (ص ١٢٧) في الحديث الثالث .

وقدامة بن مظعون ، وسعد بن أبي وقاص ـ **يلقَون من المشركين أذىً كثيراً بمكة** ، فقالوا : يا رسول الله ؛ كنا في عزٍّ ونحن مشركون ، فلما آمنا . . صرنا أذلة !! فائذن لنا في قتال هـٰؤلاء ؛ فإنهم قد آذونا ، فيقول لهم : « كفوا أيديكم عنهم ؛ فإني لم أؤمر بقتالهم »[1] .

ثم لما هاجر إلى المدينة . . أُذِنَ له في القتال إذا ابتدأه الكفار ، ثم أُحِلَّ له الابتداء به في غير الأشهر الحرم ، ثم أُمر به مطلقاً ؛ أي : لمن قاتل ومن لم يقاتل ، في الأشهر الحرم وغيرها .

وقد قاتل المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه رضي الله تعالىٰ عنهم حتىٰ دخل الناس في دين الله أفواجاً ؛ أي : جماعات بعد جماعات .

ونُقِل عن ابن عباس : (أن كل من أُمر بالقتال من الأنبياء . . نُصر ، ولم يُقتل نبي إلا إذا لم يؤمر بقتال)[2] .

ثم إنَّ المراد بـ(الناس) في هـٰذا الحديث : الإنس فقط وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً إلى الجن إجماعاً ؛ إذ لم يرد أنه قاتلهم ، **وإنما ورد** : أن جماعة منهم أسلموا علىٰ يديه[3] .

قيل : والمراد من الإنس : عَبَدَة الأوثان ونحوهم دون أهل الكتاب ؛ لسقوط القتال عنهم بقبول الجزية ، قال بعضهم : ويحتمل أن يكون قبولها منهم كان بعد هـٰذا الأمر المتناول لقتالهم أيضاً[4] .

(**حتىٰ يشهدوا : أن لا إلـٰه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله**) أي : حتىٰ يؤمنوا بأن الله واحد لا شريك له ، وأن محمداً رسوله ، **والمراد** : أنهم إذا نطقوا بذلك . . لم يجز قتالهم ، ولا يقال : إنهم آمنوا في الظاهر خوفاً وهم في الباطن كفار .

---

(١) أخرجه النسائي في « المجتبىٰ » (٦/٢) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٢) أورده القرطبي في « تفسيره » (٤٣٢/١) .
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٤) ذكر القولين الشبشيري في « الجواهر البهية » (ص ١٠٠ ـ ١٠١) .

و(حتىٰ) هنا : حرف غاية وجر ؛ لأن ما بعدها غاية لما قبلها وهو القتال أو الأمر به ؛ أي : إلىٰ أن يشهدوا . . إلخ ، ويصح أن تكون للتعليل كما في : أَسْلِمْ حتىٰ تدخل الجنة .

واعلم : أنَّ العلماء اختلفوا : هل الأفضل مدُّ ألف (لا) النافية من (لا إلـٰه إلا الله) أو قصرها ؟ فمنهم : من اختار المد ؛ ليستشعر المتلفظ بها نفي الألوهية عن كل موجود سوى الله تعالىٰ ، ومنهم : من اختار القصر ؛ لئلا يموت قبل التلفظ بذكر الله تعالىٰ ، والمختار : قول الفخر جمعاً بين القولين : الأفضل لمن يريد الإسلام القصر ، وللمسلم المد إلىٰ سبع ألفات ، وتعد كل ألف بحركتين من حركات الأصابع متوالية مقارنة للنطق بالمد ، فإن زاد على السبع . . كره ، وقيل : حرم .

وورد في الحديث الشريف : « من قال : لا إلـٰه إلا الله ومدها . . هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر »[1] .

وجاء في الأثر : « إنَّ العبد إذا قال : لا إلـٰه إلا الله . . أعطاه الله من الثواب بعدد كلّ كافر وكافرة » قيل : وسبب ذلك : أنه لما قال هـٰذه الكلمة . . فكأنه قد ردّ عليهم فأُعطي ثواباً بعددهم .

ونُقل عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما أنه قال : (يفتح الله تعالىٰ أبواب الجنة ، وينادي منادٍ من تحت العرش : أيتها الجنة وكلَّ ما فيك من النعم ؛ لمن أنت ؟

فتنادي الجنة وكل ما فيها : نحن لأهل لا إلـٰه إلا الله ، ولا نطلب إلا أهل لا إلـٰه إلا الله ، ولا يدخل علينا إلا أهل لا إلـٰه إلا الله ، ونحن محرَّمون علىٰ من لم يقل : لا إلـٰه إلا الله .

وعند هـٰذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب : لا يدخلني إلا من أنكر لا إلـٰه

---

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٠٢) وعزاه إلى ابن النجار .

إلا الله ، ولا أطلب إلا من كذب بلا إلـٰه إلا الله ، **وأنا حرام علىٰ من قال** : لا إلـٰه إلا الله ، ولا أمتلىء إلا بمن جحد لا إلـٰه إلا الله ، وليس غيظي وزفيري إلا علىٰ من أنكر لا إلـٰه إلا الله ، ثم قال : فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول : أنا لأهل لا إلـٰه إلا الله ، وناصرة لمن قال : لا إلـٰه إلا الله ، ومحبة لمن قال : لا إلـٰه إلا الله ، **والجنة مباحة لمن قال** : لا إلـٰه إلا الله ، **والنار محرمة علىٰ من قال** : لا إلـٰه إلا الله ، والمغفرة من كل ذنب لأهل لا إلـٰه إلا الله ، والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل لا إلـٰه إلا الله) .

وقيل : (إن من قال : لا إلـٰه إلا الله سبعين ألف مرة .. كانت فداءه من النار)[1] .

[قصة عجيبة لأسقف يطوف بالبيت]

وحكي عن محمد بن آدم : أنه قال : رأيت بمكة أُسْقُفّاً ـ بضم الهمزة وسكون السين وضم القاف وتشديد الفاء : رئيس النصارىٰ في الدِّين ـ يطوف بالكعبة ، فقلت له : **ما الذي نزعك** ـ أي : جذبك وأخرجك ـ **عن دين آبائك** ؟ قال : تبدلت خيراً منه .

فقلت : **وكيف ذلك** ؟ قال : ركبت البحر فانكسرت السفينة ، ودفعتني الأمواج إلىٰ جزيرة فيها أشجار كثيرة ، ولها ثمر أحلىٰ من الشهد[2] ، وألين من الزبد ، وفيها نهر عذب ، **فحمدت الله تعالىٰ علىٰ ذلك** ، وقلت : آكل من هـٰذا الثمر ، وأشرب من هـٰذا النهر حتىٰ يقضي الله تعالىٰ بأمره ، فلما ذهب النهار .. خفت علىٰ نفسي من الوحش ، فطلعت علىٰ شجرة ونمت فوقها ، **فلما كان جوف الليل** ؛ وإذا بدابة علىٰ وجه الماء تُسبِّح الله تعالىٰ وتقول :

لا إلـٰه إلا الله العزيز الجبار ، **محمد رسول الله** النبي المختار ، **أبو بكر الصديق**

---

(١) انظر « الإرشاد والتطريز » (ص ٢٦٩) .

(٢) قوله : (الشُّهد) هو بفتح الشين وضمها : العسل في شمعها ، قاله في « المختار » . اهـ مؤلف .

صاحبه في الغار ، **عمر الفاروق** فاتح الأمصار ، **عثمان القتيل** في الدار ، **علي سيف الله** على الكفار ، فعلىٰ مبغضهم لعنة العزيز الجبار ، ومأواه النار وبئس القرار . . . ولم تزل تكرر هـٰذه الكلمات حتىٰ طلع الفجر فقالت : لا إلـٰه إلا الله الصادق الوعد والوعيد ، **محمد رسول الله** الهادي الرشيد ، **أبو بكر** ذو الرأي السديد ، **عمر بن الخطاب** سور من حديد ، **عثمان الفضيل** الشهيد ، **علي بن أبي طالب** ذو البأس الشديد ، فعلىٰ مبغضهم لعنة الربِّ المجيد .

ثم أقبلت إلى البرِّ ؛ فإذا رأسها رأس نعامة ، ووجهها وجه إنسان ، وقوائمها قوائم بعير ، وذنبها ذنب سمكة ، فخشيت علىٰ نفسي الهلكة ، فهربتُ ، فنطقت بلسان فصيح فقالت : يا هـٰذا ؛ قف وإلا . . تهلك ، فوقفت .

فقالت : **ما دينك** ؟ فقلت : دين النصرانية ، فقالت : **ويلك** !! **ارجع إلىٰ دين الحنيفية** ؛ فقد حللتَ بفناء قوم من مسلمي الجنِّ لا ينجو منهم إلا من كان مسلماً .

فقلت : **وكيف الإسلام** ؟ قالت : تشهد أن لا إلـٰه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فقلتها .

فقالت : أتمَّ إسلامك بالترحُّم علىٰ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالىٰ عنهم .

فقلت : **من أتاكم بذلك** ؟ قالت : قوم منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعوه يقول : « إذا كان يوم القيامة . . تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق فصيح : إلـٰهي ؛ قد وعدتني أن تشيد أركاني ، فيقول الجليل جل جلاله : قد شيَّدت ـ أي : رفعت ـ أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وزيَّنتك بالحسن والحسين » .

ثم قالت الدابة : أتريد القعود هنا أم الرجوع إلىٰ أهلك ؟ فقلت : الرجوع إلىٰ أهلي ، فقالت : اصبر حتىٰ تمرَّ بك مركب .

فبينما نحن كذلك ؛ وإذا بمركب أقبلت تجري ، فأومأت ـ أي : أشارت ـ لها ، فأرسلوا إليَّ زورقاً ـ أي : قارباً ـ فركبت فيه ، وجئت إليهم فوجدتُ المركب فيها

اثنا عشر رجلاً كلهم نصارىٰ ، فقالوا : ما الذي جاء بك إلىٰ هنا ، فقصصتُ عليهم قصتي ، فتعجبوا من أمري وأسلموا كلهم[1] .

[بِمَ تعصم الدماء]

(**ويقيموا**) أي : وحتَّىٰ يقيموا (**الصلاة**) أي : المفروضة ؛ بأن يؤدوها بشروطها وأركانها المجمع عليها ؛ لأن الكلام في صلاة تدفع المقاتلة .

ومما جاء في فضلها : ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات . . هل يبقىٰ من درنه ـ أي : وسخه ـ شيء ؟ » قالوا : لا يبقىٰ من درنه شيء . قال : « **فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** »[2] .

وروي عن عثمان رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءه ، ثم يصلِّي الصلاة . . إلا غفر له ما بينها وبين الصلاة التي تليها »[3] .

(**ويؤتوا**) أي : وحتىٰ يؤتوا (**الزكاة**) أي : المفروضة ؛ بأن يعطوها إلىٰ مستحقيها ، أو إلى الإمام ليدفعها لهم .

ومما جاء في فضلها : ما روي عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه قال : أتىٰ رجل من تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إني ذو مال كثير وذو أهل

---

(١) أوردها ابن الجوزي في « بستان الواعظين » (ص ٢٨٦ـ ٢٨٧) ، وفيه : (محمد بن إدريس الشافعي) بدل (محمد بن آدم) صاحب الحكاية ، وأخرج الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٣٩) من حديث سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا استقر أهل الجنة في الجنة . . قالت الجنة : يا رب ؛ وعدتني أن تزينني بركنين من أركانك ، قال : **أولم أزينك بالحسن والحسين** ؟! » .

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨) ، ومسلم (٦٦٧) .

(٣) أخرجه البخاري (١٦٠) ، ومسلم (٢٢٧) .

ومال وحاضرة ، فأخبرني كيف أصنع ؟ وكيف أنفق ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخرج الزكاة من مالك ؛ فإنها طهرة تطهرك ، وتصل أقرباءك ، وتعرف حق المسكين والجار والسائل »[1] .

وروي عن أبي أيوب رضي الله تعالىٰ عنه : أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، قال : « تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتُؤتي الزكاة ، وتصل الرحم » انتهىٰ[2] .

(**فإذا فعلوا ذلك**) كله ؛ أي : أَتوا به قولاً كان وهو الشهادتان ، أو فعلاً وقولاً وهو الصلاة ، أو فعلاً محضاً وهو الزكاة . . (**عصَموا**) بفتح الصاد ؛ أي : حفظوا ومنعوا (**مني دماءهم وأموالهم**) فلا يحل سفك دمائهم ولا أخذ أموالهم (**إلا بحق الإسلام**) كقتل القاتل ، ورجم الزاني ، وقطع يد السارق ، وأخذ بدل المتلفات ، وأخذ النفقات الواجبة من مانعيها .

(**وحسابهم على الله تعالىٰ**) أي : أَمْرُ سرائرهم موكولٌ له ومفوَّضٌ إليه ؛ يعني : أننا نعاملهم بحسب الظاهر ؛ فنحكم بإسلامهم ، ونُجري عليهم مقتضاه ، ثم إن كانوا صادقين . . أدخلهم الله الجنة ، وإن كانوا كاذبين . . فهم من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار ؛ أي : في المكان الأسفل منها وهو قعرها ، نسأل الله تعالى السلامة منها .

ثم إن هـٰذا الحديث حديث عظيم مشتمل علىٰ مهمات قواعد الدين (**رواه البخاري ومسلم**) في (كتاب الإيمان) .

ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيه الصوم والحج ؛ إما لكونهما لم يُفرضا إذ ذاك ، وإما لكونهما لم يقاتل علىٰ تركهما ؛ إذ الحج على التراخي ، والصوم يُحبس تاركه ويُمنع الطعام والشراب .

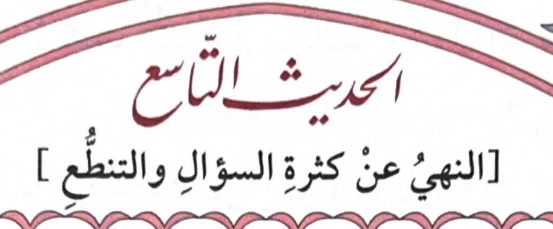
---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٣/١٣٦) .
(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٦) ، ومسلم (١٣) .

ولهـٰذا لم يذكرهما لمعاذ حين بعثه إلى اليمن ؛ فقد روى البخاري أنه قال له : « ادعهم إلىٰ شهادة أن لا إلـٰه إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا إلىٰ ذلك . . فأعلمهم أنّ الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك . . فأعلمهم أنَّ الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم تُؤخذ من أغنيائهم وتُردُّ علىٰ فقرائهم »[1] .

* * *

(١) صحيح البخاري (١٣٩٥) .



الحديث التاسع

[النهيُ عنْ كثرةِ السؤالِ والتنطُّعِ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ . . فَٱجْتَنِبُوهُ ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ . . فَأْتُوا مِنْهُ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ ، وَٱخْتِلَافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ » رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[1] .

[من ترجمة سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه]

(**عن أبي هريرة عبد الرحمـٰن بن صخر رضي الله**) تعالىٰ (**عنه**) **سبب تكنيته بأبي هريرة** : ما روي عنه أنه قال : كنت أحمل يوماً هرة في كمي ، فرآني النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ما هـٰذه ؟ » فقلت : هرة ، فقال لي : « يا أبا هريرة »[2] .

وما ذكره المصنف من أن اسمه عبد الرحمـٰن ، واسم أبيه صخر . . **هو الصحيح من أقوال كثيرة** .

قدم المدينة سنة سبع ورسول الله بخيبر ، فسار إليه وأسلم علىٰ يديه ، ولازمه ملازمةً تامة ؛ رغبةً في العلم ، فلذا كان أكثر الصحابة روايةً بإجماع العلماء .

روي عنه خمسة آلاف وثلاث مئة حديث وأربعة وسبعون حديثاً ، وكان يقول :

---

(١) صحيح البخاري (٧٢٨٨) ، صحيح مسلم (١٣٣٧) .

(٢) أورده ابن عبد البر في « الاستيعاب » (٢/ ٢٠٤) .

(إنما حدَّثت بنصف الأحاديث التي أعرفها)[1] .

وروي عنه أنه قال : (كنت أُكْثر من مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه حدَّثنا يوماً فقال : « من يبسط ثوبه حتىٰ أَفْرَغ من حديثي ثم يقبضه . . فإنه ليس ينسىٰ شيئاً سمعه مني أبداً » فبسطت ثوبي ـ أو قال : ردائي ـ ثم حدثنا ، فقبضته إليَّ ، فوالله ؛ ما نسيت شيئاً سمعته منه)[2] .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه عريف ـ أي : رئيس ـ أهل الصُّفَّة ؛ وهي موضع مظلل في المسجد النبوي ، يأوي إليه فقراء المهاجرين ، ولم يكن علىٰ غالبهم إلا ساتر العورة .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجالسهم ويأنس بهم ، ويدعوهم بالليل فيفرقهم علىٰ أصحابه ، وتتعشَّىٰ طائفة منهم معه ، وكان إذا جاءته هدية . . أصاب منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقة . . بعث بها إليهم ولم يصب منها .

[قصة سيدنا أبي هريرة مع قدح اللبن]

ونقل عن مجاهد أنه قال : كان أبو هريرة يقول : (والله ؛ إني كنت لأعمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإني كنت لأشدُّ الحجر علىٰ بطني من الجوع ، وقد قعدت يوماً علىٰ طريقهم الذي يخرجون منه ، فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلاّ ليستتبعني فلم يفعل ، ثم عمر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ، فمرَّ أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم ، فعرف ما في وجهي وما في نفسي فقال : « أبا هر » فقلت : لبيك يا رسول الله . قال : « الحقني » فتبعته ، فدخل واستأذنت فأذن لي ، فوجد لبناً في قدح فقال : « مِن أين لكم هـٰذا اللبن ؟ » فقالوا : أهداه لنا فلان ، أو آل فلان .

---

(١) أخرج البخاري (١٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين ؛ فأما أحدهما . . فبثثته ، وأما الآخر . . فلو بثثته . . قطع هـٰذا البلعوم) .
(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٠) ، ومسلم (٢٤٩٢) .

قال : « أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « **انطلق إلىٰ أهل الصفة فادعهم** » .

قال : فأحزنني ذلك ، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربةً أقوىٰ بها بقية يومي وليلتي ، فقلت : أنا الرسول ، فإذا جاء القوم . . كنت أنا الذي أعطيهم ، فلم يبق لي من هـٰذا اللبن شيء ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بدٌّ .

فانطلقت فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت .

ثم قال : « **يا أبا هرّ ؛ خذ فأعطهم** » فأخذت القدح فجعلت أعطيهم ، **فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتىٰ يروىٰ** ، ثم يردّ القدح ، فأعطيه الآخر فيشرب حتىٰ يروىٰ ، ثم يردّ القدح . . حتىٰ أتيت علىٰ آخرهم ، ودفعته إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ القدح فوضعه في يده وقد بقي فيه فضلة ، ثم رفع رأسه فنظر إليَّ وتبسَّم فقال : « أبا هر » فقلت : لبيك يا رسول الله .

قال : « **فاقعد فاشرب** » فقعدت فشربت ، ثم قال لي : « اشرب » فشربت ، ثم قال لي : « اشرب » فشربت ، فما زال يقول : « اشرب » وأشرب حتىٰ قلت : **والذي بعثك بالحق ؛ ما أجد له مسلكاً** .

قال : « **ناولني القدح** » فرددت إليه القدح ، فشرب من الفضلة)[1] .

[المصائب الثلاثة]

وروي عنه أنه قال : (أُصِبْتُ ثلاث مصائب في الإسلام : موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقتل عثمان ، والمِزود .

قالوا له : **وما المِزود** ؟ قال : كنَّا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فقال : « هل معك شيء ؟ » فقلت : تمر في مزود .

قال : « جىءْ به » فأخرجت منه تمراً ـ وفي رواية : عشرين تمرة ـ **فسمّى الله**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٢) .

ودعا ، وجعل يضع كلَّ تمرة ويسمي حتىٰ أتىٰ إلىٰ آخرهن ، ثم قال : « **ادع الجيش عشرة عشرة** » فدعوتهم حتىٰ أكل الجيش كله وبقي في المِزود ، فقال : « **إذا أردت أن تأخذ منه شيئاً . . فخذ ولا تكبه** » فأكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان ، فلما قتل . . انتهب بيتي وانتهب المزود ، ألا أخبركم ؟ أكلت منه أكثر من مئتي وسق)[1] .

والمِزود ـ بالكسر ـ : ما يجعل فيه الزاد ، **والوسق** : ستون صاعاً .

ومن فضائله رضي الله تعالىٰ عنه : أنه كان يستغفر الله ويتوب إليه كل يوم اثني عشر ألف مرة[2] .

وقيل : كان له خيط فيه ألفا عقدة ، فلا ينام حتىٰ يسبح به[3] .

وحكي : أنه (كان هو وامرأته وخادمه يتعقَّبون الليل أثلاثاً)[4] يصلِّي هـٰذا ثم يوقظ هـٰذا فيصلي ، ثم هـٰذا يوقظ هـٰذا فيصلي .

وكان له جارية زنجية ، فرفع عليها السوط يوماً فقال : (**لولا القصاص . . لأوجعتك به ، ولـٰكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك ، اذهبي فأنت حرَّة لوجه الله عز وجل**)[5] .

وجاءه رجل فقال له : ادع لابني ؛ فقد وقع في نفسي الخوف عليه من الهلاك ، فقال له : (**ألا أدلُّك علىٰ ما هو أنفع لك من دعائي وأنجح وأسرع إجابة ؟**) قال : بلىٰ . قال : (تصدَّق بصدقة تنوي بها نجاة ولدك وسلامة ما معه) ، فأعطىٰ سائلاً درهماً وقال : **اللهم ؛ هـٰذا فداء ابني زيد وما معه** .

فلما قدم . . سأله أبوه عن حاله ، فقال : **يا أبي ؛ قد رأينا عجباً يوم كذا وكذا ؛**

---

(١) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢٣٤٨) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٨٣) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٨٣) .
(٤) أخرجه البخاري (٥٤٤١) .
(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٨٤) .

وذلك أنَّا أشرفنا على الهلاك والغرق ، فسمعنا صوتاً من الهواء : **ألا إن فداء زيد مقبول** ، **وزيد مغاث** ، وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض ، فقدموا السفينة إلىٰ جزيرة كانت بالقرب منا ، **فسَلِمَت السفينة وكلّ من فيها** ، ثم سرنا بعد ذلك[1] .

وقيل : إنَّ عمر رضي الله تعالىٰ عنه استعمله ـ أي : جعله عاملاً وأميراً ـ على البحرين ثم عزله ، ثم راوده على العمل فأبىٰ وتاب عن الإمارة ، **ولم يزل يسكن المدينة** ، **وبها توفي** سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية ، وله من العمر ثمان وسبعون سنة ، ودفن بالبقيع ، وما اشتهر من أن قبره بعسقلان أو بقربها . . لا أصل له[2] .

[طاعة النبي صلى الله عليه وسلم]

(**قال**) نفعنا الله به : (**سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول** : **ما نهيتكم عنه**) أي : منعتكم منه **منع تحريم** ؛ كقوله : « لا تعذبوا بعذاب الله »[3] أي : بالنار .

أو منع كراهة ؛ كقوله : « لا تأكلوا البصل النيء »[4] ، وقوله : « لا تأكلوا بالشمال »[5] . . (**فاجتنبوه**) أي : اجعلوه في جانب وتباعدوا عنه ، وفي رواية : (فدعوه)[6] أي : اتركوه حتماً في الحرام ، وندباً في المكروه ، **والمراد** : اجتناب كله ؛ إذ الامتثال لا يحصل إلا بترك الجميع ، فتارك بعض المنهيات لا يعدُّ ممتثلاً ، بل يكون مرتكب الحرام عاصياً ، ومرتكب المكروه مخالفاً .

---

(١) ذكره الأبشيهي في « المستطرف » (١/ ٤١ـ ٤٢) .

(٢) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٨٦٢) ، و« أسد الغابة » (٦/ ٣١٨) ، و« الإصابة » (٤/ ٢٠٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٠١٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٣٦٦) عن سيدنا عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه .

(٥) أخرجه مسلم (٢٠١٩) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٦) أخرجها أحمد في « المسند » (٢/ ٤٥٧) .

نعم ؛ يباح المنهي عنه للضرورة ؛ كأكل الميتة للمضطر ، وشرب الخمر عند الإكراه .

(**وما أمرتكم به**) أي : **طلبته منكم طلب وجوب** ؛ كقوله : « اكفلوا ـ أي : التزموا ـ لي ستَّ خصال . . أكفل لكم الجنة » قيل : وما هي ؟ قال : « الصلاة والزكاة » أي : الإتيان بهما « والأمانة » أي : توفيتها لمستحقها « والفرج والبطن واللسان »[1] أي : منعهم عن الحرام .

أو طلبَ ندب ؛ كقوله : « أكثروا ذكر الموت ؛ فإنه يُمحِّص الذنوب ـ أي : يزيلها ـ ويزهد في الدنيا ، فإن ذكرتموه عند الغنىٰ . . هدمه ، وإن ذكرتموه عند الفقر . . أرضاكم بعيشكم »[2] .

(**فأتوا**) وفي رواية : (فافعلوا)[3] (**منه ما استطعتم**) أي : ما أطقتم وقدرتم عليه وجوباً في الواجب ، وندباً في المندوب ، ومصداق ذلك قول الله عز وجل : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ المبين لقوله تعالىٰ في الآية الآخرى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ ؛ **إذ حقّ تقاته هو** : امتثال أمره واجتناب نهيه ، ولم يأمر سبحانه وتعالىٰ إلاّ بالمستطاع ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ .

[الميسور لا يسقط بالمعسور وأدلة لذلك]

ويستفاد مما ذكر : أن من عجز عن بعض المأمور به . . لا يسقط عنه المقدور ، بل يجب عليه الإتيان به ، وهـٰذا هو معنىٰ قول الفقهاء : (**إن الميسور لا يسقط بالمعسور**) .

فإذا عجز عن صاع الفطرة . . أتىٰ بما قدر عليه منه .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٤٩٢٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) ذكره المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٢٠٩٨) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في « الموت » .
(٣) أخرجها مسلم (١٣٣٧/١٣٠) .

وإذا عجز عن غسل بعض الأعضاء في الوضوء ، أو عن مسحها في التيمم . . أتىٰ بالممكن وصحَّت عبادته .

وإذا عجز عن القيام في الصلاة ؛ بأن حصل له به مشقة شديدة تُذهب الخشوع أو كماله . . صلىٰ قاعداً ، فإن عجز عن القعود بهـٰذا المعنىٰ . . اضطجع علىٰ جنبه ، فإن عجز عن الاضطجاع كذلك . . استلقىٰ علىٰ ظهره .

ثم إن قدر على الركوع والسجود . . فعلهما ، **وإن عجز عنهما بهـٰذا المعنىٰ** . . أومأ ـ أي : أشار ـ إليهما برأسه ، وجعل سجوده أخفض من ركوعه ، **فإن عجز عن الإيماء برأسه** . . أومأ بأجفانه ، **فإن عجز** . . أومأ بقلبه ، **فإن اعتُقل لسانه** ـ بضم التاء ؛ أي : حُبس ـ عن الكلام فلم يقدر عليه . . أجرىٰ أركان الصلاة علىٰ قلبه .

ونُقل عن أبي حنيفة رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : من خاف من الإيماء برأسه حصول مشقة شديدة له . . جاز له ترك الصلاة وإن كان عاقلاً ؛ لأن مجرد العقل لا يكفي في الخطاب ، وعليه عمل الناس سلفاً وخلفاً .

ثم إن كانت خمس صلوات فأقل . . وجب عليه قضاؤها إذا برىء ، **وإن كانت أكثر** . . سقطت عنه ، ولا قضاء عليه .

ونقل عنه أيضاً : أن المريض إذا عجز عن فعل شرائط الصلاة بنفسه وقدر عليها بغيره . . لا تجب عليه ، لأن القدرة بالغير لا تعدُّ قدرةً عنده .

وعليه : لو تيمم العاجز عن الوضوء بنفسه ، أو صلىٰ بالنجاسة ، أو إلىٰ غير القبلة مع وجود من يوضِّئه ، أو يزيل عنه النجاسة ، أو يحوله للقبلة ولم يأمره بذلك . . صحَّتْ صلاته .

وعند صاحبيه : لا تصح ؛ لأن آلة غيره صارت كآلته .

ولا يخفىٰ ما في كلام أبي حنيفة من التسهيل على المريض ؛ فلا بأس بتقليده عند اشتداد المرض وخشية ترك الصلاة والعياذ بالله تعالىٰ .

(**فإنما أهلك الذين من قبلكم**) أي : من الأمم السابقة (**كثرةُ مسائلهم**) أي : التي لغير حاجة وضرورة ؛ فإنها تشعر بالتعنت :

كقولهم لسيدنا عيسىٰ صلى الله عليه وسلم : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، فطلبها عيسىٰ من ربه عز وجل ، فنزلت الملائكة بها من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ، فأكلوا منها حتىٰ شبعوا . قاله ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما[1] .

وفي حديث : « أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً ، فأمروا ألاَّ يخونوا ولا يدخروا لغد ، فخانوا وادخروا ، فمُسخوا قردةً وخنازير »[2] .

وكقولهم لسيدنا موسىٰ صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ أي : عِياناً ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ أي : عقب هٰذا السؤال ، وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم .

وكقولهم له أيضاً صلى الله عليه وسلم : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ لما أُمروا بذبح بقرة ، ولو أنهم عمدوا إلىٰ أيِّ بقرة فذبحوها . . لأجزأتهم ، ولٰكنهم شدَّدوا علىٰ أنفسهم بكثرة السؤال عن حالها وصفتها . . فشدَّد الله تعالىٰ عليهم .

[قصة ذبح البقرة]

روي : أن رجلاً فقيراً في بني إسرائيل قَتل ابن أخيه أو أخاه أو ابن عمه لكي يرثه ، ثم رماه في مجمع الطريق ، ثم شكا ذلك إلىٰ موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، فاجتهد موسىٰ في تعرف القاتل ، فلما لم يظهر . . قالوا له : سَلْ لنا ربك حتىٰ يبيِّنه .

فسأله ، فأوحى الله تعالىٰ إليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾ ، فتعجَّبوا من ذلك ، ثم شدَّدوا علىٰ أنفسهم بالاستفهام عن حالها حالاً بعد حال ، واستقصوا في طلب الوصف ؛ أي : بلغوا الغاية فيه ، فلما تعيَّنتِ البقرة . . لم يجدوها بذلك النعت إلا عند إنسان معيَّن ، ولم يبعها إلاَّ بأضعاف ثمنها ، فاشتروها فذبحوها ،

---

(١) أورده القرطبي في « تفسيره » (٦/٣٦٩) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٦١) عن سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

وأمرهم موسىٰ أن يأخذوا عضواً منها فيضربوا به القتيل ، ففعلوا ، **فصار المقتول حياً** ، وعيَّن لهم قاتله . وهو الذي ابتدأ بالشكاية ، فقتلوه قَوَداً ؛ أي : قِصاصاً ، يعني : قتلوه به[1] .

[قصة صاحب البقرة]

قيل : **كانت هٰذه البقرة لولدٍ بارٍّ بوالديه** ؛ خلَّفها له أبوه ، وكان هٰذا الولد يقسم الليل أثلاثاً : يصلي ثلثاً ، وينام ثلثاً ، ويجلس عند رأس أمه ثلثاً ، فإذا أصبح . . انطلق فاحتطب فباعه ، ثم أكل بثلثه ، وتصدَّق بثلثه ، وأعطىٰ أمه ثلثه .

فأمرته ذات يوم ببيع البقرة بثلاثة دنانير تحت مشورتها ، وكانت قيمتها هٰذا القدر ، فانطلق بها إلى السوق ، فبعث الله إليه ملكاً فقال له : **بكم تبيع هٰذه البقرة** ؟ قال : بثلاثة دنانير بشرط رضا أمي .

فقال له الملك : أعطيك ستة دنانير ولا تشاورها ؟ فقال له : **لو أعطيتني وزنها ذهباً . . لم آخذه إلا برضاها** ، فردَّها إلىٰ أمه فأخبرها بذلك ، فقالت له : **ارجع فبعها بستة دنانير علىٰ رضاً مني** ، فانطلق بها ، فأتاه الملك ، فقال له الولد : إنها أمرتني ألاّ أنقصها عن ستة دنانير علىٰ أن أستأمرها .

فقال له الملك : إني أعطيك اثني عشر ديناراً ولا تستأمرها ، فأبىٰ ورجع إلىٰ أمه فأخبرها بذلك .

فقالت له : **إنَّ الذي يأتيك مَلَكٌ في صورة آدمي ليختبرك** ، فإذا أتاك فقل له : **أتأمرنا أن نبيع هٰذه البقرة أم لا** ؟ ففعل .

فقال له الملك : اذهب إلىٰ أمك وقل لها : **أمسكي هٰذه البقرة** ؛ **فإنك تبيعيها بملء جلدها ذهباً** ، فأمسكتها حتىٰ وُجِد هٰذا القتيل ، فاشتروها بما ذكر[2] .

---

(١) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٦/ ٢٢٠) .

(٢) أورده البغوي في « تفسيره » (١/ ٨٢ـ ٨٣) .

فَائِدَة

[في التكلف في السؤال]

روى البخاري : أن معاوية كتب إلى المغيرة بن شعبة : اكتب لي شيئاً سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « **إني أكره لكم ثلاثاً** : قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال »[1] .

ويروىٰ : أن أُبيَّ بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهما من أفاضل الصحابة كان أحدهم إذا سُئل عن مسألة . . يقول : (**أَوَقَعت هـٰذه** ؟) فإن قيل : نعم . . قال فيها بعلمه ، أو أحال علىٰ غيره ، وإن قيل : لا . . قال : (**فدعها حتىٰ تقع**)[2] .

وقوله : (**واختلافُهم**) بضم الفاء لا بكسرها ، فهو معطوف علىٰ (كثرة) لا علىٰ (مسائلهم) **والتقدير** : وأهلكهم اختلافُهم (**علىٰ أنبيائهم**) أي : عصيانهم عليهم بتفرقهم في الدين وتخاصمهم فيه ؛ كاليهود أمرهم موسىٰ عليه السلام أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة ، وأخبرهم بفضله ، فأبَوا إلا طائفة منهم ، وقالوا : **لا نريد يوم الجمعة ونريد يوم السبت** ، فشدَّد الله عليهم ، **وحرَّم عليهم صيد السمك فيه** ، وابتلاهم بأن ألهم السمك أن يجتمع كلّه في هـٰذا اليوم ، فلا يُرى الماء من كثرته ، فإذا مضىٰ . . تفرَّق السمك ولزم قعر البحر .

فوسوس إلىٰ بعضهم الشيطانُ : بأنهم إنما نهوا عن أخذها يوم السبت ولم ينهوا عن أخذها في غيره ولو بالحيلة ، فحفروا في جانب البحر حفرة كبيرة ، وجعلوا لها أنهاراً من البحر ، فإذا كانت عشية الجمعة . . فتحوا تلك الأنهار ، فيقبل الموج بالحيتان إلى الحفرة فيقع فيها ولا يقدر على الخروج منها ؛ لعمقها ، فإذا كان يوم الأحد . . أخذوها فشووا وأكلوا ، فشمَّ جيرانهم ، فسألوهم ، فأخبروهم بالحيلة ، فقالوا : **إنَّ الله معذِّبكم** .

ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة . . تبعهم جماعةٌ ثم جماعةٌ حتىٰ صاروا قدر الثلث ،

---

(١) صحيح البخاري (١٤٧٧) .

(٢) انظر « الفقيه والمتفقه » (٦٢٢ـ ٦٢٤) ، و« فيض القدير » (٦ / ٣٠١) .

وتجاروا على السبت وقالوا : ما نرى السبت إلا قد حل لنا ، وأمسك قدر الثلث عن الصيد ولم ينهوهم ، وأمسك الثلث الثالث ونهوهم ، ثم لعنهم داوود في زمنه ، وغضب الله عليهم فمسخهم قردة وخنازير ، وكذا الثُّلث الساكت علىٰ خلاف فيه ، ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا .

وهـٰذا الحديث من جوامع الكلم ، وقاعدة عظيمة من قواعد الدين ، وفيه إشارة إلىٰ وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم ، وتسليم ما جاء به من الأحكام من غير معارضة .

(**رواه البخاري ومسلم**) رحمهما الله تعالىٰ ، آمين .

❋ ❋ ❋

الحديث العاشر

[الحلالُ سببٌ لإجابةِ الدعاء ، وأكلُ الحرامِ يمنعُهَا]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً ، وَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ ٱلْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ » ، ثُمَّ ذَكَرَ ٱلرَّجُلَ يُطِيلُ ٱلسَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ : يَا رَبِّ ، يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِٱلْحَرَامِ ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لَهُ ؟! رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

[إنفاق المال من الطيبات لا من المحرمات]

(عن أبي هريرة) تقدَّمت ترجمته[2] (رضي الله) تعالىٰ (عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالىٰ طيب) أي : منزَّه عن النقائص ، ومقدَّس عن الآفات والعيوب .

(لا يقبل إلا طيباً) أي : لا يقبل شيئاً من أقوال العبد وأعماله وأمواله إلا ما كان طيباً ؛ أي : حسناً خالياً من المفسدات والمحرمات ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ أي : الحسن ؛ نحو : لا إلـه إلا الله ، ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ أي : يقبله ويثيب عليه ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ ،

---

(١) صحيح مسلم (١٠١٥) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ١٨٩) في الحديث التاسع .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ .

ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما أنه قال : (**من اكتسب مالاً حراماً وتصدَّق به . . لم يقبل منه**)[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « **من كسب مالاً حراماً فتصدَّق به** . . لم يكن له فيه أجر ، وكان إثمه عليه »[2] .

وقال سفيان الثوري رضي الله تعالىٰ عنه : (من أنفق من الحرام في طاعة الله . . كان كمن طهَّر الثوب بالبول)[3] .

ويكره التصدُّق بما فيه شبهة ، وبالطعام الرديء ؛ كالحب القديم والمسوِّس إن كان طعامه جيداً ، قال الله تعالىٰ : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ ﴾ أي : الثواب الكامل ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ أي : تتصدقوا من أحبِّ أموالكم ؛ ولذا كان عبد الله بن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما يتصدَّق بالسكر ويقول : (**إني أحبه**)[4] .

[الحلال هو أطيب الطيبات]

(**وإن الله تعالىٰ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**) أي : سوَّىٰ بينهم في الخطاب بوجوب أكل الحلال (**فقال تعالىٰ** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾) أي : الحلال (﴿ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ ، **وقال تعالىٰ** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾) أي : من حلال ما خلقناه نفعاً لكم .

وسُمِّي الحلال طيباً ؛ لأنَّ الشارع طيَّبه لآكله وإن لم يستلذه ، **والحرام وإن التذ به آكله يؤدي إلى العقاب** ، فهو مضر ؛ فقول الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه :

---

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٥١٣٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
(٢) أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٣٢١٦) .
(٣) أورده الإمام الغزالي في « الإحياء » (٣/ ٣٥٣) .
(٤) عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ٢٦٢) لابن المنذر عن نافع عن ابن عمر ، **والسُّكَّر** : نوع من الرطب شديد الحلاوة .

(**الطيب** : المستلذ) أراد به المستلذ شرعاً لا حساً ، أَلا ترىٰ أنَّ لحم الخنزير لذيذ وهو حرام إجماعاً ، والصَّبِر لا لذَّة فيه وهو حلال إجماعاً ؟![1] .

وروي : أن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالىٰ عنه قال يوماً : (إني أكلت الليلة حِمِّصاً وعدساً فنفخني) ، فقال له بعض القوم : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله تعالىٰ يقول في كتابه : ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ .

فقال عمر : (هيهات هيهات !! ذهبت به إلىٰ غير مذهبه ؛ **إنما يريد طيب الكسب** ، **ولا يريد طيب الطعام**)[2] .

وقيل : **إن أفضل ما أكل منه الإنسان** : كسبه من زراعة ؛ لأنها أقرب إلى التوكل ، ثم من صناعة ؛ لأن الكسبَ فيها يحصل بكدِّ اليمين ، ثم من تجارة ؛ لأن الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم كانوا يكتسبون بها .

ويحرم تناول ما يضرُّ بالبدن أو العقل ؛ كالتراب والزجاج ، والسُّم والحشيشة التي يتعاطاها الحرافيش[3] .

ويسن ترك التبسط في الأطعمة المباحة ؛ لأنه ليس من أخلاق السلف ، هٰذا إذا لم تدع إليه حاجة ؛ كقِرَى الضيف وأوقات التوسعة على العيال ؛ كيوم عاشوراء ، ويومي العيد ، ولم يقصد بذلك التفاخر والتكاثر ، بل تطييب خاطر الضيف والعيال وقضاء وطرهم ـ أي : حاجتهم ـ مما يشتهونه .

وقيل : **إنه يسن قضاء شهوة النفس** والعيال مع التوسط ، **ويسن أكل الحلو من الطعام** ، وكثرة الأيدي عليه ، والحمد عقب الأكل والشرب .

ونقل عن أبي سليمان الداراني أنه قال : (**أكل الطيبات يورث الرضا عن الله** ،

---

(١) قوله : (**والصبر**) هو الدواء المر ، وهو بكسر الباء في الأشهر ، وسكونها لغة قليلة ، ومنهم من قال : لم يسمع تخفيفه في السعة ، وحكى ابن السيد جواز التخفيف بسكون الباء مع فتح الصاد وكسرها ، فيكون فيه ثلاث لغات . اهـ من « المصباح » . **اهـ مؤلف** .

(٢) أورده ابن سعد في « الطبقات » (٧/ ٣٥٨) .

(٣) **الحرافيش** : جمعٌ مفرده : حَرْفوش ؛ وهو اسم علم في السريانية العامية (حرفشتا) ويطلق على الصرصور والخنفسة ، وعلى اسم غير سامٍ ، **والمراد به هنا** : السفِلة من الناس .

وتتمّ الطيبات بشرب الماء البارد ، وصبّ الماء الفاتر على اليد عند غسلها)[1] .

وعن أبي الحسن الشاذلي أنه قال له شيخه : (**يا بني** ؛ **برِّد الماء** ؛ فإن العبد إذا شرب الماء السخن فقال : الحمد لله . . كانت بكراهة)[2] .

وقيل : إن الشخص يُثاب إذا أكل طيباً قصد به القوة على الطاعة وإحياء نفسه ، بخلاف ما إذا أكل تشهِّياً وتنعُّماً[3] .

[من أسباب رد الدعاء]

قال أبو هريرة رضي الله تعالىٰ عنه : (**ثم ذكر**) أي : النبي صلى الله عليه وسلم (**الرجل**) يجوز قراءته بالرفع علىٰ أنه مبتدأ حكاية للفظه صلى الله عليه وسلم ، والخبر قوله الآتي : « فأنىٰ يستجاب له » ، ويجوز نصبه علىٰ أنه مفعول (ذكر) ، فعلى الأولىٰ يرفع (أشعث) و(أغبر) علىٰ أنهما صفتان له بعد وصفه بإطالة السفر ، وعلى الثاني ينصبان على الوصفية له أيضاً ، ويجوز نصبهما علىٰ أنهما حالان من فاعل (يُطيل) .

وخص الرجل بالذكر ؛ لأنه الذي يسافر السفر البعيد غالباً ، وإلا . . فالمرأة كذلك .

(**يُطيل السفر**) أي : لما هو طاعة ؛ كالحج والجهاد وصلة الرحم .

(**أشعث**) أي : وسخ الجسد متلبد الشعر ؛ لقلة تعهده بالغسل والتَّسريح .

(**أغبر**) أي : أصاب الغبار جسده وثوبه حتىٰ غيَّر لونهما .

(**يمد يديه**) حال من ضمير (أشعث) أو صفة لـ(رجل) بعد وصفه بما تقدم .

ومعنىٰ (**يمد يديه**) : يرفعهما (**إلىٰ**) جهة (**السماء**) داعياً متذللاً قائلاً :

---

(١) أورده المكي في « قوت القلوب » (٢/ ١٧٩) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٦٩) .
(٢) ذكره أبو القاسم العبدري في « التاج والإكليل لمختصر خليل » (١/ ٢٣٦) .
(٣) انظر « المجالس السنية » (ص ٣٤) .

(**يا رب**) أعطني كذا (**يا رب**) اصرف عني كذا (**و**) الحال أنه (**مطعمه**) أي : مطعومه ومأكوله (**حرام** ، **ومشربه**) أي : مشروبه (**حرام** ، **وملبسه**) أي : ملبوسه (**حرام** ، **وغُذِي بالحرام**) بضم الغين المعجمة وكسر الذال المعجمة المخففة ، وفي « المصابيح » وردت مشدَّدة[1] ، وذكره بعد المطعم والمشرب إما للتأكيد وإما للتنبيه علىٰ حال الصغر ، **والمعنىٰ** : وكان غذاؤه حراماً حال صغره .

والغذاء ـ بالذال المعجمة ـ : ما به نماء الجسد وقوامه من الطعام والشراب ، وهو أعمُّ من (الغداء) بالدال المهملة و(العشاء) ، **ووقت الأول** : من طلوع الفجر إلى الزوال ، **ووقت الثاني** : من الزوال إلىٰ نصف الليل ، فمن حلف أنه لا يتغدىٰ فأكل بعد الزوال ، أو أنه لا يتعشىٰ فأكل قبل الزوال . . لم يحنث .

(**فأنىٰ**) أي : فكيف (**يستجاب له** ؟!) وفي بعض النسخ : (لذلك) ، والاستفهام للاستبعاد ؛ أي : يبعد لمن هٰذه صفته وهٰذا حاله أن يجاب دعاؤه .

ونقل عن وهب بن منبه أنه قال : (**بلغني** : أنَّ موسىٰ عليه السلام مرَّ برجل قائم يدعو ويتضرَّع طويلاً وهو ينظر إليه ، فقال موسىٰ : **يا رب** ؛ **أما استجبت لعبدك** ؟

فأوحى الله تعالىٰ إليه : يا موسىٰ ؛ إنه لو بكىٰ حتىٰ تلفتْ نفسه ورفع يده حتىٰ بلغ عنان السماء . . ما استجبت له . قال : يا رب ؛ لِمَ ذلك ؟ قال : **لأن في بطنه الحرام** ، **وعلىٰ ظهره الحرام** ، **وفي بيته الحرام**)[2] .

وروي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : يا رسول الله ؛ ادعُ الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « **أَطب مطعمك** . . **تكن مستجاب الدعوة** ، والذي نفس محمد بيده ؛ إنَّ العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه . . ما يتقبَّل منه أربعين يوماً ، **وأيما عبدٍ نبت لحمه من سحت** . . **فالنار أولىٰ به** »[3] .

---

(١) ذكره الطيبي في « شرحه على المشكاة » (٥/٦) .

(٢) ذكره الأبشيهي في « المستطرف » (٢٦٠/٣) ، وأورده ابن الجوزي في « عيون الحكايات » (ص ٣٦١) عن عبّاد الخواص .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٤٩١) .

وقال بعض السلف : (**لا تستبطىء الإجابة وقد سددتَ طرقها بالمعاصي**)[1] .

ونظم ذلك المعنىٰ بعض الشعراء فقال[2] : [من الخفيف]

نحنُ ندعو الإلٰه في كلِّ كربٍ ... ثمَّ ننساهُ عندَ كشفِ الكروبِ

كيفَ نرجو استجابةً لدعاءٍ ... قدْ سددنا طريقَها بالذُّنوبِ

[عشرة أشياء سبب لموت القلب]

وحكي : أن إبراهيم بن أدهم مرَّ بسوق البصرة ، فاجتمع الناس إليه ، وقالوا له : يا أبا إسحاق ؛ ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟! قال : لأن قلوبكم ماتت **بعشرة أشياء** :

الأول : عرفتم الله فلم تؤدوا حقَّه .

والثاني : زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته .

والثالث : قرأتم القرآن فلم تعملوا به .

والرابع : أكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها .

والخامس : قلتم : إن الشيطان عدوٌّ لكم ولم تخالفوه .

والسادس : قلتم : إن الجنة حقٌّ ولم تعملوا لها .

والسابع : قلتم : إن النار حق ولم تهربوا منها .

والثامن : قلتم : إن الموت حقٌّ ولم تستعدُّوا له .

والتاسع : انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم .

والعاشر : دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم[3] .

ثم إن هٰذا الحديث من الأحاديث التي عليها قواعد الإسلام ، ومباني الأحكام ،

---

(١) ذكره ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » (١/ ٢٧٧) .

(٢) البيتان للوزير أبي غانم معروف بن محمد القصريّ . انظر « معجم السفر » (٩٨٣) .

(٣) أورده أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٥ـ١٦) .

وليس فيه تصريحٌ يمنع إجابة العاصي بالكلية ، بل يجوز أن الله تعالىٰ يجيبه تكرماً منه وتفضلاً ، بل قد يستجيب دعاء الكافر ؛ أي : **كما حكي** : أن مراكب الإفرنج جاءت تطلب الماء بثمن من المسلمين فمنعوهم ، **فلما أشرفوا على الهلاك . . فتحوا أناجيلهم وضجوا إلى الله تعالىٰ بالدعاء فأمطروا** ، فلما رأى المسلمون حالهم . . فتحوا مصاحفهم ودعوا عليهم ، فأرسل الله تعالىٰ عليهم ريحاً فكسرت مراكبهم وأهلكتهم[1] .

وقيل : (إن موسىٰ عليه السلام قال : **يا رب ؛ إذا دعاك الصائم والمصلي والمجاهد . . فماذا تجيبهم** ؟ قال تعالىٰ : أقول : لبيك . قال : يا رب ؛ **فإذا دعاك العاصي** ؟ قال : أقول : لبيك لبيك لبيك (ثلاثاً) . قال : يا رب ؛ تجيبه بالتلبية ثلاث مرات ؟! قال : **لأنه اعتمد علىٰ كرمي وغيره اعتمد علىٰ عمله**)[2] .

وأخرج البيهقي في « شعب الإيمان » عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ جبريل موكَّلٌ بحاجات العباد ، فإذا دعا المؤمن . . قال الله تعالىٰ : **يا جبريل** ؛ **احبس حاجة عبدي** ؛ **فإني أحبه وأحب صوته** ، وإذا دعا الكافر ـ وفي رواية : الفاجر ـ . قال : **يا جبريل** ؛ **اقضِ حاجة عبدي** ؛ **فإني أُبغضه وأُبغض صوته** »[3] .

وقال بعضهم : (من لم يكن في دعائه تاركاً لاختياره راضياً باختيار الله تعالىٰ . . فهو مُستدرَج ، وهو ممن قيل له : اقضوا حاجته ؛ فإني أكره أن أسمع صوته ، فإن كان مع اختيار الحق تعالىٰ لا مع اختيار نفسه . . كان مجاباً وإن لم يعط ، **والأعمال بخواتيمها**)[4] .

(**رواه**) الإمام (**مسلم**) رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به ، آمين .

❋ ❋ ❋

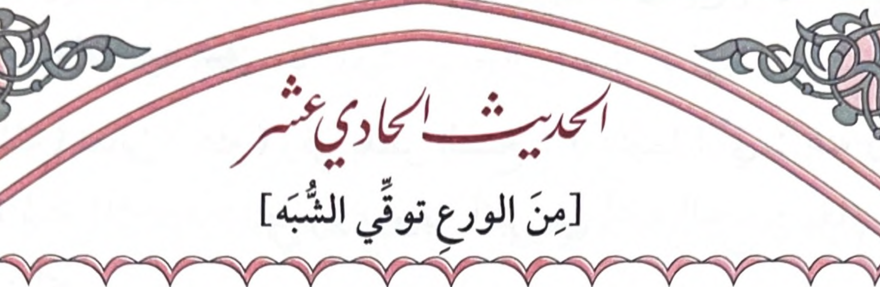
---

(١) أوردها الطرطوشي في « سراج الملوك » (٢/ ٦٦٣ـ ٦٦٤) .

(٢) انظر « نزهة المجالس » للعلامة الصفوري (١/ ٨١) .

(٣) شعب الإيمان (٩٥٦٢) .

(٤) انظر « إيقاظ الهمم » (ص ٤١) .



الحديث الحادي عشر

[مِنَ الورعِ توقِّي الشُّبَه]

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ ٱلْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لاَ يَرِيبُكَ » رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ وَٱلنَّسَائِيُّ ، وَقَالَ ٱلتِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1] .

[من ترجمة سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما]

(عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سِبْط رسول الله صلى الله عليه وسلم) بكسر السين المهملة وسكون الباء الموحدة ؛ أي : ابن بنته فاطمة الزهراء رضي الله تعالىٰ عنها ، و(سبط) يقرأ بالجر علىٰ أنه بدل من (أبي محمد) أو عطف بيان للحسن ، ويجوز رفعه بتقدير (هو) ، ونصبه بتقدير (أعني) .

وقوله : (وريحانته) أخذه من قول المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم فيه وفي أخيه الحسين : « هما ريحانتاي من الدنيا »[2] ، وفي رواية : « من الجنة »[3] ، شبَّه صلى الله عليه وسلم سروره وفرحه بهما وارتياحه برؤيتهما وإقباله عليهما بريحان طيب ترتاح لرؤيته وشمه النفسُ .

ويطلق الريحان على الرزق ، ومنه سمي الولد ريحاناً ؛ لأنه من رزق الله ،

---

(١) سنن الترمذي (٢٥١٨) ، المجتبىٰ (٨/ ٣٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٥٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرج الديلمي في « مسند الفردوس » (٧٢٥٤) عن سيدنا علي رضي الله عنه بلفظ : « الولد الصالح ريحان من رياحين الجنة » .

وقيل : يقال للولد : (ريحانة) إلىٰ سبع ، و(وزير) إلىٰ سبع أخر ، وبعد ذلك إما صديق حميم ، وإما عدو مبين .

(رضي الله) تعالىٰ (عنه) وفي بعض النسخ : (عنهما) أي : عنه وعن أبيه ، ولد بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة ، وهو أكبر من أخيه الحسين بعام ، وقيل : أقل ، وقيل : أكثر .

وأذَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أُذنه ، ولقبه بالتقي والسيّد[(١)] ، وكنَّاه بأبي محمد ، وسماه الحسن ، ولم يكن يعرف هـٰذا الاسم في الجاهلية ، وكذا اسم الحسين .

وروي عن البراء أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً الحسن علىٰ عاتقه وهو يقول : « **اللهم ؛ إني أحبه فأحبه** »[(٢)] .

وصح : « من أحبّني . . فليحبه ، وليُعلم الشاهد الغائب ، **اللهم** ؛ إني أحبه ، وأحبُّ من يحبه ، فأحبَّ من يحبه » ثلاث مرات[(٣)] .

وحكي : أنَّ أبا بكر رضي الله تعالىٰ عنه خرج من صلاة الفجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بليال وعليٌّ يمشي إلىٰ جنبه ، فمرَّ بالحسن يلعب مع الغلمان ، فاحتمله علىٰ رقبته وهو يقول : [من مجزوء الكامل]

بـــأبـــي شبيـــهٌ بـــالنبـــيْ ليـــس شبيهـــاً بعلـــيْ[(٤)]

وكان رضي الله تعالىٰ عنه رجلاً كريماً ، سمع شخصاً يسأل الله عز وجل أن يرزقه عشرة آلاف ، فانصرف فبعث بها إليه[(٥)] .

---

(١) انظر « سمط النجوم العوالي » (٣/ ٨٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٩) ، ومسلم (٢٤٢٢) .

(٣) سياق المصنف رحمه الله مجموع حديثين : الأول إلىٰ قوله : « الغائب » أخرجه أحمد في « المسند » (٥/ ٣٦٦) ، والثاني إلىٰ نهاية الحديث : أخرجه البخاري (٥٨٨٤) ، ومسلم (٢٤٢١) .

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٤٢) وفيه : (صلاة العصر) بدل (صلاة الفجر) .

(٥) أورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (١/ ٣٤٢) .

وحكي : أنه مرَّ هو والحسين رضي الله تعالىٰ عنهما علىٰ عجوز ، فذبحت لهما شاةً ، فغضب زوجها ، فأرسل الحسن إليها ألف شاة وألف دينار ، والحسين كذلك[1] .

وقيل : إنه خرج عن ماله مرتين ، وقاسم الله في ماله ثلاث مرات[2] .

ومن تواضعه : أنَّه مرَّ بصبيان معهم كسر خبز ، فاستضافوه فنزل وأكل معهم[3] .

وحكي : أنه مرَّ بقومٍ من المساكين الذين يسألون الناس علىٰ قارعة الطريق وقد نشروا كسراً على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو علىٰ بغلته ، فسلَّم عليهم ، فقالوا له : هلمَّ إلى الغداء يا بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : (**نعم ؛ إنَّ الله لا يحبُّ المستكبرين**) فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ، ثم سلّم عليهم وركب وقال : (**قد أجبتكم فأجيبوني**) قالوا : نعم ، فوعدهم وقتاً معلوماً فحضروا ، **وقدم عليه فاخر الطعام فجلس وأكل معهم**[4] .

وقيل : إنه كان لا يأكل مع أمه فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها ، فقالت له في ذلك ، فقال : (**أخشىٰ أن يقع بصرُك علىٰ شيء وأسبقك إليه ولا أشعر** ؛ فأكون عاقّاً لكِ) فقالت له : (كل معي وأنت في حلٍّ من ذلك) فامتثل[5] .

وروي أنه قال : (**إني لأستحي من ربِّي أن ألقاه ولم أمشِ إلىٰ بيته**) فحجَّ خمساً وعشرين مرة من المدينة وهو ماشٍ علىٰ رجليه ، وكانت النَّجائب تُقاد بين يديه[6] .

وتولى الخلافة بعد أبيه بمبايعة أكثر من أربعين ألفاً ، واستمر في الخلافة نحو

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٣٣) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨) .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٢٧١) .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « التواضع » (١١٠) .

(٥) أورده ابن الجوزي في « بر الوالدين » (ص ٥) .

(٦) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٧) .

ستة أشهر بالحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك .

ثم دعاه كرمه وحلمه وورعه أن تركها لمعاوية رفقاً بالمسلمين بعد أن سار كلٌّ منهما إلىٰ قتال الآخر ، وعلم أنه لن تغلب طائفة إلا بعد قتل أكثر الأخرىٰ ، فرأىٰ أنَّ المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال ، وطلب صلاح الأمة وحقن دمائها ؛ أي : منعها من السفك بإنقاذها من القتل .

ولما نزل عنها . . قال له رجل : السلام عليك يا مذلَّ المؤمنين ، فقال : (لست بمذلِّهم ، بل كرهت أن أقتلكم على الملك)[1] .

وبتركه لها ظهرت المعجزة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم في حقه : « **إنَّ ابني هـٰذا سيِّد ، ولعلَّ الله أن يصلح به** ـ وفي رواية : وسيصلح الله به ـ **بين فئتين عظيمتين من المسلمين** »[2] .

ومن كلامه رضي الله تعالىٰ عنه : (**كن في الدنيا ببدنك ، وفي الآخرة بقلبك**)[3] .

وكان له من الأولاد خمسة عشر ذكراً وثماني بنات .

وروىٰ عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر حديثاً ، ومات مسموماً من زوجته جعدة بنت الأشعث ، أغراها عليه يزيد بن معاوية ، ووعدها أن يتزوَّجها ، وبذل لها مئة ألف درهم ، ففعلت ، فمرض أربعين يوماً ، ومات سنة خمسين علىٰ ما عليه الأكثر ، فبعثت إلىٰ يزيد تسأله فيما وعدها ، فأبىٰ وقال : (إنا لم نرضاكِ للحسن فنرضاك لأنفسنا ؟!)[4] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/ ٢٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه ، وأما رواية : « وسيصلح الله به ».. فأخرجها أحمد في « المسند » (٥/ ٤٤) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٧) .

(٤) أورده السيوطي في « تاريخ الخلفاء » (٢٢٧) ، وقوله : (نرضاك) كذا في المخطوط بإثبات الألف مع أنه مجزوم ، وهي لغة نقلها أبو حيان في « البحر المحيط » (٥/ ٣٤٣) عن رؤساء النحويين .

وروي : أنَّ أخاه الحسين دخل عليه فقال له : (يا أخي ؛ من نتَّهم ؟ فقال : لتقتله ؟ قال : نعم ، فقال : إن يكن الذي أظن . . فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وإن لم يكن هو . . فلا أحب أن يقتل بي بريء)[1] .

وقال له : (قد أرسلت إلىٰ عائشة أن أُدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيت ، فإذا أنا متُّ . . فاطلب ذلك منها ؛ فإن طابت نفسها . . فادفني في بيتها ، وما أظنُّ القوم إلا سيمنعونك ؛ فإن كان . . فلا تزاحمهم ، وادفنِّي في البقيع ؛ فإن لي فيمن فيه أسوة)[2] أي : قدوة .

فلما مات . . جاء الحسين إلىٰ عائشة فطلب ذلك منها فأجابت ، فلما علم مروان بذلك . . قال : والله ؛ لا يُدفن هناك أبداً ، فبلغ ذلك الحسين ، فلبس هو ومن معه الحديد ، وكذلك مروان ومن معه ، فبلغ ذلك أبا هريرة فانطلق إلى الحسين وناشده الله وقال له : (أليس أخوك قد قال لك ما قال ؟!) فلم يزل به حتىٰ رضي بدفنه بالبقيع إلىٰ جانب أمه[3] .

ومن كراماته رضي الله تعالىٰ عنه : أن شخصاً تغوَّط علىٰ قبره فجُنَّ ، وجعل ينبح كما ينبح الكلب ، ثم مات فسمع من قبره وهو يعوي ، نعوذ بالله تعالىٰ من سخطه[4] .

[من الورع ترك ما تشك فيه]

(**قال**) نفعنا الله تعالىٰ به : (**حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم**) أي : من كلامه : (**دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك**) (دع) فعل أمر ؛ **معناه** : اترك ،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٤/ ٤٠) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/ ٢٨٣ـ ٢٨٧) .

(٤) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ١٧٩) ، و« أسد الغابة » (٢/ ١٠) ، و« الإصابة » (١/ ٣٢٧) .

و(ما) اسم موصول بمعنى الذي ، و(يريب) بفتح أوله وضمّه من الريب ؛ وهو الشك والتردُّد في الشيء ، وقوله : « إلىٰ ما لا يريبك » متعلق بمحذوف وجوباً حال من فاعل (دع) .

والمعنى : اترك الشيء الذي تشك في كونه حسناً أو قبيحاً ، أو حلالاً أو حراماً حال كونك متوجهاً أو صائراً إلى الذي لا تشك فيه ؛ بأن تتيقن حُسنه وحلَّه .

والأمر للندب ؛ **لأن توقي الشبهات مندوب** ، فلو شك في طلوع الفجر في رمضان . . جاز له أن يتسحر ؛ لأن الأصل بقاء الليل ؛ **ولـٰكن الأفضل له** : ألاَّ يتسحر .

ولو رأىٰ شيئاً في يد إنسان ، ثم رآه في يد آخر وزعم أنه اشتراه منه أو وكله في بيعه . . جاز لهـٰذا الرائي شراؤه منه ؛ **ولـٰكن الأفضل له** : عدم الشراء حتىٰ يتيقن صدقه .

ولو دعاه فاسق لوليمة . . جازت إجابته ، **والأفضل عدمها** ؛ لأنه لا يتقي الحرام .

وقيل : أوحى الله إلىٰ داوود عليه السلام : (قل لبني إسرائيل : **إني لا أنظر إلىٰ صلاتكم ولا صيامكم** ، ولـٰكن أنظر إلىٰ من شكَّ في شيء فتركه لأجلي ؛ **ذلك الذي أؤيده** ـ أي : أقوِّيه ـ **بنصري** ، **وأباهي** ـ أي : أفاخر ـ **به ملائكتي**)[1] .

ثم إن هـٰذا الحديث قاعدة من قواعد الدين ، وأصلٌ في الورع الذي عليه مدار اليقين ، بل قال بعضهم : الورع كله في ترك ما يريب إلىٰ ما لا يريب .

وقال العسكري : (**لو تأمَّل الحُذَّاق هـٰذا الحديث** . . لتيقنوا أنه قد استوعب كلَّ ما قيل في تجنُّب الشبهات)[2] .

وقال حسان بن أبي سنان : (ما شيء أهون من الورع ، **إذا رابك شيء** ـ أي :

---

(١) أورده المكي في « قوت القلوب » (٢/ ٢٩٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٤٥١) .
(٢) انظر « فيض القدير » (٣/ ٥٢٩) .

شككت فيه ـ . . فدعه ، وهـٰذا إنما يسهُل علىٰ من سهَّله الله عليه)[1] .

ومن ثَم : تنزَّه يزيد بن زريع عن خمس مئة ألف من ميراث أبيه فلم يأخذها ؛ لأن أباه كان يلي الأعمال للسلاطين[2] .

وقيل لإبراهيم بن أدهم : (ألا تشرب من ماء زمزم ؟ فقال : لو كان لي دلو . . لشربت)[3] أشار إلىٰ أن الدلو من مال السلطان وهو مشتبه .

ورهن أحمد ابن حنبل سطلاً له عند بقَّال بمكة ، فلما أراد فكاكه . . أخرج البقال له سطلين وقال : خذ أيهما لك .

فقال أحمد : (أشكل عليَّ سطلي ، هو لك) فقال البقال : سطلك هـٰذا ؛ وإنما أردت أن أجربك . فقال : (لا آخذه ، وتركه عنده ومضىٰ)[4] .

وقيل : إن تناول الشبهات يعمي قلوب المؤمنين ، وينشأ منه أعمال مذمومة تخالف أعمال الصالحين .

حكي عن أحمد بن نصر الدقاق أنه قال : (تهت مرَّة فعطشت مدة طويلة ، فلما وافيت الطريق ـ أي : ظهر لي ـ وأتيته . . لقيني جندي فسقاني شربة ماء ، فعادت قساوتها علىٰ قلبي أربعين صباحاً)[5] .

وحكي : أن رجلاً قصد زيارة بعض الأولياء ، فلما وصل إلىٰ بيته . . رأىٰ شاباً خارجاً منه عليه سيما المتكبرين ؛ أي : علامتهم ، فسلَّم عليه فلم يردَّ عليه ، فتعجب وسأل عنه فقيل له : إنه ابن الشيخ ، فلما جاء ـ أي : الشيخ ـ . . رأىٰ عليه سيما المتواضعين ، وكمال حسن الخلق ، فزاد تعجُّبه وقال في نفسه : كيف يكون لمثل هـٰذا الشيخ مثل هـٰذا الولد ؟!

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الورع » (٤٧) .

(٢) ذكره الإمام أحمد ابن حنبل في « الورع » (ص ٦ ـ ٧) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٥٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٢١٢) .

(٤) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٢١٤) .

(٥) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٨٧ ـ ٨٨) عن أحمد بن نصر الزقاق الكبير رحمه الله تعالىٰ .

ثم سأله عن سوء خلق ابنه . فقال : لا تعجب ؛ فإني جعتُ مدَّة أيام ، فأُخبر بذلك جاري ، فجاءني بطعام من بيت السلطان ؛ لأنه كان من خواصِّه ، فلما أكلته . . غلبت عليَّ شهوة الجماع ، فهـٰذا الولد من نطفة ذلك الطعام[1] .

وأخرج الديلمي عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « ركعتان من رجلٍ ورع . . أفضل من ألف ركعة من مخلط »[2] .

وقال الحسن رضي الله تعالىٰ عنه : (مثقال ذرَّة من الورع . . خير من ألف مثقال ذرة من الصوم والصلاة)[3] .

وأخرج الترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم عن عطيَّة السَّعدي رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتىٰ يدع ما لا بأس به ؛ حذراً مما به بأس »[4] .

ولذا قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالىٰ عنه : (كنا ندع سبعين باباً من الحلال ؛ مخافة أن نقع في باب من الحرام)[5] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه : (كنا نترك تسعة أعشار الحلال ؛ مخافة أن نقع في الحرام)[6] .

وحكي عنه : (أنه لما تولَّى الخلافة . . كانت له زوجةٌ يحبُّها فطلَّقها ؛ مخافة أن تشير عليه بشفاعةٍ في باطلٍ فيطيعها ويطلب رضاها)[7] .

وبالجملة : فالمقصود من هـٰذا الحديث : هو أن يبني المكلف أموره في الدين

---

(١) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٤٦) .

(٢) انظر « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣٢٣٤) .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٢١٣) .

(٤) سنن الترمذي (٢٤٥١) ، سنن ابن ماجه (٤٢١٥) ، المستدرك (٤/ ٣١٩) .

(٥) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٢١٠) .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (٨/ ١٥٢) ، وفيه : (مخافة الربا) .

(٧) أورده الغزالي في « الإحياء » (٣/ ٣٧٥) .

على اليقين ، **وفيه دلالة علىٰ** أن الخروج من اختلاف العلماء أمر محبوب ؛ لأنه أبعد عن الشبهة .

(**رواه الترمذي**) نسبة إلىٰ (ترمذ) بكسر الفوقية والميم ، أو بضمهما ، وبفتح فكسر وكلها مع إعجام الذال : مدينة قديمة بطرف نهر بلخ ؛ وهو جيحون علىٰ شاطئه الشرقي ، **واسمه** : محمد بن عيسى بن سورة بفتح السين والراء وسكون الواو .

كان من الأئمة الذين يقتدىٰ بهم في علم الحديث ، وكان يضرب به المثل في الحفظ ، ولد سنة تسع ومئتين ، ومات ببلده سنة تسع وسبعين ومئتين[1] .

(**والنسائي**) نسبةً إلىٰ (نسا) مدينة بخراسان ، **واسمه** : أحمد بن شعيب ، كان فقيهاً شافعي المذهب ، محدثاً حافظاً متقناً ، حتىٰ قيل : إنه أحفظ من مسلم ، ولد سنة خمس عشرة ومئتين ، ومات سنة ثلاث وثلاث مئة ، ودفن ببيت المقدس ، وقيل : بمكة بين الصفا والمروة[2] .

(**وقال الترمذي**) : هو (**حديث حسن**) أي : لوصف جماعة له بالحسن (**صحيح**) أي : لوصف آخرين له بالصحة ، وبهـٰذا التقرير يندفع إشكال الجمع بين الصحة والحسن مع ما بينهما من التضاد ؛ إذ راوي الصحيح يشترط فيه أن يكون موصوفاً بالضَّبط الكامل ، وراوي الحسن لا يشترط فيه أن يبلغ تلك الدرجة وإن كان ليس عارياً عن الضبط في الجملة .

* * *

---

(١) انظر « تهذيب الكمال » (٢٦/ ٢٥٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٢٧٠) .
(٢) انظر « تهذيب الكمال » (١/ ٣٢٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ١٢٥) .



الحديث الثاني عشر

[تركُ ما لا يعني والاشتغالُ بما يُفيدُ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ ٱلْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ » حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا[1] .

(عن أبي هريرة) تقدمت ترجمته[2] (رضي الله) تعالىٰ (عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حسن إسلام المرء) متعلق بمحذوفٍ خبرٍ مقدم ، وقوله الآتي : « تركه ما لا يعنيه » مبتدأ مؤخر ؛ يعني : من كمال إسلام المرء وتمامه والاستسلام لأحكامه : (تركه ما لا يعنيه) بفتح الياء ؛ أي : ما لا تتعلَّق عنايته به قولاً كان أو فعلاً ، والذي يعني الإنسان من الأمور : ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه وسلامته في معاده ، وذلك يسير بالنسبة إلىٰ ما لا يعنيه ، فإذا اقتصر الإنسان علىٰ ما يعنيه من الأمور . . سلم من شر عظيم ، والسلامة من الشر خير كثير .

ومن كلام بعض السلف : (من علم أن كلامه من عمله . . قل كلامه إلا فيما يعنيه ، ومن سأل عما لا يعنيه . . سمع ما لا يرضيه)[3] .

وقيل : إن هـٰذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، وهو مما لم يقله أحد قبله ، وأما ما روي في صحف شيث وإبراهيم عليهما وعلىٰ نبينا أفضل

---

(١) سنن الترمذي (٢٣١٧) .

(٢) تقدمت ترجمته (ص ١٨٩) في الحديث التاسع .

(٣) أورده ابن المبارك في « الزهد » (٣٨٣) من كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٢٣١) من كلام الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

الصلاة والسلام : (من عدَّ كلامه من عمله . . قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه)[1] . . فهو خاص بالكلام .

[حفظ الوقت من المهمات]

وأما قوله في هٰذا الحديث . . فهو أعم من الكلام ؛ لأنَّ مما لا يعنيه اللعب والهزل ، وما يخل بالمروءة ، والتوسع في الدنيا ، وطلب المناصب والرئاسة ، وحب المحمدة والثناء ، ونحو ذلك مما لا يعود عليه منه نفع ؛ فإنه ضياع للوقت النفيس الذي لا يمكن أن يُعوَّض فائته فيما لم يُخلق لأجله .

ومن ثَم : قال الحسن البصري رضي الله تعالىٰ عنه : (أدركنا قوماً كانوا علىٰ ساعاتهم أشفق منكم علىٰ دنانيركم ودراهمكم ؛ كما لا يحبُّ أحدكم أن يُخرج ديناراً أو درهماً إلا فيما يعود عليه نفعه . . كذلك لا يحبون أن تَخرج ساعة من أعمارهم إلا فيما يعود عليهم نفعه)[2] .

وقال الغزالي رحمه الله تعالىٰ : (علاج ترك ما لا يعني : أن يعلم أنَّ الموت بين يديه ، وأنه مسؤول عن كلِّ كلمة تكلَّم بها ، وأن أنفاسه رأس ماله ، وأن لسانه شبكته يقدر علىٰ أن يقتنص ـ أي : يصطاد ـ بها الحور العين ، فإهماله وتضييعه فيما لا يعنيه خسران مبين)[3] .

وقال أيضاً : (حدّ ما لا يعنيك في الكلام : أن تتكلَّم بما لو سكتَّ عنه لم تأثم ولم تتضرّر حالاً ومآلاً)[4] فإنك به يضيع زمانك ، وتحاسب علىٰ ما نطق به لسانك ؛ إذ تستبدل الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير ، ولو صرفته في الفكر والدعاء . . ربما ينفح لك من نفحاته ؛ أي : يعطيك من عطاياه ، ولو سبَّحت . . بني لك قصر في الجنة .

---

(١) أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٣٦١) عن سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه .
(٢) أورده ابن عجيبة في « إيقاظ الهمم » (ص ٢٦٧) .
(٣) إحياء علوم الدين (٥/ ٤١٠) .
(٤) إحياء علوم الدين (٥/ ٤٠٧ـ ٤٠٨) .

[خمس وقفات لكل كلمة فيما لا يعني]

وقيل : (إن كل كلمة فيما لا يعني يوقف عليها العبد في الآخرة خمس وقفات يطول بها حسابه وهوله ، ويذوب لحمه وقلبه ، ويتقطع حسرات[1] :

أولها : أن يقال له : لِمَ قلتَ كلمة كذا ؟ أكانت مما يعنيك ؟

ثانيها : هل نفعتك إذ قلتها ؟

ثالثها : هل ضرَّتك لو لم تقلها ؟

رابعها : هلاّ سكتَّ فربحت السلامة من عاقبتها ؟

خامسها : هلاّ جعلت مكانها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، والله أكبر . . فغنمت ثوابها)[2] .

[علامة إعراض الله عن العبد اشتغالُه فيما لا يعنيه]

وروىٰ أبو عبيدة عن الحسن رضي الله تعالىٰ عنه قال : (**من علامة إعراض الله عن العبد** : أن يجعل شغله فيما لا يعنيه)[3] .

وقال معروف الكرخي نفعنا الله تعالىٰ به : (**كلام العبد فيما لا يعنيه . . خذلان من الله تعالىٰ**)[4] .

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ : (إذا رأيت قساوةً في قلبك ، وضعفاً في بدنك ، وحرماناً في رزقك . . **فاعلم أنك قد تكلمت فيما لا يعنيك**)[5] .

وقال أنس رضي الله تعالىٰ عنه : استشهد منَّا غلام يوم أُحُد ، فوجد علىٰ بطنه

---

(١) قوله : (حسرات) جمع حسرة ؛ وهي التلهف والتأسف كما في « المصباح » . اهـ مؤلف .

(٢) أورده المكي في « قوت القلوب » (ص ٩٦) .

(٣) أورده الحافظ ابن عبد البر في « التمهيد » (٩/ ٢٠٠) .

(٤) أورده أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٦١) ، وقوله : (خذلان من الله تعالىٰ) أي : بأن يترك عونه ونصرته . اهـ مؤلف .

(٥) أورده المناوي في « فيض القدير » (١/ ٢٨٧) .

حجر من الجوع ، فمسحت أمُّه التراب عن وجهه وقالت : **هنيئاً لك الجنة** !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **وما يدريكِ ؟! لعلَّه كان يتكلَّم بما لا يعنيه ، ويبخل بما يعنيه** »(١) .

[عاقب نفسه بصوم سنة]

وروي : أن حسان بن أبي سنان رحمه الله تعالىٰ مرّ علىٰ غرفة فقال : (**متىٰ بُنِيتْ هـٰذه** ؟ ثم أقبل علىٰ نفسه وقال : **يا نفس** ؛ **تسألين عمَّا لا يعنيك** ، **لأعاقبنَّك بصوم سنة** ، **فصامها**)(٢) .

ووعظ عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه رجلاً فقال له : (لا تتكلَّم فيما لا يعنيك ، واعتزل عدوَّك ، واحذر صديقك الأمين ، ولا أمين إلا من يخشى الله ، ولا تمشِ مع الفاجر فيعلِّمَك من فجوره ، ولا تطلعه علىٰ سرِّك ، ولا تشاور في أمورك إلا الذين يخشون الله عز وجل)(٣) .

وقيل للقمان عليه السلام : (**ما بلغ بك ما نرىٰ ؟**) يريدون الفضل ، قال : (**صِدْق الحديث** ، **وأداء الأمانة** ، **وترك ما لا يعنيني**)(٤) .

وقال رجل للأحنف بن قيس رحمه الله تعالىٰ : (بِمَ سُدتَ علىٰ قومك وأنت أعور ؟! فقال له : **بتركي من أمرك ما لا يعنيني** ، **كما عناك من أمري ما لا يعنيك**)(٥) .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٠٩) ، وبنحوه الترمذي (٢٣١٦) ، وفيه : (وبخل بما لا ينقصه) .

(٢) أورده أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١١٥) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٢٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٦٤١) ، وفيهما : (واحذر صديقك من القوم إلا الأمين. . .) .

(٤) أخرجه مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٩٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٥٤٦) .

(٥) أورده الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٨٢١) .

وقال يوسف بن عبيد رحمة الله عليه : (**ترك كلمة فيما لا يعني**. . أفضل من صوم يوم)[1] .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « أول من يدخل عليكم رجل من أهل الجنة » فدخل عبد الله بن سلام رضي الله تعالىٰ عنه ، فقام إليه ناسٌ فأخبروه وقالوا : أخبرنا بأوثق عملك في نفسك ، قال : (إنَّ عملي لضعيف ، **أوثق ما أرجو به** : سلامة الصدر ، وترك ما لا يعنيني)[2] .

[ثلاثة تزيد في العقل]

وقال الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه : (**ثلاثة تزيد في العقل** : مجالسة العلماء ، ومجالسة الصالحين ، وترك الكلام فيما لا يعني) .

وقال أيضاً : (من أراد أن ينوّر الله قلبه . . فليترك الكلام فيما لا يعنيه)[3] .

[بمَ نلتَ هـٰذه المنزلة]

وقال بعضهم : مرَّ إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه فرأىٰ عبداً في الهواء متعبداً ، فقال له : (**بِمَ نلت هـٰذه المنزلة من الله تعالىٰ** ؟) .

قال : (**بأمر يسير** : فطمتُ نفسي ـ أي : منعتها ـ عن الدنيا ، ولم أتكلم فيما لا يعنيني ، ونظرت فيما أمرني ربي فعملت به ، وفيما نهاني عنه فانتهيت ، فأنا إن سألته . . أعطاني ، وإن دعوته . . أجابني ، وإن أقسمت عليه . . أبرَّ قسمي ، سألته أن يسكنني الهواء فأسكنني)[4] .

ويقرب من ذلك : ما روي عن وهب بن منبه رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : (كان

---

(١) نقله الشبرخيتي في « الفتوحات الوهبية » (ص ١٤٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (١١١) .

(٣) أوردهما الصفوري في « نزهة المجالس » (١/ ١٣٩) .

(٤) أورده ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص ٣٥) .

في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما أن مشيا على الماء ، فبينما هما يمشيان في البحر . . إذ هما برجلٍ يمشي في الهواء فقالا له : يا عبد الله ؛ بأيِّ شيءٍ أدركت هـٰذه المنزلة ؟

قال : بيسير من الدنيا ؛ فطمت نفسي عن الشهوات ، وكففت لساني ـ أي : منعته ـ عما لا يعنيني ، ورغبت فيما دعاني الله إليه ، ولزمت الصمت ، فإن أقسمت على الله . . أبرَّ قسمي ، وإن سألته . . أعطاني)[1] .

ثم إن هـٰذا الحديث حديث عظيم ، وهو أصل كبير في تأديب النفس وتهذيبها عن الرذائل والنقائص ، وترك ما لا جدوىٰ فيه ولا نفع .

وقد أخذ المصنف منه : أنه يكره أن يُسأَلَ الرجل فيما ضرب زوجته[2] .

وقال ابن العربي رحمه الله تعالىٰ : (**من أمراض النفس التي يجب التداوي منها** : أن يفعل رجل خيراً مع بعض بنيه دون بعض ، فيعترضه آخر ويسأله عن ذلك ، فهـٰذا فضول يثمر عداوة الولد لأبيه ، فهي كلمة شيطانية لا تقع إلاّ من جاهل غبي ، ولا دواء لها بعد وقوعها ، ودواؤها قبله : النظر إلىٰ هـٰذا الحديث)[3] .

وهو (**حديث حسن** ، **رواه الترمذي وغيره**) كابن ماجه[4] (**هكذا**) أي : موصولاً ، ورواه غيرهما مرسلاً ، **والاتصال يقدم على الإرسال** ، وفي بعض النسخ حذف (هكذا) .

* * *

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٧٤٩) .

(٢) أخرج أبو داوود في « سننه » (٢١٤٧) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يسأل الرجل فيما ضرب امرأته » .

(٣) الفتوحات المكية (٣/ ٤٥٦) .

(٤) سنن ابن ماجه (٣٩٧٦) .

الحديث الثالث عشر

[من علاماتِ كمالِ الإيمانِ حبُّكَ الخيرَ للمسلمينَ]

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ خَادِمِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » **رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ**[1] .

[من ترجمة سيدنا أنس رضي الله عنه]

(**عن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه ؛ خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم**) كناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي حمزة ؛ لأنه كان يجتني بقلةً يقال لها : حمزة ؛ لكونها كانت حامزةً ، أي : فيها حموضة ، ويقال : إنها الرجلة[2] .

وأمه أم سليم ، تزوجها أبو طلحة بعد موت مالك ، قيل : إنه خطبها قبل أن يسلم ، فقالت له : (أما إني فيك لراغبة وما مثلك يُرَد ، ولـٰكنك رجلٌ كافر ، وأنا امرأة مسلمة ؛ **فإن تسلم . . فذلك مهري لا أسألك غيره**)[3] ، فأسلم أبو طلحة وتزوجها .

ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة . . ذهبت إليه ومعها ولدُها أنس ، فقالت له : (**يا رسول الله ؛ خذ هـٰذا غلاماً يخدمك**) ، فقبله[4] ، وكان عمره

---

(١) صحيح البخاري (١٣) ، صحيح مسلم (٤٥) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٣٠) .

(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٥/ ٩٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٥٩) .

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٨١) .

حينئذٍ عشر سنين ، وقيل : أقل من ذلك ، واستمر في خدمته إلىٰ أن توفي صلى الله عليه وسلم وهو عنه راضٍ .

وروي عنه أنه قال : **خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين** ـ ويروىٰ : تسع سنين ـ فما قال لي لشيء فعلتُه : لِمَ فعلتَه ، ولا لشيء تركتُه : لِمَ تركتَه ، وكنت واقفاً أصبُّ الماء علىٰ يديه ، فرفع رأسه فقال : « **ألا أُعلِّمك ثلاث خصال تنتفع بها ؟** » فقلت : بلىٰ بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، فقال : « متىٰ لقيت من أمتي أحداً . . فسلِّم عليه يطل عمرك ، وإذا دخلت بيتك . . فسلِّم عليهم يكثر خير بيتك ، وصلِّ صلاة الضُّحىٰ ؛ فإنها صلاة الأوَّابين الأبرار »[1] .

وفي رواية عنه أنه قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما سبَّني قط ، وما ضربني ضربةً ، ولا انتهرني ، ولا عبس في وجهي ، ولا أمرني بأمرٍ فتوانيت فيه فعاتبني عليه ، فإن عاتبني أحد . . قال : « **دعوه ، ولو قدَّر الله شيئاً . . كان** »[2] .

وقالت أمه يوماً : يا رسول الله ؛ خويدمك أنس ادعُ الله له . فقال : « **اللهم ؛ أكثر ماله وولده ، وأطل عمره ، واغفر ذنبه** » ـ ويروىٰ بدل الأخيرة : « **وأدخله الجنة** » ـ قال أنس رضي الله تعالىٰ عنه : (فلقد رُزقت من صلبي سوىٰ ولد ولدي مئةً وخمسةً وعشرين ـ أي : ذكوراً ، ولم يرزق إلا ابنتين علىٰ ما قيل ـ وإنَّ بستاني ليثمر في السنة مرتين ، وفيه ريحان يجيء منه ريح المسك ، ولقد بقيت حتىٰ سئمت الحياة ، وأنا أرجو الرابعة)[3] .

وشكا له قيِّمه ـ أي : القائم بأموره ـ **عطش أرضه** ، فتوضَّأ وخرج إلى البرية وصلَّىٰ ركعتين ودعا ، **فسارت سحابة حتىٰ غشيت أرضه** ؛ أي : غطتها وسترتها ، **ومطرت حتىٰ ملأتها** ، فأرسل غلامه وقال : (انظر أين بلغت هـٰذه) فنظر فإذا هي

---

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٨٣٨٣) .
(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٣٦٢٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/٣٤١) .
(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٤٢٣٦) ، وانظر « الإصابة » (١/٨٤) .

لم تعْدُ أرضه[1] ؛ أي : لم تتجاوزها ، وفي رواية : لم تعدها إلا يسيراً ، وذلك في الصيف .

وكان يصلِّي فيطيل القيام حتىٰ تقطر قدماه دماً ، **وكان إذا ختم القرآن** . . جمع ولده وأهل بيته ودعا لهم[2] .

وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمان غزوات ، وأقام بالمدينة ، وشهد الفتوح ، ثم قطن البصرة ومات بها سنة ثلاث وتسعين في زمن الحجاج ، واختلف في عمره ؛ فقيل : إنه تسع وتسعون سنة ، وقيل : مئة وستة ، وقيل : وثلاثة ، وقيل : وعشرة ، وقيل : وسبعة ، وقيل : وعشرون .

وأوصىٰ ثابتاً البُناني : **أن يجعل تحت لسانه شعرةً كانت عنده من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، ففعل[3] ، وغسَّله محمد بن سيرين[4] .

وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة ، ودفن في قصره علىٰ نحو فرسخ ونصف منها .

روي له ألفان ومئتا حديث وستة وثمانون حديثاً[5] ؛ منها ما ذكره عنه المصنف بقوله :

[أحب لأخيك ما تحب لنفسك]

(**قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم**) أي : إيماناً كاملاً (**حتىٰ يحب**) بالنصب ؛ لأن (حتىٰ) هنا جارة و(أن) بعدها مضمرة ؛ أي : إلىٰ أن يحب (**لأخيه**) أي : في الإسلام (**ما يحب لنفسه**) أي : مثل ما يحب

---

(١) أخرجه ابن سعد في « طبقاته » (٩/ ٢١) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١/ ٢٤٢) ، وبنحوه البيهقي في « الشعب » (١٩٠٧) .

(٣) أورده ابن حجر في « الإصابة » (١/ ٨٤) .

(٤) ذكره الشبشيري في « الجواهر البهية » (ص١١٨) .

(٥) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص٥٣) ، و« أسد الغابة » (١/ ١٥١) ، و« الإصابة » (١/ ٨٤) .

لها ؛ يعني : لا يكمل إيمان كل واحدٍ منكم حتىٰ يأتي بخصلة من خصال الإيمان الواجبة عليه ؛ وهي حبه لأخيه ما يحبه لنفسه ؛ أي : حبه أن يحصل لأخيه نظير ما حصل له ، أو ما يتمنىٰ حصوله من الخير والمنفعة ، **وليس المراد** : أنه يحبُّ أن يحصل لأخيه ما حصل له مع سلبه عنه .

وفي رواية للنسائي : « حتىٰ يحبَّ لأخيه من الخير ما يحبُّ لنفسه »[1] ، **والخير** : اسم جامع للطاعات والمباحات دنيوية وأخروية .

وجاء في حديث : « انظر أحبَّ ما تحبُّ أن يأتيه الناس إليك . . فأته إليهم »[2] .

وفي كلام بعضهم : (ارض للناس ما لنفسك ترضىٰ)[3] .

ولا بد أن يكون المعنىٰ فيما يباح ؛ فإن الإنسان يحب لنفسه وطء حليلته ، ولا يجوز له أن يحبه لأخيه حال كونها في عصمته ؛ لأنه غير مباح له ، بل هو محرم عليه ، وليس له أن يحب لأخيه فعل محرم عليه .

قال الكرماني : (**ومن الإيمان** : أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر ، ولم يذكره ؛ لأنّ حبّ الشيء مستلزم لبغض نقيضه ، فترك النص عليه اكتفاءً ، علىٰ حدّ : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ أي : والبرد)[4] .

[ممن تعلمت الحلم ؟]

وقيل للأحنف ـ وكان أحلم الناس ـ : (**ممن تعلَّمت الحلم** ؟ قال : من نفسي .

---

(١) المجتبىٰ (٨/ ١١٥) .

(٢) أخرج الطبراني في « الكبير » (٩/ ٤٤٠ـ ٤٤١) عن سيدنا معن بن يزيد رضي الله عنه نحوه .

(٣) هو لرجاء بن حَيَوة يعظ به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ضمن خبر أخرجه ابن الطيوري في « الطيوريات » (٦٨٣) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٤٥/ ١٦٩ـ ١٧٠) .

(٤) انظر « الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري » المشهور بشرح الكرماني (١/ ٩٣) ، و« فتح الباري » (١/ ٥٨) .

قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا كرهت شيئاً من غيري .. لم أفعل بأحدٍ مثله)[1] .

[حكمة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته للعصاة]

وروي : أنّ رجلاً قال : يا رسول الله ؛ ائذن لي في الزنا ، فَهَمَّ من كان بقرب النبي صلى الله عليه وسلم أن يتناوله ، فقال : « دعوه » ثم قال له : « ٱدنُ مني » فدنا ، فقال له : « **أتحبُّ أن يُفعَل ذلك بأختك** ؟ » قال : لا . قال : « **فبابنتك** ؟ » قال : لا . قال : « **فبامرأتك** ؟ » قال لا ، فلم يزلِ النبي صلى الله عليه وسلم يقول له : فبكذا وبكذا ، ويقول الرجل : لا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **فاكره ما كره الله تعالىٰ** ، **وأحبَّ لأخيك ما تحبُّ لنفسك** ، **واكره له ما تكره لنفسك** » .

فقال : يا نبيَّ الله صلى الله عليك وسلم ؛ ادع الله تعالىٰ أن يبغِّض إليّ النساء ، فقال : « **اللهم ؛ بغِّض إليه النساء** » فانصرف ، ثم رجع إليه بعد ليال فقال : يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ؛ ما من شيء أبغض إليَّ من النساء ، فائذن لي بالسياحة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله »[2] .

وفي « مسند الإمام أحمد » عن يزيد بن أسد القرشي قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتحب الجنة ؟ » قلت : نعم ، قال : « **فأحبَّ لأخيك ما تحبُّ لنفسك** »[3] .

[قصة عجيبة في الإيثار]

وحكي : أن بعضهم شكا كثرة الفأر في بيته ، فقيل له : اقتني هرة[4] ، فقال :

---

(١) انظر « فيض القدير » (١/ ٦٥) .
(٢) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٩/ ١٦١) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .
(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٧٠) ، وفيه : (القسري) بدل (القرشي) .
(٤) قوله : (اقتني) هٰكذا في المخطوط بإثبات الياء ، وهي لغة نقلها أبو حيان في « البحر المحيط » (٥/ ٣٤٣) عن رؤساء النحويين .

أخشىٰ أن يسمع الفأر صوت الهرة فيهرب إلىٰ دور الجيران ؛ **فأكون قد أحببت لهم ما لا أحبه لنفسي** .

ثم إنَّ هٰذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام ، **والمقصود منه** : طلب المساواة التي بها تحصل المحبة ، وتدوم الألفة بين الناس ، وتنتظم أحوالهم .

[**سبب نزول** : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾]

وأما الإيثار ـ وهو تقديم الغير على النفس ـ . فهو أمر عظيم جداً ، مدح الله تعالىٰ أهله في كتابه العزيز بقوله : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ أي : حاجة إلىٰ ما يؤثرون به .

وسبب نزول هٰذه الآية : ما روي أنَّ رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أهدي إليه رأس شاة ، فقال : إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلىٰ هٰذا منَّا ، فبعثه إليه ، وبعثه ذاك إلىٰ آخر ، فلم يزل يبعث به من واحد إلىٰ آخر ؛ **حتىٰ تداولته سبعة بيوت حتىٰ رجع إلى الأول**[1] .

وقيل : **سبب نزولها** : أنه جاء رجل إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني مجهود ؛ أي : بلغ الجوع مني الجهد وغاية المشقة ، فبعث إلىٰ نسائه فقلن : ما عندنا إلا الماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من يضيف هٰذا الليلةَ ؟** » فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فانطلق به ، فقال لامرأته : هل عندك شيء ؟ فقالت : لا ، إلا قوت صبياني ، قال : **فعلِّليهم بشيء** ، **فإذا دخل ضيفنا** . . **فأطفئي السراج** ، ونوِّمي الأطفال ، وقدِّمي للضيف ما عندكِ ، ففعلت ، وأظهرا له أنهما يأكلان معه[2] .

وروي : أن رجلاً أصبح صائماً علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢/٤٨٣ـ ٤٨٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢٠٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٨) ، ومسلم (٢٠٥٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

أمسىٰ . . لم يجد ما يفطر عليه إلا الماء ، **فشرب ثم أصبح صائماً** ، فلما كان اليوم الثالث . . أجهده الجوع ، ففطن به رجل من الأنصار ، فلما أمسىٰ . . أتىٰ به إلىٰ منزله وقال لأهله : (**هل عندكم من طعام ؟**) .

فقال أهله : (عندنا ما يشبع الواحد) وكانا صائمينِ ولهما صبية .

فقال لزوجته : (**إذا دخل الضيف . . فنوِّمي الصبية قبل العَشاء** ، وأطفئي السراج ، ونظهر للضيف أنا نأكل معه حتىٰ يشبع) فجاءت بثريد ووضعته ، ودنت من السراج كأنها تريدُ أن تصلحه فأطفأته ، فنزلت هـٰذه الآية[1] .

فإن قيل : كيف ساغ لهما تنويم الصبيان بدون أكل ؟ **فالجواب** : أن الصبيان لم تشتدَّ حاجتهم للأكل ، وإنما خشيا أن الطعام إذا جيء به للضيف وهم مستيقظون . . لا يتركون الأكل منه ولو كانوا شباعاً علىٰ عادة الصبيان ؛ فيشوشون على الضيف .

[جود الصحابة الكرام]

وروي : أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه أخذ أربع مئة دينار ، فجعلها في صرةٍ ثم قال للغلام : (**اذهب بها إلىٰ أبي عبيدة ابن الجراح** ، **ثم تلكأْ** ـ بفتح التاء واللام وتشديد الكاف آخره همز ؛ أي : أبطىء ـ ساعة في البيت حتىٰ تنظرَ ما يصنع بها) .

فذهب بها الغلام إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : (**اجعل هـٰذه في بعض حاجتك**) .

فقال : (وصله الله ورحمه) ، ثم قال : (تعالَي يا جارية ، اذهبي بهـٰذه السبعة إلىٰ فلان ، وبهـٰذه الخمسة إلىٰ فلان) حتىٰ أنفذها

فرجع الغلام إلىٰ عمر فأخبره ، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل وقال : (**اذهب بها إلىٰ معاذ بن جبل ، وتلكأْ في البيت ساعة حتىٰ تنظرَ ما يصنع بها**) .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « قرى الضيف » (١١) ، وانظر « الفتوحات الوهبية » (ص١٥٢) .

فذهب بها إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : (**اجعل هـٰذه في بعض حاجتك**) .

فقال : (رحمه الله ووصله) ، وقال : (يا جارية ؛ اذهبي إلىٰ بيت فلان بكذا ، وبيت فلان بكذا) ، فاطَّلعت امرأة معاذ وقالت : **ونحن والله مساكين فأعطنا** ، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران ، فدفع بهما إليها ، فرجع الغلام إلىٰ عمر فأخبره بذلك ، فسُرَّ بذلك عمر وقال : (**إنهم إخوة بعضهم من بعض**)[1] .

وحكي : عن حذيفة العدوي أنه قال : (انطلقتُ يوم اليرموك أطلب ابن عمٍّ لي ومعي شيء من الماء وأنا أقول : **إن كان به رمقٌ** ـ أي : بقية حياة ـ . . **سقيته** ؛ فإذا أنا به ، فقلت له : أسقيك ؟ فأشار برأسه : أن نعم ؛ فإذا برجل يقول : آه آه ، فأشار إليَّ ابن عمي : **أن انطلق إليه** ، فانطلقت إليه ؛ فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت له : أسقيك ؟ فأشار : أن نعم ، فسمع آخر يقول : آه آه ، فأشار هشام : **أن انطلق إليه فجئته** ؛ فإذا هو قد مات ، فرجعت إلىٰ هشام ؛ فإذا هو قد مات ، ورجعت إلى ابن عمي ؛ فإذا هو قد مات ، رحمة الله تعالىٰ عليهم أجمعين)[2] .

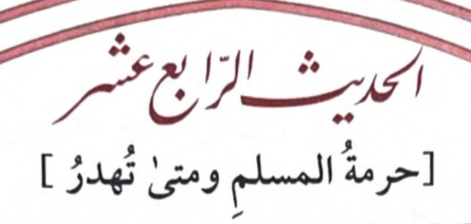
(**رواه البخاري ومسلم**) في « الصحيحين » رحمهما الله تعالىٰ .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٥١١) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٥٢٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢٠٨) .



الحديث الرّابع عشر

[حرمةُ المسلمِ ومتىٰ تُهدرُ]

عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لاَ يَحِلُّ دَمُ ٱمْرِىءٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ بِإِحْدَىٰ ثَلاَثٍ : ٱلثَّيِّبِ ٱلزَّانِي ، وَٱلنَّفْسِ بِٱلنَّفْسِ ، وَٱلتَّارِكِ لِدِينِهِ ٱلْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ » **رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ**[١] .

(**عن ابن مسعود**) تقدّمت ترجمته[٢] (**رضي الله**) تعالىٰ (**عنه قال** : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** : **لا يحل دم امرىء مسلم**) أي : لا يحل إراقة دمه ، فالكلام علىٰ حذف مضاف ، **والمراد** : أنه لا يجوز إزهاق روحه ولو لم يحصل إراقة دمه كما لو خنقه أو سمَّه ، وإنما عبَّر بذلك ؛ نظراً للغالب في القتل من إراقة الدم .

[الأصل في الدماء العصمة وأدلة ذلك]

واعلم : أن الأصل في الدماء العصمة عقلاً ونقلاً :

أما عقلاً : فلأن في القتل إفساداً للصورة الإنسانية المخلوقة في أحسن تقويم ؛ أي : تعديل لها ، والعقل يأبىٰ ذلك وينكره .

وأما نقلاً : فلقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم : « من أعان علىٰ قتل مسلم ولو بشطر كلمة . . لقي الله مكتوباً بين عينيه : **آيس من رحمة الله** »[٣] .

---

(١) صحيح البخاري (٦٨٧٨) ، صحيح مسلم (١٦٧٦) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ١٣٦) في الحديث الرابع .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٦٢٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(**إلا بإحدىٰ**) خصالٍ (**ثلاث**) أي : بارتكاب واحدة منها ، فيحل القتل لما فيه من المصلحة العامة ؛ وهي حفظ الأنساب ، والنفوس ، والأديان .

وقال القسطلاني : (حرف الجر متعلِّق بحال ، **والتقدير** : إلا متلبساً بفعل إحدىٰ ثلاث ، ثم إن المستثنىٰ منه يحتمل أن يكون « الدم » **والتقدير** : لا يحل دم امرىء مسلم إلا دمه متلبساً بإحدى الثلاث ، ويحتمل أن يكون الاستثناء من « امرىء » **والتقدير** : لا يحلّ دم امرىء مسلم إلا امرأ متلبساً بإحدىٰ خصال ثلاث)[1] .

[هدر دم الثيب الزاني]

(**الثيب الزاني**) بالجر بدل مما قبله ، ولا بد فيه وفيما بعده من مضاف محذوف تقديره : خصلة الثيب الزاني ، وقصاص النفس بالنفس ، وترك التارك لدينه .

ويجوز رفعه علىٰ أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أو مبتدأ والخبر محذوف ؛ أي : وهي أو منها : الثيب الزاني .

ويجوز نصبه علىٰ أنه مفعول لفعل محذوف تقديره : أعني ، ونقل عن الكازروني أن الرفع هو الرواية[2] .

هذا **والثيب** : اسم جنس يشمل الذكر والأنثىٰ ، **والمراد به هنا** : المحصن ؛ وهو من وَطىء أو وُطىء في القبل في عقد صحيح وهو حرٌّ بالغ عاقل ، فهـٰذا إذا زنىٰ . . يحل دمه ؛ **بمعنىٰ** : أنه يرجم بالحجارة إلىٰ أن يموت ، **والمختار** : أن تكون ملء الكف ، ولا يجوز قتله بغير ذلك إجماعاً .

وغير المحصن إذا زنىٰ . . يجلد مئة ويغرَّب عاماً إن كان حراً ، والرقيق على النصف من ذلك ، **هـٰذا هو الأصح** من مذهب الشافعي ، ونُقِل عن الثلاثة أنه لا يغرب ، وهو قولٌ للشافعي .

---

(١) إرشاد الساري (١٠/ ٤٩) .

(٢) أورده ملاّ علي القاري في « مرقاة المفاتيح » (٧/ ٤) .

[ذكر شيء من عقوبة الزاني وقبائح الزنا]

قال العلماء : (ومن مات من غير حدٍّ ولا توبة . . عُذِّب في النار بسياط من نار)[1] .

وورد : (**أنه مكتوب في الزبور** : إن الزناة يعلقون بفروجهم ، ويضربون عليها بسياط من حديد ، فإذا استغاث أحدهم من الضَّرب . . نادته الزبانية : أين كان هٰذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ، ولا تراقب الله تعالىٰ ، ولا تستحي منه ؟!)[2] .

وورد في الحديث الشريف : « من زنىٰ بامرأة مسلمة أو غير مسلمة ، حرة أو أمة . . فتح الله عليه في قبره ثلاث مئة ألف باب من النار ، تخرج عليه منها عقاربُ وحيَّاتٌ وشهبٌ من النار ، فهو يعذب إلىٰ يوم القيامة »[3] .

وورد في الحديث أيضاً : « احذروا الزنا ؛ **فإن فيه ست خصال** ؛ ثلاثة في الدنيا ، وثلاثة في الآخرة :

فأما التي في الدنيا : فإنه يذهب البهاء من الوجه ، ويورث الفقر ، وينقص الرزق والعمر .

وأما التي في الآخرة : فينظر الله تعالىٰ إليه بعين الغضب فيسود وجهه ، والثانية : يكون حسابه حساباً شديداً ، والثالثة : يسحب في سلسلة إلى النار »[4] .

ومن قبائح الزنا : أنه يورث القتل والطاعون ؛ لخبر الحاكم عن ابن مسعود : (إذا كثر الزنا . . كثر القتل ووقع الطاعون)[5] .

---

(١) ذكره الذهبي في « الكبائر » (ص٥٤) ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/ ٢٦٥) .

(٢) أورده الذهبي في « الكبائر » (ص ٥٤) ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/ ٢٦٥) . وقوله : (وتمرح) **المرح** : شدة الفرح كما في « المختار » . **اهـ مؤلف** .

(٣) أورده ابن الجوزي في « بستان الواعظين » (ص٣٠١ـ ٣٠٢) .

(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٧٠٩٢) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٥) المستدرك (٤/ ٥٠٢) .

وعن بريدة مرفوعاً : « **ما ظهرت الفاحشة في قوم قط** . . إلا سلَّط الله عليهم الموت »[1] .

[الجزاء من جنس العمل]

ومن قبائحه أيضاً : أنه يُفعل مثله في ذريَّة الزاني أو زوجته ، **ولما سمع ذلك بعض الملوك** . . أراد تجربته في بنت له وكانت في غاية الجمال ، فأمر امرأةً فقيرةً أن تطوف بها في الأسواق وهي مكشوفة الوجه ، ولا تمنع أحداً من التعرض لها بشيء ، **فما مرت بها علىٰ أحد** . . **إلا أطرق رأسه** ولم يمد نظره إليها ؛ حياءً منها .

فلما رجعت وقربت من دار الملك . . **أمسكها إنسان وقبَّلها ثم ذهب** ، فدخلت بها على الملك ، فسألها عما حصل لها فأخبرته بالقصة ، فسجد شكراً لله تعالىٰ وقال : (**الحمد لله ؛ ما وقع مني في عمري قط إلا قبلة واحدة لامرأة** ، وقد قوصصت بها)[2] .

فالسعيد : من حفظ فرجه ، وغضَّ بصره ، وكفّ يده .

كما حكي عن بعض الصالحين : أن نفسه حدَّثته بالزنا ، وكان عنده فتيلة موقدة بالنار ، فقال لنفسه : (يا نفس ؛ إني أدخل أصبعي في هـٰذه الفتيلة ، **فإن صبرتِ علىٰ حرِّها** . . **مكنتكِ مما تريدين** ، ثم أدخل أصبعه فيها حتىٰ أحسَّ أن روحه كادت تزهق من شدة حرها وهو يتجلد علىٰ ذلك ويقول لنفسه : **هل تصبرين** ؟ وإذا لم تصبري علىٰ حر هـٰذه النار اليسيرة التي أطفئت بالماء سبعين مرة حتىٰ قدر أهل الدنيا علىٰ مقابلتها . . **فكيف تصبرين علىٰ حر نار جهنم المتضاعفة حرارتها علىٰ هـٰذه بسبعين ضعفاً ؟!**) فرجعت نفسه عن ذلك الخاطر[3] .

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (١٢٦/٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٠٤٠) .
(٢) انظر « المجالس السنية » (ص٤١ـ ٤٢) .
(٣) انظر « المجالس السنية » (ص٤٢) .

[عفة امرأة أنقذتها من الشدائد]

وحكي : أن بعض قضاة بني إسرائيل سافر حاجاً ، **واستخلف أخاه علىٰ زوجته** ، فدخل عليها يوماً وراودها عن نفسها ؛ أي : طلب منها أن يواقعها .

فقالت له : **اتقِ الله ولا تخن أخاك** ، فجاءه إبليس في صورة رجل وقال له : أقم عليها البيِّنة بالزنا ، وارجمها إن لم تطاوعك ، فأخبرها بذلك ، فقالت له : افعل ما تريد ، فأقام عليها البيّنة بالزنا زوراً ورجمها .

فمرَّ بها رجل جمَّال ليلاً وكان فيها بقية حياة ، فسمع أنينها ، فأخذها إلىٰ منزله ، فدخل عليها بعض أصحابه فرآها جميلة ، **فراودها عن نفسها فامتنعت** ، فدخل عليها ليلاً ليذبحها ، فغلط فذبح ولد الجمَّال ، وكان هـٰذا الولد قد ألفها ـ أي : أحبَّها ـ فلما علم الجمَّال بذلك . . أعطاها دراهم وقال لها : اخرجي من منزلي .

فخرجت فرأت شخصاً مصلوباً علىٰ دَين ، فخلصته بتلك الدراهم ، فقال لها : **لأكونن عبداً لكِ** ، فسار معها إلىٰ ساحل البحر ، فراودها ، فأبت وقالت له : **هـٰذا جزائي منك ؟!**

فلما أيس منها . . قال لتاجرٍ في مركب : **عندي جارية جميلة أريد بيعها** ، فلما رآها التاجر . . دفع له ثمنها ثلاث مئة دينار .

فقالت له : أنا حرة ، فأخذها كرهاً ، فلما كان الليل . . مد يده إليها فقالت : **اتَّق الله** !! فضرب وجهها ، **فعصفت الرياح** ـ أي : اشتدت ـ **علىٰ سفينته فغرقت** ، وحفظ الله المرأة حتىٰ طلعت من البحر ، **ووصلت إلىٰ ملك عادل** ، فأخبرته بخبرها ، **فبنىٰ لها خلوةً تتعبَّد فيها** ، فشاع خبرها بالصلاح ، فقصدها أصحاب العاهات ، فدعت لهم فبرؤوا .

فلما جاء زوجها من الحج . . سأل عنها ، فقيل له : إنها زنت فرُجمت ، فدخل علىٰ أخيه فوجده قد عمي بصره ، ووقعت الأَكِلة في أفواه الشهود .

فقيل لزوجها : **خذ أخاك واذهب به** إلى امرأة صالحة بمكان كذا تدعو له ، فلما سار به . . **تبعه الشهود** فساروا معه ، فرأوا في طريقهم **الجمَّال ومعه صاحبه** الذي ذَبح ولده وقد أصابته عاهة ، **ثم وجدوا شاباً أعمىٰ** وهو الذي خلصته من الصَّلب ، **ثم وجدوا التاجر** الذي اشتراها قد قذفه الموج وهو في بلاء عظيم ، وكلهم ذاهبون إليها لتدعو لهم .

فلما وصلوا إليها وطلبوا منها الدعاء . . عرفتهم وقالت لهم : **من اعترف بذنبه . . دعوت له** .

فقال أخو زوجها : أنا أستحي من أخي أن أذكر ذنبي بحضوره . فقال أخوه : لا بأس عليك ، فقال : **راودت امرأتك عن نفسها فأبت** ، فأقمت عليها هـٰؤلاء الشهود بالزنا زوراً ، فرُجمت .

وقال صاحب الجمَّال : **أنا وجدت امرأة عند هـٰذا الجمَّال** فراودتها فأبت ، فأردت ذبحها ، فأصابت السكين ولده فانذبح .

وقال الشاب الذي خلصته : **خلصتني امرأة من الصلب** فراودتها فأبت ، فبعتها لتاجر في مركب بثلاث مئة دينار .

وقال التاجر الذي اشتراها : **أنا راودتها فأبت** ، وقالت : اتَّق الله ، فضربت وجهها ، فعصفت الرياح فانكسرت المركب .

فقالت لزوجها : **ادنُ مني** ، **فكشفت له عن وجهها** ، فلما رآها . . قال لها : إنكِ زوجتي ، وإنكِ بريئة مما ذكر !!

فقالت له : قد سمعتَ قولهم ؛ فإن شئتَ القصاص أو العفو ، وأما أنا . . فقد عفوت عنهم ، وقالت : **اللهم ؛ اكشف عنهم ضرهم** ، فبرؤوا ، وأخذها زوجها فبقيت معه ، رحمة الله تعالىٰ عليها[1] .

---

(١) أوردها ابن الجوزي في « عيون الحكايات » (ص٤١٨ـ ٤٢١) عن جعفر الصادق رحمه الله بنحوه .

[شروط قتل النفس بالنفس]

(**والنفس بالنفس**) أي : يحل قتلها قصاصاً بالنفس التي قتلتها عمداً عدواناً **بشروط** :

الأول : أن يكون القاتل بالغاً . **الثاني** : أن يكون عاقلاً .

الثالث : ألاَّ يكون أصلاً للمقتول . **الرابع** : ألاَّ يكون المقتول أنقص منه برقٍّ أو كفر .

فإذا انتفىٰ شرط من ذلك . . فلا قتل ، وتجب الدية .

وقال مالك : (يقتل الوالد بولده إذا أضجعه وذبحه) .

وقال أبو حنيفة : (يقتل الحر بعبد غيره ، ويقتل المسلم بالذمي) .

وحكي : أنه رُفع لأبي يوسف : مسلم قتل ذمياً ، فحكم عليه بالقَوَد ؛ أي : القتل ، فأتاه رجل برقعةٍ من شاعر فألقاها إليه ؛ فإذا فيها هٰذه الأبيات : [من السريع]

يا قاتلَ المسلمِ بالكافرِ ... جُرْتَ وما العادلُ كالجائرِ

يا من ببغدادَ وَأطرافِها ... من فقهاءِ النَّاسِ أو شاعرِ

جارَ على الدِّينِ أبو يوسفٍ ... بقتلِهِ المسلمَ بالكافرِ

فاسترجعوا وابكوا علىٰ دينِكم ... واصبروا فالأجرُ للصَّابرِ

فأخذ أبو يوسف الرقعة ودخل بها على الرشيد ، فأخبره بالحال ، وقرأ عليه الرقعة .

فقال له الرشيد : تدارك هٰذا الأمر بحيلة ؛ لئلا يكون منه فتنة .

فخرج أبو يوسف وطالب أولياء المقتول بالبيِّنة علىٰ صحَّة الذمة وأداء الجزية ، فلم يأتوا بها ، فأسقط القَوَد وحكم بالدية[1] .

---

(١) أورده ابن الوردي في « تاريخه » (٢/ ٤٨٧ـ ٤٨٨) .

[حل دم المرتد]

(**والتارك لدينه**) أي : المرتد عن دين الإسلام والعياذ بالله تعالىٰ ، **فيحل قتله** ؛ لخبر : « من بدَّل دينه . . فاقتلوه »[1] .

وقوله : (**المفارق للجماعة**) تفسير لـ(التارك لدينه) ، فهو صفة مؤكِّدة ؛ **لأن المراد بالجماعة** : جماعة المسلمين ، وفراقهم هو الردة عن الدين ، **فالمراد** : المفارقة بالقلب والاعتقاد ، أو بالفعل المكفر كالسجود للصنم ، لا المفارقة بالبدن .

واعلم : **أن من المكفرات** : تعمد إلقاء المصحف في قاذورة ، وقذف الرسول أو النبي ، والاستخفاف به وتكذيبه ، وكذا تكذيب الله بالأَولىٰ ؛ كأن ينفي صحبة أبي بكر ، أو يرمي بنته عائشة بما برّأها الله منه .

ولا يجوز قتل المرتد حتىٰ يستتاب حالاً ، ونقل عن مالك أنه يُمهَل ثلاثة أيام : فإن تاب . . لم يقتل .

ثم إن الردة أفحش أنواع الكفر ، وأكبر أنواع الكبائر ، ويليها القتل ظلماً ، ثم الزنا ، ثم القذف ، ثم السرقة ، ثم شرب الخمر ، ثم الربا والغصب .

تتمة

[في حكم تارك الصلاة]

ذكر صاحب « رحمة الأمة » : (**أن المختار عند جمهور أصحاب الإمام أحمد** : أن تارك الصلاة يقتل كالمرتد ، ويجري عليه أحكام المرتدين ؛ فلا يصلىٰ عليه ولا يورث ، ويكون ماله فيئاً)[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رحمة الأمة (ص٣٢) .

والمعتمد في مذهبنا معاشر الشافعية : أنه يقتل بالسيف حدّاً . وقيل : ينخس بحديدة حتىٰ يصلّي أو يموت .

وقيل : يضرب بخشبة حتىٰ يصلي أو يموت أيضاً ؛ لأن المقصود حمله على الصلاة لا قتله ؛ كما قاله الرملي[1] .

وعند أبي حنيفة : يحبس أبداً حتىٰ يصلي .

هٰذا ؛ وحكمه بعد القتل أو الموت . . حكم المسلم ؛ فيغسل ، ويكفن ، ويصلىٰ عليه ، ويدفن في مقابر المسلمين .

ثم إن هٰذا الحديث (**رواه البخاري**) في (كتاب الديات) ، (**ومسلم**) في (الحدود) .

❋ ❋ ❋

---

(١) نهاية المحتاج (٢/٤٣١) ، وفي المسألة تفصيل ، وإنما صدرها الإمام الرملي كما هنا بـ(قيل) فليرجع إلىٰ مظانها .

الحديث الخامس عشر

[التكلُّم بالخيرِ وإكرامُ الجارِ والضَّيفِ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ . . فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ . . فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ . . فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » **رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ**[١] .

(**عن أبي هريرة**) وتقدم ما يتعلق به[٢] (**رضي الله تعالىٰ عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**) أي : من كان يريد كمال الإيمان بالله واليوم الآخر وهو يوم القيامة . . (**فليقل خيراً أو ليصمت**) بسكون لام الأمر في الأول ؛ لوقوعها بعد الفاء ، ويجوز فيها الكسر ، وأما في الثاني . . فيتعيَّن فيها الكسر ، وضبط المصنف (يصمت) بفتح الياء وضم الميم ، وضبطه غيره بكسرها[٣] .

والمعنىٰ : فليفعل أفعال المؤمنين الكاملين في إيمانهم من قول الخير ؛ **وهو ما فيه ثواب** ، أو الصمت ـ أي : السكوت ـ عما لا خير فيه ، **وهو شامل للصمت عن الحرام والمكروه** ، بل وعن المباح أيضاً ؛ لأنه لا خير فيه ، وربما جرَّ إلىٰ

---

(١) صحيح البخاري (٦٠١٨) ، صحيح مسلم (٤٧) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ١٨٩) في الحديث التاسع .

(٣) انظر خاتمة « الأربعين النووية » (ص ١٢٥) ، و« شرح صحيح مسلم » (١٨/٢) ، وقال العيني في « عمدة القاري » (١٧٥/٢٢) : (ضبطه النووي بضم الميم ، وقال بعضهم : قال الطوفي بكسرها ، وهو القياس كضرب ، يضرب . **قلت** : ما للقياس تعلق هنا ، وهو كلام واهٍ ، **والأصل في هـٰذا** : السماع . . .) . وقد بين في « الفتح المبين » (ص ٣١٨) هـٰذه المسألة ، **وقال بأن الإمام النووي رحمه الله هو حجة في النقل ، ولا يُعترَض عليه إلا إذا سبرنا كتب اللغة كلها فلم نر ما قاله** . وقال في « مختار الصحاح » : (وبابه نصر ودخل) .

مكروه أو حرام ، وعلىٰ تقدير أنه لا يجرُّ إليهما . . ففيه ضياع للوقت فيما لا يعني ، وقد مرَّ : « من حسن إسلام المرء . . تركه ما لا يعنيه » .

وقيل : إن الإنسان إما أن يتكلم أو يسكت ؛ **فإن تكلم** : فإما بخير . . فهو ربح ، وإما بشر . . فهو خسران ، **وإن سكت** : فإما عن شر . . فربح ، وإما عن خير . . فخسران ، فله في كلامه وسكوته ربحان ينبغي تحصيلهما ، وخسرانان ينبغي التخلص منهما[1] .

[أقسام الكلام]

وذكر بعضهم : **أن الكلام أربعة أقسام** : ضرر محض ، ونفع محض ، وضرر ومنفعة ، ولا ضرر ولا منفعة .

فالضرر المحض لا بدَّ من السكوت عنه ، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة .

وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر . . فهو فضول ، والاشتغال به تضييع للزمان ، وهو عين الخسران .

فلا يبقىٰ إلا القسم الرابع ؛ أي : وهو النفع المحض ، وفيه خطر ؛ إذ قد يجرُّ [إلىٰ] ما فيه إثم من الرياء والعجب ونحوهما ، فينبغي التفطن لذلك[2] .

وفي الحديث : « ألا أنبئكم بأمرين خفيفين لم يلقَ الله بمثلهما : الصمت ، وحسن الخلق »[3] .

وقال لقمان لابنه : (**لو كان الكلام من فضة . . كان السكوت من ذهب**) .

ومعناه ـ كما قال ابن المبارك ـ : (لو كان الكلام في طاعة الله من فضَّة . . لكان السكوت عن معصية الله من ذهب)[4] .

---

(١) ذكره ابن حجر الهيتمي في « الفتح المبين » (ص٣٢١) .

(٢) انظر « إحياء علوم الدين » (٥/ ٤٠٢ـ ٤٠٣) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٥٥٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٥٩١) عن سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه .

(٤) أخرج قول لقمان وحده عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » (٢٧٢) ، وابن أبي عاصم في =

وما أحسن قول بعضهم[1] : [من البسيط]

قالوا : سكوتُك حرمانٌ ، فقلتُ لهم : ما قـدَّرَ اللهُ يـأتيني بـلا نَصَـبِ[2]
ولـو يكـونُ كـلامـي حيـنَ أنشـرُه من اللُّجينِ لكانَ الصمتُ من ذهبِ

واللُّجين ـ بالضم ـ : الفضة .

وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالىٰ : (**أحسن الناس لنفسه . . أملكهم للسانه**)[3] .

[قصة في فضل الصمت ومحاسبة النفس]

وقال أيضاً : (**بينا أنا أسير في نواحي الشام** ؛ إذ ظهرت لي روضة خضراء ، **وفي وسطها شاب قائم يصلِّي تحت شجرة تفاح** ، فتقدَّمت إليه وسلَّمت عليه ، فلم يردَّ عليَّ السلام ، فسلَّمت عليه ثانياً فأوجز ـ أي : أسرع ـ في صلاته ، **ثم كتب في الأرض بإصبعه** : [من الكامل]

مُنِـعَ اللسـانُ مِـنَ الكـلامِ لأنَّـه هَـدَفُ البـلاءِ[4] وجـالـبُ الآفـاتِ
فـإذا نطقـتَ فكـنْ لـربِّـكَ ذاكـراً لا تَنْسَـهُ واحْمَـدْه فـي الحـالاتِ

قال ذو النون : **فبكيت طويلاً** ، **وكتبت بإصبعي في الأرض** : [من الوافر]

ومـا مِـنْ كـاتـبٍ إلاَّ سَيَبْلَـىٰ ويُفْنِـي الـدهـرُ[5] مـا كتبـتْ يَـدَاهُ
فـلا تكتـبْ بِكَفِّـكَ غيـرَ شـيءٍ يَسُـرُّكَ فـي القيـامـةِ أنْ تـراهُ

= « الزهد » (٣٣) ، وأخرج الخبر كاملاً ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٧٣٦) .

(١) البيتان لهلال بن مقلد اليعقوبي كما في « الوافي بالوفيات » (٢٧/ ٣٧٨) .

(٢) قوله : (**نصب**) أي : تعب . **اهـ مؤلف** .

(٣) ذكره الإمام النووي في « شرحه علىٰ مسلم » (٢/ ٢٠) ، وأورده المناوي في « فيض القدير » (٢/ ١٩٧) ، والشبرخيتي في « الفتوحات الوهبية » (ص١٥٩) .

(٤) في « روض الرياحين » : (كهف البلاء) .

(٥) في « روض الرياحين » : (ويبقي الدهر) .

قال : فصاح الشَّابُ صيحةً فارق الدنيا فيها ، فقمت لآخذ في غسله وتكفينه ؛ وإذا بقائل يقول : خلِّ عنه ـ أي : اتركه ـ فإنَّ الله عز وجل وعده ألاَّ يتولَّىٰ أمره إلا الملائكة .

قال ذو النون : فملت إلىٰ شجرة فركعت عندها ركعتين ، ثم أتيت إلى الموضع الذي مات فيه فلم أجد له أثراً ، ولا عرفت له خبراً)[1] .

[أقوال وحكم في فضيلة الصمت]

وقيل : (إنَّ أدنىٰ نفع الصمت : السلامة ، وأدنىٰ ضرر النُّطق : الندامة)[2] .

وقال لقمان عليه السلام لابنه : (يا بني ؛ إذا افتخر الناس عليك بحسن كلامهم . . فافتخر أنت بحسن صمتك)[3] .

وقد ورد في الحديث : « من صمت . . نجا »[4] .

وقال سفيان رضي الله تعالىٰ عنه : (الصمت أمانٌ من تحريف اللفظ ، وعصمةٌ من زيغ النطق ، وسلامةٌ من فضول القول ، وهيبةٌ لصاحبه)[5] .

وقيل لبعضهم : (أوصني ، فقال : إن شئت . . جمعت لك علم العلماء ، وحكم الحكماء ، وطبَّ الأطباء في ثلاث كلمات :

أمَّا علم العلماء : فإذا سئلت عما لا تعلم . . فقل : لا أعلم .

وأما حكم الحكماء : فإذا كنت جليس قوم . . فكن أسكَتَهم ، فإن أصابوا . . كنت من جملتهم ، وإن أخطؤوا . . سلمت من خطئهم .

---

(١) ذكرها الإمام اليافعي في « روض الرياحين في حكايات الصالحين » (ص ٤٥) وهي الحكاية الثانية ، وانظر « الفتوحات الوهبية » (ص١٥٨) .

(٢) أخرج بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٠٣) عن أبي بكر بن عياش رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده الزمخشري في « ربيع الأبرار » (٢/ ١٩٠) ، والأبشيهي في « المستطرف » (١/ ٢٧١) .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٠١) ، وأحمد (٢/ ١٥٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص ٤٣) من قول الأحنف بن قيس رحمه الله تعالىٰ .

وأما طب الأطباء : فإذا أكلت طعاماً . . فلا تقم إلا ونفسك تشتهيه ؛ فإنه لا يلمّ بجسدك ـ أي : لا ينزل به ـ غير مرض الموت)[1] .

وقال الحسن البصري رضي الله تعالىٰ عنه : (**من كثر كلامه** . . كثر سقطه ، **ومن كثر ماله** . . كثر إثمه ، **ومن ساء خلقه** . . عذّب نفسه)[2] .

ومن وصايا بعض الأكابر : (إياك وكثرة الكلام ؛ فإنه يظهر من عيوبك ما بطن ، ويُحرِّك من عدوِّك ما سكن)[3] .

وقيل : (إنما جُعِل لك لسان واحد وأذنان ؛ ليكون ما تسمع أكثر مما تقول)[4] .

وقال الأصمعي : (بلغني : أنَّ رجلاً قال لآخر : والله ؛ لئن قلت لي كلمةً واحدة . . لتسمعنَّ عشراً ، فقال : **لٰكنك لو قلت عشراً . . لم تسمع واحدة** !!)[5] .

وأنشد بعضهم[6] : [من الوافر]

إذا نَطَقَ السَّفيهُ فلا تُجبْه ... فخيرٌ من إجابتِه السُّكوتُ
سَكَتُّ عنِ السفيهِ فَظَنَّ أنِّي ... عَيِيتُ عنِ الجوابِ وما عييتُ
ولٰكنِّي اكتسيتُ بثوبِ حِلْمٍ ... وجنَّبتُ السفاهةَ ما بقيتُ[7]

---

(١) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٥٧) .
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٩٠) .
(٣) أورده الأبشيهي في « المستطرف » (١/ ٨٧) .
(٤) انظر « الرسالة المغنية » لابن البناء (١٣) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص ١٥٧) .
(٥) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٨٠٣) ، وأخرج ابن عساكر في « تاريخه » (٢٤/ ٣٣١) القصة للأحنف بن قيس .
(٦) البيتان الأولان في « روضة العقلاء » (ص١٤٠) لابن ميمون الخواص ، والأول في « الحلم » لابن أبي الدنيا (٢٤) ، و« الصمت » له (٧١٠) .
(٧) قوله : (**عييت**) أي : عجزت ، وقوله : (**وجنبت السفاهة**) أي : تباعدت عنها . **اهـ مؤلف** .

وأنشد الأصمعي[1] : [من الوافر]

وما شيءٌ أحبَّ إلىٰ لئيمٍ إذا شَتَمَ الكريمَ مِنَ الجوابِ
متاركةُ اللئيمِ بلا جوابٍ أشدُّ على اللئيمِ مِنَ السِّبابِ

[حلم زين العابدين وكرمه]

وحكي : (أن زين العابدين رضي الله تعالىٰ عنه خرج يوماً من المسجد ، فلقيه رجل فسبَّه ، فتبادر إليه العبيد والموالي ، فقال لهم زين العابدين : مهلاً عن الرجل .

ثم أقبل عليه ، وقال له : ما سُتر عليك من أمرنا أكثر ، ألك حاجةٌ نُعينك عليها ؟

فاستحيا الرجل ، فألقىٰ عليه خميصةً كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنّك من أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم)[2] .

والخَميصة : ثوب خزٍّ أو صوف معلم ، وقيل : لا تسمَّىٰ خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة ، وكانت من لباس الناس قديماً .

وقال في « حلية الأولياء » : (لا ينبغي للإنسان أن يُخرجَ من كلامه إلا ما يحتاج إليه ؛ كما أنه لا يُنفق من كسبه إلا ما يحتاج إليه) .

وقال أيضاً : (لو كنتم تشترون الورق للحفظة .. لأمسكتم عن كثير من الكلام)[3] .

---

(١) البيتان في « شعب الإيمان » للبيهقي (٨٠٩٩) ، و« الجليس الصالح » للمعافى بن زكريا (٣/ ٣٣٨) ، ونحوهما في « روضة العقلاء » .

(٢) أخرجها ابن الجوزي في « المنتظم » (٤/ ٤٥٧) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٤١/ ٣٩٤) .

(٣) حلية الأولياء (٢/ ٣٨٥) وهو من قول مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ ؛ ولفظه : (لو أن الملكين اللذين ينسخان أعمالكم غدوا عليكم يتقاضون أثمان الصحف التي ينسخون فيها أعمالكم .. لأمسكتم عن كثير من فضول كلامكم ، فإذا كانت الصحف من عند ربكم .. أفلا تربعون علىٰ أنفسكم ؟!) .

وقيل لبعضهم : (لِمَ لزمت السكوت ؟ فقال : إني لم أندم على السكوت قط ، وقد ندمت على الكلام مراراً)[١] .

وقال الغزالي رحمه الله تعالىٰ : (لا تبسطنَّ لسانك . . فيفسدنَّ عليك شأنك)[٢] .

وقال علي في وصية لابنه الحسين رضي الله تعالىٰ عنهما : (**يا بني ؛ أمسك عليك لسانك ؛ فإنَّ إتلاف المرء في منطقه**)[٣] .

وقال بعضهم رحمة الله تعالىٰ عليه[٤] : [من الكامل]

احفظْ لسانَك واستعذْ مِنْ شَرِّهِ	إنَّ اللسانَ هوَ العدوُّ الذَّابحُ
وَزِنِ الكلامَ إذا نطقتَ بمجلسٍ	وَزْناً يلوحُ بهِ الصَّوابُ اللائحُ
فالصمتُ مِنْ سَعْدِ السُّعودِ بمطلعٍ	يحمي الفتىٰ والنطقُ سبعٌ ذابحُ

فينبغي للإنسان أن يقلِّل كلامه ما استطاع ؛ خصوصاً فيما نُهي عن الكلام فيه كبَعدَ فِعل صلاة العشاء[٥] ؛ فإنه يكره إذا لم يتعلَّق به مصلحة دينية ؛ كتعليم العلوم الشرعية وتلاوة القرآن أو الذِّكر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإصلاح بين الناس ، وكلمة حقٍّ عند من له شوكة ، والكلام مع الحليلة والضيف ، أو

---

(١) انظر « الموشىٰ » (ص٨) ، وذكر نحوه في « البيان والتبيين » (ص ١/٢٦٩) من قول سيدنا لقمان ، وأخرج البيهقي في « الشعب » (٤٧١٣) عن أبي العتاهية أنه أنشد : (من الكامل)

إن كان يعجبك السكوت فإنه	قد كان يعجب قبلك الأخيارا
ولئن ندمت علىٰ سكوتٍ مرةً	فلقد ندمت على الكلام مرارا
إن السكوت سلامةٌ ولربما	زرع الكلام عداوةً وضرارا
وإذا تقرب خاسرٌ من خاسرٍ	زادا بذاك خسارة وتبارا

(٢) أورده في « فيض القدير » (٦/٢١٣) .

(٣) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٥٨) .

(٤) الأبيات في « الضوء اللامع » (١٢/١١٨) في ترجمة كلثوم بنت عمر بن صالح ، قال : (وجد بخطها . . .) وذكرها .

(٥) أخرج أبو داوود (٤٨٤٩) عن سيدنا أبي برزة رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهىٰ عن النوم قبلها ، والحديث بعدها) .

مصلحة دنيوية مما يتعلّق بضرورة الإنسان ؛ كـ(قم) و(خذ) و(كل) ونحو ذلك .

ومن وصايا بعض العارفين : (اترك الكلام إلا فيما لا بد منه ، واترك طلب الدنيا إلا فيما لا بد منه ، واترك مخالطة الناس إلا فيما لا بد منه)[(١)] .

[إكرام الجار من الإيمان]

(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فليكرم جاره) أي : فليحسن إليه بالبِشْر وطلاقة الوجه .

وقال بعضهم : (حسن الجوار في أربعة أشياء : أن يواسيه بما عنده ، وألاّ يطمع فيما لجاره ، وأن يمنع أذاه عنه ، وأن يصبر علىٰ أذيته)[(٢)] .

وقيل : إنَّ من إكرامه : ألاَّ يمنعه من غرز خشبةٍ في جداره[(٣)] .

وروي عن معاوية بن حَيْدة رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « حقُّ الجار : إن مرض . . عُدْتَه ، وإن مات . . شيَّعته ، وإن استقرضَكَ . . أقرضته ، وإن ارتكب أمراً يُعيبه . . سترته ، وإن أصابه خيرٌ . . هنأته ، وإن أصابته مصيبةٌ . . عزّيته ، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسدَّ عليه الريح ، ولا تؤذِهِ بريح قِدرك إلا أن تغرف له منها »[(٤)] .

وفي بعض الروايات : « وإن اشتريت فاكهةً . . فأهدِ له منها ، فإن لم تفعل . . فأدخلها سرّاً ، ولا تُخرج بها ولدَك ؛ فيغيظ بها ولده »[(٥)] .

---

(١) هي وصية حامد اللفاف رحمه الله لرجل يستوصيه ، ذكرها الإمام الغزالي في « الإحياء » (١٨٩/٧) .

(٢) الفتوحات الوهبية (ص١٥٩) .

(٣) النهي عنه في حديث البخاري (٢٤٦٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٤١٩/١٩) وفيه أبو بكر الهذلي .

(٥) أخرجها أبو الشيخ في « التوبيخ والتنبيه » (٢٥) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

وفي رواية لمسلم : « يا أبا ذر ؛ **إذا طبخت.. فأكثرِ المرق** ، وتعاهد جيرانك »[1] .

واعلم : أنَّ الجار يطلَق على السَّاكن مع غيره في بيت ، وعلى المُلاصق ، وعلىٰ أربعين داراً من كلِّ جانب[2] .

[أخبار في إكرام الجار والوصية به وكف الأذىٰ عنه]

وقد وردت أخبار كثيرة في إكرامه ، والوصية به ، وكفِّ الأذىٰ عنه :

منها : ما في رواية عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورِّثه** »[3] .

ومنها : ما في روايةٍ عن أنسٍ أيضاً مرفوعاً : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائعٌ إلىٰ جنبه وهو يعلم به »[4] .

ومنها : ما روي عن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما : أن النبي صلى الله عليه

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٢٥/١٤٢) ؛ **ولفظه** : « يا أبا ذر ؛ إذ طبخت مرقة.. فأكثر ماءها ، وتعاهد جيرانك » .

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في « فتح الباري » (١٠/٤٤٧) : (**واختلف في حد الجوار** : فجاء عن علي رضي الله عنه : « **من سمع النداء.. فهو جار** » ، وقيل : من صلىٰ معك صلاة الصبح في المسجد.. فهو جار ، وعن عائشة : « **حد الجوار أربعون داراً من كل جانب** » ، وعن الأوزاعي مثله ، وأخرج البخاري في « الأدب المفرد » مثله عن الحسن. . .) . وأخرج الطبراني في « الكبير » (١٩/٧٣) عن سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه قال : أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ فقال : يا رسول الله ؛ إني نزلت في محلَّة بني فلان ، وإن أشدهم لي أذىً أقدمُهم لي جواراً ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعلياً يأتون المسجد فيقومون علىٰ بابه فيصيحون : « **ألا إن أربعين داراً جارٌ ، ولا يدخل الجنة من خاف جارُه بوائقه** » .

(٣) أخرجه البزار في « مسنده » (٦٩٠٩) ؛ لـٰكن أخرجه بلفظه البخاري (٦٠١٥) ، ومسلم (٢٦٢٥) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وهو عند البخاري (٦٠١٤) ، ومسلم (٢٦٢٤) من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١/٢٥٩) ، وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (١١٢) وغيره عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وسلم قال : « **كم من جار يتعلَّق بجاره يوم القيامة يقول** : يا رب ؛ هـٰذا أغلق بابه دوني فمنعني معروفه »[1] .

ومنها : ما روي عن أبي شريح رضي الله تعالىٰ عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن** » قالوا : لقد خاب وخسر ، من هو يا رسول الله ؟ قال : « **مَن لا يأمن جارُه بوائقَه** »[2] أي : غوائله وشروره .

ومنها : ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **مَن آذىٰ جاره . . فقد آذاني** ، ومن آذاني . . فقد آذى الله »[3] .

ومنها : ما رواه البيهقي : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **مَن أحبَّ أن يحبه الله ورسوله** . . فليصدقِ الحديث ، وليؤدِّ الأمانة ، ولا يؤذِ جاره »[4] .

ومنها : ما روي أنَّ رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **كُفَّ أذاك عنه ، واصبر علىٰ أذاه ؛ فكفىٰ بالموت مفرِّقاً** »[5] .

[قصة إسلام جار مالك بن دينار]

وحكي : أنه كان لمالك بن دينار جارٌ يهوديّ ، فحوَّل مُستحمَّه إلىٰ جدار البيت الذي فيه مالك ، وكان الجدار متهدِّماً ، فكانت تدخل منه النجاسة ، ومالك ينظِّف البيت في كلِّ يومٍ ولم يقل شيئاً ، وأقام علىٰ ذلك مدةً وهو صابر على الأذىٰ ، فضاق

---

(١) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (١١١) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٦) ، ومسلم (٤٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه .

(٣) أخرجه الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٥٩٢٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (١٩٧٤٨) ، ومن طريقه البيهقي في « شعب الإيمان » (٩١٠٤) عن الزهري قال : حدثني من لا أتهم من الأنصار ، وجهالة الصحابي لا تضر .

(٥) أخرجه المروزي في « البر والصلة » (٢٢٢) ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٣٢٨) عن أبي عبد الرحمـٰن الحبلي رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

صدر اليهودي من كثرة صبره علىٰ هٰذه المشقة ، فقال له : **يا مالك ؛ آذيتُك وأنت صابر ولم تخبرني ؟!**

فقال له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه** »[1] ، فندم اليهودي ، وأسلم ، وحسن إسلامه[2] .

[عشرة أشياء من الجفاء]

ورُوي عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ أنه قال : **عشرة أشياء من الجفاء**[3] :

أولها : رجل يدعو لنفسه ولا يدعو لوالديه ولا للمؤمنين والمؤمنات .

والثاني : رجل يتعلَّم القرآن ولا يقرأ منه في كل يوم مئة آية .

والثالث : رجل دخل المسجد وخرج ولم يصلِّ ركعتين .

والرابع : رجل يمرُّ على المقابر ولم يُسلِّم علىٰ أهلها ولم يدعُ لهم .

والخامس : رجل دخل المدينة في يوم جمعة ثم خرج ولم يصلِّ الجمعة .

والسادس : رجل نزل في مَحَلَّتِهِ رجل عالم ولم يذهب ليتعلَّم منه شيئاً من العلم .

والسابع : رجلان ترافقا ولم يسأل كلٌّ واحد منهما عن اسم صاحبه .

والثامن : رجل دعاه رجل إلىٰ ضيافة فأجابه ثم لم يذهب إلى الضيافة .

والتاسع : شاب يضيِّع شبابه ولم يطلب العلم والأدب .

والعاشر : رجل شبعان وجاره جائع ولا يعطيه من طعامه شيئاً[4] .

---

(١) تقدم تخريجه قريباً (ص ٢٤٧) .

(٢) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص١٥٩ـ ١٦٠) .

(٣) قوله : (**الجفاء**) هو ـ كما في « النهاية » ـ : البعد عن الشيء ، وغلظ الطبع ، وترك الصلة والبذاءُ . **اهـ مؤلف** .

(٤) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص١٦٠) .

ونقل عن الإمام أحمد رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : (**يجب على الشخص** : أن يبذل للجار ما يحتاج إليه من فضل ما عنده بما لا يضرُّ به إذا علم حاجته)[1] .

ونقل عنه أيضاً أنه قال : (**يبدأ بنفسه وبمن تلزمه مؤونته** ؛ فإن فضل شيء.. أعطى الأقرب إليه مسكناً ؛ لأنه آكد من غيره ؛ لرؤيته ما يدخل بيت جاره فيتشوَّق إليه ، بخلاف الأبعد)[2] .

وروي عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها أنها قالت : قلت : يا رسول الله ؛ **إن لي جارينِ فإلىٰ أيِّهما أُهدي** ؟ ـ بضم الهمزة ـ قال : « **إلىٰ أقربهما منكِ باباً** »[3] .

ويندب تقديم الأحوج فالأحوج ، خصوصاً إذا كان ذا قرابة أو امرأة أرملة ومعها أيتام[4] .

[الجيران ثلاثة]

وروي عن جابر رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « **الجيران ثلاثة** : جارٌ له حقٌّ واحد ؛ وهو أدنى الجيران ، وجارٌ له حقَّان ، وجارٌ له ثلاثة حقوق ؛ وهو أفضل الجيران .

فأمَّا الذي له حقٌّ واحد : فجارٌ مشرك له حق الجوار .

وأما الذي له حقَّان : فجارٌ مسلم ، له حقُّ الإسلام ، وحق الجوار .

وأما الذي له ثلاثة حقوق : فجارٌ مسلم ، ذو رحم ، له حقُّ الإسلام ، وحقُّ الجوار ، وحقُّ الرحم »[5] .

---

(١) ذكر ذلك الإمام ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (١/ ٣٥٢) .
(٢) انظر « جامع العلوم والحكم » (١/ ٣٤٨) .
(٣) أخرجه البخاري (٢٢٥٩) وأطرافه .
(٤) قوله : (أرملة) أي : مات عنها زوجها . اهـ مؤلف .
(٥) أخرجه الطبراني في « مسند الشاميين » (٢٤٥٨) .

وورد في الحديث الشريف : « حسن الجوار : عمارة الديار ، وزيادة الأعمار »[١] .

وليعلم : أنه كما يُطلب من الشخص إكرام الجار مع الحائل . . يطلب منه إكرام الملكين الحافظينِ اللَّذينِ ليس بينه وبينهما حائل ، فلا يؤذيهما بإيقاع المخالفات في مرور الساعات والأوقات ؛ فقد ورد : أنهما يُسرَّان بوقوع الحسنات ، ويحزنان بوقوع السيئات .

فينبغي مراعاة حقِّهما بالإكثار من عمل الطاعات ، والتباعد عن المعاصي والمخالفات ، فهما أَولىٰ بالإكرام والإحسان من كثيرٍ من الجيران[٢] .

[إكرام الضيف من الإيمان]

(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فليكرم ضيفه) واحداً كان أو متعدِّداً ، غنياً أو فقيراً ، وإكرامه : إحسان ضيافته بالبِشْر في وجهه ، وطيب الحديث معه ، وبسط فراش له ، وإجلاسه في صدر المجلس ، وإطعامه ثلاثة أيام بقدر وسعه ، ثم مودادعته بلطف .

[من آداب إكرام الضيف]

وينبغي خدمته بنفسه ؛ تأسياً واقتداءً بالمصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روي : أنه فعل ذلك كإبراهيم عليهما الصلاة والسلام[٣] ، واقتدىٰ بهما الخلفاء

---

(١) ذكره ابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص٨١٧) عن سيدنا أبي سعيد ـ أو سعد ـ الأنصاري رضي الله عنه ، وقال : (روىٰ عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين) هـٰذا أحدهما .

(٢) أخرج الترمذي (١٩٧٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كذب العبد . . تباعد عنه المَلك ميلاً من نَتْنِ ما جاء به » .

وأخرج البيهقي في « الشعب » (٧٣٤٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليستحْي أحدكم من ملكيه اللذينِ معه كما يستحي من رجلين صالحينِ من صالح جيرانه ، وهما معه بالليل والنهار » .

(٣) أخرج البخاري (٦٤٥٢) حديثاً مطولاً عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ؛ وفيه : أنه دعا أهل الصفة =

الأربعة وعمر بن عبد العزيز رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين .

ويكره التكلُّف له ؛ لقول سلمان رضي الله تعالىٰ عنه : (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم **ألاَّ نتكلَّف للضيف ما ليس عندنا ، وأن نقدِّم ما حضرنا**)[1] .

وورد : « لا تتكلَّفوا للضيف فتبُغضوه ؛ فإن مَنْ أبغض الضيف.. فقد أبغض الله ، ومن أبغض الله.. أبغضه »[2] .

ومن ثَم قال بعضهم : (ما أُبالي من أتاني من إخواني ؛ فإنِّي لا أتكلَّف له ، إنما أُقَرِّب ما عندي ، ولو تكلَّفت له.. لكرهتُ مجيئَه وملَلتَه)[3] أي : سئمته .

وفسَّر بعض السلف التكلُّف : (بأن تُطعم أخاك ما لا تأكله أنت)[4] : بأن تزيد عليه في الجودة والقيمة ، **وهٰذا لا ينافي حديث** : « من لذَّذ أخاه بما يشتهي.. كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وأطعمه الله من ثلاث جنات : جنة الفردوس ، وجنة عدن ، وجنة الخلد » اهـ[5] ؛ لأنه محمول علىٰ ما إذا كان حاضراً عنده ، أو لم يكن حاضراً ، وكان قادراً علىٰ ثمنه ولم يترتب على الإتيان به مشقَّة .

وينبغي تعجيل إحضار ما حضر من الطعام إلى الضيف ، ويبدأ بتقديم الفاكهة إن

= وسقاهم جميعاً ، ثم أمر أبا هريرة بالجلوس وسقاه حتىٰ لم يجد له مسلكاً ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح ، فحمد الله وسمىٰ وشرب الفضلة ، صلى الله وسلم عليك يا سيدي يا رسول الله ، يا معلم البشرية الخير .

(١) أخرجه بلفظه البزار في « مسنده » (٢٥١٤ ، ٢٥١٥) ، دون قوله : (وأن نقدم ما حضرنا) ، والطبراني في « الكبير » (٦/ ٢٧١) ، وهو عنده بنحوه (٦/ ٢٣٥) .

(٢) أورده الإمام الغزالي في « الإحياء » (٣/ ٥١) ، وعزاه الإمام العراقي في « تخريج أحاديث الإحياء » (١٣٤٦) إلىٰ أبي بكر بن لال ، لٰكن بلفظ حديث سلمان قبله ، وهو من الأحاديث التي لم يجد لها السبكي إسناداً .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٨٤) ، والإمام الغزالي في « الإحياء » (٣/ ٤٤) .

(٤) ذكره أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/ ١٨٤) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٨٢) ، والإمام الغزالي في « الإحياء » (٣/ ٤٩) ، وذكره ابن الجوزي في « الموضوعات » (٢/ ٨٨) ، وغيرُه .

كانت ، **وأفضل ما يقدِّم بعدها** : اللحم والثريد ، فإن أتىٰ بحلاوة بعد ذلك . . فقد جمع الطيبات[1] .

وكان المتقدِّمون يقدِّمون جميع الألوان دفعةً ، ويصفُّون الطعام على المائدة ليأكل كلُّ واحدٍ مما يشتهي ، وإن لم يكن عنده إلاَّ لون واحد . . ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه[2] .

وينبغي الأكل مع الضيف وتلقيمه ؛ فقد روي عن حذيفة رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : صنع النبي صلى الله عليه وسلم طعاماً ودعا أصحابه ، فأطعمهم بيده لقمةً لقمةً ، وقال : « **سيِّد القوم خادمهم** »[3] .

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « إذا أكل أحدكم مع الضيف . . فليلقمه بيده ، فإذا فعل ذلك . . كُتب له به عمل سنة : صيام نهارها ، وقيام ليلها »[4] .

وكان السلف الصالح يفرحون بالضيف ، ويعدُّون الليلة التي يجيء فيها كأنها ليلة عيد ؛ وذلك لما يحصل لهم فيها من السرور بقدومه .

وحكي : أنه كان لعبد الله بن المبارك رضي الله تعالىٰ عنه فرس ، فجاءه ضيف ، فذبحه له ، فخاصمته زوجته فطلَّقها .

ثم جاءه رجل فقال له : إن لي بنتاً جميلة ، فزوَّجه إياها ، وأرسل معها عشرة من الخيل .

---

(١) انظر « إحياء علوم الدين » (٣/ ٦٨) حيث قال : (**ترتيب الأطعمة** : بتقديم الفاكهة أولاً إن كانت ؛ فذلك أوفق في الطب ، فإنها أسرع استحالة ، فينبغي أن تقع في أسفل المعدة ، وفي القرآن تنبيه علىٰ تقديم الفاكهة في قوله تعالىٰ : ﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾ . . .) .

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٧١) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٣/ ٣١٣) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه ، وعنده (٣٣/ ٣١٣) وعند الخطيب في « تاريخه » (١٠/ ١٨٥) عن سيدنا جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، وفي الباب عن غيرهما كما في « المقاصد الحسنة » (٥٧٩) ، وليس فيها حديث حذيفة رضي الله عنه ، فليعلم .

(٤) انظر « فيض القدير » (٦/ ٢١٠) .

فرأىٰ عبد الله في منامه قائلاً يقول له : (**إنك طلَّقت لأجلنا عجوزاً ، فقد زوّجناك بِكراً ، وذبحت لنا فرساً ، فقد أعطيناك عشراً**)[1] .

وقيل : **إنَّ أول من أضاف** : سيدنا إبراهيم الخليل علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام[2] ، وكان يكنىٰ أبا الضيفان ، وكان يمشي الميل والميلين في طلب الضيف[3] .

[قضيتان متعارضتان لسيدنا إبراهيم عليه السلام]

واتفق له قضيتان متعارضتان : شُكِر في واحدة ، وعُوتب في أخرىٰ :

أما الأولىٰ : فإنه نزل به رجل من عَبَدة الأوثان فأكرمه ، فضجَّتِ الملائكة في السماوات وقالوا : يا ربنا ؛ خليلك يكرم عدوك ؟!

فقال لهم : أنا أعلم بخليلي منكم ، ثم أمر جبريل فنزل وعرض عليه قول الملائكة، فبكىٰ وقال: **يا جبريل ؛ أنا تعلمت من مولاي رأيته يحسن إلىٰ من يسيء** .

وأما الأخرىٰ : فإنه نزل به رجل آخر من عبدة الأوثان أيضاً ، فاستضافه فأبىٰ عليه إلا أن يترك دينه ، فانصرف ، فأمر الله جبريل أن ينزل إليه ، فنزل إليه وقال له : يقول لك ربك : استضافك عبدي فأبيت إلا أن يترك دينه ؛ وأنا أرزقه ثمانين سنة علىٰ شركه ؟!

فبكىٰ إبراهيم وقام يقفو أثر الوثني ـ أي : يتبعه ـ إلىٰ أن لحق به ، فعرض عليه الرجوع ، فأبىٰ إلا أن يخبره بسبب ذلك .

فقال له إبراهيم : **إن الله عاتبني فيك** . . وأخبره ، فبكى الوثني وقال : **يا إبراهيم ؛ أسلمت لله رب العالمين**[4] .

---

(١) أوردها الصفوري في « نزهة المجالس » (١/٢١٦ـ٢١٧) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوائل » (١٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرج ذلك أبو نعيم في « الحلية » (٣/٣٣٦) عن عكرمة رحمه الله تعالىٰ .

(٤) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص١٦١) فقد ذكر القضيتين .

ثم إن الضيافة سُنّة عند الجمهور : كالشافعي ومالك وأبي حنيفة ، وذهب أحمد والليث إلىٰ وجوبها لمسلم مسافر في قرية يوماً وليلة قدر كفايته ودابته ، مع إنزاله في بيته إن لم يكن هناك مسجد ونحوه .

ومحلُّ الخلاف بينهما وبين الجمهور : في حقٍّ من عنده فاضل عن قوته وقوت عياله كزكاة الفطر ، أما غيره . . فلا ضيافة عليه[1] .

وينبغي للضيف : ألاَّ يزيد في إقامته علىٰ ثلاثة أيام ، إلا إذا أَلَحَّ عليه مَنْ أضافه عن خلوص قلبه ، ويعلم ذلك بالقرائن .

وينبغي له : أن ينصرف طيِّبَ النفس وإن جرىٰ في حقِّه تقصير ؛ لأنه من حسن الخلق والتواضع .

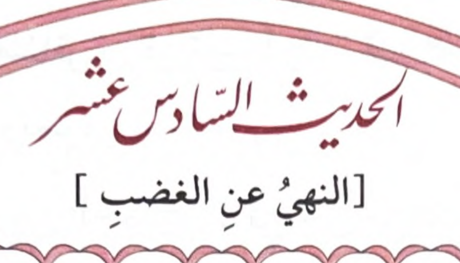
وهٰذا الحديث حديث عظيم تتفرَّع منه آداب الخير ، وقيل فيه : إنه نصف الإسلام ؛ لأن الأحكام إما أن تتعلَّق بالحَق أو الخَلْق ، وهٰذا أفاد الثاني ؛ **إذ المقصود منه** : أنَّ من كان كامل الإيمان . . فهو متَّصف بالشفقة علىٰ خلق الله تعالىٰ قولاً بالخير ، أو سكوتاً عن الشر ، أو فعلاً لما ينفع ، أو تركاً لما يضر .

(**رواه البخاري**) في (الأدب) ، (**ومسلم**) في (باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف) من (كتاب الإيمان) .

* * *

---

(١) انظر تفصيل ذلك في « فتح الباري » (٥/١٠٨ـ١٠٩) .



الحديث السادس عشر

[النهيُ عنِ الغضبِ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْصِنِي ؛ قَالَ : « لاَ تَغْضَبْ » فَرَدَّدَ مِرَاراً ، قَالَ : « لاَ تَغْضَبْ » رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ[1] .

(**عن أبي هريرة**) وتقدَّم الكلام عليه[2] (**رضي الله**) تعالىٰ (**عنه : أن رجلاً**) قيل : هو أبو الدرداء ، وقيل : سفيان بن عبد الله الثقفي ، وقيل : عبد الله بن عمر ، وقيل غير ذلك .

واستظهر الولي العراقي : أن السائل عما يأتي تعدَّدَ[3] .

(**قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني**) أي : دُلَّني علىٰ ما ينفعني ديناً ودُنيا ، ويقرّبني إلى الله عز وجل .

(**قال : لا تغضب**) **يحتمل أنَّ المرادَ** : لا تفعل الأسباب المقتضية للغضب ، وافعل الأسباب التي تنفيه ؛ كالحلم ، وحسن الخلق ، والحياء ، والتواضع ، وكفّ الأذىٰ ، والعفو ، وبشاشة الوجه .

ويحتمل أنَّ المراد : لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل من ارتكاب ما يترتَّب عليه من الانتقام ، بل جاهد نفسك علىٰ ترك تنفيذه ؛ بأن تكظم غيظك بالحلم والخوف من الله تعالىٰ .

---

(١) صحيح البخاري (٦١١٦) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ١٨٩) في الحديث التاسع .

(٣) فصل العلامة الشبرخيتي هـٰذه المسألة في « الفتوحات الوهبية » (ص ١٦٢) ، ومن قبله العلامة الزرقاني في « شرحه على الموطأ » (٤/ ٣٢٤) .

(**فردَّدَ**) أي : كرَّر الرجل طلب الوصية (**مراراً**) بقوله : (أوصني) وكأنه لم يقنع بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تغضب » ، فطلب منه وصيّةً أبلغ منها وأنفع ، فلم يزده صلى الله عليه وسلم في كُلِّ مرَّةٍ عليها ، بل أعادها له حيث (**قال**) وفي بعض النسخ (فقال) : (**لا تغضب**) وجاء في رواية عثمان ابن أبي شيبة : (قال : « لا تغضب » ثلاث مرات) فأفصح فيها ببيان عدد المرار[1] .

وفي تكرير هـٰذه الوصية تنبيهٌ للسائل علىٰ عِظمها وعموم نفعها ؛ لما فيها من جلب المصالح ، ودرء المفاسد ؛ أي : دفعها .

ونظير هـٰذا : ما وقع للعباس رضي الله تعالىٰ عنه من قوله للنبي صلى الله عليه وسلم : علِّمني دعاءً أدعو به يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « **سَلِ الله العافية** » ، فعاوده العباس مراراً ، فقال له : « يا عباس ، يا عم رسول الله ؛ سل الله العافية في الدنيا والآخرة ؛ فإنك إذا أُعطيت العافية في الدنيا والآخرة . . أُعطيت كلَّ خير »[2] .

وفي رواية : قال رجل : يا رسول الله ؛ علِّمني عملاً يدخلني الجنة ، قال : « لا تغضب » فأعاد عليه القول ، فقال : « لا تغضب » ، ثم قال له : « **استغفر الله تعالىٰ قبل صلاة العصر سبعين مرة . . يكفِّر عنك ذنوب سبعين عاماً** » .

قال : فإن لم تأتِ عليَّ ذنوب سبعين عاماً ؟ قال : « يغفر لأمك » قال : ما لها ذلك ؟ قال : « لأبيك » قال : ما له ذلك ؟ قال : « لإخوانك » قال : نعم[3] .

[الغضب ودواؤه المانع والرافع]

وروي عن أنس : أن رجلاً قال : يا رسول الله ؛ فما أشدُّ من كلِّ شيء ؟ قال :

---

(١) انظر « فتح الباري » (١٠/ ٥٢٠) .

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » (٣٥١٤) ، وأحمد في « مسنده » (١/ ٢٠٩) ، وغيرهما .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٦٧ـ ٣٦٨) ، والخطيب في « تاريخه » (١٤/ ٤٢٥) ، عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه بنحوه .

« غضب الله » قال : فما ينجي من غضب الله ؟ قال : « لا تغضب »[1] .

والغضب في حقِّ الله تعالىٰ : إرادة الانتقام ، وأما في حق الآدمي . . فهو ثوران دم القلب وغليانه عند توجُّه مكروهٍ إلى الشخص .

وقيل : تغيُّرٌ يتبعه غليان دم القلب لإرادة الانتقام .

وله دواء مانع ودواء رافع ؛ فالمانع : كأنْ يتذكَّر ما يترتَّب عليه من المفاسد ، وما جاء في فضل الحلم وكظم الغيظ .

والرافع : كأنْ يتذكر ذلك ، وينتقل من موضعه ، ويستعيذ بالله من الشيطان[2] ، ويغتسل أو يتوضأ ، وإن غضب وهو قائم . . جلس أو اضطجع[3] .

وأقوى الأشياء في منعه ورفعه : التوحيد الحقيقي ، وهو اعتقاد أنه لا فاعل حقيقةً في الوجود إلا الله ، وأن الخلق آلات ووسائط ، فمن توجَّه إليه مكروه من غيره ، ولاحظ أنه لا فاعل ولا معطي ولا مانع ولا نافع ولا ضارَّ إلا الله تعالىٰ . . اندفعت عنه آثار غضبه .

---

(١) أورده القرطبي في « تفسيره » (٢٠٨/٤) بلفظه ، وأخرج نحوه أحمد في « مسنده » (١٧٥/٢) وهو : عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا يباعدني من غضب الله عز وجل ؟ قال : « لا تغضب » .

(٢) أخرج البخاري (٣٢٨٢) ، ومسلم (٢٦١٠) عن سيدنا سليمان بن صُرد رضي الله عنه قال : كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبَّان ؛ فأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لأعلم كلمةً لو قالها . . ذهب عنه ما يجد ، لو قال : **أعوذ بالله من الشيطان . . ذهب عنه ما يجد** » ، فقالوا له : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تعوَّذ بالله من الشيطان » فقال : وهل بي جنون ؟! .

(٣) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (١٣٠/٢) عن أبي مسلم الخولاني عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما : أنه خطب الناس وقد حبس العطاء شهرين أو ثلاثة ، فقال له أبو مسلم : يا معاوية ؛ إن هـٰذا المال ليس بمالك ، ولا مال أبيك ، ولا مال أمك . فأشار معاوية إلى الناس : أنِ امكثوا ، ونزل فاغتسل ، ثم رجع فقال : أيها الناس ؛ إن أبا مسلم ذكر أن هـٰذا المال ليس بمالي ، ولا بمال أبي ولا أمي ، وصدق أبو مسلم ؛ إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **الغضب من الشيطان ، والشيطان من النار ، والماء يطفىء النار ، فإذا غضب أحدكم . . فليغتسل** » اغدوا علىٰ عطاياكم علىٰ بركة الله عز وجل .

وقيل : إنه ينشأ عن الغضب تغيُّر الظاهر والباطن ، والرِّعدة في الأطراف ، وقبح الصورة ، حتىٰ لو رأى الغضبان نفسه . . لسكن غضبه حياءً من قبح صورته[1] .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **من دفع غيظه . . دفع الله عنه عذابه** ، ومن حفظ لسانه . . ستر الله عورته »[2] .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه . . دعاه الله يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق حتىٰ يخيره في أيِّ الحور شاء »[3] .

وفي رواية : « من كظم غيظاً وهو قادر علىٰ إمضائه . . ملأ الله قلبه نوراً وأمناً وإيماناً ، وزوَّجه من الحور العين ما شاء »[4] .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان يوم القيامة . . نادىٰ منادٍ : **من كان أجره على الله . . فليدخل الجنة** ، فيقال : من ذا الذي أجره على الله ؟ فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب »[5] .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الشديد بالصُّرَعة ـ بضم الصاد وفتح الراء ؛ أي : الذي يصرع الناس كثيراً بقوَّته ـ إنما الشديد الذي يملكُ نفسه عند الغضب »[6] .

---

(١) انظر « فتح الباري » (١٠/ ٣٢٠) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٣٤٢) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٢/ ٣٥٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، ومن وجه آخر عن سيدنا أنس أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٥٨) ، وعنده (٧٩٥٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه أبو داوود في « سننه » (٤٧٧٧) ، والترمذي في « سننه » (٢٠٢١ ، ٢٤٩٣) ، وابن ماجه في « سننه » (٤١٨٦) ، وأحمد في « مسنده » (٣/ ٤٤٠) عن سيدنا معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أبو داوود في « سننه » (٤٧٧٨) إلىٰ قوله : (وإيماناً) عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبقيته مذكورة في الحديث الذي قبله (٤٧٧٧) .

(٥) أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٣/ ١١٣٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٦٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٦) أخرجه البخاري (٦١١٤) ، ومسلم (٢٦٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

[قصتان في كظم الغيظ]

وحكي عن بعضهم : أنه قدَّم له خادمه طعاماً حارّاً في صحفة ، فعثر ، فوقع ما معه علىٰ سيّده ، فامتلأ وجهه غيظاً .

فقال له الخادم : يا مولاي ؛ خذ بقول الله تعالىٰ .

فقال : وما قال الله تعالىٰ ؟ قال الخادم : قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ ، فقال السيد : **كظمت غيظي** .

قال الخادم : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ ، فقال : **عفوت عنك** .

قال الخادم : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، فقال : **أنت حرٌّ لوجه الله ، ولك هـٰذه الألف دينار**[1] .

ونظير ذلك : ما حكي أنَّ جاريةً كانت تصبُّ الماء لعلي بن الحسين ، فسقط الإبريق من يدها علىٰ وجهه فشجَّه ـ أي : جرحه ـ فرفع رأسه إليها ، فقالت له : إن الله عز وجل يقول : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ ، فقال لها : **قد كظمت غيظي** .

قالت : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ ، قال لها : **قد عفا الله عنك** .

قالت : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، قال : **اذهبي فأنت حرّة لوجه الله تعالىٰ**[2] .

[سيدنا عمر كان وقَّافاً عند كتاب الله]

وروي أنَّ رجلاً قال لسيدنا عمر رضي الله تعالىٰ عنه : إنك لا تقضي بالعدل ولا تعطي الحقَّ ، فغضب واحمرّ وجهه ، فقيل له : **يا أمير المؤمنين ؛ ألم تسمع أنَّ الله تعالىٰ يقول** : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ **وهـٰذا جاهل** .

---

(١) انظر « إحياء علوم الدين » (٤/٢٣٨) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص ١٦٤) وصاحب القصة ميمون بن مهران رحمه الله تعالىٰ .

(٢) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٦٤) .

قال : (صدقت) ، فكأنما كان ناراً فأُطفئت[1] .

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما أنه قال : (ثلاث من كنَّ فيه . . فقد استحقَّ ولاية الله : حلمٌ يدفع به سفه السفيه ، وورعٌ يمنعه عن المعاصي ، وخُلُقٌ حسنٌ يداري به الناس)[2] .

[حلم الفضيل وحلم سيدنا معاوية رضي الله عنهما]

وحكي : أنَّ الفضيل بن عياض كان إذا قيل له : (إن فلاناً يقع في عِرضك . . يقول : والله ؛ لأغيظنّ مَن أمره ـ يعني إبليس ـ ثم يقول : اللهم ؛ إن كان صادقاً . . فاغفر لي ، وإن كان كاذباً . . فاغفر له)[3] .

وقيل : إن معاوية رضي الله تعالىٰ عنه كان من أحلم العرب ، وكان يقول : (ما غضبت علىٰ من أقدر عليه ، ولا علىٰ من لا أقدر عليه) .

فادّعىٰ واحدٌ أنه يغضبه ، فدخل عليه وقال له : أطلب منك أن تزوِّجني والدتك ؛ فلها دبر كبير .

فقال : (ذلك سبب حبِّ أبي لها) ، ثم قال للخازن : (أعطه ألف دينار ؛ ليشتري جارية)[4] .

[الغضب المحمود والغضب المذموم]

واعلم : أنَّ الغضب إنما يُذَمُّ حيث لم يكن لله تعالىٰ ، أما إذا كان له تعالىٰ . . فهو محمود .

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري في « صحيحه » (٤٦٤٢ ، ٧٢٨٦) .
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « العقل وفضله » (١٠٣) عن عبد الملك بن عمير مرسلاً بنحوه .
(٣) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٦٧٠) ، وأبو الشيخ في « طبقات المحدثين بأصبهان » (٢/ ١٣) ، وفيهما : الفضيل بن بزوان .
(٤) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٦٤) .

ومن ثَم : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضب إذا انتُهكت حرمات الله عز وجل)[1] .

وكان موسىٰ عليه السلام شديد الحِدَّة والغضب لله تعالىٰ ولدينه ؛ ولذا لما رجع من مناجاة ربه عز وجل ووجد قومه يعبدون العِجْل . . أخذ شعر رأس أخيه هارون عليه السلام بيمينه ، ولحيتَه بشماله ، وجرَّه إليه ؛ توهُّماً أنه قصَّر في كفِّهم عن عبادة العجل[2] .

ولما خرق الخضر عليه السلام السفينة . . غضب موسىٰ صلوات الله وسلامه عليه ، وأخذ برجله ليلقيه في البحر ، فذكَّره يوشع عهده معه فخلاَّه .

[حياء سيدنا موسىٰ عليه الصلاة والسلام]

وحكي : أنَّ بني إسرائيل كانوا يغتسلون عُراة ينظر بعضهم إلىٰ بعض ، **وكان موسىٰ عليه السلام يغتسل وحده ؛ حياءً من أن يُرىٰ عُرياناً** .

فحلفوا بالله : أنه ما يمنعه من الاغتسال معهم إلا كبر أنثييه ، أو أن به برصاً ، فانطلق ذات يوم يغتسل في عين ، وجعل ثوبه علىٰ حجر ، ففرَّ به ، فتبعه موسىٰ عليه السلام وهو يقول : (**ثوبي حجر**) أي : اترك ثوبي يا حجر .

فمرَّ علىٰ ملأٍ ـ أي : جماعة ـ من بني إسرائيل فرأَوه عُرياناً أحسن ما خلق الله ، وبرَّأه الله مما يقولون ، ولما انتهىٰ إلى الحجر . . ضربه بعصاه ؛ تأديباً له وزجراً ؛ **لأنَّ الله تعالىٰ خلق فيه حياةً حتىٰ صدر منه فعل من يعقل**[3] .

---

(١) قوله : (**انتهكت حرمات الله**) قال في « المختار » : **انتهاك الحرمة** : تناولها بما لا يحل . **اهـ مؤلف** .

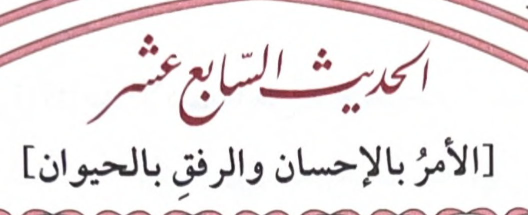
(٢) **شاهده قوله تعالىٰ** : ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ .

(٣) أخرجه بنحوه البخاري في « صحيحه » (٢٧٨ ، ٣٤٠٤) ، ومسلم في « صحيحه » (٣٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

ثم إنَّ هٰذا الحديث حديث عظيم ، وهو من جوامع الكلم ؛ لأنه جمع بين خيري الدنيا والآخرة .

(**رواه البخاري**) في (كتاب الأدب) من « صحيحه » .

* * *



الحديث السّابع عشر

[الأمرُ بالإحسان والرفقِ بالحيوان]

عَنْ أَبِي يَعْلَىٰ **شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ** رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ ٱللهَ كَتَبَ ٱلْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ.. فَأَحْسِنُوا ٱلْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ.. فَأَحْسِنُوا ٱلذِّبْحَةَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ » **رَوَاهُ مُسْلِمٌ**[1] .

[من ترجمة سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنهما]

(**عن أبي يعلىٰ**) ويكنىٰ أيضاً بأبي عبد الرحمـٰن (**شدَّاد**) بالتشديد (**ابن أوس**) بفتح فسكون فمهملة (**رضي الله**) تعالىٰ (**عنه**) هو ابن أخي حسان بن ثابت ، وكان جامعاً بين العلم والحكمة ؛ وهي العمل بالعلم .

وقال أبو الدرداء : (إنَّ لكل أمة فقيهاً ، وإن فقيه هـٰذه الأمة شدَّاد بن أوس ، وإنَّ من الناس مَن يُؤتىٰ علماً ولا يُؤتىٰ حِلْماً ، **وإن أبا يعلىٰ قد أُوتي علماً وحِلْماً**)[2] .

وقيل : (**إنه فُضِّل على الأنصار بخصلتين** : ببيان إذا نطق ، وبكظم إذا غضب)[3] .

وكان إذا دخل الفراش.. يتقلَّب عليه ولا يأتيه النوم فيقول : (**اللهم ؛ إنّ النار**

---

(١) صحيح مسلم (١٩٥٥) .

(٢) أخرج شطره الأول أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٦٥) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٢٢/ ٤١٠) ، وأخرج ابن عساكر عقبه شطره الثاني ، وهو عند أبي نعيم (١/ ٢٦٤) تعليقاً .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/ ٤١١) من قول سعيد بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ .

قد أسهرتني وأذهبت عني النوم) ثم يقوم فيصلِّي حتىٰ يصبح[1] .

وكان يقول : (إنكم لم تروا من الخير إلا أسبابه ، ولم تروا من الشر إلا أسبابه ، الخير كله بحذافيره ـ أي : بجملته ـ في الجنة ، والشرُّ كلُّه بحذافيره في النار ، وإن الدنيا عرَض حاضر ، يأكل منها البارُّ والفاجر ، والآخرة وعْدٌ صادق ، يحكم فيها ملكٌ قادر ، ولكل بنون ؛ فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا)[2] .

وروي عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا كنز الناس الذهب والفضَّة . . فاكنزوا هـٰؤلاء الكلمات : اللهم ؛ إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ؛ إنك أنت علاَّم الغيوب »[3] .

ولما حضرته الوفاة . . قال : (إنَّ أخوف ما أخاف علىٰ هـٰذه الأُمَّة : الرياء والشهوة الخفية)[4] .

[تنبيه للشارح بأن أوس بن ثابت من الصحابة]

وأبوه أوس كان صحابياً ، فكان ينبغي للمصنِّف رحمه الله تعالىٰ أن يقول : رضي الله تعالىٰ عنهما ؛ للقاعدة الحديثية : إنَّ كلَّ من كان صحابياً وأبوه صحابي . . يقال فيه ذلك[5] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٦٤) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٢٢/ ٤١٥ـ٤١٦) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٦٤) .
(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/ ١٢٣) ، وابن حبان في « صحيحه » (٩٣٥) ، ونحوه عند الترمذي في « سننه » (٣٤٠٧) ، وغيرهم .
(٤) أخرجه الطبري في « تهذيب الآثار » (مسند عمر) (١١٢١) وغيره ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٦٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٤٠٩) ، وغيرهم .
(٥) انظر « الاستيعاب » (٥٦) ، و« الإصابة في حياة الصحابة » (١/ ٩٢) .

ثم إنَّ شداداً سكن بيت المقدس ، ووُلد له به ، وتوفي فيه سنة ثمان وخمسين عن خمس وسبعين سنة[1] ، وقبره بظاهر باب الرحمة[2] .

روي له خمسون حديثاً :

منها : ما خرَّجه البخاري عنه ؛ وهو سيِّد الاستغفار : أن تقول : « اللهم ؛ أنت ربي لا إلـٰه إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شرّ ما صنعت ، أبوء ـ أي : أعترف ـ لك بنعمتك عليَّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي ؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها من النهار موقناً ـ أي : مصدِّقاً ـ بها فمات من يومه قبل أن يمسي . . فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح . . فهو من أهل الجنة »[3] .

ومنها : ما رواه مسلم ، وهو ما ذكره المصنف عنه : (عن النبي) وفي نسخة : (عن رسول الله) ، (صلى الله عليه وسلم قال : إن الله كتب) أي : أوجب وفرض (الإحسان) أي : تحسين الأعمال المشروعة (علىٰ كل شيء) يعني : علىٰ كلِّ مكلَّف ؛ بأن يأتي بها على الوجه المَرْضيّ .

وقيل : إن (كتب) هنا بمعنىٰ : طلب ؛ لأنه أعمُّ فائدةً لشموله الإحسان الواجب والمندوب .

و(علىٰ) في قوله : « علىٰ كل شيء » : يحتمل أن تكون علىٰ بابها ؛ والمعنىٰ : إنَّ الله تعالىٰ طلب من عبده الإحسان حال كونه مستعلياً منه علىٰ كلِّ شيء ، والمراد باستعلائه علىٰ كل شيء : شموله له وعمومه وكونه علىٰ حال حسن .

ويحتمل أن تكون بمعنىٰ (في) أو (اللام) أو (إلىٰ) ، والمعنىٰ : إنَّ الله

---

(١) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٣٢٩) ، و« أسد الغابة » (٢/٥٠٧) ، و« الإصابة » (٢/١٣٨) .

(٢) انظر « تهذيب الأسماء واللغات » (١/٥٦٨) .

(٣) صحيح البخاري (٦٣٠٦ ، ٦٣٢٣) .

تعالىٰ طلب منكم الإحسان في كلِّ شيء ، أو لأجل كلِّ شيء ، أو إلىٰ كلِّ شيء ؛ فالاحتمالات أربعة .

[من أنواع الإحسان]

و(كلّ شيء) يشمل النفس وغيرها ؛ من الأهل والخدم وسائر الناس ، حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء ، وكذا الملائكة والجن والبهائم ، والسماء والأرض ، والنبات والشجر .

فأما الإحسان إلى النفس : فهو أن يحملها علىٰ فِعْل الطاعات واجتناب المخالفات ، وألاّ يوردها موارد السوء ، ولا يظلمها بمعصية ، ولا يطيعها في كلِّ ما تريد ، ولا يهنيها بشفاء غيظ .

وأما الإحسان إلى الأهل والخدم : فهو أن يعاشرهم باللطف وحسن الخلق ، ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويعلِّمهم ما يحتاجون إليه ، ولا يكلِّفهم ما لا يطيقون ، ولا يضيعهم ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : « **كفىٰ بالمرء إثماً أن يضيع من يعول** »[(١)] .

وأما الإحسان إلىٰ سائر الناس : فهو ألاَّ يغشَّهم ، بل ينصح لهم ، ويُحسِن صحبتهم ، ويتحمَّل أذاهم ، ويكرم مثواهم ، ويعلِّمهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم ، ويرشدهم إلىٰ سبيل الخيرات واجتناب المنكرات ، ويسأل الله لهم الهداية والتوفيق ، ويتصدَّق عن موتاهم ، ويدعو لهم بالمغفرة والرحمة .

وأما الإحسان إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : فهو أن يؤمن بهم وبما جاؤوا به عن ربهم ، وأنهم صفوة الله تعالىٰ من خلقه .

---

(١) أخرجه بلفظه النسائي في « الكبرىٰ » (٩١٣١) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥٠٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وبنحوه أبو داوود في « سننه » (١٦٩٢) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٩١٣٢) ، وأحمد في « مسنده » (٢/ ١٦٠) وغيره ، وابن حبان في « صحيحه » (٤٢٤٠) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٤١٥) ، والحميدي في « مسنده » (٦١٠) بلفظ : « أن يضيع من يقوت » .

وأما الإحسان إلى العلماء : فهو بتوقيرهم ، وقَبول ما يروونه ، وعدم إذاعة عوراتهم .

وأما الإحسان إلى الملائكة : فهو أن يؤمن بهم ، ويعتقد أنهم عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأن يحسن عشرة الحفظة منهم ؛ بألاّ يفعل بحضرتهم ما يكرهون ، ولا يأكل ما يتأذَّون بريحه ؛ كثومٍ وبصلٍ وكُرّاث .

وأما الإحسان إلى الجنِّ : فهو أن يدعوهم إلى الخير وترك الشر إن اتَّفق ظهورهم له ، وأن ينويهم بالسلام من الصلاة ؛ فقد ذكر العلماء أنه يسنُّ للمصلي أن ينوي به مَنْ علىٰ يمينه ويساره من ملائكة ومؤمن إنسٍ وجنٍّ .

وأما الإحسان إلى البهائم : فهو ألاَّ يجيعهم ولا يعطِّشهم ، ولا يضربهم بغير موجِب ، ولا يكلِّفهم من العمل ما لا يطيقون ، ولا يستمرَّ راكباً على الدابة وهي واقفة إلاَّ لحاجة ؛ **وقد ورد** : (أنه صلى الله عليه وسلم رأىٰ في النار امرأةً سوداء طويلة تُعذَّب بسبب هرَّة ربطتها ، فلم تطعمها ولم تَسْقِها ، ولم تَدَعْها تأكل من خشاش الأرض ـ أي : حشراتها ـ حتىٰ ماتت ، **وأن تلك الهرة تنهشها في قبلها ودبرها** ، إذا أقبلت . . تنهشها ، وإذا أدبرت . . تنهشها)[1] .

[القصاص يوم القيامة]

ونقل عن أبي سليمان الداراني أنه قال : ركبت مرّة حماراً فضربته مرتين أو ثلاثاً ، فرفع رأسه ونظر إليَّ وقال : **يا أبا سليمان** ؛ **القصاص يوم القيامة** ، **فإن شئت . . فأقلل** ، **وإن شئت . . فأكثر** ، قال : فقلت : لا أضرب شيئاً بعده[2] .

وأما الإحسان إلى السماء والأرض : فيكون بالتفكُّر في خلقهما وما فيهما من

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٩٠٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وأخرجه البخاري في « صحيحه » (٢٣٦٥ ، ٣٣١٨ ، ٣٤٨٢) ، ومسلم في « صحيحه » (٢٢٤٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ومسلم (٢٢٤٣ ، ٢٦١٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) انظر « الكبائر » (ص ٢٢٥) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص ١٦٨) .

البدائع ، وبترك المعاصي ؛ لأنه إذا تركها . . فقد أدخل السرور عليهما وأراحهما من الشهادة عليه يوم القيامة .

وأما الإحسان إلى النبات والشجر : فيكون بتعهدهما بالسقي ، وحفظهما من المتلِفات .

(فإذا قتلتم) أي : أردتم قتلَ مَنْ يجوز قتله . . (فأحسنوا القِتْلة) بكسر القاف كما هو الرواية ؛ وهي هيئة القتل ، وإحسانُها : اختيار أسهل الطرق وأخفِّها إيلاماً وأسرعها إزهاقاً ؛ أي : إخراجاً للروح ، وذلك يحصل بضرب العنق بالسيف .

ويستثنى الزاني المحصَن . . فإنه يُقتل بالرجم ؛ لورود النص فيه بذلك[1] .

وقيل : لا استثناء ؛ لأنَّ المراد بالإحسان : تحسين الأعمال المشروعة ـ أي : إيقاعها علىٰ وجه الشرع ـ بأن يأتي بما طلبه فيها إيجاباً وندباً ، سواء وصل للغير نفعٌ أو لم يصل .

وكره بعض العلماء قتلَ القمل والبقِّ والبراغيث وسائر الحشرات بالنار ؛ لأنه من التعذيب ، وقد جاء في الحديث : « لا يعذِّب بالنار إلا ربُّ النار »[2] .

قال الجزولي وابن ناجي : (وهـٰذا ما لم يضطر لكثرتها فيجوز حرقها بالنار ـ أي : عند الاضطرار ـ لأنّ في تتبُّعها بغير النار حرجاً ومشقَّة ، ويجوز نشرها في الشمس) .

---

(١) أخرج البخاري في « صحيحه » (٦٨٣٠) حديثاً طويلاً فيه خطبة لسيدنا عمر رضي الله عنه في آخر حجة حجها ؛ ومنها : (أما بعد : فإني قائل لكم مقالةً قد قُدِّر لي أن أقولها ، لا أدري لعلها بين يدي أجلي ، فمن عقلها ووعاها . . فليحدث بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشي ألا يعقلها . . فلا أُحل لأحدٍ أن يكذب عليَّ : إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجمنا بعده ، فأخشىٰ إن طال بالناس زمان . . أن يقول قائل : والله ؛ ما نجد آية الرجم في كتاب الله ؛ فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، والرجم في كتاب الله حق علىٰ من زنىٰ إذا أُحصن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة ، أو كان الحبل ، أو الاعتراف . . .) .

(٢) أخرجه أبو داوود في « سننه » (٢٦٧٣) ، وعبد الرزاق في « مصنفه » (٩٤١٨) ، وأحمد في « مسنده » (٣/ ٤٩٤) وغيرهم عن سيدنا حمزة بن عمرو الأسلمي الصحابي رضي الله عنه .

وقال الأقفهسي : (قتلها بغير النار بالفعص والعَرْك جائز ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم سُئل عن حشرات الأرض تؤذي أحداً فقال : « ما يؤذيك . . فلك أذيّته قبل أن يؤذيك » ، وما خلق للإذاية . . فابتداؤه بالإذاية جائز)[1] .

هـٰذا ؛ ومذهبنا : أنه لا يجوز تعذيب ما ذُكر بالنار والشمس إلا إذا تعيَّن طريقاً .

(وإذا ذبحتم) أي : أردتم ذبح ما يحلُّ ذبحه من الحيوانات . . (فأحسنوا الذِّبحة) بكسر الذال ؛ أي : هيئة الذبح ، وجاء في بعض الروايات : (فأحسنوا الذِّبح) بفتح الذال وبكسرها ، وإحسانُه : أن يكون بسكّينٍ ماضية ، وأن يعجّل إمرارَها علىٰ مذبح البهيمة ؛ ليسرع إزهاق روحها ، وأن يَرْفُق بها ، ويُريحها كما سيأتي .

[الذبح المعتبر شرعاً وشروطه]

واعلم : أنَّ الذَّبح المعتبر شرعاً يكون بقطع الحُلْقُوم ـ وهو مجرى النَّفَس ـ وقطع المَرِيّ[2] وهو مجرى الطعام والشراب .

وأمَّا قطع الوَدَجين ـ وهما عرقان في صفحتي العنق محيطان بالحلقوم ـ . . فهو مندوب .

ويسنُّ نحر إبل ونحوها مما طال عنقه في أسفل العنق ؛ لأنه أسهل لخروج روحه ، وأمَّا غير ذلك كبقر وغنم . . فيذبح من أعلى العنق .

ويشترط لحِلِّ المذبوح : أن يكون مأكولاً ، وأن يكون فيه حياة مستقرّة أول ذبحه ؛ وعلامتها : انفجار الدم ، أو وجود الحركة الشديدة بعد الذبح ، هـٰذا إذا تقدَّم سبب يحال عليه الهلاك ؛ كأن أكلت الشاة مثلاً نباتاً سُمِّيّاً ، أو جرحها ذئب ، أو انهدم عليها بناء .

---

(١) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٦٨) فالقولان فيه ، وانظر « الفواكه الدواني » (٢/ ٣٨٢) فقد ذكر فيه الحديث دون أن يعزوه .

(٢) بتشديد الياء من غير همز ، وبالهمز (المَرِيء) من غير تشديد .

فإن لم يتقدَّم السبب المذكور . . فلا تشترط تلك الحياة ، بل يكفي وجود النفَس فيه ؛ كمريض صار آخر رمق .

(**وليُحد**) بسكون اللام لوقوعها بعد الواو ، ويجوز كسرها ، و(يُحِدّ) بضم الياء وكسر الحاء وتشديد الدال من (أحدَّ) كما ضبطه المصنف[١] ، ويقال فيه : يَحدّ بفتح الياء من (حَدّ) ثلاثياً ، **والمعنىٰ** : وليسُنَّ[٢] .

(**أحدكم شفرته**) بفتح الشين وتضمّ ؛ أي : سكينته ، وإحدادُها واجبٌ إن كانت كالَّة ، وإلا . . فمندوب .

(**وليُرِحْ ذبيحته**) بسكون اللام وتكسر ، وبضم الياء وكسر الراء وسكون الحاء ؛ أي : وليوصل الراحة إليها : بأن يعرض عليها الماء قبل ذبحها لتشرب ، وأن يسوقها إلىٰ موضع الذَّبح برفق ، وأن يُضجعها بمكانٍ سهلٍ غير وعر ، وأن يعجل إمرار السكين علىٰ مذبحها بقوة ؛ ليسرع موتها كما مرَّ ، ولا يسلخها حتىٰ تبرد ، ولا يحدّ السكين بحضرتها ، بل يواريها ـ أي : يسترها ـ عنها ، ولا يذبح بهيمةً وغيرُها تنظر إليها سيّما أمها أو بنتها .

روي : أنه صلى الله عليه وسلم مرَّ برجلٍ واضع رجلَه علىٰ صفحة شاة وهو يحدُّ شفرته وهي تلحظ ـ أي : تنظر ـ إليه ببصرها ، فقال : « **أفلا قبل هـٰذا** ، **أتريد أن تميتها موتتين** ؟! هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها ؟ »[٣] .

[قصة غريبة لشاة تخفي مدية ذبحها]

ومن غريب ما وقع : ما حكي عن بعضهم أنه دخل علىٰ أمير وقد أمر بذبح جملة

---

(١) انظر « الأربعين النووية » (ص ١٢٦) في آخرها في (باب الإشارات إلىٰ ضبط الألفاظ المشكلات) .

(٢) قوله : (وليسُن) بابه نصر ؛ كما في « المختار » . اهـ مؤلف .

(٣) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣٦١٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٢٣١ ، ٢٣٣) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (٩/ ٢٨٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

من الغنم ، فذبح بعضها ، ثم اشتغل الذابح عن الذبح ، ثم عاد إليه في الحال فلم يجد المدية ـ أي : السكين ـ التي كان يذبح بها ، فاتّهم بها بعض الحاضرين ، فأنكر أخذها ، وحصل بسبب ذلك لغط ، فجاء رجل كان ينظر إليهم من بُعْدٍ وقال : **السكين التي تتخاصمون عليها أخذتها هـٰذه الشاة بفمها** ، ومشت بها إلىٰ هـٰذه البئر ، وألقتها فيها !!

فأمر الأمير شخصاً بالنزول إلىٰ هـٰذه البئر ليتبيّن هـٰذا الأمر ، فنزل فوجد الأمر كما أخبر الرجل[(١)] .

وقيل : (إنَّ سبب ابتلاء سيدنا يعقوب بفُرْقة ولده سيدنا يوسف عليهما السلام : أنه ذبح عجلاً بين يدي أمّه وهي تخور) أي : تصيح[(٢)] .

[الجزاء من جنس العمل]

وحكي : أنَّ رجلاً ذبح عجلاً بحضرة أمِّه ، ففسد عقله ، وقيل : يبست يده ، فبينما هو ذات يوم تحت شجرة فيها وَكْر ـ أي : عُشّ ـ فيه فرخ ، فوقع الفرخ منه إلى الأرض وأبواه ينظران إليه ، فرحمه وأخذه فردَّه لوكره ، فرحمه الله فردَّ إليه عقله أو يده[(٣)] .

ثم إنَّ هـٰذا الحديث حديث عظيم ، وهو من قواعد الدين ، **من عمل به . . نال كلَّ خير** ، **وسلم من كلِّ ضَير** .

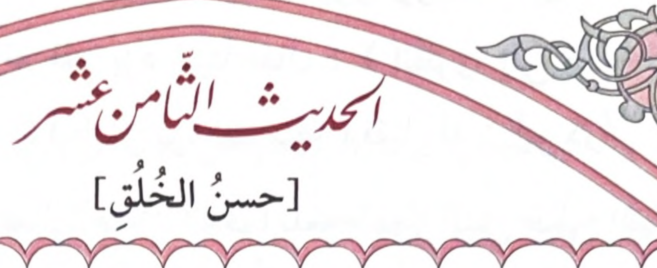
(**رواه مسلم**) رحمه الله تعالىٰ .

***

(١) انظر « المجالس السنية » (ص ٤٨) .

(٢) انظر « المجالس السنية » (ص ٤٨) .

(٣) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٦٩) .



الحديث الثامن عشر

[حسنُ الخُلُقِ]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « ٱتَّقِ ٱللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ ٱلسَّيِّئَةَ ٱلْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ ٱلنَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ ، وَفِي بَعْضِ ٱلنُّسَخِ : حَسَنٌ صَحِيحٌ (1) .

[من ترجمة سيدنا أبي ذر رضي الله عنه]

(عن أبي ذَرّ) بالذال المعجمة المفتوحة وتشديد الراء (جُندب بن جُنادة) بضم الجيمين وتثليث الدَّال الأولىٰ ، زاد في بعض النسخ : (الغفاري) .

وكان له رضي الله تعالىٰ عنه ولدٌ اسمه ذرّ ، فكُني به ، ولما مات . . مرَّ علىٰ قبره وقال : (يا ذر ؛ قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ، ليت شعري ؛ ما قلتَ وما قيل لك !!) (2) .

---

(1) سنن الترمذي (١٩٨٧) .

(2) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/١٠٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٧٠٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/٣٠) وغيرهم ، وكلهم أخرجه من قول عمر بن ذر أبي ذر الكوفي عند وفاة ولده ذر ، قال في « الحلية » : (لما مات ذر بن عمر بن ذر الهمداني ، وكان موته فجأة . . جاء أباه أهلُ بيته يبكون ، فقال : ما لكم ؟! إنا والله ؛ ما ظُلمنا ولا قُهرنا ، ولا ذُهب لنا بحق ، ولا أُخطِىء بنا ، ولا أُريد غيرنا ، وما لنا على الله معتب . فلما وضعه في قبره . . قال : رحمك الله يا بني ، والله ؛ لقد كنت بي باراً ، ولقد كنتُ عليك حَدِباً ، وما بي إليك من وحشة ، ولا إلىٰ أحدٍ بعد الله فاقة ، ولا ذهبت لنا بعز ، ولا أبقيت علينا من ذل ، ولقد شغلني الحزن لك . . . ثم قال : اللهم ؛ إنك =

وقيل : سبب تكنيته بذلك : أنه وزن رغيفاً مخبوزاً ووضعه ، فعلاه الذَّرُّ وستره ـ وهو النمل الصغير ، ثم وزنه فلم يزد شيئاً فقال : (انظروا إلىٰ هـٰذا لم يظهر في ميزان الدنيا ، وإن ميزان الآخرة ليطيش بواحدة منها) فقيل له : أبو ذَرّ[1] .

وسبب إسلامه رضي الله تعالىٰ عنه : أنه لما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأنه يدَّعي النبوة . . أرسل إليه أخاه أُنَيساً ليأتيه بخبره ، فلما رجع إليه . . سأله عما رأىٰ . فقال : رأيته يزعم أن الله أرسله ، ورأيته يأمر بمكارم الأخلاق .

قال : فماذا يقول الناس فيه ؟ قال : يقولون : إنه شاعر وكاهن وساحر ، والله ؛ إنه لصادق وإنهم لكاذبون .

فلما سمع ذلك . . انطلق حتىٰ أتىٰ مكة ، فلقي رجلاً ، فقال له : أين الذي تدعونه الصابىء ؟ فأغرىٰ عليه مَن عنده ، فمالوا عليه بكل مدَرةٍ وعظمٍ حتىٰ أدموه[2] ، وخرَّ ـ أي : سقط ـ مغشياً عليه ، فلما أفاق . . أتىٰ زمزم فشرب من مائها ، وغسل عنه الدم ، ومكث في المسجد ثلاثين يوماً وما له طعام إلا ماء زمزم ، ومع ذلك حصل له سمنٌ عظيم .

ثم اتفق خلوّ المطاف ليلةً ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فاستلم الحجر وطاف بالبيت ثم صلىٰ ، فأتاه وقال له : السلام عليك يا رسول الله ، فقال : « وعليك السلام ورحمة الله » فهو أوَّل من حيَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام .

ثم قال : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقال له : « فمن

= وعدتني الثواب بالصبر علىٰ ذر ، اللهم ؛ فعلىٰ ذر صلواتك ورحمتك ، اللهم ؛ إني قد وهبت ما جعلت لي من أجر علىٰ ذر لذر صلة مني فلا تعرفه قبيحاً ، وتجاوز عنه ؛ فإنك أرحم به مني ، اللهم ؛ إني قد وهبت لذر إساءته إليَّ ، فهب له إساءته إليك . . فإنك أجود مني وأكرم . فلما ذهب لينصرف . . قال : يا ذر ؛ قد انصرفنا وتركناك ، ولو أقمنا . . ما نفعناك) .

(١) ذكره صاحب « نزهة المجالس » (٢/ ٢٦٢) ، وعزاه لابن العماد .

(٢) قوله : (فمالوا عليه) أي : أصابوه ، وقوله : (بكل مَدَرة) بالتحريك ، قال في « القاموس » : المَدَر : قطع الطين اليابس . اهـ مؤلف .

أنت ؟ » قال : من غفار ، وأخبره بمكثه تلك المدة وبطعامه ، فأمره بالرجوع إلىٰ قومه ليخبرهم .

فقال : **والذي نفسي بيده ؛ لأصرخن بهٰذا بين ظهرانيهم** ـ يعني : أهل مكة ـ فنادىٰ بأعلىٰ صوته في المسجد : أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقاموا إليه وضربوه حتىٰ أضجعوه ، فجاء العباس فمنعهم عنه ، وقال : (**ويلكم !! ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليها ؟!**) فأنقذه منهم .

ثم عاد من الغد لمثل ذلك ، فضربوه ، فمنعهم العباس وخلَّصه منهم ، ثم انطلق حتىٰ أتىٰ أخاه أُنيساً فأخبره فأسلم ، ثم أتيا أمَّهما فأسلمت ، ثم أتوا قومهم غِفاراً فأسلم بعضهم ، ولما قدم النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم المدينة . . أسلم بقيَّتُهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **غِفار غفر الله لها** »[1] .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه أزهد الناس ، حتىٰ كان يرىٰ : أن ما زاد علىٰ حاجة اليوم والليلة لا يجوز ادِّخاره ، فأرسل له معاوية رضي الله تعالىٰ عنه ألف دينار مع رجلٍ ليختبره ، فجاء إليه وقال له : **معاوية أرسل لك هٰذه** ، فأخذها وفرَّقها جميعها ، ولم يُبقِ منها شيئاً ، ثم حضر له ذلك الرجل بأمر معاوية وقال له : **إني غلطتُ في إعطائي لك الألف دينار** ، وإنما أرسلني لغيرك ، وأنا أخشىٰ أن يعاقبني معاوية علىٰ ذلك !!

فقال له : (**يا هٰذا ؛ والله ما أمسىٰ عندنا منه شيء ، ولٰكن اصبر حتىٰ يأتينا عطاؤنا . . ندفع ذلك إليك**)[2] .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه من أوعية العلم ، وشهد له المصطفىٰ صلى الله عليه

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » مفرقاً (٢٤٧٣ ، ٢٤٧٤) ، وبنحوه البخاري في « صحيحه » (٣٥٢٢ ، ٣٨٦١) .

(٢) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٧٢) .

وسلم بأنه أصدق الناس لهجة[1] ؛ أي : كلاماً .

[موعظة لسيدنا أبي ذر رضي الله عنه]

وروي : أنه قام يوماً عند الكعبة فقال : (يا أيها الناس ؛ أنا جندب الغفاري ، هلمُّوا إلى الأخ الناصح الشفوق) فاكتنفه الناس ـ أي : أحاطوا به ـ فقال : (أرأيتم لو أنَّ أحدكم أراد سفراً . . أليس يتَّخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه ؟!) قالوا : بلىٰ .

قال : (فسفر القيامة أبعد مما تريدون ، فخذوا ما يصلحكم) قالوا : وما يصلحنا ؟

قال : (حجُّوا حجَّة لعظائم الأمور ، وصوموا يوماً شديداً حرُّه لطول يوم النشور ، وصلُّوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور)[2] .

[وفاة سيدنا أبي ذر رضي الله عنه]

ونزل رضي الله تعالىٰ عنه بالرَّبَذَة ـ براء مشددة مفتوحة بعدها موحدة مفتوحة ثم ذال معجمة مفتوحة أيضاً ـ منزلَ الحاجّ العراقي علىٰ ثلاث مراحل من المدينة ، وحضرته الوفاة بها ، فبكت زوجته ، فقال لها : ما يُبكيكِ ؟ قالت : وما لي لا أبكي وأنت تموت بفَلاةٍ من الأرض ، وليس معنا ثوب يسعك كفناً ؟!

فقال : لا تبكي وأبشري ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر كنت أنا فيهم : « ليموتنَّ رجلٌ منكم بفَلاةٍ من الأرض يشهده عِصابة من المؤمنين » ، وليس من أولـٰئك النفر أحدٌ إلا وقد مات في قرية ، وإني أنا الذي أموتُ بفَلاة من الأرض ، والله ؛ ما كَذبت ، فأبصري الطريق .

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » (٣٨٠٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧١٣٢) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أظلَّتِ الخضراء ، ولا أقلَّتِ الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفىٰ من أبي ذر » .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ١٦٥) .

قالت : فكنت أسندُه إلى الكثيب[1] ، فأقوم لأنظر ، ثم أرجع إليه فأمرِّضه .

فبينما أنا كذلك . . إذ أنا برجالٍ علىٰ رواحلهم ، فأشرتُ إليهم فحضروا ، فأخبرتهم به ، فدخلوا عليه وسلَّموا ، فرحَّب بهم ، وذكر لهم ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : لو كان عندي ثوب يسعني كفناً أو لامرأتي ثوب يسعني . . لم أكفَّن إلا في ثوبٍ هو لي أو لها ، وإني أَنشدكم الله لا يُكفنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً ، أو وصيّاً أو نقيباً !!

ولم يكن في القوم أحد إلا وقد أصاب من ذلك شيئاً إلا فتىً من الأنصار قال : أنا أكفِّنك في ردائي هـٰذا ، أو في ثوبين من ثيابي من غزل أمي .

قال : فكفِّنِّي أنت ، فكفَّنه الأنصاري ، ودفنه هو والنفر الذين كانوا معه[2] .

وقيل : إنه أوصىٰ زوجته وغلامه أن يغسلاه ، ويكفِّناه ، ويجعلاه علىٰ قارعة الطريق[3] ، وأول ركب يمرُّ . . يقولان له : هـٰذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا علىٰ دفنه .

فأقبل عبد الله بن مسعود في رهطٍ من أهل الكوفة[4] ، فوجده وأُخبِر بما قاله ، فنزل هو وأصحابه ، فصلَّوا عليه ووارَوه[5] .

وكان موته سنة إحدىٰ أو اثنتين وثلاثين ، وروي له مئتا حديث وأحد وثمانون حديثاً[6] .

---

(١) قوله : (الكثيب) هو التلّ من الرمل ؛ كما في « القاموس » . اهـ مؤلف .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/١٦٦) ، وابن سعد في « الطبقات » (٤/٢٢٠) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٦٧١) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/٣٤٤ـ ٣٤٥) .

(٣) قوله : (قارعة الطريق) هي أعلاه ؛ كما في « المختار » . اهـ مؤلف .

(٤) قوله : (في رهط) هو ما دون العشرة من الرجال ؛ كما في « المختار » . اهـ مؤلف .

(٥) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٤/٢٢٠ـ ٢٢١) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/٥١) ؛ وتتمة الخبر : (فاستهل عبد الله يبكي ويقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث وحدك » ثم نزل هو وأصحابه فواروه) .

(٦) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ١١٠)، و« أسد الغابة » (١/٣٥٧) ، و« الإصابة » (٤/٦٣).

[من ترجمة سيدنا معاذ رضي الله عنه]

(وأبي عبد الرحمـٰن معاذ بن جبل) أسلم وعمره ثماني عشرة سنة ، وكان من أكابر الصحابة وصلحائهم ، أردفه ـ أي : أركبه ـ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وراءه[1] .

وبعثه إلى اليمن في جماعة من المهاجرين والأنصار ، وخرج معه ليشيّعه ويوصيه ؛ وهو راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي[2] .

وروي : أنه صلى الله عليه وسلم قال له لما ودَّعه : « حفظك الله من بين يديك ومن خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ، ومن فوقك ومن تحتك ، ودرأ ـ أي : دفع ـ عنك شرور الإنس والجن »[3] .

ومن فضائله : ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « يا معاذ ؛ إني لأحبك » فقال : وأنا أحبك والله يا رسول الله ، قال : « فلا تدع ـ أي : فلا تترك ـ أن تقول في دبر كلِّ صلاة : اللهم ؛ أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[4] .

وروي : أنَّ عمر رضي الله تعالىٰ عنه قال : (عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ، لولا معاذ . . لهلك عمر)[5] .

وروي عن أبي مسلم الخولاني رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : أتيت مسجد دمشق ؛ فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإذا فيهم شابٌّ أكحل العينين ، برَّاق الثنايا ، كلما اختلفوا في شيء . . ردُّوه إليه ،

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠) عن سيدنا معاذ رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/ ٢٣٥) عن سيدنا معاذ رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البغوي في « معجم الصحابة » (٥/ ٢٦٩) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٥٨/ ٤١٣) من طريق سيف بن عمر الضبي في كتابه « فتوح البلدان » عن سيدنا معاذ رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أبو داوود في « سننه » (١٥٢٢) ، والنسائي في « سننه » (١٢٢٧ ، ٩٨٥٧) ، وأحمد في « مسنده » (٥/ ٢٤٤ ، ٢٤٧) وغيرهم عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البيهقي في « الكبرىٰ » (٧/ ٤٤٣) .

قال : فقلت لجليسٍ لي : من هـٰذا ؟ قال : معاذ بن جبل[1] .

وروي عن أنس بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه : أنَّ معاذاً دخل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « **كيف أصبحت ؟** » قال : أصبحتُ بالله مؤمناً .

قال : « **إن لكل قولٍ مصداقاً** ، **ولكل حقٍّ حقيقة** ، **فما مصداق ما تقول ؟** » قال : يا رسول الله ؛ ما أصبحتُ صباحاً قط . . إلا ظننتُ أنِّي لا أُمسي ، وما أمسيت مساءً قط . . إلا ظننت أني لا أصبح ، ولا خطوت خطوةً . . إلا ظننت أني لا أتبعها أخرىٰ ، وكأني أنظر إلىٰ كلِّ أُمَّةٍ جاثية ، كل أمة تُدعىٰ إلىٰ كتابها ومعها نبيُّها وأوثانها التي كانت تعبدها من دون الله تعالىٰ ، وكأني أنظر إلىٰ عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة ، قال : « **قد عرفت فالزم** »[2] .

ونقل عن كعب بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : (**كان معاذ شاباً جميلاً سمحاً** ، من خير شبان قومه ، لا يسأل الله شيئاً . . إلا أعطاه)[3] .

[قصة دَين سيدنا معاذ ودعاء لوفاء الدَّين]

وروي : أنَّ يهودياً كان له دَين عليه ، وكان يلحُّ عليه في التقاضي ، وكان يوم جمعة ، فاختفىٰ في بيته ولم يخرج إلى الجمعة ، فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم منها . . لم يَرَ معاذاً ، فلما كان من الغد . . جاء معاذ ، فقال له المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم : « **يا معاذ ؛ تخلَّفت عن الجمعة ؟!** » فقال : يا رسول الله ؛ عليَّ دَينٌ لفلانٍ اليهودي ، ولم يكن بيدي شيء فخِفتُه .

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/ ٢٣٦) ، ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (٢٠/ ٨٧) ، وأخرجه ابن حبان (٥٧٥) لـٰكن عن أبي إدريس الخولاني ، وكذلك الإمام مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٥٣) وغيرهما .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٤٢) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٥٨/ ٤١٦) .

(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٠/ ٣٠ـ ٣١) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٢٦٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٣١) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (٦/ ٤٨) .

فقال : « **ألا أُعلِّمك دعاءً إن كان عليك مثل أُحُدٍ ذهباً . . يقضيه الله عنك** ؟ »

فقال : بلىٰ يا رسول الله .

فقال : « قل : **اللهم** ، يا فارج الهم ، وكاشف الضرِّ ، ومجيب دعوة المضطر ، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما ؛ ارحمني في قضاء دَيني رحمةً تُغنيني بها عن رحمة من سواك » .

قال معاذ رضي الله تعالىٰ عنه : (**فواظبت على الدعاء ، فقُضي عني ذلك**)[1] .

روي له مئة حديث وسبعة وخمسون حديثاً ، ومات بالطاعون سنة ثماني عشرة ، وهو ابن ثلاث أو أربع أو ثمان وثلاثين سنة[2] .

(**رضي الله**) تعالىٰ (**عنهما**) أي : عن جُندب ومعاذ .

(**عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**) : أنه (**قال** : **اتقِ الله**) يحتمل أن يكون هـٰذا الأمر لأبي ذَرّ وسمعه معاذ ، أو لمعاذ وسمعه أبو ذَرّ ، أو لغيرهما وسمعاه ، أو لهما ، وأفرد الضمير علىٰ تقدير كلّ أو لكل من يتأتىٰ توجيه الأمر إليه ؛ ليعمَّ كلَّ مأمورٍ حتىٰ لا يختصّ به مخاطب دون آخر ، **والمعنىٰ** : خَفِ الله أيها المكلَّف ، واخشَ عقابه .

(**حيثما كنت**) أي : في أيِّ مكانٍ وأيِّ زمانٍ كنت فيه ؛ فإنَّ الله تعالىٰ مطَّلعٌ عليك ، وناظر إليك في جميع الأحوال ، لا تخفىٰ عليه خافية .

[تعريف التقوىٰ وبعض ما قيل فيها]

وهـٰذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ؛ فإنَّ التقوىٰ وإن قَلَّ لفظها . . كلمةٌ

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٠/ ١٥٤) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه بنحوه ، وهو عنده في « الصغير » (١/ ٢٠٢) ، والضياء في « المختارة » (٧/ ١٩٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه بنحوه أيضاً .

(٢) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٦٥٠) ، و« أسد الغابة » (٥/ ١٩٤) ، و« الإصابة » (٣/ ٤٠٦) .

جامعة لكل خير ؛ **إذ هي تجنّب كلِّ منهيٍّ عنه ، وفعلُ كلِّ مأمورٍ به** .

وسُئل علي بن أبي طالب كرم الله تعالىٰ وجهه عن التقوىٰ، فقال : (**هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل**)[1] .

وقال بعضهم : (**تقوى الله تعالىٰ** : ألاَّ يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك)[2] .

وقال بعض العارفين لشيخه : (أوصني ، قال : **أوصيك بوصيَّة ربِّ العالمين للأوَّلين والآخرين** ؛ وهي قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾)[3] .

وقال رجل ليونس بن عبيد رحمة الله تعالىٰ عليه : (أوصني ، فقال : أوصيك بتقوى الله تعالىٰ والإحسان ؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[4] .

وقال الغزالي رحمه الله تعالىٰ : (**التقوىٰ كنز عزيز** ، فإن ظفرت به . . فكم تجد فيه من جوهر [شريف] ، ورزق كريم ، وملك عظيم ؛ لأنَّ خيرات الدنيا والآخرة جُمعت فيها)[5] .

[من فوائد التقوىٰ]

وقيل : **إنَّ لتقوى الله تعالىٰ فوائد كثيرة** :

منها : الحفظ والحراسة من الأعداء ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ .

---

(١) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٧٤) .

(٢) ذكره في « الجواهر البهية » (ص ١٤٢) ، وأخرج أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/٣٨ـ ٣٩) من موعظة طويلة لأبي حازم رحمه الله يعظ سليمان بن عبد الملك فقال فيها : (اتق الله أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك . . .) .

(٣) انظر « فيض القدير » (٦/ ٢٧) .

(٤) انظر « جامع العلوم والحكم » (١/ ٤٠٦) .

(٥) منهاج العابدين (ص ٩٧) .

ومنها : إصلاح العمل وغفران الذنوب ؛ لقوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .

ومنها : المحبة ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

ومنها : الإكرام ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

ومنها : البشارة عند الموت ؛ لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ .

ومنها : النجاة من النار ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ .

ومنها : الخلود في الجنة ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

ومنها : النجاة من الشدائد وحصول الرزق الحلال ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[1] ؛ أي : من يتَّق الله ؛ فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه . . يجعل له مخرجاً بخروجه من الحرام إلى الحلال ، ومن الضيق إلى السعة ، ومن النار إلى الجنة ، ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ أي : من حيث لا يرجو .

وقيل : (**ومن يتق الله بالصبر . . يجعل له مخرجاً من الشدائد**)[2] .

وقال ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما : (**يجعل له مخرجاً** من شبهات الدنيا ، ومن غمرات الموت ، ومن شدائد يوم القيامة)[3] .

[سبب نزول : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾]

وقال أكثر المفسرين : (نزلت هٰذه الآية في عوف بن مالك الأشجعي رضي الله

---

(١) انظر « منهاج العابدين » (ص ٩٧ـ٩٨) ، و« المجالس السنية » (ص ٥١) .
(٢) ذكره الإمام الغزالي في « منهاج العابدين » (ص ٩٧) .
(٣) أخرجه الديلمي كما في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٧٢١٢) ، وهو عند الواحدي في « الوسيط » (٣١٣/٤) .

تعالىٰ عنه ؛ أسر المشركون ابناً له يُسمَّىٰ سالماً ، فأتىٰ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وشكا الفاقة إليه ، وقال : **إنَّ العدو أسر ابني ، وجزعت الأم ، فما تأمرنا ؟**

فقال صلى الله عليه وسلم : « **اتَّقِ الله واصبر ، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول** : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

فعاد لبيته وقال لامرأته : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياكِ أن نستكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فقالت : نِعْمَ ما أمرنا به ، فجعلا يقولان ذلك ، فغفل العدوُّ عن ابنه ، فساق غنمهم ، وجاء بها إلىٰ أبيه ؛ وهي أربعة آلاف شاة ، فنزلت الآية)[1] .

[كلمة بألف دينار]

وحكي : أنَّ قوماً ركبوا سفينةً ، فظهر لهم شخص علىٰ وجه الماء وقال لهم : **معي كلمة أبيعها بألف دينار** !! فقال أحدهم : هٰذه ألف دينار .

فقال : اطرحها في البحر ، فطرحها ، فقال : قل : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ .

ثم قال له : **احفظها حفظاً جيداً** ، فلما حفظها . . انكسر المركب ، وبقي الرجل علىٰ لوح يقرأ هٰذه الآية ، فرماه الموج في جزيرة ، فوجد فيها امرأة جميلة ، فسألها عن أمرها .

فقالت : **أنا من بلد كذا** ، **فاختُطفتُ حتىٰ جُعلت في هٰذه الجزيرة** ، وكل يوم يطلع من البحر جنِّي في وقت كذا فيراودني عن نفسي فيحفظني الله منه .

فقال لها : **اجعليني في مكان أراه ولا يراني** ، ففعلت ، **فلما طلع الجني من**

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٤٩٢) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، والثعلبي في « تفسيره » (٩/ ٣٣٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « تفسير البغوي » (٤/ ٣٥٧) ، و« تفسير الرازي » (٣٠/ ٣٤) ، و« تفسير القرطبي » (١٠/ ١٦٠) .

البحر ورآه . . قرأ الآية ، فالتهب ناراً ، ففرحت المرأة بذلك ، ثم أخذت بيد الرجل إلىٰ كهف فيه من الجواهر واللؤلؤ شيء كثير ، فمرَّت بهما سفينة فأشارا إليها ، فقصدهما أهلها ، وأخذ كلٌّ واحد من الجوهر واللؤلؤ ما لا يعلمه إلا الله ، وسارا حتىٰ وصلا بلد المرأة ، وتزوَّج بها ، وصار أيسر ـ أي : أغنىٰ ـ أهل تلك البلدة[1] .

(وأَتْبِع) بفتح الهمزة وسكون الفوقية وكسر الموحدة ؛ أي : ألحِقِ (السيئة) الصادرة منك (الحسنة) كصدقة وصلاة وصوم ، واستغفار وذكر وغير ذلك (تمحها) أي : تمحُ الحسنةُ السيئةَ ؛ أي : تُزيلها وتُذهبها من صحف الملائكة حقيقةً .

وقيل : هو كنايةٌ عن عدم المؤاخذة بها وإن كانت ثابتةً في الصحف .

وهـٰذا في سيِّئةٍ مضىٰ من فعلها ستُّ ساعات فلكيَّة ؛ لأنَّها لا تُكتب قبل ذلك حتىٰ يقال : تزال حقيقة أو كناية ؛ فقد جاء : (أنه إذا فعل العبد سيِّئة وأراد مَلَك الشمال أن يكتبها . . قال له ملك اليمين : اصبر ؛ لعله يستغفر أو يتوب ، فينتظره هـٰذه المدة ، فإن تاب فيها . . كتبها صاحب اليمين حسنة ، وإلا . . قال لصاحب الشمال : اكتب أراحنا الله منه)[2] .

والسيئة شاملة للصغيرة والكبيرة كما هو ظاهر الحديث ، لـٰكن الحسنةَ بالنسبة إلى الكبيرة التوبةُ منها ، فلا يكفرها غيرها من الأعمال الصالحة .

نعم ؛ قد تخفِّفها ، وأما الصغيرة . . فتكفِّرها التوبة وحدها ، واجتناب الكبائر امتثالاً وإن لم تحصل توبة ، والعبادات وإن لم تحصل توبة أيضاً .

---

(١) انظر « نزهة المجالس » (١/ ٩٤ـ ٩٥) ، و« المجالس السنية » (ص ٥١) .

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في « تفسيره » (٣٢٢١٣) بسنده عن كنانة العدوي قال : دخل عثمان بن عفان علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛ أخبرني عن العبد : كم معه من ملك ؟ قال : « ملكٌ علىٰ يمينك علىٰ حسناتك ، وهو أمين على الذي على الشمال ، فإذا عملت حسنة . . كتبت عشراً ، وإذا عملت سيئة . . قال الذي على الشمال للذي على اليمين : أكتبُ ؟ قال : لا ؛ لعله يستغفر الله ويتوب ، فإذا قال ثلاثاً . . قال : نعم ، اكتب أراحنا الله منه ، فبئس القرين ، ما أقل مراقبته لله ، وأقل استحياءه منا !! يقول الله : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ . . . » .

[الحسنات يذهبن السيئات]

روي : أنَّ رجلاً يسمَّىٰ نبهان التمَّار رضي الله تعالىٰ عنه كان له حانوت ـ أي : دكان ـ يبيع فيه تمراً ، فجاءته امرأة أجنبية حسناء تشتري منه تمراً .

فقال لها : إن داخل الحانوت ما هو خير من هـٰذا ، فلما دخلت . . أصابَ منها ما يصيب الرجل من امرأته من الضَّمِّ والتَّقبيل ، غير أنه لم يجامعها ، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ؛ إني أصبت حدّاً فأقمه عليَّ ، فأعرض عنه ، فقال له عمر رضي الله تعالىٰ عنه : **لقد سترك الله لو سترت نفسك** .

ثم كرر له ذلك نبهان مراراً وهو يُعرِض عنه ، حتىٰ ذكر له القصَّة .

فقال له صلى الله عليه وسلم : « **توضَّأ وضوءاً حسناً** » ، فتوضَّأ وصلَّىٰ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزل قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ أي : الغداة والعشي ؛ يعني : الصبح والظهر والعصر ؛ لأنَّ ما بعد الزوال عشي ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ أي : ساعات منه قريبة من النهار ؛ يعني : المغرب والعشاء ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ ﴾ أي : كالصلوات الخمس ﴿ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي : الذنوب الصغائر .

فقال الرجل : **ألي هـٰذا** ؟ قال : « **لجميع أمتي** »[1] .

وورد : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم توضَّأ ثم قال : « **من توضأ وضوئي هـٰذا ثم صلَّى الظهر . . غُفر له ما تقدَّم بينها وبين صلاة الصبح** ، ثم صلَّى العصر . . غفر له ما تقدَّم بينها وبين صلاة الظهر ، ثم صلى المغرب . . غفر له ما تقدَّم بينها وبين صلاة العصر ، ثم صلَّى العشاء . . غفر له ما تقدَّم بينها وبين صلاة المغرب ،

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم (٢٧٦٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وأصله عند البخاري (٥٢٦) ولم يصرح باسم الرجل ، وله طرق في السنن ، وأخرجه الترمذي في « سننه » (٣١١٥) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٧٢٨٦) عن سيدنا أبي اليسر رضي الله عنه ، واسمه كعب بن عمرو ، وفيه أن القصة له ، وأما حديث نبهان . . فقال الحافظ في « الفتح » (٨/٣٥٦) : (ذكر بعض الشراح في اسم هـٰذا الرجل : نبهان التمار ، وقيل : عمرو بن غزية ، وقيل : أبو عمرو زيد بن عمرو بن غزية ، وقيل : عامر بن قيس ، وقيل : عباد . قلت : وقصة نبهان ذكرها عبد الغني بن سعيد الثقفي أحد الضعفاء في « تفسيره » عن ابن عباس . . .) ثم ذكر ما يتعلق ببقية الأقوال .

ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرَّغ ، ثم إن قام فتوضَّأ وصلَّى الصُّبح . . غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء »[1] .

وروي : أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إني ألممت ـ أي : أتيت ـ بذنب عظيم ، فماذا يكفِّره عني ؟ فقال : « **ذنبك أعظم أم السماوات** ؟ » فقال : ذنبي أعظم .

فقال : « **ذنبك أعظم أم الكرسي** ؟ » فقال : ذنبي أعظم .

فقال : « **ذنبك أعظم أم العرش** ؟ » فقال : ذنبي أعظم .

فقال : « **ذنبك أعظم أم الله** ؟ » أي : عفوه ، قال : بل عفو الله أعظم .

فقال عليه الصلاة والسلام : « **عليك بالجهاد في سبيل الله تعالىٰ** » فقال : يا رسول الله ؛ إني لَمِن أجبن الناس ـ أي : أضعفهم قلباً ـ ولولا أنَّ أهلي تؤنِسُني إذا خرجت ليلاً . . ما كنت أفعله قطّ !!

فقال : « **عليك بالصيام** » فقال : والله يا رسول الله ؛ ما أشبع من خبز قط .

فقال له : « **عليك بالصلاة في جوف الليل** » فقال : يا رسول الله ؛ لولا أن أهلي يوقظني لصلاة الصبح . . ما قمت لها ، فتبسّم صلى الله عليه وسلم حتىٰ بدت نواجذه ، ثم قال : « **عليك بكلمتين خفيفتين على اللسان ، ثقيلتين في الميزان ، حبيبتين إلى الرحمـٰن** : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » ففعل[2] .

[من مكفرات الذنوب]

ويروىٰ : « أن العبد إذا قال : لا إلـٰه إلا الله . . أتت علىٰ صحيفته ، فلا تمر

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (١/ ٧١) عن سيدنا عثمان رضي الله عنه .

(٢) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٧٦) فقد ذكره فيه ولم يعزه لأحد ، ولم نجده فيما بين أيدينا من المصادر ، وأما آخر الحديث ؛ وهو : « كلمتان خفيفتان . . . » . . فأخرجه البخاري (٧٥٦٣) وهو آخر حديث في « صحيح البخاري » ، ومسلم (٢٦٩٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

علىٰ خطيئة إلا محتها ، حتىٰ تجد حسنة مثلها فتجلس إلىٰ جانبها »[1] .

وفي الحديث : « من قال : لا إلـٰه إلا الله ، ثلاث مرات في يومه . . كانت له كفارة لكل ذنب أصابه في ذلك اليوم »[2] .

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من رجلٍ يتطهَّر فيُحسن الطهر ، ثم يعمد إلىٰ مسجد من هـٰذه المساجد . . إلا كتب الله له بكل خطوة [يخطوها] حسنة ، ويرفعه بها درجة ، ويحطُّ عنه بها خطيئة »[3] .

وورد عنه أيضاً : أنه قال : « ألا أدلُّكم علىٰ ما يمحو اللهُ به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ـ أي : المنازل في الجنة ـ : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخُطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة »[4] .

[أنواع الحسنات المكفرة للذنوب]

واعلم : أن الحسنات : منها ما يكفر الذنب السابق دون اللاحق ؛ كصوم يوم عاشوراء ، فإنه مكفر لذنوب السنة الماضية .

ومنها ما يكفر الذنب السابق واللاحق ؛ كصوم يوم عرفة ، فإنه مكفر لذنوب السنة الماضية والسنة المستقبلة ، حتىٰ لو فعل ذنباً لم تكتبه الملائكة عليه .

وظاهر الحديث : أن الحسنة وإن كانت بعشر أمثالها . . لا تمحو إلا سيئةً

---

(١) عزاه في « تخريج أحاديث الإحياء » (٩٤٧) إلىٰ أبي يعلىٰ من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه بسند ضعيف .

(٢) أورد المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٦٠٨٦) وعزاه لابن السني عن سيدنا عثمان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يفرغ من وضوئه : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله ثلاث مرات . . لم يقم حتىٰ تمحىٰ عنه ذنوبه حتىٰ يصير كما ولدته أمه » وأشار الإمام النووي في « الأذكار » (ص ٧٤) إلىٰ ضعفه .

(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٢٥٧/٦٥٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً .

(٤) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٢٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وآخره : « فذلكم الرباط » .

واحدة ، والتَّضعيفُ لا يمحو شيئاً ، وليس مراداً ، بل هي تمحو عشر سيئات ؛ فقد روي : « **أنه إذا نام ابن آدم.. قال الملكُ للشيطان** : أعطني صحيفتك ، فيعطيه إياها ، فما وجد في صحيفته من حسنة.. محا بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان ، وكتبهنَّ حسنات »[1] .

وروي : « **خصلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم.. إلا دخل الجنة** ، ألاَ وهما يسير ، ومن يعمل بهما قليل : يُسبِّح الله في دبر كل صلاة عشراً ، ويحمده عشراً ، ويكبِّره عشراً ، **فذلك خمسون ومئة باللسان** ، **وألفٌ وخمس مئة في الميزان** ـ أي : من حيث الأجر ـ ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه ، ويحمد ثلاثاً وثلاثين ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين ، **فتلك مئة باللسان** ، **وألف في الميزان** ، فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمس مئة سيئة ؟! »[2] أي : هٰذا قليل ، وربما لا يتأتىٰ من مسلم ذلك ، وبفرضه.. تكفر ذنوبه ؛ إذ كل حسنة تُذهب سيئة ، فيأتي يوم القيامة مطهَّراً .

ونُقل عن ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : (**وَدِدْتُ** ـ أي : تمنيت ـ **أنِّي صُولحت علىٰ أن أعمل كل يوم تسع خطيئات وحسنة**)[3] .

فأشار إلىٰ أن الحسنة يُمحَىٰ بها تسع خطيئات ، ويفضل له ضعفٌ واحدٌ من ثواب الحسنة ، فيكتفي به .

ثم إن هٰذا يخص من عمومه السيئة المتعلقة بالآدمي ، فلا يمحوها إلا الاستحلال مع بيان جهة الظُّلامة إن أمكن ولم يترتب عليه مفسدة ، وإلا.. فالمرجوّ كفاية الاستغفار والدعاء له .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٣/٢٩٦) ، و« مسند الشاميين » (١٦٧٣) عن سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً ، وانظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٧٨) .

(٢) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٩٩٠٧) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وأصله عند مسلم (٢٦٩٨) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٦٨٥) .

(وخالق الناس) أي : عاملهم وعاشرهم (بخُلُقٍ) بضمتين ؛ أي : بسجيةٍ وطبعٍ (حَسَنٍ) أي : جميل محبوب ؛ كملاطفةٍ وطلاقة وجه ، وبذل معروف وكف أذىً ؛ فإنَّ فاعل ذلك يُرجىٰ له في الدنيا الفلاح ، وفي الآخرة الفوز بالنجاة والنجاح[1] .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق ؛ وإن صاحب حسن الخلق لَيبلغُ درجةَ صاحب الصلاة والصوم »[2] .

وسئل صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة ؟ فقال : « تقوى الله ، وحسن الخلق »[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « خياركم أحسنكم أخلاقاً »[4] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل ما أُعطي المرء الخُلُق الحسن »[5] .

وعن الحسن رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : (مَنْ أُعطي حُسْن صورة ، وخُلُقاً حسناً ، وزوجةً صالحة . . فقد أُعطي خيري الدنيا والآخرة)[6] .

---

(١) قال العلامة الشبرخيتي رحمه الله تعالىٰ في « الفتوحات الوهبية » (ص ١٧٨) في تعريف الخلق الحسن : (هو ملكة نفسانية ، تحمل صاحبها علىٰ كل جميل . . . ووصف عبد الله بن المبارك الخلق الحسن بقوله : هو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذىٰ) .

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » (٢٠٠٣) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الترمذي في « سننه » (٢٠٠٤) ، وابن ماجه في « سننه » (٤٢٤٦) ، وأحمد في « مسنده » (٢/٢٩١ ، ٣٩٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (٤٧٦) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٣٢٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٥٩) ، ومسلم (٢٣٢١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه ابن ماجه في « سننه » (٣٤٣٦) ، وأحمد في « مسنده » (٤/٢٧٨) ، وابن حبان في « صحيحه » (٤٧٨) وغيرهم عن سيدنا أسامة بن شريك رضي الله عنه .

(٦) انظر « الفتح المبين » (ص ٣٦١) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص ١٧٩) .

وروي بسندٍ حسن عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن جد الحسن : « إن أحسن الحسن الخلق الحسن »[1] ، والحسن الأول ابن سهل ، والثاني ابن دينار ، والثالث البصري ، والرابع ابن علي رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين .

وفي الحديث : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً »[2] .

وقال الجنيد رحمه الله تعالىٰ : (أربع ترفع العبد إلىٰ أعالي الدرجات وإن قَلَّ عمله وعلمه : الحِلْم ، والتواضع ، والسخاء ، وحسن الخلق)[3] .

وفي الحديث : « خصلتان لا يكونان في مؤمن : سوء الخلق ، والبخل »[4] .

وقال الفضيل بن عياض نفعنا الله به : (لأَن يصحبَني فاجرٌ حَسَنُ الخُلُق . . أحبُّ إليَّ من أن يصحبني عابد سيء الخُلُق)[5] .

وقال أبو حازم رحمة الله تعالىٰ عليه : (من سوء الخُلُق في الرجل : أن يدخل علىٰ أهله وهم في سرور يضحكون فيتفرقوا خوفاً منه) ، وكذلك من سوء خلقه : هروب القطة منه وصعود الكلبة الحائط خوفاً منه .

وقيل لذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ : (مَن أكثر الناس همّاً ؟ قال : أسوؤهم خلقاً)[6] .

---

(١) أخرجه القضاعي في « الشهاب » (٩٨٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/ ١١٦) ، وفيه الغلابي .

(٢) أخرجه أبو داوود في « سننه » (٤٦٨٢) ، والترمذي في « سننه » (١١٦٢) ، وأحمد في « مسنده » (٢/ ٢٥٠ ، ٥٢٧) ، وابن حبان في « صحيحه » (٤٧٩) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر « إحياء علوم الدين » (٥/ ١٨٦) .

(٤) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٨٢) ، والترمذي في « سننه » (١٩٦٢) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (١٣٢٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٥) أخرجه ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص ٦٤) ؛ وفيه : (قارىء) بدل (عابد) .

(٦) حلية الأولياء (١٠/ ٢٤٣) .

[تحمل أذى الزوجة من حسن الخلق]

وحكي : أنه كان لشقيق البَلخي رحمه الله تعالى امرأة سيئة الخلق ، فقيل له : (**ألا تفارقها وهي تؤذيك بسوء خلقها ؟!**

فقال : إن كانت سيئة الخُلُق . . فأنا حسن الخُلُق ، ولو فارقتها . . صرتُ مثلَها ، ومع هـٰذا أخاف ألا يُمسكها أحد غيري ؛ لسوء خُلُقها)[1] .

وحكي : أن رجلاً جاء إلىٰ سيدنا عمر رضي الله تعالىٰ عنه يشكو إليه خُلُق زوجته ، فوقف ببابه ينتظره ، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل قائلاً : **إذا كان هـٰذا حال أمير المؤمنين . . فكيف حالي ؟!**

فخرج عمر رضي الله تعالىٰ عنه فرآه مولياً فناداه : (**ما حاجتك ؟**) .

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ جئتُ أشكو إليك خُلُق زوجتي واستطالتها عليَّ ، فسمعتُ زوجتك كذلك ، فرجعت وقلت : إذا كان هـٰذا حال أمير المؤمنين مع زوجته . . فكيف حالي ؟!

فقال عمر رضي الله تعالىٰ عنه : (**إني أحتملها لحقوقٍ لها عليَّ** : إنها طباخة لطعامي ، خبازة لخبزي ، غسالة لثيابي ، مرضعة لولدي ، وليس ذلك بواجب عليها ، ويسكن قلبي بها عن الحرام ، فأنا أحتملها لذلك) .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ؛ وكذلك زوجتي . فقال له سيدنا عمر : (**فاحتملها يا أخي ؛ فإنما هي مدّة يسيرة**)[2] .

وما أحسن ما قيل : [من المتقارب]

خُـذِ العفـوَ عـنْ جـاهـلٍ قـدْ بَغَـىٰ عليـكَ تَفُـزْ بـالمقـامِ الأميـنْ[3]

وبـالعـرفِ فَـأْمُـرْ وكُـنْ مُحسِنـاً وواصـلْ وأَعْـرِضْ عـنِ الجـاهليـنْ

---

(١) ذكر نحوها الإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٣٧١) عن بعض الصوفية دون تسميته .

(٢) انظر « الكبائر » (ص ١٩٥) ، و« المجالس السنية » (ص ٥٢) .

(٣) قوله : (قد بغىٰ) أي : تعدَّىٰ واستطال . اهـ مؤلف .

[الحقوق التي اشتمل عليها الحديث]

ثم إن هٰذا الحديث حديث عظيم وقاعدة من قواعد الدين ، **وقد اشتمل علىٰ ثلاثة أشياء** : حق الله ، وحق المكلف ، وحق العباد .

فأما حق الله تعالىٰ : فحيثما كنت . . فاتقه ، **وأما حق المكلف** : فهو إتباع السيئة بالحسنة ، **وأما حق العباد** : فهو معاشرتهم بالأخلاق الحسنة .

(**رواه الترمذي وقال**) : هو (**حديث حسن**) فقط (**وفي بعض النسخ**) أي : نسخ « جامع الترمذي » : (**حسن صحيح**) وتقدَّم بيان الجمع بينهما ؛ وهو أن يقال : إنه حسن لوصف جماعة له بالحسن ، صحيح لوصف آخرين له بالصحة[1] ، ونُقل عن « شرح الكازروني » : أنه قال هنا : (حسن من حديث معاذ ، صحيح من حديث أبي ذر) .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر ما تقدم (ص ٢١٥) .

الحديث التّاسع عشر

[نصيحةٌ نبويةٌ لترسيخ العقيدةِ الإسلامية]

عَنْ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ **عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْماً فَقَالَ: «يَا غُلَامُ؛ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: ٱحْفَظِ ٱللهَ يَحْفَظْكَ، ٱحْفَظِ ٱللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ.. فَٱسْأَلِ ٱللهَ، وَإِذَا ٱسْتَعَنْتَ.. فَٱسْتَعِنْ بِٱللهِ، وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلأُمَّةَ لَوِ ٱجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ.. لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ ٱللهُ لَكَ، وَإِنِ ٱجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ.. لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ ٱللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ ٱلأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ ٱلصُّحُفُ» **رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ** وَقَالَ: **حَسَنٌ صَحِيحٌ**[١].

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ ٱلتِّرْمِذِيِّ: «ٱحْفَظِ ٱللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى ٱللهِ فِي ٱلرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي ٱلشِّدَّةِ، وَٱعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ.. لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ.. لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلنَّصْرَ مَعَ ٱلصَّبْرِ، وَأَنَّ ٱلْفَرَجَ مَعَ ٱلْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً»[٢].

[من ترجمة سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما]

(**عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله**) تعالىٰ (**عنهما**) ولد عبد الله قبل الهجرة بثلاث سنين، ولما وضعته أمه.. أتت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(١) سنن الترمذي (٢٥١٦).

(٢) أخرجها عبد بن حميد في « المنتخب » (٦٣٦).

فأذَّن في أُذنه اليمنىٰ وأقام في اليسرىٰ وقال : « **اذهبي بأبي الخلفاء** »[1] .

وقد ملأ عقبه الأرض حتىٰ قيل : إنهم بلغوا في زمن المأمون ست مئة ألف .

وكني باسم أبيه ؛ لكونه أكبر أولاده ، **ولُقِّب بترجمان القرآن** ؛ لكثرة معرفته بمعانيه[2] ، وكان يسمى البحر ؛ لغزارة علمه[3] .

وصحَّ أنه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله : « **اللهم ؛ فقِّهه في الدين ، وعلِّمه التأويل** »[4] .

[قصة في بيان غزارة علم سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما]

وعن أبي صالح قال : لقد رأيت لابن عباس مجلساً لو أنَّ جميع قريش فخرت به .. لكان لها فخراً ؛ رأيت الناس قد اجتمعوا علىٰ بابه حتَّىٰ ضاق بهم الطريق ، فما كان أحدٌ يقدر علىٰ أن يجيء ولا أن يذهب .

قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم علىٰ بابه ، فقال : (ضع لي وَضوءاً) .

قال : فتوضأ وجلس وقال : اخرج إليهم ، وقل لهم : (**من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه .. فليدخل**) .

قال : فخرجت فآذنتهم ـ أي : أعلمتهم ـ فدخلوا حتىٰ ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء .. إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر ، ثم قال : (إخوانَكم) فخرجوا .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٩٢٤٦) ، والخطيب في « تاريخه » (١/ ٨٤ ـ ٨٥) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٢٦/ ٣٥١ ـ ٣٥٢) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (١/ ٢٩١) .

(٢) أخرج الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٥٣٧) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه قال : (نِعْمَ ترجمان القرآن ابن عباس) .

(٣) قال الحافظ المِزّي في « تهذيب الكمال » (٣٥/ ٣٧) في (فصل فيمن اشتهر بلقب أو نحوه) : (**البحر والحبر** : عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما .

(٤) أخرج شطره الأول البخاري (١٤٣) ، ومسلم (٢٤٧٧) ، وأخرجه كاملاً أحمد في « مسنده » (١/ ٢٦٦) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧٠٥٥) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٥٣٤) ، وغيرهم عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

ثم قال : (اخرج فقل : **من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه . . فليدخل**) ، فخرجت فقلت لهم ، فدخلوا حتىٰ ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء . . إلا أخبرهم بـه ، وزادهم مثله ، ثم قال : (إخوانكم) فخرجوا .

ثم قال : (اخرج فقل : **من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها . . فليدخل**) ، فخرجت فآذنتهم ، فدخلوا حتىٰ ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء . . إلا أخبرهم به ، وزادهم مثله ، ثم قال : (إخوانكم) فخرجوا .

ثم قال : (اخرج فقل : **من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام . . فليدخل**) فآذنتهم ، فدخلوا حتىٰ ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء . . إلا أخبرهم به ، وزادهم عليه مثله .

قال أبو صالح : **فما رأيت مثل هـٰذا لأحد من الناس**[1] .

وروي له ألف وست مئة حديث وستون حديثاً ، وتوفِّي بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدىٰ وسبعين سنة ، وصلىٰ عليه محمد ابن الحنفية وقال : (**مات ـ والله ـ اليوم خير هـٰذه الأمة**)[2] .

ولما وُضع ليصلَّىٰ عليه . . جاء طائر أبيض حتىٰ دخل في أكفانه ، فالتُمس فلم يوجد ، فلما أُهيل عليه التراب . . سُمع من يقول : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾[3] .

---

(١) أخرجها الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨) وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) ، وأخرج أحمد في « فضائل الصحابة » عن عمرو بن دينار رحمه الله تعالىٰ قال : (ما رأيت مجلساً أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس) .

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٣٥) ، وابن سعد في « الطبقات » (٢/ ٣٦٨) وهو عندهما بلفظ : (مات رباني هـٰذه الأمة) .

(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٠/ ٢٣٦) عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالىٰ ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٢٩) عن ميمون بن مهران رحمه الله تعالىٰ .

ولما بلغ جابر بن عبد الله وفاتُه . . ضرب بإحدىٰ يديه على الأخرىٰ وقال : (مات أعلم الناس وأحلم الناس)[١] .

[من ترجمة سيدنا العباس رضي الله عنه]

وأبوه العباس رضي الله تعالىٰ عنه : ولد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين[٢] ، وأسلم قبل الهجرة ، وكان يكتم إسلامه وهو مقيم بمكة[٣] ، ويكتب أخبار المشركين إلىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، واستأذنه في الهجرة فكتب إليه : « **يا عم ؛ أقم مكانك الذي أنت فيه** ـ يعني : مكة ـ **فإن الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة** »[٤] .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه أصغر أعمامه صلى الله عليه وسلم .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون قدره ، فيبالغون في تعظيمه ويشاورونه ، ويأخذون برأيه ، واستسقىٰ عمر به غير مرّة[٥] ، ولم يمرَّ قطُّ بعمر وعثمان راكبينِ . . إلا نزلا حتىٰ يجوز ؛ إجلالاً له[٦] .

وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من آذى العباس . . فقد آذاني ؛ إنما عمّ الرجل صِنْوُ أبيه** »[٧] .

---

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٢/ ٣٢٠) ، وانظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٤٢٣) ، و« أسد الغابة » (٣/ ٢٩٠) ، و« الإصابة » (٢/ ٣٢٢) .

(٢) أخرج الحاكم (٣/ ٣٢٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٦/ ٢٨٠) عن مغيرة بن أبي رزين رحمه الله تعالىٰ قال : (قيل للعباس بن عبد المطلب : أيما أكبر أنت أم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : (**هو أكبر مني وأنا ولدت قبله**) رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه .

(٣) أخرج ذلك الحاكم من حديث طويل (٣/ ٣٢١) ، والطبراني في « الكبير » (١/ ٣٠٨) عن سيدنا أبي رافع مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه .

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٦٤٦) ، والروياني في « مسنده » (١٠٦١) ، والطبراني في « الكبير » (٦/ ١٥٤) وغيرهم عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما ، وفيه إسماعيل بن قيس .

(٥) أخرجه البخاري (١٠١٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٦/ ٣٥٤) ، وانظر « الاستيعاب » (ص ٥٥٧) .

(٧) أخرجه الترمذي في « سننه » (٣٧٥٨) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٨١٢٠) ، وأحمد في =

وكان رضي الله تعالىٰ عنه طويلاً جميلاً أبيض .

روي له خمسة وثلاثون حديثاً ، ومات بالمدينة سنة اثنين أو أربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بالبقيع[(١)] ، وجلس ولده عبد الله للناس يعزُّونه ، فجاءه أعرابيٌّ فوضع يده علىٰ يده وقال : [من الكامل]

اصْبِرْ نَكُنْ بكَ صابرينَ فإنَّما — صَبْرُ الرعيَّةِ بعدَ صَبْرِ الراسِ

خيرٌ مِنَ العبَّاسِ أجرُكَ بعدَه — واللهُ خيرٌ منكَ للعبَّاسِ[(٢)]

[مَنْ حَفِظَ اللهَ حفظه الله]

(**قال**) أي : عبد الله : (**كنت**) راكباً (**خلف النبي صلى الله عليه وسلم**) أي : وراءه علىٰ بغلته (**يوماً**) أي : في يوم ، (**فقال**) لي : (**يا غلامُ**) بضم الميم ؛ لأنه نكرة مقصودة ، وخاطبه بذلك ؛ لأنه إذ ذاك كان صغيراً عمره نحو عشر سنين[(٣)] .

(**إني أُعلِّمك**) أي : أفهِّمك (**كلمات**) وفي رواية : « ألا أعلمك كلمات يحفظك الله بهن ؟ » ، وفي أخرىٰ : « ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ » فقلت : بلىٰ يا رسول الله[(٤)] .

فقال : (**احفظ الله**) أي : راع أوامره وحافظ عليها ، ولا تغفل عنها ، وأمسك عن نواهيه ولا ترتكبها ؛ فإنك إذا فعلت ذلك . . (**يحفظك**) برعايته إياك في نفسك

= « مسنده » (٤/ ١٦٥) عن عبد المطلب بن ربيعة ، وأصله في « صحيح مسلم » (٩٨٣) ، وغيره عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(١) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٥٥٦) ، و« أسد الغابة » (٣/ ١٦٤) ، و« الإصابة » (٢/ ٢٦٣) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١/ ٢١١) .

(٣) ذكره العلامة الهيتمي في « الفتح المبين » (ص ٣٦٩) ، وقال : (وفي رواية : « يا غُلَيِّم » ـ أخرجها أحمد [١/ ٣٠٧] ـ وهو تصغير حنو وترفق ، أو تعظيم باعتبار ما يؤول إليه حاله) .

(٤) أخرجه أحمد في « مسنده » (١/ ٣٠٧) ، والطبراني في « الكبير » (١١/ ٢٢٣) .

وولدك وأهلك ، ودنياك ودينك ، وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ .

[حفظناها في الصغر فحفظها الله لنا في الكبر]

وقال بعضُهم : (**من حفظ الله في صباه وصغره .. حفظه في كبره ، ومتَّعه بسمعه وبصره**)[1] .

كما حكي : أنَّ بعض العلماء جاوز مئة سنة وهو ممتَّع بعقله وقوته ، فسُئل عن سبب ذلك فقال : (**هٰذه جوارح حفظناها من المعاصي في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر**)[2] .

ونقل عن القاضي أبي الطيب رحمه الله تعالىٰ : أنه عاش مئة وستين سنة ولم يختلَّ عضو من أعضائه ، فقيل له في ذلك فقال : (**لم أعص الله بعضو منها**)[3] .

وقال بعض السلف : (من اتَّقى الله .. فقد حفظ نفسه ، ومن ضيَّع تقواه .. فقد ضيَّع نفسه ، والله الغني عنه)[4] .

وكان سعيد بن المسيب رضي الله تعالىٰ عنه يقول لابنه : (**لأزيدنَّ في صلاتي من أجلك** ؛ رجاء أن أُحفظ فيك ، ثم يتلو : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾)[5] أي : فحُفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما .

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالىٰ عنه يقول : (**ما من مؤمن صالح يموت .. إلاَّ حفظه الله عز وجل في عقبه وعقب عقبه**)[6] .

---

(١) قائله ابن رجب الحنبلي ، ذكره في « جامع العلوم والحكم » (١/ ٤٦٦) .
(٢) انظر « جامع العلوم والحكم » (١/ ٤٦٦) .
(٣) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٨٢) .
(٤) انظر « جامع العلوم والحكم » (١/ ٤٦٧) .
(٥) انظر « جامع العلوم والحكم » (١/ ٤٦٧) .
(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الاعتبار » (٧١) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٣١/ ٢٢٢) .

وقال بعض الأكابر : (إنَّ الله ليحفظ بالرجل الصَّالح ولدَه وولد ولده والدويرات التي حوله)[1] .

وقال بعضهم : (رأيت راعياً يصلِّي والذئب يحفظ غنمه ، فلما فرغ من صلاته . . قلت له : متى اصطلح الذئب مع الغنم ؟ فقال : لما اصطلح ربُّ الغنم مع ربِّ الذئب)[2] .

وحكي : أنَّ لصّاً دخل حجرة رابعة العدوية رضي الله تعالىٰ عنها وهي نائمة ، فحمل الثياب وطلب الباب فلم يجده ، فوضعها فوجده ، فحملها فخَفي عليه ، فأعاد ذلك مراراً كثيرة ، فهتف به هاتف : (إن كان المحبّ نائماً . . فإن المحبوب يقظان ، ضع الثياب واخرج من الباب ؛ فإنَّا نحفظها ولا ندعها لك وإن كانت نائمة ، فوضعها ثم خرج وتاب)[3] .

وبالجملة : فتقوى الله سبب لحفظ الله للعبد في دنياه ، ولحفظه في دينه ؛ بأن يحفظ عليه إيمانه حتىٰ يتوفَّاه الله .

(احفظ الله) أي : راع حقوقه وراقبه (تجده) أي : تجد عنايته ورأفته بك (تُجاهَك) بضم التاء وفتح الهاء ؛ أي : أمامك بفتح الهمزة كما في الرواية الآتية ، وهٰذا توكيد لما قبله .

وخُصَّ الأمام بالذكر من بين الجهات الست ؛ إشعاراً بشرف المقصد ، وبأنَّ الإنسان مسافرٌ إلى الآخرة ، والمسافر إنما يطلب أمامه .

والمعنىٰ : تجده مراعياً لك حيثما كنت وقصدت من أمر الدنيا والآخرة ، فينقذك من الهلكات ، ويسعدك بأصناف البركات .

---

(١) أخرجه عبد الله بن المبارك في « الزهد » (٣٣٠) ، والحميدي في « مسنده » (٣٧٧) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٦٥٦٤) ، والثعلبي في « تفسيره » (٦/١٨٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/١٤٨) عن محمد بن المنكدر رحمه الله تعالىٰ ، وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣/٢٨٥) ، والخطيب في « تاريخه » (١/٢٩٠) عن مجاهد رحمه الله تعالىٰ .

(٢) انظر « تفسير الرازي » (١/١٦٨) .

(٣) انظر « تفسير الرازي » (١/١٦٨) .

[قصة سيدنا سفينة مع الأسد]

روي : أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أرسل سفينةَ مولاهُ في أمرٍ ، فنزل في سفينة فانكسرت[١] ، فخرج إلى البرِّ ، فجاءه أسدٌ ، فقال : (أنا مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي كتابه وأنا تائه) ، فجعل الأسد يمشي معه حتىٰ دلَّه على الطريق ، فلما أوقفه عليها . . جعل يهمهم كأنه يودِّعه ، ثم رجع عنه[٢] .

[من خاف اللهَ خافه كلُّ شيء]

وقيل : (إذا خاف العبد من الله . . أخاف الله منه كلَّ شي ، وإذا لم يخف العبد من الله . . أخافه الله من كلِّ شيء)[٣] .

والمراد بالخوف : كفُّ جوارحه عن المعصية ، وتقييدها بالطاعة .

وحكي عن المزني أنه قال : قصدت السلام علىٰ أبي الخير النيسابوري[٤] ، فلمَّا صلَّينا المغرب . . خرجتُ لأتطهَّر ، فقصدني السَّبُع ، فعدت إليه فأخبرته ، فخرج وصاح على الأسد وقال له : (ألم أقل لك : لا تتعرَّض لأضيافي ؟!) ، فتنحَّىٰ عني

---

(١) ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في « الإصابة » (٢/٥٦ ـ ٥٧) في ترجمة سيدنا سفينة رضي الله عنه : أنه اختُلف في اسمه علىٰ أحد وعشرين قولاً ، وأصله من فارس ، فاشترته أم سلمة ثم أعتقته ، واشترطت عليه أن يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : (كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فكان بعض القوم إذا أعيا . . ألقىٰ عليَّ ثوبه حتىٰ حملت من ذلك شيئاً كثيراً ، فقال : « ما أنت إلا سفينة ») .

(٢) حديث سفينة مع الأسد أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٥/١٠١) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/٦٠٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/٣٦٩) ، و« دلائل النبوة » (٥٣٥) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/٤٥) ، وليس فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أرسله .

(٣) أخرجه القضاعي في « مسنده » (٤٢٩) عن سيدنا واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ، والرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (٢/١٨٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً ، وأخرجه البيهقي في « الشعب » (٩٤٣) من قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

(٤) قال الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٣٧/٢٦٨) : (جامع بن عبد الرحمـٰن بن إبراهيم بن أبي نصر ، أبو الخير النيسابوري الصوفي السقاء الرامي ، كان يعلم الشبان الرمي ، وكان صالحاً مستوراً . . . ولد سنة اثنتين وسبعين وأربع مئة ، وتوفي سنة سبع أو ثمان وأربعين ؛ أي : وخمس مئة) .

وتطهَّرتُ ، فلما رجعت . . قال لي الشيخ : (**اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد ، واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الأسد**)[1] .

(**إذا سألت**) أي : أردت أن تسأل شيئاً . . (**فاسأل الله**) أن يعطيك إياه من فضله ؛ فإنَّه الغني المالك لجميع الأشياء ، لا معطي ولا مانع سواه .

وقد جاء في الحديث : « ليسأل أحدُكم ربَّه حاجته كلَّها حتىٰ شِسْع نعله إذا انقطع »[2] ؛ وهو بكسر الشين المعجمة : سَيْرُه الذي بين الأصابع .

وقال طاووس لعطاء نفعنا الله بهما : (**إياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك** ، وعليك بمن بابه مفتوح إلىٰ يوم القيامة ؛ أَمَرَكَ أن تسأَلَه ووَعَدَكَ أن يجيبَك)[3] .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ : (**أحبُّ الناس إلى الناس** . . من استغنىٰ عن الناس ، **وأبغض الناس إلى الناس** . . من احتاج إلى الناس وسألهم ، **وأحبّ الناس إلى الله عز وجل** . . من سأله واستغنىٰ به عن غيره ، **وأبغض الناس إليه** . . من استغنىٰ عنه وسأل غيره)[4] .

وما أحسن قول القائل[5] : [من الكامل]

لا تقصدِ المخلوقَ ربُّك أقربُ	[مَن يقصدُ] المخلوقَ [حقاً] يَتْعَبُ
لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدمَ حاجةً	وسلِ الَّذي أبوابُهُ لا تُحْجَبُ
اللهُ يَغْضَبُ إنْ تركتَ سُؤَالَه	وبُنَيُّ آدمَ حينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

---

(١) انظر « تاريخ ابن عساكر » (٦٦/ ١٦٧) ، والقصة عن إبراهيم الرقي ، أما الإمام المزني رحمه الله . . فقد توفي سنة (٢٦٤هـ) فلم يتعاصرا ، فتنبه .

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » (٣٩٦٢) ، طبعة جمعية المكنز الإسلامي ، وقد سقط من طبعة دار إحياء التراث ، وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٨٦٦ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥) ، والبزار في « مسنده » (٦٨٧٦) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٣٤٠٣) ، والطبراني في « الدعاء » (٢٥) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/ ٢٦٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٦٣) .

(٤) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٨٣ـ ١٨٤) .

(٥) البيتان الأخيران في « العزلة » للخطابي (ص ٧٨) ، و« فيض القدير » (١/ ٥٥٦) . وعجز البيت الأول في المخطوط : (ومن قصدَ المخلوقَ لا شكَّ يتعبُ) ، وعليه فالبيت مضطرب .

[أقسام السؤال وشروطه]

واعلم : أنَّ السؤال قسمان :

أحدهما : ما لم تجر العادة بجريانه علىٰ أيدي الخلق ؛ كالهدىٰ والتوفيق ، والفهم في العلوم ، وشفاء المريض ، وحصول العافية من بلايا الدنيا والآخرة ، والعفو والرضا ، ودخول الجنة ، فلا يجوز أن يُسأل إلا من الله .

وثانيهما : ما جرت عادة الله بجريانه علىٰ أيدي خلقه ؛ كالدَّراهم والدنانير ، وحمل الشيء الثقيل ، والزرع ، والخياطة ، والطبخ ، فيسأل الله تعالىٰ أن ييسِّره له ، وأن يُعطِّف عليه قلوب خلقه ، ثم يسأل الخلق .

ويجوز للفقير أن يسأل من غيره بشروط ثلاثة : أن يكون عاجزاً عن الكسب ، وألاَّ يؤذي المسؤول ، وألاَّ يُلِحَّ عليه ؛ أي : لا يُكرِّر سؤاله .

وهو لمن يجد كفايةَ يومٍ وليلةٍ حرام ؛ لخبر : « من سأل شيئاً وعنده ما يغنيه . . فإنما يستكثر من جمر جهنم » قالوا : وما يغنيه ؟ قال : « قدرٌ يغدّيه ويعشّيه »[1] .

وحكي : أن سائلاً أتىٰ عمر رضي الله تعالىٰ عنه ، فقال : (أعطوه) ، ثم نظر ؛ فإذا تحت إبْطه مِخْلاة مملوءة خبزاً ، فقال : (**لست بسائل ، بل تاجر**) ثم علاه بالدِّرَّة ضرباً[2] .

ويكره للغني قبول الصدقة ، وكذا سؤالها ولو بلسان الحال إن علم الدافعُ حالَه ، ولم يُظهر الفاقة لأخذها ، ولم يلحّ ، ولم يؤذ نفسه ولا المسؤول ، ولم يلجئه إلى الإعطاء لحياءٍ منه أو من غيره ، وإلا . . حرُم عليه ، ووجب ردُّ ما أخذه ؛

---

(١) أخرجه أبو داوود في « سننه » (١٦٢٩) ، وأحمد في « مسنده » (٤/ ١٨٠ـ ١٨١) ، والطبراني في « الكبير » (٦/ ٩٦ـ ٩٧) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (٧/ ٢٥) عن سيدنا سهل بن الحنظلية رضي الله عنه .

(٢) انظر « إحياء علوم الدين » (٨/ ٧٩) .

لخبر : « **من سأل أموال الناس تكثُّراً . . فإنما يسأل جمر جهنم ، فليستقلَّ منه أو ليستكثر** »[1] .

وورد : « لا تحلُّ الصَّدقة لغني ، ولا لذي مِرَّة ـ بكسر الميم وتشديد الراء ؛ أي : قوة ـ سَوِيّ »[2] أي : صحيح بحيث يقدر على الكسب .

وينبغي لمن سأل المخلوقين : أن يراهم كالأرض التي جرى الماء عليها ؛ فإنها لا تأثير لها في إجرائه ، فلا يميل بقلبه إليهم ، بل إلى الله عز وجل .

[النهي عن الدعاء بالاستغناء عن الخلق]

ولا ينبغي للشخص أن يسأل الله تعالىٰ أن يغنيه عن خلقه ؛ لأنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم سمع عليّاً يقول : اللهم ؛ أغننا عن خلْقك ، فقال : « لا تقل هٰكذا ؛ فإن الخلق يحتاج بعضهم إلىٰ بعض ، ولٰكن قل : **اللهم ؛ أغننا عن شرار خلقك** » قال : من هم ؟ قال : « الذين إذا أُعطوا . . منُّوا ، وإذا مَنعوا . . عابوا »[3] .

وسمع عمر رضي الله تعالىٰ عنه رجلاً يقول : اللهم ؛ أغنني عن الناس ، فقال : (**إياك تسأل الموت ، قل : اللهم ؛ أغنني عن شرار الناس**) .

(**وإذا استعنت**) أي : طلبت الإعانة طلباً نفسانياً بأن أردتها علىٰ أمر دنيوي أو أخروي . . (**فاستعن بالله**) أي : اطلب الإعانة منه علىٰ ما تطلب ؛ لأنَّه القادر علىٰ كلِّ شيء ، وغيره عاجز عن كلِّ شيء ، حتىٰ عن جلب مصالح نفسه ودفع مضارِّها ، **فمن استعان بغير الله واستند إليه . . فهو مخذول** ، ولا يزال نازلاً عن منازل العزِّ والشرف ، متباعداً عن مولاه .

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٤١) ، وابن ماجه في « سننه » (١٨٣٨) ، وأحمد في « مسنده » (٢/ ٢٣١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٣٩٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو داوود في « سننه » (١٦٣٤) ، والترمذي في « سننه » (٦٥٢) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وفي الباب عن أبي هريرة وحبشي بن جنادة رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه أبو الشيخ في « طبقات المحدثين بأصبهان » (٣/ ٥١٢) ، ومن طريقه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/ ٣١) .

نعم ؛ إن كان مشهده أنَّ إعانة الخلق له من الله ، فاستعان بالله في الباطن ، وبالخلق في الظاهر . . فلا يضرُّه ذلك ؛ لأنَّ الله تعالىٰ أجرىٰ عادته بأنه يعين عبده بواسطةٍ وغير واسطة .

فعليك يا أخي بالذُّلِّ والافتقار إلى الله ؛ فإنه الذي يُغيثك ويُنجيك من الشدائد وإن أجمع كلُّ الخلق علىٰ ضرِّك .

[شاب أقسم على الله فأبره]

حكي عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ أنه قال : (كنت شاباً في لهو ولعب ، فخرجت إلىٰ بيت الله الحرام ، فركبت سفينةً وركب معنا أمرد جميل ، ففقد صاحب المركب كيساً فيه جوهر ، ففتَّش كلَّ من في المركب ، فلما وصل إلى الأمرد ليفتشه . . وثب من المركب علىٰ أمواج البحر وصارت له كالسرير وقال : **يا مولاي ؛ هـٰؤلاء اتَّهموني ، وإني أقسم عليك أن تأمر كلَّ دابة في هـٰذا البحر أن تخرج رأسها وفي فمها جوهرة** .

فما تمَّ كلامه . . حتىٰ رأينا دوابَّ البحر أمام المركب قد أخرجت رؤوسها وفي فم كلٍّ منها جوهرة تلمع !! ثم صار يتبخترُ علىٰ وجه الماء ويقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ حتىٰ غاب عن بصري ، فحملني هـٰذا على السياحة)[1] .

(**واعلم أن**) وفي نسخة : (بأنَّ) (**الأُمة**) بضم الهمزة ، **والمراد بها** : جميع الخلق ؛ كما في رواية أحمد[2] (**لو اجتمعت**) بالتأنيث مراعاةً للفظ ، والتذكير الآتي في قوله : « وإن اجتمعوا » لمراعاة المعنىٰ[3] .

---

(١) أخرجها ابن الجوزي في « المنتظم » (٦/٥٣٦ ـ ٥٣٧) ، ومن طريقه ابن قدامة في « التوابين » (ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥) .

(٢) مسند أحمد (١/٣٠٧) ؛ **ولفظه** : « فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيءٍ لم يكتبه الله عليك . . لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيءٍ لم يكتبه الله عليك . . لم يقدروا عليه . . . » .

(٣) شاع التأنيث في الجموع علىٰ تقدير (جماعة) ، والتذكير علىٰ تقدير (جمع) ، وقال بعضهم مشيراً إلىٰ أن الجموع مؤنثة :

(من مجزوء الرمل)=

ولفظة (لو) بمعنىٰ (إنْ) أي : إن اجتمعت ؛ أي : اتّفقت (**علىٰ أن ينفعوكَ بشيء**) من خيري الدنيا والآخرة . . (**لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك**) أي : أثبته في اللوح المحفوظ ، أو أراده وقدَّره في الأزل .

(**وإن اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء . . لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**) بالمعنى المتقدم ، ويشهد لذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ .

[قصة عجيبة في عظيم لطف الله بعباده]

فإذا أراد أحد أن يضرَّ غيره بما لم يُكتب عليه . . دفعه الله تعالىٰ عنه ؛ **كما حكي عن ذي النون المصري** رحمه الله تعالىٰ أنه قال : (كنت علىٰ شاطىء النيل ، فرأيت عقرباً ، فأردتُ قتلها ، فهربتْ وركبتْ علىٰ ظهر ضفدعة ، فعامت بها حتىٰ وصلت إلى الجانب الآخر ، فنزلتْ عن ظهرها ، فوجدتْ رجلاً نائماً غريقاً في سكره وقد أقبل إليه ثعبان ليلدغه ، فأسرعتْ إلى الثعبان فلدغتْه فتقطَّع ، فأيقظتُ الرجل ، فقام مرعوباً ، فأخبرته بذلك ، فأطرق ثم قال : **يا رب ؛ هٰكذا تفعل بمن عصاك ، فكيف بمن أطاعك ؟! فوعزتك ؛ لا أعصيك أبداً**)[1] .

وما أحسن ما قيل[2] : [من المتقارب]

أُفَــوِّضُ أَمْــرِي إلــىٰ خــالِقِــي ... فحَسْبِـي إلَـٰهـي ونِعْـمَ الـوكِيـلْ
ولا أَرْجِعَــــنَّ إلــــىٰ غَيْــــرِهِ ... فــإنَّ الإلـٰــهَ لكُــلٍّ كَفِيــلْ

= إن قـــومـــي تجمعـــوا ... وبقتلـــي تحـــدثـــوا
لا أبـــالـــي بجمعهـــم ... كـــل جمـــع مـــؤنـــثُ

(١) أوردها الفخر الرازي في « تفسيره » (١/٢٣٣) دون قوله آخرها : (يا ربِّ ؛ هٰكذا . . .) .
(٢) « الفتوحات الوهبية » (ص ١٨٥) .

[إشكالٌ وردُّه]

ولا ينافي هـٰذا قوله تعالىٰ حكاية عن موسىٰ عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ ، ﴿ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ ؛ لأن الإنسان مأمورٌ بالفرار من أسباب العطب والأذىٰ إلىٰ أسباب السلامة وإن لم يسلم ؛ بدليل قوله تعالىٰ : ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ .

وقول عمر رضي الله تعالىٰ عنه : (إنما نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله) .

وسبب قوله ذلك : أنه خرج إلى الشام ليتفقد أحوال الرعية ، حتىٰ إذا كان قريباً منه . . لقيه أمراؤه أبو عبيدة وأصحابه ، فأخبروه أن الطاعون قد وقع به ، فأمر عمر رضي الله تعالىٰ عنه مَن معه بالرجوع ، فقال له أبو عبيدة رضي الله تعالىٰ عنه : (أترجع فراراً من قدر الله ؟!) .

فقال له عمر رضي الله تعالىٰ عنه : (لو غيرك قالها يا أبا عبيدة . . لأدَّبته ؛ إنما نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله)[1] .

وقيل في هـٰذا المعنىٰ[2] : [من الطويل]

على المرءِ أنْ يَسْعَىٰ لما فيه نَفْعُهُ ... وليسَ عليـهِ أنْ يسـاعـدَه الـدَّهْـرُ

فـإنْ نَـالَ بـالسَّعْيِ المُنَىٰ تَـمَّ أَمْرُهُ ... وإنْ عـاقَـهُ المَقْدُورُ كـانَ لـهُ أَجْـرُ

(**رفعت الأقلام**) يعني : انتهت الكتابة بها في اللوح المحفوظ ، وجُمِعَ القلم للتعظيم ، وإلا . . فهو واحد .

روي : أن الله قال له : « اكتب . قال : يا رب ؛ وما أكتب ؟ قال : **اكتب مقادير كل شيء ؛ ما كان وما هو كائن إلى الأبد** »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٥٧٢٩) ، ومسلم في « صحيحه » (٢٢١٩) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

(٢) نسب في « نفح الطيب » (٦٥٩/٢) للوليد بن هشام أبي ركوة الأموي .

(٣) أخرجه بنحوه أبو داوود في « سننه » (٤٧٠٠) ، وأحمد في « مسنده » (٣١٧/٥) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

وقيل : **إن أول شيء كتبه القلم في اللوح المحفوظ** :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(إنني أنا الله لا إلـه إلا أنا ، محمد رسولي ، **مَن استسلم لقضائي** ، **وصبر علىٰ بلائي** ، **وشكر نَعمائي** ، **ورضي بحكمي** . . كتبته صِدِّيقاً ، وحشرته يوم القيامة مع الصِّدِّيقين ، **ومَن لم يستسلم لقضائي** ، **ولم يصبر علىٰ بلائي** ، ولم يشكر نَعمائي ، ولم يرض بحكمي . . فليخرج من تحت سمائي ، وليلتمس إلـٰهاً سواي)[1] .

(**وجَفَّت**) بفتح الجيم وتشديد الفاء ؛ أي : يبست (**الصحف**) أي : كتابتها ، **والمراد بها** : اللوح المحفوظ ، وجُمِعَ للتعظيم ، **والصحيح** : وقوع المحو والإثبات فيه .

وما أفاده قوله صلى الله عليه وسلم : « رفعت الأقلام وجفت الصحف » من عدم التغيير والتبديل . . **محمولٌ علىٰ أكثر الأمور** ؛ وهي الأمور المُبرَمة ، وأما المعلَّقة . . فتُمحىٰ منه ، ويكتب القلم بدلها علىٰ حسب ما في علم الله عز وجل ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أي : أصله ، وهو علم الله القديم الأزلي الذي لا يغير منه شيء .

وأفاد الشعراني : (أن اللوح المحفوظ لا يحصل فيه محو ، وأن ألواح المحو والإثبات ثلاث مئة وستون لوحاً ، وهي في المرتبة دون اللوح المحفوظ)[2] ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ أي : يذهب الحكم المعلَّق علىٰ شيء ، ويكتب بدله الحكم المبرم ﴿ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أي : أصله الذي لا يغير منه شيء ؛ وهو اللوح المحفوظ .

---

(١) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٨٦٥٩) إلى ابن النجار عن سيدنا علي رضي الله عنه مرفوعاً ، وأورده القرطبي في « تفسيره » (١٩/ ٢٩٨ـ ٢٩٩) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما موقوفاً .

(٢) لطائف المنن والأخلاق (١/ ٢٧) .

(رواه الترمذي) في « جامعه » (وقال : حسن صحيح) وتقدم إيضاح ما يتعلق بالجمع بين اللفظين .

وهو حديث عظيم ، وأصلٌ كبير في رعاية حقوق الله ، والتفويض لأمره والتوكل عليه .

(وفي رواية غير الترمذي) وهو عبد بن حميد ، والإمام أحمد[1] : (احفظ الله تجده أَمامك) بفتح الهمزة ، وهو بالمعنى المتقدِّم في (تُجاهك) .

(تعرَّف إلى الله) تعالىٰ ، بتشديد الراء المفتوحة ؛ أي : تحبَّب إليه وتقرَّب من رحمته ورضاه ؛ بلزوم الطاعات واجتناب المنهيات ، والإنفاق في القربات ، والشكر علىٰ ما أولاك وأعطاك (في الرخاء) بالمد ؛ أي : في زمن سعة الرزق وصحَّة البدن .

(يَعرِفْك) بفتح المثناة التحتية وكسر الراء وسكون الفاء ؛ أي : يجازك (في الشدة) أي : في زمن نزول المصائب والمكروهات بك ، فيفرج عنك الهموم ، ويكشف عنك الغموم ، ويجعل لك من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً .

[قصة أصحاب الغار وجواز التوسل بالأعمال]

كما وقع للثلاثة الذين أصابهم المطر ، فآووا إلىٰ غار في جبل[2] ، فانحدرت ـ أي : سقطت ـ صخرةٌ من الجبل ، فسدَّتْ عليهم الغار ، فقالوا : (انظروا ماذا عملتم من الأعمال الصالحة فاسألوا الله بها ؛ فإنه ينجيكم .

فذكر كل واحدٍ منهم سابقةَ عملٍ صالح سبق له مع ربه ، فتوسل أحدهم ببره والديه ، وقال : إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك . . فافرج عنا فرجةً نرىٰ منها

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد (٦٣٦) ، مسند أحمد (١/٣٠٧) ، لـٰكن ليس عند أحمد قوله : « واعلم أن ما أخطأك . . لم يكن ليصيبك ، وما أصابك . . لم يكن ليخطئك » .

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في « فتح الباري » (٦/٥٠٦) : (قوله : « فأووا إلىٰ غار » يجوز قصر ألف « أووا » ومدها) .

السماء ، ففرَّجَ الله عنهم فرجةً حتىٰ رأوا السماء .

وتوسل الثاني بترك الزنا مع بنت عمه مع تمكنه منه ، وقال : إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك . . فافرج عنا فرجة ، ففرج الله عنهم فرجة أخرىٰ .

وتوسل الثالث بكونه حفظ أُجرةَ أجيرٍ كان غَضِبَ عليها[1] ؛ وهي مُدَّان من الأرز ، فلم يزل يزرعهما حتى اشترىٰ له منهما إبلاً وبقراً وغنماً ، فمرَّ به بعد مدة فدفعها له ، وقال : إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك . . فافرج عنا ما بقي ، ففرج الله عنهم وخرجوا يمشون)[2] .

و(ٱفرُج) بالوصل وضم الراء من الثلاثي ، وضبطه بعضهم بهمزة وكسر الراء من الرباعي[3] .

[دعاء سيدنا يونس عليه السلام وفضله]

ورُوي عن أنس مرفوعاً : « إن يونس عليه السلام لما دعا في بطن الحوت . . قالت الملائكة : يا رب ؛ هٰذا صوتٌ معروفٌ من بلاد غريبة !! فقال الله عز وجل : أما تعرفون ذلك ؟

قالوا : ومن هو ؟ قال : عبدي يونس . قالوا : عبدك يونس الذي لم يزل يُرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة ؟! قال : نعم .

قالوا : يا ربنا ؛ أفلا ترحم من كان يصنع ـ أي : الأعمال الصالحة ـ في حال الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ قال : بلىٰ ، فأمر الله عز وجل الحوتَ فطرحه »[4] .

---

(١) أي : لم يرتضها ، وانظر اختلاف الروايات في هٰذا الموطن في « فتح الباري » (٦/٥٠٨) .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٢٢١٥) ، ومسلم في « صحيحه » (٢٧٤٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) انظر « فتح الباري » (٦/٥٠٨) .

(٤) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (٤٧) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وفي الباب عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وعزاه الحافظ ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (١/٤٧٤) إلى ابن أبي حاتم وغيره .

وروى الشيخان : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « **دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت** : لا إلـٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لم يضرع بها رجل مسلم في شيء قط . . إلا استجاب الله له »[1] .

وفي رواية للحاكم : « **إن من دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك . . أُعطي أجر شهيد ، وإن برأ . . برأ مغفوراً له** »[2] .

وفي رواية لابن عباس : « ما دعا بها مهمومٌ ولا مغموم ، ولا مكروبٌ ولا مديون (ثلاث مرات) . . إلا استُجيب له »[3] .

فَائِدَة
يعرف بها رخاء العام من غيره

نُقلت عن سيدي أحمد زروق ، وقيل : إنها جُرِّبت فلم تُخطىء ، وهي منظومة في قول بعضهم : [من البسيط]

انظُـرْ لـرابـعِ شَـوَّالٍ فـإنْ أَحَـداً ... أو سـابِقَيْـهِ فـرُخْـصٌ زائـدٌ وسَعَـةْ
أو أَرْبُعـاً أو خَمِيسـاً فـاللطيـفُ لنـا ... وبيـنَ بيـنَ بـإثنيـنٍ ومـا تَبِعَـهْ

(**واعلـم**) أي : تيقَّـن وتحقَّـق : (**أن مـا أخطـأك**) أي : جـاوزك مـن نعمـة ورخاء ، أو شدة وبلاء فلم يصل إليك . . (**لم يكن ليصيبك**) (اللام) لام الجحود متعلقة بمحذوف ؛ **والتقدير** : لم يكن مقدَّراً عليك ليصيبك ؛ أي : لِأَنْ يصلَ

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » (٣٥٠٥) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١٠٤١٦ ، ١٠٤١٧) ، وأحمد في « مسنده » (١/ ١٧٠) ، والبزار في « مسنده » (١١٦٣ ، ١١٨٦) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٧٠٧ ، ٧٧٢) ، والطبراني في « الدعاء » (١٢٤) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٥٠٥) و(٢/ ٣٨٢ـ ٣٨٣) جميعهم عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وفي عزو المصنف الحديث للشيخين نظر ؟!

(٢) المستدرك (١/ ٥٠٥ـ ٥٠٦) عن سيدنا سعد رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الديلمي كما في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٥٣٢٥) .

إليك ؛ لأنه بان بكونه أخطأك أنه غير مقدَّر عليك .

(**وما أصابك**) أي : لَحِقَك ووصل إليك من خيرٍ أو شر . . (**لم يكن ليخطئك**) أي : يجاوزك ويفوتك ؛ لأن بوصوله إليك بان أنه مقدَّر عليك ؛ إذ لا يصيب الإنسان إلا ما قُدِّر له أو عليه ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ .

فإذا علم الشخص ذلك . . **استراحت نفسه** ، وذهب حزنه علىٰ ما وقع من المكروه الماضي ، ولم يهتم لما يتوقعه في المستقبل .

وقد قيل في هٰذا المعنىٰ[1] : [مجزوء الخفيف]

سَيَكُـــونُ الَّـــذي قُضِـــي ... سَخِـــطَ العَبْـــدُ أَوْ رَضِـــي
فَـــدَعِ الْهَـــمَّ يَـــا فَتَـــىٰ ... كُـــلُّ هَـــمٍّ سَيَنْقَضِـــي

ويسن لمن أصيب بمصيبة أن يقول : (إنا لله وإنا إليه راجعون ، **اللهم** ؛ احتسبت مصيبتي ، فأجرني فيها ، وأبدلني بها خيراً منها) .

(**واعلم أن النصر**) من الله للعبد إنما يكون (**مع الصبر**) أي : التأني ، والتسليم لقضاء الله تعالىٰ ، والانكسار ، فمن صبر ولم يتسخَّط ، بل رضي بحكم القضاء ، واستعان بالله . . نصره الله تعالىٰ ، وأعانه وبلَّغه مرامه .

وروي عن علي كرّم الله تعالىٰ وجهه أنه قال : (**الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد**)[2] .

وقيل : (**إنَّ الصبر على الطلب** عنوان الظَّفَر ، **والصبر في المحن** عنوان الفَرَجِ)[3] .

---

(١) البيتان لمحمد بن جعفر أبي عيسى بن المتوكل كما في « تاريخ دمشق » (٥٢/ ٢٢٢ـ ٢٢٣) .
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣١٠٧٩ ، ٣٥٦٤٥) .
(٣) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٣٢٧) .

[الصبر علىٰ بلاء الحبيب علامة المحبة]

وحكي : أن الشبلي رحمه الله تعالىٰ حُبس في المارستان[1] ، فدخل عليه جماعة ، فقال لهم : (من أنتم ؟

قالوا : أحبابك جئنا زائرين لك ، فأخذ يرميهم بالحجارة وهم يهربون ، فقال لهم : **لو كنتم أحبابي . . لصبرتم علىٰ بلائي**)[2] .

واعلم : أنه لا يضرُّ في الصبر تمني زوال الألم ، ولا مجرد الشكوىٰ إذا صحَّتِ النية ؛ كقول المريض : (إني وجع) أو (وا رأساه) إذا اشتد به الألم ، أو كان يصف حاله للطبيب ، أو لغيره ليدعو له ، أو ليعلِّمه الصبر ، أو ليظهر بذلك عجزه وافتقاره إلىٰ ربّه .

ومع ذلك فالسُّنَّة في حقه : ترك التضجُّر من المرض ، ولا يكره له الأنين ، لـٰكن اشتغاله بذكر أو قرآن أولىٰ منه .

وقال وهب بن منبه رضي الله تعالىٰ عنه : (أوحى الله تعالىٰ إلىٰ داوود عليه السلام : **أسرع الناس مروراً على الصراط** . . الذين يرضون بحكمي ، وألسنتهم رطبة من ذكري)[3] .

وقال بعض السلف : (**الحياة الطيبة هي الرضا والقناعة**)[4] .

وفي الخبر : « **إذا أحبَّ الله عبداً** . . **ابتلاه** ؛ فإن صبر . . اجتباه ، وإن رضي . . اصطفاه »[5] .

---

(١) قوله : (**في المارستان**) بفتح الراء : دار المرضىٰ ؛ كما في « المختار » و« القاموس » . **اهـ مؤلف** .

(٢) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٣٢٨) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص ١٩١) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله بقضائه » (٣٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/٦٧) .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله بقضائه » (٤٢ ، ٧١) عن أبي معاوية الأسود رحمه الله .

(٥) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (١/٢٥١) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، ولم يسنده ولده كما نص الحافظ العراقي .

[البلاء علامة المحبة]

وحكي : أنَّ رجلاً طلب من زوجته ماءً ، فجاءته به فوجدته قد نام ، فقامت عند رأسه إلىٰ طلوع الفجر ، فلما استيقظ ورآها عند رأسه . . أعجبه ذلك منها ، فأراد إكرامها ، فقالت له : طلِّقني ، فكره ذلك منها ، فقالت له : **إن أردت مكافأتي . . فطلِّقني** .

فتركها وانطلق ، فعثر في الطريق ، فانكسرت رجله ، فقالت له : ارجع فلا سبيل إلىٰ طلاقك ؛ لأنك حدثتني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **من يرد الله به خيراً . . يُصِبْ منه** »[1] ولك عندي كذا وكذا سنة لم يصبك ألم ، فعلمت أنَّ الله تعالىٰ لا يحبُّك ، **فلما أصابك هـٰذا . . علمت أنّ الله يحبك**[2] .

وقيل : إن عمار بن ياسر رحمه الله تعالىٰ تزوَّج امرأةً فلم تمرض ، فطلَّقها[3] .

[البلاء مكمل للفضائل ورفعة في الدرجات]

وقال القرطبي رحمة الله تعالىٰ عليه : (أحبَّ الله تعالىٰ أن يبتلي أصفياءه ؛ تكمُّلاً لفضائلهم ورفعةً لدرجاتهم ؛ ولذا قيل : **من ظنَّ أنَّ شدة البلاء هوان بالعبد . . فقد ذهب لُبُّه** ـ أي : عقله ـ **وعمي قلبه** ؛ فقد ابتلي من الأكابر ما لا يحصىٰ .

ألا ترىٰ إلىٰ ذبح نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وقتل عمر وعثمان ، وعلي وابنه الحسين رضي الله تعالىٰ عنهم ، وضرب أبي حنيفة وحبسه وموته بالسجن ، وضرب مالك وجذب يده حتى انخلعت من كتفه ، وضرب أحمد حتىٰ أُغمي عليه وقطع من لحمه وهو حي ، وموت البويطي مسجوناً في قيوده ، ونفي البخاري من بلده ؟!)[4] .

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٥٦٤٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أورده الصفوري في « نزهة المجالس » (١/ ٧٢) .

(٣) انظر « إحياء علوم الدين » (٨/ ٣٤٦) .

(٤) انظر « فيض القدير » (١/ ٥١٩) .

وقال بعضهم : [من الطويل]

بَنَى اللهُ للأحبابِ بيتاً سماؤُه همومٌ وأحزانٌ وحِيطانُه الضُّرُّ
وأدخلَهُم فيهِ وأغلَقَ بابَهُ وقالَ لهم : مفتاحُ بابِكُمُ الصَّبْرُ

فائدة

[هل الثواب هو على المصيبة أم على الصبر عليها ؟]

اختلف العلماء : هل يثاب الشخص علىٰ نفس المصائب أو على الصبر عليها ؟

فذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالىٰ إلىٰ أنه : (إنما يُثاب على الصبر عليها ؛ لأن الثواب إنما يكون علىٰ فعل العبد ، والمصائب لا صنع له فيها)[1] .

وذهب الجمهور إلىٰ أنه يثاب عليها وهو المعتمد ؛ لحديث « الصحيحين » : « والذي نفسي بيده ؛ ما على الأرض مسلمٌ يصيبه أذىً من مرضٍ فما سواه . . إلا حطَّ الله عنه به خطاياه كما تحطُّ الشجرة اليابسة ورقها »[2] .

وفي كلام سيدي أبي الحسن الشاذلي نفعنا الله تعالىٰ به : (إنَّ من أُصيب وصبر . . حصل له ثوابان : ثواب بنفس المصيبة ، وثواب بالصبر عليها ، فإن انتفىٰ صبره : فإن كان لعذر كجنون . . فهو كذلك ، أو لجزع . . لم يحصل له ثواب الصبر) .

(وأن الفرَج) بفتحتين ؛ وهو كشف الغمِّ والهمِّ (مع الكرب) بمعنىٰ أنه يعقبه لا محالة ؛ لعدم دوامه ، لا سيما إذا اشتدَّ ؛ كما قيل[3] : [من المتقارب]

إذا تَمَّ أمرٌ بَدَا نَقْصُه تَوَقَّعْ زَوالاً إذا قِيلَ : تَمّ

---

(١) القواعد الكبرىٰ (١/١٨٩) .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٥٦٤٨) ، ومسلم في « صحيحه » (٢٥٧١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) البيت في « عيون الأخبار » (٢/٣٣٢) ، و« يتيمة الدهر » (٤/٢٥٩) .

فينبغي لمن أصابته شدَّة أن يصبر ويتوقَّع زوالها ؛ كما قال الشاعر[1] : [من الوافر]

تـوقَّـعْ صُنْـعَ ربِّـكَ سـوفَ يـأتـي ... بمـا تَهْـوَاهُ مِـنْ فَـرَجٍ قَـرِيـبِ

ولا تَيْـأَسْ إذا مـا نـابَ خَطْـبٌ ... فكَمْ في الغَيبِ مِنْ عَجَبٍ عَجِيبِ[2]

وقال غيره : [من البسيط]

لا تَجْزَعَنَّ إذا ما الأمرُ ضِقْتَ به ... ولا تَبِيتَـنَّ إلاَّ خـالِـيَ البـالِ

مـا بيـنَ طَـرْفَـةِ عَيـنٍ وانتباهَتِهـا ... يُغَيِّـرُ اللهُ مِـنْ حـالٍ إلـىٰ حـالِ

[قصص في الفرج بعد الشدة]

وحكي : (أنَّ رجلاً ركب البحر ، فكسرت سفينته فوقع في جزيرة ، فمكث ثلاثة أيام لم يأكل ولم يشرب ، فتمثَّل وقال : [من الوافر]

إذا شـابَ الغُـرابُ أتيـتُ أَهْلـي ... وصـارَ القَـارُ كـاللَّبَـنِ الحَلِيـبِ[3]

فأجابه مجيبٌ لم يره فقال : [من الوافر]

عسـى الكَـرْبُ الـذي أمسيتَ فيـهِ ... يكـونُ وراءَهُ فَـرَجٌ قَـرِيـبُ

فجاءت سفينة فحملته وأصاب خيراً كثيراً)[4] .

وحكي : (أنَّ الحجاج أمر بإحضار رجل من السجن ، فلما حضر . . أمر بضرب عنقه ، فقال : **أيها الأمير ؛ أخِّرني إلىٰ غد** . قال : ويحك !! وأيُّ فَرَجٍ في تأخير يوم ؟! ثم أمر بردِّه إلى السجن ، فسمعه يقول : [من الطويل]

عسـىٰ فـرجٌ يـأتـي بـهِ اللهُ إنَّـهُ ... لـهُ كـلَّ يـومٍ فـي خَليقَتِـهِ أَمْـرُ

---

(١) البيتان في « المنفرجتان » (١/٤٨) ، و« المجالس السنية » (ص ٥٥) .

(٢) قوله : (ناب) أي : أصاب ، و(الخطب) : الأمر الشديد ينزل . اهـ مؤلف .

(٣) قوله : (القار) : هو المسمى الآن بالزفت . اهـ مؤلف .

(٤) أخرجها ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص ١٥٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/٢٨٩) عن مسعر رحمه الله تعالىٰ .

فقال الحجاج : والله ؛ ما أخذه إلا من القرآن : ﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾)[1] .

[كلمات مجربات لسيدنا داوود وسليمان عليهما السلام]

وروي : (أنَّ مفتاح بيت المقدس كان عند سليمان بن داوود عليهما السلام ، فقام ليلةً ليفتح فتعسَّر عليه ، فاستعان بالإنس فتعسَّر عليهم ، فاستعان بالجنِّ فتعسَّر عليهم ، فجلس حزيناً كئيباً ـ أي : شديد الحزن ـ فظنَّ أنَّ ربّه قد منعه فتحَه .

فبينما هو كذلك . . إذ أقبل شيخ مُتّكِىء علىٰ عصاً له وقد طعن في السن ، وكان من جلساء داوود عليه الصلاة والسلام ، فقال : يا نبيَّ الله ؛ ما لي أراك حزيناً ؟!

فقال : قمت لهٰذا الباب أفتحه فتعسَّر عليَّ ، فاستعنت بالإنس والجن فلم يُفتح .

فقال الشيخ : ألا أعلِّمك كلمات كان أبوك يقولهنَّ عند كربه فيُكشف عنه ؟ قال : بلىٰ .

قال : قل : اللهم ؛ بنورك اهتديت ، وبفضلك استغنيت ، وبك أصبحت وأمسيت ، ذنوبي بين يديك ، أستغفرك وأتوب إليك ، فلما قالها . . فُتح الباب)[2] .

[دعوة المضطر مجابة بإذن الله]

وحكي : أنَّ عاصم بن إسحاق قال : (أصابتني خصاصة ـ أي : فقر ـ فجئت إلىٰ بعض إخواني فأخبرته بأمري ، فرأيت في وجهه الكراهة ، فخرجت من منزله إلى الجبَّانة ، وصلَّيت ما شاء الله ، ثم وضعت وجهي على الأرض وقلت : يا مسبِّب الأسباب ، يا فاتح الأبواب ، يا سامع الأصوات ، يا مجيب الدعوات ، يا قاضي الحاجات ؛ اكفني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عمَّن سواك .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (١٢/ ١٤٧) ، والشبرخيتي في « الفتوحات الوهبية » (ص ١٩١) ؛ وفيهما : (أنه أمر بإطلاقه) .

(٢) أوردها العليمي في « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » (١/ ١٢٣) .

قال : فوالله ؛ ما رفعت رأسي حتىٰ سمعت وقعةً بقربي ، فرفعت رأسي ؛ فإذا بحِدَأةٍ طرحت كيساً أحمر ؛ فإذا فيه ثمانون ديناراً ، وجوهراً ملفوفاً في قطنة ، فبعتُ الجوهر بمال عظيم ، واشتريت عقاراً ، وحمدت الله تعالىٰ علىٰ ذلك)[1] .

(وأن مع العسر) أي : الضِّيق والشدة (يسراً) أي : غنىً وسهولة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[2] .

وعن أنس رضي الله تعالىٰ عنه : أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « لو جاء العسر فدخل هـٰذا الجحر . . لجاءه اليسر حتىٰ يدخل عليه فيخرجه »[3] .

والتنوين في : (يسراً) للتعظيم ، كأنه قال : وإنَّ مع العسر يسراً عظيماً ، والمقصود من المعيّة في هـٰذا كاللذينِ قبله : المبالغة في معاقبة أحدهما الآخر ، واتصاله به ، حتىٰ جعله كالمقارن .

[لن يغلب عسرٌ يسرين]

وروي : أن المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم قال : « لن يغلب عسر يسرين »[4] أي : كما دلَّ عليه قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ؛ لأنَّ النكرة المعادة غيرُ الأولىٰ ، والمعرفة المعادة عينُ الأولىٰ غالباً فيهما .

وما أحسن قول القائل رحمه الله تعالىٰ[5] : [من الكامل]

لا تجـزعـنَّ لعُسْـرَةٍ مِـنْ بَعْـدِهـا ... يُسْـرانِ وَعْـداً ليـسَ فيـه خِـلافُ

---

(١) عزاها الدميري في « حياة الحيوان » (٢/ ٢٢) إلى النسفي في « فضائل الأعمال » .

(٢) قال العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالىٰ في « الفتح المبين » (ص ٣٨١) : (ومن لطائف اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر : أن الكرب إذا اشتد وتناهىٰ . . أيس العبد من جميع المخلوقين ، وتعلّق قلبه بالله سبحانه وتعالىٰ وحده ، وهـٰذا هو حقيقة التوكل ، وقد قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾) .

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٢٥٥) ، وفيه حميد بن حماد .

(٤) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٥٢٨) عن الحسن مرسلاً ، وصح موقوفاً علىٰ سيدنا عمر وعلي رضي الله عنهما .

(٥) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٩٢) .

كَمْ عُسْرةٍ ضاقَ الفتىٰ لنُزُولِها ... للهِ فــي أعطــافِهــا ألطــافُ[1]

وقال آخر : [من الطويل]

إذا لاحَ عُسْرٌ فـارْجُ يُسْراً مُسَلْسَلاً ... ولا تَجْزَعنَّ الدَّهْرَ تَزْكُو مفضَّلا

فإنَّ المُعِزَّ العَدْلَ قِدْماً لقدْ قَضَىٰ ... بيُسْـرَيـنِ بعـدَ العُسْـرِ فينـا تَفَضُّـلا

وما ألطف قول غيره[2] : [من الهزج]

إذا اشْتَــدَّتْ بــكَ البَلْــوىٰ ... فَفَكِّــرْ فِــي (أَلَــم نَشْــرَحْ)

فعُسْــرٌ بيــنَ يُسْــرَيــنِ ... إذا فكَّــرْتَــه فــافْــرَحْ

وحكي عن بعضهم أنه قال : (كنت ذات يوم في بادية وأنا بحالة من الغمِّ ، فألقي في رُوعي ـ بضم الراء ؛ أي : قلبي ـ بيت من الشعر : [من الهزج]

أرى المــوت لمــن أصبـ ... ـــح مغمــومــاً لــه أَرْوَحْ

فلما جنَّ الليل . . سمعت هاتفاً في الهواء يقول : [من الهزج]

أَلا يــا أيُّهــا المَــرْءُ الـ ... ـــذي الهَــمّ بــه بَــرَّحْ

وقــدْ أَنْشَــدَ بَيْتــاً لــم ... يَــزَلْ فــي فِكْــرِهِ يَسْنَــحْ

إذا اشْتَــدَّتْ بــكَ العُسْــرَىٰ ... فَفَكِّــرْ فــي (أَلَــم نَشْــرَحْ)

فَعُسْــرٌ بيــنَ يُسْــرَيــنِ ... إذا فَكَّــرْتَــهُ فــافْــرَحْ

فــإنَّ العُسْــرَ مَقْــرُونٌ ... بِيُسْــرَيــنِ فــلا تَتْــرَحْ[3]

فحفظتها ، ففرج الهمّ عني)[4] .

اللهم فرّج همومنا يا كريم

---

(١) قوله : (في أعطافها) أي : خلالها . اهـ مؤلف .

(٢) انظر « تفسير الثعلبي » (١٠/ ٢٣٥) .

(٣) قوله : (برّح) بتشديد الراء ؛ أي : اشتد ، وقوله : (يسنح) أي : يعرض ، وقوله : (تترح) أي : تحزن . اهـ مؤلف .

(٤) القصة أخرجها الواحدي في « الوسيط » (٤/ ٥١٩ ـ ٥٢٠) ، وذكرها السبكي في « الطبقات » (٥/ ٢٤٢ـ ٢٤٣) عن ابن العتبي ، وانظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٩٢) عن العتبي .



الحديث العشرون

[الحياءُ منَ الإيمانِ]

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ **عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو ٱلْأَنْصَارِيِّ ٱلْبَدْرِيِّ** رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ ٱلنَّاسُ مِنْ كَلَامِ ٱلنُّبُوَّةِ ٱلْأُولَىٰ : إِذَا لَمْ تَسْتَحِ . . فَٱصْنَعْ مَا شِئْتَ » **رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ**[1] .

وفي نسخة : (الحديث الموفي عشرين) .

(**عن أبي مسعود عُقْبَةَ**) بضم العين وسكون القاف (**ابن عمرو الأنصاري**) نسبةً إلى الأنصار ؛ وهم الأوس والخزرج ، سُمُّوا أنصاراً ؛ لأنهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(**البدري**) نسبةً إلىٰ بدر ؛ محلّ الوقعة المشهورة ، **التي هي أول وقعة قاتل النبيُّ صلى الله عليه وسلم فيها المشركين** ، وقد حضرها عُقْبةُ ؛ كما ذهب إليه البخاري ومسلم[2] .

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٨٣ ، ٣٤٨٤ ، ٦١٢٠) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٢/ ٤٨٤) : (**أبو مسعود البدري** : مشهور بكنيته ، اتفقوا علىٰ أنه شهد العقبة ، **واختلفوا في شهوده بدراً** ، فقال الأكثر : نزلها فنُسب إليها ، **وجزم البخاري بأنه شهدها** ، واستدل بأحاديث أخرجها في « صحيحه » في بعضها التصريح بأنه شهدها ؛ **منها** : حديث عروة بن الزبير ، عن بشير بن أبي مسعود قال : أخَّر المغيرة العصر ، فدخل عليه أبو مسعود عقبة بن عمرو جد زيد بن حسن ، **وكان شهد بدراً** . **وقال أبو عتبة بن سلام** ، **ومسلم في « الكنىٰ »** : شهد بدراً . **وقال ابن البرقي** : لم يذكره ابن إسحاق فيهم ، وورد في عدة أحاديث أنه شهدها . **وقال الطبراني** : أهل الكوفة يقولون شهدها ، ولم يذكره أهل المدينة فيهم . **وقال ابن سعد عن الواقدي** : ليس بين أصحابنا اختلاف في أنه لم يشهدها . وقيل : إنه نزل ماءً ببدرٍ فنُسب إليها ، وشهد أُحداً وما بعدها ، ونزل الكوفة . . .) .

وكان عدد أهلها رضي الله تعالىٰ عنهم ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً على الصحيح ، بشَّرهم المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم بالجنة[1] ، وقاتلَتْ معهم الملائكة ، ودعت لهم بالمغفرة .

[من المجربات استجابة الدعاء عند ذكر أسماء أهل بدر]

وذكر العلماء : **أنَّ الدعاء عند ذِكْرهم مستجاب** ، وقد جُرِّب ذلك .

حكي عن بعضهم أنه قال : كتبت أسماءهم وحفظتها ، وكنتُ أسأل الله بهم الفتح عقب كلِّ صلاة ، فلم يمضِ عليَّ إلا أيامٌ قلائل حتىٰ رزقني الله الفتح ، فما كنت أسمع شيئاً . . إلا حفظته ، ولا نظرت شيئاً . . إلا فهمته ، ولا جعلتُ يدي علىٰ رأس مريض وتلوت أسماءهم بنية خالصة . . إلا شفاه الله تعالىٰ ، وإن حضر أجلُه . . خَفَّف عنه .

[من ترجمة سيدنا أبي مسعود البدري رضي الله عنه]

وذهب الجمهور إلىٰ أن عقبة المذكور لم يشهد هـٰذه الوقعة ، وإنما نُسب إلىٰ بدر ؛ لأنه سكنها ، ونزل الكوفة وابتنىٰ بها داراً ، واستُخلف عليها .

وكان يقول : بينما أنا أضرب غلاماً لي . . فسمعت صوتاً من خلفي : « اعلم أبا مسعود » (مرتين) فالتفتُّ ؛ فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألقيتُ السَّوط ، فقال : « **والله ؛ لله أقدرُ عليك منك علىٰ هـٰذا** » .

وفي روايةٍ : فالتفتُّ ؛ فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « اعلم

---

(١) أخرج البخاري (٣٧٦٢) ، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث طويل في قصة سيدنا حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه عن سيدنا علي رضي الله عنه ؛ **وفيه** : فقال عمر : إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فلِأضربَ عنقه ؟ فقال : « **أليس من أهل بدر ؟!** » فقال : « **لعل الله اطلع إلىٰ أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم** ؛ فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم » فدمَعَتْ عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم .

يا أبا مسعود : أن الله أقدر عليك منك علىٰ هـٰذا الغلام »[1] .

فقلت : هو حرٌّ لوجه الله ، قال : « **أما لو لم تفعل** . . **للفحتك النار** »[2] أي : أحرقتك .

توفي بالمدينة ـ وقيل : بالكوفة ـ سنة إحدىٰ أو اثنين وأربعين[3] ، وروي له مئة حديث وحديثان[4] .

(**رضي الله**) تعالىٰ (**عنه قال** : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** : **إن مما أدرك الناس**) الجار والمجرور خبر (إن) ، واسمها قوله الآتي : « إذا لم تستح . . . » إلخ علىٰ تقدير القول ؛ أي : قولَهم : إذا لم تستح ، أو علىٰ إرادة اللفظ ؛ أي : هـٰذا اللفظ .

ويصح أن تجعل (من) تبعيضية ، فتكون اسم (إن) أي : إن بعضَ ما أدرك ، وجملة (إذا لم تستح . . .) إلخ هي الخبر ، و(الناس) بالرفع كما هو الرواية فاعل (أدرك) ، والعائد علىٰ (ما) محذوف .

والتقدير : إن مما أدركه الناس ؛ أي : بلغهم وأحاطوا به .

وبيَّن ذلك بقوله : (**من كلام النبوة الأولىٰ**) أي : من كلام أصحابها ، فهو علىٰ حذف مضاف ، **والمراد بالنبوة الأولى** : النبوة السالفة قبل نبيِّنا صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه جاء في شريعة آدم ، واتفقت عليه الأنبياء بعده إلىٰ أن أدركناه في شريعتنا ، فلم يُنسخ في شريعة من الشرائع ؛ لأنه أمرٌ قد عُلم صوابه ، وظهر

---

(١) أخرج مسلم الروايتين الأولىٰ (١٦٥٩/٣٦) ، والثانية (١٦٥٩) .
(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » (١٦٥٩/٣٥) .
(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في « الإصابة » (٢/ ٤٨٤) : (**واستخلف مرة على الكوفة** ، قال خليفة : مات قبل سنة أربعين ، وقال المدائني : مات سنة أربعين . **قلت** : **والصحيح** أنه مات بعدها ؛ فقد ثبت **أنه أدرك إمارة المغيرة** ، وذلك بعد **سنة أربعين قطعاً** ، قيل : مات بالكوفة ، وقيل : مات بالمدينة) رضي الله عنه وأرضاه .
(٤) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٥٦١) ، و« أسد الغابة » (٤/ ٥٧) ، (٦/ ٢٨٦) ، و« الإصابة » (٢/ ٤٨٣) .

فضله ، **واتَّفقتْ علىٰ حسنه العقول** ، **وتلقَّتْه جميع الأمم بالقبول** .

(**إذا لم تستحِ**) بحذف الياء للجازم مع كسر الحاء مخففة ، وبإثبات الياء مكسورة مع سكون الحاء ، ويكون الجازم حذف الياء الثانية ؛ لأنه من (استحيا) وهو الرواية كما قيل[1] ، والأول من (استحىٰ) .

[الاختلاف في الأمر من قوله : (**فاصنع ما شئت**)]

(**فاصنع**) وفي رواية : (فافعل)[2] (**ما شئت**) أي : أردت .

وقد اختلف العلماء في معنىٰ ذلك ؛ فقال بعضهم : إن هـٰذا الأمر للتهديد والتوبيخ ، **والمعنىٰ** : إذا نزع منك الحياء وكنت لا تستحي من الله ولا تراقبه.. فاصنع ما تهواه نفسك من الرذائل ؛ فإنَّ الله تعالىٰ يجازيك عليه .

وقيل : إنه أمر ، ومعناه الخبر ؛ فكأنه قال : إذا لم تستح.. فعلت ما شئت حتىٰ تقع في كلِّ فُحشٍ ومنكر ؛ **لأنَّ عدم الحياء يوجب الاستهتار** ، **والانهماك في هَتْك الأستار** .

قال بعضهم[3] : [من الوافر]

إذا لَـمْ تَخْشَ عـاقبـةَ اللَّيـالِـي ... ولَـمْ تَسْتَحْـيِ فـاْفْعَـلْ مـا تَشـاءُ

فـلا واللهِ مـا فـي العَيْـشِ خَيـرٌ ... ولا الـدُّنْيـا إذا ذَهَـبَ الحَيَـاءُ

وقال آخر[4] : [من الطويل]

إذا لم تَصُنْ عِرْضاً ولم تَخْشَ خَالِقاً ... وتَسْتَحِ مَخْلُوقاً فَمَا شِئْتَ فاْصْنَعِ

---

(١) نص علىٰ ذلك العلامة المدابغي رحمه الله تعالىٰ في « حاشيته علىٰ شرح ابن حجر » ـ كما في هامش « الفتح المبين » (ص ٣٨٣) ـ فقال : (ثم إن الرواية : « لم تستحْيِ » بإسكان الحاء وكسر الياء خلافاً لما يوهمه ظاهر كلام الشارح ملا علي القاري) .

(٢) أخرجها البخاري (٣٤٨٣) ، وأبو داوود (٤٧٩٧) عن سيدنا أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه .

(٣) البيتان في « ديوان أبي تمام بشرح التبريزي » (٤/ ٢٩٧) .

(٤) انظر « روضة العقلاء » (ص ٥٩) وقد عزاه صاحب «بهجة المجالس» (١/ ٥٩٣) لأبي دلف العجلي .

وقيل : إنَّ هـٰذا الأمر للجواز ، **والمعنى** : انظر إلىٰ ما تريد أن تفعله : فإن كان ممَّا لا يُستَحَىٰ من الله ومن الناس في فعله ؛ لكونه من أفعال الطاعات ، أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة . . فاصنع منه ما شئت ، وإن كان ممَّا يُستَحَىٰ من الله ومن الناس في فعله . . فدعه .

قيل : وعلىٰ هـٰذا مدار الأحكام من حيث إنَّ الفعل : إما أن يُستَحَىٰ منه ؛ وهو الحرام والمكروه وخلاف الأولىٰ ؛ وفِعْلُ ذلك مذموم .

أو لا يُستَحَىٰ منه ، وهو الواجب والمندوب والمباح ؛ وفِعْلُ الأوَّلين مشروعٌ ، والثالثِ سائغٌ ؛ أي : جائز .

[الحياء وأنواعه والممدوح والمذموم منه]

والحياء لغةً : انقباضٌ وخشيةٌ يجدها الإنسان من نفسه عندما يُطلَع منه علىٰ قبيح .

واصطلاحاً : خُلُقٌ يبعث علىٰ تَرْك القبيح ، وفِعْل المليح ، **وهـٰذا هو الممدوح** الآتي في كلامه صلى الله عليه وسلم ؛ كقوله : « الحياء خيرٌ كله »[1] ، « الحياء لا يأتي إلا بخير »[2] .

وأما الخجل والعجز الذي يوجب التقصير في شيء من حقوق الله تعالىٰ ، أو حقوق عباده . . **فهو مذموم** ، وليس من الحياء في الحقيقة ، بل هو جُبنٌ ومهانة ، وإطلاق الحياء عليه مجازٌ لمشابهته له ؛ ولذلك قيل في حديث : « **إنَّ ديننا هـٰذا لا يصلح لمستحي** »[3] أي : **حياء مذموماً يضرُّه في دينه** ؛ كأن يؤدِّي إلىٰ تَرْك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٣٧/ ٦١) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٦١١٧) ، ومسلم في « صحيحه » (٣٧) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٣) أورده في « فيض القدير » (٢/ ٢٠٤) .

أو في دنياه ؛ كأن يأتيه من يطلب منه قرضاً وهو يعلم سوء معاملته ، أو من يستعير منه دابة وهو يعلم أنه لا يرفُق بها ، فيحمله الحياء على الإعطاء وعدم المنع ، فيندم بعد ذلك .

ومثل ما ذكر : الحياءُ في العلم المانع من سؤاله عن مهمَّات المسائل في الدِّين إذا أشكلت عليه ؛ **فهو مذموم** ، ولذا قالت عائشة رضي الله تعالىٰ عنها : (**نِعْم النساءُ نساء الأنصار ؛ لم يمنعهنَّ الحياء أن يسألْنَ عن أمر دينهنَّ**)[1] .

وجاء في « الصحيحين » : أنَّ أم سليم رضي الله تعالىٰ عنها جاءت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : **إن الله لا يستحي من الحق** ، هل على المرأة من غسلٍ إذا هي احتلمت ؟ قال : « **نعم ؛ إذا رأت الماء** »[2] يعني : المَنِيّ ؛ فلم تستحِ من السؤال عن دينها .

واعلم : أن أقلَّ الحياء من الله : هو ألاَّ يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك ، **وكماله** : ألاَّ تريد بقلبك سواه .

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « **استحيوا من الله حقَّ الحياء** » وردَّد ذلك مراراً ، قالوا : إنا لنستحي يا نبيَّ الله والحمد لله ، فقال : « **ليس ذلك ؛ ولـٰكن الاستحياء من الله حقّ الحياء** : أن تحفظ الرأس وما وعىٰ ، والبطن وما حوىٰ ، وأن تذكر الموت والبلىٰ ، فمن فعل ذلك . . فقد استحىٰ من الله حقَّ الحياء » وما زال يُكرِّر ذلك حتىٰ أبكاهم[3] .

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً (كتاب العلم باب : الحياء في العلم) قبل الحديث رقم (١٣٠) ، ومسلم (٦١/٣٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠) وأطرافه ، ومسلم (٣١٣) ؛ **وتتمته في رواية البخاري** : فغطَّتْ أم سلمة ـ تعني : وجهها ـ وقالت : يا رسول الله ؛ وتحتلم المرأة ؟! قال : « **نعم ، تربت يمينكِ ؛ فبِمَ يشبهها ولدها ؟** » .

(٣) أخرجه الترمذي في « سننه » (٢٤٥٨) ، وأحمد في « مسنده » (١/ ٣٨٧) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٤٦١) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٥٠٤٧) ، والطبراني في « الكبير » (١٠/ ١٥٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣٢٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وفي الحديث : « **أربع من سنن المرسلين** : التعطر ، والنِّكاح ، والسِّواك ، والحياء »[1] .

وقال الفضيل رحمه الله تعالىٰ : (**خمسة من علامات الشقاء** : القسوة في القلب ، وجمود العين ـ أي : قِلَّة دمعها من خشية الله تعالىٰ ـ وقِلَّة الحياء ، والرغبة في الدنيا ، وطول الأمل)[2] .

وروي عن عمر رضي الله تعالىٰ عنه : أنه دخل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يبكي فقال : **ما يبكيك يا رسول الله** ؟! قال : « أخبرني جبريل أن الله يستحي من عبدٍ يشيب في الإسلام أن يعذِّبه ، **أفلا يستحي الشيخ من الله تعالىٰ أن يُذنب وقد شاب في الإسلام** ؟! »[3] .

وروي عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً إلىٰ غنمٍ له وفيها أجير له يرعاها ؛ وإذا بالأجير متجرِّدٌ فيها ـ أي : من ثيابه ـ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : « كم لك عندنا من أجرك ؟ » فقال : يا رسول الله ألم أُحسنِ الرعاية والولاية ؟ قال : « **إني لا أحب أن يكون فيها من لا يستحي من الله عز وجل إذا خلا** »[4] .

وقيل : **إنَّ من علامات الحياء** : ألاَّ يخاف الشخص غير الله ؛ **كما حكي** : أن

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » (١٠٨٠) ، وأحمد في « مسنده » (٥/٤٢١) عن سيدنا أبي أيوب رضي الله عنه ، وفي الباب عن غير واحد من الصحابة .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٣٥٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٣٧٥) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٤٨/٤١٦) .

(٣) ذكر المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٢٦٨٠) وعزاه للخليلي والرافعي عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخبرني جبريل عن الله تعالىٰ أنه قال : وعزتي وجلالي ، وارتفاع مكاني ، وفاقة خلقي إليَّ ، واستوائي علىٰ عرشي ؛ **إني لأستحي من عبدي وأَمَتي يشيبان في الإسلام ثم أعذبهما** ، ثم بكىٰ » فقيل : يا رسول الله ؛ ما يبكيك ؟ قال : « **بكيت لمن يستحي الله منه ولا يستحي من الله !!** » ، وأورده العلامة الشبرخيتي رحمه الله تعالىٰ بلفظه في « الفتوحات الوهبية » (ص ١٩٥) .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٣٧٠) .

إنساناً خرج ليلةً ، فمرَّ برجلٍ نائمٍ وفرسه عند رأسه ترعىٰ ، فحرَّكه وقال له : (ألا تخاف أن تنام في هـٰذا الموضع المخوف ؟! فرفع رأسه وقال : **أستحي منه أن أخاف غيره ، ووضع رأسه ونام**)[1] .

ثم إنَّ هـٰذا الحديث حديث عظيم عليه مدارُ الإسلام .

(**رواه البخاري**) رحمه الله تعالىٰ في (ذكر بني إسرائيل) ، إلا لفظة (الأولىٰ) ؛ فإنها ليست في روايته[2] ، وإن كان ظاهر كلام المصنِّف خلافه حيث نسبه كلَّه لها ، وهـٰذه اللفظة ثابتةٌ في رواية أحمد وأبي داوود وابن ماجه عن الصحابي المذكور[3] ، وكذا في رواية شعبة رحمه الله تعالىٰ[4] .

[إلحاح في غير موضعه وجواب في موضعه]

حكي : أن بعضهم سافر إليه[5] ليسمع منه وكان في البصرة ، فصادفه قد انصرف من مجلسه ، فسأل عن منزله فدُلَّ عليه ، فوجده مفتوحاً ، فدخله من غير إذن ، فوجد شعبة جالساً يبول ، فقال له : السلام عليكم ، رجل غريب ، قدمتُ من بلدة بعيدة ؛ لتحدِّثني بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستعظم ذلك شعبة وقال : **يا هـٰذا ؛ دخلت منزلي بغير إذني ، وتكلمني علىٰ مثل هـٰذا الحال** ؟!

فقال : إني خشيت الفوت ـ أي : الموت ـ فقال : تأخَّر عني حتىٰ أصلح من

---

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٣٧٤) .

(٢) هي ليست في روايته في هـٰذا الموضع ؛ أعني الحديث رقم (٣٤٨٣ ، ٣٤٨٤) ، لـٰكنها عنده برقم (٦١٢٠) ، فليتنبه .

(٣) انظر « سنن أبي داوود » (٤٧٩٧) ، « سنن ابن ماجه » (٤١٨٣) ، « مسند أحمد » (٤/ ١٢١) و(٥/ ٢٧٣) ، و« صحيح ابن حبان » (٦٠٧) ، وغيرها ، بذكر لفظة : (الأولىٰ) في الحديث ، وهي في « البخاري » أيضاً كما نُبِّه عليه .

(٤) أي : عند البخاري برقم (٣٤٨٤) ، فقد ساقه من طريق شعبة بسنده ، وليس فيه لفظة : (الأولىٰ) ، وقد أعاده برقم (٦١٢٠) بسند الحديث الأول (٣٤٨٣) من طريق أحمد بن يونس بسنده ، وفيه اللفظة كما تقدم .

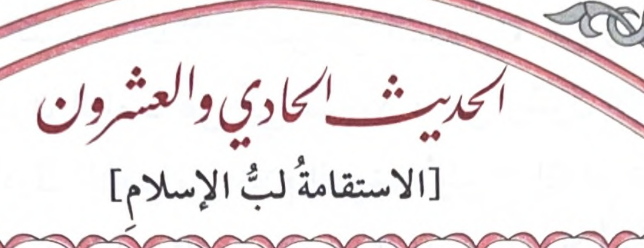
(٥) أي : إلى الإمام شعبة رحمه الله تعالىٰ .

شأني ، فلم يفعل : واستمرَّ في الإلحاح ، وشعبة يخاطبه وذكره في يده يستبرىء !!

فلما أكثر . . قال : اكتب : حدثنا منصور بن المعتمر ، عن رِبْعي بن حِراش ـ بكسر الراء والحاء وسكون الباء ـ عن أبي مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولىٰ** : إذا لم تستحِ . . فاصنع ما شئت » ثم قال : **والله ؛ لا أحدثك بعد هٰذا الحديث ، ولا أُحدِّث قوماً تكون فيهم**[1] .

❋ ❋ ❋

(١) ذكرها في « العجالة في الأحاديث المسلسلة » (ص ٦٤) ؛ **وفيه** : (وشعبة ذكره في يده يستبرىء ، ويجاريه حتىٰ فرغ ، فلما أكثر . . .) ، وفي « الفتوحات الوهبية » (ص ١٩٥) .



الحديث الحادي والعشرون

[الاستقامةُ لبُّ الإسلام]

عَنْ أَبِي عَمْرٍو ـ وَقِيلَ : أَبِي عَمْرَةَ ـ **سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ٱلثَّقَفِيِّ** رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ قُلْ لِي فِي ٱلإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَكَ ، قَالَ : « قُلْ : آمَنْتُ بِٱللهِ ، ثُمَّ ٱسْتَقِمْ » **رَوَاهُ مُسْلِمٌ**[1] .

(**عن أبي عمرو**) بالواو (**وقيل : أبي عمرة**) بالهاء (**سفيان**) بتثليث السين ، والضمُّ أشهر ، وهو الرواية (**ابن عبد الله الثقفي**) نسبةً لثقيف قبيلة مشهورة ، ويقال له : الطائفي ؛ لأنه معدود من أهل الطائف بلدة معروفة (**رضي الله**) تعالىٰ (**عنه**) استعمله عمر رضي الله تعالىٰ عنه علىٰ صدقات الطائف .

ومروياته خمسة أحاديث[2] ، روىٰ مسلم منها حديثاً واحداً ؛ وهو قول المصنف :

(**قال : قلت : يا رسول الله ؛ قل لي في الإسلام**) أي : في دينه وشريعته (**قولاً**) أي : لفظاً جامعاً لأموره كافياً واضحاً بحيث (**لا أسأل عنه أحداً غيرَك**) أي : لا أحتاج فيه إلىٰ سؤال أحدٍ غيرك ؛ لما اشتمل عليه من بدائع الإحاطة والشمول ، ونهاية الإيضاح والظهور .

(**قال**) رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**قل**) أي : يا سفيان : (**آمنت بالله**)

---

(١) صحيح مسلم (٣٨) .

(٢) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٢٩٥) ، و« أسد الغابة » (٢/٤٠٥) ، و« الإصابة » (٢/٥٣) .

أي : جدِّدْ إيمانك به حال كونك ذاكراً بلسانك ، ومتذكِّراً بجنانك ؛ أي : قلبك .

وقيل : **إن المعنىٰ** : دُمْ علىٰ إيمانك بالله . وقيل : **معناه** : زد في إيمانك بالله ؛ بالتفكّر في مصنوعاته .

[تعريف الاستقامة وأنها عين الكرامة]

(**ثم استقم**) علىٰ فعل المأمورات واجتناب المنهيات[1] ، **وغاية الاستقامة ونهايتُها** : ألاّ يلتفت العبد إلىٰ غير الله تعالىٰ ؛ ولذا قيل : **لا يُطيق الاستقامة إلا الأكابر** ؛ لأنها لا تحصل إلا بالخروج عن المألوفات ، ومفارقة العادات ، والقيام بين يدي الله تعالىٰ علىٰ حقيقة الصدق .

وقيل : (**هي توبة بلا إصرار** ، وعمل بلا فتور ، **وإخلاص بلا التفات** ، ويقين بلا تردُّد ، **وتفويض بلا تدبير** ، وتوكُّل بلا وهم)[2] .

وقيل : (**هي المتابعة للسنة المحمدية ، مع التخلُّق بالأخلاق المرضية**)[3] .

وقيل : (إنها درجةٌ بها كمال الأمور وتمامها ، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ، ومن لم يكن مستقيماً . ضاع سعيه وخاب جدُّه)[4] .

ومن ثم قيل : (**الاستقامة خير من ألف كرامة**)[5] .

وما أكرم الله تعالىٰ عبداً بكرامة خير من الاستقامة ، **فكن صاحب الاستقامة**

---

(١) **الاستقامة لغة** : ضد الاعوجاج ، **واصطلاحاً** : فعل المأمورات عقداً بالجنان ، وقولاً باللسان ، وفعلاً بالأركان ، واجتناب المنهيات ، وهي مأخوذة من قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ قال سيدنا عمر رضي الله عنه : (**استقاموا والله علىٰ طاعته ، ولم يروغوا روغان الثعالب**) أخرجه أحمد في « الزهد » (٦٠١) . وكان الحسن البصري رحمه الله إذا قرأ هٰذه الآية . . قال : (**اللهم ؛ أنت ربنا فارزقنا الاستقامة**) انظر « جامع العلوم والحكم » (١/٥٠٨ ـ ٥٠٩) .

(٢) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٩٦) .

(٣) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ١٩٦) .

(٤) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٣٥٦) .

(٥) انظر « الجواهر البهية » (ص ١٥٨) ، و« المجالس السنية » (ص ٥٩) .

لا طالب الكرامة ؛ إذ ربَّما رُزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة .

ألا ترىٰ أنه لم يُنقل عن الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم إلا القليل من الكرامات[1] ، ونُقل عن غيرهم من المتأخرين أكثر من ذلك ، مع أن الصحابة كانوا في أعلىٰ درجات الاستقامة ؟!

فعلم من ذلك : أنَّ ظهور الكرامة وإن دلَّ على الاستقامة . . لا يدلُّ علىٰ كمالها .

قال سيدي أبو العباس المرسي نفعنا الله تعالىٰ به : (**ليس الشأن** مَن تُطوىٰ له الأرض فإذا هو بمكة وغيرها من البلدان ، **إنما الشأن** مَن تُطوىٰ عنه أوصاف نفسه فإذا هو عبدٌ عند ربه)[2] .

وذُكر عند سهل بن عبد الله الكرامات فقال : (**وما الكرامات ؟!** هي أشياء تنقضي لوقتها ، **ولـٰكن أكبر الكرامات** : أن تبدِّل خُلُقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخُلُق محمود)[3] .

وقيل : إنَّ ظهور الكرامة **لا يدلُّ علىٰ أفضلية صاحبها** ، بل علىٰ فضله ، **وإنما الأفضلية تكون بقوَّة الإيمان** ، وكمال العرفان ، وتسليم الأمور للملك الدَّيَّان[4] ، واستعمال الجوارح في خدمته ، مع الأدب معه ، ولزومِ خشيته .

---

(١) **من هـٰذه الكرامات** : ما جرىٰ لسيدنا خبيب بن عدي رضي الله عنه حين أُسر من إكرام الله له بقطف من العنب ، ولا عنب في مكة ، ومن تبليغ صوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ابتلاع الأرض له ، وما جرىٰ لسيدنا عاصم من حماية الزنابير لرأسه وحمايتها له ، وما جرىٰ لسيدنا عمر رضي الله عنه عندما كان يخطب ونادىٰ : (يا سارية ؛ الجبل) ومن إرساله رسالة إلى النيل . . . إلىٰ غير ذلك من كرامات الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

(٢) أورده بنحوه الشعراني في « الطبقات » (٢/ ١٣) ، والمناوي في « الطبقات » (٢/ ٣٤١) .

(٣) انظر « الطبقات » للمناوي (١/ ٦٤٣) .

(٤) قوله : (**الديان**) له معان ؛ **منها** : القهار ، **ومنها** : المجازي الذي لا يضيع عملاً ، بل يجزي بالخير والشر . **اهـ مؤلف** .

[كرامة لسعيد بن جبير ومحاورته مع الحجاج]

وممن كان علىٰ هـٰذه الحالة : سيدنا سعيد بن جبير رضي الله تعالىٰ عنه ونفعنا به .

حكي : أنَّ الحجَّاج بن يوسف ـ عامله الله بما يستحقه ـ لما بلغه أمر هـٰذا السيد . . أرسل إليه قائداً يسمَّى المتلمس بن الأخوص[1] ومعه عشرون رجلاً من أهل الشام من خاصَّة أصحابه ، فبينما هم يطلبونه . . إذا هم براهبٍ في صومعةٍ له ، فسألوه عنه فقال لهم : صِفوه لي ، فوصفوه له ، فدلَّهم عليه ، فانطلقوا ، **فوجدوه ساجداً يناجي بأعلىٰ صوته** ، فدنوا منه ، فسلَّموا عليه ، فرفع رأسه فأتمَّ بقية صلاته ، ثم ردَّ عليهم السلام ، فقالوا له : أرسلنا الحجاج إليك فأجبه .

قال : **ولا بُدَّ من الإجابة** ؟ قالوا : لا بُدّ .

فحمد الله وأثنىٰ عليه ، وصلَّىٰ علىٰ نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قام فمشىٰ معهم حتى انتهىٰ إلىٰ دير الراهب ، فقال الراهب : يا معشر الفرسان ؛ أصبتم صاحبكم ؟ قالوا : نعم .

فقال لهم : اصعدوا الدير ؛ فإن اللبوة والأسد يأويان حول الدير[2] ، فعجِّلوا الدخول قبل المساء ، ففعلوا ذلك ، وأبىٰ سعيد أن يدخل الدير .

فقالوا له : ما نراك إلاَّ تريدُ الهرب منا ؟ قال : **لا ؛ ولـٰكن لا أدخل منزل مشرك أبداً**[3] .

---

(1) كذا بالخاء في المخطوط ، وبالحاء في « الحلية » (٤/٢٩١) ، و« تهذيب الكمال » (١٠/٣٦٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤/٣٢٨) .

(2) قوله : (**اللبوة**) هي أنثى الأسد . **اهـ مؤلف** .

(3) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (١/١١٠) عن سيدنا عاصم بن عمرو رضي الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفراً ستة من أصحابه ، وأمَّر عليهم مرثد بن أبي مرثد ، فيهم عاصم بن ثابت وخالد بن البكير ، فلما كانوا بالرجيع . . استصرخ عليهم هذيل ، فأما مرثد وعاصم فقالوا : (**والله ؛ لا نقبل لمشرك عهداً**) وكان عاصم قد أعطى الله عهداً : (**لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك**) تنجساً منهم ، فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه : أن الدَّبْر منعه : (حفظ اللهُ العبد المؤمن ، كان عاصم قد وفىٰ لله في حياته فمنعه الله منهم بعد وفاته كما امتنع منهم في حياته) .

قالوا : فإنا لا ندعك ـ أي : نتركك ـ فإن السباع تقتلك .

قال سعيد : **إنَّ معي ربي يصرفها عني** ، ويجعلها حرساً حولي تحرسني من كل سوء إن شاء الله تعالىٰ ، قالوا : أفأنت من الأنبياء ؟! قال : ما أنا من الأنبياء ، ولٰكني عبدٌ من عبيد الله خاطىءٌ مذنب .

فقالوا : احلف لنا أنك لا تبرح ـ أي : لا تفارق ـ هٰذا المكان ، فحلف لهم .

وعند ذلك قال لهم الراهب : **اصعدوا الدير وأوتروا القِسِيّ ؛ لتنفِّروا السباع عن هٰذا العبد الصالح** ؛ فإنه كره الدخول عليّ في الصومعة ، فدخلوا وأوتروا القِسِيّ ؛ فإذا هم باللبوة قد أقبلت ، فلما دنت من سعيد . . تمسَّحت به ثم ربضت ـ أي : بركت ـ قريباً منه ، وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك[1] .

فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا . . نزل إليه فسأله عن شرائع دينه وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم ، ففسَّر له سعيدٌ ذلك كلَّه ، **فأسلم الراهب وحَسُن إسلامه** ، وأقبل القوم إلىٰ سعيد يعتذرون ويُقبِّلون يديه ورجليه ، ويأخذون التراب الذي وطئه بالليل ـ أي : داسه برجله ـ ويصلُّون عليه ويقولون : يا سعيد ؛ حلَّفنا الحجَّاج بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك . . لا ندعك حتىٰ نشخصك ـ أي : نذهب بك إليه ـ فمُرْنا بما شئت .

فقال : **امضوا لشأنكم** ؛ **فإني لائذٌ بخالقي** ـ أي : ملتجىء إليه ـ **ولا رادَّ لقضائه** .

فساروا حتىٰ وصلوا إلىٰ واسط ـ بلدة اختطَّها الحجاج ـ فلما انتهَوا إليها . . قال

---

(١) قال بعض الصالحين : (من خاف الله . . خافه كل شيء ، ومن لم يخفِ الله . . أخافه من كل شيء) . وأخرج أبو نعيم في « الحلية » (٤/١٥٧) عن الحسن بن عمرو الفزاري قال : حدثني مولىً لعمرو بن عتبة قال : (استيقظنا يوماً حاراً في ساعة حارة ، فطلبنا عمرو بن عتبة فوجدناه في جبل وهو ساجد وغمامة تظلله ، وكنا نخرج إلى العدو فلا نتحارس ـ أي : لا نخرج للحراسة ـ لكثرة صلاته ، ورأيته ليلةً يصلي فسمعنا زئير الأسد ، فهربنا وهو قائم يصلي لم ينصرف ، فقلنا له : **أما خفتَ الأسد ؟** فقال : **إني لأستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه**) .

لهم سعيد : يا معشر القوم ؛ قد تحرّمت ـ أي : تمنَّعت ـ بكم وصحبتكم ، **ولست أشكُّ أن أجلي قد حضر** ، **وأن المدة قد انقضت** ، **فدعوني الليلة آخذ أُهبة الموت** ، وأستعد لمنكر ونكير ، وأذكر عذاب القبر وما يُحثىٰ عليَّ من التراب ، فإذا أصبحتم . . فالميعاد بيني وبينكم المكان الذي تريدون .

فقال بعضُهم : ما نريد أثراً بعد عين ، وقال بعضهم : قد بلغتم أملكم فلا تعجزوا عنه ، وقال بعضهم : هو عليَّ أدفعه إليكم إن شاء الله تعالىٰ .

فنظروا إلىٰ سعيد وقد دمعت عيناه وتغيَّر لونه ، ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لَقُوه وصحبوه ، فقالوا بأجمعهم : **يا خير أهل الأرض** ؛ **ليتنا لم نعرفك ولم نُرسَل إليك** ، **الويل لنا** ؛ **كيف أتينا بك** ؟! اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر ؛ فإنه القاضي الأكبر والعدل الذي لا يجور .

وقال كفيله : أسألك بالله يا سعيد إلاَّ ما زوَّدتنا من دعائك وكلامك ؛ فإنَّا لم نَلْقَ مثلك أبداً ، فدعا لهم سعيد ، فخلَّوا سبيله .

فلما أصبح . . جاءهم فقرع الباب ، فقالوا : من بالباب ؟ فقال : صاحبُكم وربِّ الكعبة ، فنزلوا إليه وبَكَوا معه طويلاً .

ثم ذهبوا به إلى الحجاج ، فدخل عليه المتلمّس فسلَّم عليه وبشَّره بقدوم سعيد بن جبير .

فلما انتصب قائماً بين يديه . . قال له : **ما اسمك** ؟ قال : سعيد بن جبير .

قال : **أنت شقيّ بن كسير** . قال : **أمي كانت أعلم باسمي منك** .

قال : شقيت أنت وشقيت أمك . قال : الغيب يعلمه غيرك .

ثم قال له الحجاج : لأبدلنَّك بالدنيا نار لظىٰ .

قال : **لو علمت أن ذلك بيدك . . لاتّخذتك إلـٰهاً** .

قال : فما قولك في محمد ؟ قال : نبيُّ الرحمة .

قال : فما قولك في عليٍّ هل هو في الجنة أم في النار ؟

قال : **لو دخلتهما وعرفت أهلهما . . عرفت من فيهما** .

قال : فما قولك في الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل .

قال : فأيهم أعجب إليك ؟ قال : **أرضاهم لخالقي** .

قال : فأيّهم أرضىٰ للخالق ؟ قال : عِلْم ذلك عند الذي يعلم سرَّهم ونجواهم .

قال : فما بالك لا تضحك ؟ قال : **أيضحك مخلوقٌ خُلِق من الطين والطين تأكله النار ؟!**

قال : فما بالنا نضحك ؟ قال : لم تستوِ القلوب .

ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوُضع بين يدي سعيد .

فقال له سعيد : **إن كنت جمعتَ هـٰذا لتفتديَ به من فزع يوم القيامة . . فصالح** ، وإلا . . ففزعة واحدة تذهل كلّ مرضعة عما أرضعت ، ولا خير في شيءٍ جُمع من الدنيا إلا ما طاب وزكا .

ثم دعا الحجاج بآلات اللهو ، فبكىٰ سعيد ، فقال الحجاج : ويلك يا سعيد !! أيّ قِتْلة تريد أن أقتلك ؟

قال : اختر لنفسك يا حجَّاج ، **فوالله ؛ لا تقتلني قِتْلةً . . إلا قتلك الله مثلها في الآخرة**(١) .

قال : أفتريد أن أعفو عنك ؟ قال : إن كان العفو . . فمن الله ، وأما أنت . . فلا .

قال : اذهبوا به فاقتلوه .

فلما خرج من الباب . . ضحك ، فأُخبر الحجاج بذلك ، فأمر بردِّه فقال : ما أضحكك ؟ قال : **عجبتُ من جراءتك على الله وحلم الله عليك !!**

---

(١) لأن الجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان .

فأمر بالنِّطَع فبُسط بين يديه وقال : اقتلوه . فقال سعيد : وجهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين[1] .

قال : وجِّهوه لغير القبلة . قال سعيد : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ .

فقال : كبوه لوجهه . فقال سعيد : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ .

فقال الحجاج : اذبحوه . فقال سعيد : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم قال : **اللهم ؛ لا تسلِّطه علىٰ أحدٍ يقتله بعدي** .

فذُبح على النِّطع ـ وهو بساط من جلد ـ **فكانت رأسه بعد قطعها تقول : لا إلـٰه إلا الله**[2] .

وعاش الحجاج بعد قتله خمسة عشر يوماً ، وذلك في سنة خمس وتسعين ، وكان عمر سعيد تسعاً وأربعين سنة ، رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه[3] .

ثم إنَّ هـٰذا الحديث موقعه عظيم ، وهو من بديع جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه جَمَعَ لهـٰذا السائل في هاتين الجملتين جميع معاني الإسلام ؛ لأنَّه توحيدٌ وطاعة ، فالتوحيد حاصل بالجملة الأولىٰ ، والطاعة بجميع أنواعها في ضمن الجملة الثانية ، فيصحُّ أن يقال فيه : إنه كلُّ الإسلام .

(**رواه مسلم**) رحمه الله تعالىٰ ، وزاد الترمذي فيه زيادةً مهمة ؛ وهي : قلت :

---

(١) قوله : (**وجهت وجهي**) أي : أقبلت بذاتي ، وقوله : (**فطر السماوات والأرض**) أي : أوجدها علىٰ غير مثال سابق ، وقوله : (**حنيفاً**) أي : مائلاً إلى الدين المستقيم . **اهـ مؤلف** .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢٩١ـ ٢٩٤) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٣٢٨ـ ٣٣٢) .

(٣) ذكر القصة أيضاً الحافظ المزي رحمه الله تعالىٰ في « تهذيب الكمال » (١٠/ ٣٧٣) وقال في آخرها : (قال : **وبلغنا** : أن الحجاج عاش بعده خمس عشرة ليلة ، ووقعت الآكلة في بطنه ، فدعا بالطبيب لينظر إليه ، فنظر إليه ، ثم دعا بلحم منتن ، فعلقه بخيط ثم أرسله في حلقه ، فتركه ساعة ثم استخرجه وقد لزق به من الدم ، فعلم أنه ليس بناجٍ ، **وبلغنا** : أنه كان ينادي بقية حياته : **ما لي ولسعيد بن جبير** ، **كلما أردت النوم . . أخذ برجلي**) .

يا رسول الله ؛ ما أخوف ما تخاف عليَّ ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال : « هـٰذا »[1] .

وفيه تنبيهٌ علىٰ أنَّ أعظم ما يُراعَى استقامتُه بعد القلب : اللسان ؛ فإنه ترجمان القلب .

وروي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : « إذا أصبح ابن آدم . . قالت الأعضاء لِلِّسان : اتَّقِ الله فينا ؛ فإنك إن استقمتَ . . استقمنا ، وإن اعوججتَ . . اعوججنا »[2] .

❊ ❊ ❊

---

(١) سنن الترمذي (٢٤١٠) ، مسند أحمد (٣/٤١٣) ، صحيح ابن حبان (٥٦٩٩) .

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » (٢٤٠٧) ، وأحمد في « مسنده » (٣/٩٦) ، والطيالسي في « مسنده » (٢٢٠٩) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » (٩٨٠) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (١١٨٥) .



الحديث الثّاني والعشرون

[دخولُ الجنةِ بفعلِ المأموراتِ وتركِ المنهيات]

عَنْ أَبِي عَبْدِ ٱللهِ **جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ٱلأَنْصَارِيِّ** رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ ٱلْمَكْتُوبَاتِ ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ ، وَأَحْلَلْتُ ٱلْحَلاَلَ ، وَحَرَّمْتُ ٱلْحَرَامَ ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ شَيْئاً ، أَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » **رَوَاهُ مُسْلِمٌ**[1] .

وَمَعْنَىٰ : « **حَرَّمْتُ ٱلْحَرَامَ** » : ٱجْتَنَبْتُهُ ، وَمَعْنَىٰ : « **أَحْلَلْتُ ٱلْحَلاَلَ** » : فَعَلْتُهُ مُعْتَقِداً حِلَّهُ .

[من ترجمة سيدنا جابر رضي الله عنه]

(**عن أبي عبد الله**) وقيل : أبي عبد الرحمـٰن ، وقيل : أبي محمد (**جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله**) تعالىٰ (**عنهما**) وقد كانا من أكابر الصحابة ، واستشهد عبد الله هـٰذا بأُحُد .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنه جابر : « أي بني ؛ ألا أُبشِّرك أنَّ الله عز وجل أحيا أباك فقال : تمنَّ ، فقال : أتمنىٰ يا ربِّ أن تعيد روحي وتردَّني إلى الدنيا حتىٰ أُقتل مرةً أخرىٰ ، قال : إني قضيتُ أنهم إليها لا يرجعون »[2] .

---

(١) صحيح مسلم (١٥) .

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » (٣٠١٠) ، وابن ماجه في « سننه » (١٩٠ ، ٢٨٠٠) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٢٠٤) .

وكان عليه دَيْن[1] ، وترك حائطاً ـ أي : بستاناً ـ فبذل جابر لغرمائه جميع ثماره ، فلم يقبلوه ، ولا رضوا بالإمهال ، ولم يكن في ثماره كفاية دَينهم ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأمره بجذها ـ أي : قطعها ـ وجعل كلّ صنف على حدة ؛ أي : وحده ، ثم طاف صلى الله عليه وسلم بها ، وأمره أن يكيل من واحد منها ، فوفّى الدين وفضل بعده آصع كثيرة ، وفي رواية : وفضل مثل ما كانوا يجذون كلّ سنة ، وفي أخرىٰ : مثل ما أعطاهم ، وكانوا من اليهود ، فعجبوا من ذلك[2] .

واستغفر النبي صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله تعالىٰ عنه في ليلةٍ واحدةٍ سبعاً وعشرين مرة في قضاء دين أبيه فقال : « يا جابر ؛ قضيت دين أبيك غفر الله لك . . . » وهكذا[3] .

وعمي آخر عمره ، وتوفي بالمدينة سنة ثلاث أو ثمان وسبعين عن أربعٍ وتسعين سنة ، وصلّىٰ عليه أبان بن عثمان بن عفان .

وكان من الحفّاظ المكثرين في الرواية ، روي له ألف وخمس مئة حديث وأربعون حديثاً[4] .

---

(١) أخرج الحاكم في « المستدرك » (٣/٢٠٣) عن سيدنا جابر رضي الله عنه قال : (لما حضر قتال أُحد . . دعاني أبي من الليل فقال : إني لا أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني والله ما أدع أحداً ـ يعني ـ أعز عليَّ منك بعد نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن عليَّ ديناً ، فاقضِ عني دَيني ، واستوصِ بأخواتك خيراً . قال : فأصبحنا فكان أول قتيل ، فدفنته مع آخر في قبرٍ ، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر في قبر ، فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه) .

(٢) أخرجها البخاري (٢١٢٧) ، وانظر اختلاف الروايات في « فتح الباري » (٦/٥٩٣) .

(٣) أخرجه الترمذي في « سننه » (٣٨٥٢) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٨١٩١) ، والطيالسي في « مسنده » (١٧٣٣) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧١٤٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/٥٦٥) ، ووقع عندهم : (استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين مرة ليلة البعير) لا (سبعاً وعشرين) .

(٤) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص١١٤) ، و« أسد الغابة » (١/٣٠٧) ، و« الإصابة » (١/٢١٤) .

[النعمان بن قوقل هو السائل]

منها : ما ذكره المصنف عنه ؛ وهو : (**أنَّ رجلاً**) اسمه : **النعمان بن قَوْقَل** - بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة وآخره لام - وكان له صحبة ، وشهد بدراً ، وقتل بأُحد شهيداً رضي الله تعالىٰ عنه ، وهو القائل في هٰذه الوقعة : أقسمت عليك رب العزة ؛ لا تغيب الشمس حتىٰ أطأ بعرجتي هٰذه خضراء الجنة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إنَّ النعمان ظنَّ بالله عز وجل خيراً فوجده عند ظنه ؛ فلقد رأيته يطأ في خضرائها ما به عرج** »[1] .

(**سأل رسول الله**) وفي نسخة : (النبي) (**صلى الله عليه وسلم فقال**) له : (**أرأيتَ**) الاستفهام هنا بمعنى الاستخبار ، و(رأيت) بمعنىٰ (علمت) أي : أخبرني بما تعلمه وتتيقَّنه من أمري .

(**إذا صليتُ المكتوبات**) أي : المفروضات ؛ وهي الصلوات الخمس (**وصمت**) شهر (**رمضان ، وأحللت الحلال**) أي : اعتقدت حلَّه ، وفعلت الواجب منه بقرينة السياق .

(**وحرَّمت الحرام**) أي : اعتقدت حرمته ، وامتنعت منه (**ولم أزد علىٰ ذلك**) المذكور (**شيئاً**) من الطاعات .

ولم يذكر الزكاة والحج : إما لعدم فرضهما حينئذ ، وإما لعدم مخاطبته بهما بسبب فقد النصاب والاستطاعة ، وإما لدخولهما تحت قوله : (وحرمت الحرام) لأنَّ ترك الفرائض من جملة المحرمات ، وعلىٰ هٰذا يقال : إنما ذكر الصلاة والصوم وإن كانا داخلين أيضاً ؛ اهتماماً بهما .

[من يدخل الجنة ومن لا يدخلها]

وقوله : (**أدخل الجنة**) همزة الاستفهام فيه مقدَّرة ؛ أي : أأدخل الجنة ؟

---

(١) عزاه الحافظ في « الإصابة » (٣/ ٥٣٤) إلى البغوي في « معجم الصحابة » وذكر سنده .

والمراد : من غير سبق عذاب (قال : نعم) أي : تدخلها كذلك ؛ أعني : من غير سبق عذاب ، كما هو ظاهر السياق ؛ لأنَّ مطلق دخولها إنما يتوقَّف على الإيمان .

فمن مات مؤمناً . . قُطِع له بدخولها ، ثم إنه : إن كان سالماً من المعاصي ؛ كطفل ، ومجنونٍ اتَّصل جنونه بالبلوغ ، وتائب توبة صحيحة ، وموفَّقٍ ما ألمَّ بمعصية قط ؛ أي : ما فعلها أبداً . . فلا يدخل النارَ أصلاً ، لـٰكنه يَرِدُها ؛ بمعنىٰ أنه يمرُّ على الصراط ؛ وهو منصوبٌ علىٰ ظهرها[1] .

وإن كان عمل كبيرةً ، ومات بغير توبة . . فهو تحت مشيئة الله تعالىٰ : إن شاء . . عفا عنه ، فلا يدخل النار أصلاً كالأول ، وإن شاء . . عذَّبه في النار ثم أخرجه منها وأدخله الجنة .

فلا يخلد في النار أحدٌ مات مؤمناً ولو عمل جميع المعاصي ؛ كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات كافراً ، بل يدخل النار ويخلد فيها ولو عمل من أعمال البرِّ ما عمل ، هـٰذا مذهب أهل الحقِّ .

وأما ما ثبت في الأحاديث الصحيحة من أنَّ بعض الكبائر يمنع دخول الجنة ؛ كقطع الرحم والكبر[2] . . فمعناه : عدم دخولها مع السابقين ، أو هو محمولٌ على المستَحِلّ .

[إشكالٌ وردُّه]

فإن قيل : إن هـٰذا الحديث يفيد أنَّ العمل الصالح يكون سبباً لدخول الجنة مع

---

(١) أخرج البخاري (٧٢٨٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ » قالوا : يا رسول الله ؛ ومن يأبىٰ ؟ قال : « من أطاعني . . دخل الجنة ، ومن عصاني . . فقد أبىٰ » .

(٢) أخرج البخاري (٥٩٨٤) ، ومسلم (٢٥٥٦) عن سيدنا جبير بن مطعم رضي الله عنه : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة قاطعٌ » .

وأخرج ابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص ٧١٩) عن سيدنا نافع مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة متكبر ، ولا شيخ زان ، ولا منان بعمله » .

أنه ثبت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **لن يُدخِل أحداً عملُه الجنة** » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا ، إلا أن يتغمَّدني اللهُ بفضله ورحمته** »[1] .

أجيب : بأنَّ العمل الذي يكون سبباً لدخول الجنة إنما هو المقبول لا غيره ، ولا شك أنَّ القَبول رحمةٌ من الله تعالىٰ ، فآل الأمر إلىٰ أنَّ الدخول لم يقع إلا برحمته تعالىٰ .

قال ابن القيم : (**العمل بمجرده ولو تناهىٰ . . لا يوجب دخول الجنة** ، ولا أن تكون عوضاً له ؛ لأنه لو وقع على الوجه الذي يحبُّه الله تعالىٰ . . لا يقاوم ـ أي : لا يعادل ـ نعمة ، بل جميع الأعمال لا يوازي ـ أي : لا يقابل ـ نعمةً واحدةً من نعم الله سبحانه وتعالىٰ)[2] .

[دخول الجنة برحمة الله وفضله]

وقد جاء : أنَّ بعض عُبَّاد بني إسرائيل كان يتعبَّد في جزيرةٍ لا يعرفها أحد ، وأنبت الله له شجرة رمَّان يأكل منها ، وعين ماء ترويه ، فبقي كذلك خمس مئة عام ، ثم سأل ربه عز وجل أن يقبضه ساجداً ، ففعل ، فأخبر عنه عليه الصلاة والسلام : « أنه يُؤتىٰ به يوم القيامة فيقول الله تعالى : **اذهبوا به إلى الجنة برحمتي** . فيقول : يا رب ؛ بل بعملي ؟ فيقول : **حاسبوه علىٰ شكر نعمة حاسَّة البصر** ، فيحاسب ، فلا تفي عبادتُه بها ، فيقول : **يا رب ؛ أدخلني الجنة برحمتك** . فيقول : اذهبوا به إليها برحمتي »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) ، ومسلم (٢٨١٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) مفتاح دار السعادة (١/١٦) .

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٤/٢٥٠ـ ٢٥١) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣٠٠) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٢/٥١١ ، ٥١٢) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

[وصف جزءٍ من نعيم الجنة]

واعلم : أنَّ الجنة موجودة الآن ، خلقها اللهُ عز وجل لبنةً من ذهب ولبنة من فضَّة ، وحصباؤها الدُّرُّ والياقوت ، وترابها الزعفران ، ليس فيها نهارٌ ولا ليل ، بل ضوءٌ ونور أبداً[1] .

وإنما يعرف أهلها الليلَ بإرخاء الستور ، والنهارَ برفعها ، ويعرفون أوقاتَ الصلاة بالتهليل والتكبير ، ويومَ الجمعة بالزيارة لله تعالىٰ ، والشهرَ بالهدايا والتُّحَف ؛ تأتيهم الملائكة بها من الله سبحانه وتعالىٰ في رأس كل شهر ، ويعرفون العام بقول الملائكة لهم : (إن الله تعالىٰ يدعوكم لطعام ؛ فهو لكم عيدٌ من العام إلى العام) .

ولما خَلَقَها الله عز وجل . . قال لها : « تكلمي . فقالت : **قد أفلح المؤمنون** ـ أي : فازوا ـ فقال : **طوبىٰ لك منزل الملوك** »[2] .

وورد : أنَّ الرجل من أهلها يُعطىٰ قوة مئة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة ، ولما سمع ذلك بعض اليهود . . قال : إنَّ الذي يأكل ويشرب تكون منه الحاجة !! فقال صلى الله عليه وسلم : « **حاجتهم عَرَقٌ يفيض** ـ أي : يَرْشَح ـ **من جلودهم مثل المسك** »[3] أي : لأنَّ الجنة لا قذر فيها ، حتىٰ إنَّ أهلها لا يمتخطون فيها ولا يتفلون .

وقيل : (إن الرجل من أهل الجنة لَيعانق الحوراء سبعين سنةً لا يملُّها ولا تملُّه ، وكلما أتاها . . وجدها بكراً ، وإنه ليجامعها بقوة سبعين رجلاً ، ولا يكون بينهما مني ؛ لا منه ولا منها)[4] .

---

(١) أخرج ابن حبان حديثاً طويلاً (٧٣٨٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه فيه وصف الجنة .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣٧١٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٠٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (١١٤١٤) ، وأحمد في « مسنده » (٤/ ٣٦٧) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧٤٢٤) وغيرهم عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه .

(٤) أورده القرطبي في « تفسيره » (١٥/ ٤٥) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وورد : « إنَّ أدنىٰ أهل الجنة منزلة : مَنْ يُعطىٰ قدر الدنيا ومثلها معها »[1] .

وفي رواية : « وعشرة أمثالها معها »[2] .

وقال بعضهم : (يكون في ملكه ألف حوراء)[3] .

وروي : « إنَّ في الجنة غرفاً من أصناف الجواهر يُرىٰ ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ، ولا أُذُن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر » .

قيل : يا رسول الله ؛ ولمن هـٰذه الغرف ؟

قال : « لمن أفشى السلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلَّىٰ بالليل والناس نيام » .

قيل : يا رسول الله ؛ ومن يطيقُ ذلك ؟!

قال : « أمتي تطيق ذلك ، من لقي أخاه فسلَّم عليه ، أو ردَّ عليه السلام . . فقد أفشى السلام ، ومن أطعم عياله وأهله من الطعام حتىٰ أشبعهم . . فقد أطعم الطعام ، ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام . . فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الأخيرة وصلَّى الغداة في جماعة . . فقد صلَّىٰ بالليل والناس نيام ؛ يعني : اليهود والنصارىٰ والمجوس »[4] .

وقال القرطبي رحمه الله تعالىٰ : (من أطاع مولاه وخالف هواه . . كانت الجنة مأواه ، ومن تمادىٰ في عصيانه ، وأرخىٰ زمام طغيانه ، واتَّبع هوىٰ نفسه وشيطانه . . كانت النار أولىٰ به)[5] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٦٥٧١) ، ومسلم في « صحيحه » (١٨٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أورد القرطبي في « تذكرته » (٣/ ١٠٢٥) نحوه مرفوعاً .

(٤) أخرجه تمام في « فوائده » (١٧٨٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٥٦/٢) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٥) التذكرة (٢/ ٨٨٠) .

وقال يحيى بن معاذ رحمة الله تعالىٰ عليه : (**ترك الدنيا شديد وفوات الجنة أشد** ، وترك الدنيا مهر الآخرة ، وفي طلب الدنيا ذلُّ النفوس ، وفي طلب الآخرة عز النفوس ، فيا عجباً لمن يختار المذلة في طلب ما يفنىٰ ، ويترك العزَّ في طلب ما يبقىٰ !!)[1] .

[بشارة نبوية لدخول الجنة والنجاة من النار]

وفي الحديث الشريف : « **من سأل الله الجنة ثلاث مرات** . . قالت الجنة : **اللهم** ؛ أدخله الجنة ، **ومن استجار من النار ثلاث مرات** . . قالت النار : **اللهم** ؛ أجره مني »[2] .

وفي الحديث أيضاً : « يقول الله تعالى : انظروا في ديوان عبدي ؛ فمن رأيتموه سألني الجنة . . فأدخلوه الجنة ، ومن استعاذ من النار . . فاصرفوه عنها »[3] .

فنسأل الله تعالى الكريم المنان أن يجيرنا من النار دار الهوان ، وأن يدخلنا الجنَّة محل الرضوان ، بجاه نبينا محمد سيّد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم .

ثم إنَّ هـٰذا الحديث (**رواه مسلم**) رحمه الله تعالىٰ في (كتاب الإيمان) وهو حديث عظيم الموقع ، وعليه مدار الإسلام ؛ لجمعه له ، **وذلك لأنَّ الأفعال** : إما قلبية أو بدنية ، **وكلٌّ منهما** : **إما مأذون فيه** ؛ وهو الحلال ، **أو ممنوع منه** ؛ وهو الحرام ، فإذا أحلَّ الشخص الحلال وحرَّم الحرام . . فقد أتىٰ بجميع وظائف الدين ، ودخل الجنة آمناً .

---

(١) انظر « إحياء علوم الدين » (٩/ ٦٢٦) .

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » (٢٥٧٢) ، والنسائي في « المجتبىٰ » (٨/ ٢٧٩) ، وابن ماجه في « سننه » (٤٣٤٠) ، وأحمد في « مسنده » (٣/ ١١٧) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٠٤٢٧) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٣٦٨٣) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٠١٤ ، ١٠٣٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٧٥ ، ٢٢٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(**ومعنىٰ**) قول النعمان : (**حرمت الحرام : اجتنبته**) أي : تركته كلَّه معتقداً حرمته .

(**ومعنىٰ**) قوله : (**أحللت الحلال : فعلته معتقداً حلّه**) **والمراد** : فعلتُ الواجب منه ، بقرينة السياق كما مرّ ، فـ(أل) فيه ليست للاستغراق ، بخلافها في الحرام .

وإنما احتاج المصنف لهـٰذا التأويل ؛ لأنَّ المحلِّل والمحرِّم هو الله تعالىٰ ، وليس للنعمان شيء منهما .

❋ ❋ ❋



الحديث الثالث والعشرون

[مِنْ جوامعِ الخيرِ]

عَنْ أَبِي مَالِكٍ ٱلْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ ٱلأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ٱلطُّهُورُ شَطْرُ ٱلإِيمَانِ ، وَٱلْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ ٱلْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ ٱللهِ وَٱلْحَمْدُ للهِ تَمْلأانِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ ، وَٱلصَّلاَةُ نُورٌ ، وَٱلصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَٱلصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَٱلْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ ٱلنَّاسِ يَغْدُو ، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١] .

(عن أبي مالك الحارث) وقيل : كعب وهو المشهور (ابن عاصم) وفي نسخة : (عامر) (الأشعري) نسبةً إلىٰ قبيلة باليمن يقال لهم : الأشعريون .

والصحيح : أنه غير أبي موسى الأشعري المشهور ؛ لأنَّ ذاك معروف بكنيته ، وهـٰذا معروف باسمه لا بكنيته ، سكن مصر ، ومات بالطاعون في خلافة عمر بن الخطاب سنة ثمان عشرة[٢] .

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٣) .

(٢) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص٦٢٧) ، و« أسد الغابة » (٤/ ٤٨٠) ، و« الإصابة » (٣/ ٢٨٠) تحت ترجمة (كعب بن عاصم) .

قال في « الإصابة » (١/ ٣٨٦) : (الحارث بن عاصم ـ ذكر النووي في « الأذكار » [ص٤٩] عند ذكر حديث أبي مالك الأشعري : « الطهور شطر الإيمان » : أن اسمه الحارث بن عاصم ـ وهـٰذا وهم ، وإنما هو كعب بن عاصم أو الحارث بن الحارث) . ولعله سبق قلم من الحافظ ابن حجر ، وإنما هو عند حديث : « إذا ولج الرجل بيته . . . » انظر « الأذكار » (ص ٦٥) . وقال ابن حجر الهيتمي في « الفتح المبين » (ص٣٩٣) : (هـٰذا أحد أقوال عشرة في اسمه) .

[معنى الطهور ومعنى الشطر]

(رضي الله) تعالىٰ (عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **الطُّهور**) بضم الطاء ، وهو **لغةً** : التنزُّه والتَّطهُّر من الأحداث والأنجاس والمذامّ ، **وشرعاً** : فعل ما يترتب عليه إباحة ولو من بعض الوجوه ؛ كالتيمُّم ، أو ثواب مجرد ؛ كالغسلة الثانية في الوضوء ، **والمراد هنا** : المعنى اللغوي .

وقوله : (**شطر الإيمان**) أي : نصفه ، **والمراد** : الإيمان الكامل ، وهو ذو خصال كثيرة وأحكام متعددة ، إلا أنها منحصرة فيما ينبغي التنزُّه والتطهُّر عنه ؛ وهو كلُّ منهي عنه ، وما ينبغي التلبُّس به ؛ وهو كلُّ مأمور به ، فهو شطران .

و(الطهور) بالمعنى اللغوي شامل لجميع الشطر الأول ، فصحَّ أن يكون نصفه .

ويحتمل **أنَّ المرادَ بـ(الطهور)** : الوضوء الشرعي ، **وبـ(الشطر)** : الجزء ، **والمعنىٰ** : أنَّ الوضوء الشرعي لكثرة ثوابه جزء من أجزاء الإيمان ، ويُؤيِّد هٰذا الاحتمال حديث ابن ماجه : « **إسباغ الوضوء** ـ أي : إكماله ـ **شطر الإيمان** »[1] ، وحديث الترمذي : « **الوضوء شطر الإيمان** »[2] .

ويحتمل أن يكون المراد بـ(الطهور) : الطهارة عن الحدث والخبث ، **وبـ(الإيمان)** : الصلاة ؛ كما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ أي : صلاتكم يا معاشر الصحابة إلىٰ بيت المقدس ، ويكون (الشطر) حينئذٍ بمعنى (الشرط) .

واعلم : أنَّ الطهارة تنقسم إلىٰ : واجبة ومستحبة ؛ **فالمستحبة** : كالأغسال المسنونة وتجديد الوضوء ، **والواجبة تنقسم إلىٰ** : قلبية ؛ كالتنزُّه عن الحسد والكبر والعجب والرياء ، وبدنية ؛ كإزالة النجاسة ووضوء المحدث أو تيممه .

---

(١) أخرجه ابن ماجه في « سننه » (٢٨٠) عن سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه .
(٢) سنن الترمذي (٣٥١٧) .

[بعض ما جاء في فضل الوضوء]

وقد جاء في فضل الوضوء أحاديث كثيرة :

منها : قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يسبغ عبدٌ الوضوءَ ـ أي : لا يأتي به تاماً كاملاً ـ إلا غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر »[1] .

ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ العبد إذا توضَّأ فتمضمض .. أذهب الله بكل ذنبٍ أصابه بفيه ، فإذا استنشق .. أذهب الله بكل ذنب أصابه بأنفه ، فإذا غسل وجهه .. أذهب الله بكل ذنب أصابه بوجهه ، فإذا غسل يديه .. أذهب الله بكل ذنبٍ أصابه بيديه ، فإذا مسح رأسه .. أذهب الله بكل ذنب أصابه برأسه ، فإذا غسل رجليه .. أذهب الله بكل ذنب أصابه برجليه »[2] .

ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : « من وضَّأ هٰذه الأعضاء فأحسن وضوءها .. استوجب من الله الرضوان الأكبر » .

وتُسنُّ المحافظة عليه ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « يا أنس ؛ إن استطعت أن تكون أبداً علىٰ وضوء .. فافعل ؛ فإنَّ ملك الموت إذا قبض روح عبد وهو علىٰ وضوء .. كُتبت له شهادة »[3] .

وقال بعض العارفين : (**من داوم على الوضوء .. أكرمه الله تعالىٰ بسبع خصال** : ترغب الملائكة في صحبته ، ولا يزال القلم رطباً من كتب ثوابه ، وتسبّح أعضاؤه وجوارحه ، ولا تفوته التكبيرة الأولىٰ ـ أي : مع الإمام ـ وإذا نام .. بعث الله تعالىٰ إليه ملائكةً يحفظونه من شرّ الثَّقلين ، ويسهّل الله تعالىٰ عليه سكرات

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١٥٠) ، والبزار في « مسنده » (٤٢٢) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٢) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » (١/١٢٩ـ ١٣٠) ، والنسائي في « المجتبىٰ » (١/٧٤ـ ٧٥) ، وابن ماجه في « سننه » (٢٨٢) ، ومالك في « الموطأ » (١/٣١) ، وأحمد في « المسند » (٤/٣٤٨) عن أبي عبد الله الصُّنابحي مرسلاً .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٥٢٩) ، وأخرجه مطولاً الطبراني في « الأوسط » (٥٩٨٨) ، و« الصغير » (٢/٣٢ـ٣٣) .

الموت ، ويكون في أمان الله عز وجل ما دام على الوضوء) .

[الوضوء أمان من الخوف]

وحكي : أنَّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه أرسل رسولاً إلى الشام ، فمرَّ علىٰ ديرِ راهب ، فطرق بابه فلم يفتح له إلا بعد ساعة ، فسأله عن ذلك ، فقال : (أوحى الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام إذا خفت سلطاناً . . فتوضَّأ ، وأمر أهلك به ؛ **فإنَّ من توضَّأ . . كان في أمانٍ ممَّا يخاف** ، فلم أفتح لك حتىٰ توضَّأنا جميعاً)[1] .

وفي « طبقات ابن السبكي » : (قال الله تعالىٰ : يا موسىٰ ؛ **توضَّأ** ؛ **فإن أصابك شيءٌ وأنت علىٰ غير وضوء . . فلا تلومنَّ إلا نفسك**)[2] .

(**والحمد لله**) أي : هـٰذه الكلمة وحدها أو هـٰذا اللفظ وحده (**تملأ الميزان**) بالفوقية على الأول وهو الأرجح ، وبالتحتية على الثاني .

ويحتمل أن تكون (أل) في (الحمد) جنسية ، **فيكون المراد** : هـٰذا اللفظ وما اشتق منه ، **وعلىٰ كلٍّ فالمعنىٰ** : أن ثواب التلفُّظ بما ذكر مع استحضار المعنىٰ والإذعان له يملأ كِفَّة الحسنات من ميزان الآخرة ، وفي هـٰذا دليلٌ علىٰ ثبوت الميزان ووزن الأعمال .

[الاختلاف في كيفية الوزن وحديث البطاقة]

واختلف في كيفية الوزن ؛ فقيل : تُجسَّم وتُصوَّر الحسنات بصورٍ حسنةٍ نورانيةٍ وتطرح في الكِفّة اليمنىٰ ، وتُصوَّر السيئات بصورٍ قبيحةٍ مظلمةٍ وتطرح في الكِفّة اليسرىٰ .

---

(١) أوردها الصفوري في « نزهة المجالس » (١/ ١٠٥) ، والفشني في « المجالس السنية » (ص٦٤) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ (١/ ٧٦ـ ٧٧) في حديث ، وهو عند ابن عساكر في « تاريخه » (٦٥/ ١٣٠ـ ١٣١) .

وقيل : إن الذي يوزن الصحائف المشتملة عليها ، **ويدلُّ لذلك حديث البطاقة** ؛ وهو ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالىٰ عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يستخلص رجلاً من أمتي علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة ، **فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً** ، **كلُّ سجلٍ منها مدّ البصر** ، ثم يقول : أتنكر من هـٰذا شيئاً ؟ **أظلمك كتبتي الحافظون** ؟ فيقول : لا يا رب .

فيقول : **ألك عذر** ؟ فيقول : لا يا رب .

فيقول : **ألك حسنة** ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلىٰ ، إنَّ لك عندنا لحسنة ، وإنه لا ظلم عليك ، فيخرج له بطاقةً ـ بكسر الباء ؛ أي : ورقة صغيرة ـ كالأنملة فيها : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

فيقول : **يا رب ؛ ما هـٰذه البطاقة مع هـٰذه السجلاّت** ؟! فيقول : إنك لا تُظلم ، فتوضع السجلاّت في كِفَّة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلاّت وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شيء »[1] .

قيل : وهـٰذا ليس لكلّ عبد ، بل هو فضل الله تعالىٰ يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

والأصح : أنه ميزان واحد لجميع الأمم ، وقيل : لكل أمة ميزان ، وقيل : لكل إنسان ميزان ، ولا يَرِد على الأصح قوله تعالىٰ : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾ ؛ لأن جمعه في هـٰذه الآية للتعظيم ، أو لكثرة ما يوزن فيه ، أو أنه جمعُ موزونٍ ، فالجمع للأعمال لا للميزان[2] .

والقائم بهـٰذا الوزن جبريل عليه السلام ، وهناك مَلَكٌ قائم ينادي بما يقع ، فإن

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » (٢٦٣٩) ، وابن ماجه في « سننه » (٤٣٠٠) ، وأحمد في « مسنده » (٢/٢١٣) ، وابن المبارك في « زوائد الزهد » (٣٧١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٢٥) ، والحاكم في « المستدرك » (١/٦ ، ٥٢٩) .

(٢) انظر تفصيل ذلك في « فتح الباري » (١٣/٥٣٧ ـ ٥٣٨) .

رجحت الحسنات . . قال بصوت يسمعه الخلائق كلُّهم : (سَعِدَ فلان سعادةً لا يشقىٰ بعدها أبداً) وضِدُّ ذلك بضِدِّه[1] .

فَائِدَة

[في فضل : لا إلـٰه إلا الله]

قيل : (إنَّ سيدنا داوود عليه السلام سأل ربَّه أن يريه الميزان ، فأراه كلَّ كِفَّة تملأ ما بين السماوات والأرض ، أو ما بين المشرق والمغرب ، فلما رآه . . غُشي عليه من هوله ، ثم أفاق فقال : **إلـٰهي ؛ من ذا الذي يقدر أن يملأ كِفَّته حسنات** ؟!

فقال الله عز وجل : **يا داوود ؛ إني إذا رضيت عن عبدي . . ملأته له بتمرة واحدة** ، يا داوود ؛ أملؤها بشهادة أن لا إلـٰه إلا الله)[2] .

(**وسبحان الله والحمد لله تملأان ـ أو تملأ ـ ما بين السماء والأرض**) وفي نسخة صحيحة : (ما بين السماوات والأرض)[3] .

و(أو) للشك من الراوي في سماع لفظ الحديث : هل هو بالتثنية أو بالإفراد ، لا للشك من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لا يجوز أن يُنسَب إليه ، والفِعْلان بالفوقية علىٰ إرادة الجملتين في الأول ، وإرادة الكلمة في الثاني ، وبالتحتية علىٰ إرادة اللَّفظين أو الذكرين أو النوعين في الأول ، وإرادة اللفظ أو الذكر في الثاني ، كذا قيل .

ونُقِل عن الكازروني : أن الرواية فيهما بالفوقية على التأنيث ، والضمير في

---

(١) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٧٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يؤتىٰ بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفتي الميزان ، ويوكل به ملك ؛ فإن ثقل ميزانه . . نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقىٰ بعدها أبداً ، وإن خفت ميزانه . . نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً » ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٤١٩) للبزار وابن مردويه واللالكائي والبيهقي ، ولم يذكر فيه أن الموكل هو سيدنا جبريل ، بل جعله عاماً .

(٢) انظر « تفسير الثعلبي » (٦/ ٢٧٧) .

(٣) وهي المثبتة في المطبوع من « صحيح مسلم » .

اللفظة الأولىٰ راجعٌ إلىٰ كلمتي (سبحان الله والحمد لله) وفي الثانية راجع إليهما أيضاً باعتبار أنهما يطلق عليهما كلمة في اللغة[1] .

[ثواب التسبيح والتحميد ومضاعفة ذلك]

والمعنىٰ : أن كلاً من (سبحان الله) و(الحمد لله) يملأ ما بين السماء والأرض ، ويحتمل أنهما يملأان ذلك معاً ، لـٰكن مشاركة الحمدلة للتسبيح بعدما يحصل بها ملء الميزان ، فهي خُصَّت بملء الميزان ، ثم شاركت (سبحان الله) في ملء ما بين السَّماء والأرض أيضاً ، **والمراد** : أنَّ الثواب المرتَّب علىٰ قول ذلك كثيرٌ جداً بحيث لو كان جسماً . . لملأ ما ذكر لكبره .

وروي : (أنَّ التَّسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه)[2] أي : **ثوابه ضعف ثواب التسبيح** .

وروي : (أن من قال : سبحان الله . . فله عشر حسنات ، ومن قال : لا إلـٰه إلا الله . . فله عشرون حسنة ، ومن قال : الحمد لله . . كتب له ثلاثون حسنة)[3] ، **وظاهر هـٰذا** : أنَّ ثواب التَّسبيح ثلث ثواب الحمد .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من قال : سبحان الله وبحمده في كلِّ يومٍ مئةَ مرة . . حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر** »[4] .

---

(١) انظر توجيه ذلك في « شرح النووي علىٰ مسلم » (٣/ ١٠١) .

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » (٣٥١٩) ، والدارمي في « مسنده » (٦٨٠) عن رجل من بني سليم ؛ **ولفظه** : قال : عدهنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في يدي أو في يده : « التسبيح نصف الميزان ، والحمد يملؤه ، والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض ، والصوم نصف الصبر ، والطهور نصف الإيمان » .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٢٠٥) ، والإمام الغزالي في « الإحياء » (٧/ ٢٧٨) ، وأصله في « المستدرك » (١/ ٥١٢) ، و« مسند أحمد » (٢/ ٣١٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٦٤٠٥) ، ومسلم في « صحيحه » (٢٦٩١) .

وعنه أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **من قال حين يصبح وحين يمسي** : سبحان الله وبحمده مئة مرة . . لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحدٌ قال مثل ما قال ، أو زاد عليه »[1] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالىٰ عنه قال : كنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « **أيعجز أحدكم أن يكسب كلَّ يوم ألف حسنة** ؟! » فسأله سائل : كيف يكسب أحدُنا ألف حسنة ؟ قال : « يُسبِّح مئة تسبيحة فتُكتب له ألف حسنة ، وتُحطُّ عنه ألف خطيئة »[2] .

(**والصلاة**) أي : الجامعة للأركان والشروط المصحِّحة والمندوبات والآداب المكملة .

(**نور**) أي : تنوِّر وجه صاحبها وقلبَه ، وتكون له نوراً في قبره وحشره .

قال بعض السلف : (**من صلَّىٰ بالليل . . حسن وجهه بالنهار**)[3] .

وقيل : إنَّ المصلِّي تشرق في قلبه أنوار المعارف والمكاشفات ؛ لخلوِّه فيها عن الشواغل وإقباله علىٰ ربِّ الأرض والسماوات .

وفي الحديث : « الصلاة مرضاة للربّ ، وحبّ الملائكة ، وسنَّة الأنبياء ، ونور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وإجابة الدعاء ، وقبول الأعمال ، وبركة في الرزق ،

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٢٦٩٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٨) .

(٣) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٤١١) عن سيدنا جابر رضي الله عنه ، والمحدثون لا يثبتونه ، وقال الحاكم : دخل ثابت بن موسىٰ علىٰ شريك بن عبد الله القاضي والمستملي بين يديه ، وشريك يقول : حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر المتن ، فلما نظر إلىٰ ثابت بن موسىٰ . . قال : (من كثرت صلاته بالليل . . حسن وجهه بالنهار) وإنما أراد ثابتاً ؛ لزهده وورعه ، فظن ثابت أنه متن ذلك السند ، فكان يحدث به بذلك السند ، وإنما هو قول شريك . انظر « شرح فتح القدير » (١/ ٣٤٩) .

وذكر الإمام الغزالي رحمه الله في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٥٥٠) عن الحسن قوله : (ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونفقة هـٰذا المال . فقيل : ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً ؟ قال : **لأنهم خلوا بالرحمـٰن فألبسهم نوراً من نوره**) .

وسلاح على الأعداء ، وكراهية للشيطان ، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت ، وسراج في قبره إلىٰ يوم القيامة ، فإذا كانت القيامة . . كانت الصلاة ظلاً فوقه ، وتاجاً علىٰ رأسه ، ولباساً علىٰ بدنه ، ونوراً يسعىٰ بين يديه ، وستراً بينه وبين النار ، وحجَّةً للمؤمنين بين يدي رب العالمين ، وثِقلاً في الميزان ، وجوازاً على الصراط ، ومفتاحاً للجنة »[1] لأن الصلاة تسبيح وتحميد ، وتقديس وتمجيد ، وقراءة ودعاء ، **ولأن أفضل الأعمال كلِّها الصلاةُ في وقتها** .

وروي أنه صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة وقال : « **من حافظ عليها . . كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة** »[2] .

وروي مرفوعاً : « إذا حافظ العبد علىٰ صلاته ؛ فأتم وضوءها ، وركوعها وسجودها ، والقراءة فيها . . قالت له : حفظك الله كما حفظتني ، فيصعد بها إلى السماء ولها نور حتىٰ تنتهي إلى الله عز وجل ـ أي : إلىٰ محلِّ قربه ورضاه ـ فتشفع لصاحبها »[3] .

وروي : « من صلَّى الصلوات الخمس في جماعة . . جاز على الصِّراط كالبرق اللامع في أول زمرة السابقين ، وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر »[4] .

وروي : « **بشِّرِ المشائين في ظلم الليل إلى المساجد بالنور التامّ يوم القيامة** »[5] .

---

(١) انظر « نزهة المجالس » (١/ ١٠٣) ، و« المجالس السنية » (ص٦٧ ـ ٦٨) .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٢/ ١٦٩) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » (٣٥٣) ، والدارمي في « مسنده » (٢٧٦٣) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٤٦٧) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه الطيالسي في « مسنده » (٥٨٥) ، والبزار في « مسنده » (٢٦٩١ ، ٢٧٠٨) ، والشاشي في « مسنده » (١٢٩٠ ، ١٢٩١) واللفظ له ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٤٢٧) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، ونحوه عن سيدنا أنس رضي الله عنه أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣١١٩) .

(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦٦٣٧ ، ٦٦٥٢) عن سيدنا أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم .

(٥) أخرجه أبو داوود في « سننه » (٥٦١) ، والترمذي في « سننه » (٢٢٣) عن سيدنا بريدة الأسلمي =

(**والصدقة**) **والمراد بها** : الزكاة كما في رواية ابن حبان[1] ، وخير ما فسّرته بالوارد ، وقيل : **المراد** : المعنى الأعم ؛ وهو ما يُخرجه الإنسان من ماله علىٰ وجه القُربة واجباً كان أو تطوعاً .

(**برهان**) أي : حجَّةٌ ودليلٌ علىٰ كمال إيمان باذلها ؛ أي : معطيها ، وتصديقه بيوم الحساب ؛ حيث إنه أخرجها رجاءَ الثواب ، وهو لا يكون إلا يوم المآب .

وقيل : إنَّ المتصدِّق يوسم يوم القيامة بسيما يُعرَف بها ، فتكون برهاناً له علىٰ حاله ، فلا يسأل عن مصرف ماله .

[مما ورد في فضل الصدقة]

وقد جاء في فضل الصدقة أخبار كثيرة :

منها : ما أخرجه الديلمي عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « تداركوا الغموم والهموم بالصدقات . . يكشف الله تعالىٰ ضرَّكم ، وينصركم علىٰ عدوكم »[2] .

وفي الحديث : « **عليك بالصدقة ؛ فإن فيها ست خصال** : ثلاثاً في الدنيا ، وثلاثاً في الآخرة ، **أما التي في الدنيا** : فتزيد في الرزق ، وتكثر المال ، وتَعْمُر الديار .

وأما التي في الآخرة : فتستر العورة ، وتصير ظِلاًّ فوق الرأس ، وتستر من النار »[3] .

= رضي الله عنه ، وفي الباب عن سيدنا أنس وأبي سعيد وابن عباس وزيد بن حارثة وسهل بن سعد الساعدي وأبي موسىٰ وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم .

(١) صحيح ابن حبان (٨٤٤) .

(٢) أخرجه الديلمي كما في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٢٢٦٥) ، وانظر « فيض القدير » (٣/ ٢٣٩) .

(٣) أورده الرازي في « تفسيره » (٣/ ٤٥) ، والصفوري في « نزهة المجالس » (١/ ٢٢٥) .

وورد : « ما من رجل يتصدَّق يوماً أو ليلة . . إلا حُفظ أن يموت من لدغة أو هدمة أو موت بغتة »[1] .

وقال مكحول التابعي رضي الله تعالىٰ عنه : (إذا تصدَّق المؤمن . . استأذنت جهنم أن تسجد لله شكراً علىٰ خلاص واحد منها من أمة محمد صلى الله عليه وسلم)[2] .

فينبغي للإنسان أن يكثر من الصدقة ولا يخاف الفقر ؛ لأنَّ الله تعالىٰ لا بدَّ وأن يخلف عليه ؛ فقد ورد : « ما من يومٍ طلعت فيه الشمس . . إلا وبجنبيها ملكان يناديان يقولان : **اللهم** ؛ **عجِّل لمنفقٍ خلفاً** ، **ولممسكٍ تلفاً** »[3] .

[وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه]

وحكي : أن بعضهم كان له أَمَةٌ قد عجنت عجيناً وذهبت تجيء بنار لتخبزه ، فأتاه سائل فأعطاه العجين كلَّه ، فجاءت الأَمَة فلم تجده فقالت : أين العجين ؟

فقال لها : ذهبوا به يخبزونه ، فأكثرت عليه ، فأخبرها بما فعل .

فقالت : لا بد لنا من شيءٍ نأكله ، فبينما هما كذلك ؛ وإذا برجل لا يعرفونه جاء بجفنةٍ عظيمةٍ مملوءة خبزاً ولحماً ، فقالت : **ما أسرع ما ردّ عليك** ؛ **خبزوه وجعلوا معه لحماً** !![4] .

وقيل : (**إنَّ إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة** : مؤمن قتل مؤمناً ، ورجل يموت كافراً ، وإنسان في قلبه خوف الفقر)[5] .

---

(١) ذكره في « إعانة الطالبين » (٢/ ٢٠٨) ولم يعزه لأحد .

(٢) ذكره في « نزهة المجالس » (١/ ٢٢٥ـ٢٢٦) .

(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/ ١٩٧) ، والطيالسي في « مسنده » (٩٧٩) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٣٢٩) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، ونحوه ما أخرجه البخاري في « صحيحه » (١٤٤٢) ، ومسلم في « صحيحه » (١٠١٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجها أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٥٢) ، وابن عساكر في « تاريخه » (١٢/ ٥١) .

(٥) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٤٥٤) .

[سبعون شيطاناً يتعلقون بالمتصدق]

وحكي : أنَّ بعض الوعاظ كان يقول : إذا أراد الرجل أن يتصدَّق . . أتاه سبعون شيطاناً فيتعلّقون بيديه ورجليه وقلبه ويمنعونه من الصدقة .

فقال له بعض الحاضرين : إني أقاتل هـٰؤلاء السبعين ، وخرج من المسجد وأتىٰ منزله وملأ ذيله من الحنطة ، وأراد أن يخرج ويتصدَّق بما معه ، فوثبت إليه زوجته ، وجعلت تنازعه وتحاربه حتىٰ خرَّ وسقط ذلك من ذيله ، فرجع خائباً إلى المسجد .

فقال له الواعظ : ماذا عملتَ ؟ فقال : صرفتُ السبعين ، فجاءت أمُّهم فهزمتني [1] .

فائدة

[فيمن يخص بصدقته وفي كيفية إخفائها]

يُسنُّ للإنسان أن يَخُصَّ بصدقته : المحتاجين وأهل الخير ؛ كالعلماء وطلبة العلم ، ودَفْعُها سِرّاً أفضل من دفعها جهراً ؛ لحديث : « صدقة السر تطفىء غضب الرب » [2] .

وقد بالغ جماعةٌ في الإخفاء ، حتىٰ إنَّ بعضهم كان يلقي صدقته في يد أعمىٰ .

وبعضهم كان يلقيها في طريق الفقير ، أو في موضع جلوسه بحيث لا يراه .

وبعضهم كان يصرُّها في ثوبه وهو نائم .

---

(١) انظر « تفسير الرازي » (١/ ٩٥) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٩/ ٤٢١) ، و« الأوسط » (٩٤٧ ، ٣٤٧٤) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (١٠٢) عن سيدنا معاوية بن حيدة رضي الله عنه ، وأخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » (٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، والحارث بن أبي أسامة في « مسنده » كما في « بغية الباحث » (٣٠٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وأخرجه الطبراني في « الصغير » (٢/ ٩٦ـ ٩٧) ، والقضاعي في « الشهاب » (٩٩) عن سيدنا عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٨/ ٢٦١) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

وبعضهم كان يوصلها علىٰ يد غيره ويستكتم المتوسط ، كلُّ ذلك لأجل التوصل إلىٰ إطفاء غضب الرب الوارد في الحديث المتقدِّم ، واحترازاً من الرياء والسُّمعة .

ومن أقوىٰ وجوه إخفائها : أن يبيع لفقير شيئاً بخمسة مثلاً وهو يعلم أن قيمته أكثر من ذلك ، أو يشتري منه شيئاً بعشرة وهو يعلم أن قيمته أقلُّ من ذلك .

[تعريف الصبر وما ورد في فضله]

(**والصبر**) أي : المحبوب شرعاً ؛ وهو الثبات على الكتاب والسنة ، وقيل : هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

وقيل : **هو عدم النُّفور من المقدور** ، وقيل : هو حبس النفس على العبادات ومشاقِّها ، وعلى المصائب وحرارتها ، وعن المنهيات والشهوات ولذَّاتها .

(**ضياء**) بمعنىٰ أنَّ صاحبه لا يزال مستضيئاً بنور الحقِّ علىٰ سلوك سبيل الهدىٰ ، وتجنُّب طريق الرَّدىٰ .

وقيل : **المعنىٰ** : أن ثوابه يكون ضياءً ونوراً لصاحبه في الآخرة .

وقيل : إن الصَّبر على الطاعة حتىٰ يؤديها ، وعن المعصية فلا يرتكبها . . يؤثر في القلب نوراً ، كما أن فِعْلَ المعصية يؤثر فيه ظلمة .

وقد ورد : (**أنَّ من صبر على المصيبة** . . يكتب له ثلاث مئة درجة ، **ومن صبر على الطاعة** . . يكتب له ست مئة درجة ، **ومن صبر عن المعصية** . . يكتب له تسع مئة درجة)[1] .

ونقل عن الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالىٰ أنه قال : (من مرَّ في السوق فرأىٰ ما يشتهيه ولا يقدر عليه فصبر واحتسب . . كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلَّها في سبيل الله)[2] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الصبر » (٢٤) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص٦٤ـ ٦٥) عن سيدنا علي رضي الله عنه مرفوعاً ، وذكره المنبجي في « تسلية أهل المصائب » (ص١٩٢) .
(٢) ذكره في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٥٣) .

وعن أبي سليمان الداراني نفعنا الله تعالىٰ به أنه قال : (تَنَفُّس فقيرٍ دون شهوة[1] لا يقدر عليها . . أفضل من عبادة غني ألف عام)[2] .

[أصحاب المصائب سكان حظيرة القدس]

وجاء : أن موسىٰ عليه السلام قال : (**إلـٰهي ؛ أيّ منازل الجنة أحبّ إليك ؟** قال : حظيرة القدس ، قال : **من يسكنها** ؟ قال : أصحاب المصائب ، قال : **يا رب ؛ من هم ؟**

قال : الذين إذا ابتليتُهم . . صبروا ، وإذا أنعمتُ عليهم . . شكروا ، وإذا أصابتهم مصيبة . . قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون)[3] .

وعن عكرمة رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : طفىء سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنا لله وإنّا إليه راجعون » فقيل له : **يا رسول الله ؛ أمصيبة هي ؟** قال : « **نعم ؛ كلّ شيء يؤذي المؤمن . . فهو مصيبة** »[4] .

أي : ومن ذلك سوء خُلُق المرأة ، فينبغي الصبر عليه ، وقد ورد في الحديث : « أيُّما رجل صبر علىٰ سوء خُلُق امرأته . . أعطاه اللهُ من الأجر مثل ما أعطىٰ أيوب عليه السلام علىٰ بلائه ، وأيما امرأة صبرت علىٰ خُلُق زوجها . . أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطىٰ آسية بنت مزاحم امرأة فرعون »[5] .

---

(١) قوله : (**دون**) لعله بمعنىٰ (أمام) لأنه يأتي بمعنىٰ ذلك ؛ كما في « القاموس » **اهـ مؤلف** .

(٢) ذكره في « إحياء علوم الدين » (٨/ ٥٣) .

(٣) انظر « نزهة المجالس » (١/ ٦٦) ، و« المجالس السنية » (ص٦٩) .

(٤) عزاه المناوي في « الفتح السماوي » (٩٨) إلى ابن أبي الدنيا في « العزاء » عن عكرمة مرسلاً ، وكذا أخرجه مرسلاً أبو داوود في « المراسيل » (٤٠٢) عن عمران القصير ، وذكره المنبجي في « تسلية أهل المصائب » (ص ١٤) .

(٥) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » كما في « بغية الباحث » (٢٠٥) في حديث طويل جداً ، وفيه داوود بن المحبَّر ، وميسرة بن عبد ربه .

[الصبر علىٰ سوء خلق المرأة]

وحكي : أنه كان لبعض الصالحين أخ صالح يزوره في كلِّ سنةٍ مرَّة ، فجاء يوماً لزيارته فطرق بابه، فقالت زوجته: من؟ فقال : **أخو زوجكِ في الله تعالىٰ جاء لزيارته** .

فقالت : إنه ذهب ليحتطب ، لا ردَّه الله . . . وبالغت في شتمه وسبِّه .

فبينما هو كذلك . . إذ رأىٰ أخاه مقبلاً ومعه أسد حامل حزمة حطب ، فلما وصل . . سلَّم علىٰ أخيه ورحَّب به ، ثم أنزل الحطب عن ظهر الأسد وقال له : **اذهب بارك الله فيك** ، ثم أدخل أخاه وامرأته تسبّه فلا يُجيبها ، فأطعمه ثم ودّعه ، فانصرف وهو متعجب غاية العجب من صبره علىٰ سب امرأته .

ثم جاء في العام الثاني فدقَّ الباب ، فقالت امرأته : من ؟ قال : أخو زوجك في الله جاء يزوره .

قالت : مرحباً . . . وبالغت في الثناء عليه ، وأمرته بانتظاره ، **فجاء وهو حامل علىٰ ظهره الحطب** ، فأدخله وأطعمه ، وزوجته تُبالغ في الثناء .

فلما أراد مفارقته . . سأله عما رأىٰ من تلك المرأة ومن هـٰذه ، ومن حمل الأسد أول مرة وحمله هو في الثانية !!

فقال : يا أخي ؛ توفيتْ تلك الشريرة وكنت صابراً علىٰ أذيَّتها وبغيها ـ أي : تعديها ـ واستطالتها ، فسخَّر الله لي الأسد الذي رأيتَه يحمل الحطب بصبري عليها ، وصرتُ الآن أحمل الحطب علىٰ ظهري لراحتي مع هـٰذه[1] .

(**والقرآن حجةٌ لك**) أي : يحاجج عنك ويشهد لك بالخير في المواضع التي تُسأل فيها كالقبر والموقف ، ويشفع عند الله تعالىٰ في إكرامك ، هـٰذا إن عملت به ؛ بأن امتثلت أوامره ، واجتنبت نواهيه ، واتَّعظت بمواعظه ، واهتديت بأنواره .

(**أو**) حجةٌ (**عليك**) في تلك المواضع إن أعرضت عنه ولم تعمل به ، فيخاصمك ويشهد عليك بأنك مخالفٌ له ومضيِّعٌ حقوقه .

---

(١) انظر « الكبائر » (ص١٩٥ـ١٩٦) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص٢٠٦) .

[محاجة القرآن عن أهله]

وقد روىٰ عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **يمثَّل القرآنُ يوم القيامة رجلاً ، فيُؤتىٰ بالرجل قد حَمَله فخالف أمره** ، فيمثَّل له خصماً فيقول : يا رب ؛ قد حمَّلته إياي ، فبئس حاملٌ تعدَّىٰ حدودي[1] ، وضيَّع فرائضي ، وركب معصيتي ، وترك طاعتي . . . فما يزال يقذف عليه بالحجج حتىٰ يقال له : شأنك به ، فيأخذه بيده فما يرسله حتىٰ يكبَّه علىٰ منخره في النار .

قال : **ويؤتىٰ بالرجل الصالح قد كان حَمَله وحفظ أمره ، فيمثَّل له خصماً دونه**[2] ـ أي : ليمنع عنه ـ فيقول : يا رب ؛ حمَّلته إياي ، فخيرُ حاملٍ حفظ حدودي ، وعمل فرائضي ، واجتنب معصيتي ، واتبع طاعتي . . . فما يزال يقذف له بالحجج حتىٰ يقال له : شأنك به ، فيأخذه بيده فما يرسله حتىٰ يلبسه حلَّة الإستبرق ، ويعقد عليه تاج الملك ، ويسقيه كأس الخمر »[3] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه قال : (يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه ؛ فيكون قائداً لصاحبه إلى الجنة ، أو يشهد عليه ؛ فيكون سائقاً له إلى النار)[4] .

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **اقرؤوا القرآن واعملوا به ، ولا تجفوا عنه** » أي : لا تتركوا تلاوته « **ولا تغلوا فيه** » أي : لا تتعدَّوا حدوده من حيث لفظه ؛ كترك تجويد حروفه ، أو من حيث معناه كترك أوامره « **ولا تأكلوا به** »

---

(١) قوله : (**فبئس**) كلمة ذم . **اهـ مؤلف** .

(٢) قوله : (**دونه**) لعله بمعنىٰ (أمامه) لأنه يأتي بمعنىٰ ذلك ؛ كما تقدم بالهامش عن « القاموس » **اهـ مؤلف** .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٠٦٦٧) ، ومن طريقه ابن الضريس في « فضائل القرآن » (٩١) ، والخطيب في « اقتضاء العلم العمل » (١١٢) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٠٦٧٦) ، والدارمي في « مسنده » (٣٣٦٨) ، وابن الضريس في « فضائل القرآن » (١٠٨) .

أي : لا تجعلوه سبباً للأكل « **ولا تستكثروا به** »[1] أي : لا تجعلوه سبباً للاستكثار من الدنيا .

ولذا : قال سهل رحمه الله تعالىٰ : (**علامة حب الله** : حب القرآن ، **وعلامة حب القرآن** : حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم ، **وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم** : حب السنة ، **وعلامة حبِّها** : حب الآخرة ، **وعلامة حبِّها** : بغض الدنيا ، **وعلامة بغضها** : ألاَّ يتناول منها إلا البلغة)[2] أي : ما يكفيه فقط .

فأَخْذُ المقابل على القرآن مذمومٌ حيث كان آخذه غنياً غنىً ظاهراً ، أو غِنىً قلبياً ، أمّا لو كان محتاجاً . . فلا بأس بأخذه .

[بشارة لأهل القرآن بدخولهم الجنة زمراً زمراً]

وحكي عن بعض المتصدِّرين للقراءة في الجامع العتيق بمصر : أنه حلف بالطلاق الثلاث ؛ **أنه لا يُجيز أحداً يقرأ عليه القرآن فيستحقّ الإجازة إلا بعشرة دنانير** .

فاتفق أنه قرأ عليه رجلٌ فقير ، فلما أكمل القراءة . . سأله الإجازة ، فأخبره بيمينه ، فتألَّم خاطره ، فأخبر به أصحابه ، فجمعوا له خمسة دنانير ، فأتىٰ بها إلى الشيخ فلم يأخذها ، فخرج من عنده فرأى المَحْمِل يُدار به ، فقال : **والله ؛ لا أنفقت هـٰذه إلا في الحج** ، فاشترىٰ ما يحتاجه وسار حتىٰ وصل إلىٰ مكة .

فلما قضىٰ مناسكه . . رحل إلى المدينة الشريفة ، فلما وصل إلىٰ قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال : **السلام عليك يا رسول الله** ، ثم قرأ عشراً جمع فيه

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/٤٢٨ ، ٤٤٤) ، وعبد الرزاق في « مصنفه » (١٩٤٤٤) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٧٨٢٥) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » (٣١٤) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (١٥١٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٣٨٣) عن سيدنا عبد الرحمـٰن ـ ويقال : عبد الله ـ بن شبل رضي الله عنه .

(٢) انظر « قوت القلوب » (٢/٥٣) ، و« تفسير القرطبي » (٤/٦٠ـ ٦١) .

الأئمة السبعة وقال : هٰذه قراءتي علىٰ فلان عن فلان عنك عن جبريل عليكما الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالىٰ ، **وقد سألت شيخي الإجازة فأبىٰ عليَّ** ، **وقد استعنتُ بك يا رسول الله في تحصيلها** .

ثم نام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « سلِّم علىٰ شيخك وقل له : **رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك** : **أجزني بلا شيء** ، فإن لم يصدِّقْك . . فقل له : **بأمارة زمراً زمراً** » .

فلما وصل الفقير إلىٰ مصر . . أخبر شيخه وبلَّغه الرسالة بغير أمارة ، فلم يصدِّقْه .

فقال : **بأمارة زمراً زمراً** ، فصاح الشيخ وخرَّ مغشيّاً عليه ، فلما أفاق . . سأله أصحابه عن ذلك ، فقال : **كنت كثيراً ما أتلو القرآن** ، فمررت يوماً علىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ فحلفتُ لا أقرأ القرآن إلاَّ متدبِّراً فَهِماً ، فأقمت لا أتجاوز من القرآن إلا اليسير مدة طويلة حتىٰ نسيته ، فكفَّرتُ عن يميني ، وشرعتُ في حفظه فحفظته .

فبينما أنا أتلو ذات يوم ؛ فمررت علىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[1] .

فقلت : **ليت شعري !! من أي الأقسام أنا ؟** ثم قلت : لست من الثاني ولا من الثالث بيقين ، فيتعيَّن أن أكون من القسم الأول[2] ، فنمت تلك الليلة حزيناً ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : « **بشِّر قرَّاء القرآن أنهم يدخلون الجنة زمراً زمراً** » .

ثم أقبل علىٰ ذلك الفقير يقبِّل وجهه وقال : **أُشهدكم علىٰ أني أجزته ؛ ليقرأ**

---

(١) والآية بتمامها : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ .

(٢) وهو الظالم لنفسه .

ويُقرىء من شاء ، وكلٌّ ذلك ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

(كل الناس) أي : كل إنسان (يغدو) أي : يصبح ساعياً في أموره ، متصرِّفاً في أغراضه (فبائع) أي : فهو بائع ؛ أي : باذل (نفسه فمعتقها) أي : مخلِّصها من عذاب الله تعالىٰ إن بذلها في طاعته (أو موبقها) أي : مهلكها وموقعها في عذابه إن بذلها في معصيته .

خاتمة

[فيما يُعتِق العبدَ من النار]

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال حين يصبح : اللهم ؛ إني أصبحت أُشهدك ، وأشهد حملةَ عرشك ، وملائكتك وجميع خلقك : أنك أنت الله ، لا إلـٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأنَّ محمداً عبدك ورسولك (مرةً) . . أعتق الله ربعه من النار ، أو مرتين . . فنصفه ، أو ثلاثاً . . فثلاثة أرباعه ، أو أربعاً . . فكلّه »[2] وكذا إن أمسىٰ ، ويقال حينئذ : (اللهم ؛ إني أمسيت) بدل : (أصبحت) .

وورد : « أن من قال حين يصبح : سبحان الله وبحمده (ألف مرة) . . فقد اشترىٰ نفسه من الله ، وكان من آخر يومه عتيقاً من النار »[3] .

[من المجربات المعتقة من النار بإذنه تعالىٰ]

وذكر السادة الصوفية : (أنّ من قال : لا إلـٰه إلا الله « سبعين ألف مرة » . . أعتق الله بها رقبته أو رقبة من قالها له من النار) ، وكانوا يحافظون علىٰ فعلها

---

(١) ذكرها في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٠٨) .

(٢) أخرجه بلفظ : « من قال حين يصبح أو يمسي . . . » أبو داوود في « سننه » (٥٠٦٩) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٩٧٥٣) وغيرهما عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣٩٩٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً .

لأنفسهم ولمن مات من أهاليهم وإخوانهم ، فينبغي للإنسان أن يفعلها ؛ اقتداءً بهم وتبرُّكاً بأفعالهم[1] .

وقد حكي : أنَّ شاباً صالحاً كان من أهل الكشف ماتت أمه ، فصاح وبكىٰ ، وخرَّ ـ أي : سقط ـ مغشياً عليه ، فسُئل عن سبب ذلك ، **فذكر أنه رأىٰ أمه في النار !!**

وكان بعض المشايخ من السادة حاضراً ، وكان قد قال هـٰذه السبعين ألفاً ، وأراد أن يعدَّها ويدَّخرها لنفسه ، فقال في نفسه عندما سمع قول الشاب المذكور : **اللهم** ؛ إنك تعلم أني هللت هـٰذه السبعين ألف تهليلة ، وأريد أن أدخرها لنفسي ، **وأُشهدك أني قد اشتريتُ بها أمَّ هـٰذا الشاب من النار** ، فما استتمَّ كلامه . . إلا وتبسَّم الشاب وسُرّ سروراً عظيماً ، وقال : **الحمد لله الذي أراني أمي قد خرجت من النار وأُمر بها إلى الجنة**[2] .

ثم إنَّ هـٰذا الحديث حديث عظيم ، قد اشتمل علىٰ مهمات قواعد الدين (**رواه**) وفي نسخة : (أخرجه) (**مسلم**) في « صحيحه » رحمه الله تعالىٰ .

❋ ❋ ❋

(١) ذكره في « الفتوحات المكية » (٧/ ٢٣٦) .
(٢) ذكرها في « الفتوحات المكية » (٧/ ٢٣٦) ، وانظر « المجالس السنية » (ص٧٠) .

الحديث الرّابع والعشرون

[آلاءُ اللهِ وفضلُهُ علىٰ عبادِهِ]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ٱلْغِفَارِيِّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَّهُ قَالَ : « يَا عِبَادِي ؛ إِنِّي حَرَّمْتُ ٱلظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلاَ تَظَالَمُوا ، يَا عِبَادِي ؛ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَٱسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي ؛ كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَٱسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي ؛ كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَٱسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِي ؛ إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً ، فَٱسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي ؛ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي ؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ . . مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً ، يَا عِبَادِي ؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ . . مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً ، يَا عِبَادِي ؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ . . مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ ٱلْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ ٱلْبَحْرَ ، يَا عِبَادِي ؛ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً . . فَلْيَحْمَدِ ٱللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ . . فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

(عن أبي ذر الغفاري) وتقدّم الكلام عليه[2] (رضي الله) تعالىٰ (عنه ، عن

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ٢٧٣) في الحديث الثامن عشر .

النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه) أي : ينقله (عن ربه عز وجل أنه قال) أي : الرب جلَّ جلاله ؛ فهو حديث قدسي :

(يا عبادي) المراد بهم هنا : جميع الثقلين ؛ بدليل قوله الآتي : « إنسكم وجنكم » .

[تعريف الظلم وتحريمه]

(إني حرمت الظلم علىٰ نفسي) أي : تنزَّهتُ عنه ، وحكمتُ باستحالته علىٰ نفسي ؛ لأنَّ معناه لغةً : وضع الشيء في غير محله ، ومعناه شرعاً : التصرُّف في ملك الغير بغير حقّ .

وكلا المعنيين مستحيل عليه تعالىٰ ؛ إذ لا ملك لغيره ، بل هو مالك كلِّ شيء ، وما في الدنيا إعارة بفضله ، ولا حقّ لأحد معه .

فهو الذي خلق المالكين وأملاكهم ، وتفضَّل عليهم بها ، وحدد لهم الحدود ، وحرَّم وأحلَّ .

فلا حاكم يتعقَّبه ، ولا حق يترتَّب عليه ، تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً .

وما ألطف قول ابن العربي رحمه الله تعالىٰ : (من لم يخرج شيء عن ملكه . . لم يتصف بالظلم في حكمه)[1] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ﴾ ؛ أي : لا يمكن ظلمه ولا يقع .

(وجعلته) أي : الظلم (بينكم محرماً) أي : حكمت بتحريمه عليكم ، ومنعتكم منه ؛ لقبحه وأذية النفس والخلق به ، وقد اتفقت الملل كلُّها علىٰ وجوب

---

(١) الفتوحات المكية (١ / ٢) .

حفظ الأنفس والأنساب والأعراض والعقول والأموال[1] ، **والظُّلم يقع في هٰذه أو في بعضها** ، وأعلاه الشرك ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وروى الشيخان : « **الظُّلم ظلمات يوم القيامة** »[2] .

ورويا أيضاً : « إنَّ الله لَيُملي للظالم ـ أي : يمهله ويطوِّل له ـ حتىٰ إذا أخذه . . لم يُفْلِتْه »[3] .

وروىٰ مسلم : « **أتدرون من المفلس ؟** » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع .

قال : « **المفلس من أمتي** : من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي وقد شتم هٰذا ، وقذف هٰذا ، وأكل مال هٰذا ، وسفك دم هٰذا ، وضرب هٰذا ، فيعطىٰ هٰذا من حسناته ، وهٰذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه . . أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ، ثم طُرح في النار »[4] .

(**فلا تظالموا**) بفتح التاء وتخفيف الظاء المعجمة ، **وأصله** : (تتظالموا) فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً ، ويجوز تشديد الظاء بإبدال التاء الثانية ظاء وإدغامها في الظاء ، وزعم بعضهم أنه الرواية ؛ أي : لا يظلم بعضكم بعضاً ؛ فإنَّ الله

---

(١) قال الإمام اللقاني رحمه الله تعالىٰ صاحب « الجوهرة » :

وحفــظُ ديــنٍ ثــم نفــسٍ مــالْ نســبْ ... ومثلهــا عقــلٌ وعــرضٌ قــد وَجَــبْ

وهٰذه المسألة تسمىٰ عند القوم **بحفظ الكليات الخمس** ، وفي الحقيقة هي ست ، **وصدَّر بالدِّين** : لأنه أعظم الواجبات ، فلا خير فيمن لا دين له ، **ثم نفس** : معصومة ، فيجب حفظها ، ولا يباح قتلها ، ولا قطع أعضائها بغير حق ، ولا منع الطعام والشراب الذي به قوامها ، **مال** : ما يحل تملكه شرعاً ، فيجب صيانته ، ولا يباح بسرقة ولا غصب ، **نسب** : أي : حفظه ، فلا يباح بزنا ، **ومثلها عقل** : فلا يباح المغيب له كاستخدام المسكر ، **وعرض** : وهو موضع المدح والذم ، فلا يباح بقذف ولا سب ، وقد وجب حفظها جميعاً . اهـ ملخصاً من « شرح الصاوي » (ص ٤١٥ـ ٤١٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٧) ، ومسلم (٢٥٧٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٨٦) ، ومسلم (٢٥٨٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٤) صحيح مسلم (٢٥٨١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

تعالىٰ يقتصُّ للمظلوم من الظالم بقدر ظلامته[1] .

ومن جملة الظلم : إعانة الظالم والدعاء له ، وقد ورد : (**من دعا لظالم بالبقاء . . فقد أحبَّ أن يُعصى الله في أرضه**)[2] .

وورد : « الظلمة وأعوانهم في النار »[3] .

وورد : « ينادي مناد يوم القيامة : **أين الظلمة وأشياع الظلمة** ـ أي : أتباعهم وأنصارهم ومن يعينهم ـ حتىٰ من لاق لهم دواةً ، أو برىٰ لهم قلماً ؟ فيُجمعون في تابوت من حديد ، فيرمىٰ بهم في جهنم »[4] .

وورد : « **أن من مشىٰ مع مظلوم يعينه علىٰ مظلمته** . . ثبَّت الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام ، **ومن مشىٰ مع ظالم ليعينه علىٰ ظلمه** . . أزل الله قدميه على الصراط يوم تدحض ـ أي : تزلق ـ فيه الأقدام »[5] .

[موعظة السيدة نفيسة لابن طولون]

وحكي : أنه لما ظلم أحمد بن طولون . . **استغاث الناس من ظلمه** ، وتوجَّهوا إلى السيدة نفيسة رضي الله تعالىٰ عنها ، وشكوا ذلك إليها ، فقالت لهم : **متىٰ يركب** ؟ قالوا : في غدٍ .

---

(١) رقم بعض الملوك علىٰ بساطه :

لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم مصدره يفضي إلى الندمِ
تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ ... يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٤٦) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ قولَه ، و(٨/ ٢٤٠) عن يوسف بن أسباط رحمه الله تعالىٰ قولَه ، وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٩٨٦) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ قولَه .

(٣) أخرجه الديلمي كما في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٤٠٠٠) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أحمد في « الورع » (ص٩٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والديلمي كما في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٩٨٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أخرج طرفه الأول أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٤٨) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والديلمي في « مسنده » كما في « الفردوس » (٥٧٠٥) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وأورده بتمامه القرطبي في « تفسيره » (١٣/ ٢٦٣) .

فكتبت رقعةً ووقفت في طريقه ، وقالت : يا أحمد بن طولون ، فلما رآها . . عرفها ، فنزل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة وقرأها ؛ فإذا فيها : (ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخوّلتم ـ أي : أعطيتم نِعَماً وخَدَماً ـ ففسقتم ، ووردت إليكم الأرزاق فقطعتم ، هـٰذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة ، لا سيما من قلوب أوجعتموها ، وأكباد أجعتموها ، وأجساد عريتموها ، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون ، وجوروا فإنا بالله مستجيرون ، واظلموا فإنا لله متظلمون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ فعدل لوقته)[1] .

[ويل لجبار الأرض من جبار السماء]

وحكي : أنَّ بعض الملوك أغار علىٰ قرية ـ أي : هجم عليها ـ فنهبها وأخذ أموال أهلها ومواشيهم ودوابهم ، وفتك ـ أي : بطش ـ فيهم بالقتل وغيره .

فخرجت عجوز من بعض الدور ، فنظرت إليه وقالت : يا ويلك من ديّانٍ ـ أي : قهار ـ يوم الدين ، إذا انشقت السماء ، وبرز الربُّ لفصل القضاء !![2] .

فقال لها : يا عجوز ؛ أما سمعتِ في القرآن : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ ؟!

فقالت له : يا هـٰذا ؛ أنسيت الآية الأخرى التي بعدها في السورة : ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ أي : خالية ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ ؟![3] .

---

(١) انظر « المستطرف » (١/ ٣٤٢) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص٢١١) .

(٢) ذكر الإمام ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٠/ ٥٠٣ـ ٥٠٤) : أن الرشيد حبس مرةً أبا العتاهية ، وأرصد عليه من يأتيه بما يقول ، فكتب مرة علىٰ جدار الحبس : (من الوافر)

أمـــا والله إن الظلـــم شـــؤمٌ ... ومـــا زال المســـيء هـــو الظلـــومُ
إلـــىٰ ديـــان يـــوم الـــديـــن نمضـــي ... وعنـــد الله تجتمـــع الخصـــومُ

قال : فاستدعاه واستعجله في حِل ، ووهبه ألف دينار ، وأطلقه .

(٣) قال الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (١/ ٢٦٩) : (سمع ابن عباس رضي الله عنهما كعب الأحبار يقول : من ظلم . . خرب بيته . فقال : تصديقه في القرآن : ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾) .

فقال الملك : **ردوا عليهم مالهم** ، فردُّوه ، ثم قال : **يا عجوز ؛ كيف الخلاص ؟**

قالت : لا تقنط ؛ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ .

[طلب الهداية من الله تعالىٰ]

(**يا عبادي ؛ كلكم ضال**) أي : غافل عن الشرائع لا يعرف كيف يذكرني ويعبدني (**إلا من هديته**) أي : دللته ووفَّقته للإيمان بما جاءت به الرسل .

(**فاستهدوني**) السين والتاء فيه وفيما بعده للطلب ؛ أي : اطلبوا مني الهداية ، أي : الدلالة الموصلة إلىٰ طريق الحقِّ ، معتقدين أنها لا تكون إلا من فضلي .

(**أَهدِكم**) بفتح الهمزة وكسر الدال ؛ أي : أدلُّكم علىٰ طرق النجاة في الدنيا والآخرة .

والحكمة في طلب سؤال الهداية : إظهار الافتقار إليه عز وجل ، والإشعار بأنه لو هداهم قبل السؤال . . لربما قالوا : إنما أوتيناه علىٰ علم عندنا ، فيضلُّوا بذلك .

فإن قيل : كلُّ مؤمن تثبت له الهداية فكيف يطلبها ؟

أجيب : بأنَّ المراد من طلبها : الثبات عليها والمزيد فيها ؛ لأن الألطاف والهدايات من الله تعالىٰ لا تتناهىٰ ، ولا شكَّ أنَّ كلَّ مؤمنٍ محتاجٌ لذلك[1] .

---

(١) **أقسام الهداية أربعة** : **الأول** : الهداية العامة ، وهي لكل أحد بحسب احتماله ، وإليها أشار بقوله : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ . **الثاني** : الدعاء علىٰ ألسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وإليها أشار بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ . **والثالث** : التوفيق الذي يختص به من اهتدىٰ ، وإليها أشار بقوله : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ . **والرابع** : الهداية في الآخرة إلى الجنة ، وإليها أشار بقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ . **وهـٰذه الهدايات الأربع مرتبة** ؛ فإنه من لا يحصل له الأول . . لا تحصل له الثانية ، ومن لم تحصل له الثانية . . لا تحصل له الثالثة والرابعة ، والإنسان لا يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطريق ، دون بقية الأنواع المذكورة ، وإلىٰ ذلك أشار بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ، وإلىٰ بقية الهدايات أشار بقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ . اهـ من « فتح الباري » (١١/ ٥١٥) ملخصاً .

[الإطعام والإنعام من الله ذي الجلال والإكرام]

(**يا عبادي ؛ كلكم جائع**) بالهمز (**إلا من أطعمته**) وذلك لأنَّ الخلق كلَّهم عبيدٌ لا ملك لهم في الحقيقة ، وخزائن الرزق بيده سبحانه وتعالىٰ ، **فمن لا يطعمه بفضله . . بقي جائعاً بعدله** ؛ إذ ليس عليه إطعام أحد ، وأما قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ . . فـ(علىٰ) فيه بمعنىٰ (من) أو هو التزام منه تفضُّلاً ، لا أنه واجب عليه .

(**فاستطعموني**) أي : سلوني واطلبوا مني الإطعام (**أُطعمكم**) بضم الهمزة ؛ أي : أُيسِّر لكم أسباب تحصيل الطعام ، وأشبعكم به ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[1] .

فهو جلَّ جلاله يسخِّر السحاب ، ويسقي البلاد ، ويُحرِّك القلوب للإعطاء ، ويحوج بعضهم إلىٰ بعض ، وتصرُّفه في خلقه عجيب ، يعجز عنه الفطن اللبيب .

قال بعضهم : (**ولا يمنع من نسبة الإطعام إلى الله تعالىٰ ما يشاهد من ترتُّب الأرزاق على الأسباب الظاهرة** : كالحرف والصنائع وأنواع الاكتساب ؛ لأنه عز وجل هو الذي قدَّرها وسهّلها بحكمته الباطنة)[2] .

وقد يرزق بعض عبيده بلا سبب معلوم ؛ كما روي أنَّ الله تعالىٰ أمر موسىٰ عليه السلام أن يضرب صخرةً بعصاه ، فانشقَّت وخرجت منها صخرة ثانية ، ثم ضرب فانشقت فخرجت ثالثة ، ثم ضربها فخرجت دودة كالذرَّة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء[3] .

ومن ثمَّ : كان أهل الله لا ينظرون إلى الوسائط في الرزق وغيره ، وإنما ينظرون

---

(١) وفي هـٰذا الحديث دليل علىٰ أن الله يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم ؛ من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك ، كما يسألونه الهداية والمغفرة ، أخرج ابن حبان (٨٩٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسألْ أحدُكم ربَّه حاجته كلها حتىٰ شِسع نعله إذا انقطع » .

(٢) انظر « الفتح المبين » (ص ٤٢١) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص٢١٣) .

(٣) ذكرها الرازي في « تفسيره » (١٧/ ١٨٦) .

إلى الله عز وجلّ ؛ **فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن ، والعارف محجوب بالباطن عن الظاهر** .

وقال بعضهم : (من جرىٰ مع الله تعالىٰ علىٰ عادة الناس من ملاحظة أسباب الرزق . . جرى الله تعالىٰ معه علىٰ عادتهم من تحصيله بالأسباب ، ومن خالفهم بقطع ملاحظة الأسباب من القلب ، وثقته بوعد الله تعالىٰ بالرزق . . جرى الله تعالىٰ معه علىٰ مخالفة عادتهم ؛ بأن يجعل رزقه من حيث لا يحتسب من غير تعب الكسب) .

[قصص في صدق التوكل على الله]

وقد قيل لبعضهم : (من أين تأكل ؟ فأشار إلىٰ فمه ، فقيل له : يا هـٰذا ؛ إنَّ كلَّ أحد يعرف ذلك ، فقال : **يا هـٰذا ؛ إنَّ الذي خَلَقَ الرَّحىٰ يرسل لها الدقيق**)[1] .

وحكي : (أن عابداً اعتكف في مسجد ولم يكن له معلوم ، فقال له إمامه : **لو اكتسبت . . كان خيراً لك وأفضل** ؟! فلم يجبه حتىٰ أعاد عليه القول ثلاثاً .

فقال له في الرابعة : **بجوار المسجد يهودي قد ضمن لي في كلِّ يوم رغيفين** .

قال : إن كان صادقاً في ضمانه . . فقعودك في المسجد خير لك .

فقال : يا هـٰذا ؛ لو لم تكن إماماً . . لكان خيراً لك ، **أَتفضِّل ضمان يهودي علىٰ ضمان الله عز وجل** ؟!)[2] .

---

(١) انظر « تفسير القرطبي » (٦/٩) ، و« محاضرات الأدباء » (٦٠٢/١) ، و« المستطرف » (١٥٩/١) ، وذكر في « محاضرات الأدباء » أيضاً : (أن رجلاً أتىٰ إلىٰ شقيق البلخي يطلبه ، فقالت امرأته : قد خرج إلى الجهاد . فقال : **وما خلف عليكم** ؟! فقالت : **أرازق شقيق أو مرزوق** ؟ فقال : بل مرزوق . فقالت : (**إن المرزوق خلف علينا الرازق** ، يا هـٰذا ؛ لا تعد إلينا فتفسد على الله قلوبنا) .

وسئل آخر فقال : (من السريع)

إن الذي شقَّ فمي ضامنٌ ... لي الرزق حتىٰ يتوفاني

(٢) انظر « إحياء علوم الدين » (٢٨٣/٨) .

وقيل : (إنَّ أبا يزيد صلَّىٰ خلف إمامٍ في بعض المساجد ، فلما سلَّم الإمام . . قال : يا أبا يزيد ؛ إني أراك لا كسب لك ، فمن أين تأكل ؟!

قال أبو يزيد : **اصبر حتىٰ أعيد الصلاة التي صلَّيتها خلفك** ؛ حيث شككت في رزق المخلوقين ؛ فإنه لا تجوز الصلاة خلف مَنْ لا يعرف الرازق)[1] .

وقيل لبعضهم : (من أين تأكل ؟ فقال : **من حيث يرزق الله الذبابة والبعوضة ، أيطعمها وينساني** ؟!)[2] .

[أنت جالب ولست برازق]

وحكي : أن رجلاً كثير العيال ، فضاقت يده ، **فهمَّ أن يهرب ويترك عياله** ، فاستقبله شخص وقال له : تؤجرني نفسك علىٰ أن تسقي لي طيراً حتىٰ يروىٰ وتأخذ مني ديناراً ؟

ففرح بذلك ، فدلَّه علىٰ بئر وأعطاه دلواً وقال له : انزح من هـٰذه البئر واسقِ هـٰذا الطائر حتىٰ يروىٰ ، فنزح طول نهاره والطير يشرب ولا يروىٰ ، فعجز وضاق صدره حيث لم يستحقَّ الدينار .

فقال له ذلك الشخص : إني لست ببشر ، وإنما أنا مَلَكٌ بعثني الله إليك ؛ ليريك ضعفك ، **حيث إنك لم تقدر أن تروي طيراً ؛ فكيف تقدر أن ترزق عيالك** ؟! ارجع إليهم ؛ فإن الله تعالىٰ هو الرزاق لهم ، ففوِّضْ أمرك وأمرهم إليه ، وانتظر الرزق من عنده .

---

(1) ذكرها الغزالي في « الإحياء » (٨/ ٢٨٣) عن بعضهم ولم يذكر أبا يزيد ، وذكرها المناوي في « الطبقات » (١/ ٦٥٥) .

(2) ذكر القرطبي في « تفسيره » (٩/ ٧) : (قيل لأبي أسيد : من أين تأكل ؟ فقال : **سبحان الله والله أكبر ؛ إن الله يرزق الكلب ، أفلا يرزق أبا أسيد** ؟! وقيل لحاتم الأصم : **من أين تأكل** ؟ فقال : من عند الله . فقيل له : **الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء** ؟! فقال : كأنه ما له إلا السماء ؟! **يا هـٰذا ؛ الأرض له ، والسماء له ، فإن لم يؤتني رزقي من السماء . . ساقه لي من الأرض**) . وأنشد :

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ... ورازق هـٰذا الخلق في العسر واليسرِ
تكفل بالأرزاق للخلق كلهم ... وللضب في البيداء والحوت في البحرِ

فَائِدَة

[في تحصيل الرزق]

ورد في الحديث الشريف : « أن من قال إذا أصبح وإذا أمسى : اللهم ؛ أنت خلقتني وأنت تهديني ، وأنت تطعمني وأنت تسقيني ، وأنت تميتني وأنت تحييني . . لم يسألِ الله شيئاً إلا أعطاه »(١) .

(يا عبادي ؛ كلكم عارٍ إلا مَنْ كسوته ، فاستكسوني) أي : اطلبوا مني الكسوة ؛ وهي ما يستر الجسد (أكسكم) بفتح الهمزة وكسر السين وضمها ؛ أي : أُيسِّر لكم الأسباب المحصِّلة لها .

وذهب بعض الصوفية إلىٰ أن المراد بالكسوة : لباس التقوىٰ ، وكذا المراد بالطعام فيما تقدم : قوت الروح ، والمعنىٰ : كلكم جاهلٌ غير متقٍ ، فاطلبوا منِّي العلم والتقوىٰ .

وعلىٰ هـٰذا المعنىٰ قول بعضهم(٢) : [من الطويل]

إذا المَرْءُ لم يلبَسْ ثياباً مِنَ التُّقىٰ ... تَقَلَّبَ عُرياناً ولو كانَ كاسِيا
وخيرُ لِباسِ المَرْءِ طاعةُ رَبِّهِ ... ولا خيرَ فيمَنْ كانَ للهِ عاصِيا

ولا مانع من إرادة المعنيين هنا وفيما تقدم ، فيكون المراد بالطعام : الطعام الظاهر والباطن ، والمراد بالكسوة : الكسوة الظاهرة والباطنة .

فَائِدَة

[فيمن كسا أو أطعم أو سقىٰ مسلماً]

ورد في الحديث الحسن : « أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً علىٰ عري . . كساه الله تعالىٰ من خُضْر الجنة ـ أي : من ثيابها الخضر ـ وأيما مسلم أطعم مسلماً علىٰ

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (١٠٣٢) عن سيدنا سمرة بن جندب رضي الله عنه .

(٢) البيت الأول في « ديوان أبي العتاهية » (ص٢٨٦) ، وكلاهما في « تفسير القرطبي » (٧/ ١٨٤) وغيره .

جوع . . أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، **وأيما مسلم سقىٰ مسلماً علىٰ ظمأ** . . سقاه الله تعالىٰ يوم القيامة من الرحيق المختوم »[1] أي : من خمر الجنة المختوم عليه بالمسك .

والمراد : أنه يختص بنوع مما ذكر أعلىٰ ، وإلا فكل من دخل الجنة . . كساه الله من ثيابها ، وأطعمه من ثمارها ، وسقاه من شرابها .

[طلب المغفرة من الله سبحانه]

(**يا عبادي ؛ إنكم تخطئون**) بضم التاء وكسر الطاء على المشهور ، وروي بفتحهما علىٰ وزن تعلمون ، **والمعنىٰ** : أنكم تفعلون الخطيئة ؛ أي : الذنب (**بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً**) أي : أسترها وأعفو عنها[2] .

وهـٰذا كقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ ، وهو عام مخصوص بغير الشرك وما لا يشاء الله تعالىٰ مغفرته ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ .

وسببُ نزول هاتين الآيتين : ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال : (أتىٰ وحشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : **يا محمد ؛ أتيتك مستجيراً فأجرني حتىٰ أسمع كلام الله** .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد كنت أحبُّ أن أراك علىٰ غير جواري ، فلما أن أتيتني مستجيراً . . فأنت في جواري حتىٰ تسمع كلام الله »

---

(١) أخرجه أبو داوود في « سننه » (١٦٨٢) ، ومن طريقه البيهقي في « الكبرىٰ » (٤/ ١٨٥) ، وأخرجه الترمذي في « سننه » (٢٤٤٩) ، وأحمد في « مسنده » (٣/ ١٣) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (١١١١) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) أخرج الترمذي (٢٤٩٩) ، وابن ماجه (٤٢٥١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » . قال بعض الصالحين : (من الكامل)

أنا مذنب أنا مخطىء أنا عاصي ... هو غافر هو راحم هو كافي

قابلتهنَّ ثلاثة بثلاثةٍ ... ولتغلبَنْ أوصافه أوصافي

فأنزل الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ . . . ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ مُهَانًا ﴾ .

فقال : **قد فعلت هـٰذا كله ؛ أنا في جوارك حتىٰ أسمع كلام الله** ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ .

فقال : **أرىٰ شرطاً ، فلعلي لا أعمل صالحاً ، أنا في جوارك حتىٰ أسمع كلام الله** ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ .

قال : **فلعلي ممن لا يشاء الله ، أنا في جوارك حتىٰ أسمع كلام الله** ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ . . . ﴾ الآية .

فقال : **نعم ؛ الآن لا أرىٰ شرطاً** ، فأسلم)[١] .

(**فاستغفروني**) أي : سلوني واطلبوا مني المغفرة (**أغفر لكم**)[٢] أي : أستر ذنوبكم ، وأمحو أثرها ، ولا أؤاخذكم بها[٣] .

[بعض الآثار في فضائل الاستغفار]

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالىٰ عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشيطان قال : وعزتك يا رب ؛ لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الرب تبارك وتعالىٰ : **وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني ؛ لا أزال أغفر لهم ما استغفروني** »[٤] .

---

(١) أخرجه الواحدي في « أسباب النزول » (ص٣٣٥ـ ٣٣٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢/٤١٣ـ ٤١٤) .

(٢) أخرج مسلم (٢٧٤٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ؛ لو لم تذنبوا . . لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله ، فيغفر لهم » .

(٣) قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالىٰ في « جامع العلوم والحكم » (٢/٣٧) : (هـٰذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالىٰ في جلب مصالحهم ، ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم ، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله ، وأن من لم يتفضل الله عليه بالهدىٰ والرزق . . فإنه يحرمهما في الدنيا ، ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه . . أوبقته خطاياه في الآخرة) .

(٤) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/٢٩ ، ٧٦) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » (٩٣٣) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (١٣٩٦) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٢٦١) .

وعن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من أكثر من الاستغفار** . . جعل الله عز وجل له من كل همٍّ فرجاً ، ومن كل ضيقٍ مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب »[١] أي : من جهةٍ لا يظن مجيء الرزق منها .

وفي الحديث : « **من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يومٍ سبعاً وعشرين مرة** . . **كان من الذين يُستجاب لهم** ، ويرزق بهم أهل الأرض »[٢] .

وذكر ابن حجر : (**أن من خصائص هـٰذه الأمة** : أنهم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب ؛ لاستغفار المؤمنين لهم)[٣] .

[فَائِدَة]

[فيمن لازم علىٰ سبعة أشياء عاش سعيداً ومات شهيداً]

وقيل : إن من لازم علىٰ هـٰذه الأشياء السبعة . . عاش سعيداً ومات شهيداً ؛ وهي : **أن يقول عند ابتداء كل شيء** : باسم الله ، **وعند الفراغ منه** : الحمد لله ، **وإذا رأىٰ ما يكره** . . **يقول** : لا حول ولا قوة إلا بالله ، **وإذا رأىٰ ما يستعظم** . . **يقول** : لا إلـٰه إلا الله ، **وإذا أصابته مصيبة** . . **يقول** : إنا لله وإنا إليه راجعون ، **وإذا أراد أن يفعل فعلاً** . . **يقول** : إن شاء الله ، **وإذا أذنب ذنباً** . . **يقول** : أستغفر الله ، فينبغي للإنسان أن يُعوِّد لسانه عليها[٤] .

---

(١) أخرجه أبو داوود في « سننه » (١٥١٨) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١٠٢١٧) ، وابن ماجه في « سننه » (٣٨١٩) ، وأحمد في « مسنده » (١/٢٤٨) ، والطبراني في « الدعاء » (١٧٧٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٢٦٢) وغيرهم .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه كما في « مجمع الزوائد » (١٠/٢١٣) .

(٣) انظر « الخصائص الكبرىٰ » (٢/٢٢٦) فقد بوب الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ لذلك ، وأخرج الطبراني في « الأوسط » (١٩٠٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أمتي أمة مرحومة ، متاب عليها ، تدخل قبورها بذنوبها ، وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها ، تمحَّص عنها ذنوبها باستغفار المؤمنين لها » .

(٤) ذكر العلامة باقشير الحضرمي رحمه الله تعالىٰ في « الموجز المبين » (ص ١٢٨) أن من الأشياء =

(**يا عبادي ؛ إنكم لن تبلغوا ضري**) بضم الضاد وفتحها ، وهو منصوب بنزع الخافض ؛ أي : لن تصلوا إلىٰ ضري .

وقوله : (**فتضروني**) منصوب بحذف النون جواباً للنفي .

(**ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**) منصوب أيضاً بحذف النون كالذي قبله ، **والمعنىٰ** : لا تقدروا[1] أن تُوصلوا إليَّ ضراً ولا نفعاً ؛ لاتصافكم بالعجز والفقر واتصافي بالقدرة والغنىٰ[2] .

وقد قام الإجماع علىٰ تنزيه الباريء وتقديسه ، وأنه غنيٌّ بذاته لا يلحقه ضرٌّ ولا نفع ، فالطاعة لا تنفعه والمعصية لا تضره ، وإنما نفع الأولىٰ وضرر الثانية راجعٌ للعبد ؛ كما قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ .

[مِلْك الله لا يزيد بطاعة أحد ولا ينقص بمعصيته]

(**يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم**) يعني : لو أن الأموات الذين سبقوكم والأحياء الموجودين فيكم ومن يوجد بعدكم .

وقوله : (**وإنسكم وجنكم**) عطف تفسير ، أو تفصيل بعد إجمال (**كانوا**)

=النافعة أن يقول : (**وأعددت لكل هولٍ ألقاه في الدنيا والآخرة** : لا إلـٰه إلا الله ، **ولكل هم وغم** : ما شاء الله ، **ولكل نعمة** : الحمد لله ، **ولكل رخاء وشدة** : الشكر لله ، **ولكل أعجوبة** : سبحان الله ، **ولكل ذنب** : أستغفر الله ، **ولكل مصيبة** : إنا لله وإنا إليه راجعون ، **ولكل ضيق** : حسبي الله ، **ولكل قضاء وقدر** : توكلت على الله ، **ولكل طاعة ومعصية** : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، و﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وثلاثاً أحب) .

(١) كذا في الأصل ، وحذف النون من الأمثلة الخمسة حال الرفع وارد لغة . انظر « همع الهوامع » (١/٢٠١) .

(٢) قال العلامة الشبرخيتي رحمه الله في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢١٦) : (**والمعنىٰ هنا** : لا يتعلق بي ضررٌ ولا نفعٌ فتضروني أو تنفعوني . قال بعض الكاملين : وفي قوله : « لن تبلغوا ضري . . . إلخ » إشعار بأن ما تقدم من الهداية والإطعام والكسوة والغفران . . ليس لدفع ضر ولا جلب نفع ، بل بمحض فضل) .

كلهم أتقياء بررة مشتملين (**علىٰ أتقىٰ**) أي : علىٰ مثل تقوىٰ أتقىٰ (**قلب رجل واحد منكم**) ويصح أن تكون (علىٰ) بمعنى الكاف ؛ أي : متقين كتقوىٰ أتقىٰ قلب رجل واحد منكم ، **والمراد به** : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

والمعنىٰ : إنكم لو كنتم في غاية من التقوىٰ وأطعتموني كطاعة محمد صلى الله عليه وسلم . . (**ما زاد ذلك**) الذي فعلتموه (**في ملكي**) بضم الميم ؛ أي : عِظمي (**شيئاً**) .

(**يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا**) كلهم عصاة فجرة مشتملين (**علىٰ أفجر**) أي : علىٰ مثل فجور أفجر (**قلب رجل واحد**) وهو إبليس اللعين ، ولم يقل : (منكم) هنا ؛ لئلا يخاطبهم بالأفجرية ، تفضلاً منه وإحساناً ، وقيل : إن (منكم) وقع في بعض النسخ ، ولـٰكن الرواية على الأول ؛ أي : علىٰ حذفه .

والمعنىٰ : إنكم لو اتفقتم على الفجور وعصيتموني كمعصية إبليس . . (**ما نقص ذلك من ملكي شيئاً**) ، فسبحان مَنْ ملكه في غاية الكمال ؛ لا يزيد بطاعة الطائعين ولا ينقص بمعصية العاصين !!

[خزائن الله ملأىٰ لا ينقصها شيء]

(**يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا**) أي : اجتمعوا (**في صعيد واحد**) أي : في أرضٍ واحدة ، ومحلٍّ واحد (**فسألوني**) أي : طلبوا مني حوائجهم في آنٍ واحدٍ (**فأعطيت كلَّ إنسان**) وفي رواية : (كل واحد)[1] (**مسألته**) أي : مطلوبه وحاجته .

(**ما نقص ذلك**) أي : الإعطاء المفهوم من (أعطيت) وهو بمعنى المعطىٰ ؛ أي : لا ينقص ما أعطيته لكل واحدٍ منكم شيئاً (**مما عندي**) أي : في قبضة قدرتي

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (١٠/ ١٨٧) .

(**إلا كما**) أي : إلا نقصاً مماثلاً للذي (**ينقص المخيط**) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الياء ؛ أي : الإبرة التي يخاط بها .

و(نقص) يستعمل لازماً كـ (نقص المال) ، ومتعدياً كما هنا ، والمفعول محذوف ؛ أي : إلا كما ينقصه المخيط (**إذا أُدخل**) بصيغة المجهول ، وفي نسخة : (إذا دخل) (**البحر**) أي : المحيط بالدنيا[1] .

وهـٰذا مَثَلٌ قصد به التقريب للأفهام ؛ فإن ماء هـٰذا البحر من أعظم المرئيات وأكبرها ، وغمس الإبرة فيه مع كونها صغيرة صقيلة لا يؤثر فيه نقصاً ؛ يعني : إن إعطاء الله تعالىٰ من الخزائن الإلـٰهية لا ينقصها شيئاً ؛ كما أن غمس الإبرة في البحر لا ينقصه ؛ أي : بالنسبة إلىٰ رأي العين ، وإن كان في نفس الأمر ينقص شيئاً قليلاً ؛ لـٰكنه لقلَّته جداً لا يُرىٰ ولا يُعَدُّ شيئاً فكأنه لم ينقص .

وأما الخزائن الإلـٰهية . . فإنها لا تنقص شيئاً أصلاً ألبتة ؛ إذ لا نهاية لها ، والنقص مما لا يتناهىٰ محال ، بخلاف ما يتناهىٰ ؛ فإنه يدخله النقص[2] ، وقد يؤخذ منه مع عدم نقصه ؛ كالنار والعلم يقتبس منهما ما شاء الله تعالىٰ ولا ينقص منهما شيء أصلاً ، بل قد يزيد العلم بالإنفاق منه ؛ كما قال علي كرم الله تعالىٰ وجهه : (**العلم خيرٌ من المال ؛ العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه**

---

(١) أخرج البخاري (٧٤١١) ، ومسلم (٩٩٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **يد الله ملأىٰ ، لا يغيضها** ـ أي : لا ينقصه ـ **نفقة** ، **سحاء الليل والنهار** ، وقال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق الله السماوات والأرض . . فإنه لم يَغِض ما في يده » أي : لم ينقص شيئاً مما في خزائن قدرته ؛ لأن عطاءه تعالىٰ بين الكاف والنون ، وقال بعضهم : (من البسيط)

لا تخضعنَّ لمخلوقٍ علىٰ طمعٍ ... فإن ذاك مضرٌّ منك بالدِّينِ
واسترزقِ الله مما في خزائنه ... فإنما هي بين الكاف والنونِ

(٢) ذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالىٰ في « جامع العلوم والحكم » (٢/٥١) : (**وفي بعض الآثار الإسرائيلية** : أوحى الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام : يا موسىٰ ؛ لا تخافنَّ غيري ما دام لي السلطان ، وسلطاني دائم لا ينقطع ، يا موسىٰ ؛ لا تهتمنَّ برزقي أبداً ما دامت خزائني مملوءة ، وخزائني مملوءة لا تفنىٰ أبداً ، يا موسىٰ ؛ لا تأنس بغيري ما وجدتني أنيساً لك ، ومتىٰ طلبتني . . وجدتني ، يا موسىٰ ؛ لا تأمن مكري ما لم تجز الصراط إلى الجنة) .

النفقة ، والعلم يزكو بالإنفاق)[1] أي : يزيد بالتعليم .

[ما تزرعه تحصده]

(يا عبادي ؛ إنما هي) أي : الأعمال الصالحة والقبيحة المستفادة من قوله : (أتقىٰ) و(أفجر)، أو (هي) ضمير الشأن يفسِّره قوله : (أعمالكم أُحصيها) أي : أضبطها وأحفظها (لكم) بعلمي وملائكتي الحفظة (ثم أُوفيكم إياها) بضم الهمزة وفتح الواو وتشديد الفاء ، من التوفية ؛ وهي : إعطاء الحق على التمام والكمال .

والمعنىٰ : ثم أعطيكم جزاءها وافياً تاماً ، خيراً كان أو شراً ، وهـٰذه التوفية تكون في الآخرة ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ .

أو وفي الدنيا أيضاً ؛ لما روي : « أن المؤمنين يجازون بسيئاتهم في الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم ، والكافر يُجازىٰ بحسناته في الدنيا ويدخل النار بسيئاته »[2] .

والمراد بالحسنات التي يجازىٰ عليها : الطاعات التي لا تتوقَّف صحتها على الإيمان ؛ كصلة الرحم وإعتاق الرقبة .

(فمن وجد خيراً) أي : فمن رأىٰ نفسه تفعل ما يتعلق به المدح عاجلاً ، والثواب آجلاً . . (فليحمد الله) تعالىٰ ؛ أي : فلْيُثْنِ عليه بخيرٍ لتوفيقه لذلك ؛ فإنه نعمةٌ عظيمةٌ يجب الشكر عليها ، وقد قيل : إن الشكر على النعم يحفظها عن الزوال .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٨٠) ، والخطيب في « تاريخه » (٦/ ٣٧٦) ، وابن عساكر في « تاريخه » (١٤/ ١٧ـ ١٨) وغيره ، والمزي في « تهذيبه » (٢٤/ ٢٢٠) ، والذهبي في « تذكرة الحفاظ » (١/ ١١) .

(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٢٨٠٨) ، وأحمد في « مسنده » (٣/ ١٢٣ ، ١٢٥ ، ٢٨٣) ، والطيالسي في « مسنده » (٢٠١١) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » (١١٧٩) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٧٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ولفظ مسلم : « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة ، يُعطىٰ بها في الدنيا ويجزىٰ بها في الآخرة ، وأما الكافر . . فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا ، حتىٰ إذا أفضىٰ إلى الآخرة . . لم يكن له حسنة يجزىٰ بها » .

وقال وهب : (قرأت في بعض كتب الله تعالىٰ : أن إبليس ما قال في عبادته قط : الحمد لله ، ولو قالها . . ما مكر الله تعالىٰ به)[1] .

وقال بعض العارفين : (**من لم يشكر النعم . . فقد تعرض لزوالها ، ومن شكرها . . فقد قيدها بعقالها**)[2] .

وفي الحديث : « من أعطي فشكر ، وابتلي فصبر ، وظُلم فغفر ، وظَلم فاستغفر » ثم سكت صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ماذا يا رسول الله ؟ فقال : « أولـٰئك لهم الأمن وهم مهتدون »[3] أي : لهم الأمن في الآخرة ، وهم مهتدون في الدنيا .

(**ومن وجد غير ذلك**) أي : غير الخير وهو الشر . . (**فلا يلومن إلا نفسه**) لأن الله تعالىٰ أوضح الطريق وحذَّر وأنذر .

واللوم : الاعتراض ، **والمعنىٰ** : ومن رأىٰ نفسه تفعل شراً . . فلا يعترض إلا عليها ؛ حيث إنها آثرت شهواتها ومستلذاتها علىٰ رضا خالقها ورازقها ، فكفرت بنعمه ، ولم تذعن لأحكامه وحكمه ، فاستحقت أن يعاملها بظهور عدله ، وأن يحرمها مزايا جوده وفضله[4] .

خاتمة

[في تفويض الأمر وتسليمه لله]

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالىٰ : (**إذا عمل العبد حسنة وقال :**

---

(١) نزهة المجالس (١/ ٣٦) .

(٢) القول لابن عطاء الله السكندري في « الحكم العطائية » (ص٦٤) .

(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٧/ ١٣٨) عن سَخْبَرة الأزدي رضي الله عنه .

(٤) أخرج ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٧٠) عن عمرو بن المهاجر رحمه الله تعالىٰ قال : كنت أسمع عمر بن عبد العزيز كثيراً يتمثل بهـٰذه الأبيات : (من المتقارب)

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعمْ
ولا تحقرن صغير الذنوب ... فإن الإلـٰه شديد النقمْ

يا رب ؛ أنت بفضلك استعملت ، وأنت أعنت ، وأنت سهلت . . شكر الله تعالىٰ له ذلك وقال : يا عبدي ؛ أنت عملت ، وأنت أطعت ، وأنت تقرَّبت .

وإذا نظر إلىٰ نفسه وقال : أنا عملت ، وأنا أطعت ، وأنا تقربت . . أعرض الله تعالىٰ عنه وقال : أنا وفَّقت ، وأنا أعنت ، وأنا سهلت .

وإذا عمل سيئة وقال : أنت قدَّرتَ ، وأنت قضيتَ ، وأنت حكمتَ . . غضب الله تعالىٰ عليه وقال : بل أنت أسأت ، وأنت جهلت ، وأنت عصيت .

وإذا قال : أنا ظلمتُ ، وأنا أسأتُ ، وأنا جهلتُ . . أقبل الله تعالىٰ عليه وقال : أنا قضيت ، وأنا قدرت ، وقد غفرتُ وحلمت وسترت)[1] .

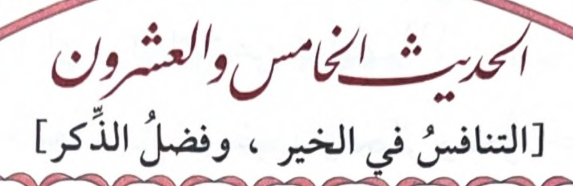
ثم إن هٰذا الحديث (**رواه مسلم**) في (كتاب الأدب) من « صحيحه » وهو حديثٌ عظيم عليه مدار الإسلام ، وقد كان أبو إدريس الخولاني راويه عن أبي ذر إذا حدَّث به . . جثا علىٰ ركبتيه ؛ تعظيماً له وإجلالاً[2] .

❁ ❁ ❁

---

(١) ذكره في « قوت القلوب » (٤٨/٢) ، و« إيقاظ الهمم » (ص٢٩٢ـ ٢٩٣) .

(٢) نقله الإمام النووي في « الأذكار » (ص ٦٦١) عن سعيد بن عبد العزيز رحمه الله ، وقد ختم الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ بهٰذا الحديث كتابه « الأذكار » وقال : (وهٰذا حديث صحيح ، رويناه في « صحيح مسلم » وغيره ، **ورجال إسناده مني إلىٰ أبي ذر رضي الله عنه كلهم دمشقيون** ، ودخل أبو ذر رضي الله عنه دمشق ، فاجتمع في هٰذا الحديث جُملٌ من الفوائد : **منها** : صحة إسناده ومتنه ، وعلوه وتسلسله بالدمشقيين رضي الله عنهم وبارك فيهم . **ومنها** : ما اشتمل عليه من البيان لقواعد عظيمة في أصول الدين وفروعه والآداب ولطائف القلوب وغيرها ، ولله الحمد . وروينا عن الإمام أبي عبد الله أحمد ابن حنبل رحمه الله قال : **ليس لأهل الشام حديث أشرف من هٰذا الحديث**) .



الحديث الخامس والعشرون

[التنافسُ في الخير ، وفضلُ الذِّكر]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : أَنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ ذَهَبَ أَهْلُ ٱلدُّثُورِ بِٱلأُجُورِ ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ ، قَالَ : « أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ ٱللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟! إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً ، وَأَمْرٍ بِٱلْمَعْرُوفِ صَدَقَةً ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةً ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةً » قَالُوا : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟! قَالَ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ ، أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ ؟! فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي ٱلْحَلَالِ ؛ كَانَ لَهُ أَجْرٌ » **رَوَاهُ مُسْلِمٌ**[(1)] .

(عن أبي ذر) تقدمت ترجمته[(2)] **(رضي الله)** تعالىٰ **(عنه : أن ناساً)** وفي نسخة : (أناساً) أي : جماعةً **(من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)** وفي رواية للبخاري : أنهم من فقراء المهاجرين[(3)] .

(قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ ذهب) أي : سار ومضىٰ **(أهل)** أي : أصحاب **(الدُّثُور)** بضم الدال المهملة والثاء المثلثة ؛ أي : الأموال

---

(1) صحيح مسلم (١٠٠٦) .

(2) انظر ما تقدم (ص ٢٧٣) في الحديث الثامن عشر .

(3) أخرجه البخاري (٨٤٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ؛ **ولفظه** : (جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ذهب أهل الدثور . . .) .

الكثيرة (**بالأجور**) أي : الزائدة علىٰ أجورنا ؛ وذلك لأنهم (**يصلُّون كما نصلِّي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدَّقون بفضول أموالهم**) من إضافة الصفة للموصوف ؛ أي : بأموالهم الفاضلة ؛ أي : الزائدة عن كفايتهم[1] .

وقولهم ذلك ليس حسداً ، بل هو غبطة وتحسُّر وتحزُّن علىٰ ما فاتهم من ثواب الصدقات ، وعتق الرقاب والمبرَّات التي لا يقدرون عليها ؛ لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة ، وقوة رغبتهم في فعل الخير .

[من أنواع الصدقات]

فأرشدهم المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم إلىٰ أن بكل نوعٍ من الأذكار صدقة ؛ حيث (**قال**) لهم : (**أوَليس**) الهمزة للإنكار بمعنى النفي ، والواو للعطف علىٰ مقدر ؛ أي : أيكون ذلك وليس . . . إلخ ، وهي للنفي ، ونفي النفي إثبات ؛ أي : لا تقولوا ذلك ؛ فإنه (**قد جعل الله**) تعالىٰ (**لكم ما تصَّدَّقون**) بتشديد الصاد والدال كما هو الرواية ، **وأصله** : تتصدقون به ، فقُلِبت التاء الثانية صاداً ، وأُدغمت في الصاد ، وحذفت الصلة وهي الجار والمجرور ؛ للعلم بها .

والمعنىٰ : لا تعتقدوا أن الصدقة خاصةٌ بالأموال ؛ فإن اللهَ تعالىٰ قد صيَّر لكم ما تفعلونه ويحصل لكم عليه ثوابٌ كثواب الصدقة[2] .

---

(١) وقيدوا بذلك ؛ أي : بقولهم : (بفضول أموالهم) بياناً لفضل الصدقة ؛ فإنها بغير الفاضل عن الكفاية إما مكروهة في حق من صبر ، أو محرمة في حق من لم يصبر . انظر « الفتح المبين » (ص٤٣٦) .

(٢) قسم الحافظ ابن رجب رحمه الله في « جامع العلوم والحكم » (٢/ ٥٩) الصدقة بغير المال إلىٰ نوعين فقال : (**أحدهما** : ما فيه تعدية الإحسان إلى الخلق ، فيكون صدقة عليهم ، وربما كان أفضل من الصدقة بالمال ؛ وهـٰذا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فإنه دعاء إلىٰ طاعة الله ، وكف عن معاصيه ؛ وذلك خير من النفع بالمال ، وكذلك تعليم العلم النافع ، وإقراء القرآن ، وإزالة الأذىٰ عن الطريق ، والسعي في جلب النفع للناس ، ودفع الأذىٰ عنهم ، وكذلك الدعاء للمسلمين والاستغفار لهم . . . **ومن أنواع الصدقة** : كف الأذىٰ عن الناس ؛ ففي « الصحيحين » عن أبي ذر وفي آخره : يا رسول الله ؛ أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال : « تكف شرك عن الناس ؛ فإنها صدقة ») .

وبيَّن لهم ذلك بقوله : (**إن**) لكم (**بكلِّ**) أي : بسبب كل (**تسبيحة**) أي : قول : سبحان الله (**صدقةً**) أي : أجراً كأجر الصدقة ، (**و**) إن لكم بسبب (**كلِّ تكبيرة**) أي : قول : الله أكبر (**صدقةً** ، **و**) إن لكم بسبب (**كلِّ تحميدة**) أي : قول : الحمد لله (**صدقةً** ، **و**) إن لكم بسبب (**كلِّ تهليلة**) أي : قول : لا إلـٰه إلا الله (**صدقةً**) أي : أجراً كأجر الصدقة كما تقرر .

وعلم من ذلك : أن لفظ (كل) في المواضع الثلاثة بالجر عطفاً علىٰ مدخول الباء في (بكل تسبيحة) ، و(صدقة) منصوب علىٰ كونه اسم (إن) **هـٰذا هو المختار** .

وفي بعض النسخ : (كلُّ) بالرفع على الابتداء في المواضع الثلاثة ، و(صدقةٌ) خبر[1] ، **ويكون المعنىٰ علىٰ ذلك** : كل قول من هـٰذه الأقوال صدقة ؛ أي : حسنة .

وروي عن أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنها أنها قالت : **يا رسول الله ؛ علِّمْني شيئاً أقوله وأنا جالسة** . فقال : « قولي : (**الله أكبر**) مئة مرة .. خيرٌ لك من مئة بدنةٍ مُجلَّلة متقبلة[2] ، قولي : (**سبحان الله**) مئة مرة .. خيرٌ لك من مئة فرس في سبيل الله ، قولي : (**الحمد لله**) مئة مرة .. خيرٌ لك من مئة رقبة من ولد إسماعيل تعتقيهم ، وقولي : (**لا إلـٰه إلا الله**) مئة مرة .. لا يدركها شيءٌ ولا يسبقها »[3] .

وفي رواية : أنه صلى الله عليه وسلم قال لها : « **سبِّحي الله مئة تسبيحة** ؛ فإنها

---

(١) قال العلامة الشبرخيتي في « الفتوحات الوهبية » (ص٢٢٠) : (« **وكل تكبيرة** » أي : قول : الله أكبر « **صدقة** » فيه وما بعده وجهان ؛ كما قال ابن فرج : الرفع على الاستئناف ، والنصب عطفاً علىٰ « صدقة » وهو الأجود) .

(٢) قوله : (**مجللة**) أي : مستورة بالجلال ، جمع (جل) ، وهو ما يُلبس للدابة . **اهـ مؤلف** .

(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » (٦/٤٢٥) ، والطبراني في « الكبير » (٢٤/٤٣٤) ، و« الأوسط » (٤٢٣٥ ، ٧٦٩٠) ، و(**تعتقيهم**) كذا في الأصل بحذف النون ، وفي المصادر بإثباتها ، وحذف النون حال الرفع واردٌ لغةً . انظر « همع الهوامع » (١/٢٠١) .

تعدل مئة رقبة من ولد إسماعيل ، **واحمدي الله مئة تحميدة** ؛ فإنها تعدل مئة فرس ملجمة مسرجة تحملين عليها في سبيل الله ، **وكبِّري الله مئة تكبيرة** ؛ فإنها تعدل لك مئة بدنة مقلدة متقبلة[1] ، **وهلِّلي الله مئة تهليلة** » ولا أحسبه إلا قال : « تملأ ما بين السماء والأرض ، ولا يُرفع يومئذ لأحد مثلُ عملك إلا أن يأتي بمثل ما أتيتِ به »[2] .

وفي الحديث : « من كبر مئة وسبح مئة وهلل مئة . . كان له خيراً من عشر رقاب يعتقها ، ومن سبع بدنات ينحرها »[3] .

وروي مرفوعاً : « **من ضن** » أي : بخل « **بالمال أن ينفقه** » أي : في وجوه الخير « **وبالليل أن يكابده** » أي : يقاسي شدة في قيامه للتهجد « **فعليه بسبحان الله وبحمده** »[4] أي : فليلزم قول ذلك بقلب حاضر ؛ فإنه يقوم له مقامَ الإنفاق والصلاة .

[عظم أجر تسبيحة في صحيفة مؤمن]

وعن شريح العابد رحمة الله تعالىٰ عليه قال : (**بلغني** : أنه لو قسم ثواب تسبيحةٍ علىٰ جميع هـٰذا الخلق . . لأصاب كلَّ واحدٍ منهم خيرٌ)[5] .

---

(١) قوله : (**مقلدة**) قال في « المختار » : (**تقليد الدابة** : أن يعلق في عنقها شيء ليُعلم أنها هدي) انتهى . **اهـ مؤلف** .

(٢) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (١٠٦١٣) ، وأحمد في « مسنده » (٦/ ٣٤٤) ، وعبد الرزاق في « مصنفه » (٢٠٥٨٠) ، والطبراني في « الكبير » (٢٤/ ٤١٤) ، وبنحوه ابن ماجه في « سننه » (٣٨١٠) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٢٩٩٩٨) ، والطبراني في « الكبير » (٢٤/ ٤١٠) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٥١٣ـ ٥١٤) .

(٣) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٣٦) ، وابن أبي شيبة في « مسنده » كما في « المطالب العالية » (٣٧٦٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٤٠٨٦) عن عبد الله بن حبيب ، وهو عند الديلمي كما في « الفردوس » (٥٦٥٧) .

(٥) المجالس السنية (ص ٧٧) ، وأخرج نحوه مرفوعاً الديلمي في « مسنده » كما في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٥٠٥٧) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه .

وحكي : أن سيدنا سليمان عليه السلام كان في موكبه والطير تظلُّه ، والإنس والجن حوله ، فمرَّ بعابدٍ من بني إسرائيل ، فقال : (قد أوتيتَ ملكاً عظيماً !! فقال : **تسبيحةٌ في صحيفة** [مؤمن] **أفضل ؛ ما أُوتيتُ يذهب ، وتسبيحةٌ تبقىٰ**)[1] أي : يبقىٰ ثوابها مدَّخراً عند الله تعالىٰ .

وعن أبي الحسن الشاذلي نفعنا الله تعالىٰ به أنه قال : (**إن أردتَ ألا يصدأ لك قلب ، ولا يلقاك همٌّ ولا كرب ، ولا يبقىٰ عليك ذنب** .. فأكثر من قول الباقيات الصالحات ؛ أي : وهي : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[2] .

[خير الأعمال عند الله وأجر من هلل مئة مرة]

وورد في الحديث الشريف : « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم** ، وأرفعِها في درجاتكم ، وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخيرٍ لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « ذكر الله عز وجل »[3] .

وفي « الصحيحين » : « من قال : **لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو علىٰ كل شيءٍ قدير** ، في يومٍ مئة مرة .. كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مئة حسنة ، ومُحي عنه مئة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يمسي ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا أحدٌ عمل أكثر من ذلك »[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٤٥) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٠٧٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٣١٣) عن أبي عمران الجوني رحمه الله تعالىٰ .

(٢) ذكره بنحوه الشعراني في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/٩) .

(٣) أخرجه الترمذي في « سننه » (٣٣٧٧) ، وابن ماجه في « سننه » (٣٧٩٠) ، وأحمد في « مسنده » (٥/١٩٥) وغيرهم عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً ، ورواه موقوفاً مالك في « الموطأ » (١/٢١١) وغيره ، وفي الباب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عند أحمد في « مسنده » (٥/٢٣٩) .

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٩٣ ، ٦٤٠٣) ، ومسلم (٢٦٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(**وأمرٍ بالمعروف**) أي : وإن لكم بسبب كل أمر بالمعروف (**صدقةً** ، **و**) بسبب كل (**نهيٍ عن منكر صدقة**) وفي بعض النسخ رفع (أمر) و(نهي) على الابتداء ، و(صدقةٌ) خبر .

والذي جوَّز الابتداء بهما مع كونهما نكرتين : عملهما في الجار والمجرور ، **وحكمة تنكيرهما** : الإشعار بأن كل فردٍ من أفرادهما صدقة .

وعرَّف (المعروف) ونكَّر (المنكر) ؛ لمناسبة لفظ كل منهما ، وإشارةً لتعظيم الأول وتحقير الثاني .

ويدخل في الأمر بالمعروف : الأمر بالإيمان وباتباع السنة ، ويدخل في النهي عن المنكر : النهي عن الكفر وعن البدعة .

وأخَّرهما عما قبلهما ؛ رعايةً للترقي من الأدنىٰ إلى الأعلىٰ ؛ لأنهما واجبان ، بخلاف ما قبلهما فنافلة ، **والواجب أفضل من النافلة**[1] ، وقد نقل إمام الحرمين : أن ثواب الفرض يزيد علىٰ ثواب النفل بسبعين ضعفاً[2] .

فائدة

[في الوعيد لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

روى الترمذي رحمه الله تعالىٰ عن حذيفة رضي الله تعالىٰ عنه قال : قال

---

(١) **وهٰذه قاعدة أغلبية** ؛ لأنهم استثنوا منها مسائل : **منها** : إبراء المعسر ؛ فإنه أفضل من إنظاره ، وإنظاره واجب ، وإبراؤه مندوب . **ومنها** : ابتداء السلام ؛ فإنه سنة ، والرد واجب ، والابتداء أفضل كما أفتىٰ به القاضي حسين . **ومنها** : الوضوء قبل الوقت سنة ، وهو أفضل منه في الوقت . اهـ من هامش النسخة (غ) من « الفتح المبين » انظر (ص٤٣٨) منه .

(٢) نهاية المطلب (١٢/٧ـ ٨) ، وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في « الفتح المبين » (ص٤٣٨) بعد نقله عن إمام الحرمين رحمه الله تعالىٰ : (**قال جماعة من أئمتنا** : إن فرض الكفاية أفضل من فرض العين ؛ لأن نفعه يخص الفاعل ، ونفع فرض الكفاية يعم الأمة لسقوط حرجه عنهم ، وفيه ـ أي : في الحديث ـ إيماء إلىٰ أن الصدقة للقادر عليها أفضل من هٰذه الأذكار ، ويؤيده : **أن العمل المتعدي أفضل من القاصر غالباً** ، وإلىٰ أن تلك الأذكار إذا حسنت النية فيها . . ربما يساوي أجرها أجر الصدقة ، سيما في حق من لا يقدر على الصدقة) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ؛ لتأمُرُنَّ بالمعروف وتنهونَّ عن المنكر** . . أو ليوشكنَّ الله يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم »[1] .

وروى الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما ، عن المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم قال : « **ليس منَّا مَنْ لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف ، وينهَ عن المنكر** »[2] .

(**وفي**) أي : وبسبب (**بُضْع**) حليلة (**أحدكم صدقة**) بالنصب عطفاً على اسم (إن) وبالرفع على الابتداء ، **والبُضْع** ـ بضم فسكون ـ : يطلق على الفرج وعلى الجماع ، ويصحُّ إرادة كلٍّ منهما هنا ، لكن على الأول يكون علىٰ حذف مضاف تقديره : وفي وطء بضع . . . إلخ .

وإنما يكون له في ذلك صدقة إذا قارنته نيةٌ صالحة ؛ كأَنْ قصد إعفاف نفسه أو زوجته عن الزنا أو مقدماته ، أو قصد حصول ولدٍ يوحِّد الله تعالىٰ ، أو يكثر به المسلمون[3] ، أو يكون له سابقاً مهيأ لمصالحه إذا مات فصبر علىٰ فقده .

وقد قيل : إن سيدنا عمر رضي الله تعالىٰ عنه كان يتزوج المرأة لا قصد له فيها إلا إرادة الولد ؛ للمكاثرة ، أو ليموت فيكون له أجره .

(**قالوا : يا رسول الله ؛ أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟! قال**) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**أرأيتم**) أي : أخبروني عما (**لو وضعها**) أي :

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » (٢١٦٩) ، وأحمد في « مسنده » (٥/٣٨٨) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (١٠/٩٣) .

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » (١٩٢١) ، واللفظ له ، وأحمد في « مسنده » (١/٢٥٧) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » (٥٨٦) ، وابن حبان في « صحيحه » (٤٥٨ ، ٤٦٤) ، والطبراني في « الكبير » (١١/٦٠) .

(٣) قال العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالىٰ في « الفتح المبين » (ص٤٣٩) : (**فعُلم أن المباح يصير طاعة بالنية الصالحة** ، وأن منها ما يُصيِّر المباضعة صدقة على المسلمين باعتبار ما ينشأ عنها من وجود ولد صالح يحمي بيضة الإسلام ، أو يقوم ببيان العلوم والأحكام . . .) .

شهوته (**في حرام**) وهو فرج غير حليلته (**أكان**) أي : أثبت (**عليه وزر ؟**) أي : إثم ، فكأنَّهم قالوا : نعم .

فقال لهم : (**فكذلك إذا وضعها في الحلال**) وهو فرج حليلته (**كان له أجر**) أي : فمثل حصول الوزر والإثم عليه بوضعها في الحرام . . حصول الأجر والثواب له بوضعها في الحلال .

ولفظ (أجر) روي بالرفع علىٰ أنه اسم (كان) و(له) خبرها ، وبالنصب علىٰ أنه الخبر ، والاسم ضمير يعود على الوضع المفهوم من (وضعها) ، و(له) حال من (أجر) .

ثم إن هـٰذا الحديث حديث عظيم ونفعه عميم (**رواه**) الإمام (**مسلم**) رحمه الله تعالىٰ .

[أيهما أفضل : الغني الشاكر أم الفقير الصابر ؟]

وفي رواية له : فرجع الفقراء إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : **سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا !!** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** »[1] .

وهـٰذا مشعرٌ بتفضيل الغني الشاكر ـ وهو الذي يصرف في الخيرات ما زاد عن حاجته ـ على الفقير الصابر ؛ وهو الذي لا يشتكي فقره ، وبه قال الجمهور ، واختاره العسقلاني والسيوطي ، **وهو الأصح**[2] .

---

(١) صحيح مسلم (٥٩٥) .

(٢) لـٰكنِ الذي قاله الحافظ في « الفتح » (٩/ ٥٨٣) : (**والتحقيق عند أهل الحذق** : ألا يجاب في ذلك بجواب كلي ، بل يختلف الحال باختلاف الأشخاص والأحوال ، نعم ؛ عند الاستواء من كل جهة وفرض رفع العوارض بأسرها . . فالفقير أسلم عاقبة في الدار الآخرة ، ولا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيء ، والله أعلم ، وسيكون لنا عودة إلى الكلام علىٰ هـٰذه المسألة) . ثم عاد إلى المسألة كما وعد وفصلها أتم التفصيل ، انظر (١١/ ٢٧٤ـ ٢٧٧) . وممن فصلها أيضاً العلامة ابن حجر الهيتمي في « الفتح المبين » (ص٤٤١ـ ٤٤٢) .

وقيل : إن الفقير الصابر أفضل ، وإليه ذهبت الصوفية[1] .

[مما يدل لتفضيل الفقير على الغني]

وقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه قال : (بعث الفقراء إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً فقال : **يا رسول الله ؛ إني رسول الفقراء إليك** .

فقال : « **مرحباً بك وبمن جئتَ من عندهم ، جئت من عند قوم أحبهم الله** » .

فقال : يا رسول الله ؛ إن الفقراء يقولون لك : إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله ـ وفي رواية : ذهبوا بالجنة ـ هم يحجُّون ولا نقدر عليه ، ويتصدَّقون ولا نقدر عليه ، ويُضيِّفون ولا نقدر عليه ، فإذا مرضوا . . بعثوا بفضل أموالهم ذخراً لهم ؟!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **بَلِّغِ الفقراء عنِّي** : أن لمن صبر منهم واحتسب ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء :

أما الخصلة الأولىٰ : فإن في الجنة غرفاً من ياقوت أحمر ، ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم ، لا يدخلها إلا نبي فقير ، أو شهيد فقير ، أو مؤمن فقير .

والخصلة الثانية : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ؛ وهو مقدار خمس مئة عام .

والخصلة الثالثة : إذا قال الفقير : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، والله أكبر مخلصاً ، وقال الغني مثل ذلك . . لم يلحَقِ الغنيُّ بالفقير في فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم ، وكذلك أعمال البرِّ كلها »

---

(1) قال العلامة الشبرخيتي رحمه الله تعالىٰ في « الفتوحات الوهبية » (ص٢٢٢) : (وقال العز بن عبد السلام : **الفقير الصابر أفضل** ، وإليه ذهب جمهور الصوفية ؛ لخبر : « **تعس عبد الدينار** » ولأن مدار الطريق علىٰ تهذيب النفس ورياضتها ، وذلك مع الفقر أكثر منه مع الغنىٰ ، وقال الداوودي : **إن الذي أُعطي الكفاف أفضل** ، والكفاف حالة متوسطة بين الفقر والغنىٰ . . .) .

فرجع إليهم الرسول وأخبرهم بذلك ، فقالوا : رضينا)[1] .

ثم إن محل الخلاف في أفضلية الغني الشاكر على الفقير الصابر : إنما هو فيمن يصلح حاله بالغنىٰ والفقر ؛ **بأن كان إذا استغنىٰ** . . **قام بجميع وظائف الغنىٰ** ؛ من البذل والإحسان والمواساة وأداء حقوق المال وشكر الملك الديان ، **وإذا افتقر** . . **قام بجميع وظائف الفقر** ؛ كالرضا والصبر والقناعة .

وأما من يصلح حاله بالغنىٰ فقط ؛ بأن يؤدي حق الله تعالىٰ في حالة الغنىٰ ، ولا يؤديه في حالة الفقر . . فالغنىٰ أفضل اتفاقاً ، **ومن يصلح حاله بالفقر فقط** ؛ بأن يؤدي حق الله تعالىٰ في حالة الفقر ، ولا يؤديه في حالة الغنىٰ . . فالفقر أفضل اتفاقاً[2] .

[علم الله سبحانه بما يصلح العبد]

وورد مرفوعاً : « أتاني جبريل فقال : يا محمد ؛ ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : **إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنىٰ** ، ولو أفقرته . . لكفر ، **وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر** ، ولو أغنيته . . لكفر ، **وإن من عبادي من**

---

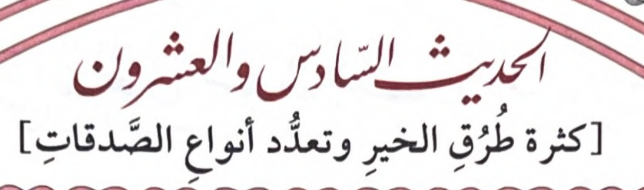
(١) أخرجه أبو الليث السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (٢٨٩) ، وأورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ٢٦٢) ، وروىٰ أصله ابن ماجه (٤١٢٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : (اشتكىٰ فقراء المهاجرين إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضَّل الله به عليهم أغنياءهم ، فقال : « يا معشر الفقراء ؛ ألا أبشركم أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ؛ خمس مئة عام » ، ثم تلا موسىٰ ـ أحد الرواة ـ هـٰذه الآية : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .

(٢) هـٰذا ما فصله العلامة الشبرخيتي في « الفتوحات الوهبية » (ص٢٢٢ـ ٢٢٣) ، ثم قال : (**فإن قلت** : ما حقيقة الغنىٰ ؟ وما المراد بالشاكر والصابر ؟ . . **فالجواب** ـ كما قاله الأقفهسي ـ « **إن الغنىٰ** : ما زاد على المحتاج إليه ، **والغني الشاكر** : هو الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب ، **والفقير الصابر** : هو الذي لا يشتكي فقره » اهـ ؛ فقد بيَّن **أن الغنىٰ** : ما زاد على الحاجة ، وبيَّن **الغني الشاكر** : بأنه الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب ، ولو قال بدل المندوب : المطلوب ؛ ليشمل الواجب . . كان أدل . . . وقيل : **الغني الشاكر** : هو الذي لا يُبقي مما يدخل عليه من المال الحلال إلا ما يحتاج إليه ، أو ما يرصده لأحوج ونحوه) .

لا يصلح إيمانه إلا بالسقم ، ولو صححته . . لكفر ، ومن عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالصحة ، ولو أسقمته . . لكفر »[1] .

نسأل الله تعالى السلامة بمنه وكرمه .. آمين

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٣١٨ـ٣١٩) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٧/٩٦) ، وأخرجه الديلمي كما في « الفردوس » (٨١٠٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وهو عنده (٨٠٩٨) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .



[كثرة طُرُقِ الخيرِ وتعدُّد أنواعِ الصَّدقاتِ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ سُلاَمَىٰ مِنَ ٱلنَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ ٱلشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ ٱثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ ٱلرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَٱلْكَلِمَةُ ٱلطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى ٱلصَّلاَةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ ٱلأَذَىٰ عَنِ ٱلطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » **رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ**[1] .

(**عن أبي هريرة**) وتقدَّمت ترجمته[2] (**رضي الله**) تعالىٰ (**عنه قال** : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** : **كل سلامىٰ**) مبتدأ ، وقوله الآتي : « من الناس » صفته ، وجملة : « عليه صدقة » خبر .

والسُّلاَمَىٰ ـ بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم مع قصر الألف ـ : اسم للواحد والجمع ، فهو مما استوىٰ واحدُه وجمعه ، وقيل : جمعه سُلاَمَيَات بفتح الميم وتخفيف الياء ، وهي : عظام الأصابع ، **والمراد بها هنا** : المفاصل .

والمعنىٰ : كلُّ مفصل (**من الناس**) أي : من كلّ واحد من الناس (**عليه صدقة**[3] ، **كل يوم تطلعُ فيه الشمس**) شكراً لله تعالىٰ علىٰ جَعْله هـٰذه المفاصل

---

(١) صحيح البخاري (٢٩٨٩) ، صحيح مسلم (١٠٠٩) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ١٨٩) في الحديث التاسع .

(٣) ظاهره الوجوب ، وليس كذلك ، بل هو مندوب ، وندبه بالاستقراء من خارج لا بالصيغة ، وذكَّر الضمير في قوله : (عليه صدقة) وإن كانت (سلامىٰ) مؤنثة باعتبار العظم والمَفصل ، لا لرجوعه لـ(كل) كما قاله بعضهم ؛ لأنها بحسب ما تضاف إليه . انظر « الفتوحات الوهبية » (ص٢٢٣) .

للعظام ؛ ليتمكَّن بها من التحرُّك ، **وقد ورد** : (أنها ثلاث مئة وستون مفصلاً)[1] ، فيُطلب من كلِّ أحدٍ في كلِّ يومٍ ثلاث مئة وستون صدقة ـ أي : حسنة ـ بعدد تلك المفاصل ؛ شكراً لله تعالىٰ كما علمت ، ورجاء اندفاع البلاء عنها ؛ فقد ورد : « **الصدقةُ علىٰ وجهها** ، **واصطناع المعروف** ، **وبرّ الوالدين** ، **وصِلة الرحم**. . تحوّلُ الشقاءَ سعادةً ، وتزيدُ في العمر ، وتقي مصارعَ السوء »[2] أي : تحفظ من كل أمرٍ مكروهٍ ؛ ديني أو دنيوي .

[قصتان في أن الصدقة تقي مصارع السوء]

وحكي : أنه كان في قوم صالح عليه السلام رجل يؤذيهم ، فقالوا : يا نبي الله ؛ ادعُ الله تعالىٰ عليه . فقال : (**اذهبوا فقد كفيتموه**) .

وكان يخرج كل يوم يحتطب ، فخرج في هٰذا اليوم ومعه رغيفان ، **فأكل أحدهما وتصدق بالآخر** ، واحتطب ، ثم جاء بحطبه سالماً فلم يصبه شيء !! فدعاه صالح عليه السلام وقال له : (**أي شيء صنعت اليوم ؟**) .

قال : خرجت ومعي رغيفان ، فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر .

فقال صالح عليه الصلاة والسلام : (حل حطبك) فحلَّه ؛ فإذا فيه أسود ـ أي : ثعبان عظيم ـ مثل الجذع ، عاض علىٰ جذر من حطب . فقال : (**بهٰذا دُفع عنك**) يعني : بالصدقة[3] .

---

(١) أخرج مسلم في « صحيحه » (١٠٠٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنه خُلق كل إنسان من بني آدم علىٰ ستين وثلاث مئة مفصل ؛ فمن كبر الله ، وحمد الله ، وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ، وعزل حجراً عن طريق الناس ، أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس ، وأمر بمعروف أو نهىٰ عن منكر عدد تلك الستين والثلاث مئة . . فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار » .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٤٥) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » (٤٩٤) ، وانظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٢٤) ، و« المجالس السنية » (ص ٨٩ ـ ٩٠) .

ونظير ذلك ما حكي : أن قصاراً في زمن عيسىٰ عليه السلام كان يفسد على الناس أقمشتهم[1] ، فسألوا عيسىٰ عليه السلام أن يدعوَ عليه بالهلاك ، فأقبل القصار عند غروب الشمس ورزمته علىٰ رأسه ، فعجبوا من ذلك ، وأخبروا عيسىٰ عليه السلام فطلبه فحضر برزمته ، فقال له : (**افتح رزمتك**) ، ففتحها ؛ فإذا فيها ثعبان عظيم قد أُلجم بلجام من حديد !!

فقال له عيسىٰ عليه الصلاة والسلام : (**ما صنعتَ اليوم من الخير** ؟) فقال : ما صنعتُ شيئاً إلا أن رجلاً نزل إليَّ من صومعته فشكا إليَّ جوعاً ، فدفعت له رغيفاً كان معي .

فقال له عيسىٰ عليه الصلاة والسلام : (**إن الله تعالىٰ قد بعث لك هـٰذا العدو ، فلما تصدَّقتَ . . أمر الله تعالىٰ مَلَكاً فألجمه بهـٰذا اللجام**)[2] .

[الإصلاح بين الناس من أفضل القربات]

(**تعدل**) روي بالفوقية والتحتية فيه وفي الأفعال بعده ، و(أن) مقدرة ؛ أي : أن تعدل ، أو أن يعدل ؛ أي : الإنسان المفهوم من الناس ، فحذفت (أن) فارتفع الفعل ، وهو في تأويل مصدرٍ مبتدأ خبرُه قوله : « صدقة » الآتي[3] .

والمعنىٰ : عدلك ؛ أي : صُلحك (**بين اثنين**) متحاكمينِ أو متخاصمينِ أو متهاجرينِ (**صدقة**) أي : منك عليهما ؛ لوقايتهما ـ أي : حفظهما ـ مما يترتب على المنافرة والمنازعة بينهما من قبيح الأقوال والأفعال .

---

(١) قوله : (**قصاراً**) أي : يقصر الثياب ؛ أي : يبيضها ، قال في « المصباح » : (وقصرت الثوب قصراً بيضته) انتهى . **اهـ مؤلف** .

(٢) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٢٤) ، و« المجالس السنية » (ص ٩٠) .

(٣) قوله : (**تعدل**) أي : أن تعدل ؛ لأنه في محل رفع مبتدأ أُخبر عنه بـ(صدقة) **تقديره** : عدلك بين الاثنين صدقة ، أو أوقع الفعل فيه وهو (تعدل) موقع المصدر مع قطع النظر عن (أن) **ونظيره** : **تسمع بالمعيدي خير من أن تراه** ؛ أي : أن تسمع ، أو سماعك . انظر « الفتح المبين » (ص ٤٥٠) .

وقد ثبت بالآيات والأحاديث النبويات : **أن الإصلاح بين الناس من أفضل القربات**(١) ، وما أحسن قول القائل(٢) : [من الكامل]

إنَّ الفضائلَ كلَّها لو جُمِّعَتْ ... رَجَعَتْ بأَجْمَعِها إلىٰ شَيئَينِ

تعظيمُ أَمْرِ اللهِ جلَّ جلالُهُ ... والسَّعْيُ في إصلاحِ ذاتِ البينِ

أي : العداوة والبغضاء .

وعن الحسن رضي الله تعالىٰ عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **أفضل الناس عند الله يوم القيامة** : المصلحون بين الناس »(٣) .

وقيل : إن جبريل عليه السلام تمنىٰ أن يكون في الأرض يسقي الماء ، ويصلح بين المسلمين(٤) .

[جزاء من أنفق في الإصلاح بين الناس]

وحكي : أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح ، وله امرأة صالحة تغزل قطناً ، وكان يأخذه منها ويبيعه كل يوم بدرهم ؛ فينفق نصفه عليهما ويشتري بنصفه الآخر قطناً .

فرأىٰ يوماً رجلين يقتتلان في السوق ويتشاتمان ، فقال : **ما شأنكما ؟**

فقال أحدهما : **لي علىٰ هـٰذا درهم ولا يعطينيه** .

---

(١) قال تعالىٰ : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

وقال جل وعلا : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

(٢) عزاهما في « تتمة يتيمة الدهر » (٥/ ٤٠) إلىٰ محمد بن أيمن الرهاوي ، وانظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٢٥) .

(٣) أورده في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٢٥) بلفظه ، وأخرج أبو داوود (٤٩١٩) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأفضلَ من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ » قالوا : بلىٰ . قال : « إصلاح ذات البين ، وفساد ذات البين الحالقة » .

(٤) ذكره في « المجالس السنية » (ص٧٩) .

فقال : لا تقتتلا ، ودفع الدرهم الذي باع به القطن إلىٰ صاحب الحق ورجع إلى امرأته ، فقالت له : **لِمَ لَمْ تجىء بالطعام والقطن ؟**

فحكىٰ لها ما جرىٰ ، **فدعت له بالبركة وأثنت عليه** ، وجمعتِ القطنَ الذي تطاير وتفرَّق في الدار واسودَّ فغزلته ، وأخذه منها ليبيعه ، فلم يشترهِ أحدٌ ، فرجع حزيناً ، فمرَّ علىٰ سمَّاكٍ عنده سمكة منتنة لم يقبلها أحد ، فقال له : **ما لي أراك حزيناً** ؟ فحكىٰ له ما حصل .

فقال : **بعتك هـٰذه السمكة بهـٰذا الغزل** .

فجاء بها إلى امرأته ، **فشقَّت بطنها** ؛ **فإذا فيها لؤلؤة في صدف** ، فذهب بها إلىٰ رجلٍ فقوَّمها بأربعين ألف درهم وقال له : أنت ضعيف ، من أين لك هـٰذه ؟!

فقال : **رزقني الله تعالىٰ بها** ، فرقَّ له وبعثه إلىٰ آخر ، فقوَّمها بثمانين ألف درهم وقال له : من أين لك هـٰذه وأنت ضعيف ؟!

فقال : رزقني الله تعالىٰ بها ، فرحمه وبعثه إلىٰ آخر ، **فباعها له بمئة وعشرين ألف درهم** ، فذهب بها إلى امرأته .

فأتاهما سائل ، فقالا : **مالُنا كثير** ، **نعطيه نصفَه** ، فدفعا له نصفه .

فذهب السائل ورجع بالمال وقال : **لست سائلاً** ، **وإنما أنا ملك من ملائكة السماء السابعة** ، بعثني الله تعالىٰ إليكما وهو يقول : **شكرتماني في الشدة والرخاء جميعاً** ، **وأعطيتكما ذلك جزاء لصلحكما للرجل الذي يقاتل صاحبه بالدرهم** ، ولكما جزاؤه الجنة .

(**وتعين الرجل**) أي : وإعانتك الرجل (**في دابته**) أي : فيما يتعلق بها (**فتحمله عليها**) وفي نسخة : (فيحمل عليها) وهو أعم من أن يحمل عليها الراكب أو المتاع ، وحمل الراكب أعم من أن يحمل كما هو ، أو يعينه في الركوب (**أو ترفع له عليها متاعه صدقة**) والإتيان بـ(أو) إما للشك من الراوي وإما للتنويع .

[الكلمة الطيبة صدقة]

(**والكلمة الطيبة صدقة**) كقولك لأخيك المسلم : كيف أصبحت ، كيف أمسيت ، حياك الله ، لقد أحسنت جوارنا أو ضيافتنا ، وكالسلام عليه ، وتشميته إذا عطس ، والشفاعة له ، ونحو ذلك مما فيه سرورٌ وتألُّفٌ للقلوب[1] .

وقد ورد مرفوعاً : « **أفضل الصدقة : صدقة اللسان** » قيل : يا رسول الله ؛ وما صدقة اللسان ؟ قال : « الشفاعة تفكُّ بها الأسير ، وتحقن بها الدم ، وتجر بها المعروف إلىٰ أخيك ، وتدفع عنه كربته »[2] .

ويحتمل أن المراد بالكلمة الطيبة : الباقيات الصالحات ، **ويحتمل أن يراد بها** : كل ثناء على الخالق أو المخلوق .

[الخطوة إلى الصلاة صدقة]

(**وبكل خَطوة تمشيها**) وفي رواية : (تخطوها)[3] (**إلى الصلاة صدقة**) كل : مبتدأ ، والباء فيه زائدة ، وخبره (صدقة) . **والخَطوة** ـ بفتح الخاء ـ : النقلة الواحدة من المشي ، **والمعنىٰ** : وكل نقلة قدمٍ في الذهاب إلى الصلاة في موضع الجماعات صدقة .

وفي الحديث : « **إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ، ثم خرج عامداً إلى المسجد** » أي : محل الجماعة « **لا يَنزعه** » أي : لا يُخرجه « **إلا الصلاة . . لم تزل رجله اليسرىٰ تمحو عنه سيئة وتكتب له اليمنىٰ حسنة حتىٰ يدخل المسجد** » أي : محل الجماعة ، « **ولو يعلم الناس ما في العتمة والصبح** » أي : ما في صلاة العشاء

---

(١) أخرج مسلم (٢٦٢٦) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقىٰ أخاك بوجهٍ طَلْق » .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٧/ ٢٣٠) ، والقضاعي في « الشهاب » (١٢٧٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٢٧٧ـ٧٢٧٨) عن سيدنا سمرة بن جندب رضي الله عنه .

(٣) أخرجها ابن حبان (٤٧٢) .

والصبح جماعة من جزيل الثواب « **لأتوهما** » أي : لسعوا إلىٰ فعلهما « **ولو حبواً** » أي : زاحفين على الركب[1] .

وفي الحديث أيضاً : « إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة ـ أي : ينتظرها ـ . كتب له كاتباه أو كاتبه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات »[2] .

والظاهر : أن مثل المشي إلى الصلاة : المشي إلى الاعتكاف والطواف ، وتدريس العلم واستماعه ، وعيادة المريض ، وغير ذلك من وجوه الطاعات .

[إماطة الأذىٰ عن الطريق صدقة]

(**وتميط**) بضم أوله وفتحه ؛ أي : تُنحّي وتُزيل (**الأذىٰ**) أي : ما يؤذي المارة ؛ كقذر وشوك وحجر وحيوان مَخُوف ، وقوله : (**عن الطريق**) متعلق بـ(تميط) ، وقوله : (**صدقة**) أي : منك على المخلوقات ؛ لأنه نفع عام .

وقد روي : « **أن رجلاً رأىٰ غصن شوك في الطريق فنحاه** ـ أي : أزاله ـ **فشكر الله له ذلك** ، فغُفر له »[3] .

وعن أبي برزة رضي الله تعالىٰ عنه قال : قلت : يا نبي الله ؛ علِّمني شيئاً أنتفع

---

(1) أخرجه بلفظه البيهقي في « الشعب » (٢٦٢٤) ، وأخرجه دون الجملة الأخيرة الطبراني في « الكبير » (١٢/ ٢٧٢) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٢١٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والجملة الأخيرة هي في حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٦١٥) وأطرافه ، ومسلم (٤٣٧ ، ٦٥١) ، وأخرج الحديث بنحوه البخاري (٢١١٩) ، ومسلم (٦٤٩/ ٢٧٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة ، عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(2) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/ ١٥٧) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (١٤٩٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٠٤٥) ، والطبراني في « الكبير » (١٧/ ٣٠١) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٢١١) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (٣/ ٦٣) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(3) أخرجه البخاري (٦٥٢ ، ٢٤٧٢) ، ومسلم (١٩١٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

به ، قال : « أزلِ الأذىٰ عن طريق المسلمين »[1] .

واستحب بعضهم الإتيان بكلمة التوحيد عند إزالة الأذىٰ ، وهو ظاهر إن كان غير نجاسة ، وإلا . . فلا يستحب ، بل يكره[2] .

واعلم : أنه كما يطلب إزالة الأذىٰ عن الطريق . . يطلب ترك إلقائه فيها ، ويصح أن يكون ذلك داخلاً في الحديث ؛ بأن يقال : معنىٰ (تميط الأذىٰ) : تزيله حقيقة أو حكماً ؛ بأن تترك إلقاءه .

[بشارة لسيدنا عائذ بن عمرو]

وروى البيهقي رحمه الله تعالىٰ عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه : (أن رجلاً رأىٰ في النوم قائلاً يقول له : بَشِّر عائذ بن عمرو المزني بالجنة ، فلم يفعل ، فأتاه في الثانية فلم يفعل ، فأتاه في الثالثة فلم يفعل ، فأتاه في الرابعة ، فقال له : لِمَ ذلك ؟ قال : إنه لا يُلْقِي أذاه في طريق المسلمين)[3] .

وكان عائذ رضي الله تعالىٰ عنه ممن بايع تحت الشجرة ، وكان لا يخرج من داره ماء إلى الطريق لا من مطر ولا من غيره ، وكان إذا مات له سنور ـ أي : قط ـ دفنه في داره ولا يخرجه ؛ اتقاء أذى الناس[4] .

ثم إن هـٰذا الحديث حديث عظيم ، وقاعدة من قواعد الدين (رواه البخاري ومسلم) في « صحيحيهما » رحمة الله تعالىٰ عليهما .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٨) ، وابن ماجه في « سننه » (٣٦٨١) ، وأحمد في « مسنده » (٤/ ٤٢٠) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٢٨) ، وغيرهم بلفظ : (اعزل) بدل (أزل) .

(٢) ذكره العلامة الهيتمي في « الفتح المبين » (ص٤٥١) وعلل ذلك فقال : (ليجمع بين أعلى الإيمان وأدناه) .

(٣) أخرجه البيهقي في « الشعب » (١٠٦٧٢) .

(٤) أخرجه البيهقي في « الشعب » (١٠٦٧٣) دون ذكر السنور ، وانظر « الإصابة » (٢/ ٢٥٤) ، وأخرج نحوه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٢/ ٥٨٨) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٢٣/ ٤٥) عن شريح بن الحارث القاضي .

وفي بعض طرق مسلم : « يصبح علىٰ كل سلامىٰ من أحدكم صدقة ؛ فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، **ويجزىء عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحىٰ** »[1] أي : يكفي عن هـٰذه الصدقات كلها عن هـٰذه الأعضاء كلها ركعتان من الضحىٰ ؛ لخصوصيّةٍ فيها وسِرٍّ لا يعلمه إلا الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وسلم[2] .

ومما جاء في فضلها : أنها تجلب الرزق وتنفي الفقر ، وأنها تعدل عند الله تعالىٰ حجة وعمرة متقبَّلتين[3] ، وأن من قرأ في الركعة الأولىٰ : (فاتحة الكتاب) و(آية الكرسي) عشر مرات ، وفي الثانية : (فاتحة الكتاب) و(قل هو الله أحد) عشر مرات . . استوجب رضوان الله تعالى الأكبر[4] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « **إن في الجنة باباً يقال له : الضحىٰ** ، فإذا كان يوم القيامة . . نادىٰ مناد : أين الذين كانوا يديمون علىٰ صلاة الضحىٰ ؟ هـٰذا بابكم فادخلوه برحمة الله تعالىٰ »[5] .

فينبغي المحافظة عليها ، وما اشتهر بين العوام من أن من صلاها ثم قطعها يعمىٰ

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٧٢٠) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه .

(٢) قال العلامة ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في « الفتح المبين » (ص٤٥٣) : (وكأن وجه تخصيص الضحىٰ بذلك من بين ركعتي الفجر وغيرهما من الرواتب مع أنها أفضل من ركعتي الضحىٰ . . تمحُّضها للشكر ؛ لأنها لم تشرع جابرة لنقص غيرها ، بخلاف سائر الرواتب ؛ فإنها شرعت جابرة لنقص متبوعها ، فلم يتمحض فيها القيام بشكر النعم الباهرة ، والضحىٰ لما لم يكن فيها ذلك . . تمحضت للقيام بذلك . . .) .

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » كما في « المطالب العالية » (١٩/٦٥٢) ، والطبراني في « الكبير » (١٤٨/٨ ، ١٥٤ ، ١٧٨) و(١٢٩/١٧) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٤) أورده في « المجالس السنية » (ص ٨١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً .

(٥) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥٠٥٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه سليمان بن داوود اليمامي .

أو تموت أولاده . . لا أصل له ، بل هو مما ألقاه الشيطان في أذهانهم ؛ ليحرمهم من الخير الكثير[1] .

وأقلها ركعتان ، وأكثرها ثمان ، ووقتها من ارتفاع الشمس كرمح إلى الزوال[2] .



[في أداء شكر اليوم وليلته]

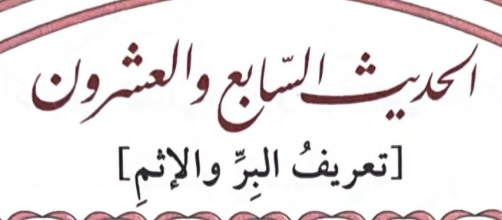
ورد في الحديث : « أن من قال حين يصبح : **اللهم ؛ ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك . . فمنك وحدك لا شريك لك ؛ فلك الحمد ولك الشكر** . . فقد أدَّىٰ شكر ذلك اليوم ، ومن قالها حين يمسي . . فقد أدَّىٰ شكر ليلته »[3] .

* * *

(١) ذكر العلامة ابن علان الدمشقي رحمه الله تعالىٰ في « الفتوحات الربانية » (١/ ٢٣٦) : (قال الحافظ العراقي في « شرح الترمذي » : اشتُهر بين كثيرين من العلماء : أنه من صلى الضحىٰ ثم قطعها . . حصل له عميً ، فصار كثير من الناس لا يصلونها ؛ خوفاً من ذلك ، وليس لهٰذا أصل ألبتة من السنة ، ولا من قول أحد من الصحابة ، ولا من التابعين ومن بعدهم ، **والظاهر** : أن هٰذا مما ألقاه الشيطان علىٰ ألسنة العوام ؛ لكي يتركوا صلاة الضحىٰ دائماً ، فيفوتهم بذلك خيرٌ كثير من قيامها مقام سائر أنواع التسبيح . . .) .

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في « منهاج الطالبين » (ص١١٦) : (ومنه الضحىٰ ، **وأقلها** : ركعتان ، **وأكثرها** : اثنتا عشرة ركعة) . ولٰكن قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ في « الحاوي للفتاوي » (١/ ٤٧) : (**قد علمت مما تقدم** : أنه لم يرد حديثٌ بانحصار صلاة الضحىٰ في عدد مخصوص ، فلا مستند لقول الفقهاء : إن أكثرها ثنتا عشرة ركعة ، كما نبه عليه الحافظ أبو الفضل بن حجر وغيره ، قال إسحاق بن راهويه في كتاب « عدد ركعات السنة » : وذكر لنا : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحىٰ يوماً ركعتين ، ويوماً أربعاً ، ويوماً ستاً ، ويوماً ثمانياً توسعة علىٰ أمته . . .) .

(٣) أخرجه أبو داوود في « سننه » (٥٠٧٣) عن سيدنا عبد الله بن غنام البياضي رضي الله عنه ، وأخرجه دون قوله : (ومن قالها حين يمسي . . .) النسائي في « الكبرىٰ » (٩٧٥٠) ، وأخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٩٧٥١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٨٦١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « تحفة الأشراف » (٨٩٧٦) .



الحديث السّابع والعشرون

[تعريفُ البرِّ والإثمِ]

عَنِ ٱلنَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « ٱلْبِرُّ حُسْنُ ٱلْخُلُقِ ، وَٱلإِثْمُ مَا حَاكَ فِي ٱلنَّفْسِ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ ٱلنَّاسُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١] .

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ ٱلْبِرِّ ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : « ٱسْتَفْتِ قَلْبَكَ ؛ ٱلْبِرُّ مَا ٱطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ ٱلنَّفْسُ وَٱطْمَأَنَّ إِلَيْهِ ٱلْقَلْبُ ، وَٱلإِثْمُ مَا حَاكَ فِي ٱلنَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي ٱلصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ ٱلنَّاسُ وَأَفْتَوْكَ » حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَيْنَاهُ فِي « مُسْنَدَي » ٱلإِمَامَيْنِ : أَحْمَدَ ٱبْنِ حَنْبَلٍ وَٱلدَّارِمِيِّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ[٢] .

وهو في الحقيقة حديثان ، لٰكنهما لما تواردا علىٰ أمرٍ واحدٍ . . كانا كالحديث الواحد ، فجُعل الثاني بمنزلة الموضِّح للأول .

[من ترجمة سيدنا النواس بن سمعان رضي الله عنهما]

(عن النواس) بفتح النون وتشديد الواو آخره سين مهملة (ابن سمعان) بكسر السين أشهر من فتحها (رضي الله) تعالىٰ (عنه) كان ينبغي للمصنف أن يقول :

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٥٣) .

(٢) مسند أحمد (٤/٢٢٨) ، مسند الدارمي (٢٥٧٥) .

عنهما ؛ لأن سمعان له صحبة ، و(لما وفد عليه صلى الله عليه وسلم. . دعا له بالبركة ، ومسح ناصيته)[1] .

وكان ابنه النواس هٰذا من أصحاب الصفة ، وسكن الشام ، وكان يقول : (أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنةً ما يمنعني من الهجرة ـ أي : العود إلى الوطن ـ إلا الأسئلة التي كانت ترد على المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم من بعض أصحابه)[2] فإقامته تلك السنة كانت لأجل أن يتفقه في الدين بسماع تلك الأسئلة وأجوبتها .

ورُوي له سبعة عشر حديثاً[3] ، وقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أخته من أمه ، وهي أسماء بنت النعمان التي تعوَّذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[قصة المتعوِّذة]

وحاصل القصة : أن أباها قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً فقال : **يا رسول الله ؛ ألا أُزوجك أجمل أيم في العرب**[4] ؛ كانت تحت ابن عمٍّ لها فتوفي عنها ، وقد رغبت فيك وخطبت إليك ؟

فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسل مع أبيها مالك بن ربيعة الساعدي ليحضرها له ، ولما قدمت المدينة. . دخل عليها نساء فرحَّبن بها ، وخرجن من عندها ، **فذكرن جمالها** ، **وشاع ذلك بالمدينة** .

وقيل لها من بعض النساء : **إن كنتِ تريدين أن تحظَيْ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. . فاستعيذي منه**[5] ؛ فإنه يرغب فيك ، فلما دخلت عليه. . أغلق

---

(١) انظر « أسد الغابة » (٢/٤٥٧) ، و« الإصابة » (٢/٧٩) .

(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » في حديث الباب (١٥/٢٥٥٣) .

(٣) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٧٣١) ، و« أسد الغابة » (٥/٣٦٧) ، و« الإصابة » (٣/٥٤٦) .

(٤) قوله : (**أيم**) أي : لا زوج لها . **اهـ مؤلف** .

(٥) قوله : (**تحظي عند رسول الله**) أي : تسعدي به ويحبك ، قال في « النهاية » : (**حظيت المرأة عند** =

الباب ، وأرخى الستر ، ومدَّ يده إليها ، فقالت : أعوذ بالله منك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **عُذت بمَعاذ** » بفتح الميم ؛ أي : بالذي يستعاذ به ويلتجأ إليه ، ثم خرج فأرسلها إلىٰ أهلها .

ولما وصلت إليهم . . تصايحوا وقالوا : **إنك لغير مباركة فما دهاك** ؟ أي : أصابك .

قالت : خُدعت ، فأقامت في أهلها محتجبة حتىٰ ماتت في خلافة عثمان رضي الله تعالىٰ عنه ، وقيل : إنها ذهب عقلها ، وقيل : إنها ماتت كمداً[1] .

[تعريف البِر وفضل حسن الخلق]

(**عن النبي صلى الله عليه وسلم**) : أنه (**قال : البِر**) بكسر الباء : اسمٌ جامعٌ لأنواع الخير ، وكل فعل مرضي .

(**حسن الخلق**) أي : التخلُّق بالأخلاق الحسنة الشريفة ، والتأدُّب بآداب الله تعالى التي شرعها لعباده ؛ من امتثال أمره وتجنُّب نهيه .

وما أحسن ما قيل : (**البر شيء هين : فعل جميل ، وكلام لين**)[2] ، وهو في تزكية النفس كالبُر ـ بالضم ـ في تغذية البدن .

وقال بعضهم : (إن الدِّين كله في حسن الخلق)[3] .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **من لم يكن فيه ثلاث**

= **زوجها** تحظىٰ حظوة بالضم والكسر ؛ أي : سعدت به ودنت من قلبه وأحبها) انتهى . **اهـ مؤلف** .

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١٠/١٣٨ـ ١٤١) مفرقاً ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٣٦) ، وأصل حديث المستعيذة في « صحيح البخاري » (٥٢٥٥) عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (١٠٩) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٤٩٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بلفظ : (وجه طليق) بدل : (فعل جميل) .

(٣) قاله ابن القيم في « مدارج السالكين » (٢/٣١٠) .

خصال . . **لم يجد طعم الإيمان** : علمٌ يردُّ به جهل الجاهل ، وورعٌ يحجزه عن المحارم ، وخُلُقٌ يداري به الناس »[1] .

[حسن الخلق يسل سخيمة القلوب]

وحكي عن عاصم بن المصطلق أنه قال : دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي رضي الله تعالىٰ عنهما ، فأعجبني سمته وحسن رؤيته ، فأثار ـ أي : هيج وأظهر ـ مني الحسد ما كان يُجنُّه ـ أي : يخفيه ـ صدري لأبيه من البغض ، فقلت : **أنت ابن علي بن أبي طالب** ؟

قال : نعم . **فبالغت في شتمه وشتم أبيه** ، فنظر إليَّ نظر عاطفٍ رؤوفٍ ، فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمـٰن الرحيم : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ . . . ﴾ فقرأ إلىٰ قوله : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ .

ثم قال : **خفض عليك** ـ أي : هَوِّنِ الأمر عليك ـ **أستغفر الله لي ولك** ، **إنك لو استعنتنا** . . **لأعناك** ، ولو استرشدتنا . . لأرشدناك .

قال : **فندمت علىٰ ما فرط مني** ؛ أي : سبق .

فقال : **لا تثريب** ـ أي : لا عتب ـ **عليك** ، **يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين** ، أمن أهل الشام أنت ؟ قلت : نعم .

قال : حيَّاك الله وبياك وعافاك ، أتبسط لنا في حوائجك وما يعرض لك تجد عندنا أفضل ظنك إن شاء الله تعالىٰ .

قال عاصم : **فضاقت عليَّ الأرض بما رحبت** ، ووجدت أنها قد ساخت بي ، ثم انسللت منه لواذاً ـ أي : مختبئاً مستتراً بشيء ـ وما على الأرض أحب إليَّ من أبيه ومنه[2] .

---

(١) أخرجه البزار في « مسنده » (٦٤٤٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ؛ ولفظه : « **ثلاث من كن فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان** : خلق يعيش به في الناس ، وورع يحجزه عن محارم الله ، وحلم يرد به جهل الجاهل » .

(٢) انظر « تفسير القرطبي » (٧/ ٣٥٠ـ ٣٥١) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص ٢٢٨) .

[للإثم علامتان]

(**والإثم**) أي : الذنب (**ما حاك**) بالحاء المهملة وتخفيف الكاف ؛ أي : تردَّد وأثَّر اضطراباً وقلقاً ونفوراً (**في النفس**) وفي رواية : (في نفسك)[١] ، وفي أخرىٰ : (في صدرك)[٢] وهـٰذا في حقِّ مَنْ نَوَّر الله قلبه وألهمه الصواب .

(**وكرهت أن يطلع عليه الناس**) أي : عظماؤهم الذين يُستحيا منهم ؛ كالعلماء والصلحاء ، وذلك لأن النفس بطبعها تحب الاطلاع علىٰ خيرها ، وتكره الاطلاع علىٰ شرها ، ولها شعور من أصل الفطرة بما تُحمد عاقبته أو تُذم ، ولـٰكن غلبت عليها الشهوة حتىٰ أوجبت لها الإقدام علىٰ ما يضرها ؛ كالسارق تغلبه الشهوة على السرقة وهو خائف من الوالي أن يقطع يده ، **والمراد بالكراهة هنا** : الكراهة الدينية ، فلا عبرة بالكراهة العادية ؛ كمن يكره أن يُرىٰ وهو يأكل حياءً أو بخلاً[٣] .

ثم إن هـٰذا الحديث (**رواه مسلم**) في (كتاب البر والصلة) من « صحيحه » ، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، وعليه مدار الإسلام .

(**وعن وابصة**) بكسر الموحدة وفتح الصاد المهملة (**ابن معبد**) بفتح الميم والموحدة (**رضي الله**) تعالىٰ (**عنه**) قَدِم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع مع عشرة من قومه فأسلموا ، وكان رضي الله تعالىٰ عنه قارئاً بكَّاء ، عُمِّر إلىٰ

---

(١) هي الرواية في « صحيح مسلم » (١٥/٢٥٥٣) .
(٢) هي الرواية في « صحيح مسلم » (٢٥٥٣) .
(٣) وقد استفيد من هـٰذا السياق : **أن للإثم علامتين** ، ثم هل هاتان العلامتان كلٌّ منهما مستقل بكونه علامة على الإثم من غير احتياج إلى الأخرىٰ ، أو غير مستقل بذلك ، بل هو جزء علامة ، والعلامة الحقيقية مركبة منهما ؟ **كلٌّ محتمل** ، لـٰكن قضية رواية وابصة المقتصرة على الأولى : الأول ، ومقتضى العطف هنا في رواية النواس : هو الثاني ، **وعليه** : فالفعل إن وُجد فيه الأمران كالزنا والربا . . فهو إثم قطعاً ، وإن انتفيا عنه . . فبرٌّ قطعاً كالعبادة ونحو الأكل ، وإن وجد فيه أحدهما . . احتمل البر والإثم فيكون من المشتبه ، علىٰ حد ما مرَّ في حديث : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما مشتبهات » ، **والذي يتجه** : أنهما متلازمان ؛ لأن تردد النفس يستلزم كراهة اطلاع الناس ، وعكسه . انظر « الفتح المبين » (ص٤٦٠ـ ٤٦١) .

قُرب التسعين ، وكان ساكناً في الرَّقّة ـ بفتح الراء ـ قرية بالشام ، ومات بها ، ودفن عند منارة جامعها[1] .

[من معجزاته صلى الله عليه وسلم اطلاعه علىٰ ما في النفس]

(**قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : جئتَ**) هـٰذا استفهامٌ تقريريٌّ حُذِفت همزته تخفيفاً ؛ أي : أجئت (**تسأل عن البر ؟**) أي : والإثم ؛ ففي الكلام اكتفاء (**قلت : نعم**) وفي هـٰذا معجزةٌ كبرىٰ للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ حيث أخبره عما في نفسه قبل أن يتكلَّم به .

وفي بعض الروايات : (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد ألا أدعَ شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه ؛ وإذا عنده جمع ، **فذهبت أتخطَّى الناس** ، فقالوا : **إليك يا وابصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم** ـ أي : تنحَّ عنه ـ فقلت : دعوني أدنو منه .

فقال لي : « **ادنُ يا وابصة** » فدنوتُ حتىٰ مسَّت ركبتاي ركبتيه ، فقال : « **يا وابصة ؛ أُخبرك بما جئتَ تسأل عنه ، أو تسألني ؟** » أي : أخبرك بذلك ابتداء أو بعد أن تسألني عنه ؟

قلت : بل أنت تحدثني ـ أي : ابتداء ـ يا رسول الله ؛ فهو أحبُّ إليَّ ، قال : « **جئت تسأل عن البر والإثم ؟** » قلت : نعم)[2] .

(**قال**) رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**استفتِ قلبك**) وفي رواية : (نفسك)[3] أي : اطلب الفتوىٰ من قلبك أو من نفسك ؛ فإن للنفس شعوراً بما تُحمد عاقبته أو تُذم كما تقدم ، وذلك في حق الملهم للصواب كما مرَّ .

---

(١) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٧٥٦) ، و« أسد الغابة » (٥/٤٢٧) ، و« الإصابة » (٣/٥٨٩) .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/٢٢٨) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (١٥٨٧) .

(٣) أخرجها الدارمي (٢٥٧٥) ، وأبو يعلىٰ (١٥٨٦) .

حكي : أن العارف بالله تعالىٰ أبا الحسين النُّوري ـ بضم النون ـ سُئل عن مسائل ، فالتفتَ يميناً وشمالاً ، ثم أطرق ساعة ، ثم رفع رأسه وأجاب بجوابٍ صحيح .

فسُئل عن التفاته فقال : (سألتُ ملك اليمين فلم يجبني ، ثم ملك الشمال فلم يجبني ، فسألت قلبي فأخبرني بما أجبتُ به)[1] .

(البر : ما اطمأنت) أي : سكنَتْ (إليه) وفي نسخة : (عليه) (النفس ، واطمأن إليه القلب) ذكر ذلك بعد ما قَبْلَه للتأكيد ؛ لأن طمأنينة القلب من طمأنينة النفس[2] .

(والإثم : ما حاكَ في النفس) أي : أثَّر فيها اضطراباً (وتردَّد في الصدر) أي : القلب ، والجمع بين هٰذا وما قبله للتأكيد أيضاً (وإنْ) وفي رواية : (ولو)[3] وهو غاية لمحذوف ، والتقدير : فالتزم العمل بما في قلبك وإن (أفتاك الناس) أي : بخلافه ، والقصد بذلك : المبالغةُ ؛ ولذا أكَّده بقوله : (وأفتَوْك) لأن الفتوىٰ غير التقوىٰ والورع ، ولأن المفتي ينظر للظاهر ، فربما يعلم الإنسان من نفسه ما لا يعلمه المفتي .

[علامة نبوية لتمييز الحلال من الحرام]

وفي رواية : (عن واثلة بن الأسقع أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) أوردها في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٣٠) ، وأصل الحكاية مروي عند أبي نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٠ـ ٢٥١) ، و« تاريخ بغداد » (٥/ ٣٤١) ، وانظر « فيض القدير » (٤/ ٥٠٨) .

(٢) يطلق البر علىٰ معنيين : أحدهما : باعتبار معاملة الخلق بالإحسان إليهم ، وربما خُص بالإحسان إلى الوالدين ، فيقال : بر الوالدين ، ويطلق كثيراً على الإحسان إلى الخلق . والثاني : أن يراد به فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ انظر « جامع العلوم والحكم » (٢/ ٩٧ـ ٩٨) .

(٣) ذكرها الإمام الرازي في « تفسيره » (١٨/ ١٠٤) ولم يعزه لأحد .

بمسجد الخِيف ، فقال لي أصحابه : إليك يا واثلة ؛ يعنون : تنحَّ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام : « **دعوه ؛ فإنما جاء ليسأل** » قال : قلت : يا رسول الله ؛ عليك السلام ، بأبي أنت وأمي ؛ لتفتينا بأمرٍ نأخذه عنك بعد موتك ؛ يعني : من الحلال والحرام .

فقال : « **لتفتينك نفسك** » قال : قلت : وكيف بذلك ؟ قال : « **أن تدع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون** » .

قال : قلت : وكيف لي بذلك ؟ قال : « **أن تضع يدك علىٰ قلبك ؛ فإن الفؤادَ يسكن على الحلال ، ولا يسكن على الحرام** » [(١)] .

وتقدم غير مرة أن ذلك في حق مَنْ تنوَّر قلبه وأُلهم للصواب .

ومن ثَم قيل : (إن علىٰ قلب المؤمن الكامل نوراً يتَّقد ؛ **فإذا ورد عليه الحق** . . التقىٰ هو ونور القلب فامتزجا ، فاطمأن القلب ونعش ، **وإذا ورد عليه الباطل** . . نفر نور القلب ولم يمازجه ، فاضطرب القلب) [(٢)] .

ونقل عن الغزالي رحمه الله تعالىٰ أنه قال : (لم يُرد المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم أن كل أحد يستفتي نفسه ، وإنما ذلك لوابصة في واقعةٍ تخصُّه) [(٣)] لأن الله تعالىٰ وهب له نوراً يُفرِّق به بين الحق والباطل ، فوثق صلى الله عليه وسلم بذلك النور وخاطبه بذلك [(٤)] .

---

(١) أخرجها الطبراني في « الكبير » (٢٢/٧٨) ، وأبو يعلىٰ كما في « المطالب العالية » (١٥٢٦ ، ٢/٥٠٢٢) .

(٢) ذكره في « فيض القدير » (٣/٢١٨) .

(٣) انظر « إحياء علوم الدين » (٣/٤٤٦) ، والخبر مرويّ عند أحمد في « المسند » (٤/٢٢٨) .

(٤) وفي جوابه صلى الله عليه وسلم لوابصة بهٰذا إشارةٌ إلىٰ متانة فهمه ، وقوة ذكائه ، وتنوير قلبه ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أحاله على الإدراك القلبي ، وعلم أنه يدرك ذلك من نفسه ؛ إذ لا يدرك ذلك إلا من هو كذلك ، وأما الغليظ الطبع ، الضعيف الإدراك . . فلا يجاب بذلك ؛ لأنه لا يتحصل منه علىٰ شيء ، وإنما يُفصَّل له ما يحتاج إليه من الأوامر والنواهي الشرعية . انظر « الفتح المبين » (ص٤٦٥) .

وهٰذا من جميل عوائده صلى الله عليه وسلم مع صحبه ؛ فإنه كان يخاطب كلاً منهم علىٰ حسب حاله[1] ، ويلحق به كل من شرح الله تعالىٰ صدره بنور اليقين ؛ بحيث جعل له ملكة الإدراك القلبي ، وقوي على التفرقة بين الوارد الرحماني والوسواس الشيطاني .

وحكي عن بعض العارفين : أنه أتاه رجل يريد السلوك ، فأدخله الخلوة وتركه أياماً ، ثم دخل عليه فقال له : **كيف ترىٰ صورتي** ؟ قال : صورة خنزير !! فقال : صدقت .

ثم تركه في الخلوة مدة ، ودخل عليه فسأله كذلك فقال : صورة كلب !! ثم كذلك إلىٰ أن قال : **أراك صورة القمر ليلة كماله** .

فقال : **صدقت** ، **الآن كمل حالك** ، وصلحت أن ترجع إلىٰ قلبك ، وأن تستفتي نفسك وإن أفتاك المفتون ، وأخرجه من الخلوة[2] .

[فراسة المؤمن أركانها وأقسامها]

وقال بعضهم : (من غض بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشهوات ، وعمَر باطنه بالمراقبة ، وتعوَّد أكل الحلال . . لم تخطىء فِراسته) أي : ظنه[3] .

وأخرج الطبراني بإسناد حسن وابن عدي عن أبي أمامة رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « **اتقوا فِراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله عز وجل** »[4] .

---

(١) أخرج أبو يعلىٰ في « مسنده » (٤٨٢٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت : (**أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم**) .

(٢) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٣٠) .

(٣) أوردها في « مدارج السالكين » (٢/ ٤٨١) عن شاه الكرماني رحمه الله تعالىٰ ، وهي ـ التي قالها ـ شروط الفراسة ، **وأجلها** : غض البصر عن المحارم ؛ **لأن من غض بصره عن المحارم . . أُطلق نور بصيرته** .

(٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٨/ ١٠٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٤/ ٢٠٧) و(٦/ ٤٠٦) ، والقضاعي في « الشهاب » (٦٦٣) ، والبيهقي في « الزهد » (٣٥٨) وغيرهم ، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عند الترمذي في « سننه » (٣١٢٧) .

والفراسة ـ بكسر الفاء وفتحها ـ : الاطِّلاع علىٰ ما في الضمائر ، وقيل : هي سواطع أنوار تلمع في القلب ، تُدرَك بها المعاني[1] ؛ **وهي قسمان** :

قسم يحصل للإنسان عن خاطر لا يعرف سببه ؛ ومن ذلك ما قيل : إن امرأة حاكمت زوجها إلىٰ بعض العارفين ، فوجدته مشغولاً بالعبادة ، فلما فرغ . . قال : (يا جاهلة ؛ بمقدار ما جنيتيه اعترفي بذنبك ، وأعلمي زوجكِ بجنايتك ؛ فإن السكران الذي واقعكِ في ليلة كذا وزوجك قائم يدعوك قد أحبلك[2] ، وستلدين بعد شهرين خَلْقاً مشوهاً) فكان كذلك[3] .

ونقل عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : (دخلت علىٰ عثمان بن عفان رضي الله تعالىٰ عنه ، وكنت لقيت امرأةً في الطريق نظرت إليها نظراً شديداً وتأملت محاسنها ، فقال : **يدخل عليَّ أحدكم وآثار الزنا ظاهرة في عينيه** ؟! أما علمت أن زنا العين : النظر ، لتتوبَنَّ وإلا . . عزرتك ، فقلت له : أَوَحْيٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا ؛ ولٰكن تبصرة وبرهان ، وفراسة صادقة ، ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله** »[4] ؟ وعندما دخلتَ . . رأيتُ ذلك في عينك)[5] .

والقسم الثاني : يحصل بالاستدلال بهيئات الإنسان وألوانه ، وأقواله وأفعاله .

---

(١) أخرج الحاكم (٢/ ٣٤٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ١٦٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (**أفرس الناس ثلاثة** : العزيز حين قال لامرأته : أكرمي مثواه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ، والتي قالت : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ، وأبو بكر حين تفرس في عمر رضي الله عنهما) .

(٢) كذا في الأصل ، وفي « فيض القدير » : (وزوجك قائم في الهيكل يدعو لكِ . . .) .

(٣) انظر « فيض القدير » (١/ ١٤٣) .

(٤) أخرجه الترمذي في « سننه » (٣١٢٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٥) ذكرها في « مدارج السالكين » (٢/ ٤٨٣) ، وذكرها في « فيض القدير » (١/ ١٤٣) عن رجل دخل علىٰ سيدنا عثمان رضي الله عنه .

[من فراسة الإمام الشافعي رحمه الله]

ومن ذلك : ما حكي : أن الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه كان جالساً في المسجد ، فدخل رجل يدور على النائمين ، فقال الشافعي للربيع : قم فقل لهٰذا : (**ذهب لك عبد أسود مصاب بإحدىٰ عينيه ؟**) قال : فقمت فأخبرته ، فقال : **أين هو** ؟ فقلت له : اسأل الشافعي عنه . فذهب إليه ، وقال له : **يا سيدي ؛ أين عبدي** ؟ فقال له : (**تجده في الحبس**) فذهب الرجل فوجده .

فقلت للشافعي : أخبرنا عن هٰذا الأمر ؛ فقد حيَّرتنا !! فقال : (رأيت رجلاً داخلاً من باب المسجد يدور بين النائمين ، فقلت : **إنه يطلب هارباً** ، ورأيته يجيء إلى السودان دون البيض ، فقلت : **هرب له عبد أسود** ، ورأيته يجيء إلىٰ ما يلي العين اليسرىٰ ، فقلت : **إنه مصاب بإحدىٰ عينيه** .

قلنا : فما يدلك أنه في الحبس ؟ قال : (**ذكرت أن العبيد إذا جاعوا . . سرقوا ، وإذا شبعوا . . فسقوا**)[١] .

ثم إن هٰذا الحديث (**حديث حسن**) وفي نسخة : (صحيح) (**رويناه**) أي : نقلناه (**في**) هي بمعنىٰ (من) أو (عن) ويجوز أن تكون باقيةً بحالها ، متعلقة بمحذوفٍ حالٍ من هاء (رويناه) **والتقدير** : رويناه حال كونه مندرجاً في جملة الأحاديث المذكورة في (**مسنَدَي**) بفتح النون تثنية مسند (**الإمامين : أحمد ابن حنبل ، والدارمي**) رحمهما الله تعالىٰ .

[من ترجمة الإمامين أحمد والدارمي رحمهما الله]

أما أحمد ابن حنبل : فهو أحد الأئمة الأربعة المجتهدين المتبوعين الآن ، وهو مجمع علىٰ جلالته وأمانته ، وورعه وزهادته ، وحفظه ووفور عقله وسيادته .

قدمت به أمه وهي حاملة به من (مرْوز)[٢] **بعد وفاة أبيه بها إلىٰ بغداد** ، فولدته

---

(١) أخرجها البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١٣٤ـ ١٣٥) .

(٢) هٰكذا في الأصل ، ولعل الصواب : (مَرْو) ، والله أعلم .

بها سنة مئة وأربعة وستين ، وكان تلميذاً للإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه ، وقال فيه : (**خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أزهد ، ولا أورع ولا أعلم من الإمام أحمد**)[١] .

وكان يكثر الدعاء للشافعي[٢] ، ويمشي بجانب حماره ، ويذاكره وهو راكب ، وكان يحيي الليل كله من وقت كونه غلاماً .

وكان له في كل يوم وليلة ختم ، وكان إذا جاع . . أخذ كسرة يابسة فنفضها من الغبار وبلها بماء وأكلها بملح ، وإذا اشتهىٰ طعاماً . . طبخ له عدس بشحم في فخارة[٣] .

وجاءته زكاة يوماً فردها ، فقيل له : إن أولادك عراةٌ ؟! فقال : (**العري خير لهم من أوساخ الناس** ، وإنها أيام قلائل ثم نرحل من هـٰذه الدار) .

وحمل إليه ثلاثة أكياس ؛ في كل كيس ألف دينار وقيل له : استعن بذلك علىٰ عائلتك ، فقال : (**لا حاجة لي فيها** ، **أنا في كفاية**) ، ولم يقبل منها شيئاً[٤] .

وكان رضي الله عنه يحفظ ألف ألف حديث[٥] ، وأخذ عنه رجال كثيرون منهم

---

(١) أخرجه الحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (١/ ٤٥١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/ ٢٧٢) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (١٨/ ٧١) ، وذكر من أقوال العلماء فيه : (قال قتيبة : **إذا رأيت الرجل يحب أحمد . . فاعلم أنه صاحب سنة** ، وقال أيضاً : لولا الثوري . . لمات الورع ، **ولولا أحمد . . لأحدثوا في الدين** . وقال إسحاق : أحمد حجة بين الله وخلقه . وقال علي بن المديني : **إن الله أعز هـٰذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة ، وبأحمد ابن حنبل يوم المحنة** . . .) إلىٰ غير ذلك .

(٢) أخرج الحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (٢٤/ ٣٧٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٣٤٨) عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال : (قلت لأبي يا أبتِ ؛ أي رجُلٍ كان الشافعي ؛ **فإني سمعتك تكثر من الدعاء له** ؟ فقال لي : **يابني ؛ كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس** ، فانظر هل لهـٰذين من خلف ، أو منهما عوض ؟!) .

(٣) انظر « سير أعلام النبلاء » (١١/ ٢٠٩) .

(٤) ذكر نحوها الحافظ الذهبي في « السير » (١١/ ٢٠٥ـ٢٠٦) .

(٥) قال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١١/ ١٨٧) : (قال عبد الله بن أحمد : قال لي أبو زرعة : أبوك يحفظ ألف ألف حديث . فقيل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب) .

البخاري ومسلم وأبو داوود رحمهم الله تعالىٰ ، وقد جمع في « مسنده » أربعين ألف حديث .

ومات ببغداد سنة إحدىٰ وأربعين ومئتين ، عن سبع وسبعين سنة ، ولما مات . . صاح الناس وارتفعت أصواتُهم بالبكاء ، وأغلقت بغداد لمشهده ، وأسلم يوم موته من اليهود والنصارىٰ والمجوس نحو عشرة آلاف ، نفعنا الله تعالىٰ به[1] .

وأما الدارمي : فهو بكسر الراء نسبةً إلىٰ دارم بن مالك من تميم ، **واسمه** : عبد الله بن عبد الرحمـٰن ، ولد سنة إحدىٰ وثمانين ومئة ، ومات سنة خمس وخمسين ومئتين .

وكان إمام أهل زمانه في العلم والورع ، وكان حافظاً ، روىٰ عنه مسلم وأبو داوود والترمذي وأبو زرعة ، وكان من أصحاب الكرامات ، و« مسنده » لطيف ، وغالبه صحيح[2] .

وقول المصنف : (**بإسناد حسن**) أي : ليس في رجاله مَنْ يُوصف بالضعف ، وفي نسخة : (بإسناد جيد) أي : صحيح .

* * *

---

(١) انظر « تهذيب الكمال » (١/ ٤٣٧) ، « سير أعلام النبلاء » (١١/ ١٧٧) .

(٢) انظر « تهذيب الكمال » (١٥/ ٢١٠) ، « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٢٢٤) .

الحديث الثّامن والعشرون

[السمعُ والطاعةُ والالتزامُ بالسُّنةِ]

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ ٱلْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : وَعَظَنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا ٱلْقُلُوبُ ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا ٱلْعُيُونُ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا ، قَالَ : « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ . . فَسَيَرَى ٱخْتِلَافاً كَثِيراً ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلرَّاشِدِينَ ٱلْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِٱلنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ ٱلْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُودَ وَٱلتِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1] .

[من ترجمة سيدنا العرباض بن سارية رضي الله عنه]

(عن أبي نَجِيح) بفتح النون وكسر الجيم وآخره حاء مهملة (العِرْباض) بكسر العين المهملة وسكون الراء بعدها موحدة وآخره معجمة (ابن سارية) بسين مهملة ومثناة تحتية ، وفي نسخة : زيادة (السُّلَمي) بضم ففتح من بني سُلَيم (رضي الله) تعالىٰ (عنه) .

أسلم قديماً ، وكان يقول : (أنا رابع الإسلام)[2] أي : رابع من أسلم .

---

(١) سنن أبي داوود (٤٦٠٧) ، سنن الترمذي (٢٦٧٦) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٢/ ٤٦٦) : (كل واحدٍ من عمرو بن عبسة والعرباض بن سارية قال : أنا رابع الإسلام ، لا يدرىٰ أيهما قبل صاحبه) .

وكان من أهل الصفة ؛ وهم زهاد من الصحابة ، فقراء غرباء ، كانوا يأوون إلىٰ صُفَّة في آخر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهي كما تقدَّم : مكان مظلل يبيتون فيه ، وكانوا يَقِلُّون ويكثرون .

نزل الشام وسكن حمص ، وكان من العابدين البكَّائين ؛ الذين نزل فيهم قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ ﴾ أي : معك إلى الغزو ﴿ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ ﴾ أي : انصرفوا ﴿ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾[1] .

وكان من المشتاقين إلى الله تعالىٰ ؛ يحب أن يُقبض إليه ، فكان يقول في دعائه : (اللهم ؛ كَبِرَ سِني ، ووهن عظمي ـ أي : ضعف ـ فاقبضني إليك)[2] .

مات في الشام سنة خمس وسبعين ، في خلافة عبد الملك بن مروان[3] .

[المواعظ سياط القلوب]

ومروياته أحد وثلاثون حديثاً ؛ منها ما ذكره عنه المصنف أنه (قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً) من الوعظ ؛ وهو : النصح والتذكير بالعواقب ؛ أي : أتىٰ لنا بكلامٍ دالٍّ على التخويف بطريق النصيحة والتذكير بالعواقب لأجل ترقيق القلوب ، والتنوين في (موعظةً) للتعظيم والتفخيم ؛ أي : موعظةً عظيمةً بليغةً .

(وجِلت) بكسر الجيم ؛ أي : خافت (منها القلوب ، وذَرَفت) بفتح الذال المعجمة والراء ؛ أي : سالت (منها العيون) أي : دموعها ، وفي ذلك إشارة إلىٰ

---

(١) انظر « الدر المنثور » (٤/ ٢٦٤) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٨/ ٢٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٤) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٤٠/ ١٨١) .

(٣) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٥٩٠) ، و« أسد الغابة » (٤/ ١٩) ، و« الإصابة » (٢/ ٤٦٦) .

أن تلك الموعظة أثَّرت في نفوسهم ، وأخذت بمجامعهم ظاهراً وباطناً ، وهـٰذا دليلٌ علىٰ كمال معرفتهم ومراعاتهم لربهم .

وقد ورد في الحديث : « **لا يلج النار** ـ أي : لا يدخلها ـ **من بكىٰ من خشية الله عز وجل** حتىٰ يعود اللبن في الضرع »[1] .

وورد أيضاً : « ما من قطرة أحب إلى الله من قطرةِ دمع من خشية الله ، أو قطرة دمٍ أُهريقت في سبيل الله »[2] .

وقال كعب الأحبار رضي الله تعالىٰ عنه : (والذي نفسي بيده ؛ **لأن أبكي من خشية الله تعالىٰ حتىٰ تسيل دموعي علىٰ وجهي** . . أحب إلي من أن أتصدَّق بجبلٍ من ذهب)[3] .

ثم إن هـٰذه الموعظة كانت بعد صلاة الصبح ؛ لما في رواية الترمذي : (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً)[4] أي : بالغ فيها بالإنذار والتخويف ؛ لأجل ترقيق القلوب .

وكان صلى الله عليه وسلم يقع ذلك منه أحياناً لا دائماً ؛ مخافة سآمتهم ومَللهم[5] ، فتُندب الموعظة والمبالغة فيها ؛ لأن لها وقعاً في النفس ، وتأثيراً في

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » (١٦٣٣ ، ٢٣١١) ، والنسائي في « المجتبىٰ » (٦/ ١٢) ، وأحمد في « مسنده » (٢/ ٥٠٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٢٠٢٨٩) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٥٥٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٥٥) عن الحسن رحمه الله مرسلاً .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٦٦٩٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٦٦) ، وأخرج ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/ ٤٣) : عن أبي معشر رحمه الله قال : (رأيت أبا حازم في مجلس عون بن عبد الله وهو يقصُّ في المسجد ، يبكي ويمسح بدموعه وجهه ، فقلت له : يا أبا حازم ؛ لِمَ تفعل هـٰذا ؟ قال : **بلغني : أن النار لا تصيب موضعاً أصابه الدموع من خشية الله**) .

(٤) سنن الترمذي (٢٦٧٦) .

(٥) أخرج مسلم (٢٨٢١) عن شقيق قال : كنا جلوساً عند باب عبد الله ننتظره ، فمرَّ بنا يزيد بن معاوية النخعي ، فقلنا : أعلمه بمكاننا ، فدخل عليه فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله ، فقال : (إني أُخبَر بمكانكم ، فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهيةُ أن أُملَّكم ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم **كان يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا**) .

القلب ، خصوصاً إذا صدرت من قلبٍ ناصحٍ سليمٍ من الأدناس والقبائح ؛ فقد قيل : إن الواعظ إذا لم يكن مقاله كفعله . . لا يُنتفع بوعظه .

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ : (قرأت في التوراة : **إن العالم إذا لم يعمل بعلمه . . زلَّت موعظته عن القلوب** ـ أي : زلقت ـ **ولم تثبت كما يزل** ـ أي : يزلق ـ **القطر** ـ أي : المطر ـ **عن الصفا**)[1] أي : الحجارة الملس .

وقيل : (**من وعظ بقوله . . ضاع كلامه ، ومن وعظ بفعله . . نَفَذَت سِهامُه**)[2] .

[موعظة امرأة أبي حفص لزوجها]

وحكي : أنه لما جاء أبو حفص الكبير من العراق إلىٰ بخارىٰ . . اجتمع عليه أهلها ، وطلبوا منه أن يقرأ درساً فأجابهم ، فزينوا له المسجد ووضعوا له سريراً ، فلبس لبس القضاة ، فقالت له امرأته : إلىٰ أين تذهب ؟ فقال : لأعظ الناس .

فقالت : **هل عملتَ بما علمتَ حتىٰ تخرج إلى الناس فتعظهم** ؟ فقال : رميتيني بسهمٍ نافذ[3] ، وخرج إلى الناس فصاح فيهم : **انصرفوا** ؛ **فإني وجدت في الدار معلِّماً أحتاج إلىٰ علمه** .

ومكث يعبد الله تعالىٰ ، ويستعمل العلم ثلاث سنين ، فلما تمت . . اجتمع الناس إليه وسألوه أن يجلس لهم ، فشاور امرأته ، فقالت : **هل عملت بما علمت** ؟ قال : عملت أكثره .

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » (١٨٨٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٨٨) ، وقال الحافظ ابن رجب في « لطائف المعارف » (ص٥٣) : (**المواعظ درياق الذنوب** ، فلا ينبغي أن يسقيَ الدرياق إلا طبيبٌ حاذق معافىً ، أما لديغ الهوىٰ . . فهو إلىٰ شرب الدرياق أحوج من أن يسقيه لغيره . وفي بعض الكتب السالفة : **إذا أردت أن تعظ الناس . . فعِظْ نفسك** ؛ **فإن اتعظت وإلا . . فاستحيِ مني**) .

(٢) انظر « تفسير الرازي » (٣/ ٤٨) ، و« فيض القدير » (١/ ٧٨) .

(٣) هـٰكذا في الأصل (رميتيني) بإشباع كسرة التاء ، وهي لغة حكاها سيبويه في « كتابه » (٤/ ٢٠٠) .

فقالت : **هل تعرف لنفسك خصماً** ؟ فتفكَّر فقال : كنت أطوف في المزارع ، فوجدتُ بقعة كُرّاث ، فأخذت حزمةً منها ، فأكلتها ، فلا أعرف لنفسي غير هـٰذا ، فقالت : **أَرْضِ خصمك** .

فطلب صاحب البقعة فوجده مجوسياً ، فأخبره واستحلَّه ، فلم يجعله في حل .

فقال له : لك عليَّ عشرة دراهم ، فلم يرض ، فقال : لك عليَّ عشرة آلاف درهم ، واجعلني في حل .

فقال : حتىٰ أستأذن أهل بيتي ، فقال له أهله : **إن هـٰذا دِينٌ حقٌّ حتىٰ يعطيكَ الرجل عشرة آلاف درهم لأجل حزمة كُرّاث !! فادخل في دينه** .

فأخبر المجوسي بعض المجوس ، فتبعه سبعون منهم ، وجاؤوا حتىٰ وقفوا علىٰ باب أبي حفص ، فخاف من كثرتهم ، فقالوا له : **اعرض علينا الإسلام** ، فأسلموا كلهم ، ثم جلس للناس وتكلم أولاً بهـٰذه الحكاية رحمة الله تعالىٰ عليه .

[لِمَ لا يتعظ الناس بمواعظ علمائنا اليوم ؟]

وقيل لأبي القاسم الحكيم رحمه الله تعالىٰ : (**ما بال علماء زماننا لا تتعظ الناس بمواعظهم كما كان السلف ؟!**

فقال : إن علماء السلف كانوا أيقاظاً والناس نيام ، فينبه الأيقاظُ النيامَ ، **وعلماءُ زماننا نيامٌ والخلقُ موتىٰ ، فكيف ينبه النائمُ الميتَ ؟!**)[1] .

(**قلنا**) وفي نسخ : (فقلنا) : (**يا رسول الله ؛ كأنها**) أي : تلك الموعظة (**موعظة مودِّع**) بكسر الدال المهملة المشددة ؛ أي : شخص يودِّع أصحابه وأحبابه ، ولعلهم فهموا ذلك من مبالغته في الموعظة واستقصائه فيها فوق العادة ، فاستزادوه أن يرشدهم إلىٰ ما فيه صلاح الحال والمآل ؛ حيث قالوا له : (**فأَوصنا**) بفتح الهمزة ؛ أي : وصيةً كافيةً جامعةً لمهمات الدين والدنيا .

---

(١) أورده بنحوه السِّلَفي في « معجم السفر » (٦٤٧) عن عبد الرزاق بن الحسن الزرندي .

(قال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل) بدأ بها لأنها زادُ الآخرة ، وكافلةٌ لمن تمسَّك بها بسعادة الدارين ؛ إذ هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي(١) ، وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك ، وقد أوصى الله تعالىٰ بها الأولين والآخرين حيث قال : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ .

وأنشد بعضهم(٢) : [من الطويل]

إذا أنتَ لم تَرْحَلْ بزادٍ مِنَ التُّقَىٰ ولاقيتَ بعدَ الموتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدا(٣)

نَـدِمـتَ علـىٰ ألاَّ تكـونَ كَمِثْلِـه وأنَّكَ لم تُرْصِدْ كما كانَ أَرْصَدا(٤)

(والسمع والطاعة) أي : وأوصيكم بالسمع والطاعة ؛ أي : لوُلاة الأمور في غير ما فيه إثم ؛ لحديث : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »(٥) .

(وإن تأمَّر عليكم عبد) أي : علىٰ سبيل الفرض والتقدير ؛ إذ العبد لا تجوز ولايته ، فالمراد : المبالغة في السمع والطاعة له وإن كان ممن لا تجوز ولايته ؛ لأن في مخالفته إثارة فتنة .

ويصح أن يكون هـٰذا من قبيل الإخبار بالغيب ؛ يعني : أن نظام الشريعة يختل حتىٰ يتولىٰ على الناس العبيد ذكوراً كانوا أو إناثاً ، وقد حصل ذلك فتولى السلطنة بمصر كافور الإخشيدي(٦) .

---

(١) قال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : (ليس تقوى الله بصيام النهار ، ولا بقيام الليل ، والتخليط فيما بين ذلك ، ولـٰكن تقوى الله ترك ما حرَّم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رُزق بعد ذلك خيراً . فهو خيرٌ إلىٰ خير) انظر « جامع العلوم والحكم » (١/ ٤٠٠) .

(٢) البيتان للأعشىٰ في « ديوانه » (ص ١٨٧) من قصيدته التي مدح بها سيدنا المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم .

(٣) قوله : (لم ترحل) أي : لم تذهب . اهـ مؤلف .

(٤) قوله : (لم تُرْصِد) أي : لم تُعِدّ (كما كان أَرْصَدا) أي : كما كان أعدَّ . اهـ مؤلف .

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في « زوائد المسند » (١/ ١٣١) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٨٧٣) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما .

(٦) في الأصل : (الإخشدي) ، والصواب ما أثبت ، وهو نسبة إلى الإخشيد محمد بن طغج ، وانظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٩٩) .

وكان عبداً حبشياً خصياً ، اشتراه سيده بثمانية عشر ديناراً ، وقال فيه بعض الوعاظ : (من هوان الدنيا على الله تعالىٰ : أنه أعطاها لخصي) فرفع إلىٰ كافور ليعاقبه ، فرسم له بخلعة ومئة دينار .

ووقعت زلزلة عظيمة في أيامه ففزع الناس منها ، وقال بعض الشعراء : [من البسيط]

ما زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ خوفٍ يُرَادُ بها ... لٰكنَّها رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِكُم طَرَبا

فأَجازه كافور بألف دينار[1] .

وتولت ملك مصر أيضاً جاريةٌ يقال لها : شجرة الدر ، ولم يَلِ مصر في الإسلام امرأة قبلها ، وأقامت في المملكة ثلاثة أشهر ، فوقع في سلطنتها اضطراب ، وأرسل الخليفة المعتصم يعاتب أهل مصر في توليتها ، فتزوجها الأمير عز الدين أيبك التركماني ، ونزلت له عن السلطنة .

(فإنه) وفي بعض النسخ : (وإنه) أي : الشأن (من يعش) بالجزم فـ(مَن) شرطية ، وفي بعض النسخ : (يعيش) بالياء فـ(مَن) موصولة ؛ أي : الذي يعيش (منكم) أي : بعدي . . (فسيرىٰ) أي : يعلم (اختلافاً كثيراً) وفي رواية ابن ماجه : (اختلافاً شديداً)[2] أي : بين الناس من ظهور الفتن والبدع ، وقد وُجِد ذلك ، فهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم ؛ فقد صح : أنه كُشف له عما يكون إلىٰ أن يدخل أهل الجنة والنار منازلهم[3] .

---

(١) عزاه السِّلَفي بسنده في « معجم السفر » (١٠٥٦) إلى المتنبي ، وفي « وفيات الأعيان » (٤/ ١٠٣) نسبه لمحمد بن عاصم أنه قاله في كافور ، وفي « معجم البلدان » (١/ ٣٨٩) منسوب إلى البرقي وأنه قاله في الحاكم الفاطمي ، وفي « الوافي بالوافيات » (٤/ ٣٥١) منسوب إلىٰ محمد بن عاصم وأنه قاله في الحاكم أيضاً .

(٢) سنن ابن ماجه (٤٢) .

(٣) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٣١٩٢) عن سيدنا عمر رضي الله عنه قال : (قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقاماً ، فأخبرنا عن بدء الخلق حتىٰ دخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه) ، وأخرج البخاري أيضاً في « صحيحه » (٦٦٠٤) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه قال : (لقد خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم خطبة ما ترك فيها شيئاً إلىٰ قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه ، وجهله من جهله) .

(**فعليكم بسنتي**) الفاء واقعة في جواب شرطٍ مقدَّر ؛ أي : فإذا رأيتم هٰذا الاختلاف . . فعليكم بسنتي ؛ أي : الزموا التمسك بطريقتي وسيرتي ، وهي : ما بيَّنه صلى الله عليه وسلم من الأحكام الاعتقادية والعملية .

قال عبد الرحمـٰن بن زيد : لقي ابنُ مسعود رضي الله تعالىٰ عنه رجلاً محرماً وعليه ثيابه فقال : (**انزع عنك هـٰذا**) ، فقال الرجل : اقرأ عليَّ بهـٰذا آيةً من كتاب الله تعالىٰ ، قال : (نعم : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾) ، فامتثل ونزع ثيابه[1] .

(**وسنة الخلفاء**) أي : وعليكم بطريقة الخلفاء ، جمع خليفة ؛ وهو : من قام مَقام غيره (**الراشدين**) جمع : راشد ؛ وهو : من عرف الحق واتبعه (**المهديين**) بتشديد الياء الأولىٰ جمع : مهدي ؛ وهو : من هداه الله إلى الصواب[2] .

والمراد بهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله تعالىٰ عنهم ؛ فقد ورد : « **الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكاً عضوضاً** »[3] أي : شديداً فيه عسفٌ وظلم ، وقد تمَّت بولاية الحسن رضي الله تعالىٰ عنه .

---

(١) أخرجه الثعلبي في « تفسيره » (٩/ ٢٧٧) .

(٢) **والدلائل على اتصاف أولئك الخلفاء بالرشاد** ـ وهو ضد الضلال ـ والهدايةِ لأقوم طريق وأصوبه . . كثيرةٌ مشهورة ؛ منها : قوله تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، ثم خص صلى الله عليه وسلم منهم اثنين بقوله : « **اقتدوا باللذين من بعدي** : أبي بكر وعمر » ، ثم خصَّ منهما أجلَّهم وأكملهم ، بل أجل وأكمل من عدا الأنبياء من سائر الأمم بقوله لمن سألته وأمرها أن ترجع إليه فقالت له : إن لم أجدك ؟ تريد الموت ، فقال : « **ائتي أبا بكر** » أخرجه البخاري (٣٦٥٩) ، فهـٰذا خصوصُ خصوصِ الخصوص . انظر « الفتح المبين » (ص٤٧٤) .

(٣) أخرجه أبو داوود في « سننه » (٤٦٤٦ ، ٤٦٤٧) ، والترمذي في « سننه » (٢٢٢٦) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٨٠٩٩) ، وأحمد في « مسنده » (٥/ ٢٢٠) وغيرهم عن سيدنا سفينة رضي الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس عندهم لفظ : (عضوضاً) ، وهو في حديث آخر لفظه : « إن الله بدأ هـٰذا الأمر نبوة ورحمة ، وكائناً خلافة ورحمة ، وكائناً ملكاً عضوضاً . . . » الحديث ، أخرجه البيهقي في « الكبرىٰ » (٨/ ١٥٩) وغيره .

وإنما قَرَنَ سُنَّتهم بسُنَّته ؛ لعلمه أن سُنتهم ـ أي : طريقتهم ـ التي يستخرجونها من الكتاب والسنة مأمونةٌ من الخطأ .

[اختلاف الخلفاء في تفسير الحين وأدلتهم]

وقد ورد : أن رجلاً حلف أنه لا يطأ زوجته حيناً ، فأفتاه أبو بكر بأن الحين الأبد ، وعمر بأنه أربعون سنة ، وعثمان بأنه سنة واحدة ، وعلي بأنه يوم وليلة .

فعرض الرجل ذلك علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم ، فقال لأبي بكر : « **ما دليلك علىٰ أن الحين الأبد** ؟ » قال : قوله تعالىٰ في حق قوم يونس : ﴿ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي : أبقيناهم متمتعين بما لهم إلىٰ يوم القيامة .

وقال لعمر : « **ما دليلك علىٰ أن الحين أربعون سنة** ؟ » قال : قوله تعالىٰ : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ ، **الإنسان** : آدم ، ألقيت طينته علىٰ باب الجنة أربعين عاماً .

وقال لعثمان : « **ما دليلك علىٰ أنه عام** ؟ » قال : قوله تعالىٰ : ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ أي : تعطي النخلة ثمرها كل عام .

وقال لعلي : « **ما دليلك علىٰ أنه يوم وليلة** ؟ » قال : قوله تعالىٰ : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ أي : سبِّحوه ، بمعنىٰ : صلُّوا له حين تدخلون في المساء وحين تدخلون في الصباح .

فقال صلى الله عليه وسلم : « أصحابي كالنجوم ؛ بأيهم اقتديتم اهتديتم » وأمر الرجلَ أن يأخذ بقول عليٍّ ؛ تخفيفاً عليه[1] .

هـٰذا ؛ ومذهب مالك : موافقٌ لما أفتىٰ به عثمان ، **ومذهب أبي حنيفة وأحمد** :

---

(١) أورده بقصته في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٣٥) ، وانظر « تخريج الأحاديث والآثار » (٢/٢٢٩) ، و« التلخيص الحبير » (٦/٣١٨٨) ، وانظر « صحيح مسلم » (٢٥٣١) .

ستة أشهر ، **ومذهب الشافعي** : حَمْلُ الحين علىٰ مُضيٍّ لحظة من الزمن ؛ فإذا حلف لا يكلمه حيناً . . بَرَّ بمُضي أقل زمان .

ومحل ما ذُكر : إذا لم ينوِ شيئاً معيناً ؛ فإن نوىٰ شيئاً معيناً . . حُمِلَ عليه باتفاق الأربعة .

وإنما حث صلى الله عليه وسلم على التمسك بطريقة هٰؤلاء الخلفاء ؛ لأن ما عرف عنهم أو عن بعضهم أولىٰ بالاتباع مما عرف عن بقية الصحابة إذا وقع الخلاف فيه .

وهٰذا إنما هو في حق المقلِّد في تلك الأزمنة القريبة من زمن الصحابة ، **أما في زماننا . . فلا يجوز تقليد غير الأربعة المشهورين** ولو من أكابر الصحابة ؛ لأن مذاهب الأربعة قد حُرِّرت وعُرفت قواعدها ، واستقرت أحكامها ، بخلاف غيرهم[1] .

وحمل ذلك السبكي على الإفتاء والقضاء ، أما في عمل الإنسان لنفسه . . فيجوز[2] ؛ ولذا قال بعضهم[3] : [من الرجز]

وجــازَ تقليــدُ لغيــرِ الأربعــةْ ... فــي حَــقِّ نَفْسِـهِ ففي هـٰذا سَعَـةْ
لا فــي قضــاءٍ مــعَ إفتــاءٍ ذُكِــرْ ... هـٰذا عَنِ السُّبْكِي الإمامِ المُشْتَهِرْ

(**عَضُّوا**) بفتح العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة (**عليها بالنواجذ**) بالذال المعجمة قيل : هي الأنياب ، وقيل : آخر الأضراس ، **والقصد** : المبالغة في شدة التمسك بسنته وسنة الخلفاء من بعده ، ولم يقل : عليهما ، بل وحَّد الضمير إشارةً إلىٰ أنهما شيءٌ واحد ؛ لأن سُنَّتهم كسُنَّته في وجوب الاتباع .

(**وإياكم ومحدَثات**) كلاهما منصوب بفعل مضمر ، **والتقدير** : باعدوا أنفسكم

---

(١) انظر « الفتح المبين » (ص٤٧٤) ، **والمراد بالأربعة المشهورين** : هم الأئمة الأربعة الذين تلقتهم الأمة بالقبول رضي الله تعالىٰ عنهم .

(٢) إذا عُلمت نسبته لذلك المجتهد ، وإذا جمع شروطه عنده . . فجائز .

(٣) انظر « حاشية قليوبي على المحلّي » (١/ ١٣) .

واحذروا محدَثات (**الأمور**) بفتح الدال ؛ أي : الأمور المحدثة ؛ أي : المخترعة في الدين المخالفة للشريعة (**فإن**) ذلك بدعة ، وإن (**كل بدعة ضلالة**) أي : خلاف الحق ؛ أي : باطل[1] .

وجاء في بعض روايات هٰذا الحديث : (فإن كل محدث بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار)[2] يعني : صاحبها من فاعلٍ ومتبع ، وهٰذا في غير البدعة الحسنة التي ترجع إلىٰ أصل شرعي .

[أقسام البدعة]

وقد قيل : **إن البدعة تنقسم إلى الأحكام الخمسة** :

الأولىٰ : **واجبة** ؛ كتدوين القرآن والشرائع إذا خِيف عليها الضياع ، وكالاشتغال بالعلوم العربية المتوقِّف عليها فَهْم الكتاب والسنة ؛ كالنحو والصرف واللغة ، وكتمييز صحيح الأحاديث من سقيمها ، والرد علىٰ نحو المعتزلة .

الثانية : **محرمة** ؛ كالمكوس والمظالم ، وتولية المناصب الشرعية مَنْ لا يصلح لها ، والاشتغال بمذاهب أهل الضلال المخالفين لما عليه أهل السنة .

الثالثة : **المندوبة** ؛ كبناء الرُّبُط ، ومدارس العلم الشرعي ، وتدوين المذاهب ، وتصنيف العلوم المستحسنة شرعاً ، وتقرير القواعد ، وكثرة التفريع ، وتتبُّع كلام العرب ، وأوراد أهل الطريق ، واصطناع مولد المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، وإظهار الزينة والسرور به .

---

(١) **البدعة لغة** : ما كان مخترعاً علىٰ غير مثال سابق ، **وشرعاً** : ما أُحدث علىٰ خلاف أمر الشارع ودليله الخاص أو العام ؛ أي : **وليس له أصل في الشرع** ، وإنما الحامل عليه مجرد الشهوة ؛ فهٰذا باطل قطعاً ، **بخلاف محدث له أصل في الشرع** ؛ إما بحمل النظير على النظير ، أو بغير ذلك . . فإنه حسن ؛ إذ هو سنة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، وقد قال سيدنا عمر رضي الله عنه بعد جمعه الناس لصلاة التراويح في المسجد : (**نعمت البدعة هي**) أخرجه مالك في « الموطأ » (١ / ١١٤) .

(٢) هو في حديث سيدنا جابر رضي الله عنه عند النسائي في « المجتبىٰ » (٣ / ١٨٨ـ ١٨٩) ، وأصله في « مسلم » (٨٦٧) .

الرابعة : **المكروهة** ؛ كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف ، والتبليغ حيث بلغ المأمومين صوت الإمام .

الخامسة : **المباحة** ؛ كاتخاذ المناخل والملاعق ، والتوسعة في لذيذ المآكل والمشارب والمساكن .

وقيل : **إن أول من تنافس في الأطعمة الكثيرة**[1] **والخبز الحُوَّارَىٰ** ـ بضم الحاء وشد الواو وفتح الراء مقصوراً ؛ أي : الأبيض ـ والملابس الفاخرة . . معاوية لما ولي الشام من قِبَل عمر رضي الله تعالىٰ عنهما ، وكانوا قبل ذلك لا ينخلون الدقيق ، ولا يتنافسون في شيء من المآكل وغيرها .

[معاتبة سيدنا عمر لسيدنا معاوية علىٰ ترفهه وتوسعه]

فلما بلغ ذلك عمر . . توجَّه إلى الشام ، حتىٰ صار منها علىٰ مرحلتين ، فلقيه معاوية وترجَّل له ، وقبَّل رجله في الركاب ، ولم يزل في ركابه ماشياً وهو يخلع من ملبوسه شيئاً بعد شيء . . حتىٰ لم يبق إلا شعاره وسراويله ، وأجهده العرق ، وكان جسيماً كبير البطن .

فقال بعض الصحابة : (**رفقاً يا أمير المؤمنين بمعاوية**) ، فقال له منكراً : (**وأين معاوية ؟!**)

فقبَّل ركابه ثانياً وقال له : (ها أنا ذاك) . قال : (**ما ظننت إلا أنك علجٌ من علوج الشام**)[2] .

فبكىٰ وقال : (يا أمير المؤمنين ؛ أنت من الصحابة الذين يعرفون مواقع الوحي ، ويتَّبعون آثار الهدىٰ ، **وإن أهل الشام لا يرضيهم إلا ما شهدتَ ؛ لقرب**

---

(١) قوله : (**تنافس في الأطعمة**) أي : رغب فيها . **اهـ مؤلف** .

(٢) قوله : (**علج**) قال في « مختصر النهاية » : **العلج** : الرجل القوي الضخم ، والرجل من كفار العجم ، والجمع : أعلاج وعلوج . **اهـ مؤلف** .

عهدهم بالإسلام) أي : فأنا محتاجٌ إلىٰ هـٰذا ، فعفا عنه وقال له : (لا آمرك ولا أنهاك) ؛ أي : أنت أعلم بحالك[1] .

ثم إن هـٰذا الحديث حديثٌ جليل ، وفيه علوم كثيرة (رواه أبو داوود والترمذي وقال) أي : الترمذي : (حديث) أي : هـٰذا حديث (حسن صحيح) وفي بعض النسخ الاقتصار علىٰ (حسن) ، وتقدم الكلام على الترمذي .

[من ترجمة أبي داوود]

وأما أبو داوود . . فاسمه : سليمان بن الأشعث ، وكان شافعياً ، ومن فرسان الحديث .

قال بعضهم : (كان يفي بمذاكرة مئة ألف حديث ، فلما صنف « كتاب السنن » وقرأه على الناس . . صار كتابه لأصحاب الحديث كالمصحف يتَّبعونه ولا يخالفونه)[2] .

قال شارحه الخطابي : (لم يُصنَّف في علم الحديث مثلُه ، وهو أحسن وَضْعاً وأكثر فِقْهاً من « الصحيحين » ، فينبغي الاعتناء به وبمعرفته التامة ؛ فإن معظمَ أحاديث الأحكام التي يُحتج بها فيه مع سهولة تناوله)[3] .

ونقل عنه أنه قال : (كتبت خمس مئة ألف حديث ، انتخبت منها السنن أربعة آلاف وثمان مئة)[4] .

ومناقبه رضي الله تعالىٰ عنه كثيرة ، وقد اتفق العلماء على الثناء عليه ، ووصفه بالحفظ التام ، والعلم الوافر ، والإتقان والورع ، والدين والفهم الثاقب ـ أي : الذكي ـ في الحديث وغيره .

---

(١) أخرجه بنحوه ابن عساكر في « تاريخه » (٥٩/ ١١٢ـ ١١٣) .
(٢) ذكره الحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (١١/ ٣٨٥) من قول أبي عبد الله محمد بن مخلد رحمه الله تعالىٰ .
(٣) معالم السنن (١/ ٣) .
(٤) أخرجه المزي في « تهذيب الكمال » (١١/ ٣٦٣ـ ٣٦٤) .

وقال بعض الحفاظ : (**خُلِقَ أبو داوود في الدنيا للحديث ، وفي الآخرة للجنة**)[1] .

[اشترىٰ أبو داوود الجنة بدرهم]

وروي : أنه كان في سفينة ، فسمع عاطساً على الشطِّ حَمِدَ ، فاكترىٰ قارباً بدرهمٍ فذهب فيه حتىٰ جاء إليه فشَمَّته ، ثم رجع ، فسُئل عن ذلك فقال : (**لعله أن يكون مجاب الدعوة**) .

فلما رقدوا . . سمعوا قائلاً يقول : (**يا أهل السفينة ؛ إن أبا داوود اشترى الجنة من الله بدرهم**)[2] .

ولد سنة اثنتين ومئتين ، وتوفي بالبصرة سنة خمس وسبعين ومئتين ، رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به آمين[3] .

❋ ❋ ❋

(١) ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/١٩٦) ، والحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (١١/٣٦٥) من قول الحافظ موسى بن هارون رحمه الله تعالىٰ .

(٢) عزاه الحافظ في « الفتح » (١٠/٦١٠ـ ٦١١) إلى ابن عبد البر بسند جيد ، وذكره الشنواني في « حاشيته علىٰ مختصر ابن أبي جمرة » (ص٤١٥) .

(٣) انظر « تهذيب الكمال » (١١/٣٥٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/٢٠٣) .

الحديث التّاسع والعشرون

[طريقُ النجاةِ]

عَنْ **مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي ٱلْجَنَّةَ ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ ٱلنَّارِ ، قَالَ : « لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ : تَعْبُدُ ٱللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيمُ ٱلصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِي ٱلزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ ٱلْبَيْتَ » ثُمَّ قَالَ : « **أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ ٱلْخَيْرِ** ؟! ٱلصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَٱلصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ ٱلْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ ٱلْمَاءُ ٱلنَّارَ ، وَصَلاَةُ ٱلرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ ٱللَّيْلِ » ثُمَّ تَلاَ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ . . . ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ : ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ ، ثُمَّ قَالَ : « **أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ ٱلأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ** ؟! » قُلْتُ : بَلَىٰ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، قَالَ : « رَأْسُ ٱلأَمْرِ ٱلإِسْلاَمُ ، وَعَمُودُهُ ٱلصَّلاَةُ ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ ٱلْجِهَادُ » ثُمَّ قَالَ : « **أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ** ؟! » قُلْتُ : بَلَىٰ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ : « كُفَّ عَلَيْكَ هَـٰذَا » قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟! فَقَالَ : « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ !! وَهَلْ يَكُبُّ ٱلنَّاسَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ـ أَوْ قَالَ : عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ ـ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟! » **رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ** وَقَالَ : **حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ**[1] .

[سبيل الجنة ويسره]

(**عن معاذ بن جبل رضي الله**) تعالىٰ (**عنه**) وتقدَّم الكلام عليه[2] (**قال** :

---

(١) سنن الترمذي (٢٦١٦) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ٢٧٨) في الحديث الثامن عشر .

قلت : **يا رسول الله ؛ أخبرني بعمل يدخلني الجنة**) أي : يكون سبباً في دخولي إيَّاها لا مِن حيث ذاتُه ، بل من حيث قَبولُه بمحض فضل الله تعالى الذي به دخول الجنة ، وبذا يجمع بين هـٰذا وبين حديث البخاري : « **لن يدخل أحدكم الجنة بعمله** » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟! قال : « **ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته** » كما تقدم[١] .

ولا يبعد أن يكون المعنىٰ هنا : يدخلني الله به الجنة ؛ أي : بسبب قَبوله ، **والمراد** : دخولها من غير سابقة عذاب ؛ بدليل قوله : (**ويباعدني عن النار**) .

وفي رواية الإمام أحمد : (إني أريدُ أن أسألك عن كلمةٍ قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني ، قال : « **سَلْ عمَّا شئت** » قال : أخبرني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك غيره)[٢] .

وفي رواية : (إني أريد أن أسألك عن أمرٍ ويمنعني عنه مكان هـٰذه الآية[٣] : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ .

قال : « ما هو يا معاذ ؟ » قلت : ما العمل الذي يدخلني الجنة ، وينجيني من النار ؟)[٤] .

وفيه دليلٌ علىٰ طلب الإيجاز مع حصول الفائدة ، وعلىٰ شدة اعتنائه بالعمل الصالح ، وعظيم فصاحته ؛ فإنه أوجز وأبلغ ؛ ولهـٰذا حمد النبي صلى الله عليه وسلم مسألته ، واستعظمها حيث (**قال**) له : (**لقد سألتَ**) اللام واقعةٌ في جواب قَسَمٍ محذوف ، **والتقدير** : والله ؛ لقد سألت .

وفي نسخة : (لقد سألتني) (**عن عظيم**) أي : عن عملٍ عظيمٍ ؛ أي : متعسِّر

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٥٦٧٣) ، ومسلم في « صحيحه » (٢٨١٦) ، وتقدم (ص٣٤١) عند الحديث رقم (٢٢) .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/ ٢٤٥) ، والبزار في « مسنده » (٢٦٦٩) .

(٣) قوله : (**مكان هـٰذه الآية**) أي : مكانتها وعظم قدرها . **اهـ مؤلف** .

(٤) أخرجه الطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (١٤٧٨) ، والطبراني في « الكبير » (٢٠/ ٧٣) .

لصعوبته على النفوس وعدم وفائها غالباً بما يُطلب له ، وفيه من الوسائل والمقاصد الواجبة والمندوبة ، وأجلُّها الإخلاص .

(**وإنه**) أي : العمل المذكور (**لَيسيرٌ**) أي : هَيِّنٌ (**علىٰ من يسَّره الله تعالىٰ عليه**) أي : سهَّله لديه بتوفيقه وتهيئة أسبابه له ، وشرح صدره إليه ، وإعانته عليه .

ثم بيَّن هـٰذا العمل بقوله : (**تعبد الله**) أي : هو أن تعبد الله ، فحذفت (أن) ورجع الفعل إلىٰ رفعه ، **ومعنىٰ** (**تعبد الله**) : تُوَحِّده ؛ بدليل قوله : (**لا تشرك به شيئاً**) فإنه تأكيدٌ له .

ويحتمل أن يكون المعنىٰ : تأتي بأنواع العبادة حال كونك مخلصاً لله .

[درجات العبادة]

وقيل : **إن للعبادة ثلاث درجات** :

الأولىٰ : أن يأتي بها طمعاً في الثواب ، وهرباً من العقاب .

الثانية : أن يأتي بها ليتشرف بعبادة خالقه ، ويتلذَّذ بطاعته .

الثالثة : أن يأتي بها حياءً من الله وامتثالاً لأمره ، وتأديةً لشكره ، ويرىٰ نفسه مقصِّراً ، ويكون قلبه مع ذلك خائفاً ، وهـٰذه أعلى المراتب .

(**وتقيم الصلاة**) هو وما بعده من عطف المغاير على المعنى الأول لـ(تعبد) ، ومن عطف الخاص على العام على المعنى الثاني .

والمراد بـ(**الصلاة**) : الصلاة المكتوبة ، **ومعنىٰ** (**إقامتها**) : الإتيان بها في أوقاتها كاملة الواجبات والآداب .

(**وتؤتي الزكاة**) أي : المفروضة كما في رواية[1] ؛ أي : تدفعها لمستحقيها ، أو للإمام ليوصلها لهم .

---

(١) أخرجها ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٠٩٥٠) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٢٩٣٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٤١٢ ـ ٤١٣) .

(**وتصوم**) شهر (**رمضان**) أي : تمسك عن المفطرات في أيامه .

(**وتحج البيت**) أي : تقصده لأداء النسك ، وتأتي به إن استطعت إليه سبيلاً .

[أبواب الخير من معلم الناس الخير صلى الله عليه وسلم]

(**ثم قال**) صلى الله عليه وسلم : (**ألا أدلك**) أي : أُرشدك (**علىٰ أبواب الخير**) أي : طرقه وأسبابه الموصلة إليه ، و(ألا) للعرض ؛ وهو الطلب بلينٍ ورفقٍ ، **والمعنىٰ** : عرضتُ ذلك عليك فهل تحبه ؟ وفيه غاية التشويق إلىٰ ما سيذكره له ، وهو قوله : (**الصوم جُنَّة**) بضم الجيم وتشديد النون ؛ أي : وقاية لصاحبه من استيلاء الشهوة والغفلة عليه في الدنيا ، ومن عذاب النار في الآخرة[1] .

فينبغي للإنسان الإكثار منه ما استطاع ، خصوصاً في الأيام المؤكَّد صومها ؛ كيوم الاثنين والخميس ، وعرفة ، وعاشوراء ، وستة شوال ، والأشهر الحرم .

وورد في الحديث : « **أفضل الصوم . . صوم أخي داوود** ؛ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً »[2] .

وأدنىٰ درجات الصوم : الكف عن المفطرات ، **وأوسطها** : أن يضم إليه كف الجوارح عن المحرمات ، **وأعلاها** : أن يضم إليهما كف القلب عما سوى الله الذي أبدع المخلوقات .

---

(١) لما رتب دخولَ الجنة علىٰ واجبات الإسلام . . دلَّه بعد ذلك علىٰ أبواب الخير من النوافل ؛ فإن أفضل أولياء الله هم المقربون ، الذين يتقربون إليه بالنوافل بعد أداء الفرائض ، ومنها صوم النفل ؛ فهو كالمجن الذي يقي العبد من الضرب عند القتال ؛ فكذلك الصيام يقي صاحبه من المعاصي في الدنيا ، فإذا كان له جُنَّة من المعاصي في الدنيا . . كان له في الآخرة جُنة من النار ، وقال بعض السلف : **الغيبة تخرق الصيام ، والاستغفار يرقعه** ، **فمن استطاع منكم ألا يأتي بصوم مخرقٍ . . فليفعل** . انظر « جامع العلوم والحكم » (٢/١٣٨ـ١٣٩) .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » (١٩٧٦) وأطرافه ، ومسلم في « صحيحه » (١١٥٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

[فضل الصدقة وبعض أنواعها]

(**والصدقة تطفىء الخطيئة**) أي : تمحو أثرها إن كانت من الصغائر المتعلقة بحق الله عز وجل ، أما الكبيرة . . فلا يمحوها إلا التوبة ، وأما حق الآدمي . . فلا يمحوه إلا رضا صاحبه .

وعبَّر بالإطفاء لمقابلته بقوله : (**كما يطفىء الماء النار**) ولأن الخطيئة يترتب عليها العقاب الذي هو أثر الغضب ، والغضب يستعمل فيه الإطفاء ، يقال : طُفىء غضب فلان وانطفأ غضبه ، **وخُصَّتِ الصدقة بذلك لتعدِّي نفعها** ، ولأن الخلق عيالُ الله ، وهي إحسانٌ إليهم ، **والعادة** : أن الإحسان إلىٰ عيال شخص يُطفىء غضبه .

وقد ورد : « **أن صدقة السر تُطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء** »[1] ؛ ولذا كان بعضهم يحمل الخبز علىٰ ظهره بالليل ويتبع به المساكين[2] .

والصدقة تشمل إعطاء النقد وغيره ، وقد سُئل ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما : أي الصدقة أفضل ؟ قال : (الماء)[3] .

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سقىٰ مسلماً شربةً من ماء حيث يوجد الماء . . فكأنما أعتق رقبة ، ومن سقىٰ مسلماً شربة من ماء حيث لا يوجد الماء . . فكأنما أحياها »[4] .

وورد أيضاً : « **كل معروف صدقة** ، وما أنفق الرجل علىٰ أهل بيته . . كتب له

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٤٧٤) عن سيدنا معاوية بن حيدة رضي الله عنه .

(٢) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٣٥ـ ١٣٦) عن أبي حمزة الثمالي رحمه الله قال : كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز علىٰ ظهره بالليل فيتصدق به ويقول : (**إن صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل**) .

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٦٧٣) ، والطبراني في « الأوسط » (٦١٨٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ورفعه ، وجاء مرفوعاً عند أبي داوود في « سننه » (١٦٧٩ ، ١٦٨١) ، والنسائي في « المجتبىٰ » (٦/ ٢٥٤ـ ٢٥٥) ، وابن ماجه في « سننه » (٣٦٨٤) ، وأحمد في « مسنده » (٦/ ٧) وغيرهم عن سيدنا سعد بن عبادة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (١/ ٢٠٥) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وفيه أحمد بن محمد المروزي ، وهو متهم .

صدقة ، وما وقىٰ به المرء عِرْضه . . كتب له به صدقة ، وما أنفق المؤمن من نفقة . . فإن خَلَفَها على الله ، والله ضامنٌ إلا ما كان في بُنيان أو معصية »[1] .

وفسرت وقاية العِرْض بما يعطىٰ للشاعر وذي اللسان المتقىٰ[2] ، **والمراد بالبنيان** : الزائد عن الحاجة[3] .

وروي : أنه صلى الله عليه وسلم ذبح شاة فتصدق بلحمها غير الذراع ، ثم دخل البيت فقال : « هل بقي منها شيء ؟ » يريد أن يتصدق به ، فقالوا : والله ؛ ما بقي منها إلا الذراع . فقال : « **والله ؛ كلها بقيت إلا الذراع** »[4] .

[فضل قيام الليل]

(**وصلاة الرجل**) خُصَّ بالذكر لأن السائل رجل ، وإلا . . فمثله المرأة .

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (١٠٨٤) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٠٤٠) ، والدارقطني في « سننه » (٣/٢٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/٥٠) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (١٠/٢٤٢) وغيرهم عن سيدنا جابر رضي الله عنه ، وقوله : « كل معروف صدقة » عند البخاري في « صحيحه » (٦٠٢١) من حديثه .

(٢) هـٰذا التفسير ورد عن محمد بن المنكدر رحمه الله ، وقد ذكره عنه من أورد الحديث بعد روايتهم للحديث .

(٣) فصل هـٰذه المسألة الإمام القرطبي في « تفسيره » (٧/٢٣٩) فقال : (**استدل بهـٰذه الآية** ـ ﴿ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ ـ **من أجاز البناء الرفيع كالقصور ونحوها** ، وبقوله : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ ، ذكر أن ابناً لمحمد بن سيرين بنىٰ داراً وأنفق فيها مالاً كثيراً ، فذُكر ذلك لمحمد بن سيرين ، فقال : « **ما أرىٰ بأساً أن يبني الرجل بناءً ينفعه** » ، وروي أنه عليه السلام قال : « إذا أنعم الله علىٰ عبدٍ . . أحب أن يرىٰ أثر النعمة عليه » ، **ومن آثار النعمة البناء الحسن والثياب الحسنة** ، ألا ترىٰ أنه إذا اشترىٰ جارية جميلة بمالٍ عظيم . . فإنه يجوز ، وقد يكفيه دون ذلك ، فكذلك البناء . **وكره ذلك آخرون** : منهم الحسن البصري وغيره ، واحتجوا بقوله عليه السلام : « **إذا أراد الله بعبد شراً . . أهلك ماله في الطين واللَّبِن** » ، وفي خبر آخر عنه : أنه عليه السلام قال : « **من بنىٰ فوق ما يكفيه . . جاء به يوم القيامة يحمله علىٰ عنقه** » **قلت** : ـ الإمام القرطبي ـ : بهـٰذا أقول) .

(٤) أخرجه الترمذي في « سننه » (٢٤٧٠) ، وأحمد في « مسنده » (٦/٥٠) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٩٩٠٩) ، والبخاري في « تاريخه » (٤/١٩٥) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وهو عند البيهقي في « الشعب » (٣٠٨٥) عن امرأة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله : (**من جوف الليل**) أي : في أثنائه ، فـ(مِن) بمعنىٰ (في) وبها عبَّر في بعض النسخ ، وحذف الخبر هنا إشعاراً بأن لها فضلاً كثيراً ، وأجراً غزيراً ، لا يدرك كنهه ولا يمكن التعبير عنه ؛ أي : وصلاة الرجل في جوف الليل لا تعلم نفس ما أخفي لصاحبها ؛ ولذا استشهد بالآية كما قال الراوي : (**ثم تلا**) أي : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالىٰ : (﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ **حتىٰ بلغ** ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾)[1] .

ومعنىٰ ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ : تتنحَّىٰ وترتفع ﴿ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ أي : مواضع الاضطجاع للنوم ﴿ يَدْعُونَ ﴾ أي : يعبدون ﴿ رَبَّهُمْ خَوْفًا ﴾ من سخطه ﴿ وَطَمَعًا ﴾ في رحمته ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ من المال ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ أي : يتصدقون ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ لا مَلَكٌ مقرب ، ولا نبيٌّ مرسل ﴿ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ أي : ما تقر وتفرح به عيونهم سروراً من الثواب ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ .

وجمهور المفسرين علىٰ أن (**ما**) **في هـٰذه الآية** كناية عن كثرة النفل بالليل ؛ فإنهم أَخفوا أعمالهم فجُوزوا بما أُخفي لهم من قرة أعين ؛ وإنما يتم إخفاؤها بالصلاة في جوف الليل المصرح به في هـٰذا الحديث .

وجاء في الخبر : « **إن الله تعالىٰ يباهي الملائكة بقُوَّام الليل في الظلام** ؛ يقول : انظروا إلىٰ عبادي قد قاموا في ظُلَم الليل حيث لا يراهم أحدٌ غيري ، اشهدوا أنِّي أبحتهم دار كرامتي »[2] .

وعن أسماء بنت يزيد مرفوعاً : « يَحشر الله الناس في صعيدٍ واحدٍ يوم القيامة ،

---

(١) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (٤/١٦٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (فضل صلاة الليل علىٰ صلاة النهار كفضل صدقة السر علىٰ صدقة العلانية) .

(٢) أورده ابن دقيق العيد في « شرح الأربعين النووية » (ص ٧٨) ، وكذا في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٤٢) ، و« المجالس السنية » (ص ٩١) . وأخرج الديلمي نحوه في « الفردوس » (٤٠٣٠) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ؛ **ولفظه** : « عليكم بصلاة الليل ؛ فإنه قربة لكم إلىٰ ربكم عز وجل ، وإن الله يباهي بكم ملائكته ، ويحببكم إلىٰ خلقه ، ويدفع عنكم البلاء وميتة السوء ، ويطفىء عنكم حر النار » .

فينادي مناد : **أين الذين كانوا تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع** ؟ فيقومون وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يؤمر بالناس إلى الحساب »[١] .

وعن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما مرفوعاً : « من انتبه من نومه فقال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، والله أكبر . . نظر الله إليه ، فإن توضأ . . غفر له ، فإن صلىٰ أربع ركعات يقرأ في كل ركعة (فاتحة) الكتاب و(آية الكرسي) مرة ، و(قل هو الله أحد) أحد عشر مرة . . غفر الله له ألبتة » قال عكرمة : والله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ لقد سمعته من ابن عباس ، وقال ابن عباس : والله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ لقد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « والله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ لقد سمعته من جبريل » وقال جبريل : والله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ لقد قال الله ذلك[٢] .

وفي الحديث : « **إن في الجنة غرفاً يُرَىٰ ظاهرُها من باطنها ، وباطنُها من ظاهرها** ؛ أعدَّها الله لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وتابع الصيام ، وصلىٰ بالليل والناس نيام »[٣] .

[بِمَ يحصل قيام الليل ، وما هي أفضل أجزاء الليل ؟]

واعلم : أنه يحصل فضل قيام الليل بصلاة ركعتين ؛ لخبر : « **من قام من الليل ولو قدر حَلْب شاة . . كتب من قوام الليل** »[٤] .

---

(١) أخرجه هناد في « الزهد » (١٧٦) ، والمقريزي في « مختصر قيام الليل » (ص ٣٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٩٧٤) .

(٢) أورده الصفوري في « نزهة المجالس » (١/١١٧ـ١١٨) .

(٣) أخرجه الترمذي في « سننه » (١٩٨٤) ، والبزار في « مسنده » (٧٠٢) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٤٢٨) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، وأخرجه أحمد في « مسنده » (٥/٣٤٣) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (٢١٣٧) وابن حبان في « صحيحه » (٥٠٩) عن سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، وفي الباب عن سيدنا عبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم .

(٤) أورده في « المجالس السنية » (ص ٩٠) ، وأخرج الطبراني في « الأوسط » (٤١٢٧) عن سيدنا جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « **لا تدعن صلاة الليل ولو حلب شاة** » .

وورد : « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعاً . كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات »[1] أي : وقد أعدَّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً .

واختلف في أفضل أجزاء الليل ، والصحيح الذي دلت عليه الأحاديث : أنه إن جزَّأه نصفين . . فالنصف الثاني أفضل ، أو أثلاثاً . . فالثالث أفضل ، أو أسداساً . . فالرابع والخامس أفضل ، وهٰذا هو الأكمل على الإطلاق ؛ لأنه الذي واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه : « أفضل الصلاة : صلاة أخي داوود ؛ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه »[2] .

ثم إن المتنفل بعد النوم يقال له : متهجد[3] ، ويشفع في أهل بيته كما نقل عن أبي الوليد النيسابوري رحمه الله تعالىٰ[4] .

(ثم قال) صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبرك برأس الأمر) أي : أصل الدين (وعموده) أي : ما هو له بمنزلة العمود للبيت (وذروة سَنامه ؟) بتثليث الذال المعجمة وفتح السين ؛ أي : أعلاه ، والجمع بينهما للمبالغة ؛ إذ الذروة من كل شيء : أعلاه ، وسَنام الشيء : أعلاه .

(قلت : بلىٰ) أي : أخبرني (يا رسول الله ؛ قال : رأس الأمر الإسلام) أي : النطق بالشهادتين ؛ كما جاء في رواية لأحمد : « أن رأس الأمر : أن تشهدَ أن

---

(١) أخرجه أبو داوود في « سننه » (١٣٠٩ ، ١٤٥١) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (١١١٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٥٦٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٣١٦/١) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (٥٠١/٢) عن سيدنا أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما ، وأخرجه ابن ماجه في « سننه » (١٣٣٥) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٥٦٩) عن سيدنا أبي سعيد رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (١١٣١) ، ومسلم (١١٥٩/١٨٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) التهجد لغة : دفع النوم بالتكلف ، والهجود : النوم ، يقال : هجد إذا نام ، وتهجد إذا أزال النوم بالتكلف ، واصطلاحاً : صلاة التطوع في الليل بعد النوم ؛ كما قاله القاضي حسين ، ويسن للمتهجد القيلولة ؛ وهو النوم قبل الزوال ، وهو بمنزلة السحور للصائم ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « استعينوا بطعام السحر علىٰ صيام النهار ، وبالقيلولة علىٰ قيام الليل » أخرجه ابن ماجه (١٦٩٣) . انظر « مغني المحتاج » (٣٤٨/١) .

(٤) ذكر ذلك عنه الخطيب الشربيني في « مغني المحتاج » (٣٤٨/١) .

لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله »[1] .

وإنما كان ذلك هو الرأس ؛ لأنه لا أثر للدين بدونه ، كما أنه لا أثر لحياة الحيوان بدون رأسه ؛ يعني أن الشخص إذا لم يُقِرَّ بالشهادتين . . لم يكن له من الدين شيء أصلاً ، وإذا أقرَّ بهما . . حصل له أصل الدين .

(**وعموده الصلاة**) أي : المفروضة ؛ لأنها المقيمة لمنار الإسلام ، فإذا أتىٰ بها العبد . . قوي دينه كما يقوى البيت بالعمود .

(**وذروة سَنامه الجهاد**) أي : من حيث أن به يظهر الإسلام ، ويعلو علىٰ سائر الأديان[2] ، ويُطلَق الجهاد علىٰ مجاهدة النفس وكَفِّها عن الشهوات ، ومنعها عن الاسترسال في اللذات ، ويلزم من ذلك فعل الأوامر واجتناب المناهي ، وهـٰذا هو الجهاد الأكبر ، وقيل : إنه المراد هنا ؛ لأنه جعل الجهاد أعلىٰ شيء في الدين ، وهو بهـٰذا المعنىٰ أفضل من جهاد الكفار ؛ لأنه فرض كفاية ، ومجاهدة النفس فرض عين ، وبها تتفجَّر ينابيع الحكمة من القلب .

[فضل كف اللسان عما يغضب الملك الديان]

(**ثم قال**) صلى الله عليه وسلم : (**ألا أخبرك بمِلاك ذلك**) الأمر (**كلِّه ؟**) بكسر الميم كما هو الرواية ؛ أي : بما يملكه ويضبطه ، أو بما يقوم به ؛ **بمعنىٰ** : أنه إذا وجد . . كانت تلك الأعمال كلها علىٰ غاية الكمال ؛ إذ هي غنيمة ، وكف اللسان عن المحارم سلامة ، والسلامة في نظر العقلاء مقدَّمة على الغنيمة ،

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/ ٢٤٥) .

(٢) أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ثلاثة أشياء : **رأس الأمر** : وهو الدين الإسلامي ، ودخوله بالشهادتين ، **وعموده** : وهي الصلاة ، وهي قوام الدين ، **وذروة سنامه وأعلىٰ ما فيه** : وهو الجهاد ، أخرج أحمد في « مسنده » (٥/ ٢٤٦) عن سيدنا معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده ؛ ما شَحَبَ وجهٌ ، ولا اغبرت قدمٌ في عملٍ تُبتغَىٰ فيه درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهادٍ في سبيل الله » .

والمقصود : بيان فضيلة كف اللسان ؛ عن الأمور التي توجب غضب الملك الديان ؛ أي : القهار .

(**قلت : بلىٰ يا رسول الله**) أخبِرْني (**فأخذ**) النبي صلى الله عليه وسلم (**بلسانه**) الباء زائدة ، **والمعنىٰ** : أمسَك لسان نفسه بيده ، **والحكمة في ذلك** : المبالغة في الزجر (**وقال**) وفي نسخة : (فقال) وفي أخرىٰ : (ثم قال) : (**كُفَّ عليك هـٰذا**) بضم الكاف وتشديد الفاء المفتوحة ؛ أي : امنعه من التكلم بما لا يعنيك ؛ لأن آفته عظيمة ، وقد قيل : (**إنه صَغُرَ جِرْمُه** ـ بكسر الجيم ـ **وعَظُمَ جُرْمه**) بضمها ؛ أي : ذنبه[1] .

وقيل : **في الحكمة** : (لسانك أَسَدُك ، إن أطلقته . . فرسك ـ أي : أهلكك ـ وإن أمسكته . . حرسك)[2] .

وفي المثل : يقول اللسان كل يوم للعين : (كيف أصبحتِ ؟ فتقول : بخيرٍ إن سلمتُ منك) .

ثم إن في الكلام حذف مضاف ، **والمعنىٰ** : كف عليك جنس هـٰذا ؛ لأن إشارته عليه الصلاة والسلام للسانه ، ومعاذٌ لا يكفُّه[3] ، وإنما يكف جنسه من حيث تحقُّقه في لسانه هو ، وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بلسان معاذ ؛ **وعليه** : فلا حذف ؛ لأن اسم الإشارة عائدٌ عليه .

قال معاذ رضي الله تعالىٰ عنه : (**قلت : يا رسول الله**) وفي نسخة : (يا نبي الله) (**وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟!**) هـٰذا استفهامُ تعجبٍ واستغراب .

---

(١) ذكره الإمام الغزالي في « الإحياء » (٥/ ٣٨٩ ، ٣٩٠) .

(٢) ذكره الإمام السيد أحمد الرفاعي في « البرهان المؤيد » (ص ٢١٤) .

(٣) أي : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمسك بلسان نفسه وقال : « كف عليك هـٰذا » وجمع بين إمساكه وقوله ذلك ؛ مع أنه كان يمكنه أن يقول : (كف عليك لسانك) لأن النفس بالحسيات آلف منها بالعقليات ؛ لتأخر زمن إدراك هـٰذا عن زمن إدراك تلك ، فكان ذكر المعنى العقلي الجلي ، ثم تعقيبه بالتمثيل الحسي أبلغَ وأوقعَ في النفس ؛ لما فيه من زيادة القوة بنقله من الخفاء إلى الظهور علىٰ أكمل وجه وأبلغه . انظر « الفتح المبين » (ص٤٨٩) .

(**فقال**) له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**ثَكِلَتك أمك**) بمثلثة أوله وكاف مكسورة ولام مفتوحة ؛ أي : فقدتك ، وهـٰذا معناه الأصلي ، وليس مراداً ، **وإنما القصد منه** : التعجب وتعظيم الأمر .

وقيل : إنه من الألفاظ التي تجري علىٰ ألسنة العرب في المخاطبات ؛ للتأديب والتنبيه من الغفلة : كـ(تربت يداك) أي : لصقت بالتراب من شدة الفقر .

أو يقال : إن الموت لما كان لا بدَّ منه لكل أحد . . كان الدعاء به كلا دعاء .

(**وهل**) استفهام إنكاري بمعنى النفي ؛ أي : ما (**يَكُبّ**) بفتح الياء وضم الكاف ؛ أي : يُلقي (**الناس**) يوم القيامة (**في النار علىٰ وجوههم** ، **أو قال** : **علىٰ مناخرهم**) شكٌّ من الراوي .

(**إلا حصائد ألسنتهم**) أي : ما تكلمت به من الإثم ، وهـٰذا الحكم واردٌ على الأغلب والأكثر ؛ لأنك إذا اختبرتَ الناس . . لم تجد أحداً حفظ لسانه عما يوجب دخوله النار إلا النادر من الأبرار .

والمعنىٰ : معظم ما يُلقي الناس في نار جهنم حصائدُ ألسنتهم ؛ جمع : (حصيدة) بمعنىٰ : محصودة ؛ من **حصد الزرع** : إذا قطعه ، **والمراد** : ما تلفظه الألسن وتقطعه من الكلام القبيح ؛ كالكفر والكذب والشتم ، والغيبة والنميمة وغير ذلك .

وروي عن أبي وائل قال : ارتقى ابن مسعود الصفا ، فأخذ بلسانه فقال : **يا لساني ؛ قل خيراً . . تغنم ، واسكت عن شر . . تسلم ، من قبل أن تندم** ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَكْثَرُ خطايا ابن آدم من لسانه »[1] .

وروي عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « **إن الرجل ليتكلَّم بالكلمة لا يرىٰ لها بأساً . . يهوي بها سبعين خريفاً في النار** »[2] .

---

(١) أخرجه الشاشي في « مسنده » (٦٠٢) ، والطبراني في « الكبير » (١٠/١٩٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/١٠٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٥٨٤) .

(٢) أخرجه الترمذي في « سننه » (٢٣١٤) ، وأحمد في « مسنده » (٢/٢٣٦) .

وفي الحديث : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالىٰ لا يُلْقي لها بالاً . . يَكتب له بها رضوانه إلىٰ يوم القيامة ، وإن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله تعالىٰ لا يعلم أنها تقع حيث تقع . . فيَكتب له بها سخطه إلىٰ يوم القيامة » أو قال : « يهوي بها في النار سبعين خريفاً »[1] أي : عاماً .

فينبغي لكل مكلف : أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه ؛ فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فليقل خيراً أو ليصمت »[2] .

وكان السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم علىٰ غاية من حفظ اللسان ؛ **حكي عن عمر رضي الله تعالىٰ عنه** : أنه كان يجعل في فيه حجراً ؛ ليمنعه من الكلام فيما لا يعنيه .

وحكي عن أبي بكر رضي الله تعالىٰ عنه : أنه فعل ذلك ثنتي عشرة سنة حتىٰ تعوَّد قِلَّة الكلام[3] .

وكان لا يُخرج الحجر من فمه إلا عند الصلاة والأكل والنوم ، وكان يقول : (**ليتني كنت أخرس إلا عن ذكر الله تعالىٰ**)[4] .

وحكي عن بعض الأكابر : أنه كان قاعداً مع أحد أصحابه ، فأتاه ابنه من المكتب ، فقال : حفظتُ لَوحِي ، أقعدُ ، أو أمشي ألعب ؟ فلم يجبه ، فكرره ،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ؛ **ولفظه** : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم » ، وله ألفاظ مقاربة عند غيره ، وفي الباب عن سيدنا بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٨) ، ومسلم (٤٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو الحديث الخامس عشر من الأربعين كما تقدم (ص ٢٣٩) .

(٣) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٢٩) .

(٤) أورده القاري في « مرقاة المفاتيح » (١/ ١٨٤) ، وأخرج أبو يعلىٰ (٥) عن زيد بن أسلم عن أبيه : أن عمر اطلع علىٰ أبي بكر وهو يمد لسانه فقال : ما تصنع يا خليفة رسول الله ؟ فقال : **إن هـٰذا أوردني الموارد** ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ليس شيء في الجسد إلا وهو يشكو ذرب اللسان** » .

فقال له صاحبه : ألا تقول له يلعب ؛ أليس اللعب يُصلح الصبيان ؟!

(**قال : ما أريد أن يكون في صحيفتي : اذهب فالعب ، فإن فَعَلَ . . لا أمنعه**)[1] .

وقال بعضهم : (**ثلاثة أشياء تقسِّي القلب** : الضحك من غير عجبٍ ، والأكل من غير جوع ، والكلام من غير حاجة)[2] .

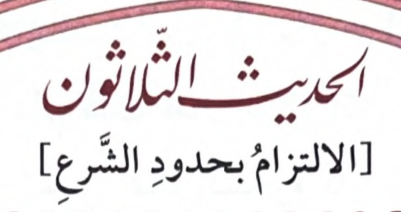
ثم إن هـٰذا الحديث أصل عظيم متين ، وقاعدة من قواعد الدين (**رواه الترمذي**) في « جامعه » (**وقال : حديث حسن صحيح**) .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه العجلي في « معرفة الثقات » (١/٣٥٢) عن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت له : (يا أبت أذهب فألعب . . .) .

(٢) ذكره البهاء العاملي في « الكشكول » (١/٤٢٧) .



الحديث الثلاثون

[الالتزامُ بحدودِ الشَّرعِ]

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ ٱلْخُشَنِيِّ **جُرْثُوم بْنِ نَاشِرٍ** رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلاَ تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُوداً فَلاَ تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلاَ تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلاَ تَبْحَثُوا عَنْهَا» **حَدِيثٌ حَسَنٌ**، **رَوَاهُ ٱلدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ**[1].

[من ترجمة سيدنا جرثوم بن ناشر رضي الله عنه]

(**عن أبي ثَعلبة**) بفتح المثلثة (**الخُشَني**) بضم المعجمة الأولىٰ وفتح الثانية وكسر النون: نسبة إلىٰ خُشَينة ـ بالتصغير ـ قبيلة معروفة (**جُرْثُوم**) بضم الجيم والمثلثة وإسكان الراء بينهما (**ابن ناشر**) بنون وشين معجمة مكسورة ثم راء، وفي اسمه واسم أبيه أقوال غير ذلك (**رضي الله**) تعالىٰ (**عنه**).

كان من مشاهير الصحابة، وممن حضر بيعة الرضوان تحت الشجرة سنة ستٍّ من الهجرة[2].

وسبب هٰذه البيعة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بألف وأربع مئة ـ وقيل: وخمس مئة ـ لزيارة البيت، فصدَّه المشركون؛ أي: منعوه، فأرسل إليهم عثمان بن عفان رضي الله تعالىٰ عنه؛ ليبلغهم: **أنه صلى الله عليه وسلم لم يأتهم**

---

(١) أخرجه الدارقطني في « سننه » (٤/ ١٨٣ـ ١٨٤).

(٢) انظر « الاستيعاب » (ص١٣٠)، و« أسد الغابة » (١/ ٣٢٩).

مقاتلاً ولا محارباً ، وإنما جاءهم زائراً للبيت ومعظِّماً له .

فحبسوه عندهم ، فأشاع إبليس ـ لعنه الله تعالىٰ ـ أنهم قتلوه ، ورفع به صوته ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : « لا نبرح حتىٰ نناجزهم الحرب »[1] ودعا الناس عند الشجرة للبيعة على الموت ، فاتفقوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ أن يموتوا ولا يفروا من مقاتلة أهل مكة .

ولما سمع المشركون بهـٰذه البيعة . . خافوا ، وأرسلوا عثمان رضي الله تعالىٰ عنه[2] .

وفي هـٰذه البيعة نزل قوله تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ .

وسميت بيعة الرضوان لما في هـٰذه الآية من رضا المولىٰ عز وجل عنهم بسببها .

وحكي عن جرثوم المذكور أنه كان يقول : (إني أرجو ألا يخنقني الله كما أراكم تخنقون عند الموت) .

فبينما هو يصلي . . إذ قُبض وهو ساجد ، فرأت ابنتُه في النوم أن أباها قد مات ، فاستيقظت فزعةً فنادت : (أين أبي ؟) قيل لها : (في مصلاه) ، فنادته فلم يجبها ، فأتته فوجدته ساجداً ، فحركته فسقط ميتاً[3] ، وكان ذلك بالشام سنة خمس وتسعين[4] .

ومروياته أربعون حديثاً ؛ منها ما ذكره المصنف عنه : (عن رسول الله) وفي نسخة : (عن النبي) (صلى الله عليه وسلم) : أنه (قال : إن الله تعالىٰ فرض

---

(١) قوله : (لا نبرح) أي : لا نذهب عنهم ، وقوله : (حتىٰ نناجزهم) أي : نطلب منهم المناجزة ؛ أي : المبارزة والمقاتلة . اهـ مؤلف .

(٢) انظر « تاريخ خليفة بن خياط » (ص ٨١ ـ ٨٢) .

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٦٢٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٠ ـ ٣١) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٦٦/ ١٠٤) .

(٤) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ١٣٠) ، و« أسد الغابة » (١/ ٣٢٩) ، (٦/ ٤٤) ، و« الإصابة » (٤/ ٢٩) .

(**فرائض**) أي : أوجبها علىٰ عباده ، وألزمهم القيام بها ؛ وهي شاملة لفرائض الأعيان : كالصلوات الخمس ، والزكاة ، والصوم ـ أي : في رمضان ـ والحج ، والكفاية ؛ كصلاة الجنازة ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

(**فلا تضيعوها**) بتشديد التحتية المكسورة ، ويجوز تخفيفها مع كسر ما قبلها ؛ أي : لا تتركوها ولا تتهاونوا في أدائها ، بل قوموا بها كما فُرضت عليكم ، ولا تؤخروها عن أوقاتها .

وقد صح : أنه عليه الصلاة والسلام رأىٰ ليلة الإسراء قوماً تُرضخ رؤوسهم ـ أي : تُدق وتُكسر ـ كلما رُضخت . . عادت كما كانت ، ولا يفتر ـ أي : يؤخر ـ عنهم ذلك ، فقال : « **مَن هٰؤلاء يا جبريل** ؟

قال : **هٰؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة** ، وما ظلمهم الله شيئاً »[1] .

(**وحَدَّ**) بفتح الحاء وتشديد الدال المهملتين ؛ أي : بيَّن وعيَّن (**حدوداً**) جمع (حَدّ) وهو **لغةً** : الحاجز بين الشيئين ، **وشرعاً** : عقوبة مقدَّرة من الشارع ، تَزجر وتمنع عن المعصية ، **والمعنىٰ** : أن الله تعالىٰ جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة تحجزكم وتمنعكم[2] عما لا يرضاه ، وقد ورد : « **حَدٌّ يقام في الأرض خيرٌ من مطرٍ أربعين صباحاً** »[3] .

وذكر العلماء أنه لا يجوز تعطيل الحد بمالٍ يؤخذ من العاصي ، وأن ذلك يكون سبباً لسقوط حرمة السلطان ، وسقوط قَدْره من القلوب .

---

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٩/ ١٥/ ١٢) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) في الأصل : (وتمنعهم) ، والمثبت أليق بالسياق .

(٣) أخرجه النسائي في « المجتبىٰ » (٨/ ٧٥ ـ ٧٦) ، وابن ماجه في « سننه » (٢٥٣٨) ، وأحمد في « مسنده » (٢/ ٣٦٢ ، ٤٠٢) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٦١١١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٤٣٩٨) عن سيدنا أبي هريرة ضي الله عنه .

[أنواع الحدود]

واعلم : أن الحدود متنوعة :

منها : حد الزنا ؛ وهو الرجم إن كان الفاعل محصناً[١] ، والجلد مئة والتغريب إلىٰ مسافة القصر عاماً إن كان غير محصن .

ومنها : حد السرقة ؛ وهو قطع اليد اليمنىٰ في أول مرة ، والرجل اليسرىٰ في المرة الثانية ، واليد اليسرىٰ في المرة الثالثة ، والرجل اليمنىٰ في المرة الرابعة ، وقطع اليد يكون من الكوع ، والرجل من الكعب .

ومنها : حد شرب الخمر ، وهو أربعون جلدة .

ومنها : حد القذف بالزنا ، وهو ثمانون جلدة .

(**فلا تعتدوها**) أي : لا تتركوها ، ولا تتجاوزوا القدر الذي قدره الشارع فيها ؛ فلا تزيدوا عليه ولا تنقصوا عنه ، وأما ما روي من أن عمر رضي الله تعالىٰ عنه جلد شارب الخمر ثمانين[٢] . . فهو اجتهاد منه لزيادة التنكيل[٣] ؛ حيث أكثر الناس الشرب في زمنه ، فما زاده تعزيرٌ لا حَدٌّ[٤] .

(**وحرَّم أشياء**) أي : منع من قربانها وارتكابها ؛ كشهادة الزور ، وأكل مال اليتيم ، والربا ، وعقوق الوالدين (**فلا تنتهكوها**) أي : لا ترتكبوها ولا تقربوا منها .

حكي عن بعض السلف رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : (**رأيت المعاصي تزري** ـ

---

(١) قوله : (**محصناً**) تقدم : أنه مَن وَطىء أَو وُطىء في القُبُل في عقدٍ صحيح ، وهو حرٌّ بالغ عاقل . **اهـ مؤلف** .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٦٧٧٩) عن سيدنا السائب بن يزيد رضي الله عنه ، ومسلم في « صحيحه » (١٧٠٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) قوله : (**لزيادة التنكيل**) قال في « المختار » : نكل به تنكيلا ؛ أي : جعله نكالاً وعبرة لغيره . **اهـ مؤلف** .

(٤) انظر تفصيل العلامة ابن حجر الهيتمي في « الفتح المبين » (ص٤٩٣) .

أي : تعيب ـ **صاحبها وتحقره ، فتركتُها مروءةً ، فصارت ديانة**)[1] .

وعن ابن شُبْرُمة رحمه الله تعالىٰ أنه قال : (العجب ممن يحتمي من الحلال مخافة الداء ، ولا يحتمي من الحرام مخافة النار !!)[2] .

[لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم]

(**وسكت عن أشياء**) أي : لم يُنزل حكمها علىٰ نبيه صلى الله عليه وسلم (**رحمةً لكم**) أي : لأجلكم ؛ يعني : أنه لم يحرم تلك الأشياء فيعاقب علىٰ فعلها ، ولم يوجبها فيعاقب علىٰ تركها ؛ لأجل رحمته ورأفته بكم ، وتخفيفاً عنكم .

وقوله : (**غير نسيان**) حال من السكوت المفهوم من (سكت) أي : حال كون السكوت عنها بمعنىٰ عدم إنزال الحكم فيها غير نسيان لأحكامها ؛ لأن النسيان مستحيلٌ عليه سبحانه وتعالىٰ ؛ فقد قال عز شأنه : ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ .

وإذا كان الأمر كذلك . . (**فلا تبحثوا عنها**) أي : لا تفحصوا عن أحوالها ، ولا تفتّشوا عن أحكامها ، بل احكموا بالبراءة الأصلية ، والحل في المنافع ، والحرمة في المضار .

وهٰذا النهي يحتملُ اختصاصه بزمنه صلى الله عليه وسلم ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ . . .﴾ الآية ؛ لأن السؤال قد يكون سبباً لنزول ما فيه تشديد من إيجاب أو تحريم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن أعظم المسلمين

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخه » (١/٢٩١) بنحوه ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٥١/١٢) عن ابن سمعون رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أخرجه ابن حيان في « أخبار القضاة » (٣/١٢٣) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٧٥) ، والحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (١٥/٨٠) .

جُرماً ـ بضم الجيم ؛ أي : ذنباً ـ مَنْ سأل عن شيءٍ لم يُحَرَّم فحُرِّم لأجل مسألته »[١] .

ويحتمل بقاؤه علىٰ عمومه ؛ لأنه من التعمق والتنطع ؛ أي : التشديد في الدين ، والبحث عما لا يعني .

[النهي عن التنطع والتفكر وأقسامه]

وقد صح : « هلك المتنطعون »[٢] **والمتنطع** : البحَّاث عما لا يعنيه .

وقال ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه : (**إياكم والتنطع ، إياكم والتعميق**)[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من حسن إسلام المرء . . تركه ما لا يعنيه »[٤] .

قالوا : **ومن البحث عما لا يعني** : البحث عن أمور الغيب التي أُمرنا بالإيمان بها ولم تبيَّن كيفيتُها ، فهو مذموم ؛ لأنه قد يؤدي إلى الحيرة والشك ، ويرتقي إلى التكذيب .

ومن ثم : قال ابن إسحاق رحمه الله تعالىٰ : (لا يجوز التفكر في الخالق ولا في المخلوق بما لم يُسمع فيه ؛ كأن يقال في قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ : كيف تسبيح الجماد ؟ لأنه تعالىٰ أخبر به فيجعله كيف شاء بما شاء)[٥] .

فإن لم يكن التفكُّر بهـٰذه المثابة . . كان من أعلى العبادات ؛ **ومنه** : ما نقله ابن

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » (٧٢٨٩) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٢٦٧٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٢٠٤٦٥) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٠٦٥١) ، والدارمي في « مسنده » (١٤٤) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (٢/ ٣٨٤) وغيرهم .

(٤) أخرجه الترمذي في « سننه » (٢٣١٧) ، وابن ماجه في « سننه » (٣٩٧٦) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٢٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي الباب عن حسين بن علي وزيد بن ثابت رضي الله عنهم .

(٥) انظر « المجالس السنية » (ص ٩٣) ، و« جامع العلوم والحكم » (٢/ ١٧٢) ، و« الفتح المبين » (ص٤٩٥) ؛ **وفيها** : (قال إسحاق بن راهويه) بدل : (ابن إسحاق) .

العماد في « كشف الأسرار » : من أن المقداد بن الأسود رضي الله تعالىٰ عنه قال : دخلت علىٰ أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه فسمعته يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **تفكُّرُ ساعةٍ . . خير من عبادة سنة** » .

ثم دخلت على ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما فسمعته يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **تفكر ساعة . . خير من عبادة سبع سنين** » .

ثم دخلت علىٰ أبي بكر رضي الله تعالىٰ عنه فسمعته يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **تفكر ساعة . . خير من عبادة سبعين سنة** » .

قال المقداد رضي الله تعالىٰ عنه : فدخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بما قالوا !! فقال : « **صدقوا** » ثم قال : « **ادعهم إليَّ** » فدعوتهم .

فقال لأبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه : « **كيف تفكرك ؟ وفيماذا ؟** » قال : في قوله تعالىٰ : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ . . . ﴾ الآية ؛ أي : ليستدلوا به علىٰ قدرة خالقهما ، قال : « تفكرك خير من عبادة سنة » .

ثم سأل ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما عن تفكُّره ، فقال : **تفكري في الموت وهول المطلع** ـ يعني : يوم القيامة ـ فقال : « تفكرك خيرٌ من عبادة سبع سنين » .

ثم قال لأبي بكر رضي الله تعالىٰ عنه : « كيف تفكرك ؟ » قال : **تفكري في النار وفي أهوالها** ، وأقول : يا رب ؛ اجعلني يوم القيامة من العظم بحال تملأ النار مني حتىٰ يصدق وعدك ، ولا تعذب أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النار .

فقال : « تفكرك خير من عبادة سبعين سنة » ثم قال : « **أرأف أمتي بأمتي أبو بكر** » رضي الله تعالىٰ عنه ونفعنا به ، آمين[١] .

ثم إن هـٰذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، قال بعضهم : (وليس في الأحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه منه)[٢] .

---

(١) أورده الصفوري في « نزهة المجالس » (٢/٢٣٩ ـ ٢٤٠) .

(٢) انظر « جامع العلوم والحكم » (٢/١٥٣) .

لهـٰذا قـال السمعـانـي : « مـن عمـل بـه .. فقـد حـاز الثـواب ، وأمـن مـن العقاب »[1] .

وهو (**حديث حسن رواه الدارقطني وغيره**) وتقدم في الخطبة : أن الدارقطني بفتح الدال المهملة والراء : منسوبٌ لدار القطن ؛ حارة كبيرة ببغداد ، وأن اسمه : **علي بن عمر** ، وهو صاحب « السنن » و« العلل » و« الأفراد » وغيرها ، وكان أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع[2] .

قيل له : (هل رأيت مثل نفسك ؟ فقال : قال الله تعالىٰ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ ، فألح عليه فقال : **لم أَرَ أحداً جمع مثل ما جمعتُ**)[3] .

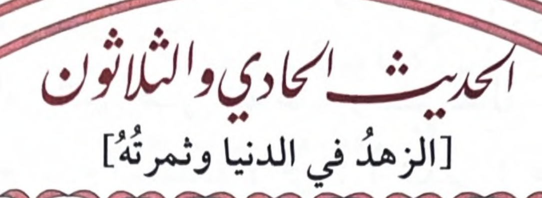
وقال فيه القاضي أبو الطيب : (**إنه أمير المؤمنين في الحديث**)[4] .

وقال البرقاني : (أملىٰ عليَّ كتاب « العلل » من حفظه)[5] .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « جامع العلوم والحكم » (٢/ ١٥٣) ، و« الفتح المبين » (ص٤٩٨) .
(٢) انظر ما تقدم (ص ٨٧) .
(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣/ ١٠٠) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٥٣) .
(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣/ ١٠١) ، والحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ١٠٣) .
(٥) انظر « تاريخ دمشق » (٤٣/ ١٠٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٤٩) .



الحديث الحادي والثلاثون

[الزهدُ في الدنيا وثمرتُهُ]

عَنْ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ **سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ٱلسَّاعِدِيِّ** رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ . أَحَبَّنِيَ ٱللهُ وَأَحَبَّنِيَ ٱلنَّاسُ ، فَقَالَ : « ٱزْهَدْ فِي ٱلدُّنْيَا يُحِبَّكَ ٱللهُ ، وَٱزْهَدْ فِيمَا عِنْدَ ٱلنَّاسِ يُحِبَّكَ ٱلنَّاسُ » **حَدِيثٌ حَسَنٌ** ، **رَوَاهُ ٱبْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ**[1] .

(**عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي**) بكسر العين المهملة : نسبة إلىٰ جده ساعدة ، وكان اسم سهل حزناً[2] ، فسمّاه النبي صلى الله عليه وسلم سهلاً[3] .

(**رضي الله**) تعالىٰ (**عنه**) وفي نسخة : (عنهما) وهي أولىٰ ؛ **لأن أباه له صحبة** ، روي : أنه تجهز ليخرج إلىٰ بدر فمرض فمات[4] .

وكان سن ولده سهل يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة ، ومات بالمدينة سنة ثمان وثمانين ، وقيل : سنة إحدىٰ وتسعين ، **وهو آخر صحابي مات بها**[5] .

---

(١) سنن ابن ماجه (٤١٠٢) .

(٢) قوله : (**حزناً**) **الحزونة** : الخشونة والصعوبة . **اهـ مؤلف** .

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٧١) ، والروياني في « مسنده » (١١٠٢) .

(٤) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ٥٧٦) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ١٩١) ، وهو في « المغازي » للواقدي (ص ١٠١) ؛ **ولفظه** : (تجهز سعد بن مالك ؛ ليخرج إلىٰ بدر ، فمرض فمات ، فموضع قبره عند دار ابن قارظ ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره) . وانظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٢٨٠) ، و« أسد الغابة » (٢/ ٣٦٥) ، و« الإصابة » (٢/ ٣٢) .

(٥) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٣٠٨)، و« أسد الغابة » (٢/ ٤٧٢)، و« الإصابة » (٢/ ٨٧) .

[محبة الناس لشخص تابعة لمحبة الله له]

ومروياته مئة حديث وثمانية وثمانون حديثاً ، منها ما ذكره عنه المصنف ؛ وهو أنه (**قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ دُلَّني**) بضم الدال المهملة وفتح اللام المشددة ؛ أي : أرشدني (**علىٰ عملٍ**) أي : صالحٍ جامعٍ للفضائل ، ومانعٍ من الرذائل (**إذا عملته**) بكسر الميم . . (**أحبني الله**) أي : رضي عني وأحسن إليَّ (**وأحبني الناس**) أي : حصل لهم الشفقة عليَّ ، وأرادوا منفعتي ، والرواية في : (أحبني) بفتح التحتية وإن كان يجوز إسكانها عربية .

واعلم : أن محبةَ الناس لشخصٍ تابعةٌ لمحبة الله تعالىٰ ، فإذا أحبه . . ألقىٰ محبته في قلوب خلقه ؛ فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **إن الله إذا أحب عبداً . . دعا جبريل فقال : إني أُحب فلاناً فأحبه** ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يُحِب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يُوضع له القَبول في الأرض »(1) .

[علامة محبة الله الزهد في الدنيا]

(**فقال**) رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل : (**ازهد في الدنيا**) أي : أعرض عنها ، ولا تُبالِ بإقبالها وإدبارها ، ولا تأخذ منها إلا ما لا بد منه من الحلال (**يحبَّك الله**) بفتح الموحدة المشددة ؛ لأنه تعالىٰ يحب من أطاعه ، **ومن طاعة الله عز وجل** : عدم الالتفات إلى الدنيا ، بل هو الطاعة التامة .

[زهد النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا]

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ غايةٍ من الإعراض عنها مع تمكنه

---

(1) أخرجه البخاري (٦٠٤٠ ، ٧٤٨٥) ، ومسلم (٢٦٣٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

من التوسع فيها ، روي : أنه كان يلبس المرقع والصوف[1] ، ويأكل خشن الطعام[2] ، ويجلس على الأرض بلا حائل ، ويأكل عليها[3] ، ويقول : « **إنما أنا آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد** »[4] .

وكان يمر عليه شهران ولا يوقد في بيوته مصباح ولا نار لطبخ ، وإنما كان طعامهم التمر والماء ، وكان له جيران لهم غنمٌ فيرسلون له من لبنها[5] ، وكان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله لا يجدون عشاء[6] .

[لهم الدنيا ولنا الآخرة]

ودخل عليه عمر رضي الله تعالىٰ عنه وهو مضطجعٌ علىٰ حصيرٍ قد أثَّرت في جنبه الشريف ، متكىءٌ علىٰ وسادةٍ من جلدٍ حشوها ليف وليس عليه إلا إزار ، فبكىٰ عمر رضي الله تعالىٰ عنه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما يُبكيك يا عمر ؟** » فقال : ذكرت كسرىٰ وقيصر عدوي الله في الخز والقز ، والحرير والديباج ، وأنت رسول الله وخيرته من خلقه علىٰ هـٰذا ؟!

فقال : « **أفي شك أنت يا بن الخطاب ؟! أما ترضىٰ أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟** » قال : بلىٰ .

---

(١) أخرج أحمد في « مسنده » (٦/١٠٦) وغيره عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها سئلت : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ؟ قالت : (كما يصنع أحدكم ؛ يخصف نعله ، ويرقع ثوبه) .
وأخرج الترمذي في « الشمائل » (٧٤) عن سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : (أهدىٰ دحية للنبي صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما ـ وفي راوية : وجبة فلبسهما ـ حتىٰ تخرقا) .

(٢) أخرج الترمذي في « الشمائل » (١٤٣) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت : (ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتىٰ قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(٣) أخرجه البغوي في « شرح السنة » (٣٦٧٤) وغيره عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٤٩٢٠) ، ومن طريقه أبو الشيخ في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم » (٥٨٤) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٥) أخرجه البخاري (٢٥٦٧) وأطرافه ، ومسلم (٢٩٧٢) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٦) أخرجه الترمذي (٢٣٦٠) ، وابن ماجه (٣٣٤٧) ، وأحمد (١/٢٥٥) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

قال : « فهو كذلك ، أولئك عُجِّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا »[1] .

وفي « الشفا » : (أن جبريل قال له صلى الله عليه وسلم : إن الله يقول لك أتحب أن أجعل لك هٰذه الجبال ذهباً وتكون معك حيث ما كنت ؟ فأطرق ساعة ثم قال : « **يا جبريل ؛ ما لي وللدنيا ، الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، وقد يجمعها من لا عقل له** » . فقال له جبريل : ثبتك الله بالقول الثابت)[2] .

وفي رواية : « أريد أن أجوع يوماً فأصبر ، وأشبع يوماً فأشكر »[3] .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **لو كانت الدنيا تساوي** ـ وفي رواية : تعدل ـ **عند الله جناح بعوضة . . ما سقىٰ كافراً منها شربة ماء** »[4] .

وما ألطف قول بعضهم[5] : [من الطويل]

فلو كانتِ الدنيا جزاءً لمُحْسِنٍ ... إذاً لم يكنْ فيها معاشٌ لظالمِ
لقدْ جاعَ فيها الأنبياءُ كرامةً ... وقدْ شَبِعَتْ فيها بطونُ البهائمِ

وفي الحديث : « **إذا أحب الله عبداً . . حماه عن الدنيا** ؛ كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء »[6] .

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالىٰ : (ترك الدنيا شديد ، وترك الجنة أشد منه ، وإن مهر الجنة ترك الدنيا)[7] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٨) ، ومسلم (١٤٧٩) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٢) الشفا (ص ١٨٥ـ ١٨٦) ، والحديث عبارة عن حديثين الأول : أخرجه بنحوه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٤٩٢٠) عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، والترمذي (٢٣٤٧) عن أبي أمامة رضي الله عنه ، والثاني أخرجه أحمد (٦/ ٧١) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .
(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٤٧) ، وأحمد (٥/ ٢٥٤) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .
(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١١٠) ، والطبراني في « الكبير » (٦/ ١٥٧) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما ، وبلفظه أخرجه القضاعي في « الشهاب » (١٤٣٩) .
(٥) انظر « تفسير القرطبي » (١٦/ ٨٨) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص ٢٥٠) .
(٦) أخرجه الترمذي (٢٠٣٦) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٦٩) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٢٠٧ ، ٣٠٩) عن سيدنا قتادة بن النعمان رضي الله عنه .
(٧) انظر « إحياء علوم الدين » (٩/ ٦٢٦) .

وقال بعض السلف : لو كانت الدنيا لؤلؤة تفنىٰ والآخرة خرقة تبقىٰ . . لكان ينبغي للعاقل أن يُؤْثِر ما يبقىٰ علىٰ ما يفنىٰ ، فكيف والأمر بالعكس ؟!

وقال الفضيل بن عياض رحمة الله تعالىٰ عليه : (**جعل الله الشر كله في بيت ، وجعل مفتاحه حب الدنيا** ، وجعل الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد)[1] .

وهو كما قال سفيان بن عيينة : (**ثلاث أحرف** : زاي ، وهاء ، ودال ؛ **فالزاي** : ترك الزينة ، **والهاء** : ترك الهوىٰ ، **والدال** : ترك الدنيا بجملتها)[2] .

[ما يحمل على الزهد في الدنيا]

ثم إن الحامل على الزهد فيها أشياء :

منها : استحضار أن لذاتها شاغلةٌ للقلوب عن الله تعالىٰ ، ومنقصةٌ للدرجات عنده ؛ كما صح عن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما : (**لا يصيب أحدٌ من الدنيا شيئاً . . إلا نقص من درجاته عند الله**)[3] ولهـٰذا كان بعض العارفين إذا رأىٰ في مطبخه أسباب المعيشة . . حزن ، وإذا قلَّ شيء فيه أو عَدِم . . فرح .

ومنها : أنها موجبةٌ لطول الحبس والوقوف في الموقف العظيم ، والسؤال عن شكر نعيمها ، وأن حلالها حساب ، وحرامها عذاب[4] .

ومنها : كثرة الذل والتعب في تحصيلها ، ومزاحمة الأراذل في طلبها .

ومنها : كثرة غبونها ؛ أي : خداعها ، وسرعة تقلبها وفنائها .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩١) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٢٤٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٢٢٣) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٤٨/ ٤١٣ـ ٤١٤) .

(٢) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٧٠) .

(٣) أخرجه هناد في « الزهد » (٥٥٧) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٧٧١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٠٦) .

(٤) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٠٤) عن محمد بن اليمان قال : كتب إليَّ رجل من إخواني من أهل بغداد : (صف لي الدنيا) فكتبت إليه : (**أما بعد** : فإنه حفها بالشهوات ، وملأها بالآفات ، مزج حلالها بالمؤونات ، وحرامها بالتبعات : **حلالها حساب ، وحرامها عذاب** ، والسلام) .

ومنها : حقارتها عند الله تعالىٰ وبغضه لها[1] .

[الدنيا جيفة وطلابها كلاب]

ومن ثم قال الفضيل بن عياض نفعنا الله به : (لو أن الدنيا بحذافيرها ـ أي : بجملتها ؛ أي : جميعها ـ عُرضت عليَّ حلالاً لا أُحاسب بها . . لتقذَّرتها كما تُتقذَّر الجيفة)[2] .

وحكي : أن سيدنا إبراهيم الخليل علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام كان له أربعة آلاف كلب تحرس غنمه ، في عنق كل كلب طوق من الذهب ، فسُئل : لِمَ فعل ذلك ؟!

فقال : (لأن الدنيا جيفة وطلابها كلاب ، فدفعتها لطلابها)[3] .

ومنها : أن تركها موجب لرفع الدرجات ، وحلول رضوان الله تعالى الأكبر في دار الكرامات .

وذكر العلماء : أنه يحرم الفرح بالدنيا لأجل المباهاة والتفاخر والكبر ، ويحرم الحزن علىٰ فواتها إن أدَّىٰ إلى الاعتراض على الله تعالىٰ أو الوقوع في عِرْض أحد .

وورد مرفوعاً : « من أسف ـ أي : حزن ـ علىٰ دنيا فاتته . . اقترب من النار

---

(١) أخرج مسلم (٢٩٥٧) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بالسوق داخلاً من بعض العالية ، والناس كنفته ، فمرَّ بجديٍ أسكَّ ميتٍ ؛ فتناوله فأخذ بأذنه ، ثم قال : « أيكم يحب أن هٰذا له بدرهم ؟ » فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟ قال : « أتحبون أنه لكم ؟ » قالوا : والله ؛ لو كان حياً . . كان عيباً منه ؛ لأنه أسك ، فكيف وهو ميت ؟! فقال : « فو الله ؛ للدنيا أهون على الله من هٰذا عليكم !! » . ومعنىٰ (كنفته) : جانبه ، (وأسك) : صغير الأذنين .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٨٩) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٤٨/ ٤١٤) .

(٣) انظر « سر العالمين وكشف ما في الدارين » (ص ٣٥) ، و« نزهة المجالس » (١/ ٢١٤ـ ٢١٥) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص ٢٥١) . وما أحسن قول بعض السلف في وصف الدنيا وأهلها : (من الطويل)

وما هي إلا جيفةٌ مستحيلة ... عليها كلاب همهنَّ اجتذابُها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابُها

مسيرة ألف سنة ، **ومن أسف علىٰ آخرة فاتته** . . اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة »[1] .

وقال بعضهم : لما أُخِذَتِ الدنيا من إبليس . . اغتمَّ لها فصار ملعوناً ، ولما أُعطيها قارون . . فرح بها فصار تحت الأرض مسجوناً ، ونبينا صلى الله عليه وسلم لما عُرِضت عليه . . لم يأخذها ، ولما ردها . . لم يغتمَّ لها فصار إلىٰ ما صار[2] .

[قصة سيدنا عيسىٰ مع اليهودي صاحب الرغيف]

وحكي : أن عيسىٰ صلى الله عليه وسلم خرج سائحاً وأخذ معه رغيفاً ، فتبعه يهودي ومعه رغيفان ، فقال له عيسىٰ : (**تشاركني في طعامي ؟**) قال : نعم .

ثم لمَّا رأىٰ معه رغيفاً واحداً . . ندم ، ولما أرادا الأكل . . جاء برغيف ، فقال له عيسىٰ : (**ما فعلت بالآخر ؟**) قال : ما كان معي إلا رغيف واحد ، فأكلا .

ثم سارا ، فوجد عيسىٰ رجلاً أعمىٰ ، فدعا له فردَّ الله عليه بصره ، فقال : (**يا يهودي ؛ بحق الذي أراك الأعمىٰ بصيراً ؛ ما فعلتَ برغيفك ؟**) فقال : ما كان معي إلا واحد .

ثم مرَّ بمُقْعَدٍ ـ أي : مكسح ـ فدعا له ؛ فإذا هو صحيح ، فقال : (**بحق الذي أراك المُقعَد صحيحاً ؛ مَن أكل الرغيف الثالث ؟**) قال : ما كان معي إلا واحد .

ثم وجد نهراً ، فأخذ بيد اليهودي ومرَّ به على الماء ، فقال : (**بحق الذي أمشاك على الماء ؛ مَنْ أكل الرغيف ؟**) فقال : والله ؛ ما كان معي إلا واحد .

ثم مرَّ بظُبيً ترعىٰ ، فدعا عيسىٰ غزالةً فأقبلت ، فذبحها فأكلا منها ، ثم دعا لها بالحياة فقامت ، فقال : (**يا يهودي ؛ بحق الذي أحياها مَنْ أكل الرغيف ؟**) قال : ما كان معي إلا واحد .

---

(١) أخرجه الرازي في « مشيخته » (١٠٧) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٥١) .

ثم دخلا قريةً ، فنزل عيسىٰ في أعلاها ، ونزل اليهودي في أسفلها ، وكان قد سرق عصا عيسىٰ فقال : الآن أحيي الموتىٰ بها ، ونادى : الطبيب الطبيب ، **فأدخلوه على الملك وهو مريض** ، **فضربه بالعصا فقتله** ، فقال : الآن أحييه ، فضربه ثانياً وقال : قم ، فلم يقم ، فأخذوا اليهودي وصلبوه .

فبلغ عيسىٰ خبره ، فأدركه فقال : (**أنا أحيي لكم صاحبكم** ، **واتركوا لي صاحبي**) فدعا للملك بالحياة فأحياه الله تعالىٰ ، فقال لليهودي : (**بحق من أحيا الملك** ؛ **مَنْ أكل الرغيف** ؟) فقال : والله ؛ ما كان معي إلا واحد .

ثم سارا فدخلا قريةً خربة ، فوجدا فيها ثلاث لبنات من ذهب ، فقال عيسىٰ : (**نقسم ذلك علىٰ عدد الرغفان** : واحدة لي ، وواحدة لك ، وواحدة للذي أكل الرغيف الثالث) ، فقال : أنا أكلته وأنت تصلي ، وصار كلما أراد أخذ لبنة . . ثقلت عليه ، فقال له عيسىٰ : (دعه) ، فسار ونفسه تطالبه به .

ثم مرَّ باللبنات ثلاثةُ أنفسٍ ، فذهب أحدهم ليأتي بطعام ، فجعل فيه سماً ؛ ليأخذ اللبنات كلها ، فلما جاء . . قتله الاثنان وأكلا الطعام فماتا .

ثم مر عليهم عيسىٰ واليهودي ، فقال عيسىٰ : (**انظر يا يهودي** ؛ **هٰكذا الدنيا تصنع بأهلها**) ثم دعا لهم فأحياهم الله تعالىٰ وتابوا عن حب الدنيا ، وأما اليهودي . . فقال : أعطني المال ، قال : (**خذه** ؛ **فهو حظك من الدنيا والآخرة**) فخسف الله به وبالذهب[1] .

وورد في الحديث : « **حب الدنيا رأس كل خطيئة** »[2] والله لا يحب الخطايا ولا أهلَها .

ونُقل عن ابن المنكدر رحمه الله تعالىٰ أنه قال : (تجيء الدنيا يوم القيامة تتبختر في زينتها فتقول : يا رب ؛ اجعلني لأخسِّ عبادك داراً ، فيقول الله

---

(١) أخرجها ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/٣٩٦ـ٣٩٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٩) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٠١٩) عن الحسن رحمه الله مرسلاً .

تعالىٰ : لا أرضاكِ له ، اذهبي فكوني هباءً منثوراً)[1] .

وفي رواية : (فيقول لها : اذهبي إلى النار ، فتقول : يا رب ؛ ومن يحبني معي ؟ فيقول لها : ومن يحبك) ، فتأخذهم جميعاً إلى النار .

[محبة الدنيا المذمومة والممدوحة]

واعلم : أن محبتها المذمومة : هي الميل إلىٰ شهواتها المحرمة والمكروهة ؛ وهي وإن كانت محبوبة للإنسان بطبعه . . تصير عند من وفَّقه الله تعالىٰ وبصره بآفاتها كالجيفة ، وأما عند غيره . . فهي مزخرفة مزينة .

ومثَّل هـٰذا الغزالي رحمه الله تعالىٰ بإنسانٍ صنع حلواً من أغلى السكر ، وعجنه بسُمٍّ قاتل ، وأبصر ذلك رجلٌ ولم يبصره آخر ، ووضعه بينهما ، فمن أبصر ذلك . . زهده ، وغيره يغتر بظاهره فيحرص عليه ؛ أي : فيأخذه ويأكل منه فيهلكه[2] .

وأما الميل إلىٰ مباحاتها وتحصيلها لفعل الخير . . فليس مذموماً ؛ فقد ورد : « نعم المال الصالح للرجل الصالح ؛ يصل به رحماً ، ويصنع به معروفاً »[3] .

[هل الأفضل طلب الدنيا لفعل خيرٍ أو تركها ؟]

وقد اختلف العلماء : هل الأفضل طلب الدنيا لفعل الخير أو تركُها ؟

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (١٢٥) عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

(٢) ذكر ذلك المناوي في « فيض القدير » (١/ ٢٥٥) وعزاه للإمام الغزالي رحمهما الله تعالىٰ ، وقد مثل الإمام الغزالي أمثلة عديدة للدنيا في كتاب « الإحياء » (٦/ ٥٦ـ ٧٢) ومما ذكر : أن أعرابياً نزل بقوم ، فقدموا إليه طعاماً ، فأكل ثم قام إلىٰ ظل خيمة ، فنام هناك ، فاختلعوا الخيمة ، فأصابته الشمس ، فانتبه وقام وهو يقول : (من الطويل)

ألا إنما الدنيا كظلٍّ بنيتَهُ ... ولا بد يوماً أن ظلك زائلُ

(٣) أخرج شطره الأول البخاري في « الأدب المفرد » (٢٩٩) ، وأحمد في « مسنده » (٤/ ١٩٧ ، ٢٠٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٢١٠) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٢ ، ٢٣٦) عن سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه .

فرجَّحت طائفةٌ الأول ، وطائفةٌ الثاني ، **وجُمع بينهما** : بحمل الأول علىٰ مَن وَثِقَ بجمعها من الحلال وصرفها في الخير ، والثاني علىٰ مَنْ لم يثق بذلك .

وما ألطف قول عيسىٰ صلى الله عليه وسلم : (يا طالب الدنيا لِتبَرَّ ؛ تركك للدنيا أَبَرّ)[1] .

وانقسم الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم قسمين :

قسماً ـ وهو الأكثر ـ **تَرَكَ تحصيلها** ، واشتغل بالعلم والعبادة .

وقسماً حَصَّلها ، وكان خازناً لله تعالىٰ فيها ؛ كعثمان بن عفان وعبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله تعالىٰ عنهما .

روي : أن عثمان جهَّز غزوة تبوك بألف بعير وسبعين فرساً[2] ، وأتىٰ إلى المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف دينار فصبَّها بين يديه ، فجعل صلى الله عليه وسلم يُقَلِّبها بيده ويقول : « **غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت ، وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة** »[3] .

ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة . . لم يكن بها ماء عذب إلا بئر رومة ، فاشتراها عثمان رضي الله تعالىٰ عنه بعشرين ألف درهم[4] ، وفي رواية : بخمسة وثلاثين ألف درهم ، ووقفها[5] .

وأعتق عبد الرحمـٰن بن عوف ثلاثين ألفاً[6] ، وتصدق علىٰ عهد المصطفىٰ

---

(١) أورده في « إحياء علوم الدين » (٦/٢٧) ؛ **والمعنىٰ** : يا من يطلب الدنيا ليكون باراً ببذلها ، فهو لا يطلبها لذاتها ؛ إن تركك لها أبرُّ من برِّك بها .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٢٦٩٤) عن قتادة رحمه الله تعالىٰ ، وحديث تجهيز جيش العسرة عند البخاري (٢٧٧٨) .

(٣) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (١/٣٤٠) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الدارقطني في « سننه » (٤/١٩٦) ، وهو عند البخاري (٢٧٧٨) دون ذكر الثمن .

(٥) عزاه الحافظ في « التلخيص الحبير » (٤/١٩٧٦) إلى الحازمي .

(٦) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣/٣٠٨) عن جعفر بن برقان قال : بلغني . . . وذكره .

صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف دينار ، ثم بمثلها ، ثم بخمس مئة فرس ، ثم بألف وخمس مئة راحلة[1] .

وكان أهل المدينة عيالاً عليه : ثلث يُقرضهم ، وثلث يَقضي ديونهم ، وثلث يصلهم خيرُه[2] .

وأوصىٰ لأمهات المؤمنين بحديقة ؛ أي : بستان ، فبيعت بأربع مئة ألف[3] ، وأوصىٰ بخمسين ألف دينار[4] ، وألف فرس في سبيل الله تعالىٰ[5] .

[علامة حب الناس الزهد بما في أيدي الناس]

(**وازهد فيما عند الناس**) أي : أعرض عما في أيديهم من الدنيا (**يحبك الناس**) أي : لأنهم منهمكون علىٰ محبتها بالطبع ، فمن زاحمهم عليها . . أبغضوه ، ومن زهد فيها وتركها لهم . . أحبوه .

وقال الحسن : (لا يزال الرجل كريماً على الناس حتىٰ يطمع في دنياهم ، فإذا فعل ذلك . . استخفُّوا به ، وكرهوا حديثه وأبغضوه)[6] .

وقال بعضهم : [من السريع]

النـاسُ إخـوانُـك مـا لـم تَكُـنْ ... تَطْمَـعُ فيمـا عِنْـدَهـم مِـنْ حُطَـامْ
فـإِنْ تَعَـرَّضْـتَ لأمـوالِهِـمْ ... كُنْـتَ عَـدوّاً لَهُـم والسَّـلاَمْ

وقال أعرابي لأهل البصرة : (**من سيدكم** ؟ قالوا : الحسن . قال : **بم**

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١/١٢٩) ، لكن فيه : (أنه تصدق بشطر ماله علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألفاً ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار . . .) والباقي مثله .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٥/٢٩٤) عن طلحة بن عبد الله بن عوف رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣/٣١١ ـ ٣١٢) عن أبي سلمة بن عبد الرحمـٰن رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٥/٢٩٩) عن عروة بن الزبير رحمه الله تعالىٰ .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٥/٣٠٠) عن الزهري رحمه الله تعالىٰ .

(٦) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣/٢٠) .

سادكم ؟ قالوا : احتاج الناس إلىٰ علمه ، واستغنىٰ هو عن دنياهم . فقال : **ما أحسن هٰذا !!)**[1] .

وسأل كعب الأحبار عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنهم : (**ما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعدما حفظوه وعقلوه ؟**

فقال : يُذهبه الطمع ، وشَرَهُ النفس ، وطلب الحاجات إلى الناس ، فقال : صدقت)[2] .

وقال أبو الحسن الشاذلي نفعنا الله تعالىٰ به : (دخل عليَّ بالمغرب بعضُ الكبراء فقال : **ما أرىٰ لك كبير عمل !! فبِمَ فُقْتَ الناس وعظَّموك ؟!**

فقلت : **بخصلة واحدة** : تمسّكت بالإعراض عنهم وعن دنياهم)[3] .

وقال بعضهم : [من الوافر]

تَـوَرَّعْ عَـنْ سُـؤالِ الخَلْـقِ طُـرّاً ... وَسَـلْ رَبّـاً كَـريمـاً ذا هِبـاتِ[4]

وَدَعْ زَهَـراتِ دُنْيـاكَ اللـواتـي ... تَـراهـا لا مَحـالَـةَ ذَاهِبـاتِ

وقال آخر[5] : [من الوافر]

أَرَى الـزُّهّـادَ فـي رَوحٍ وراحَـةْ ... قُلُـوبُهُـمْ عَـنِ الـدُّنْيـا مُـزاحَـةْ

إذا أَبْصَـرتَهُـمْ أَبْصَـرتَ قَـوْمـاً ... مُلـوكَ الأرضِ سِيمتُهـم سَمـاحَـةْ

ثم إن هٰذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ، وهو (**حديث حسن** ، **رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة**) .

وابن ماجه اسمه : محمد بن يزيد القزويني ، **وماجه** ـ بفتح الميم والجيم وبينهما

---

(١) انظر « جامع العلوم والحكم » (٢/ ٢٠٦) ، و« فيض القدير » (١/ ٤٨١) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « القناعة والتعفف » (١٨٦) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/ ١٧١) عن أبي معن رحمه الله .

(٣) ذكره في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٥١) .

(٤) قوله : (**طراً**) أي : جميعاً ، وقوله : (**ذا هبات**) أي : صاحب عطايا . **اهـ مؤلف** .

(٥) ذكرهما في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٥١) .

ألف وفي آخره هاء ساكنة وقفاً ووصلاً ؛ لأنه اسم أعجمي - : لقب لأبيه ، وقيل : اسم لأمه .

وكان من أكابر الحفاظ ، ولد سنة تسع ومئتين ، ومات سنة ثلاث وتسعين ومئتين ، رحمة الله تعالىٰ عليه[1] .

* * *

(١) انظر « تهذيب الكمال » (٢٧/ ٤٠) ، « سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٢٧٧) .

الحديث الثّاني والثّلاثون

[لا ضرر ولا ضرار]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ **سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ ٱلْخُدْرِيِّ** رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لاَ ضَرَرَ ، وَلاَ ضِرَارَ » **حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ٱبْنُ مَاجَهْ وَٱلدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَداً** .

وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي « ٱلْمُوَطَّأِ » عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَىٰ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلاً ، فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ ، **وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضاً**[(١)] .

[من ترجمة سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه]

(**عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري**) بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة : نسبة إلىٰ جده خُدرة بن عوف ، وقيل : نسبة إلىٰ قبيلة من الأنصار اسمها خُدرة .

(**رضي الله**) تعالىٰ (**عنه**) وفي نسخة صحيحة : (عنهما) وهي أولىٰ ؛ لأن أباه مالكاً كان صحابياً من شهداء أحد ، وهو الذي استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامتص دمه حين جُرح وجهه الشريف ، فقال صلى الله عليه وسلم حين

---

(١) سنن ابن ماجه (٢٣٤٠ ، ٢٣٤١) عن سيدنا عبادة بن الصامت وسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، وسنن الدارقطني (٣/ ٧٧) و(٤/ ٢٢٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، والموطأ (٢/ ٧٤٥) مرسلاً .

مصَّه وازدرده ـ أي : بلعه ـ : « **مَنْ سرَّه أن ينظر إلىٰ من لا تمسه النار . . فلينظر إلىٰ مالك بن سنان** »[1] .

وكان ولده سعدٌ صغيراً يوم أُحد فرُدَّ ، فخرج فيمن يتلقَّىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من أُحد ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « **سعد بن مالك ؟** » فقال : نعم ؛ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فدنا منه وقبَّل ركبته ، فقال له : « **آجرك الله في أبيك** »[2] لأنه قُتل شهيداً كما مرَّ .

وغزا سعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة غزوة أولها الخندق ، **وكان من الرماة المشهورين** ، **وهو معدودٌ من أهل الصُّفَّة** ، وكان من فضلاء الصحابة وعلمائهم .

[تصديق أبي سعيد الخدري ويقينه]

وروي عنه أنه قال : (أصبحت وليس عندنا طعام وقد ربطت حجراً من الجوع ، فقالت امرأتي : ائت النبي صلى الله عليه وسلم فاسأله ؛ فقد أتاه فلان فأعطاه ، وفلان فأعطاه ، فقلت : لا ، حتىٰ لا أجد شيئاً ، فطلبت فلم أجد شيئاً ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ، فأدركت من قوله : « **من يستغن** » أي :

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٩٠٩٤) ؛ **ولفظه** : « خالط دمي بدمه لا تمسه النار » ، وأخرجه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٠٩٧) ، والبغوي في « معجم الصحابة » (٥/ ٢٤٢) ، والطبراني في « الكبير » (٦/ ٣٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٥٦٣ ـ ٥٦٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ : « مَنْ سرَّه أن ينظر إلىٰ من خالط دمي دمه . . فلينظر إلىٰ مالك بن سنان » ، ونحوه .

(٢) ذكره الواقدي في « المغازي » (١/ ٢٤٨) ، وأخرجه من طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٢٠/ ٣٨٥) ؛ **وفيه** : (فلما كان من النهار ، وبلغنا مصابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرق الناس عنه . . جئت مع غلمان من بني خُدرة ، نعترض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وننظر إلىٰ سلامته ، فنرجع بذلك إلىٰ أهلينا ، فلقينا الناسَ منصرفين ببطن قناة ، فلم يكن لنا همة إلا النبي صلى الله عليه وسلم ننظر إليه ، فلما نظر إليَّ . . قال : « سعد بن مالك ؟ » قلت : **نعم ؛ بأبي وأمي** ، **فدنوت منه** ، **فقبلت ركبته وهو علىٰ فرسه . . .**) .

يُظهر الغنىٰ « **يُغنه الله** » أي : يرزقه الغنىٰ عن الناس « **ومن يستعفف** » أي : يكف عن الحرام والسؤال « **يعفّه الله** » بتشديد الفاء ؛ أي : يرزقه الله العفة ؛ بأن يعطيه ما يستغني به عن السؤال ، قال : فما سألت أحداً بعده ، وما زال الله يرزقنا حتىٰ ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالاً منا)[1] .

مات بالمدينة سنة أربع وسبعين وله أربع وتسعون سنة ، ودفن بالبقيع[2] .

[الاختلاف في معنىٰ (لا ضرر ولا ضرار)]

ومروياته ألف ومئة وسبعون حديثاً ، منها ما ذكره المصنف عنه ؛ وهو : (**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ**) بفتح الضاد المعجمة في الأول وكسرها في الثاني ، وكل منهما مبني علىٰ فتح آخره كما هو الرواية ، وخبر (لا) محذوف ؛ أي : في ديننا أو في شريعتنا .

ومعنىٰ (لا ضرر) : لا يضر أحد غيره ، **ومعنىٰ (لا ضرار)** : لا يجازيه علىٰ إضراره ، بل يعفو عنه ويصفح ؛ فإن العفو أقرب للتقوىٰ .

وقيل : **معناه** : لا يجازي من يضره بزيادة عن مثل فعله ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ .

وقيل : **الضرر** : ما يضر به الإنسان غيره وينتفع هو به ، **والضرار** : أن يضره من غير أن ينتفع ، وقيل بالعكس .

وقيل : **الأول** : نهي للشخص عن تعاطي ما يضر نفسه ، **والثاني** : نهي له عن فعل ما يضر غيره .

وقيل : **الأول** : عبارة عن منع ما ينفع الغير ، **والثاني** : عبارة عن فعل ما يضر به .

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/ ٤٤) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٣٩٨) .
(٢) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٢٨٦) ، و« أسد الغابة » (٢/ ٣٦٥) ، و« الإصابة » (٢/ ٣٢) .

وظاهر هـٰذا الحديث : تحريم سائر أنواع الضرر ما قلَّ منها وما كثر ؛ لأن النكرة في سياق النفي تعم[1] ، فاحذر يا أخي أن تؤذي أحداً ، أو تضره في نفسه أو أهله ، أو ماله أو عرضه ؛ فإن ذلك ظلم ، وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « حرَّم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه ، وألا يُظَنَّ به إلا خيراً »[3] .

وذكر العلماء جملةً من أنواع الظلم والضرر ، فيجب اجتنابها ؛ منها : المكس ، وأكل مال اليتيم ، والمماطلة في دفع الحق الذي عليه مع القدرة علىٰ وفائه ، وظلم المرأة في صَدَاقٍ أو نفقةٍ أو كسوة ، وعدم إيفاء الأجير حقَّه ، وإيذاء المؤمنين بالنهب أو الضرب أو السب ونحو ذلك .

[جزاء من آذى المؤمنين]

وروي عن مجاهد أنه قال : (**إن لجهنم ساحلاً كساحل البحر** ، فيه هوام وحيات كالبخت ـ أي : الإبل ـ وعقارب كالبغال ، **فإذا استغاث أهل النار.. قالوا : الساحل** .

فإذا ألقوا فيه.. سلطت عليهم تلك الهوام ، فتأخذ أشفار أعينهم وشفاههم

---

(١) **وبكل حالٍ** : فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما نفى الضرر والضرار بغير حق ، **فأما إدخال الضرر علىٰ أحدٍ بحق** ؛ إما لكونه تعدىٰ حدود الله فيعاقب بقدر جريمته ، أو كونه ظلم غيره فيطلب المظلوم مقابلته بالعدل.. **فهـٰذا غير مرادٍ قطعاً** ، **وإنما المراد** : إلحاق الضرر بغير حق . انظر « جامع العلوم والحكم » (٢/ ٢١٢) وما بعدها .

(٢) وكل ما جاء في تحريم الظلم من الآيات والأحاديث دليلٌ علىٰ تحريم الضرر ؛ لأنه نوعٌ من الظلم ، **فعُلم أن معنى الحديث** : نفي سائر أنواع الضرر والمفاسد شرعاً إلا ما خصَّه الدليل ، وأن المصالح تراعىٰ إثباتاً ، والمفاسد تراعىٰ نفياً ؛ **لأن الضرر هو المفسدة** ، فإذا نفاها الشرع.. لزم إثبات النفع الذي هو المصلحة ؛ لأنهما نقيضان لا واسطة بينهما . انظر « الفتح المبين » (ص٥١٧) .

(٣) أخرجه بنحوه ابن ماجه (٣٩٣٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وما شاء الله منهم ، تكشطها كشطاً ، **فيقولون : النار النار** .

فإذا ألقوا فيها . . سلط عليهم الجرب ، فيحك أحدهم جسده حتىٰ يبدو ـ أي : يظهر ـ عظمه ، وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعاً .

قال : يقال : **يا فلان ؛ هل تجد هـٰذا يؤذيك ؟** فيقول : **وأي أذىً أشد من هـٰذا ؟!** قال : يقال : **هـٰذا بما كنت تؤذي المؤمنين**)[1] .

[رد المظالم إلىٰ أهلها]

وعن ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه قال : (يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة ، فينادىٰ به علىٰ رؤوس الخلائق : **هـٰذا فلان ابن فلان ، من كان له عليه حق . . فليأت إلىٰ حقه** .

قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق علىٰ أبيها أو أخيها أو زوجها ، ثم قرأ : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ .

قال : **فيغفر الله تعالىٰ من حقه يومئذٍ ما شاء ، ولا يغفر من حقوق الخلق شيئاً** ، فيُنصَب العبد ـ أي : يقام ويرفع ـ للناس ، ثم يقول الله تعالىٰ لأصحاب الحقوق : **ائتوا إلىٰ حقوقكم** .

قال : فيقول العبد : يا رب ؛ فنيت الدنيا فمن أين أوفيهم حقوقهم ؟!

فيقول الله لملائكته : **خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حقٍّ حقَّه بقدر مظلمته** ؛ فإن كان ولياً لله وفضل له مثقال ذرة . . ضاعفه الله له حتىٰ يدخله الجنة به ، وإن كان عبداً شقياً ولم يفضل له شيء . . فتقول الملائكة : ربنا ؛ فنيت حسناته وبقي طالبوه ، فيقول الله تعالىٰ : **خذوا من سيئاتهم فأضيفوا إلىٰ سيئاته ، ثم صكوا له صكاً** ـ أي : اكتبوا له كتاباً ـ **إلى النار**)[2] ، نسأل الله تعالى السلامة منها بجاه النبي المختار .

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد في « زوائد الزهد » (٣٣٠) عن مجاهد عن يزيد بن شجرة رحمهما الله .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٤١٦) ، وابن جرير في « تفسيره » (٤/ ٥/ ١٢١) .

ثم إن هـٰذا الحديث حديث عظيم ، عليه مدار الإسلام ؛ وهو (**حديث حسن ، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما**) كالحاكم في « مستدركه » والبيهقي في « شعبه »[1] ، **وظاهره** : أن الكل رووه من حديث أبي سعيد ، وليس كذلك ، بل ابن ماجه رواه من حديث ابن عباس وعبادة بن الصامت .

وقوله : (**مسنداً**) هو ما اتصل سنده من راويه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

(**ورواه**) الإمام (**مالك في**) كتابه (« **الموطأ** ») بضم ففتح فتشديد مهملة فهمزة أو ألف ، قيل : إنه ألفه في أربعين سنة ، ولما تم. . اتهم نفسه بالإخلاص فيه ، فألقاه في الماء وقال : إن ابتل. . فلا حاجة لي به ، فلم يبتل منه شيء .

وقال : (**عرضت كتابي هـٰذا** ـ يعني الموطأ ـ **علىٰ سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة ، فكلهم واطؤوني** ـ أي : وافقوني ـ **عليه** ؛ **فسميته** « **الموطأ** »)[2] .

ورأىٰ بعضهم المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له : (يا رسول الله ؛ حدثني بعلم أُحدث به عنك ، فقال صلى الله عليه وسلم : إني قد أوصيت إلىٰ مالك بن أنس بكنز يفرقه عليكم ، ألا وهو « الموطأ »)[3] .

(**عن عمرو بن يحيىٰ ، عن أبيه**) أي : يحيى بن عمار التابعي (**عن النبي صلى الله عليه وسلم**) وقوله : (**مرسلاً**) هو عند المحدثين : ما حذف من سنده الصحابي ؛ ولذلك قال المصنف : (**فأسقط**) أي : حذف مالك أو يحيىٰ من السند (**أبا سعيد**) الخدري رضي الله تعالىٰ عنه ، وفي نسخ ذكر قوله : (مرسلاً) عقب قوله : (في « الموطأ ») .

(**وله**) أي : لهـٰذا الحديث (**طرق**) أي : أسانيد ضعيفة (**يقوِّي بعضها بعضاً**) وفي نسخة : (يَقْوَىٰ بعضُها ببعض) وفي أخرىٰ : (يتقوَّىٰ بعضُها ببعض) .

---

(١) المستدرك (٢/ ٥٧ـ ٥٨) ، وهو عند البيهقي في « الكبرىٰ » (٦/ ٦٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) أورده السيوطي في « تنوير الحوالك » (ص ٧) .

(٣) الرائي هو محمد بن السري ؛ كما ذكر ذلك محقق « الموطأ » برواية محمد بن الحسن .

[من ترجمة الإمام مالك رحمه الله]

واعلم : أن مالكاً راوي هـٰذا الحديث هو أحد الأئمة الأربعة المجتهدين المتبوعين الآن ، حملت به أمه ثلاث سنين[1] ، وولدته سنة ثلاث وتسعين ، وكان من أتباع التابعين ، وعليه حُمِل حديث : « **يوشك أن يضرب الناس آباط المطي في طلب العلم ؛ فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة** »[2] .

وقال فيه الشافعي : (**مالك أستاذي ، وعنه أخذت العلم** ، وما أحد أمنَّ عليَّ من مالك ، وجعلت مالكاً [حجة] بيني وبين الله تعالىٰ .

وإذا ذكر العلماء . . فمالك النجم الثاقب ـ أي : المضيء ـ ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم بحفظه وإتقانه وصيانته)[3] .

وقال فيه أبو حنيفة : (ما رأيت أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك بن أنس)[4] .

وقال أيضاً : (والله ؛ ما رأيت أسرع بجواب صادق وزهد تام من مالك بن أنس)

[لا يفتىٰ ومالك في المدينة]

وحكي : أن امرأة غسلت ميتةً فالتصقت يدها بفرج الميتة ، فتحيَّر الناسُ كيف يصنعون ؟! هل يقطعون يد الغاسلة ، أو فرج الميتة ؟ ثم سئل مالك عن ذلك فقال : **سلوها ما قالت لمَّا وضعت يدها علىٰ فرجها** ؟ فسألوها ، فقالت : قلت : طالما عصىٰ هـٰذا الفرج ربه .

---

(١) انظر « تهذيب الكمال » (١١٩/٢٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٣١٩/١١) .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٠) ، وأحمد في « مسنده » (٢٩٩/٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٧٣٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) ذكره صاحب « الديباج المذهب » (١٥/١) .

(٤) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (٣١٨/٦) عن عبد الرحمـٰن بن مهدي قال : (ما بقي علىٰ وجه الأرض أحد آمن علىٰ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك بن أنس) .

فقال مالك : هٰذا قذفٌ ، اجلدوها ثمانين جلدة . . تخلص يدها ، ففعلوا فخلصت ؛ ولذا نودي : **لا يفتىٰ ومالك بالمدينة**[1] .

ومناقبه رضي الله تعالىٰ عنه كثيرة ، وقد أجمع العلماء علىٰ أمانته وجلالته ، وعظم سيادته وتبجيله وتوقيره ، والإذعان له في الحفظ والتثبت وتعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حكي : أنه كان إذا أراد أن يحدِّث . . توضأ ، وجلس علىٰ صدر فراشه ، وسرَّح لحيته ، واستعمل الطِّيب ، وتمكَّن من الجلوس علىٰ وقار وهيبة ، فقيل له في ذلك فقال : (**أحبُّ أن أُعظِّم حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم**)[2] .

وقيل : إنه كان يحدِّث فلدغته عقرب في ستة عشر موضعاً ، فتغيَّر لونه واصفرّ ولم يقطعْ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما فرغ . . أخبر : **أنه صبر إجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم**[3] .

مات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومئة ، ودفن في البقيع ، وبُني عليه قبة ، وبجانبه قبر نافع مولى ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين .

ونقل عن الشافعي أنه قال : (قالت لي عمتي ونحن بمكة : رأيت الليلة قائلاً يقول : **مات أعلم أهل الأرض** ، فَحَسَبْنَا فرأينا ذلك ليلةَ موت مالك ، رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به)[4] .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٥٤) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٦/٣١٨) عن ابن أبي أويس رحمه الله .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٦/٣١٣) عن عبد الله بن المبارك رحمه الله .

(٤) انظر « تهذيب الكمال » (٢٧/٩١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/٤٨) .



الحديث الثالث والثلاثون

[من أُسُسِ القضاءِ في الإسلام]

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَوْ يُعْطَى ٱلنَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ . . لَادَّعَىٰ رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ ، لَـٰكِنِ ٱلْبَيِّنَةُ عَلَى ٱلْمُدَّعِي ، وَٱلْيَمِينُ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ » **حَدِيثٌ حَسَنٌ** ، **رَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ هَـٰكَذَا**[1] ، **وَبَعْضُهُ فِي « ٱلصَّحِيحَيْنِ »**[2] .

(**عن ابن عباس رضي الله عنهما**) وتقدَّم الكلام عليه[3] : (**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو يُعطى الناس**) أي : ما يدعونه (**بدعواهم**) أي : المجرَّدة عن الإثبات ؛ يعني : لو أنَّ كلَّ مَنِ ادَّعىٰ علىٰ غيره بشيءٍ عند الحاكم يعطىٰ له بمجرد دعواه بلا شهود ولا إثبات . . (**لادَّعىٰ رجالٌ أموال قوم ودماءهم**) يعني : لأخذوا أموالهم وسفكوا دماءهم ، فعبَّر بـ(ادعىٰ) بدل (أخذ) و(سفك) لأنَّ الدعوىٰ سبب للأخذ والسفك .

[البينة على المدعي واليمين علىٰ من أنكر]

(**لـٰكن البينة على المدعي**) بتخفيف (لـٰكن) كما هو الرواية ، والكلام جارٍ علىٰ معنى النفي ؛ لأنَّ (لو) تفيد النفي ؛ أي : لا يعطى الناس بدعواهم المجردة ، لـٰكن بالبينة يعطون ، وهي على المدعي ، فإن لم يكن معه بينة . . فلا يصدّق ولا يحكم له في دعواه ، بل يكون القول قول المُدَّعىٰ عليه بيمينه ؛ كما أشار

---

(١) سنن البيهقي الكبرىٰ (١٠/٢٥٢) .

(٢) صحيح البخاري (٤٥٥٢) ، صحيح مسلم (١٧١١) .

(٣) انظر ما تقدم (ص ٢٩٣) في الحديث التاسع عشر .

إلىٰ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (**واليمين علىٰ من أنكر**) فيُحلِّفه القاضي ؛ فإن امتنع عن اليمين . . رُدَّت على المدعي ، فيحلف إن اختار ذلك ، ويستحق ما ادَّعاه بيمينه .

[النهي عن اليمين الكاذبة وشهادة الزور]

ويجب الاحتراز عن اليمين الكاذبة وشهادة الزور ؛ فقد جاء في الوعيد عليهما أحاديث كثيرة :

منها : قوله صلى الله عليه وسلم : « من اقتطع حقَّ امرىء مسلم بيمينه . . فقد أوجب الله له النار ، وحرَّم عليه الجنة » قيل : يا رسول الله ؛ وإن كان شيئاً يسيراً ؟ قال : « وإن كان قضيباً ـ أي : عوداً ـ من أراك »[1] .

ومنها : ما ورد : « لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتىٰ تجب له النار »[2] .

وفي « الصحيحين » : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » ثلاثاً ، قلنا : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ألا وقول الزور وشهادة الزور » فما زال يُردِّدها حتىٰ قلنا : ليته سكت[3] . يعني : شفقةً عليه ؛ لئلا يتعب من التكرار .

ويجب الاحتراز أيضاً من دفع الرشوة وأخذها ؛ فقد ورد في الحديث : « لعن الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما »[4] .

والرشوة : هي ما يُبذل لقاضي السوء ليحكم بغير الحق ، أو ليمتنع من الحكم بالحق .

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٧) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٢) قوله : (**تجب له النار**) أي : يستحق دخولها . **اهـ مؤلف** . والحديث أخرجه ابن ماجه (٢٣٧٣) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٥٧/ ٦٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وفيه ابن الفرات .

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٥٤) وأطرافه ، ومسلم (٨٧) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/ ٢٧٩) وغيره عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه .

[قصة القضاة الثلاثة من بني إسرائيل]

وقد حكي : **أن القضاة في زمن بني إسرائيل كانوا ثلاثة** ، فأرسل الله لهم مَلَكاً يمتحنهم ، فوجد رجلاً علىٰ ماءٍ يسقي بقرةً وخلفها عجلة ، فدعاها المَلَك وهو راكب فرساً ، فتبعتها العجلة فتخاصما ، فقالا : بيننا القاضي .

فجاءا إلى القاضي الأول ، فدفع إليه المَلَك دُرَّة ـ أي : جوهرة ـ وقال له : احكم بأنَّ العجلة لي ، قال : بماذا أحكم ؟ قال : أرسل الفرس والبقرة والعجلة ؛ فإن تبعت الفرس . . فهي لي ، فتبعتها ، فحكم بها له .

وأتيا إلى القاضي الثاني فحكم كذلك وأخذ دُرَّة .

وأما القاضي الثالث . . فدفع له الملك دُرَّةً وقال له : احكم بيننا . فقال : **إني حائض** .

فقال المَلَك : **سبحان الله !! أيحيض الذكر ؟!** فقال له القاضي : **سبحان الله !! أتلد الفرس بقرةً** ، وحكم بها لصاحبها[1] .

[أنواع الحكم فيمن سبقنا من الأمم]

وقيل : **إن الحكم في زمن سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان بالنار** ؛ فكان المحقّ يدخل يده فيها فلا تحرقه ، والمبطل إذا أدخل يده فيها . . أحرقته .

وكان الحكم في زمن سيدنا موسىٰ صلى الله عليه وسلم بالعصا ؛ فكانت تسكن للحقّ وتضطرب للباطل .

وكان الحكم في زمن سيدنا سليمان عليه السلام بالريح ؛ فكانت تسكن للحق ، وترفع المبطل ثم تسقطه على الأرض .

وكان الحكم في زمن ذي القرنين بالماء ؛ فكان إذا جلس عليه المحقّ . . جمد ، وإذا جلس عليه المبطل . . ذاب .

---

(١) أخرجها أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٣١ـ ٣٣٢) عن عكرمة رحمه الله .

[قصة السلسلة في عهد سيدنا داوود]

وكان الحكم في زمن داوود صلى الله عليه وسلم بسلسلة مدلاة من السماء عند الصخرة التي في بيت المقدس ، فكانوا يأتون إليها : فمن كان محقّاً . . تناولها بيده ، وإلا . . فلا يتناولها .

فاتفق أن أودع رجلٌ جوهرةً ثمينة عند رجلٍ ، وغاب عنه مدة طويلة ، ثم جاء يطلبها فأنكرها ، فقال له : **امض معي إلى السلسلة نتحاكم عندها** .

فعمد الذي هي عنده إلىٰ عصا فنقرها ، ووضع الجوهرة فيها ، وسدَّ عليها سدّاً خفياً ، وجاء يتوكَّأ عليها ، فلما حضر عند السلسلة . . قال لصاحب الجوهرة : **خذ عصاي معك حتىٰ أتناول السلسلة** ، فأخذها منه ، فتقدَّم الرجل إلى السلسلة وقال : اللهم ؛ إن كنت تعلم أن الوديعة التي كانت عندي قد دفعتها لصاحبها . . فقرِّب مني السلسلة ، ومدَّ يده فتناولها .

فتعجَّب صاحبها من ذلك ، وقال الناس : **قد سوَّتِ السلسلة بين الظالم والمظلوم** .

ولما رجعا من عند داوود عليه السلام . . أخذ الرجل العصا من صاحب الجوهرة ، فلما أصبح داوود عليه الصلاة والسلام . . رأى السلسلة قد رفعت ، وصار الحكم من حينئذٍ **بالبينة على المدّعي واليمين علىٰ من أنكر**[1] .

تتمة

[في الكلام على الشهادة]

حكي : أن رجلاً دخل مكاناً خرباً فوجد فيه قتيلاً ، فلما رآه الناس مع القتيل . . أخذوه وقالوا : إنه قد قتله ، فأحضروه للقتل .

فقال : **اصبروا عليَّ حتىٰ أصلي ركعتين** ، فلما فرغ من صلاته . . قال : **إلـٰهي** ؛

(١) أورده الزمخشري في « ربيع الأبرار » (٢/ ٢٠٤) ، والأبشيهي في « المستطرف » (٢/ ٤١٧) .

أنت نهيتنا عن كتمان الشهادة ، وما لي شاهد غيرك ، فانظر إلىٰ ضعفي وعجزي .

فخرج من بين القوم رجلٌ فقال : خلُّوا سبيله ؛ فأنا القاتل .

فقالوا له : ما الذي حملك على الإقرار بالقتل ؟!

فقال : نوديت في سرّي : يا هـٰذا ؛ إنه قد طلب منَّا الشهادة ، فإن أقررت وإلا . . كشفنا عن حالك ، فما أمكنني إلا الإقرار بالقتل ، فقال ولد المقتول : قد عفوت عن القاتل .

وحكمة كون البينة على المدّعي واليمين علىٰ من أنكر : أنّ جانب المدعي ضعيف لدعواه خلاف الأصل ، فطلب منه الحجة القوية وهي البينة ، وجانب المنكر قوي لموافقته للأصل وهو براءة الذمة ، فاكتفي منه بالحجة الضعيفة وهي اليمين ، فجعلت القوية في جانب الضعيف ، والضعيفة في جانب القوي ؛ ليتعادلا .

ثم إنَّ هـٰذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين ، وقيل فيه : (إنه فصل الخطاب الذي أعطيه سيدنا داوود علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام)[1] .

وهو (حديث حسن ، رواه البيهقي وغيره هـٰكذا) أي : بهـٰذا اللفظ المذكور ، والبيهقي اسمه : أحمد بن الحسين ، بلغت تصانيفه نحو الألف ، واعتنىٰ بجمع نصوص الشافعي وتخريج أحاديثها ؛ حتىٰ قال فيه إمام الحرمين : (ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منَّة إلا البيهقي ؛ فإن له على الشافعي المنة)[2] .

وتقدّم في الخطبة : أنه ولد ببيهق سنة أربع وثمانين وثلاث مئة ، ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربع مئة ، ونُقِل إلىٰ بيهق فدفن بها ، وهي قرية علىٰ عشرين فرسخاً من نيسابور[3] .

(وبعضه) أي : بعض هـٰذا الحديث مذكور (في « الصحيحين ») أي :

---

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٢/ ١٧٠ ـ ١٧١) عن شريح وقتادة رحمهما الله تعالىٰ .
(٢) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٦٦) .
(٣) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١٦٣) .

صحيحي « البخاري » و« مسلم » ؛ **ولفظهما** : عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما : « لو يُعطى الناس بدعواهم . . لادَّعىٰ ناسٌ دماء رجال وأموالهم ، ولٰكن اليمين على المدَّعىٰ عليه »[1] .

❋ ❋ ❋

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٧٦) أول الحديث .



الحديث الرّابع والثّلاثون

[تغييرُ المنكرِ ومراتبه]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً . . فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ . . فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ . . فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ ٱلإِيمَانِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

(عن أبي سعيد الخدري) وتقدّم الكلام عليه[2] (رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأىٰ) أي : علم (منكم منكراً) أي : شيئاً ينكره الشارع ويقبِّحه . . (فليغيره) أي : يزيله (بيده) وجوباً عينياً إن انفرد بالعلم ، وكفائياً إن شاركه غيره ، وليس له التجسس والبحث واقتحام الدُّور ـ أي : دخولها ـ بالظنون ؛ فإن أخبره ثقة بمن اختفىٰ بمنكر فيه انتهاك حرمة يفوت تداركه كالزنا والقتل . . اقتحم له الدار وجوباً ، وإن لم يكن فيه انتهاك حرمة . . فلا تجسس ولا اقتحام[3] .

[حكمة سيدنا عمر في تغيير المنكر]

وحكي : أن سيدنا عمر رضي الله تعالىٰ عنه كان يعسُّ بالمدينة ـ أي : يطوف بالليل ـ يحرس الناس ، ويكشف أهل الريبة ـ أي : أهل السوء ـ فسمع صوتَ رجلٍ

---

(١) صحيح مسلم (٤٩) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ٤٦٨) في الحديث الثاني والثلاثون .

(٣) قوله : (انتهاك حرمة) قال في « المختار » : انتهاك الحرمة : تناولها بما لا يحل . اهـ مؤلف .

في بيتٍ يتقيّاً ، فتسوَّر عليه ، فوجده وعنده امرأة وخمر ، فقال له : (**يا عدو الله ؛ أظننتَ أن الله يسترك وأنت علىٰ معصيته ؟!**) .

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لا تعجل ، فإن كنت عصيتُ الله في واحدة . . فقد عصيتَه أنت في ثلاث .

قال : (**وما هن ؟**) قال : **تجسست** ؛ وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ ، **وأتيت البيوت من ظهورها** ، وقد أمرنا الله بإتيانها من أبوابها ، **ودخلت غير بيتك من غير أن تستأذن وتسلم** ؛ وقد أمرنا الله بذلك .

فقال له سيدنا عمر : (**صدقت ، واستغفرْ لنا**) ، فقال : غفر الله لنا ولك يا أمير المؤمنين .

فقال له سيدنا عمر : (**هل عندك من خير إن عفوت عنك ؟**) قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ؛ لئن عفوت عني . . لا أعود لمثلها أبداً ، فعفا عنه ، وخرج وتركه[1] .

ونقل عن الغزالي أنه قال : (لا يجوز استراق السمع علىٰ دار[2] ؛ ليسمع صوت الأوتار ، ولا الدخول فيها لرؤية المعصية ، إلا أن تظهر ظهوراً يعرفه من هو خارج [الدار] كصوت آلة اللهو والسّكارىٰ)[3] .

هٰذا ؛ وإنما يجب إزالة المنكر باليد إذا لم يخف علىٰ نفسه ضرراً ، وإلا . . فلا يجب ، بل يسنُّ ، ولا ينافيه قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ لأنَّه مخصوصٌ بغير ما فيه إزالة المنكر .

[من خاف الله خافته الأسود]

ولذا كان السَّلف الصَّالح يتعرَّضون لإزالته ، ولا يبالون بالأخطار ؛ كما حكي :

---

(١) أخرجه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٤٢٤) .

(٢) قوله (**استراق السمع**) : قال في « المختار » : **استرق السمع** ؛ أي : سمع مستخفياً . **اهـ مؤلف** .

(٣) إحياء علوم الدين (٤/٥٩٨) .

أنَّ زاهداً كسر ملاهي مروان بن الحكم ، فأمر أن يُلقىٰ بين يدي الأُسود ، فأدخلوه في موضعها ، فافتتح الصلاة ، فجاءه جميع ما في ذلك المكان من الأُسود ، وصارت تلحسه بألسنتها وهو يصلي ولا يبالي بها ، فلما أصبح مروان . . قال : ما فعل بزاهدنا ؟ انظروا هل أكلته الأُسود ؟ فوجدوها قد استأنست به ، فتعجّبوا من ذلك وأخرجوه[1] .

[نهي أبي عتاب الوالي عن المنكر]

وحكي عن أبي عتاب : أنه كان يسكن مقابر بخارىٰ ، فدخل يوماً المدينة ؛ ليزور أخاً له في الله تعالىٰ ، فوجد غلمان أميرها نصر بن أحمد خارجين من داره بالملاهي ، فرفع رأسه إلى السماء ، واستعان بالله تعالىٰ ، وحمل عليهم بعصاه ، فولَّوا منهزمين إلىٰ دار الأمير وأخبروه .

فدعاه الأمير وقال له : أما علمت أن من يخرج على السلطان . . يتغدَّىٰ في السجن ؟!

فقال له أبو عتاب : أما علمت أنه من يخرج على الرحمـٰن . . يتعشّىٰ في النيران ؟!

فقال له الأمير : من ولاك الحسبة ؟ فقال له : وأنت من ولاك الإمارة ؟

فقال : ولاني الخليفة ، فقال له : وأنا ولاني الحسبة ربُّ الخليفة .

فقال : ولَّيتك الحسبة بسمرقند . قال : عزلتُ نفسي عنها .

قال : العجب من أمرك !! تحتسبُ حين لم تؤمر ، وتمتنع حين تؤمر ؟!

قال : لأنك إذا وليتني . . عزلتني ، وإذا ولاني ربي . . لم يعزلني أحد .

فقال الأمير : سل حاجتك . قال : حاجتي أن تردَّ عليَّ شبابي !! فقال : ليس ذلك إليَّ .

---

(١) أوردها عمر السنامي في « نصاب الاحتساب » (ص٢٠٨ـ ٢٠٩) ، والشيخ إسماعيل حقي في « تفسير روح البيان » (٢/ ٤٩٧) .

قال : **حاجتي أن تكتب إلىٰ مالك خازن جهنم ألاَّ يعذبني** . قال : ليس ذلك إليَّ .

قال : **حاجتي أن تكتب إلىٰ رضوان خازن الجنة أن يدخلني الجنة** . قال : ليس ذلك إليَّ .

قال : فأنا مع الرب الذي هو مالك الحوائج كلِّها لا أسأله حاجة . . إلا أجابني إليها . فخلَّى الأمير سبيله ، فذهب[1] .

(**فإن لم يستطع**) أي : فإن لم يقدر على التغيير بيده . . (**فبلسانه**) أي : فليغيِّره بقوله ؛ كأن يأمره بترك المنكر ، ويوبِّخه علىٰ فعله ، أو يهدِّده إن لم يتركه ، ويتوعَّده بإحضار أعوان السلطان ، أو يذكِّره بالله وأليم عقابه ؛ مع لينٍ أو إغلاظٍ بحسب ما يقتضيه الحال وما يكون أنفع .

[الرفق بالنهي عن المنكر وأثره]

وقد يبلغ بالرفق ما لا يبلغه بغيره ؛ حكي : أنَّ رجلاً أكثر من شرب الخمر بالشام ، فبلغ ذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه ، فكتب له : ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[2] فترك الرجل الخمر وتاب منها[3] .

[الغلظة في النهي عن المنكر تولد منكراً أكبر]

وحكي : أنَّ فقيهاً رأىٰ شخصاً كشف فخذه في الحمَّام ، فحرَّكه برجله علىٰ وجه

---

(١) أوردها عمر السنامي في « نصاب الاحتساب » (ص٣٣٥ـ ٣٣٦) ، وفيه : (أبو غياث) بدل (أبو عتاب) .

(٢) قوله ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ أي : الإنعام الواسع . اهـ جلال . اهـ مؤلف .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (١٧٠٧٨) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (٩/ ١٠٥) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٢٥/ ٣٠٢ـ ٣٠٣) عن عروة بن الزبير رحمه الله ، والرجل هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنهما ، وانظر « الفتوحات الوهبية » (ص٢٥٩) .

الاحتقار وقال له : غطِّ فخذك يا قليل الدِّين ، فنزع المئزر من وسطه ، ورماه ، وقال له : **ما عدتُ أجلس إلا عرياناً ؛ حقارةً فيك يا فقيه** .

فالتفت إليه شخص فقال له بشفقةٍ ولين : **يا أخي ؛ أنت من ذوي المروءات** ، ولا يعرف أحد عذرك في كشف نفسك ، وقد غرت عليك أن يراك من يكرهك مكشوفاً فيزريك ، فقال له : جزاك الله خيراً ، وستر نفسه[1] .

وحكي عن بعضهم : أنه كان يجتمع ببعض الأمراء ، وكان يلازم لبس الحرير .

فقال له : **يا أمير ؛ بكم الذراع من هـٰذا الحرير** ؟ قال : بدينار .

فقال له : إنَّ في الصوف ما كلُّ ذراع منه بدنانير ، وإن مماليكك وخدمك يشاركونك في لبس الحرير ، ولا يليق بشهامتك ومقامك أن يساووك ، فاعدل إلى الصوف ؛ فإنه أعلىٰ وأغلىٰ ، مع ما فيه من السلامة من العقاب الأخروي !!

فاستحسن كلامه وترك لبس الحرير ، ولو قال له ابتداءً : هـٰذا حرام فاتركه . . لم يفد[2] .

والرِّفق واجب فيمن لا ينفع معه إلا الرفق كالجاهل ومن يخاف شرُّه ؛ وذلك لأنه أقوىٰ في الامتثال .

[لطف الشيخ محيي الدين بن العربي مع الظاهر بيبرس]

وقد حكي : أن الملك الظاهر بيبرس غضب علىٰ وزيره ، وعزم علىٰ قتله ، ولم يقبل فيه شفاعة أحد ، فبلغ ذلك الشيخ محيي الدين بن العربي ـ نفعنا الله تعالىٰ به ـ فدخل عليه فقال له : **يا مولانا السلطان ؛ نحن من جملة رعيتك** ، ولا نرىٰ أن بحر عفونا يضيق عن العفو عن آلاف ممن خالفوا أمرنا ، فكيف يضيق عفو مولانا السلطان عن مثل واحد يخالف أمره ؟! فلما سمع ذلك عفا عن قتله ،

---

(١) ذكرها الشعراني في « لطائف المنن » (١/١٥٣) .

(٢) ذكرها التاج السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/٥٩ـ ٦٠) أنه جرت لوالده مع بعض الأمراء .

وقُضِيت للشيخ عنده في ذلك اليوم حاجات كثيرة[1] .

(**فإن لم يستطع**) أي : فإن لم يقدر على التغيير بلسانه ؛ كأن خاف علىٰ نفس أو عضوٍ ، أو مال ، أو إثارة فتنة . . (**فبقلبه**) أي : فلينكره بقلبه ؛ بأن يكرهه ولا يرضىٰ به ، ويعزم علىٰ أنه لو قدر علىٰ تغييره بفعل أو قول . . لفعل ، وهـٰذا فرض عينٍ علىٰ كلِّ إنسان ؛ لقدرة كلِّ أحدٍ عليه بخلاف اللّذَيْن قبله .

(**وذلك**) أي : الإنكار بالقلب (**أضعف الإيمان**) أي : الأعمال ؛ لقدرة كل شخص عليه كما علمت .

وقيل : **إنَّ المراد** : أن ذلك أقلُّ آثار الإيمان وثمراته ؛ إذ فيه الكراهة فقط ، وهي لا يحصل بها زوال مفسدة المنكر .

[مراتب تغيير المنكر]

ونقل عن الشيخ الشعراني نفعنا الله تعالىٰ به أنه ذكر في « المنن » عن سيدي إبراهيم المتبولي عمَّنا الله تعالىٰ ببركاته : (**أنَّ تغيير المنكر باليد** : يكون للولاة الذين يَضربون ولا يُضربون ؛ ببناء الأول للفاعل والثاني للمفعول .

وتغييره باللسان : للعلماء العاملين ؛ فيؤثر زجرهم باللسان في قلب ذلك المُنكَر عليه ، فيرجع عن ذلك المنكر .

وتغييره بالقلب : على العارفين الذي غلب عليهم شهود احتقارهم نفوسهم أن يكونوا ناهين لغيرهم ، فيتوجَّه أحدهم بقلبه إلى الله عز وجل في تغيير ذلك المنكر ، فينكفُّ الظالم عن ظلمه ، وشارب الخمر عن شربه ، **فهـٰذا هو التغيير حقيقةً** .

وأما قول الإنسان : اللهم ؛ إن هـٰذا منكر لا أرضاه . . فليس فيه تغيير قلب) اهـ[2] .

---

(١) أوردها الإمام ابن العربي في « الفتوحات المكية » (٧/ ٣١٠) ، والشعراني في « لواقح الأنوار » (ص٣٩٠) .

(٢) لطائف المنن (١/ ٢٨٤) ، وانظر « الفتوحات الوهبية » (ص٢٦٠) .

[الصدق مع الله في النهي عن المنكر]

وحكي عن سيدي معروف الكرخي رحمه الله تعالىٰ : أنه كان قاعداً علىٰ شاطىء الدجلة ، **فمرّ عليه جماعة في زورق** ـ أي : مركب صغيرة ـ **وهم يشربون الخمر ، ويغنّون مع ضرب الأوتار** .

فقيل له : أما ترىٰ جراءة هـٰؤلاء على الله تعالى ، ادع الله عليهم يخلِّص المسلمين من شرِّهم ، فرفع يديه وقال : **اللهم ؛ كما فرّحتهم في الدنيا . . ففرّحهم في الآخرة** .

فقالوا له : سألناك أن تدعو عليهم لا أن تدعو لهم ؟!

فقال : **إنما يفرّحهم في الآخرة بتوبته عليهم في الدنيا** ، وذلك لا يضرّكم .

فجاء الزورق في الوقت إلى البرّ ، ونزل الرجال في ناحية والنساء في ناحية ، **وخرجوا إلى الله تائبين** ، فكان منهم عبَّاد وزهَّاد ببركة دعوة معروف ، رضي الله تعالىٰ عنه ، ونفعنا به[1] .

[بعض الآثار في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

واعلم : أنه قد وردت أحاديث كثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

منها : قوله صلى الله عليه وسلم : « لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر[2] ، أو ليسلِّطنَّ اللهُ عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم »[3] .

ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ؛ مروا بالمعروف ، وانهوا عن

---

(١) الرسالة القشيرية (ص٢٥١) .

(٢) قوله : (**لتأمرن**) مثل لتضربن في تصريفه ، (**ولتنهون**) **أصله** : تنهون ، فحركت الواو للتخلص ، ولم تحذف هنا لعدم ما يدل عليها ؛ إذ قبلها فتحة لا ضمة . قاله الحفني على « الجامع الصغير » . **اهـ مؤلف** .

(٣) أخرجه البزار في « مسنده » (١٨٨) عن سيدنا عمر رضي الله عنه ، والطبراني في « الأوسط » (١٤٠١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم »[1] .

ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : « ما من قومٍ يعمل فيهم بالمعاصي ، ثم يقدرون علىٰ أن يغيروا فلا يغيروا . . إلا يوشك ـ أي : يَقْرُب ـ أن يعمَّهم الله بعقابه »[2] .

وقال جرير بن عبد الله رضي الله تعالىٰ عنه : (**ما من قومٍ أعزَّاء على الناس ، ثم لم يغيروا منكراً وهم قادرون . . إلا أذلَّهم الله عز وجل**) .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : (من سمع أحداً يفعل منكراً ولم ينهه . . جاء يوم القيامة أصمَّ مقطوع الأذنين) .

وقال أبو أمامة رضي الله تعالىٰ عنه : (**يحشر ناس من هٰذه الأمة علىٰ صورة القردة والخنازير** ؛ بملاصقتهم أهل المعاصي وتركهم نهيهم وهم يقدرون)[3] .

ثم إن هٰذا الحديث قاعدة من قواعد الدين ، **وظاهره** : أن الإنسان يلزمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن لم يمتثل هو ذلك ، وهو كذلك .

(**رواه مسلم**) رحمه الله تعالىٰ .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (١٣٨٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه أبو داوود (٤٣٣٨ ـ ٤٣٣٩) عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه ، وابن ماجه (٤٠٠٩) ، وأحمد في « مسنده » (٤/ ٣٦١ ، ٣٦٣) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٠٠) عن سيدنا جرير رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « معجم الصحابة » (٤٥٧٧) عن سيدنا عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه مرفوعاً .

الحديث الخامس والثّلاثون

[أُخوَّة الإسلامِ وحقوقُ المسلم]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَنَاجَشُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ ٱللهِ إِخْوَاناً ، ٱلْمُسْلِمُ أَخُو ٱلْمُسْلِمِ ، لاَ يَظْلِمُهُ ، وَلاَ يَخْذُلُهُ ، وَلاَ يَكْذِبُهُ ، وَلاَ يَحْقِرُهُ ، ٱلتَّقْوَىٰ هَـٰهُنَا ؛ وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، بِحَسْبِ ٱمْرِىءٍ مِنَ ٱلشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ ٱلْمُسْلِمَ ، كُلُّ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْمُسْلِمِ حَرَامٌ ؛ دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] .

[ذم الحسد وما ورد فيه]

(**عن أبي هريرة رضي الله**) تعالىٰ (**عنه**) وتقدَّم الكلام عليه[2] (**قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحاسدوا**) أصله بتاءين ؛ حذفت إحداهما تخفيفاً ، وكذا ما بعده .

والمعنىٰ : لا يحسد بعضكم بعضاً ؛ فإنَّ الحسد حرام من الكبائر ، وهو تمنِّي زوال نعمة الغير ، سواء تمنى انتقالها إليه أم لا ، وقد تطابقت الملل وتوافقت علىٰ ذمِّه وقبحه[3] .

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٦٤) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ١٨٩) في الحديث السابع .

(٣) **والحسد أول ذنب** عُصي الله به في السماء ، وأول ذنبٍ عُصي به في الأرض ؛ **فأما في السماء** .. فحسدُ إبليس لآدم ، **وأما في الأرض** .. فحسدُ قابيل لهابيل . انظر « تفسير القرطبي » (٥/٢٥١) .

وجاء في عدة أخبار وآثار : أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[1] ، وورد : أنه يُفسد الإيمان كما يُفسد الصَّبِر العسل[2] .

وقال بعضهم : (ليس شيء أضرَّ من الحسد ؛ يصل بسببه إلى الحاسد خمسُ عقوبات : غَمٌّ لا ينقطع ، ومصيبة لا يُؤجر عليها ، ومذمَّة لا يحمد بها ، ويسخط عليه الرّبُّ ، ويغلق عنه أبواب التوفيق)[3] .

وقيل : (إن الله تعالىٰ أمر بالاستعاذة من شرِّ الحاسد ؛ كما أمر بها من شرّ الشيطان)[4] .

[محاورة بين إبليس وفرعون]

وحكي : أن إبليس أتىٰ باب فرعون فقرعه ، فقال فرعون : من هٰذا ؟ فقال إبليس : أنا ، ولو كنت إلٰهاً . . ما جهلتني !! فقال له فرعون : ادخل يا ملعون .

فلما دخل عليه . . قال له فرعون : أتعرف علىٰ ظهر الأرض أحداً شرّاً منك ومني ؟ قال : بلىٰ .

قال : من هو ؟ قال : الحاسد ، وبالحسد وقعت في هٰذه المحنة : إنَّ لي صديقاً أجابني إلىٰ كلِّ ما دعوتُه من الشر ، فقلت له : قد وجب عليَّ حقُّك فاسأل مني الحاجة .

فقال : يا إبليس ؛ إنَّ لجاري بقرة فأَمِتْها .

فقلت : لا قوّة لي علىٰ ذلك ، أتريد أن أعطيك عشر بقرات مكانها ؟

---

(١) أخرجه أبو داوود (٤٩٠٣) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » (١٤٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٧٤٤٠) إلى الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » عن سيدنا معاوية بن حَيْدة رضي الله عنه .

(٣) ذكره أبو الليث السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص١٧٧ـ ١٧٨) .

(٤) عزاه في « فيض القدير » (٣/ ٤١٤) إلى الإمام الغزالي .

فقال : لا أريد إلا هلاكها ، **فعلمت أنّ الحاسد شرّ مني ومنك**[1] .

وقال بعضهم : (**الحاسد جاحد ؛ لأنه لا يرضىٰ بقضاء الواحد**)[2] .

وفي معنىٰ ذلك قيل[3] : [من المتقارب]

أَلاَ قُـلْ لِمَـنْ بَـاتَ لِـي حَـاسِـداً أَتَـدْرِي علـىٰ مَـنْ أَسَـأْتَ الأَدَبْ
أَسَـأْتَ عَلَـى اللهِ فِـي فِعْلِـهِ كَـأَنَّـكَ لـم تَـرْضَ لِـي مـا وَهَـبْ

ومن الحكمة : (الحسود لا يسود أبداً ، والبخيل تأكل أمواله العدا ، والكريم لا يضام أبداً)[4] أي : لا يحصل له ضيم ؛ أي : ضرر ومشقّة .

[قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله]

وحكي : أنَّ رجلاً صالحاً كان يجالس أمير المؤمنين المعتصم ، ويدخل عليه من غير استئذان وينصحه ، **فغار منه الوزير فحسده** ، وقال في نفسه : إن لم أقتل هـٰذا الرجل . . أخذَ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني عنه .

فدخل يوماً على المعتصم وقال له : يا أمير المؤمنين ؛ **إنَّ هـٰذا الرجل يقول للناس : إنك أبخر** ـ أي : نتن الفم ـ **وأمارة ذلك** : أنه إذا قَرُب منك . . يضع يده علىٰ أنفه ؛ لئلا يشمَّ رائحة البخر ، فقال : انصرف حتىٰ أنظر في ذلك .

---

(١) انظر « تفسير الرازي » (١/ ٢٦٦ـ ٢٦٧) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص٢٦١) .

(٢) الرسالة القشيرية (ص٢٨٠) .

(٣) أوردهما الثعلبي في « تفسيره » (٣/ ٣٣٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٢٢٢) لمنصور الفقيه ، ورواهما الخطيب البغدادي في « تاريخه » (١٣/ ٢٣١) للمعافى بن زكريا الجريري ، وانظر « الفتوحات الوهبية » (ص٢٦١) .

(٤) انظر « الجواهر البهية » (ص٢٢٦) ، وقال صاحب « المنهج المسلوك في سياسة الملوك » (ص٤٢٦ـ ٤٢٧) : (قال بعض الحكماء : يكفيك من الحسود أن يغتم وقت سرورك ، **وإذا رزق الله المحسود نعمة . . كانت على الحاسد نقمة** ، وكان يقال : **الحسد نارٌ في الجسد** ، وكتب بعض الحكماء إلىٰ صديق له : وقد حسدك من لا ينام دون الانتقام ، وطلبك من لا يقصر دون الظفر بك ، فليكن حذرك بعد الثقة بالله تعالىٰ علىٰ حسب ذلك . وقيل : كان مكتوباً علىٰ فص خاتم بعض الملوك : **الحسود لا يسود أبداً ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً**) .

فخرج وتلطَّف بالرجل حتىٰ أتىٰ به إلىٰ منزله ، وطبخ له طعاماً وأكثر فيه من الثوم ، فلما أكل الرجل منه . . قال له الوزير : **احذر أن تقرُب من أمير المؤمنين ؛ فيشَمّ منك رائحة الثوم ، فيتأذّىٰ بذلك** .

فخرج الرجل ، وذهب إلىٰ أمير المؤمنين ، ونصحه كعادته ، فقال له : **ادنُ مني** ، **فدنا منه ووضع يده علىٰ فمه** ؛ مخافة أن يشَمَّ رائحة الثوم منه .

فقال المعتصم في نفسه : إن الذي قاله الوزير عن هـٰذا الرجل صدق ، وكان لا يكتب بخطه إلا جائزة أو صلة ، فكتب له بخطه كتاباً لبعض عماله يذكر فيه : **إذا أتاك صاحب كتابي هـٰذا . . فاذبحه** .

فأخذ الرجل الكتاب وخرج ، فلقيه الوزير بالباب فقال له : **ما هـٰذا الكتاب** ؟ قال : **خطُّ الملك لي بصلة** ، فظنَّ الوزير أنه يحصل له مال كثير ، فقال له : ما تقول فيمن يريحك من هـٰذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألفي دينار ؟

فقال : أنت الكبير والحاكم ، فافعل ما رأيته .

فأعطاه الوزير ألفي دينار ، وأخذ منه الكتاب ، وذهب به للعامل وسلَّمه له ، فقرأه ، فقال للوزير : **إنَّ في هـٰذا الكتاب أني أذبحك** !! فقال : إنَّ الكتاب ليس لي ، اللهَ اللهَ في أمري حتىٰ أراجع الملك ؟ فقال : **ليس لكتاب الملك مراجعة ، وأمر بذبحه فذبح** .

ثم بعد مدة تفكَّر الملك في أمر الرجل ، وسأل عن الوزير فأُخبر بأنَّ له أياماً ما رئي ، وأنّ الرجل مقيم بالمدينة ، فتعجَّب من ذلك ، وأحضر الرجل وسأله عن حاله ، فأخبره بالقصة التي اتّفقت له مع الوزير بشأن الكتاب .

فقال له : **إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر** ؟! فقال الرجل : معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أقول ذلك .

قال : **فلِمَ وضعت يدك علىٰ فمك** ؟ قال : مخافة أن تشَمّه . . . وحكىٰ له ما حصل من أخذ الوزير له ، وإطعامه الثوم ، وأنَّ ذلك كلَّه مكر منه وحسد .

قال له : **صدقت** ، **قاتل الله الحسد ما أعدله ؛ بدأ بصاحبه فقتله** ، ثم خلع على الرجل ، واتّخذه وزيراً[1] .

[مكر الحساد]

وحكي : أنه كان للإمام أبي حنيفة رضي الله تعالىٰ عنه حُسَّاد ، فأرادوا إبطال كلمته ، **فجعلوا لامرأة جُعلاً علىٰ أن تدخله دارها ليلاً** ، وتظهر للناس أنه أرادها بفاحشة ، فتعرَّضت له وقت السحر وهو ذاهب يريد صلاة الفجر في الجامع وقالت له : إنَّ زوجي يريد الوصية وهو مريض ، وأخاف عليه الموت قبل ذلك ، فدخل معها ، فغلَّقت الأبواب وصاحت ، فجاء الحسَّاد ، وأخذوا الإمام والمرأة إلى الوالي ، فأمر بسجنهما حتىٰ تطلع الشمس .

فاشتغل الإمام بصلاته في السجن ، **فندمت المرأة علىٰ ما صنعت معه** ، وأخبرته بما قيل لها : فقال لها الإمام : قولي للسجان ، إن لي حاجة ، وأريد أن أخرج وأعود إليك ؛ **فإذا خرجت** . . **فاذهبي إلىٰ أم حماد** ـ يعني : زوجته ـ **وأخبريها بالقصة** ، وأرسليها إليَّ ، وامضي أنت إلىٰ شأنك ، ففعلت .

ولما حضرت زوجته وطلع النهار . . طلبهما الوالي وقال للإمام : **أيحلّ لك أن تخلو بأجنبية** ؟! قال : عليَّ بفلان ـ يعني : أبا زوجته ـ فلما حضر . . فقيل له : من هـٰذه ؟ فكشف وجهها ؛ فإذا هي ابنته ، فقال : **هـٰذه ابنتي زوّجتها لهـٰذا الإمام** ، فعند ذلك أظهر الله تعالىٰ حجَّته وأعلىٰ كلمته ، فقال في ذلك[2] : [من البسيط]

إنْ يَحسُدُوني فإنِّي غيرُ لائِمِهم ... قَبْلِي مِنَ الناس أهلِ الفضلِ قدْ حُسِدوا

---

(1) ذكرها الإمام ابن الجوزي في « عيون الحكايات » (ص٢٠٥) في الحكاية (١٦٥) ، وانظر « ثمرات الأوراق » (ص١٩٦) ، و« الزواجر » (١/ ١١٥) ، قال سيدنا علي رضي الله عنه ؛ كما في « المنهج المسلوك في سياسة الملوك » (ص٤٤٧) : (لن يصل الحسد إلى المحسود حتىٰ يقتل الحاسد نفسه بغم دائم ، وعقل هائم ، وهم لازم ، وما رأيت ظالماً يتشبه بالمظلوم إلا الحاسد) .

(2) البيتان عند الخطيب في « تاريخه » (١٣/ ٣٦٤) .

فَدَامَ لي ولهم ما بِي وما بِهِمُ ... وماتَ أكثرُنا غَيْظاً بما يَجِدُ

وقال بعضهم[1] : [من البسيط]

دع الحسودَ وما يَلْقاهُ مِنْ كَمَدِهْ ... يَكفيكَ منهُ لَهِيبُ النَّارِ في كَبِدِهْ

إنْ لُمْتَ ذا حَسَدٍ فرَّجْتَ كُرْبَتَهُ ... وإنْ سَكَتَّ فقدْ عَذَّبْتَهُ بِيَدِهْ

وقال آخر[2] : [من مجزوء الكامل]

اصبِرْ علىٰ حَسَدِ الحَسُو ... دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ

النارُ تَأْكُلُ بعضَها ... إنْ لم تَجِدْ ما تَأْكُلُهْ

وهٰذا كلّه في الحسد الحقيقي .

[الحسد المجازي وتعريفه]

وأمّا الحسد المجازيّ . . فهو غير مذموم ، **وعرّفوه** : بأنه تَمَنِّي حصول مثل ما لأخيه من النعمة من غير أن تزول عنه ، والمبادرة إلى الكمال الذي شاهده في غيره ليلحقه أو يجاوزه ، **ويسمَّىٰ غبطة** .

وعليه حُمل حديث : « **لا حسد إلا في اثنتين** : رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه علىٰ هَلَكَتِهِ في الخير ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها الناس »[3] يعني : ليس شيء من الدنيا حقيقاً بالغبطة عليه إلا هاتان الخصلتان : العلم ، وإنفاق المال في سبيل الله تعالىٰ[4] ؛ وهي ـ أي : الغبطة ـ مباحة في الأمور الدنيوية ، وسُنّة في الدينية .

---

(١) أوردهما في « الفتوحات الوهبية » (ص٢٦١) .

(٢) أوردهما في « العقد الفريد » (٢/ ٣٢٤) ، وفي « المنهج المسلوك في سياسة الملوك » (ص٤٢٨) .

(٣) أخرجه البخاري (٧٣) ، ومسلم (٨١٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وأخرجه البخاري (٧١٤١) ، ومسلم (٨١٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) **فإن قلت** : ما وجه الحصر في هاتين الخصلتين مع أن كل خيرٍ مثله ؟ . . **أجيب** : بأن الحصر غير مراد ، **وإنما المراد** : مقابلة ما في الشخص بالضد ؛ فإن طبع الإنسان إذا رأىٰ غيره يجمع المال . . =

[النهي عن النجش والتباغض]

(**ولا تناجشوا**) بجيم وشين معجمتين من النجش ، وهو **لغةً** : الإثارة والإغراء ، **وشرعاً** : الزيادة في المبيع لا لرغبة في شرائه ، بل لأجل غرور غيره .

والمعنىٰ : لا يزد بعضكم في ثمن شيء معروض للبيع ليغرّ غيره ، ويثير رغبته لمشتراه ، وهو حرام ؛ لما فيه من الإيذاء والغش .

ولا فرق في ذلك بين أن يكون المبيع ليتيم أو لغيره ، ولا بين أن يبلغ القيمة أو لا .

ومع هٰذا ؛ فيصحّ البيع خلافاً لمالك ، ولا خيار للمشتري ؛ لتفريطه بعدم تأمُّله وسؤال أهل الخبرة[1] ، ولا تحرم الزيادة لمن له رغبة في الشراء ، ويجوز فتح باب القيمة لعارفٍ بها .

ثم إنّ تفسير (النجش) بما ذكر هو ما عليه الأكثر ، وقيل : **المراد به هنا** : النهي عن إغراء بعضهم بعضاً على الشر والخصومة ، وقيل : **المراد به** : التنافر ؛ أي : لا ينفِّر بعضكم بعضاً ؛ كأن يسبَّه ، أو يعمل معه شيئاً ينفر منه .

= يحسده ؛ ليكون مثله ، فإذا رأىٰ غيره يعطي أحداً . . يذمه ؛ ليكون مثله ، **فالطباع تحسد بجمع المال ، وتذم ببذله** ؛ أي إعطائه ، **فبين الشرع عكس الطبع** ؛ فكأنه قال : لا حسد إلا فيما تذمون عليه ، ولا مذمة إلا فيما تحسدون عليه ، **ووجه الجمع للخصلتين اللتين في الحديث** : أن المال يزيد بالإنفاق ولا ينقص ، قال تعالىٰ : ﴿ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ما نقص مال من صدقة » ، والعلم المعبر عنه بالحكمة يزيد أيضاً بالإنفاق منه ؛ أي بتعليمه . اهـ من هامش إحدىٰ نسخ « الفتح المبين » (ص٥٥١) .

(١) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالىٰ في « الفتح » (٤/ ٣٥٥ـ٣٥٦) : (قال ابن بطال : **أجمع العلماء علىٰ أن الناجش عاصٍ بفعله** ، واختلفوا في البيع إذا وقع علىٰ ذلك ، ونقل ابن المنذر عن **طائفة من أهل الحديث فساد ذلك البيع** ، وهو قول أهل الظاهر ، **ورواية عن مالك** ، **وهو المشهور عند الحنابلة** : إذا كان ذلك بمواطأة البائع أو صنعه ، **والمشهور عند المالكية في مثل ذلك** ثبوت الخيار ، وهو وجه عند الشافعية قياساً على المصراة ، **والأصح عندهم** : صحة البيع مع الإثم ، **وهو قول الحنفية** . . . وقال ابن أبي أوفى : الناجش آكل رباً خائن ، وأطلق ابن أبي أوفىٰ علىٰ من أخبر بأكثر مما اشترىٰ به أنه ناجش ؛ لمشاركته لمن يزيد في السلعة وهو لا يريد أن يشتريها في غرور الغير ، فاشتركا في الحكم لذلك . . .) .

(**ولا تباغضوا**) أي : لا يبغض بعضكم بعضاً بتعاطي أسباب البغض ؛ كالشتم والضرب ومنع النفع ، فالبغض حرام إذا كان لغير الله تعالىٰ .

أما إذا كان لله تعالىٰ ؛ وهو ما يكون لأجل المعصية . . فليس بحرام ، بل هو واجب ، ومن كمال الإيمان ؛ لخبر : « من أحبَّ لله وأبغض لله ، وأعطىٰ لله ، ومنع لله . . فقد استكمل الإيمان »[1] .

ولا ينبغي احتقار العاصي ، وإنما المطلوب الإنكار عليه ، ونهيه عن ارتكاب ما يخالف الشرع .

ونقل عن سيدي علي الخوَّاص رحمه الله تعالىٰ أنه قال : (عداوتنا لأفعال مَنْ أمرنا الحق تعالىٰ بعداوته . . عداوة شرعية ، وعداوتنا لذاته عداوة طبيعية ، والسعادة في الشرعية لا في الطبيعية)[2] .

والظاهر : أن مراده بالعداوة : الكراهة .

وقال سيدي عبد القادر الجيلي نفعنا الله به : (إذا وجدت في قلبك بغضَ شخصٍ أو حبَّه . . فاعرض أعماله على الكتاب والسُّنَّة ؛ فإن كانت مكروهةً فيهما . . فاكرهه ، وإن كانت محبوبةً فيهما . . فأحببه ؛ لئلا تحبَّه بهواك ، وتبغضه بهواك ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾)[3] .

وقال الشعراني رحمه الله تعالىٰ : (**حقيقةُ الحبِّ في الله** : ألاّ يزيد بالبِر ، ولا ينقص بالجفاء) .

وقال الغزالي رحمة الله تعالىٰ عليه : (كل من أحبَّ عالماً أو عابداً ، أو أحبَّ شخصاً راغباً في علمٍ أو عبادةٍ أو خيرٍ . . فإنما أحبَّه لله ، وفي الله ، وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوَّة حُبِّه)[4] .

---

(١) أخرجه أبو داوود (٤٦٨١) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٢) ذكره الشعراني في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ١٥٤) .

(٣) ذكره الشعراني في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٣١) .

(٤) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٢) .

وقيل : **معنىٰ** (**لا تباغضوا**) : لا تُوقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين ، فيكون نهياً عن النميمة ؛ وهي نقل كلام بعض الناس إلىٰ بعض علىٰ جهةٍ يترتَّب عليها الإفساد بينهم ، **وهي محرَّمة إجماعاً**[1] .

[واجب مَنْ حُملت إليه نميمة ستة أمور]

ويجب ـ كما قال الغزالي ـ **علىٰ كلِّ من حملت إليه نميمة ستَّة أمور** :

الأول : ألاَّ يصدِّقه ؛ أي : النَّمَّام . **الثاني** : أن ينهاه عن ذلك .

الثالث : أن يبغضه في الله . **الرابع** : ألاَّ يظنَّ بالمنقول عنه السوء .

الخامس : ألاَّ يتجسَّس علىٰ تحقيق ذلك . **السادس** : ألاَّ يحكي ما نمَّ له به[2] .

وقال الشاذلي عمَّنا الله ببركاته : (**إذا نقل إليك أحد كلاماً عن صاحب لك** . . **فقل له** : يا هـٰذا ؛ أنا من صُحبة أخي ووِدِّه علىٰ يقين ، ومن قولك علىٰ ظنّ ، ولا يُتْرَك يقين لظنّ)[3] .

وقال الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالىٰ : (**إذا نقل إليكم أحد كلاماً في عرضكم عن أحد** . . **فازجروه** ـ أي : الناقل ـ ولو كان أعزَّ إخوانكم ، وقولوا له : إن كنت تعتقد فينا هـٰذا الأمر . . فأنت ومن نقلت عنه سواء ، بل أنت أسوأ حالاً منه ؛ لأنه لم يُسمعنا ذلك وأنت أسمعته لنا ، وإن كنت تعتقد أنَّ هـٰذا الأمر باطل في حقِّنا ، وبعيد عنا . . فما فائدة نقله إلينا ؟!)[4] .

---

(١) ولقد حرم الله على المؤمنين ما يوقع بينهم العداوة والبغضاء ، وامتن علىٰ عباده بالتأليف بين قلوبهم ؛ **ولهـٰذا المعنىٰ حرم المشي بالنميمة** ، ورخص في الكذب للإصلاح بين الناس ، أخرج أحمد (٦/ ٤٥٩) عن سيدتنا أسماء بنت يزيد رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **ألا أخبركم بخياركم ؟** » قالوا : بلىٰ . قال : « فخياركم الذين إذا رؤوا . . ذكر الله تعالىٰ ، **ألا أخبركم بشراركم ؟** » قالوا : بلىٰ . قال : **فشراركم** : المفسدون بين الأحبة ، المشاؤون بالنميمة ، الباغون البرآء العنت » .

(٢) إحياء علوم الدين (٥/ ٥٥٣) .

(٣) أورده الشعراني في « المختار من الأنوار في صحبة الأخيار » (ص٥٤) ، و« الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٧٧) .

(٤) أورده الشعراني في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ١٧٥) .

وقال رجل لوهب بن منبِّه رضي الله تعالىٰ عنه : (شتمك فلان ، فقال له : **أما وجد إبليس رجلاً يرسله غيرك !!**) .

[النهي عن التدابر]

(**ولا تدابروا**) أي : لا تتكلَّموا في أدبار إخوانكم بالغيبة والبهتان ؛ أي : الكذب والافتراء .

وقيل : **إنَّ المعنىٰ** : لا يدبر بعضكم عن بعض معرضاً عنه وتاركاً إعانته ونصره ؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى المعاداة والتقاطع والهجران ، وقد جاء في الحديث : « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام** »[1] .

وفي رواية : « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاثِ ليالٍ ، يلتقيان ، فيعرض هـٰذا ، ويعرض هـٰذا »[2] .

وأخرج مسلم وغيره : « تُعْرَض الأعمال في كلِّ اثنين وخميس ، فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئٍ لا يشرك بالله شيئاً إلا امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء ـ أي : عداوة ـ يقول : **اتركوا هـٰذين حتَّىٰ يصطلحا** »[3] .

وأخرج الطبراني وغيره : « يطَّلع الله تعالىٰ إلىٰ جميع خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشركٍ أو مشاحن »[4] .

ويجوز الهجر لغرضٍ شرعيٍّ ؛ كفسقٍ وابتداع ، وإيذاءٍ وزجر ، وإصلاح دين الهاجر أو المهجور[5] .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٥) ، ومسلم (٢٥٥٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٧) ، ومسلم (٢٥٦٠) عن سيدنا أبي أيوب رضي الله عنه ؛ **وتتمته** : « وخيرهما الذي يبدأ صاحبه بالسلام » .

(٣) صحيح مسلم (٢٥٦٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٠/ ١٠٨ـ ١٠٩) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وأخرجه أحمد في « مسنده » (٢/ ١٧٦) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٥) أخرج البخاري (٥٤٧٩) ، ومسلم (١٩٥٤) عن سيدنا عبد الله بن مُغفَّل رضي الله عنه : أنه رأىٰ =

(**ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض**) بأن يقول للمشتري في زمن الخيار : افسخ هـٰذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص منه ، **ونظيره** : الشراء على الشراء ؛ بأن يقول للبائع في زمن الخيار : افسخه وأنا أشتريه منك بأغلىٰ .

والنهي للتحريم ؛ لما فيه من الإيذاء الموجب للتباغض .

(**وكونوا عباد الله**) أي : يا عباد الله (**إخواناً**) أي : اكتسبوا ما تصيرون به إخواناً من حُسن المعاشرة ، وفعل المؤلفات وترك المنفِّرات .

وقال القرطبي : (كونوا كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة)[1] .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ : (**من شرط الصدق في الأخوة** : أن يكرم الشخص أخاه إذا افتقر أكثر مما كان حال الغنىٰ) .

(**المسلم أخو المسلم**) أي : في الدين ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ أي : يجمعهم دين واحد .

وذكر العلماء : أنَّ الأخوة الدينية أعظم من الأخوة النسبية ؛ لأن الأولىٰ ثمرتها أخروية باقية ، والثانية ثمرتها دنيوية فانية .

(**لا يظلمه**) أي : لا يُدخل عليه ضرراً في نفسه أو دينه ، أو عرضه أو ماله ؛ لأن ذلك ينافي أخوَّة الإسلام ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « **الظلم ظلمات يوم القيامة** »[2] .

= رجلاً يخذف فقال له : لا تخذف ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهىٰ عن الخذف ، أو كان يكره الخذف ، وقال : « إنه لا يصاد به صيدٌ ولا ينكأ به عدوٌّ ، ولـٰكنها قد تكسر السِّنَّ ، وتفقأ العين » ثم رآه بعد ذلك يخذف ، فقال له : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : **أنه نهىٰ عن الخذف ، أو كره الخذف وأنت تخذف ؟! لا أكلمك كذا وكذا** .

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٥٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٧) ، ومسلم (٢٥٧٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وقال بعضهم[1] : [من البسيط]

لاَ تَظْلِمَنَّ إذا ما كنتَ مُقْتَدراً ... فالظُّلْمُ تَرْجِعُ عُقْباهُ إلى النَّدَمِ

تَنَامُ عَيناكَ والمظلومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عليكَ وعينُ اللهِ لم تَنَمِ

[الهم بالظلم يذهب البركة]

وقيل : إن الظلم يُذهِبُ البركة ؛ فقد حكي : أن ملكاً من الملوك خرج يسير في مملكته وهو مستخفٍ من الناس ، حتىٰ نزل علىٰ رجل له بقرة ، فراحت عليه تلك البقرة ـ أي : جاءته ـ من المرعىٰ ، فحلبت ؛ **فإذا حلابها مقدار حلاب ثلاثين بقرة** ، فحدَّث الملك نفسه بأخذها .

فلما كان الغد . . غدت البقرة إلىٰ مرعاها ، ثم راحت فحلبت ، **فنقص لبنها على النصف** ، وجاء مقدارَ خمس عشرة بقرة ، فدعا الملك صاحبها فقال : أخبرني عن بقرتك أَرَعت اليوم في غير مرعاها بالأمس ، وشربت من غير مشربها بالأمس ؟

فقال : ما رعت في غير مرعاها بالأمس ، ولا شربت من غير مشربها بالأمس .

فقال : ما بال حلابها على النصف ؟! فقال : **أرى الملك همَّ بأخذها فنقص لبنها ؛ فإن الملك إذا ظلم ، أو همَّ بالظلم . . ذهبت البركة** .

قال : وأنت من أين يعرفك الملك ؟ قال : هو كما قلتُ لك .

فعاهد الملك ربه ألا يظلم ولا يأخذ البقرة ، فغدت فرعت ، ثم راحت فحلبت ؛ فإذا لبنها قد عاد علىٰ مقدار ثلاثين بقرة ، فاعتبر الملك وقال في نفسه : **أرى الملك إذا ظلم أو هَمَّ بالظلم . . ذهبت البركة** ، لا جرم لأعدلن[2] ، فلأكونن علىٰ أفضل العدل[3] .

---

(١) البيتان منسوبان إلى الإمام علي رضي الله عنه في « ديوانه » الموسوم بـ« أنوار العقول لوصي الرسول » (ص٢٢٩) .

(٢) قوله : (**لا جرم**) هي كلمة ترد بمعنىٰ تحقيق الشيء ، كما في « النهاية » . **اهـ مؤلف** .

(٣) أخرج البيهقي القصة في « الشعب » (٧٠٧١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقال في =

[النهي عن خذلان المؤمن]

(**ولا يَخْذُله**) بفتح المثناة التحتية وسكون الخاء وضم الذال المعجمتين ؛ أي : لا يترك نصرته ولا نصيحته ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « **انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً** » قيل : كيف أنصره ظالماً ؟! قال : « تحجزه ـ أي : تمنعه ـ عن الظلم ؛ فإن ذلك نصره »[1] .

وورد مرفوعاً : « **ما من امرئٍ يخذل امرأً مسلماً في موطنٍ ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته . . إلا خذله الله تعالىٰ في موطنٍ يحب فيه نصرته** »[2] .

وورد أيضاً : « **مَنْ أُذِلَّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر علىٰ أن ينصره . .** أذلَّه الله علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة »[3] .

وفي الحديث : « قال الله تعالىٰ : **وعزتي وجلالي ؛ لأنتقمنَّ من الظالم في عاجله وآجله** ، ولأنتقمنَّ ممن رأىٰ مظلوماً يقدر علىٰ أن ينصره فلم يفعل »[4] .

وفي الحديث أيضاً : « **أمر الله بعبدٍ من عباده أن يضرب في قبره مئة جلدة** ، فلم يزل يسأل الله تعالىٰ ويدعوه حتىٰ صارت جلدةً واحدة ، فامتلأ عليه قبره ناراً ، فلما ارتفع عنه وأفاق . . قال : **علام جلدتموني** ؟ قالوا : إنك صلَّيت صلاة بغير طهور ، **ومررت علىٰ مظلوم فلم تنصره** »[5] .

= « حسن السلوك » (ص٦٦) : (قال وهب بن منبه : **إذا هم الوالي بالجور أو عمل به** . . أدخل الله النقص في أهل مملكته في الأسواق والزروع والضروع وكل شيء ، **وإذا همَّ بالخير والعدل أو عمل به** . . أدخل الله البركة في أهل مملكته) .

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو داوود (٤٨٨٤) ، وأحمد في « مسنده » (٤/ ٣٠) عن سيدنا جابر وأبي طلحة رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/ ٤٨٧) عن سيدنا سهل بن حنيف رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٠/ ٢٧٨) ، و« الأوسط » (٣٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢/ ٣٣٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

[النهي عن الكذب]

(**ولا يَكذِبه**) بفتح الياء المثناة من تحت وتخفيف الذال المعجمة المكسورة ، وضبطه المصنف بضم فسكون[1] ، والأول أشهر ؛ أي : لا يخبره بأمر علىٰ خلاف الواقع ؛ لأنه غِشٌّ وخيانة ، وقد جاء في الحديث : « **إذا كذب العبد.. تباعد المَلَك عنه ميلاً ؛ من نتن ما جاء به** »[2] .

وورد : (أن أعرابياً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أريد أن أسلم ولٰكن أحب الزنا والخمر والسرقة والكذب ، ولا أستطيع ترك الجميع ، فَأْمرني بترك خصلة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **دع الكذب** » فصار كلما همَّ بزناً أو سرقةٍ أو غيرهما.. قال : كيف أصنع إن سألني النبي صلى الله عليه وسلم ؛ **فإن صدقته.. حدَّني** ، **وإن كذبته.. فقد خنت عهده علىٰ ترك الكذب**)[3] فكان تركه سبباً لترك الفواحش كلِّها .

وما ألطف قول بعضهم[4] : [من الكامل]

الصِّدْقُ في أقوالِنا أَقْوَىٰ لنا ... والكِذْبُ في أفعالِنا أَفْعَىٰ لنا
وهمُ يقولون همُ أشياخُنا ... فما لهم قد يفعلوا أَشْيَا خَنَا[5]

واعلم : أن لفظة (ولا يكذبه) ليست في كثير من نسخ المتن ولا في « مسلم » ، فلعلها وقعت في غير روايته ؛ كذا قاله العلامة السحيمي[6] .

---

(١) بل ضبطه المصنف : بفتح الياء وإسكان الكاف ؛ كما في (باب الإشارات) آخر « الأربعين » (ص٥٨٢) من هٰذا الكتاب .

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٧٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أورده المبرد في « الكامل » (٢/٧٤٨) ، والجاحظ في « المحاسن والأضداد » (ص٢٩) ، وانظر « الفتوحات الوهبية » (ص٢٦٥) .

(٤) البيتان في « الفتوحات الوهبية » (ص٢٦٥) .

(٥) قوله : (**أفعىٰ**) أي : كالأفعىٰ ، وهو ضرب من الحيات ، وقوله : (**أشيا خنا**) أي : أشياء فاحشة . **اهـ مؤلف** .

(٦) هي رواية الإمام الترمذي (١٩٢٧) ؛ **ولفظه** : « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه =

فَائِدَة

[في أحكام الكذب]

ذكر بعضهم : **أن الكذب خمسة أقسام** :

واجب ؛ لإنقاذ مال مسلم أو نفسه .

وحرام ؛ وهو الكذب لغير منفعة شرعية .

ومندوب ؛ وهو الكذب للكفار : إن المسلمين أخذوا في أهبة الحرب ، إذا قصد بذلك إرهابهم .

ومكروه ؛ وهو الكذب للزوجة تطييباً لنفسها .

ومباح ؛ وهو الكذب للإصلاح بين الناس[١] .

وينبغي لمن اضطر إلى الكذب أن يعدل إلى المعاريض ما أمكن ؛ حتىٰ لا يُعَوِّد نفسه على الكذب ، وقد ورد في الخبر : « **إن في المعاريض لمندوحةً** ـ أي : غُنْيَةً ـ **عن الكذب** »[٢] **والمعاريض** : جمع معراض ، **والمراد به** : اللفظ المحتمل لمعنىً بعيد فيراد ، ويترك القريب .

ومن ذلك : ما جاء : أن أبا بكر رضي الله تعالىٰ عنه كان خلف النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر معه ، فتلقَّاه ناسٌ يعرفونه ولا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : من هـٰذا ؟ فقال : (**يهديني السبيل**)[٣] فظنوا أنه يعني هداية الطريق ، وهو يريد سبيل الخير .

وحكي : أن الحجاج قال لبعض الصحابة : (ما تقول فيَّ ؟ فقال له : أنت

= ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ؛ عرضه وماله ودمه ، التقوىٰ هـٰهنا ، بحسب امرىءٍ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم » .

(١) عزاه في « الفتوحات الوهبية » (ص٢٦٥) للتادلي .

(٢) أخرجه البيهقي في « الكبرىٰ » (١٠/١٩٩) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما مرفوعاً وموقوفاً .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٢٤٧٢ ، ٣٧٧٨٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

القاسط العادل ، فقال الحاضرون : قد أثنىٰ عليك !! فقال : لا ؛ إنما **أراد بالقاسط** : الجائر ، **وبالعادل** : العادل عن الحق)[1] .

وعلَّم بعض الصالحين خادمه أن يقول لمن سأل عنه : (ما هو هون) ويريد الهون المعروف[2] ، وقصده بذلك الهروب من الناس .

(**ولا يَحْقِره**) بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وكسر القاف ؛ أي : لا يستصغر شأنه ، وينظر إليه بعين الاحتقار ؛ لأنه ربما كان عند الله تعالىٰ خيراً منه وأفضل ، وقد قال المشايخ : **من نظر إلىٰ أخيه بعين احتقار . . عوقب بالذل**[3] .

وقال الغزالي رحمه الله تعالىٰ : (**لا تستصغر أحداً من الخلق حياً كان أو ميتاً . . فتهلك** ؛ لأنك لا تدري هل هو خيرٌ منك أم لا ؛ فإنه وإن كان فاسقاً ، فلعلك يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح !!)[4] .

وقال بعضهم : (لا تحتقر غيرك ؛ فإنه ربما صار عزيزاً وصرت ذليلاً ؛ فينتقم منك)[5] .

وقيل في هٰذا المعنىٰ[6] : [من المنسرح]

لا تُهينَ الفقيرَ علَّكَ أنْ تَرْكَعَ يوماً والدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

(**التقوىٰ**) أي : سببها الحامل عليها ؛ وهو خوف الله تعالىٰ (**هٰهنا**) يعني :

---

(١) أورده الزمخشري في « الكشاف » (٤/ ٦٣٠) ، والرازي في « تفسيره » (٣٠/ ١٦٠) عن سعيد بن جبير رحمه الله .

(٢) أورده المناوي في « فيض القدير » (٢/ ٤٧٢) ، وفيه : ويريد به الهاوون .

(٣) **الاحتقار ناشىء عن الكبر** ، أخرج مسلم (٩١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر** » قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنةً ؟ قال : « إن الله جميل يحب الجمال ، **الكبر بطر الحق وغمط الناس** » .

(٤) إحياء علوم الدين (٤/ ٢٠٨) .

(٥) انظر « الزواجر » (٢/ ١١) .

(٦) البيت للأضبط بن قريع كما في « الشعر والشعراء » لابن قتيبة (١/ ٣٨٣) .

في القلب الذي هو في الصدر ، **ويصح أن يراد بـ(التقوىٰ) هنا** : الإخلاص ، **والمعنىٰ** : الإخلاص محله القلب .

(**ويشير**) أي : النبي صلى الله عليه وسلم (**إلىٰ صدره ثلاث مرات**) وفي نسخة : (ثلاث مِرار) بكسر الميم ، وهـٰذه الجملة من كلام أبي هريرة الراوي ، وعدل عما يقتضيه الظاهر من الإتيان بالماضي إلى الإتيان بالمضارع ؛ إشارة لاستحضار تلك الحالة ، وكانت الإشارة إلى الصدر ؛ لأنه محل القلب(1) .

(**بحسْب امرىء**) الباء زائدة ، و(حسْب) بسكون السين مبتدأ بمعنىٰ : كافي ، وقوله (**من الشر**) أي : من خصاله ، وقوله : (**أن يحقر**) في تأويل مصدر خبر المبتدأ ، **والمعنىٰ** : يكفي المرء من خصال الشر ورذائل الأخلاق احتقاره (**أخاه المسلم**) لأنه ذنبٌ عظيم .

وقد جاء : أن إبليس احتقر آدم فباء بالخسران الأبدي ، وفاز آدم بالعز الأبدي ، وشتان ما بينهما ، وما أحسن ما قيل : [من مخلع البسيط]

مَـنْ عَظَّـمَ النـاسَ عَظَّمُـوهُ ... وفـازَ بـالفَضْـلِ والـرِّئـاسَـةْ

ومُـزْدَرِيهِـم لـو كـانَ مِسْكـاً ... لَقِيـلَ فـي أَصْلِـهِ نَجـاسَـةْ

(**كل المسلم**) مبتدأ ، وقوله : (**على المسلم**) متعلق بقوله : (**حرام**) وهو الخبر ، وقوله : (**دمه**) بدل من المبتدأ ؛ بدل بعض من كل ، وهو وما بعده علىٰ حذف مضاف ؛ أي : سفك دمه (**وماله**) أي : أخذه (**وعرضه**) أي : هتكه وذمه ، والوقوع فيه بالغيبة ونحوها .

---

(1) قوله : (**محل القلب**) أي : محل مادة التقوىٰ من الخوف الحامل عليها القلب ، **ومن ثم** : قال صلى الله عليه وسلم : « **إن الله لا ينظر إلىٰ أجسامكم ولا إلىٰ صوركم ، ولـٰكن ينظر إلىٰ قلوبكم** » أخرجه مسلم (٢٥٦٤/٣) أي : إن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوىٰ ، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالىٰ وخشيته ومراقبته ، **فمن ثم** : كان نظر الله بمعنىٰ مجازاته ومحاسبته علىٰ ما في القلب من خير وشر ؛ إذ الاعتبار في هـٰذا كلِّه بالقلب ، أخرج البخاري (٣٣٨٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل : **من أكرم الناس** ؟ فقال : « **أتقاهم لله عز وجل** » فرب حقير ـ في أعين الناس ـ أعظم قدراً عند الله عز وجل من عظماء الدنيا . انظر « الفتح المبين » (٥٦١) .

وقد ورد : أنه صلى الله عليه وسلم لما أُسري به . . مرَّ بقوم لهم أظفارٌ من نحاسٍ يخمشون ـ بضم الميم ؛ أي : يخدشون ويجرحون ـ بها وجوههم وصدورهم ، فقال : « من هٰؤلاء يا جبريل ؟ قال : **هٰؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم** »[1] .

وقال بعضهم : (أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ، ولٰكن في الكف عن أعراض الناس)[2] .

وروي : أن امرأة قصيرة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما خرجت . . قالت عائشة رضي الله تعالىٰ عنها : ما أفصح كلامها لولا أنها قصيرة !! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اغتبتيها يا عائشة » قالت : ما قلت إلا ما فيها ، فقال : « ذكرتِ أقبح ما فيها » ثم قال : « **من كف لسانه عن أعراض المسلمين . . أقال الله عثرته يوم القيامة** ، ومن ذب عن أخيه . . فحقيقٌ على الله تعالىٰ أن يعتقه من النار »[3] .

ثم إن قوله : « كل المسلم على المسلم . . . » إلخ هو المقصود الأعلىٰ من الحديث ، وما سبق كالتمهيد له ، وهو حديث عظيم الفوائد ، ومن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم (**رواه مسلم**) رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به .

* * *

---

(١) أخرجه أبو داوود (٤٨٧٨) ، وأحمد في « مسنده » (٣/ ٢٢٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (١٩٢) ، وأورده في « إحياء علوم الدين » (٥/ ٥٠٨) .

(٣) أورده هٰكذا في « المجالس السنية » (ص١٠٧) ، وقوله : « من كف لسانه عن أعراض المسلمين . . أقال الله عثرته يوم القيامة » أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٤٥٥) . وأخرج أبو داوود (٤٨٧٥) ، والترمذي (٢٥٠٢) ، وأحمد في « مسنده » (٦/ ١٨٩) عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : حسبك من صفية كذا وكذا ـ قال مسدد : تعني : قصيرة ـ فقال : « لقد قلتِ كلمةً لو مُزجت بماء البحر . . لمزجته » .

الحديث السّادس والثّلاثون

[قضاءُ حوائجِ المسلمين ، وفضلُ طلبِ العلم]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ ٱلدُّنْيَا . . نَفَّسَ ٱللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ . . يَسَّرَ ٱللهُ عَلَيْهِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً . . سَتَرَهُ ٱللهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ ، وَٱللهُ فِي عَوْنِ ٱلْعَبْدِ مَا كَانَ ٱلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً . . سَهَّلَ ٱللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَمَا ٱجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ ٱللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ ٱللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ ٱلرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ ٱللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ . . لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِهَـٰذَا ٱللَّفْظِ[1] .

[جزاء من نفَّس كربة عن مسلم]

(عن أبي هريرة) وتقدم الكلام عليه[2] (رضي الله) تعالىٰ (عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من نفَّس) بتشديد الفاء ؛ أي : فرَّج وكشف ، وأزال بنفسه أو ماله أو جاهه أو دعائه (عن مؤمنٍ كربةً) أي : شدةً ومصيبةً (من كُرَب الدنيا) أي : شدائدها ومصائبها . . (نفَّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة) أي : منعها عنه ، وحفظه منها ؛ مجازاة ومكافأة له علىٰ فعله بجنسه .

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٩٩) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ١٨٩) في الحديث التاسع .

وورد مرفوعاً : « من أجرى الله علىٰ يديه فَرَجاً لمسلم . . فرَّج الله عنه كُرَب الدنيا والآخرة »[1] .

وورد أيضاً : « من فرَّج عن مسلم كُربة . . جعل الله تعالىٰ له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط ؛ يَسْتَضِيءُ بضوئهما عالَمٌ لا يحصيهم إلا رب العزة »[2] .

وفي الحديث : « من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة . . فلينفسْ عن معسرٍ ، أو يضع عنه »[3] .

وفيه أيضاً : « من أشبع جائعاً ، أو كسا عُرياناً ، أو آوىٰ مسافراً . . أعاذه الله من أهوال يوم القيامة »[4] .

وفيه أيضاً : « من قضىٰ لأخيه المسلم حاجةً في الدنيا . . قضى الله له سبعين حاجة من حوائج الآخرة ؛ أدناها : المغفرة »[5] .

فائدة

[في دعوات مستجابات]

أخرج البخاري في « الأدب » عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال : (من نَزَل به هَمٌّ ، أو غَمٌّ ، أو كرب ، أو خاف من سلطان فدعا بهٰؤلاء . . استجيب له : أسألك بلا إلـٰه إلا أنت رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، وأسألك بلا إلـٰه

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخه » (٦/ ١٧٢) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٢٧/ ٣٦٥) عن سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٤٥٠١) ، والخطيب في « تاريخه » (١٢/ ٥٢) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/ ٢٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٤١٦) .

(٣) أخرجه مسلم (١٥٦٣) عن سيدنا أبي قتادة رضي الله عنه .

(٤) أورده القرطبي في « التذكرة » (٢/ ٥٩٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٥) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١١/ ١٧٥) ، وابن الطيوري في « الطيوريات » (٥٨٨) بلفظ (اثنتين وسبعين) بدل (سبعين) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وأورده بلفظه في « المجالس السنية » (ص١٠٨) .

إلا أنت رب السماوات السبع ورب العرش الكريم ، وأسألك بلا إلـٰه إلا أنت رب السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن إنك علىٰ كل شيء قدير ، ثم يسأل الله حاجته)[1] .

[جزاء من يسَّر علىٰ معسر]

(ومن يسَّر علىٰ معسرٍ) وهو مَنْ ركبه الدَّين وتعسَّر عليه قضاؤه ، والتيسير عليه يكون بصدقةٍ ، أو قرضٍ ، أو إبراءٍ ، أو إنظارٍ إلىٰ ميسرة . . (يسَّر الله) تعالىٰ (عليه في الدنيا والآخرة) أي : سهَّل عليه أموره ومطالبه فيهما ؛ مجازاةً ومكافأة له بجنس عمله كما مرَّ .

وقد جاء في الحديث : « من أراد أن تستجاب دعوته وتَنكشف كُربته . . فليُفرِّج عن معسر »[2] .

وروي : « من أنظر معسراً أو وضع عنه . . أظلَّه الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظله »[3] ، وفي رواية : « وقاه الله من فيح جهنم »[4] أي : شدة غليانها وحَرِّها .

وورد : « لا يحل دَين رجل مسلم فيؤخره . . إلا كان له بكل يوم صدقة »[5] .

وروى الشيخان : « أن رجلاً كان يداين الناس ، وكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسراً . . فتجاوز عنه ؛ لعل الله أن يتجاوز عنا ، فلقي الله عز وجل ، فتجاوز عنه »[6] .

---

(١) الأدب المفرد (٧٠٩) .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٢/ ٢٣) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » (٨٢٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٠٦) عن سيدنا أبي اليَسَر رضي الله عنه ، والترمذي (١٣٠٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أحمد في « مسنده » (١/ ٣٢٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٤١٨) ، وأحمد في « مسنده » (٥/ ٣٦٠) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (٥/ ٣٥٧) عن سيدنا بريدة رضي الله عنه بألفاظ متقاربة ، وأخرجه أحمد في « مسنده » (٤/ ٤٤٢) ، والطبراني في « الكبير » (١٨/ ٢٤٠) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما نحوه .

(٦) أخرجه البخاري (٢٠٧٨ ، ٣٤٨٠) ، ومسلم (١٥٦٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وقيل : **إن المراد بـ(المعسر)** : ما هو أعم من المدين ؛ ليشمل كل من وقع في صعوبة أو شدة وتعسَّر عليه الخلاص منها ، وحينئذ فيدخل في التيسير : السعي في تخليص من حُبِسَ ظلماً ، والإفتاء لمن ضايقه أمر بما يخلِّصه منه ولو من غير مذهبه .

(**ومن ستر مسلماً**) أي : ستر عورته أو عيوبه وزلاَّته خصوصاً من ليس معروفاً بالفساد والشر . . (**ستره الله**) تعالىٰ (**في الدنيا والآخرة**) بألا يفضحه ، ولا يعاقبه علىٰ ما فرط منه .

وفي الحديث : « **من كسا مسلماً عارياً . . كساه الله من خُضْر الجنة** »[1] أي : من ثيابها الخضر .

وفيه أيضاً : « لا يرى امرؤٌ من أخيه عورةً فيسترها عليه . . إلا دخل الجنة »[2] .

وورد : « **من ستر عورة أخيه المسلم . . ستر الله عورته يوم القيامة** ، ومن كشف عورة أخيه المسلم . . كشف الله عورته حتىٰ يفضحه بها في بيته »[3] .

[بشارة لمن ستر مسلمة]

وحكي : أن رجلاً نام ليلة ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ، فقال له : يا فلان ؛ قم من منامك فسافر إلىٰ بلدة كذا ، فاسأل بها عن فلان المعداوي ، **فأقرئه مني السلام** ، وقل له : « **أنت رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة** » .

---

(١) أخرجه أبو داوود (١٦٨٢) ، والترمذي (٢٤٤٩) ، وأحمد (٣/ ١٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٨٨٦) ، والطبراني في « الأوسط » (١٥٠٣ ، ٩٤٣٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١٧/ ٢٨٨) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

فلما استيقظ من منامه . . سافر إليه ، فوجده لم يعمل خيراً في نهاره ، فأعلمه بذلك ، وسأله عن عمله .

فقال له : **تزوجتُ امرأة** ، **فلما دخلت بها** . . **ولدت عندي ولداً من أول ليلة** ، **فسترت عليها** ، **ولم أفضحها** ، وأخذت الولد ، وجئت به للجامع ، وجلست أنتظر الناس ، فلما حضروا لصلاة الصبح . . تسارعوا إلىٰ أخذ الولد ، فحلفت بالطلاق ما يأخذه إلا أنا ، فأخذته ورددته إلىٰ أمه ، فربَّته وسترت عليها[1] .

(**والله في عون العبد**) الواو للاستئناف ، و(في) زائدة في الخبر ، و(عون) بمعنىٰ : معين ، والإضافة بمعنى اللام ، **والمعنىٰ** : والله معينٌ للعبد ؛ أي : إعانة كاملة ، وذلك بأن يؤيده وييسر عليه قضاء حوائجه (**ما كان العبد**) وفي نسخة : (ما دام العبد) أي : مدةَ كونه ، أو مدة دوامه (**في عون أخيه**) أي : في الدين ، والإعانة تكون بالقلب أو البدن ، أو المال أو الجاه ، قال بعضهم[2] : [من الكامل]

فُرِضَتْ عليَّ زكاةُ ما ملكتْ يَدِي وزكـاةُ جـاهـي أَنْ أُعيـنَ وأَشْفَعـا

وفي الحديث : « **من سعىٰ في حاجة أخيه المسلم قُضِيتْ له أو لم تُقْضَ . . غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر** ، **وكتب له براءتان** : براءة من النار ، وبراءة من النفاق »[3] .

[قضاء حاجة مسلم خير من حجة]

وحكي : أن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ بعث جماعةً من أصحابه في حاجةٍ لرجل ، وقال لهم : (**مرُّوا بثابت البُناني فخذوه معكم**) ، فأتوا ثابتاً فقال : (أنا معتكف) .

---

(١) أوردها في « المجالس السنية » (ص١٠٩) .

(٢) البيت للحسن بن سهل رحمه الله في قصة له أخرجها الخطيب في « تاريخه » (٧/ ٣٣٢ـ ٣٣٣) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٣٨/ ١٤٣) .

(٣) أورده ابن حجر في « فتح الباري » (١٠/ ٤٥١) ، والأبشيهي في « المستطرف » (١/ ٢٥٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو في « الفتوحات الوهبية » (ص٢٧١) .

فرجعوا إلى الحسن فأخبروه ، فقال : قولوا له : (**يا أعمش ؛ أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خيرٌ لك من حجة بعد حجة ؟!**) فرجعوا إلىٰ ثابت فأخبروه ، فترك اعتكافه وذهب معهم[1] .

وروي عن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما مرفوعاً : « **أحب الناس إلى الله** : أنفعهم للناس ، **وأحب الأعمال إلى الله عز وجل** : سرور تُدخله علىٰ كل مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة . . أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هـٰذا المسجد شهراً ، ومن كفَّ غضبه . . ستر الله عورته ، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لمضّاه . . ملأ الله قلبَه رضاً يوم القيامة ، ومن مشىٰ مع أخيه المسلم في حاجة حتىٰ يثبتها له . . أثبت الله تعالىٰ قدمه يوم تزل الأقدام ؛ وإن سوء الخُلُق ليُفسد العمل كما يُفسد الخل العسل »[2] .

[قصة سيدنا عمر مع العجوز المقعدة]

وحكي : أن سيدنا عمر رضي الله تعالىٰ عنه **كان يتعاهد الأرامل** ، **فيستقي لهن الماء بالليل** ، ورآه طلحة داخلاً بيتَ امرأةٍ ليلاً ، فدخل عليها نهاراً ؛ فإذا هي عجوز عمياء مقعدة ـ أي : مُكسحة ـ فقال لها : (**ما يصنع هـٰذا الرجل عندكِ ؟**) .

قالت له : منذ كذا وكذا يتعاهدني بما يصلح شأني ، ويُخرج الأذىٰ عنِّي ، ويقمُّ لي بيتي[3] ؛ أي : يكنسه .

وروي عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « **إذا أراد الله بعبد خيراً . . صيَّر**

---

(١) أخرجها ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » (١٠٣) .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في « التوبيخ والتنبيه » (٩٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٤٨/٦) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٢٩٣/٤١) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » (٣٦) عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) أخرجها أبو نعيم في « الحلية » (٤٨/١) عن الأوزاعي رحمه الله تعالىٰ ، **وتتمة القصة** : فقال طلحة رضي الله عنه : (**ثكلتك أمك يا طلحة ؛ أعثرات عمر تتبع ؟!**) .

حوائج الناس إليه »[1] أي : جعله ملجأً لحاجاتهم الدنيوية والأخروية ، ووفَّقه للقيام بها ، وكساه ثوب المهابة والقَبول ، وسدَّده فيما يفعل ويقول .

[فضل التعليم والتعلم]

(ومن سلك) أي : دخل (طريقاً) حِسيّاً كان أو معنوياً ؛ كالجلوس للتدريس أو التأليف ؛ يعني : من تسبَّب بأيِّ سببٍ كان (يلتمس) أي : يطلب ويحصل (فيه) أي : الطريق ؛ أي : في غايته أو بسببه (علماً) أي : شرعياً ؛ بتعلُّمٍ أو تعليمٍ أو تصنيف . . (سهل الله) تعالىٰ (له به) أي : بذلك السلوك المفهوم من (سلك) (طريقاً إلى الجنة) أي : أرشده إلىٰ سبيل الهداية والطاعة الموصلَين إلى الجنة ، أو أنه يجازيه علىٰ فعله بتسهيل دخول الجنة بحيث لا يحصل له مشقة من مشاقِّ يوم القيامة .

زاد في رواية : « ولَعالِمٌ واحدٌ أشد على الشيطان من ألف عابد »[2] ، « ولو أن عابداً مات في الإسلام . . ما نقص من الإسلام إلا شخصه ، ولو أن عالماً مات . . لفقدته عامة الناس ، وما نقص عالم من الأرض . . إلا ثُلم في الإسلام ثلمة لا يسدها أحد ما اختلف الليل والنهار »[3] .

« ألا وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم ؛ رضاً بما يصنع »[4] ، « ولمداد جرت به أقلام العلماء . . أفضل عند الله من دم الشهداء »[5] ، « وليودن رجال قتلوا

---

(١) أخرجه الديلمي كما في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٩٣٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨١) ، وابن ماجه (٢٢٢) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بلفظ : (فقيه) بدل (عالم) .

(٣) أخرج البزار في « مسنده » (١٨/ ١٨٥) عن السيدة عائشة رضي الله عنها نحوه ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ٩٨ـ ٩٩) .

(٤) أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (١٣١٩) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ١٠٠) عن سيدنا صفوان بن عسال رضي الله عنه .

(٥) أخرج أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/ ١٧٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة . . يوزن مداد العلماء ودم الشهداء ، فيرجح =

في سبيل الله أن يبعثهم الله يوم القيامة علماء ؛ لما يرون من فَضْل أهل العلم »[1] .

فمن أصاب علماً . . فقد أصاب خير الدنيا والآخرة ، ومن آذى العلماء . . فقد بارز الله تعالىٰ بالمحاربة .

وروىٰ أنس بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحب أن ينظر إلىٰ عتقاء الله من النار . . فلينظر إلى المتعلمين ، فوالذي نفس محمد بيده ؛ ما من متعلم يختلف إلىٰ باب عالم . . إلا كتب الله له بكل قدمٍ عبادة سنة ، وبنىٰ له بكل قدم مدينة في الجنة ، ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له ، ويمسي ويصبح مغفوراً له »[2] .

وقال الشافعي رحمه الله تعالىٰ : (من لا يحب العلم . . لا خير فيه ، فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة ؛ فإنه حياة القلوب ومصباح البصائر)[3] .

ولله در القائل[4] : [من الوافر]

وجدتُ العِلْمَ مِنْ هاتِيكَ أَسْنىٰ[5] ... وكلُّ فضيلةٍ فيها سَناءٌ

فإنَّ العِلْمَ كَنْزٌ ليسَ يَفْنىٰ ... فلا تَعْتَدَّ غيرَ العِلْمِ ذُخْراً

[فضيلة الاجتماع علىٰ طاعة الله]

(وما اجتمع قوم) أي : جماعةٌ (في بيتٍ من بيوت الله) تعالىٰ ؛ أي : مما بُني

= مداد العلماء علىٰ دم الشهداء » ، وأورده ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (٢/ ٢٠٩) بلفظ الشارح .

(١) أورده الإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٣١) ، وابن قيم الجوزية في « مفتاح دار السعادة » (١/ ١٧٤) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو الليث السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (٦٦٧) بسنده عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١٤٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٤٠٧-٤٠٨) .

(٤) البيتان في « المجالس السنية » (ص١١٠) .

(٥) قوله : (سناء) أي : رفعة . اهـ مؤلف .

لثوابه ورضاه ؛ كمسجد ومدرسة ورباط ، وألحق بها غيرها ، وأُوثرت بالذكر لشرفها .

(**يتلون كتاب الله**) أي : يقرؤونه (**ويتدارسونه بينهم**) أي : يتعهَّدونه ؛ فقد قالوا : إن الدراسة في الأصل : التعهد للشيء ؛ وذلك شاملٌ لجميع ما يتعلق بالقرآن ؛ من التعلم والتعليم والتفسير ، وتدارس بعضهم علىٰ بعض .

قال المصنف في « التبيان » : (وقراءة المدارسة جائزةٌ حسنة ؛ وهي أن يجتمع جماعةٌ يقرأ بعضُهم عشراً أو جزءاً أو غير ذلك ثم يسكت ، ويقرأ الآخر من حيث انتهى الأول ، ثم يقرأ الآخر . . وهٰكذا)[1] .

(**إلا نزلت عليهم السكينة**) أي : الطمأنينة والوقار ؛ أي : يخلق الله تعالىٰ ذلك فيهم : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ **والمراد بها** : طمأنينة الإيمان المفضي إلىٰ رضوان الله تعالىٰ .

(**وغشيتهم الرحمة**) أي : غطَّتهم وعمَّتهم من كل جهة ؛ بحيث أنها استوعبت كل ذنبٍ تقدَّم منهم .

(**وحفَّتهم الملائكة**) أي : أحاطت بهم ملائكة الرحمة ، وطافت حولهم ؛ لاستماع كتاب الله تعالىٰ ، والتبرك به ، وتعظيماً للتالين ، ومنعاً للشيطان أن يصل إليهم .

(**وذكرهم الله فيمن عنده**) أي : أثنىٰ عليهم في المقربين عنده من الملائكة ، وأرواح الأنبياء ، والشهداء والصالحين ؛ مباهاةً بهم ، وإظهاراً لحالهم ، **فالعندية** : عندية مكانة ؛ أي : شرف ، لا عندية مكان ؛ لاستحالتها عليه سبحانه وتعالىٰ .

ويؤخذ من هٰذا الحديث : ندب الاجتماع لتلاوة القرآن في المسجد ؛ لٰكن بشرط ألا يجهر فيشوش علىٰ مَنْ بالمسجد ، وإلا . . كره ؛ للنهي عنه ، فقد روي :

---

(١) التبيان (ص١٢٢) .

أن النبي صلى الله عليه وسلم سمعهم يجهرون بالقراءة في المسجد فقال : « **ألا إن كلكم مناجي ربّه ، فلا يؤذِ بعضكم بعضاً ، ولا يرفع بعضكم علىٰ بعض** »[1] .

[خفض الصوت في قراءة الليل]

وحكي عن سعيد بن المسيب رضي الله تعالىٰ عنه : أنه سمع ذات ليلةٍ في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالىٰ عنه **يجهر بالقراءة في صلاته** ، وكان حسنَ الصوت ، فقال لغلامه : (**اذهب إلىٰ هـٰذا المصلي فمُرْهُ أن يخفض صوته**) .

فقال له الغلام : إن المسجد ليس لنا ، وللرجل فيه نصيب !! فرفع سعيد صوته وقال : (**يا أيها المصلي ؛ إن كنتَ تريد الله بصلاتك** . . **فاخفض** ، وإن كنت تريد الناس . . فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً) .

فسكت عمر رضي الله تعالىٰ عنه ، وخفَّف ركعته ، فلما سلَّم . . أخذ نعليه وانصرف ، **وهو يومئذ أمير المدينة**[2] .

[عدم نفع النسب مع سوء العمل]

(**ومن بطَّأ**) بتشديد الطاء المهملة ؛ أي : قصَّر (**به عمله**) أي : القليل ، أو

---

(١) أخرجه أبو داوود (١٣٣٢) ، وأحمد في « مسنده » (٣/ ٩٤) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (١١٦٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) ذكرها الزمخشري في « ربيع الأبرار » (٣/ ٢٤٧) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٢٨٤). **وحكي عن بعض الصالحين** : أنه قال : كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي على الطريق أقرأ سورة (طه) ، فلما ختمتها . . غفوت غفوةً فرأيت شخصاً نزل من السماء بيده صحيفة ، فنشرها بين يدي ، فإذا فيها سورة (طه) ، وإذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة إلا كلمة واحدة ؛ فإنني رأيت مكانها محواً ولم أرَ تحتها شيئاً !! فقلت : والله ؛ لقد قرأت هـٰذه الكلمة ، ولا أرىٰ ثواباً ؛ ولا أراها أُثبتت ؟! فقال الشخص : صدقتَ ؛ قد قرأتها وكتبناها إلا أنَّا قد سمعنا منادياً ينادي من قبل العرش : امحوها وأسقطوا ثوابها ، فمحوناها . قال : فبكيت في منامي ، وقلت : **لِمَ فعلتم ذلك** ؟! فقال : **مرَّ رجل فرفعت بها صوتك لأجله** ، **فذهب ثوابها** . انظر « وأنيبوا إلىٰ ربكم » (ص١٤٤) للشيخ أبي اليسر عابدين رحمه الله .

غير الكامل ، أو السيء ، فأخَّره عن رتبة أهل الكمال . . (**لم يسرع به نسبه**) أي : لم ينفعه شرف نسبه ، ولم ينجبر نقصه به ، فلا يُلحقه بُرتَبِ أصحاب الأعمال الكاملة ؛ لأن الإسراعَ إلى السعادة إنما هو بالأعمال الصالحة لا بالأنساب ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ ، وقال نبيه عليه الصلاة والسلام : « ائتوني يوم القيامة بأعمالكم لا بأنسابكم ؛ فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً »[1] .

وقال الغزالي رحمه الله تعالىٰ : (**من ظن أنه ينجو بتقوىٰ أبيه . . كان كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ، ويروىٰ بشربه**)[2] .

ثم ما تقرر من عدم نفع النسب : إنما هو قبل دخول الجنة ، أما بعده . . فينفع ؛ لما ورد في الحديث : « إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه ؛ لتقرَّ بهم عينه »[3] .

ونقل عن النسفي أنه قال : (**كون النسب لا ينفع إنما هو في حق الكافر** ، أما المؤمن . . فقد استثناه الله تعالىٰ فقال : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ أي : خالٍ عن الشرك ، وقال : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾[4]) .

وقيل : **إن شرف النسب الذي لا ينفع** : هو ما كان من جهة الدنيا ، وحينئذ فلا

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (ص٢٦٥) مطولاً عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، **وأصله في « الصحيحين »** ، أخرج البخاري (٤٧٧٠) ، ومسلم (٢٠٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قال : « يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف ؛ لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب ؛ لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ؛ سليني ما شئتِ من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً » .

(٢) إحياء علوم الدين (٦/ ٦٢٦) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٣٠٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) قوله : ﴿ زُلْفَىٰٓ ﴾ أي : منزلة . **اهـ مؤلف** .

ينافي ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « وعدني ربي في أهل بيتي مَنْ أقرَّ منهم بالتوحيد وَلِي بالبلاغ ألاَّ يعذبهم »[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **والذي بعثني بالحق نبياً ؛ لو أخذت بحلقة الجنة . . ما بدأت إلا بكم** »[2] .

وجاء في أحاديث : « **أن فاطمة** ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ **أحصنت فرجها ، فحرَّمها الله وذريتها على النار** »[3] .

وصح : أنه صلى الله عليه وسلم خطب فقال : « ما بال أقوام يقولون : إن رحم محمد رسول الله لا ينفع قومه يوم القيامة ؟! **بل إن رحمي ـ واللهِ ـ موصولةٌ في الدنيا والآخرة** »[4] .

ثم إن هٰذا الحديث موقعه عظيم ؛ لما فيه من البشارة والنذارة (**رواه مسلم بهٰذا اللفظ**) .

* * *

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ١٥٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد في « فضائل الصحابة » (١٠٥٨) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، وبنحوه أخرجه الخطيب في « تاريخه » (٩/ ٤٤٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، والطبراني في « الكبير » (١١/ ٥٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه البزار في « مسنده » (١٨٢٩) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ١٥٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٨٨) وغيرهم عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) أخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٩٨٧) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٧٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

الحديث السّابع والثّلاثون

[عظيمُ لطفِ اللهِ تعالىٰ بعباده وفضلِه عليهم]

عَنِ **ٱبْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَالَ : « إِنَّ ٱللهَ كَتَبَ ٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَٰلِكَ ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا .. كَتَبَهَا ٱللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا .. كَتَبَهَا ٱللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا .. كَتَبَهَا ٱللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا .. كَتَبَهَا ٱللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » **رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي** « **صَحِيحَيْهِمَا** » بِهَٰذِهِ ٱلْحُرُوفِ[1] .

فَٱنْظُرْ يَا أَخِي وَفَّقَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكَ إِلَىٰ عَظِيمِ لُطْفِ ٱللهِ ، وَتَأَمَّلْ هَٰذِهِ ٱلأَلْفَاظَ ، وَقَوْلُهُ : « **عِنْدَهُ** » إِشَارَةٌ إِلَى ٱلِاعْتِنَاءِ بِهَا ، وَقَوْلُهُ : « **كَامِلَةً** » لِلتَّأْكِيدِ وَلِشِدَّةِ ٱلِاعْتِنَاءِ بِهَا .

وَقَالَ فِي ٱلسَّيِّئَةِ ٱلَّتِي هَمَّ بِهَا ثُمَّ تَرَكَهَا : « **كَتَبَهَا ٱللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً** » فَأَكَّدَهَا بِـ(كَامِلَةً) ، وَإِنْ عَمِلَهَا .. كَتَبَهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، فَأَكَّدَ تَقْلِيلَهَا بِـ(وَاحِدَةً) وَلَمْ يُؤَكِّدْهَا بِـ(كَامِلَةً) فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ وَٱلْمِنَّةُ ، سُبْحَانَهُ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ ، وَبِٱللهِ ٱلتَّوْفِيقُ .

(**عن ابن عباس**) وتقدم الكلام عليه[2] (**رضي الله**) تعالىٰ (**عنهما**) أي : عنه وعن أبيه (**عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه**) أي : حالة كون

---

(١) صحيح البخاري (٦٤٩١) ، صحيح مسلم (١٣١) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ٢٩٣) في الحديث التاسع عشر .

هـٰذا الحديث مندرجاً في جملة الأحاديث التي يرويها عن ربه .

وظاهر هـٰذا : أنه من الأحاديث القدسية المنسوبة إلىٰ كلام الله عز وجل المقدس ؛ أي : المطهر ، ويحتمل أنه حديث نبوي ، ويكون قوله : (فيما يرويه عن ربه) **معناه** : فيما يحكيه عن فضل ربه (**تبارك**) أي : تعاظم وارتفع (**وتعالىٰ**) أي : تنزَّه عن كل ما لا يليق به .

[تقسيم الهم والعمل بالحسنات والسيئات]

(**قال**) أي : النبي صلى الله عليه وسلم ، وقوله : (**إن الله كتب الحسنات والسيئات**) يحتمل أن يكون من قول الله تعالىٰ ، **فيكون التقدير** : قال : قال الله تعالىٰ : إن الله . . . إلخ ؛ **وعليه** : فالحديث قدسي ، ويحتمل أنه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم يحكيه عن الله تعالىٰ ؛ **وعليه** : فليس الحديث قدسياً .

ومعنىٰ كونه كتب الحسنات والسيئات : أنه قدَّرها وأثبتها في سابق علمه ، أو أمر الحفظة بكتابتها في اللوح المحفوظ ، **والحسنات** : ما يُحمد فاعلها ، ويتعلق بها الثواب ، **والسيئات** : ما يُذَمُّ فاعلها ، ويستحق العقاب .

(**ثم بيَّن ذلك**)[1] أي : فصَّل الذي أجمله في قوله : « كتب الحسنات والسيئات » والضمير في (بيَّن) راجع إلى الله تعالىٰ إن كان الحديث قدسياً ، وإلى النبي صلى الله عليه وسلم إن كان نبوياً ، فتكون هـٰذه الجملة من كلام الراوي على الثاني ، ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم على الأول .

والبيان هو قوله : (**فمن همَّ بحسنة**) أي : أرادها وصمَّم علىٰ فعلها ، أو ترجح عنده الفعل (**فلم يعملها**) بفتح الميم ؛ أي : لم يأتِ بها لا بلسانه ولا بأركانه ،

---

(١) قوله : (**ثم بين**) أي : الله تعالىٰ ، وجعل الضمير له صلى الله عليه وسلم مبني علىٰ أن **المراد** : بـ(**عن ربه**) : عن حكمه أو فضله ، (**ذلك**) للكتبة من الملائكة حتىٰ عرفوه واستغنوا به عن أن يستفسروا فى كل وقتٍ كيف يكتبونه ؛ لأنه تعالىٰ شرع لهم ما يعملون بحسبه ، وبالغ في رحمة هـٰذه الأمة حيث أخلف عليها قصر أعمارها بتضعيف أعمالها . انظر « الفتح المبين » (ص٥٨٣) .

وهـٰذا شاملٌ لما إذا كان الترك لمانعٍ أو لا . . (**كتبها الله**) تعالىٰ (**عنده حسنةً كاملةً**) أي : لا نقص فيها[1] ، ولو مرَّ على الشخص أزمنةٌ متعددة وهو يحدِّث نفسه بعمل تلك الحسنة . . فإن الله تعالىٰ يكتب له حسنات بعدد تلك الأزمنة ، قاله الشبرخيتي[2] ، وفضلُ الله واسع[3] .

ومعنىٰ (**كتبها الله عنده**) : أمر الحفظة بكتابتها في الصحيفة التي يعلمها ، **فالعندية** : عندية شرف لا عندية مكان ؛ لأنه تعالىٰ منزه عن المكان والزمان .

وعلم من هـٰذا الحديث : أن من توضأ ثم ذهب إلى المسجد يريد الصلاة جماعة فوجد الناس قد صلوا . . أعطاه الله عز وجل مثل أجر مَنْ صلَّىٰ جماعة .

(**وإن هم بها فعمِلها**) بكسر الميم . . (**كتبها الله عنده عشر حسنات**) قال تعالىٰ : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ وهـٰذا أقل درجات التضعيف .

وقد تُضاعف مضاعفة أخرىٰ (**إلىٰ سبع مئة ضِعف**) بكسر الضاد المعجمة ؛ أي : مِثْلٍ (**إلىٰ أضعاف كثيرة**) بحسب خلوص النية ، وزيادة الإخلاص ، وحضور القلب ، وتعدي النفع ونحو ذلك ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ .

---

(١) قوله : (**حسنة**) لأن الهم بالحسنة سبب إلىٰ عملها ، وسبب الخير خير ، فالهم بها خير ، أخرج مسلم (١٢٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **قال الله عز وجل** : إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة . . فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل ، فإذا عملها . . فأنا أكتبها بعشر أمثالها ، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة . . فأنا أغفرها له ما لم يعملها ، فإذا عملها . . فأنا أكتبها له بمثلها » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **قالت الملائكة** : رب ؛ ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة ـ وهو أبصر به ـ فقال : ارقبوه ؛ فإن عملها . . فاكتبوها له بمثلها ، **وإن تركها** . . **فاكتبوها له حسنة** ؛ **إنما تركها من جرَّاي** » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها . . تكتب بعشر أمثالها إلىٰ سبع مئة ضعف ، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتىٰ يلقى الله » .

(٢) الفتوحات الوهبية (ص ٢٧٤) .

(٣) ذكر قوله : (**كاملة**) لئلا يظن أن كونها مجردَ همٍّ ينقص ثوابها ، فإذا أخرجها من الهم إلىٰ ديوان العمل . . كُتب له بالهم حسنة ، ثم ضوعفت فصارت عشراً ، **وهـٰذا التضعيف ملازم لكل حسنة** ؛ كما دل عليه قوله تعالىٰ : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ ثم ضوعفت لمن يشاء الله تعالىٰ مضاعفة أخرىٰ إلىٰ سبع مئة ضعف ؛ علىٰ حسب ما اقترن بها من إخلاص النية وإيقاعها في محالها التي هي بها أولىٰ وأحرى . انظر « الفتح المبين » (ص٥٨٤ـ٥٨٥) .

وقال تعالىٰ : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ .

[أنواع مضاعفة الحسنات]

ونقل عن المصنف أنه قال : (**التضعيف بعشرة** : لا بدَّ منه بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يخلفه ، **والتضعيف بسبع مئة فأكثر** : إنما يحصل لبعض الناس علىٰ حسب مشيئته)[1] .

وذكر بعضهم أن اختلاف المضاعفة يكون باختلاف الأعمال :

- **فنوع يضاعف بعشرة أمثاله** ؛ كـ(سبحان الله) لحديث يأتي .

- **ونوع يضاعف بخمسة عشر** ؛ كصوم يومين من الشهر ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاص : « صم يومين ، ولك ما بقي من الشهر »[2] .

- **ونوع يضاعف بعشرين**[3] .

- **ونوع بثلاثين** ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « من قال : سبحان الله . . فله عشر حسنات ، ومن قال : لا إلـٰه إلا الله . . فله عشرون حسنة ، ومن قال : الحمد لله . . كتب له ثلاثون حسنة »[4] .

- **ونوع يضاعف بخمسين** ؛ لخبر : « من قرأ القرآن بإعرابه . . فله بكل حرف خمسون حسنة »[5] **والمراد بإعرابه** : معرفة معاني ألفاظه ، وليس المراد به

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٢/١٧) .

(٢) أخرجه مسلم (١٩٢/١١٥٩) .

(٣) وهي لمن قال : (لا إلـٰه إلا الله) كما سيأتي في النوع الذي بعده .

(٤) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (١٠٦٠٨) ، وأحمد في « مسنده » (٣٠٢/٢) و(٣٥/٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما .

(٥) أورده هـٰكذا في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٧٤) ، وأخرجه تمام الرازي في « فوائده » (١٣٠٤) مطولاً عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنه ، وفيه : « ومن قرأ القرآن فأعربه . . فله بكل حرف أربعون حسنة . . . » ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٧٥٧٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، =

المصطلح عليه في النحو وهو ما يقابل اللحن ؛ لأن القراءة مع فقده ليست بقراءة ، فلا يثاب عليها[1] ، وورد : « من قرأ القرآن بوضوء.. فله بكل حرف خمسون حسنة »[2] .

- **ونوع يضاعف بخمس مئة** ؛ لحديث : « صلاة الرجل في بيته بصلاة ، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمس مئة صلاة »[3] .

- **ونوع يضاعف بسبع مئة ونوع بسبعة آلاف** ؛ لحديث : « من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته.. فله بكل درهم سبع مئة درهم ، ومن غزا بنفسه في سبيل الله.. فله بكل درهم سبعة آلاف درهم »[4] .

- **ونوع يضاعف بألف ألف** ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « من دخل السوق فقال بصوت مرتفع : لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير.. كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وبنىٰ له بيتاً في الجنة »[5] .

= ولفظه : « أعربوا القرآن ؛ فإنه من قرأ القرآن فأعربه.. فله بكل حرف عشر حسنات ، وكفارة عشر سيئات ، ورفع عشر درجات » .

(١) انظر « الإتقان » للسيوطي (١/ ٣٥٤) .

(٢) أورده في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٧٤) .

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٤١٣) ، والطبراني في « الأوسط » (٧٠٠٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٧٦١) عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم ، وفيه : « ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجه ذلك.. فله بكل درهم سبع مئة ألف درهم... » .

(٥) أخرجه الترمذي (٣٤٢٨ ، ٣٤٢٩) ، وابن ماجه في (٢٢٣٥) ، وأحمد في « مسنده » (١/ ٤٧) ، والطيالسي في « مسنده » (١٢) ، وعبد بن حميد في « مسنده » (٢٨) ، والدارمي في « مسنده » (٢٧٣٤) ، والبزار في « مسنده » (١٢٥) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٥٣٨) عن سيدنا عمر رضي الله عنه ، **وفي بعض طرقه** : قال الراوي : (فقدمت خراسان ، فأتيت قتيبة بن مسلم فقلت : **أتيتك بهدية** ، فحدثته بالحديث ، فكان قتيبة بن مسلم يركب في موكبه حتىٰ يأتي السوق ، فيقولها ثم ينصرف) .

وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم رضي الله تعالىٰ عنهم يدخلون السوق ؛ لنيل فضيلة هـٰذا الذكر .

وقيل لأبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه : أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله تعالىٰ ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة » ؟ فقال : سمعته يقول : « **إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة** »[1] .

وقد ورد : « من قال : لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له إلـٰهاً واحداً صمداً ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (إحدىٰ عشرة مرة) . . كتب الله له ألفي ألف حسنة ، ومن زاد . . زاده الله »[2] .

[من عظيم فضل الله مضاعفة الحسنة من شخص لآخر]

واعلم : أن من عظيم فضل الله تعالىٰ علىٰ عباده : المضاعفة بانتقال الحسنة من شخص إلىٰ شخص آخر ؛ كمن تصدق علىٰ فقير بدرهم ، فتصدق به الفقير علىٰ ثالث ، وهو علىٰ رابع ، وهو علىٰ خامس ، وهو علىٰ سادس ، فيحسب للخامس عشرة ، وللرابع مئة ، وللثالث ألف ، وللثاني عشرة آلاف ، وللأول مئة ألف ، فكل واحد يعطىٰ أجره وهو العشرة مضروباً في أجر الذي بعده .

ومن عظيم فضل الله تعالىٰ أيضاً : أنه إذا حاسب مَنْ له حسنات متفاوتة المقادير . . جازاه بأجر أرفعها ؛ فإذا وجد في صحيفته حسنة بألف ألف ؛ كأن قال

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٢/٢٩٦ ، ٥٢١) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٨٤٨) ، والطبري في « تفسيره » (٤/٥/١٢٣) ؛ **ولفظه** : عن أبي عثمان قال : بلغني عن أبي هريرة أنه قال : إن الله عز وجل يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألفِ حسنة ، قال : فقضي أني انطلقت حاجاً أو معتمراً ، فلقيته فقلت : بلغني عنك حديثٌ أنك تقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله عز وجل يعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة » ؟ قال أبو هريرة : **إن الله عز وجل يعطيه ألفي ألف حسنة** ، ثم تلا : ﴿ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ فقال : إذا قال : ﴿ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ . . **فمن يَقْدُر قدره** ؟!

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٧٣) ، وأحمد في « مسنده » (٤/١٠٣) ، والطبراني في « الكبير » (٢/٥٧) عن سيدنا تميم الداري رضي الله عنه بنحوه .

في السوق برفع صوته : لا إلـه إلا الله . . . إلىٰ آخر ما تقدم . . جوزي علىٰ سائر حسناته بحسبها ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

[ما يكتب عند الله عز وجل لمن همَّ بالسيئة]

(**وإن هم بسيئة فلم يعملها**) بل تركها . . (**كتبها الله عنده حسنةً كاملةً**) أي : لأن رجوعه عن هـٰذا الهم خيرٌ أيُّ خير ، فجُوزي في مقابلته بحسنة ، **والمراد بكمالها** : عظيم قدرها ، وهـٰذا إذا تركها خوفاً من الله تعالىٰ مع القدرة علىٰ فعلها ، وأما إذا تركها لتعطيل أسبابها . . فلا يكتب له ولا عليه شيء ، قاله الشرنوبي .

وذكر ابن حجر عن جماعة : (أن من سعىٰ في معصية ما أمكنه ثم حال بينه وبينها قَدَرٌ . . كُتبت عليه)[1] .

(**وإن هم بها فعملها . . كتبها الله سيئة واحدة**) كما قال عز وجل : ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾[2] .

وتقدم أن الصغائر لو فعلها إنسان . . تغفر باجتنابه الكبائر[3] ، وبفعله الحسنات ؛ من صلاة وصوم وصدقة وغير ذلك ، وأولىٰ بالتوبة ، وأما الكبائر . . فلا تغفر إلا بالتوبة .

---

(١) انظر « فتح الباري » (١١/ ٣٢٧) .

(٢) أخرج أحمد (٤/ ٣٤٥) عن سيدنا خُرَيم بن فاتك الأسدي رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **الناس أربعة والأعمال ستة** : فالناس موسَّعٌ عليه في الدنيا والآخرة ، وموسعٌ له في الدنيا مقتور عليه في الآخرة ، ومقتور عليه في الدنيا موسع عليه في الآخرة ، وشقي في الدنيا والآخرة ، **والأعمال موجبتان** ، ومثل بمثل ، وعشرة أضعاف ، وسبع مئة ضعف ، **فالموجبتان** : من مات مسلماً مؤمناً لا يشرك بالله شيئاً . . فوجبت له الجنة ، ومن مات كافراً . . وجبت له النار ، ومن هم بحسنة فلم يعملها فعلم الله أنه قد أشعرها قلبه وحرص عليها . . كُتبتْ له حسنة ، ومن هم بسيئة . . لم تكتب عليه ، **ومن عملها . . كتبت واحدة ولم تضاعف عليه** ، ومن عمل حسنة . . كانت له بعشرة أمثالها ، ومن أنفق نفقة في سبيل الله . . كانت له بسبع مئة ضعف » .

(٣) انظر ما تقدم (ص ٢٨٤) .

واختلف فيما يكتب على ابن آدم ؛ فقيل : ما فيه ثواب أو عقاب ، وقيل : كل شيء حتى الأنين في المرض ، وهو ظاهر قوله تعالىٰ : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ .

وهما وصفان لكلٍّ مِنْ مَلَكِ الحسنات والسيئات ، فمَلَك الحسنات يكتب الواجب والمندوب ، وملك السيئات يكتب الحرام والمكروه والمباح .

ثم إذا كان يوم الخميس . . عُرضت الأعمال على الله تعالىٰ ، فأقرَّ منها ما كان من خيرٍ أو شر ، وألقى الباقي ، وهـٰذا مما قيل في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾(1) .

وقيل : « إن العبد إذا فعل حسنةً . . بادر مَلَك اليمين إلىٰ كتبها ، وإذا فعل سيئةً . . قال مَلَك اليسار لمَلَك اليمين : أأكتب ؟ فيقول : لا ؛ لعله يستغفر أو يتوب ، فإذا مضىٰ ست ساعات فلكية من غير توبة . . قال له : اكتب ، أراحنا الله منه »(2) ، وتقدم التنبيه علىٰ ذلك .

---

(1) أخرج ابن أبي حاتم (١٨٦٣٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ قال : (يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتىٰ إنه ليكتب قوله : « أكلت ، شربت ، ذهبت ، جئت ، رأيت » حتىٰ إذا كان يوم الخميس . . عرض قوله وعمله ، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقىٰ سائره ؛ فذلك قوله : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾) .

(2) ذكره الثعلبي في « تفسيره » (٥/ ٢٧٤) مرفوعاً ، وأخرج الطبري بسنده في « تفسيره » (٢٠٢١٣) عن سيدنا عثمان رضي الله عنه : أنه دخل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟

قال : « ملك علىٰ يمينك علىٰ حسناتك ؛ وهو أمين على الذي على الشمال ، فإذا عملت حسنة . . كُتبت عشراً ، وإذا عملت سيئة . . قال الذي على الشمال للذي على اليمين : أكتب ؟ . . قال : لا ؛ لعله يستغفر الله ويتوب ، فإذا قال ثلاثاً . . قال : نعم ، اكتب أراحنا الله منه ، فبئس القرين ، ما أقل مراقبته لله ، وأقل استحياءه منا !! يقول الله : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ، وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، وملك قابض علىٰ ناصيتك ، فإذا تواضعتَ لله . . رفعك ، وإذا تجبرت على الله . . قصمك ، وملكان علىٰ شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة علىٰ محمد ، وملك قائم علىٰ فيك لا يدع الحية تدخل في فيك ، وملكان علىٰ عينيك ، فهـٰؤلاء عشرة أملاك علىٰ كل آدمي ، ينزلون ملائكة الليل علىٰ ملائكة النهار ـ لأن ملائكة الليل سوىٰ ملائكة النهار ـ فهـٰؤلاء عشرون ملكاً علىٰ كل آدمي ، وإبليس بالنهار ، وولده بالليل » .

وقول ملك اليمين للآخر : (**أراحنا الله منه**) دعاء عليه بالموت ؛ ليتحولا عن مشاهدة المعصية ؛ لأنهما يتأذيان بذلك .

ثم إن هـٰذا الحديث حديثٌ عظيمٌ دالٌّ علىٰ عظم فضل الله علىٰ خلقه ، ورأفته بهم (**رواه البخاري ومسلم في « صحيحيهما » بهـٰذه الحروف**) .

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ : (**فانظر**) أي : تأمَّل (**يا أخي**) أي : في الدِّين ، وهو نداء تعطُّفٍ وشفقة ؛ ليكون أدعىٰ للامتثال والقبول (**وفَّقنا الله وإياك**) أي : أقدرنا علىٰ طاعته ، ثم النون يحتمل أن تكون للجمع ، وأنه أَدرج معه مَنْ هو كنفسه من أحبابه وأصدقائه ، ويحتمل أن تكون للعظمة ، وأتىٰ بها لأنه يجوز للإنسان تعظيم نفسه إذا بلغ درجة التأليف ؛ فقد ورد : « ليس منا من لم يتعاظم بالعلم »[1] .

وبدأ بنفسه ؛ **لأنه يندب للإنسان أن يُقدِّم نفسه في الأمور الدينية** ، وقيل : إنه يقدم الدعاء للإخوان إيثاراً لهم ؛ وقد ورد في الحديث : « إن العبد إذا دعا لأخيه المسلم . . قال الله تعالىٰ : عبدي وبك أبداً »[2] فأي فضيلةٍ تُلْتَمس وراء هـٰذه ، وهي كونه مبدوءاً به في الإجابة ؟!

وقوله : (**إلىٰ عظيم لطف الله**) متعلق بـ(انظر) وإضافة (عظيم) لما بعده من إضافة الصفة للموصوف ؛ أي : إلىٰ لطف الله العظيم ، وفي نسخة : (إلىٰ عِظَم لطف الله) بكسر العين المهملة وفتح الظاء المعجمة ؛ أي : إلىٰ كثرة لطفه ، أي : رفقه وبره بعباده ؛ حيث إن مَن هَمَّ منهم بحسنة فلم يعملها . . يكتب له حسنة ، فإن عملها . . كتبت له عشراً أو أكثر ، ومَن هَمَّ بسيئة فلم يعملها . . لم يكتب عليه شيء ، فإن عملها . . كتبت واحدة فقط .

---

(١) أورده في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٧٦) .

(٢) ذكره المكي في « قوت القلوب » (٢/٢٢٨) ، والإمام الغزالي في « الإحياء » (٤/١٢١) هـٰكذا ، قال العراقي في « تخريج أحاديث الإحياء » (١٨٣٢) : (لم أجد هـٰذا اللفظ) ، وأصلهُ حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه عند مسلم في « صحيحه » (٢٧٣٢) : « **ما من عبدٍ مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب . . إلا قال المَلَك : ولك بمثلٍ** » .

(**وتأمَّل**) أي : تدبَّر (**هٰذه الألفاظ**) المشعرة بأن مقام الفضل أوسع من مقام العدل .

(**وقوله**) أي : في الحسنة : (« **عنده** » : **إشارة إلى الاعتناء**) أي : الاهتمام (**بها**) وشرف فاعلها .

(**وقوله** : « **كاملة** » **للتأكيد**) أي : صفة مؤكدة (**ولشدة الاعتناء**) أي : مزيد الاهتمام (**بها**) .

(**وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها** : « **كتبها الله عنده حسنة كاملة** » **فأكدها بـ« كاملة »**) أي : اعتناء برفعة تاركها .

(**وإن عملها**) أي : وقال : وإن عملها . . (**كتبها سيئة واحدة** ، **فأكد تقليلها بـ« واحدة »** **ولم يؤكدها بـ« كاملة »**) يعني : أنه لم يصفها بكاملة بل بواحدة ؛ إشارة إلىٰ تخفيفها[1] .

(**فلله الحمد**) أي : الثناء الجميل (**والمِنَّة**) بكسر الميم وتشديد النون ؛ أي : النعمة ، من المَنِّ وهو الإنعام ، ويطلق علىٰ تعداد النعم استكثاراً لها ، وهو من الله محمود ، وأما من غيره ما عدا الشيخ والوالد . . فمذموم ، وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ .

نعم ؛ لا بأس به إن كان لجلب مصلحة أو دفع مفسدة ؛ كأن وجد من المُتصدَّق عليه سب للمتصدق فَيَمنُّ عليه ليكفه ، وما ألطف قول الزمخشري : (طعم الآلاء أحلىٰ من المن ، وهو أمرُّ من الألاء عند المن)[2] **أراد بالآلاء الأولىٰ** : النعم ؛

---

(١) أشار إلىٰ مزيد العناية بعبيده ، والإنعام عليهم بغايات التفضل ، ونهايات الرفق والمسامحة ، وأن مقام الفضل أوسع من مقام العدل ؛ كما دل عليه حديث البخاري (٣١٩٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالىٰ كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق : **إن رحمتي سبقت غضبي** ، **فهو مكتوب عنده فوق العرش** » فمن سمع بهٰذا الفضل العظيم منه تعالىٰ لعباده ، ثم جبن عن متاجرته ، أو شحَّ عن الإنفاق في سبيله . . فإنه هالك غير معذور ، **أو المراد** : لا يعاقب مع هٰذه المسامحة العظيمة إلا مفرط غاية التفريط . انظر « الفتح المبين » (ص٥٩٤) .

(٢) ذكره في « الكلم النوابغ » (ص ٣) ، وعزاه الزبيدي في « تاج العروس » مادة (أ ل أ) إلى =

وبالثانية بوزن سحاب : الشجر المر ، **وبالمن الأول** : ما نزل من السماء قرين السلوىٰ ، **وبالثاني** : تعداد النعم .

ولبعضهم في ذلك مع حسن التورية[1] : [من البسيط]

إِذا غَرَسْتَ جَمِيلاً فَاْسْقِهِ غَدَقاً ... مِنَ المَكَارِمِ كي يَنْمو لكَ الثَّمَرُ

ولا تُشِنْهُ بمَنٍّ إِنَّهُم ذَكَرُوا ... مِنْ عادَةِ المَنِّ أنْ يُؤذَىٰ بِهِ الشَّجَرُ

(**سبحانه**) أي : تنزيهاً له تعالىٰ عن كل ما لا يليق به (**لا نحصي ثناء عليه**) أي : لا نقدر معشر الخلائق أن نثني عليه ثناءً موفياً بنعمةٍ من نعمه ، **فكيف ونعمه علينا لا تحصىٰ** ، **ومكارم ألطافه لا تستقصىٰ** ؟!

(**وبالله**) أي : بتيسيره (**التوفيق**) أي : تسهيل ما يرضيه .

وأنا أقول كما قال بعضهم : [من الخفيف]

رَبِّ إِنِّي بجاهِ خَيْرِ البرايا ... أَرْتَجي لُطْفَكَ العَمِيمَ لأَنْجُو

فَأَنا العبدُ قَدْ دعوتُ مَجيداً ... ذا عطاءٍ وللإجابةِ أَرْجُو

وَيقِينِي بأَنَّ ظَنِّي يَقِينِي ... مِنْ خِلافِ النَّعِيمِ والفَضْلُ مَرْجُو

❊ ❊ ❊

= الزمخشري في « الأساس » ، **والمعنىٰ** : طعم النعم أحلىٰ من المن والسلوىٰ ، وتعداد الأيادي والمن بها أمر من العلقم ؛ عندما يقول المحسن : أنا أعطيتك وأكرمتك فهٰذا أمرُّ من العلقم ؛ ولهٰذا قالوا : **المن أخو المن** ؛ أي : المن بتعديد الصنائع أخو القطع والهدم .

(١) البيتان في « غرر الخصائص الواضحة » (١/ ١٤٢) .

الحديث الثّامن والثّلاثون

[محبةُ اللهِ لأوليائه وبيانُ طريقِ الولايةِ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ قَالَ : مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيّاً . . فَقَدْ آذَنْتُهُ بِٱلْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا ٱفْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَلاَ يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِٱلنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ . . كُنْتُ سَمْعَهُ ٱلَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ ٱلَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ ٱلَّتِي يَبْطُشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ ٱلَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي . . لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ ٱسْتَعَاذَنِي . . لأُعِيذَنَّهُ » رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ[1] .

(عن أبي هريرة) وتقدم الكلام عليه[2] (رضي الله) تعالىٰ (عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالىٰ قال) يُعلم من هـٰذا أنه من الأحاديث القدسية ، وقد وقع في رواية : عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم حدَّث به عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل)[3] .

[تحريم معاداة الولي]

(من عادىٰ لي ولياً) أي : من اتخذه عدواً ، وفي رواية : (من أهان لي ولياً)[4] أي : جعله مهاناً ؛ بأن آذاه وأغضبه بالقول أو الفعل ، وفي رواية لأحمد :

---

(١) صحيح البخاري (٦٥٠٢) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ١٨٩) في الحديث التاسع .

(٣) أخرجها الطبراني في « الأوسط » (٦١٣) ، والقضاعي في « مسنده » (١٤٥٦) .

(٤) أخرجها الطبراني في « الأوسط » (٦١٣) ، والقضاعي في « الشهاب » (١٤٥٦) عن سيدنا أنس =

(من أذل لي ولياً)[1] ، وفي أخرىٰ له : (من آذىٰ لي ولياً . . فقد استحل محارمي)[2] .

وقوله : (لي) أصله صفة لقوله : (ولياً) فقُدِّم عليه للاختصاص ، فصار حالاً ، وفيه إشارة إلىٰ أن المحذر منه معاداةُ الولي من حيث ولايته ؛ أي : من أجل كونه ولياً لله ، لا مطلقاً ؛ فإنه لا مانع من الخصومة معه في نحو حق .

والولي : هو العارف بما يجب لله وما يجوز وما يستحيل ، المواظب على الطاعات ، المجتنب للمعاصي ، المعرض عن التوغل في اللذات المباحة ؛ كالتوسع في لذيذ المآكل والمشارب والملابس دائماً[3] ، فلا يكون الولي إلا عالماً ؛ فلهٰذا قيل : (**ما اتخذ الله من ولي جاهل ، ولو اتخذه . . لعلمه**[4]) ، ولا يكون إلا عاملاً بعلمه .

وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالىٰ : (لو نظرتم إلىٰ رجلٍ أُعطي من الكرامات حتىٰ تربَّع في الهواء . . فلا تقتدوا به حتىٰ تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وآداب الشريعة)[5] .

= رضي الله عنه ، وأخرجها الطبراني في « الأوسط » (٩٣٤٨) عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وفي « الكبير » (٨/ ٢٢١) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، والقضاعي في « الشهاب » (١٤٥٥) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

(١) مسند أحمد (٦/ ٢٥٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجها القضاعي في « الشهاب » (١٤٥٧) عن السيدة عائشة رضي الله عنها بهٰذا اللفظ ، وأخرجه أحمد بلفظ : « قال الله عز وجل : من أذل لي ولياً . . فقد استحل محاربتي . . . » .

(٣) قال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في « بستان العارفين » (ص١٦٧) : (**الولي يحتمل أمرين** : **أحدهما** : أن يكون فعيلاً بمعنىٰ فاعل كالعليم بمعنى العالم ؛ **فيكون معناه** : من توالت طاعته من غير تخلل معصية . **والثاني** : أن يكون فعيلاً بمعنىٰ مفعول ؛ كقتيل بمعنىٰ مقتول ، **ويكون معناه** : هو الذي يتولى اللهُ سبحانه وتعالىٰ حفظه وحراسته على الإدامة والتولي) .

(٤) انظر « كشف الخفاء » (٢/ ١٨٠) ، هي مقولة صحيحة ، ولٰكنها ليست بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فليتنبه .

(٥) الرسالة القشيرية (ص ٦٤) في ترجمته .

وحكي عنه : أنه سمع برجل اشتهر بالولاية والزهد ، فمشىٰ إليه في أصحابه ، فدخل عليه في مسجد ، فرآه قد تنخَّم في قبلة المسجد ، فلم يسلم عليه وقال لأصحابه : (**ارجعوا ؛ فإن الله لم يأمن هـٰذا علىٰ أدبٍ من آداب شريعته ، فكيف يأتمنه علىٰ أسراره**)[1] .

وقد قيل : (**مِن شرط الولي** : أن يكون محفوظاً ؛ كما أنه من شرط النبي أن يكون معصوماً)[2] .

والمراد بحفظ الولي : أن يحفظه الله تعالىٰ من تماديه في المعصية ؛ بأن يلهمه التوبة ، فيتوب منها فوراً ، وإلا . . فلا تقدح في ولايته ، **والمراد بالفورية** : أن يتوب قبل فراغ ست ساعاتٍ فلكية مدة انتظار الكتبة للتوبة فيها ؛ فإن لم يتب قبل فراغ ما ذُكر . . فليس بولي ، بل هو مغرور .

ونقل عن المصنف : **أن المراد بالولي هنا** : المؤمن ؛ **وعليه** : فيكون معنىٰ : (من عادىٰ لي ولياً) : من آذىٰ مؤمناً .

(**فقد آذنته**) بالمد وفتح المعجمة بعدها نون ؛ أي : أعلمته (**بالحرب**) أي : بلازمه ؛ وهو الهلاك ، فليحذر الإنسان من التعرض لكل مسلم ، وقد قال بعض العارفين : (إياك ومعاداة أهل « لا إلـٰه إلا الله » فإن لهم من الله تعالى الولاية العامة ، وهم أولياء الله وإن أخطؤوا وجاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً ؛ فإن الله تعالىٰ يتلقاهم بمثلها مغفرة)[3] .

وروي عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من آذىٰ مؤمناً . . فقد آذاني ، ومن آذاني . . فقد آذى الله تعالىٰ** ، ومن آذى الله تعالىٰ . . فليتبوأ مقعده من النار »[4] .

---

(١) أخرجها القشيري في « الرسالة » (ص ٦٣) .

(٢) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٤٣٦) ، و« بستان العارفين » (ص١٦٩) للإمام النووي رحمه الله .

(٣) انظر « الفتوحات المكية » (٧/ ٢٠٧) .

(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣٦٣٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه بنحوه .



[جرجيس مع الملك]

روي : أن جرجيس عليه السلام كان من أنبياء بني إسرائيل ، **وكان في زمانه ملِك كثير الفساد** ، **فمنع الله تعالىٰ عنه المطر** ؛ حتىٰ أشرف هو ومن معه على الهلاك .

فركب في عسكره حتىٰ أتىٰ إلىٰ جرجيس ، فوجده في صومعته وهو يكثر التسبيح والتقديس ، فقال له : **يا جرجيس** ؛ **إني أُحملك رسالة إلىٰ ربك** .

فقال له جرجيس : **وما هـٰذه الرسالة** ؟ قال : **تقول لربك يأتينا بالمطر** ، **وإلا . . آذيته أذية يسمعها سائر البشر** ؛ **فما منعنا المطر غيره** .

فدخل جرجيس إلىٰ محرابه وقد خرس من خوف الله تعالىٰ عن جوابه ، فجاءه جبريل عليه السلام بأمر الله عز وجل فقال له : **هات الرسالة التي معك** ، **على الوجه الذي قيل لك** .

فقال جرجيس : إني أخاف من الله تعالىٰ عند مقال ذلك القول .

فقال له جبريل : قل كما قال ؛ هـٰكذا أمر الله العزيز المتعال .

فقال جرجيس : **إنه قال** : **إن لم يأتنا بالمطر وإلا . . آذيته أذية يسمعها سائر البشر** .

فقال جبريل : يا جرجيس ؛ ربك يقول لك : **قل له** : **بماذا تؤذيه ؟!**

فمضىٰ جرجيس إليه ، وبلغه الرسالة ، فقال الملك : **لا قدرة لي علىٰ أذيته إلا من وجه واحد** ؛ لأني ضعيف وهو قوي ، وأنا عاجزٌ وهو قادر ، **وإنما أوذي أحبابه** ، **ومن آذىٰ أحبابه . . فقد آذاه** .

فجاء جبريل فقال : يا جرجيس ؛ قل له : **لا تفعل** ؛ **فنحن نأتيك بالمطر** .

ثم جادت السماء بالسحاب ، وامتلأت الصحارىٰ بالسيول من كل جانب مدة ثلاثة أيام ، وأمر الله النبات والزرع أن يطلع .

فلما رأى الملك ذلك . . أتىٰ إلىٰ جرجيس وهو في صومعته يكثر من التسبيح والتقديس ، فخرج إليه وقال له : **يا هـٰذا ما تريد منا ؟ لِمَ لا تشتغل بملكك عنا ؟ لا تحملنا مثل تلك الرسالة ؛ فإن فيها فظاعة**(١) .

فقال : **يا نبي الله ؛ ما أتيت حرباً بل سلماً** ، وقد انفتحَ بصري ؛ فإن من عمل الإحسان مع عدوه لأجل وليه . . يجب أن تسجد الجباه لعظمته ، **وأنا أشهد أن لا إلـٰه إلا الله ، ولا معبود بحقٍّ سواه**(٢) .

[أحب ما يتقرب به إلى الله]

(**وما تقرب إلي عبدي**) أي : ما طلب القرب إلي ؛ أي : إلىٰ رضائي ورحمتي وثوابي (**بشيء**) أي : عمل ، وقوله : (**أحب**) صفة لـ(شيء) مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة ؛ لأنه لا ينصرف ؛ للوصفية ووزن الفعل ، ويجوز رفعه علىٰ أنه خبر لمبتدأ محذوف ؛ أي : هو أحب (**إلي**) أي : أعظم ثواباً (**مما**) أي : من أداء ما (**افترضت**) وفي نسخة : (افترضته) (**عليه**) عيناً كان أو كفاية ؛ كالطهارات الواجبة ، والصلوات الخمس ، والزكوات ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وأداء الحقوق إلىٰ أربابها ، وبر الوالدين ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاشتغال بالحِرف المهمة وغير ذلك(٣) .

وإنما كان الفرض أحب إلى الله تعالىٰ ؛ لأنه أكمل من النفل من حيث إن الأمر به

---

(١) قوله : (**فظاعة**) **الفظيع** : الشديد الشنيع ، قاله في « مختصر النهاية » . **اهـ مؤلف** .

(٢) ذكرها في « المجالس السنية » (ص ١١٥) .

(٣) **ذكر في هـٰذا الحديث** : أن أولياء الله علىٰ درجتين : **أحدهما** : المتقربون بأداء الفرائض ، وهـٰذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين ، وأداء الفرائض أفضل الأعمال ؛ كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه : (أفضل الأعمال أداء ما افترض الله ، والورع عما حرم الله ، وصدق النية فيما عند الله) . **الدرجة الثانية** : درجة السابقين المقربين ؛ وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات ، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع ؛ وذلك يوجب للعبد محبة الله . انظر « جامع العلوم والحكم » (٢/٣٣٦) .

جازمٌ متضمنٌ للثواب علىٰ فعله ، والعقاب علىٰ تركه ، بخلاف النفل ؛ فإن الأمر به غير جازم ، فيثاب علىٰ فعله ، ولا يعاقب علىٰ تركه ، وقد ورد : (**أن ثواب الفرض يعدل ثواب النفل بسبعين درجة**)[1] .

(**ولا يزال**) وفي نسخة : (وما يزال) ، وفي أخرىٰ : (وما زال) (**عبدي يتقرَّب إليَّ**) أي : إلىٰ فضلي ومغفرتي (**بالنوافل**) أي : بفعلها زيادة عن الفرائض (**حتىٰ أُحبَّه**) بضم أوله وفتح ثالثه ؛ أي : حتىٰ أملأ قلبه من معرفتي ، فتشرق عليه أنوار ولايتي .

وتقدم حديث عن أبي هريرة مرفوعاً وهو : « إن الله تعالىٰ إذا أحب عبداً . . دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحببه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض »[2] أي : يحدث له في القلوب مودة ، ويزرع فيها مهابة ، فتحبه القلوب ، وترضىٰ عنه النفوس من غير توددٍ منه ، ولا تعرض للأسباب التي تكتسب بها مودات القلوب من قرابةٍ أو صداقة ، وإنما هو اختصاصٌ منه تعالىٰ لأوليائه ؛ **وفائدته** : أن يستغفر له أهل السماء والأرض ، وينشأ عندهم هيبة وإعزاز له .



[في فضل من يأتي بالنوافل مع الفرائض]

قال العلماء : **مثل الذي يأتي بالنوافل مع الفرائض ومثل غيره** . . كمثل رجلٍ له

---

(١) قال العلامة ابن الملقن رحمه الله تعالىٰ في « غاية السول في خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم » (ص ٧٤ـ ٧٥) : (قال الإمام ـ أي : الجويني ـ : قال بعض علمائنا : الفريضة يزيد ثوابها علىٰ ثواب النافلة بسبعين درجة ، واستأنس بما رواه سلمان الفارسي : أنه عليه الصلاة والسلام قال في رمضان : « من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير . . كان كمن أدىٰ فريضة فيما سواه ، ومن أدىٰ فريضة فيه كان كمن أدىٰ سبعين فريضة فيما سواه » وهو حديث أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » [١٨٨٧] ، والبيهقي في « شعب الإيمان » [٣٣٣٦] فقابل النفل فيه بالفرض في غيره ، وقابل الفرض فيه بسبعين فرضاً في غيره ، فأشعر في هـٰذا : بأن الفرض يزيد على النفل بسبعين درجة من طريق الفحوىٰ) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٩) ، ومسلم (٢٦٣٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

عبدان ؛ فأعطىٰ كلاً منهما درهماً ليشتري له فاكهة ، **فذهب أحدهما** : فاشترىٰ فاكهةً ، فوضعها في وعاء ، وطرح عليها ريحاناً ومشموماً ، ثم جاء بها فوضعها بين يدي سيده .

وذهب الآخر : فاشترىٰ فاكهةً ، فوضعها في حجره ، ثم جاء بها ، فوضعها على الأرض بين يدي السيد ، فكل واحد من العبدين قد امتثل أمر سيده ؛ لٰكن أحدهما زاد الوعاء والمشموم ، فيصير أحب إلى السيد ، **فمن فعل النوافل مع الفرائض . . يصير أحب إلى الله تعالىٰ** .

والنوافل : هي التطوعات من سائر أصناف العبادات ، خصوصاً المؤكدات من صلاة وصوم وصدقة وغير ذلك .

تَنْبِيهٌ

[في التقرب بالنوافل مع المحافظة على الفرائض]

علم مما تقرر : أن المراد من التقرب بالنوافل : أن تقع مع أداء الفرائض ، لا مع إخلالٍ بها ، وقد قال بعض الأكابر : (**من شغله الفرض عن النفل . . فهو معذور** ، ومن شغله النفل عن الفرض . . فهو مغرور)[1] .

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : (المصلي لا تقبل له نافلة حتىٰ يؤدي الفريضة)[2] .

وقال سلمان الفارسي رضي الله تعالىٰ عنه : (**مثل الذي يكثر الفضائلَ ولا يُكمل الفرائض** . . كمثل تاجر خسر رأس ماله وهو طالب الربح)[3] .

وبالجملة : فالفرض كالأساس ، والنفل كالبناء عليه ؛ وحينئذٍ فلا يتحقق

---

(١) ذكره في « فتح الباري » (١١/ ٣٤٣) .

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٥٤٧) ، وقد أورده من قول بعضهم ، وهو حديث مرفوع أخرجه البيهقي في « الكبرىٰ » (٢/ ٣٨٧) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) أخرج الديلمي كما في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٦٤٣٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه نحوه .

التقرب الذي يترتب عليه المحبة إلا بأداء الفرائض وزيادة النوافل عليها .

(**فإذا أحببتُه . . كنتُ سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يُبصر به**) بضم المثناة التحتية (**ويده التي يَبطِش بها**) بفتح المثناة التحتية وكسر الطاء المهملة ؛ كما هو الرواية (**ورجله التي يمشي بها**) .

اختلفَ في معنىٰ ذلك ؛ فقيل : إن الكلام علىٰ حذف مضاف ، **والتقدير** : كنت حافظَ سمعه الذي يسمع به ؛ فلا يسمع إلا ما يحل سماعه ، وكنتُ حافظَ بصره الذي يبصر به ؛ فلا ينظر إلا ما يحل إبصاره ، وكنتُ حافظَ يده التي يبطش بها ؛ فلا يبطش بها إلا فيما يحل ، وكنتُ حافظَ رجله التي يمشي بها ؛ فلا يمشي بها إلا فيما يحل المشي إليه .

وقيل : **إن المعنىٰ** : كنت له في النصرة ؛ كسمعه وبصره، ويده ورجله في المعاونة .

وقيل : **إن المعنىٰ** : كنت كسمعه وبصره ، ويده ورجله في إيثاره أمري ، فهو يحب طاعتي ، ويؤثر خدمتي ؛ كما يحب هـٰذه الجوارح ، وقيل غير ذلك[1] .

(**ولئن**) بلام القسم ؛ أي : والله لئن (**سألني**) أي : طلب مني أيَّ شيءٍ من أمور الدنيا أو الآخرة ، فحذف المفعول للتعميم ، وكذا يقال فيما بعده .

وقوله : (**لأعطينه**) باللام الواقعة في جواب القسم ؛ أي : لأجيبنَّ دعوته ، وأُعطينَّه الذي طلبه وسأله[2] ، وفي بعض النسخ : (وإن سألني . . أعطيته) والمعنىٰ واحد .

---

(١) انظر « فتح الباري » (١١/ ٣٤٤) .

(٢) أخرج الحاكم (٣/ ٢٩١ـ ٢٩٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كم من ضعيف متضعف ، ذي طمرين لو أقسم على الله . . لأبر قسمه ؛ منهم البراء بن مالك** » فإن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين ، فقالوا : يا براء ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنك لو أقسمت على الله . . لأبرك » فأَقْسِمْ علىٰ ربك . فقال : **أقسمت عليك يا رب ؛ لما منحتنا أكتافهم** ، ثم التقوا علىٰ قنطرة السوس ، فأوجعوا في المسلمين ، فقالوا له : يا براء ؛ أقسِمْ علىٰ ربك . فقال : **أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم ، وألحقني بنبيك صلى الله عليه وسلم** ، فمُنحوا أكتافهم ، وقُتل البراء شهيداً .

[كرامة لسيدنا العلاء بن الحضرمي]

حُكي عن العلاء بن الحضرمي رضي الله تعالىٰ عنه : **أنه كان في سريةٍ فعطشوا** ، فصلىٰ وقال : (**اللهم يا عليم يا حليم** ، **ياعلي يا عظيم** ؛ إنا عبيدك وفي سبيلك ، نقاتل عدوك ، فاسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ ، ولا تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا) فساروا قليلاً ، فوجدوا نهراً من ماء السماء يتدفق ، فشربوا وملؤوا أوعيتهم ، ثم ساروا ، فرجع بعض أصحابه إلىٰ موضع النهر فلم يَرَ شيئاً ، وكأنه لم يكن في موضعه ماءٌ قط(1) .

[كرامة لبعض الصالحين بإحياء دابته]

وحكي : أن قوماً خرجوا غزاة في سبيل الله تعالىٰ ، وكان لبعضهم حمار ، فمات الحمار ، وارتحل الناس ، فقام صاحبه وتوضأ وصلىٰ وقال : (**اللهم** ؛ **إنِّي خرجت مجاهداً في سبيلك** ، **وابتغاء مرضاتك** ، وأشهد أنك تحيي وتميت ، وتبعث من في القبور ، فأحْيِ لي حماري) ، فقام إلى الحمار وضربه ، **فقام الحمار ينفض أذنيه** ، **فركبه ولحق أصحابه** ، ثم باع الحمارَ بعد ذلك بالكوفة(2) .

[أنواع الإجابة في الدعاء]

فإن قيل : إن جماعةً من العُبَّاد والصلحاء دَعَوا وبالغوا فلم يجابوا . . **أُجيب** : بأن الإجابة تتنوع :

فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور ؛ وهـٰذا هو الغالب في حق من عمل بهـٰذا الحديث(3) .

---

(1) أخرجها أبو نعيم في « الحلية » (١/٧) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/٥٣) .

(2) أخرجها ابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » (٤٩) ، ومن طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/٤٩) عن الشعبي رحمه الله .

(3) أخرج البيهقي في « الكبرىٰ » (٦/٣٠٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/١٠٩) عن سيدنا سعد بن =

وتارة يقع المطلوب ؛ ولكن يتأخر لحكمة .

وتارة تقع الإجابة بغير المطلوب ؛ حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة ـ أي : عاجلة حاضرة ـ وفي الواقع مصلحة ناجزة ، أو أصلح منها .

وتارة يصرف الله عن الداعي سوءاً .

وقد تؤخر الإجابة إلى الآخرة ، ويكون ذلك خيراً للداعي ؛ فقد جاء : (أن الله تعالىٰ يبعث عبداً فيقول له : ما سألت شيئاً . . إلا أجبتك فيه ، ولكن نجزت ـ أي : عجلت ـ لك البعض في الدنيا ، وما لم أنجزه في الدنيا . . فهو مُدخرٌ لك ، فخذه الآن ، فيقول ذلك العبد : ليته لم يقض لي حاجة في الدنيا !) .

وورد : « أن الله تعالىٰ يوقف عبداً بين يديه فيقول له : إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك ، فهل كنت تدعوني ؟ فيقول : نعم يا رب ، فيقول : أما إنك لم تَدْعُني بدعوة . . إلا استجيبت ، أليس دعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجتُ عنك ؟! فيقول : نعم يا رب ، فيقول : إني عجلتها لك في الدنيا ، ودعوتني يوم كذا وكذا أن أفرج عنك فلم تر فرجاً ؟! فيقول : نعم يا رب ، فيقول : إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا »[1] .

(**ولئن استعاذني**) بالنون بعد الذال المعجمة ، وفي رواية بالباء الموحدة ،

= أبي وقاص رضي الله عنه : إن عبد الله بن جحش قال يوم أحد : (**ألا نأتي ندعو الله** ، فخلوا في ناحية ، فدعا سعد قال : **يارب ؛ إذا لقينا القوم غداً . . فلقني رجلاً شديداً بأسه** ، شديداً حرده ، فأقاتله فيك ويقاتلني ، ثم ارزقني عليه الظفر حتىٰ أقتله وآخذ سلبه ، فأمَّن عبد الله بن جحش ، ثم قال : **اللهم ؛ ارزقني غداً رجلاً شديداً حرده** ، شديداً بأسه ، أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غداً . . قلت : **يا عبد الله ؛ فيم جُدع أنفك وأذنك** ؟ فأقول : فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم ، فتقول : صدقت . قال سعد بن أبي وقاص : يابني ، كانت **دعوة عبد الله** بن جحش خيراً من دعوتي ، لقد رأيته آخر النهار وإن أذنه وأنفه لمعلقان في خيط) .

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (١/ ٤٩٤) عن سيدنا جابر رضي الله عنه ؛ **وتتمته** : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلا يَدَعُ الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بيَّن له : إما أن يكون عجل له في الدنيا ، وإما أن يكون ادخر له في الآخرة ، قال : فيقول المؤمن في ذلك المقام : **يا ليته لم يكن عُجل له في شيءٍ من دعائه** » .

والأول أشهر ، **والمعنىٰ** : والله ؛ لئن طلب مني أن أعيذه مما يخافه . . (**لأعيذنه**) أي : لأجيرنه منه .

فائدة

[في الاستعاذة]

روي عن معقل بن يسار رضي الله تعالىٰ عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **من قال حين يصبح ثلاث مرات** : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث آيات من آخر (سورة الحشر) . . وكَّل الله به سبعين ألف مَلَكٍ يُصلُّون عليه حتىٰ يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم . . مات شهيداً ، **ومن قالها حين يمسي . . كان بتلك المنزلة** »[1] .

وروت خولة بنت حكيم رضي الله تعالىٰ عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات** . . لم يضره شيءٌ حتىٰ يرتحلَ من ذلك المنزل »[2] .

وحكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : **ما تصنع بالشيطان إذا سوّل لك الخطايا ؟!** أي : حسَّنها وزيَّنها ، قال : أجاهده ، قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده .

قال : **هٰذا يطول ؛ ولٰكن أرأيت لو مررتَ بغنمٍ فنبحك كلبها ، ومنعك من العبور . . ما تصنع** ؟ قال : أكابده ـ أي : أضيق عليه ـ وأردّه جَهْدي ، قال : هٰذا يطول عليك ، **ولٰكن استغث بصاحب الغنم . . يكفه عنك**[3] .

ثم إن هٰذا الحديث جامع بين الشريعة والحقيقة (**رواه البخاري**) في « صحيحه » رحمه الله تعالىٰ .

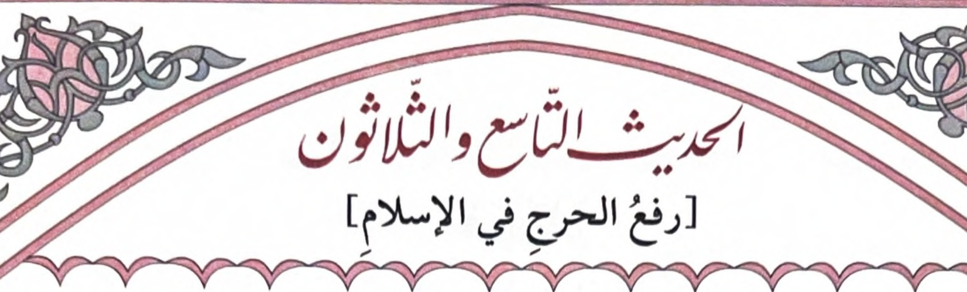
❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٢) ، وأحمد في « مسنده » (٥/٢٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) .

(٣) ذكرها ابن الجوزي في « تلبيس إبليس » (ص ٣٥) ، والقرطبي في « تفسيره » (٧/٣٤٨) .



الحديث التاسع والثلاثون

[رفعُ الحرجِ في الإسلامِ]

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ ٱللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي ٱلْخَطَأَ ، وَٱلنِّسْيَانَ ، وَمَا ٱسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ » حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ٱبْنُ مَاجَهْ وَٱلْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا[١] .

[رفع إثم الخطأ والنسيان]

(عن ابن عباس) وتقدم الكلام عليه[٢] (رضي الله) تعالىٰ (عنهما) أي : عنه وعن أبيه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله) تعالىٰ (تجاوز لي) أي : عفا وصفح وسامح لأجلي (عن أمتي الخطأ) وهو وقوع الشيء علىٰ خلاف ما يُراد ؛ كأن يرمي شخصٌ إلىٰ نحو شجرةٍ فيصيب إنساناً فيقتله . . فلا قَوَدَ عليه ولا إثم .

نعم ؛ تجب الدية علىٰ عاقلة المخطىء ، ويلزمه ضمان ما أتلفه من الأموال ؛ لدليلٍ قام علىٰ ذلك[٣] .

(والنسيان) وهو عدم الذكر للشيء لذهول أو غفلة ؛ فمن فعل ذنباً نسياناً ، أو ترك طاعة كذلك . . فلا إثم عليه .

ومن ذلك يعلم : أنه لا حرمة علىٰ من أكل أو جامع في نهار رمضان ناسياً ، بل

---

(١) سنن ابن ماجه (٢٠٤٥) ، سنن البيهقي الكبرىٰ (٧/٣٥٦) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ٢٩٣) في الحديث التاسع عشر .

(٣) وهو نص الآية : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ . . . ﴾ الآية .

ولا يفطر بذلك ، ومن نسي صلاة حتىٰ خرج وقتها . . لم يأثم ، ولـٰكن يجب عليه قضاؤها[1] .

وتجب الإعادة علىٰ من صلىٰ محدثاً أو بنجس ناسياً ، ويلزم الشخص ضمان ما أتلفه مع النسيان ؛ لدليل قام علىٰ ذلك نظير ما تقدم .

وظاهر الحديث : أن التجاوز عن الخطأ والنسيان خاصٌّ بهـٰذه الأمة ؛ كرامة لنبيها صلى الله عليه وسلم ، ولذلك أُمرنا أن نقول : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ طلباً لإدامة هـٰذه النعمة العظيمة .

وجاء : (أن بني إسرائيل كانوا إذا نسوا شيئاً مما أُمروا به ، أو أخطؤوا . . عجلت لهم العقوبة ، فيُحرَّمُ عليهم شيءٌ مما كان حلالاً لهم ؛ من مطعمٍ أو مشربٍ علىٰ حسب ذلك الذنب)[2] .

وأفاد هـٰذا الحديث : أن النسيان للحلف أو المحلوف عليه لا يحصل به حنث ولو بطلاق أو إعتاق ، **ويقاس عليه** : الجهل بالحلف أو المحلوف عليه ، لا فرق في ذلك بين الحالف وغيره ، لـٰكن إن كان الغرض بالحلف الحث أو المنع لا مجرد التعليق ، وإلا . . ضر مطلقاً ، ويزيد الغير بأن يكون ممن يبالي بحلف الحالف ، وإلا . . ضر مطلقاً أيضاً ، ومتى انتفى الحنث . . لا تنحل اليمين **على الأصح** .

نعم ؛ لو قال : لا أفعله لا ناسياً ولا جاهلاً . . حنث بفعله مطلقاً ، وانحلت اليمين[3] .

---

(1) أخرج البخاري (٥٩٧) ، ومسلم (٦٨٤/٥١٣) واللفظ له عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم « من نسي صلاة أو نام عنها . . فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها » .

(2) ذكره البغوي في « تفسيره » (١/ ٢٧٤) وغيره عن الكلبي المفسر .

(3) **والأظهر ـ والله أعلم ـ** : أن الناسي والمخطىء إنما عُفي عنهما ، بمعنىٰ رفع الإثم عنهما ؛ لأن الإثم مرتب على المقاصد والنيات ، والناسي والمخطىء لا قصد لهما ، فلا إثم عليهما ، وأما رفع الأحكام عنهما . . فليس مراداً من هـٰذه النصوص ، فيحتاج في ثبوتها ونفيها إلىٰ دليل آخر .

فَائِدَة

[في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم]

ورد في الحديث الشريف عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه مرفوعاً : « إذا نسيتم شيئاً . . فصلوا عليَّ تذكروه إن شاء الله تعالىٰ »[1] .

وقوله : (**وما استكرهوا**) بالبناء للمجهول ؛ أي : أقهروا (**عليه**) أي : علىٰ فعله أو قوله ، فلا إثم علىٰ من صدر منه ذنب بالقهر والإجبار عليه ، حتىٰ لا يكفر من أكره على الردة فتلفظ بها ، أو فعل فعلاً مكفراً وقلبه مطمئن بالإيمان ، غير معتقد لما يقوله أو يفعله ، ويلزمه الإتيان بالمعاريض ، وبما يوهم أنه كفر ما لم يكره على الصريح بخصوصه ، ولو صبر حتىٰ يقتل . . كان أفضل[2] .

ولا يحنث من حُمل كرهاً ، وأُدخل محلاً حلف لا يدخله ، كما لو أُكْرِه على الدخول فدخل ، ومن أتلف مال غيره كرهاً . . فلا إثم عليه لٰكنه يضمنه ، وقرار الضمان على المكرِه ؛ بكسر الراء .

ويستثنىٰ من عموم هٰذا الحديث : القتل ، فلا يباح بالإكراه ، فيأثم فاعله ومن أكرهه ، ويقتلان عند الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه .

وقال أبو حنيفة رضي الله تعالىٰ عنه : (يقتل المكرِه ـ بكسر الراء ـ دون المباشر) .

وقال مالك وأحمد رضي الله تعالىٰ عنهما : (يقتل المباشر فقط) .

ويستثنىٰ أيضاً الزنا ، فلا يباح بالإكراه ، فيأثم فاعله **على الأصح** ، ولٰكن يسقط عنه الحد ؛ للشبهة[3] .

ومن الإكراه عليه : ما لو اضطرت امرأة لطعام ، وامتنع مالكه من بذله إلا بالزنا

---

(١) أخرجه المديني كما في « جلاء الأفهام » (ص ٣٢٦) وذكر سنده عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) انظر « الفتح المبين » (ص٦١٠) .

(٣) انظر تفصيل ذلك في « جامع العلوم والحكم » (٢/ ٣٧١) .

فيها ، فيحرم عليها تمكينه ، خلافاً لقول مالك رضي الله تعالىٰ عنه : (يجوز لها تمكينه ، وصبرها أفضل) .

وقال أبو حنيفة رضي الله تعالىٰ عنه : (يرخص للمرأة الزنا بالإكراه الملجىء ؛ لأن نسب الولد لا ينقطع)[1] .

والكلام في غير امرأة رُبطت ، وزُني بها ، ولا قدرة لها على الامتناع بوجه ، فهٰذه لا تأثم إجماعاً .

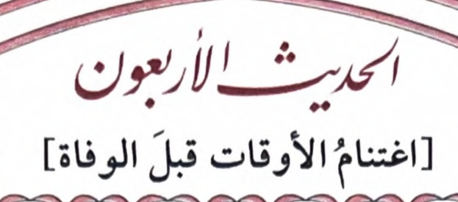
ثم إن هٰذا الحديث (**حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما**) وهو حديث عظيم عام النفع[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « الدر المختار » (ص٦٠٢) ، **والإكراه الملجىء** : هو أن يخاف علىٰ نفسه أو عضوه ، وأما الضرب والحبس . فلا يحصل به ذلك .

(٢) **وهٰذا الحديث يصلح أن يسمىٰ نصف الشريعة** ؛ لأن فعل الإنسان الشامل لقوله : إما أن يصدر عن قصدٍ واختيار ؛ وهو العمد مع الذكر اختياراً ، أو لا عن قصد واختيار وهو الخطأ أو النسيان ، أو الإكراه ، وقد علم من هٰذا الحديث **صريحاً** : أن هٰذا القسم معفو عنه ، **ومفهوماً** : أن الأول مؤاخذ به ، فهو نصف الشريعة باعتبار منطوقه ، وكلها باعتباره مع مفهومه . انظر « الفتح المبين » (ص٦٠٧ـ٦٠٨) .



الحديث الأربعون

[اغتنامُ الأوقات قبلَ الوفاة]

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ : « كُنْ فِي ٱلدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » ، وَكَانَ ٱبْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ . . فَلاَ تَنْتَظِرِ ٱلصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ . . فَلاَ تَنْتَظِرِ ٱلْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ . رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ[1] .

(**عن ابن عمر**) وتقدم الكلام عليه[2] (**رضي الله**) تعالىٰ (**عنهما**) أي : عنه وعن أبيه .

(**قال**) أي : ابن عمر : (**أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمَنْكِبِي**) أي : تناوله بيده وقبض عليه ، وهو بفتح الميم وكسر الكاف والباء الموحدة وسكون كلٍّ من النون والياء التحتية : مجمع العضد والكتف ، ويُروىٰ بفتح الموحدة وتشديد الياء التحتية : تثنية (منكب) .

وإنما فَعَل معه ذلك ؛ **ليتفطَّن لما يلقي إليه** ، وفيه دليل علىٰ محبته له ؛ **إذ العادة الغالبة** : أن الشخص لا يفعل ذلك إلا مع من يميل إليه ويحبه .

[السفر طويل فأعدوا الزاد]

(**فقال**) أي : النبي صلى الله عليه وسلم : (**كن في الدنيا**) أي : في مدة

---

(١) صحيح البخاري (٦٤١٦) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ١٢٧) في الحديث الثالث .

إقامتك بها (**كأنك غريبٌ**) أي : مشبهاً به ؛ يعني : لا تركن إليها ، ولا تطمئن فيها ، ولا تتعلق بها ؛ لأنك علىٰ جناح السفر منها إلىٰ وطن إقامتك وهو الآخرة ، كالغريب الذي لا يستقر في دار الغربة ولا يسكن إليها ، بل لا يزال مشتاقاً إلىٰ وطنه ، عازماً على السفر إليه .

وقوله : (**أو عابر سبيل**) أي : جائزُ طريقٍ ، أرقىٰ مما قبله في التباعد عن الدنيا ؛ لأن الغريب قد يسكن بلد الغربة ويقيم فيها ، بخلاف عابر السبيل ـ أي : المار في الطريق ـ فإن شأنه ألا يقيم ولا يسكن .

و(أو) بمعنىٰ (بل) التي للإضراب ، **والمعنىٰ** : كن في الدنيا كغريب بل عابر سبيل ، وفي ذلك حث على احتقار الدنيا ، والفراغ منها ، والزهد فيها ، والاقتصار علىٰ أخذ مقدار الضرورة المعينة على الآخرة ، فعلى العاقل أن يَقنَع فيها بالبُلْغة والكَفاف ، وهو ما يكون بقدر الحاجة ؛ لأنها في الحقيقة دار مرور ، وجسر عبور ؛ فقد قال عيسىٰ عليه الصلاة والسلام : (**الدنيا قنطرة ، فاعبروها ولا تعمروها**)[1] .

وقال سلمان الفارسي رضي الله تعالىٰ عنه : (**أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم ألا أتخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب**)[2] .

وما أحسن ما قيل : [من الطويل]

تَسَلَّ عنِ الدُّنْيا وكُنْ مُتَجَنِّباً ... زَخارِفَها واعتدَّ للسيرِ والسَّفَرْ
ولا تلتمِسْ منها سِوىٰ سَتْرِ عورةٍ ... وقوتِ كَفافٍ وٱرضَ منها بما حَضَرْ
وإيَّاك يوماً يستميلُكَ مالُها ... فكمْ مِنْ غنيٍّ بعدَ مالٍ قدِ ٱفْتَقَرْ
وما هيَ إلاَّ دارُ يُسْرٍ وعُسْرةٍ ... وفَرْحٍ وأحزانٍ وفي صَفْوِها كَدَرْ
إذا جَمَعَتْ شَملاً سَعَتْ في فِراقِهِ ... وكَمْ خَرَّبَتْ قَصْراً وكَمْ عَمَّرَتْ حُفَرْ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/٢٥٦) ، والإمام الغزالي في « الإحياء » (٨/١١٩) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/١٨٦) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٢١/٤٢٨) .

ولله در قوم قيل فيهم كما تقدم[1] : [من الرمل]

إنَّ للهِ عِبـــــاداً فُطَنـــــا طَلَّقُـوا الـدُّنْيـا وخـافُـوا الفِتَنـا
نَظَـرُوا فيهـا فلمَّـا عَـرَفُـوا أنَّهـا ليســتْ لحــيٍّ وَطَنـا
جَعَلُــوهــا لُجَّــةً واتَّخَــذُوا صـالــحَ الأعمـالِ فيهـا سُفُنـا

وحكي : أن رجلاً دخل على أبي ذر رضي الله تعالى عنه فقال : **يا أبا ذر ؛ أين متاعكم** ؟ فقال : (**إن لنا بيتاً نوجه إليه متاعنا**) .

فقال : لا بد من متاعٍ ما دمت هٰهنا ؟ قال : (**نعلم أن صاحب المنزل لا يدعنا فيه**)[2] .

وقال داوود الطائي رحمه الله تعالى : (**إنما الليل والنهار مراحل** ، ينزلها الناس مرحلة مرحلة ؛ حتى ينتهي ذلك بهم إلى آخر سفرهم ، **فإن استطعت أن تقدم كل يوم زاداً لما بين يديك** . . **فافعل** ، واقضِ ما أنت قاضٍ من أمورك ؛ فكأنك بالرحيل وقد بَغَتَكَ ، فكيف يركن إلى الدنيا مَنْ يومُه يهدم شهره ، وشهرُه يهدم سَنته ، وسنتُه تهدم عُمْره ؟!)[3] .

وقال بعضهم[4] : [من الطويل]

أَيَا مَنْ له في باطنِ الأرضِ حُفْرَةٌ أَتَـأْنَـسُ بـالـدُّنْيـا وأنـتَ غـريـبُ
ومـا الـدهـرُ إلاَّ كَـرُّ يـومٍ وليلـةٍ ومـا المـوتُ إلاَّ نـازلٌ وقـريـبُ

وقال آخر[5] : [من البسيط]

المَوتُ في كلِّ حين ينشُرُ الكَفَنا ونحـنُ فـي غفلـةٍ عمَّـا يُـرادُ بِنـا

---

(١) الأبيات للإمام الشافعي في « ديوانه » (ص ١٣١) ، وانظر ما تقدم (ص ١٠٧) .
(٢) أخرجه البيهقي في « الشعب » (١٠١٦٨) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٦٦/ ٢١١) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣٤٥ـ٣٤٦) وغيره بنحوه ، وهو بلفظه في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٨٣) .
(٤) البيتان في « التبصرة » لابن الجوزي (ص ٤٤٠) ، وانظر « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٨٤) .
(٥) الأبيات لابن أبي زمنين رحمه الله ؛ كما في « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ٣٨٠) .

لا تطمئِنَّ إلى الدُّنيا وزينَتِها ... ولو توشَّحْتَ مِنْ أثوابِها الحَسَنا
أينَ الأحبَّةُ والجيرانُ ما فَعَلُوا ... أينَ الذينَ هُمُ كانوا لنا سَكَنا
سقاهمُ الموتُ كأساً غيرَ صافيةٍ ... فصيَّرتْهُم لأطباقِ الثَّرىٰ رَهَنا

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما مرفوعاً : « **يؤتىٰ بالدنيا يوم القيامة علىٰ صورة عجوز شمطاء زرقاء**[١] ، أنيابها بادية ، مشوَّهٌ خلقها ، لا يراها أحد . . إلا كرهها ، فتشرف على الخلائق ، فيقال لهم : **أتعرفون هٰذه** ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفتها ، فيقال : **هٰذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها** »[٢] .

وروي في خبر : « أنه يؤمر بها فتلقىٰ في النار فتقول : يا رب ؛ أين أتباعي وأصحابي ؟ فيلحقون بها »[٣] .

[تقصير الأمل في هٰذه الدنيا]

(**وكان ابن عمر رضي الله**) تعالىٰ (**عنهما يقول**) في بعض وصاياه : (**إذا أمسيت**) أي : دخلت في وقت المساء . . (**فلا تنتظر الصباح**) أي : لا تنتظره في عملٍ من أعمال البر ؛ بل بادِرْ بفعل الخيرات ، وتيقَّنْ أنك ميتٌ قبل مجيء الصباح .

(**وإذا أصبحت**) أي : دخلت في وقت الصباح . . (**فلا تنتظر المساء**) أي : لا تمهل ولا تتكاسل عن عملٍ من أعمال البر ؛ بل بادر وأسرع بفعلِ ما تستطيعه من الطاعات ، ولا تنتظر مجيء المساء ؛ لأنه ربما يكون تأخيرُها سبباً لفواتها وعدم استدراكها .

---

(١) قوله : (**شمطاء**) أي : شائبة ؛ إذ الشمط الشيب كما في « النهاية » . **اهـ مؤلف** .
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (١٢٣) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠١٨٩ ، ١٠١٩٠) .
(٣) هو عين الحديث الذي قبله ، وأخرج أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٦٤) عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **يا أيها الناس ؛ إن الدنيا عَرَضٌ حاضر** ، يأكل منها البر والفاجر ، يحكم فيها ملك قادر ، يحق فيها الحق ويبطل الباطل ، **أيها الناس ؛ كونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن كل أُمٍّ يتبعها ولدها** » .

وبالجملة : فينبغي للشخص أن يَقْصُرَ أمله ، ويجعل الموت بين عينيه ، فينتظره في كل وقت ، ويترك الميل إلىٰ غرور الدنيا ، ويقبل علىٰ فعل الطاعات ؛ خوفَ أن يفجأه هاذم اللذات .

وحكي عن محمد بن واسع رحمه الله تعالىٰ : أنه كان إذا أراد النوم . . قال لأهله : (**أستودعكم الله ؛ فلعلي لا أقوم من نومتي**)[1] .

وجاء في الحديث : « **لا يبيت أحدكم . . إلا ووصيته عند رأسه** »[2] ؛ فلعل أن يبيت من أهل الدنيا ويصبح في أهل الآخرة ، فكم من مستقبلٍ يوماً أو عملاً لا يستكمله ! ![3] .

وقال أبو نصر بن ودعان رحمة الله تعالىٰ عليه : (قَصْرُ الأمل . . أصل كل خير ، كما أن تطويله أصل كل شر ؛ فإن من يُقَدِّر في نفسه أنه لا يعيش غداً . . لا يسعىٰ لكفاية غدٍ ، ولا يهتم لها ، فيصير حُرّاً من رِقِّ الحرص والطمع والذل وخدمة أبناء الدنيا ، ويكفيه كلُّ شيء ، ومن قدر أن يعيش عشر سنين مثلاً . . فإنه يصير عبداً لهـٰذه الأوصاف الذميمة ، ولا يكفيه شيءٌ من الدنيا ، ولا يملأ بطنه وعينه إلا التراب)[4] .

وعن أبي زكريا التميمي رحمه الله تعالىٰ أنه قال : بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام ؛ إذ أُتي بحجر منقوش ، فطلب من يقرؤه ، فأُتي بوَهْب بن مُنَبِّه رحمة الله تعالىٰ عليه ، فقرأه : فإذا فيه : (**ابنَ آدم : إنك لو رأيت ما بقي من**

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٢٢٧) .

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٢٧٣٨) ، ومسلم (١٦٢٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرج القضاعي في « مسند الشهاب » (٥٩٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا من الموت غايته ، ويا من القبر منزله ، ويا من الكفن ستره ، ويا من التراب وساده ، يا من الدود جيرانه ، يا من المنكر والنكير زواره ، يا أيها المودع غداً عِرْسه ، **كم من مستقبلٍ يوماً لا يستكمله ، ومنتظر غداً لا يبلغه** ، لو نظرتم إلى الأجل ومسيره . . لأبغضتم الأمل وغروره » .

(٤) أورده في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٨٤) .

أجلك . . **لزهدتَ في طويل أملك** ، ولرغبتَ في الزيادة من عملك ، ولَقَصَرْتَ من حِرصك وحِيلك ؛ فإنما يلقاك غداً ندمُك ، إذا زلت بك قدمُك ، وأسلمك أهلُك وحشمك ، وتبرَّأ منك الولد والقريب ، ورفضك الوالد والنسيب ، فلا أنت إلىٰ دنياك عائد ، ولا في حسناتك زائد ؛ فاعمل ليوم القيامة ، قبل الحسرة والندامة)[١] .

وقال بعضهم : (**من أكثر ذكر الموت . . أكرم بثلاثة أشياء** : تعجيل التوبة ، وقناعة القلب ، والنشاط في العبادة ، **ومن نسيه . . عُوقب بثلاثة أشياء** : تسويف التوبة ؛ أي : تأخيرها ، وترك الرضا بالكفاف ؛ وهو ما يكون بقدر الحاجة كما تقدَّم ، والتكاسل في العبادة)[٢] .

وقال بعضهم[٣] : [من الوافر]

إذا هَبَّتْ رِياحُكَ فاغتنِمْها ... فعُقْبىٰ كلِّ خافقةٍ سُكُونُ

ولا تَغْفَلْ عنِ الإحسانِ فيها ... فما تَدْرِي السكونَ مَتَىٰ يكونُ

إذا ظَفِرَتْ يَداكَ فلا تُقَصِّرْ ... فإنَّ الدَّهْرَ عادَتُهُ يَخُونُ

[اغتنام الصحة والحياة]

(**وخذ من صحتك لمرضك**) أي : اغتنم العمل الصَّالح في زمن صحَّتك قبل أن تمرض فتعجز عنه ، وتندم علىٰ ما فاتك منه ، وقد قالوا : إذا تعوَّد الإنسان على العمل الصالح في صحته . . جرىٰ له ثوابه في مرضه ؛ لخبر : « **إذا مرض العبدُ أو سافر** ـ أي : وفاته بسبب ذلك ما وظَّفَه علىٰ نفسه ـ . . **كَتَبَ الله تعالىٰ له من الأجر مثل ما كان يعملُ صحيحاً مقيماً** »[٤] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/٦٩) .

(٢) أورده القرطبي في « التذكرة » (١/١٢٦) وعزاه للفاف .

(٣) الأبيات في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٨٥) ، والأول والثاني في « ديوان الشافعي » (ص ١٣٣) .

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٩٦) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

وروي : (**إذا مرض العبد . . يقال لصاحب الشمال** : ارفع عنه القلم ـ أي : فلا يكتب عليه صغائر ـ **ويقال لصاحب اليمين** : اكتب له أحسن ما كان يعمل ؛ فإني أعلم به وأنا قيدته)[1] أي : لم يحصل منه تقصير .

(**ومن حياتك**) أي : وخذ من زمن حياتك (**لموتك**) وفي رواية : (قبل موتك) أي : اغتنم ما تلقىٰ نفعه بعد موتك ما دمت حيّاً ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ .

وقال عز شأنه : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وورد : أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجلٍ وهو يعظه : « **اغتنم خمساً قبل خمس** : شبابك قبل هرمك ، وصحَّتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »[2] .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكيس الناس ـ أي : أعقلهم ـ فقال : « أكثرُهم للموت ذكراً ، وأشدُّهم له استعداداً ، أولـٰئك هم الأكياس ؛ ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة »[3] .

وقال بعضهم : (من كان غافلاً عن الآخرة حتىٰ يأتيه الموت علىٰ غِرَّة ـ أي : غفلة ـ فإنه يجد لقدومه غمّاً وحسرة)[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (١٠٩٢٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٤٧٤) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفاً .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٤/٣٠٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٧٦٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٢) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٦٠) ، ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (٤/١٤٨) ، وغيرهم عن عمرو بن ميمون رحمه الله مرسلاً .

(٣) أخرجه بلفظه الطبراني في « الكبير » (١٢/٣١٨) ، و« الأوسط » (٦٤٨٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وأصله في « سنن ابن ماجه » (٤٢٥٩) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٥٤٠) .

(٤) انظر « المجالس السنية » (ص ١١٩) ، قوله : (**غرة**) بكسر الغين المعجمة . **اهـ مؤلف** .

[محاجة المال لصاحبه]

حكي : أنَّ رجلاً جمع مالاً عظيماً ، ثم صنع يوماً طعاماً لأهله وقعد علىٰ سريره وهم بين يديه يأكلون ، وقد وضع رِجْلاً علىٰ رجل وهو يقول لنفسه : **تنعَّمي فقد جمعت لك ما يكفيك** .

فبينما هو كذلك . . إذ أقبل ملك الموت في زِيِّ مسكين[1] ، فقرع الباب ، فخرج إليه بعض الغلمان فقالوا له : **ما حاجتُك** ؟ فقال لهم : **ادعوا لي سيِّدَكم** .

فانتهروه وقالوا : مثلك يخرج إليه سيدنا ؟! قال : نعم ، فجاؤوا ، فأخبروا سيدهم بذلك ، فقال : **هلا ضربتموه** ؟!

فعاد فقرع الباب قرعاً شديداً ، فخرجوا إليه ، فقال : **أخبروا سيدكم أني ملك الموت** ، فلما سمعوا منه ذلك . . وقع على الجميع الذُّلّ ، ودخل عليه ملك الموت ، فأحضر أمواله ونظر إليها تحسُّراً وتأسُّفاً وقال : لعنك الله من مال ؛ أشغلتني عن عبادة ربي .

فأنطق الله المال وقال : **لِمَ تسبني وقد كنتَ تدخلُ على الملوك بي وتردُّ المتقين** ، وقد كنت تنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك ؟! **ولو كنتَ أنفقتني في سبيل الخير . . لنفعتُك** ، ثم قبض ملك الموت روحه وانصرف[2] .

فنسأل الله تعالىٰ من فضله أن يوفِّقنا لما يحبُّ ويرضىٰ بمنِّه وكرمه .

ثم إنَّ هـٰذا الحديث أصل عظيم في قصرِ الأمل ، وفيه الحثُّ على التفرُّغ من هموم الدنيا ، والاشتغال بأمور الآخرة .

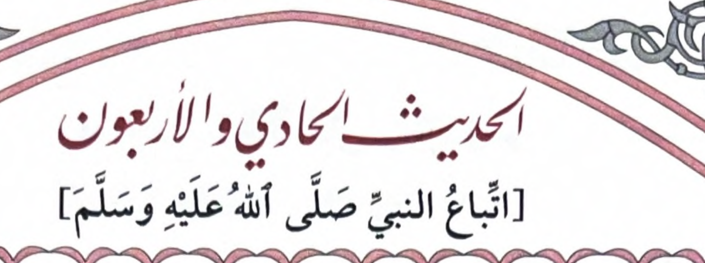
(**رواه البخاري**) في « صحيحه » أي : روى المذكور من الحديث وكلام ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما .



---

(١) قوله : (**زي**) بكسر الزاي ؛ أي : هيئة . **اهـ مؤلف** .

(٢) أخرجها أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٤٠ـ ٢٤١) ، وأوردها في « المجالس السنية » (ص ١٢٠) .



الحديث الحادي والأربعون

[اتِّباعُ النبيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ » حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ « ٱلْحُجَّةِ » بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[1] .

[من ترجمة سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما]

(عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص) بحذف الياء وإثباتها[2] (رضي الله) تعالىٰ (عنهما) أي : عن عبد الله وأبيه عمرو ؛ فإنهما صحابيان ، أسلم عبد الله قبل أبيه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضِّلُه عليه ؛ لأنه كان من علماء الصَّحابة وفضلائهم وزهَّادهم وعبَّادهم ، وكان كثير التلاوة للقرآن .

وكان يقول : (لأن تدمع عيني دمعة من خشية الله عز وجل . . أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بألف دينار)[3] .

وكان يصوم النهار ويقوم الليل ، ويرغب عن جماع النساء ؛ أي : يزهد فيه .

---

(١) الحجة في اتباع المحجة (١٠٣) .

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله في « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ٦٢) : (والجمهور علىٰ كتابة العاصي بالياء ؛ وهو الفصيح عند أهل العربية ، ويقع في كثير من كتب الحديث والفقه أو أكثرها بحذف الياء ، وهي لغة ، وقد قُرِئ في السبع نحوه ؛ كـ : ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ ، و﴿ ٱلدَّاعِ ﴾ ونحوهما) .

(٣) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٨١٦) .

روي : **أن أباه زوَّجه امرأةً من قريش** ، ثم دخل عليها فقال لها : كيف وجدتِ زوجك ، فقالت : **خير الرجال لم يعرف لنا فراشاً** ، فأقبل عليه يعظه وقال له : زوَّجتك امرأة من قريش فتركتَها ، ثم انطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاه له ، فأرسل إليه صلى الله عليه وسلم فأتاه ، فقال له : « **أتصوم النهار ؟** » قال : نعم ، قال : « **وتقوم الليل ؟** » قال : نعم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لٰكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأنام ، وأمسُّ النساء ، **فمن رغب عن سنتي.. فليس مني** »[1] أي : ليس علىٰ طريقتي الكاملة .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه من أكثر الناس أخذاً للحديث والعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال : **إنه حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم ألْفَ مثل**[2] .

وقد عمي آخر عمره[3] ، وكان مع أبيه إلىٰ أن توفي أبوه بمصر ، ثم انتقل إلى الشام إلىٰ أن توفي يزيد ، **ثم انتقل إلىٰ مكة ومات بها** ـ وقيل : مات بالشام ، وقيل : بالطائف ، وقيل : بمصر ـ سنة خمس أو سبع أو تسع وستين عن اثنين وسبعين[4] ، أو اثنين وتسعين سنة[5] .

ويقال : إنه دفن في داخل خزانة المصاحف التي في مسجد أبيه عمرو رضي الله تعالىٰ عنهما، **وكان قد شهد معه فتح الشام** ، وكانت معه رايته يوم اليرموك ، وقيل : إن معاوية ولاَّه إمارة مصر سنتين بعد موت والده ، ومروياته سبع مئة حديث[6] .

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٢/١٥٨) .

(٢) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (٥/١٦٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : (عقلت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل) .

(٣) ذكر ذلك ملا علي القاري في « مرقاة المفاتيح » (١/١٣٧) .

(٤) وهٰذا الذي أثبته الإمام النووي رحمه الله في « تهذيب الأسماء » (١/٦٥٠) ، والحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (١٥/٣٦٢) .

(٥) كذا في الأصل (اثنين) في الموضعين ، ويؤول المعدود المؤنث (سنة) بمذكر كـ (حولاً) ، انظر « همع الهوامع » (٣/٢٥٤) .

(٦) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٤٢١)، و« أسد الغابة » (٣/٣٤٩)، و« الإصابة » (٢/٣٤٣) .

[من ترجمة سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه]

ولما أسلم أبوه . . كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرِّبُه ؛ لمعرفته وشجاعته ، وولَّاه غزوة ذات السلاسل ، وأمدَّه بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة ابن الجراح رضي الله تعالىٰ عنهم(١) .

ثم استعمله علىٰ عُمان ، فمات صلى الله عليه وسلم وهو أميرُها(٢) ، ثم كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام في زمن عمر رضي الله تعالىٰ عنه ، وفتح بلاداً كثيرةً كحَلَبَ وأنطاكية ، **وهو الذي فتح مصر وكان أميراً عليها** .

ولما تولىٰ عثمان رضي الله تعالىٰ عنه الخلافة . . أبقاه نحو أربع سنين ثم عزله عنها ، ثم لما صار الأمر لمعاوية رضي الله تعالىٰ عنه أقطعه إياها ، وتوفي رضي الله تعالىٰ عنه بها وهو ابن تسع وتسعين سنة(٣) .

(**قال**) أي : عبد الله بن عمرو : (**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم**) أي : إيماناً كاملاً (**حتىٰ يكون هواه**) أي : حبُّه ومَيْلُه (**تبَعاً**) أي : تابعاً (**لما جئتُ به**) من الشريعة المطهَّرة ؛ يعني : لا يَكْمُل إيمان أحدٍ حتىٰ يهوىٰ بقلبه ، ويميل بطبعه إلىٰ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الدين ؛ كميله لمحبوباته الدنيوية التي جُبلت النفس على الميل إليها .

واعلم : أنه لا يحصل الرجوع عن هوى النفس ومحبوباتها الشهوانية المطبوعة عليها إلا بمجاهدةٍ وتصبُّرٍ واحتمالِ مشقةٍ حتىٰ تطمئن النفس ، فإذا اطمأنت . .

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٤٢) ، وأصله في « البخاري » (٣٦٦٢ ، ٤٣٥٨) ، و« مسلم » (٢٣٨٤) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٤٦/ ١٥٢) .

(٣) انظر ترجمته في « الاستيعاب » (ص ٤٩٦) ، و« أسد الغابة » (٤/ ٢٤٤) ، و« الإصابة » (٣/ ٢) ، ولما حضرته الوفاة . . قال : (**اللهم** ؛ أمرتني فلم أأتمر ، ونهيتني فلم أنزجر ، ولست قوياً فأنتصر ، ولا بريئاً فأعتذر ، ولا مستكبراً بل مستغفراً ، لا إلـٰه إلا أنت ، فلم يزل يرددها حتىٰ توفي) انظر « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ٦٤) .

أحبَّت ما يحبُّه الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ونشأ عن هٰذه المحبة امتثال الأوامر ، واجتناب المناهي ، والرضا بالقضاء والقدر .

خاتمة

[في إيثار رضا الله سبحانه وتعالىٰ]

روي عن حذيفة بن قتادة رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : (**كنت في مركبٍ فكُسرت بنا** ، فوقعت أنا وامرأة علىٰ لوح ، فمكثنا سبعة أيام ، فقالت المرأة : أنا عطشانة ، فسألتُ الله تعالىٰ أن يسقيها ، **فنزلت عليها من السماء سلسلةٌ فيها كوزٌ معلَّق فيه ماء فشربت** ، فرفعت رأسي أنظر إلى السلسلة . . فرأيت رجلاً جالساً في الهواء متربّعاً ، فقلت : **من أنتَ** ؟ قال : **من الإنس** .

قلت : **فما الذي بلَّغك هٰذه المنزلة** ؟ قال : **آثرت مراد الله تعالىٰ علىٰ هواي ، فأجلسني كما تراني**)[1] .

وعن وهب بن منبه رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : (**كان في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما إلىٰ أن مشيا على الماء** ، فبينما هما يمشيان على البحر ؛ إذا هما برجل يمشي في الهواء ، فقالا : **يا عبد الله** ؛ **بأيِّ شيء أدركت هٰذه المنزلة** ؟

قال : **بيسير من الدنيا** ؛ **فطَمْتُ نفسي عن الشهوات** ، وكففت لساني عما لا يعنيني ، ورغبت فيما دعاني الله إليه ، ولزمت الصمت ؛ فإن أقسمت على الله . . أَبَرَّ قَسَمي ، وإن سألته . . أعطاني)[2] .

وما أحسن قول بعضهم[3] : [من الطويل]

إذا طالَبَتْكَ النَّفْسُ يوماً بِشَهْوةٍ ... وكانَ عليها للخلافِ طريقُ
فخالفْ هَواها ما استطعتَ فإنَّما ... هَواها عَدُوٌّ والخلافُ صديقُ

---

(١) أخرجها ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص ٣٦) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٧٤٩) ، ومن طريقه ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص ٣٥ـ ٣٦) .

(٣) ذكرهما الثعالبي في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٣) .

وقيل لبعض الحكماء : **مَنِ الملوك** ؟ فقال : **مَنْ مَلَكَ هواه ، واتَّبع رضا مولاه** .

وحكي عن بعضهم : (أنه كان يطوف بالبيت ، فنظر إلى امرأة جميلة ، فمشىٰ إلىٰ جانبها ثم قال : [من الطويل]

أَهْوَىٰ هَوَى الدِّينِ واللَّذَّاتُ تُعجِبُني   فكيفَ لي بِهَوَى اللَّذَّاتِ والدِّينِ ؟!

فقالت له : **دع أحدهما . . تنل الآخر**)(١) .

ثم إنَّ هـٰذا الحديث مع وجازته يصلح أن يقال فيه : إنه كلُّ الإسلام ؛ لإفادته أن من كان هواه تابعاً لجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم . . فهو المؤمن الكامل ، ومن أعرض عن جميع ما جاء به ومنه الإيمان . . فهو الكافر ، وأما من تبع البعض : فإن كان ما تبعه أصل الدّين وهو الإيمان دون ما سواه . . فهو الفاسق ، وعكسه المنافق .

وبيَّنَ المصنّف مرتبة هـٰذا الحديث فقال : (**حديث صحيح رويناه**) أي : نقلناه حالة كونه (**في كتاب « الحجة » بإسناد صحيح**) وهـٰذا الكتاب أَلَّفه الأصفهاني في عقائد أهل السنة(٢) ، وقيل : إن مؤلّفه المقدسي(٣) .

* * *

---

(١) أخرجها ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص ٣٩) عن عبد الله بن حسن ، وعزاها الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٢١/١٨٩) لعلي بن عبد الله بن جعفر ، وذكرها غيرهما لمحمد بن عبد الله بن حسين .

(٢) الحجة في اتباع المحجة للحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفهاني التيمي .

(٣) هو الإمام الزاهد نصر بن إبراهيم المقدسي ، وكتابه « الحجة علىٰ تارك المحجة » ذكره الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/٢٦٩) .

الحديث الثاني والأربعون

[سَعَةُ مغفرةِ اللهِ عز وجل]

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : يَا بْنَ آدَمَ ؛ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي . . غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي ، يَا بْنَ آدَمَ ؛ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ ٱلسَّمَاءِ ثُمَّ ٱسْتَغْفَرْتَنِي . . غَفَرْتُ لَكَ ، يَا بْنَ آدَمَ ؛ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ ٱلأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئاً . . لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » **رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ** ، **وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ**[1] .

(**عن أنس رضي الله عنه**) وتقدَّم الكلام عليه[2] (**قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالىٰ : يا بن آدم**) يُعلم من ذلك أنَّه حديث قدسي ، والنداء فيه عامٌّ لكل من يتأتَّىٰ نداؤه .

(**إنك ما دعوتني ورجوتني . . غفرت لك**) يصحُّ أن تكون (ما) مصدرية ظرفية لقوله : (غفرت) ويصحُّ أن تكون شرطية[3] ، وعلىٰ كلٍّ : فالواو في (ورجوتني) للحال ، **والمعنىٰ على الأول** : إني[4] غفرتُ لك ذنوبك مدة دعائك في حال رجائك إياي ، **والمعنىٰ على الثاني** : إنك إن دعوتني مع رجائك إياي . . غفرت لك[5] .

---

(١) سنن الترمذي (٣٥٤٠) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ٢٢٢) في الحديث الثالث عشر .

(٣) قال ابن حجر الهيتمي في « الفتح المبين » : (ص ٦٢٦) : (وغلط من جعلها شرطية) .

(٤) في الأصل : (إنك) ، ولعل الصواب ما أثبت ، والله أعلم .

(٥) أخرج الحاكم (١/٥٤٣ـ ٥٤٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : واذنوباه واذنوباه ، فقال هـٰذا القول مرتين أو ثلاثاً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل : « **اللهم ؛ مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجىٰ عندي من** =

(**علىٰ ما كان منك**) أي : مع ما حصل منك من الذنوب الكثيرة ، فـ(علىٰ) بمعنىٰ (مع) ويصحُّ أن تكون زائدة ، و(ما كان منك) مفعول (غفرت) .

ويصحُّ أن تكون بمعنى الباء متعلقة بقوله الآتي : (ولا أبالي) ، **والمعنىٰ** : ولا أبالي بما كان منك .

ويصحَّ أن تكون علىٰ بابها متعلقة بمحذوف ، **والتقدير** : غفرت لك غفراناً مشتملاً ومستعلياً لسعته علىٰ ما كان منك[1] .

وقوله : (**ولا أبالي**) أي : ولا أكترث بذنوبك ، ولا يَعْظُم عليَّ كثرتُها ، وقد ورد في الحديث : « إذا دعا أحدكم . . فليعظم الرغبة ؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالىٰ لا يتعاظمه شيء »[2] أي : فالقليل والكثير ، والجليل والحقير عنده سواء ؛ لأنه تعالىٰ لا حجر عليه فيما يفعله ، ولا مُعقِّب لحكمه ، ولا مانع لتفضله ، ولأن جرائم العباد في جنب عظمة رحمته كذرَّةٍ صغيرةٍ بل أقلّ منها ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .

ولله درُّ القائل : [من الوافر]

إذا كنتَ الكريمَ فلا أُبالي ... ولو بلغتْ ذُنُوبي القَطْرَ عَدًّا
فكمْ مِنْ مُذْنِبٍ في النَّاسِ مِثْلِي ... بِعَفْوِكَ مِنْ لهيبِ النَّارِ عَدَّىٰ

[ثلاثة أمور من خصائص هٰذه الأمة لم يعطها إلا نبي]

واعلم : أنَّ الدعاء بلا واسطة من خصوصيات هٰذه الأمة ، وأما الأمم

= **عملي** » فقالها ، ثم قال : « **عد** » فعاد ، فقال : « **قم فقد غفر الله لك** » .

(١) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في « جامع العلوم والحكم » (٢/٤٠٨) : (ويروىٰ عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه : **يا بني** ؛ **عوِّد لسانك** : **اللهم** ؛ **اغفر لي** ، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً . وقال الحسن : **أكثروا من الاستغفار في بيوتكم** ، وعلىٰ موائدكم ، وفي طرقكم ، وفي أسواقكم ، وفي مجالسكم أينما كنتم ؛ فإنكم ما تدرون متىٰ تنزل المغفرة) .

(٢) أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٨٩٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

الماضية . . فكانوا يذهبون إلىٰ أنبيائهم ليسألوا لهم ، وقد روىٰ معمر عن قتادة رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : (**أُعطيت هـٰذه الأمة ثلاثاً لم يعطها إلا نبيّ** :

ـ كان يقال للنبي : اذهب فليس عليك حرج ، وقال لهـٰذه الأمة : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ أي : ضيق بتكليف ما يَشُقُّ عليكم القيامُ به .

ـ وكان يقال للنبي : أنت شهيدٌ علىٰ قومك ، وقال لهـٰذه الأمة : ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ .

ـ وكان يقال للنبي : سلْ تُعْطَ ، وقال لهـٰذه الأمة : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾)[1] .

[ما ثمرة الدعاء مع إمضاء القضاء ؟]

فإن قلت : قد ثبت أنَّ القلم جفّ بما هو كائن ، فما ثمرة الدعاء ؟

أُجيب : بأنَّ الدعاء من جملة ما تعبَّدَنا الله تعالىٰ به ، وما في علم الله غائب عنا ؛ فلذا كان العبد علىٰ جناحي الرجاء والخوف اللَّذينِ بهما تتمُّ العبوديَّة .

وأُجيب أيضاً : بأنَّ القضاء نوعان : قضاء مُبْرَمٌ وقضاء مُعَلَّق ، فطُلِبَ الدعاء لأجل الثاني ، وبفرض كونه لم يصادفه . . يحصل به للداعي ثواب .

وقد سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمهما الله تعالىٰ : **هل يعصي من يقول** : لا حاجة لنا إلى الدعاء ؛ لأنه لا يَرُدُّ ما قُدِّر وقُضِي ؟

فأجاب : (**من زعم أنه لا يحتاج إلى الدعاء . . فقد كَذَبَ وعصىٰ** ، ويلزمه أن يقول : لا حاجة لنا إلى الطاعة والإيمان ؛ لأن ما قضاه الله تعالىٰ من الثواب

---

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٠/١٧/٢٦٤) ، وأخرج الطبراني في « الأوسط » (٧٠١٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من أُعطي أربعاً . . أُعطي أربعاً** ، وتفسير ذلك في كتاب الله : من أُعطي الذكر . . ذكره الله ؛ لأن الله يقول : ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ ، ومن أُعطي الدعاء . . أعطي الإجابة ؛ لأن الله يقول : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، ومن أُعطي الشكر . . أعطي الزيادة ؛ لأن الله يقول : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ، ومن أعطي الاستغفار . . أعطي المغفرة ؛ لأن الله يقول : ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ » .

والعقاب لا بد منه ، وما يدري هـٰذا الأحمق أن الله تعالىٰ قد رتب مصالح الدنيا والآخرة على الأسباب ، ومن ترك الأسباب بناء علىٰ أن ما سبق به القضاء لا بد منه . . لزمه ألا يأكل إذا جاع ، ولا يشرب إذا عطش ، ولا يلبس إذا برد ، ولا يتداوىٰ إذا مرض ، وأن يَلقى الكفار بلا سلاح ، ويقول في ذلك كله : ما قضاه الله تعالىٰ لا يُرَدّ ، وهـٰذا لا يقوله مسلم ولا عاقل)[1] .

وذكر الغزالي رحمة الله تعالىٰ عليه : (أن من جملة القضاء : رد البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لرَدِّ البلاء ، كما أن الماء سبب لخروج النبات ، والترس سبب لدفع السهام ، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء عدم حمل السلاح ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾)[2] .

[من آداب الدعاء]

ثم إن الدعاء له آداب ؛ منها : تحرِّي الأوقات الفاضلة[3] ، وتقديم الوضوء والصلاة والتوبة ، واستقبال القبلة[4] ، ورفع الأيدي[5] ، والاعتراف بالذنب ، وخفض الصوت[6] ، وافتتاحه بالحمد والثناء والصلاة على النبي صلى الله عليه

---

(١) الفتاوى الموصلية (ص ١٠٢ـ١٠٣) .

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٤٥٢) .

(٣) أخرج الطبراني في « الكبير » (١/ ٢٥٠) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٧٠١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اطلبوا الخير دهركم ، وتعرضوا لنفحات رحمة الله عز وجل ؛ فإن لله عز وجل نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده ، واسألوا الله أن يستر عوراتكم ، ويؤمن روعاتكم » ، ولله سبحانه وتعال خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص ، فاغتنموا ذلك تفلحوا .

(٤) أخرج أبو داوود (٢٠٠٧) ، والنسائي (٥/ ٢١٣) عن عبد الرحمـٰن بن طارق بن علقمة ، عن أمه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا جاء مكاناً في دار يعلىٰ . . استقبل القبلة ودعا) .

(٥) أخرج أبو داوود (١٤٨٥) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سلوا الله ببطون أكفكم ، ولا تسألوه بظهورها ، فإذا فرغتم . . فامسحوا بها وجوهكم » .

(٦) أخرج البخاري (٤٢٠٢) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أو قال : لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أشرف الناس علىٰ وادٍ ، =

وسلم ، وجعل الصلاة في وسطه[1] ، وختمه بها وبـ(آمين) ، وألا يخص نفسه بالدعاء بل يعمم ، وأن يحسن ظنه بالله ويرجو منه الإجابة ؛ فقد ورد في الحديث القدسي : « أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء »[2] .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه : (والله الذي لا إلـٰه غيره ؛ لا يُحسن أحد الظن بالله . . إلا أعطاه الله ظنه ؛ وذلك أن الخير بيده)[3] .

وما أحسن قول بعضهم[4] : [من الكامل]

يا فاتحاً لِيَ كُلَّ بابٍ مُرْتَجي ... إنِّي لِعَفْوٍ منكَ عَنِّي مُرْتَجي

فامْنُنْ عَلَيَّ بما يُنيلُ سعادَتي ... فَسَعادَتي طَوْعاً مَتَىٰ تأْمُرْ تَجي

[الرجاء والخوف جناحا السلامة]

وأخرج ابن المبارك وأحمد والطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله تعالىٰ عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن شئتم . . أنبأتكم ما أول ما يقول الله للمؤمنين يوم القيامة ، وما أول ما يقولون له ؟** » قلنا : نعم يا رسول الله .

= فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إلـٰه إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اربَعوا علىٰ أنفسكم ؛ إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » وأنا خلف دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعني وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال لي : « يا عبد الله بن قيس » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « ألا أدلك علىٰ كلمة من كنز من كنوز الجنة ؟ » قلت : بلىٰ يا رسول الله فداك أبي وأمي ، قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

(١) أخرج أبو داوود (١٤٨١) عن سيدنا فضالة بن عُبيد رضي الله عنه قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته ، لم يمجد الله تعالىٰ ، ولم يصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَجِل هـٰذا » ثم دعاه فقال له أو لغيره : « إذا صلىٰ أحدكم . . فليبدأ بتحميد ربه عز وجل ، والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو بما شاء » .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/ ٤٩١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٣٣ ، ٦٣٤) وغيرهما عن سيدنا واثلة بن الأسقع رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٩٨٣) .

(٤) البيتان في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ١٣٩) ، و« الفتوحات الوهبية » (ص ٢٩٠) لعبد القاهر بن طاهر أبي منصور البغدادي .

قال : « فإن الله تعالىٰ يقول للمؤمنين : **هل أحببتم لقائي** ؟ فيقولون : نعم يا ربنا ، فيقول : **لِمَ** ؟ فيقولون : **رجونا عفوك ومغفرتك** ، فيقول : **قد وجبت لكم مغفرتي** »[١] .

قال بعضهم : **والرجاء** : حسن الظن بالله في قبول طاعة وُفِّقْتَ لها ، أو مغفرة سيئة تُبْتَ منها ، وأما الطمأنينة مع ترك الطاعات والإصرار على المخالفات . . فأَمْنٌ وغُرور ، وقد نُهِيَ عنه[٢] .

وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ : (**إن مَثَلَ الراجي مع الإصرار على المعصية . . كمَثَلِ مَن رجا حَصَاداً وما زَرَع ، أو ولداً وما نكح**)[٣] .

وقال عبد الله بن المبارك نفعنا الله تعالىٰ به[٤] : [من البسيط]

مـا بـالُ دِينِـكَ تَـرْضـىٰ أَنْ تُـدَنِّسَـهُ ... وثوبُكَ الدهرَ مغسولٌ مِنَ الدَّنَسِ

تَرْجُو النَّجاةَ ولم تَسْلُكْ طرِيقَتَها ... إنَّ السفينـةَ لا تَجْـرِي علـى اليَبَـسِ

وقال ابن المقري رحمة الله تعالىٰ عليه[٥] : [من الطويل]

تقـولُ مـعَ العِصْيَـانِ رَبِّـيَ غـافـرٌ ... صـدقـتَ ولٰـكـنْ غـافـرٌ بـالمشيئـةِ

وربُّـكَ رزّاقٌ كمـا هـوَ غـافـرٌ ... فلِـمْ لا تُصَـدِّقْ فيهمـا بـالسَّـوِيَّـةِ

علـىٰ أنَّـهُ بـالـرِّزْقِ كَفَّـلَ نَفْسَـهُ ... لكُـلٍّ ولـم يَكْفُـلْ لكـلٍّ بِجَنَّـةِ

ولَـمْ تَـرْضَ إلاَّ السعيَ فيما كُفِيتَـهُ ... وإهمـالَ مـا كُلِّفْتَـهُ مِـنْ وظيفـةِ

تُسِـيءُ بـه ظَنّـاً وتُحسِـنُ تـارةً ... علىٰ حَسْبِ ما يَقْضِي الهَوَىٰ بالقضيَّةِ

---

(١) المسند (٥/ ٢٣٨) ، الزهد (٢٧٦) ، المعجم الكبير (٢٠/ ١٢٥) .

(٢) قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالىٰ : (**من أعظم الاغترار عندي** : التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة ، وتوقع القرب من الله تعالىٰ بغير طاعة ، وانتظار زرع الجنة ببذر النار ، وطلب دار المطيعين بالمعاصي ، وانتظار الجزاء بغير عمل ، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط) انظر « إحياء علوم الدين » (٧/ ٤٧٣) .

(٣) كشف المشكل (٣/ ٣٢٣) .

(٤) ديوان عبد الله بن المبارك (ص ٨١) ، والبيتان في « شعب الإيمان » (١٠٠٠) .

(٥) تائية ابن المقري (ص ٢) .

وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ يقول : (**أرجى الناس للنجاة** . . أخوفُهم علىٰ نفسه) .

ومن ثَمَّ قيل : (**من علامة الرجاء** : حسن الطاعة)[1] .

وقيل : **إنه لا بد لتحقق الرجاء من الخوف** ، فيجب على الشخص أن يجمع بينهما ؛ ليسلم ، ولا يقتصر علىٰ أحدهما دون الآخر ؛ لأنه ربما يفضي الرجاء إلى المكر ، والخوف إلى القنوط ، وكل منهما مذموم .

وفي الحديث الشريف : « أقسم الخوفُ والرجاء ألا يجتمعا في أحد في الدنيا فيريح ريح النار ، ولا يفترقا في أحد في الدنيا فيريح ريح الجنة »[2] .

والمختار عند المالكية : تغليب الخوف إن كان صحيحاً ، والرجاء إن كان مريضاً ، **والراجح عند الشافعية** : استواؤهما في حق الصحيح ؛ بأن ينظر تارة إلىٰ عيوب نفسه فيخاف ، وتارة ينظر إلىٰ كرم الله تعالىٰ فيرجو ، وأما المريض . . فيكون رجاؤه أغلب من خوفه ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالىٰ »[3] .

وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه في مرض موته[4] : [من الطويل]

ولمَّا قَسا قَلْبِي وضاقتْ مَذَاهِبِي   جعلتُ الرَّجا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّما
تَعاظَمَنِي ذَنْبِي فلمَّا قَرَنْتُه   بِعَفْوِكَ ربِّي كانَ عَفْوُكَ أَعْظَما

[طلب المغفرة من الله]

(**يا بن آدم ؛ لو بلغت**) أي : وصلت (**ذنوبك عَنَان السماء**) بفتح العين المهملة وتخفيف النون ؛ أي : السحاب ، وأضيف إلى السماء لكونه في جهتها ،

---

(١) عزاه القشيري في « الرسالة » (ص ٢٤٥) إلىٰ شاه الكرماني .

(٢) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٩٧٣) عن سيدنا واثلة بن الأسقع رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٢٨٧٧) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٤) ديوان الإمام الشافعي (ص ١١٩) .

وقيل : هو اسم لما عَنَّ لك من السماء ـ أي : ظهر لك ـ إذا رفعت بصرك إليها .

والمعنىٰ : لو كثرت ذنوبك وملأت الأرض والفضاء ؛ حتىٰ وصلت بفرض كونها أجساماً إلى السحاب ، أو ما ظهر من السماء (**ثم استغفرتني**) أي : طلبتَ مني مغفرتها . . (**غفرتُ لك**) إياها غيرَ مبالٍ بكثرتها ؛ وذلك لأن كرم الله تعالىٰ وفضله ورحمته لا تتناهىٰ ، فهي أكثر وأوسع مما ذكر .

وحقيقة الاستغفار : اللهم اغفر لي ، **ويقوم مقامه** : أستغفر الله ؛ لأنه خبر بمعنى الطلب .

وفي الحديث : « **من قال** : أستغفر الله العظيم الذي لا إلـٰه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه . . غفر له وإن كان قد فرَّ من الزحف »[1] أي : من صف المسلمين في قتال الكفار .

وفي بعض الآثار : « **إن الاستغفار يجيء يوم القيامة محدقاً بأعمال الخلائق**[2] ، له أنين حول العرش يقول : إلـٰهي ؛ حقي حقي »[3] .

وقال إبراهيم بن أدهم : (**ما ألهم الله تعالىٰ عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه**)[4] .

وعَدَّ السيوطي رحمه الله تعالىٰ من خصائص هـٰذه الأمة : (أن الله يغفر لهم ذنوبهم بالاستغفار)[5] .

[شروط التوبة خمسة]

وقيل : **إن المراد بالاستغفار في الحديث** : التوبة ، **ولها شروطٌ خمسة** :

---

(١) أخرجه أبو داوود (١٥١٧) ، والترمذي (٣٥٧٧) عن سيدنا بلال بن يسار رضي الله عنه .

(٢) قوله : (**محدقاً**) أي : محيطاً . **اهـ مؤلف** .

(٣) أورده الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (ص ١٩٧) .

(٤) ذكره الإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/٤٠٦) .

(٥) الخصائص الكبرىٰ (٢/٢٠٦) .

الأول : الإقلاع عن الذنب ـ أي : تركه ـ فقد ورد : « المستغفر من الذنب وهو مقيمٌ عليه . . كالمستهزىء بربه »[١] .

الثاني : الندم عليه ؛ بأن يتحزَّن ويتوجَّع علىٰ فعله ، ويتمنىٰ كونه لم يفعله ، ولا بد أن يكون الندم عليه من حيث كونه ذنباً ، فلا يصح الندم لإضراره ببدنه ، أو هتك عرضه ، أو صرف ماله ، أو نحو ذلك ، وأما الندم للخوف من النار أو للطمع في الجنة . . ففيه خلاف ، **والصحيح** : أنه يكفي .

الثالث : العزم والتصميم علىٰ ألاَّ يعود إليه ما عاش ؛ كما لا يعود اللبن إلى الضَّرْع .

الرابع : وقوعها ـ أي : التوبة ـ قبل الغرغرة ؛ أي : قبل بلوغ الروح للحلقوم ، وهي حالة النَّزْع التي ييئس فيها الشخص من الحياة[٢] .

الخامس : وقوعها قبل طلوع الشمس من مغربها[٣] .

فإن كان الذنب يتعلق بآدمي . . زِيد **شرط سادس** ؛ وهو : رد الظلامة إلىٰ صاحبها ، أو تحصيل البراءة منه إن قدر ، **فيجب عليه أن يرد ما غصبه** أو سرقه مثلاً لصاحبه أو وارثه ، أو رد البدل إن كان المأخوذ تالفاً .

فإن عجز عن المالك أو وارثه . . دفعه لحاكمٍ ثقة ، فإن تعذر . . صرفه فيما يشاء من المصالح بنيَّة غرم بدله إن وجد مستحقه ، فإن أعسر . . عزم على الأداء عند قدرته ، فإن مات قبله . . فالمرجو من فضل الله أن يعوض المستحق .

---

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٦٧٨٠) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٥٤/ ٧٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرج الترمذي (٣٥٣٧) ، وابن ماجه (٤٢٥٣) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » .

(٣) أخرج مسلم (٢٧٥٩) عن سيدنا أبي موسىٰ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتىٰ تطلع الشمس من مغربها » .

ويجزئه الاستحلال ؛ بأن يطلب من صاحب الظلامة أن يبرِّئه ، بعد أن يذكر له ما حصل منه ؛ **لأن الإبراء عندنا** ـ معاشر الشافعية ـ **يشترط فيه العلم بالمبرأ منه** .

ويعلم من ذلك : أن مَنِ اغتاب شخصاً وأراد الاستحلال منه . . فلا بد أن يذكر له اللفظ الواقع منه ، ومن وقع عنده ؛ لاختلاف الغرض بذلك ، فلا أثر للتحليل مع الجهل بما حلل منه ، خلافاً لما ذهب إليه المالكية والحنفية ؛ من أنه لا يجب التفصيل مع طلب الإبراء .

فإن تعذَّر الاستحلال لموت المغتاب ، أو تعسَّر لغَيبته الطويلة . . استغفر له ؛ كما أنها إذا لم تبلغه يكفي فيها الندم والاستغفار له ، بل لا يجوز إعلامه حينئذ ؛ فقد قال ابن المبارك رحمه الله تعالىٰ : (**لا تؤذه مرتين**)[1] .

فإذا بلغته بعد الندم والاستغفار له . . لم يضر ؛ لخبر ابن عدي : « **إذا اغتاب أحدكم أخاه . . فليستغفر له ؛ فإنها كفارة له** »[2] .

وقال الشعراني نفعنا الله تعالىٰ به : (**ينبغي لمن يعلم من نفسه أن عليه للناس حقوقاً في المال والعرض وتعذَّرَ رضاهم** . . أن يقرأ مع حضورٍ « سورة الإخلاص » اثنتي عشرة مرة و« المعوذتين » كل ليلة ، ويهدي ثوابهن في صحائف أولئك الناس ، **وكيفية الإهداء** : أن يقول : اللهم ؛ صل وسلم علىٰ نبيك وحبيبك سيدنا محمد وآله ، وأثبني علىٰ ما قرأته ، واجعله في صحائف من له عليَّ تَبِعة من عبادك من مال وعرض)[3] .

واعلم : أنه لا يشترط في التوبة التلفُّظ بالاستغفار ، خلافاً لبعضهم حيث قال : إنها لا تتم إلا به ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾ .

---

(١) ذكره ابن عبد البر في « بهجة المجالس » (١/٣٩٨) .

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال (٣/٢٤٧) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما ، وفيه سليمان بن عمرو أبو داوود النخعي .

(٣) ذكره بنحوه في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/٧٣) تحت ترجمة الشيخ أبي المواهب الشاذلي رحمه الله تعالىٰ .

ويدل للأول حديث : « ما علم الله تعالىٰ من عبد ندامة علىٰ ذنب . . إلا غفر له قبل أن يستغفر منه »[1] .

ولا يشترط أيضاً مفارقة مكان المعصية ، خلافاً للزمخشري ، **وكذا لا يشترط تجديد التوبة كلما ذكر المعصية** ، خلافاً للقاضي أبي بكر الباقلاني .

ومحل الخلاف : ما لم يتهيَّج ويفرح ويلْتَذّ بذكر المعصية أو سماعها ، وإلا . . وجب التجديد اتفاقاً .

[التوبة النصوح وعلاماتها]

واختُلف في التوبة النَّصوح التي تكفِّر السيئات وتُبَدِّلُها بحسنات :

فقيل : هي أن يتوب الشخص ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع .

وقيل : **يجمعها أربعة أشياء** : الاستغفار باللسان ، والإقلاع بالأبدان ، وإضمار ترك العَود بالجنان ، ومهاجرة سيىء الخلان ؛ أي : الأصدقاء .

وقيل : **إن علاماتها ثلاث** : قلة الطعام ، وقلة الكلام ، وقلة المنام .

وقيل : **علاماتها** : مخالفة الهوىٰ ، وكثرة البكا ، ومكابدة الجوع والظما .

ثم إن الأخبار والآثار الواردة في التوبة كثيرة ؛ **منها** : ما أخرجه الأصبهاني أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إذا تاب العبد من ذنوبه . . أنسى الله حفظته ذنوبه ، وأنسىٰ ذلك جوارحه ومعالمه ـ أي : محاله من الأرض ـ حتىٰ يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب »[2] .

وحكي : أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالىٰ عشرين سنة ، ثم عصاه عشرين سنة ، ثم إنه نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته ، فساءه ذلك ، فقال :

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٢٥٣) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « التوبة » (١٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(إلٰهي ؛ أطعتك عشرين سنة ، ثم عصيتك عشرين سنة ، فإن رجعتُ إليك . . تقبلني ؟) .

فسمع قائلاً يقول ولا يرىٰ شخصه : (أحببتنا فأحببناك ، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، وإن رجعت إلينا . . قبلناك)[1] .

[توبة الفضيل بن عياض]

وحكي : أن سبب توبة الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ : أنه عشق جارية ، فواعدته ليلة ، فبينما هو يرتقي الجدران إليها ؛ إذ سمع قارئاً يقرأ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، فرجع القهقرىٰ وهو يقول : (بلىٰ والله قد آن) .

فآواه الليل إلىٰ خربة وفيها جماعة وبعضهم يقول لبعض : إن فلاناً يقطع الطريق ـ يعنونه ـ فقال الفضيل : (أراني بالليل أسعىٰ في معصية الله تعالىٰ وقوماً من المسلمين يخافونني ، اللهم ؛ إني قد تبت إليك ، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام)[2] .

(يا بن آدم ؛ إنك لو أتيتني بقراب الأرض) بضم القاف أشهر من كسرها ؛ أي : بقُرْب مِلْئِها ، أو بملئها ، وهو أبلغ في سَعة العفو (خطايا) أي : ذنوباً (ثم لقيتني) أي : بعد موتك حال كونك (لا تشرك بي شيئاً) بأن كنت معتقداً توحيدي ، ومصدقاً برسولي محمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به وهو الإيمان . . (لأتيتُك) أي : جازيتك (بقرابها مغفرة) أي : لغفرتها لك ، وعبَّر بـ(قُرابها) للمشاكلة ، وإلا . . فمغفرة الله سبحانه وتعالىٰ أعظم وأوسع من ذلك .

وظاهر الحديث : حصول المغفرة للخطايا وإن لم يصحبها استغفار ، ولا مانع منه ، إلا أنه ليس عاماً لكل أحد ، بل لمن شاء الله تعالىٰ له ذلك كما لا يخفىٰ .

---

(١) أخرجها البيهقي في « الشعب » (٦٧٢٣) ، والخطيب في « تاريخه » (٧/ ٢٨٤) عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله بنحوها .

(٢) أخرجها القشيري في « الرسالة » (ص ٤٧) .

ثم إن هٰذا الحديث : أرجىٰ حديث في السنة (**رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح**) وفيه دلالة علىٰ سعة رحمة الله تعالىٰ وكرمه وجوده ، لٰكن لا يجوز لأحد ـ كما قال بعضهم ـ أن يغترَّ به وينهمك في المعاصي .

وإنما القصد منه : بيان كثرة مغفرته تعالىٰ ؛ لئلا ييئس المذنبون منها بكثرة الخطايا .

[جزاء من لقي الله موحداً]

وروي عن كعب الأحبار رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : (أوحى الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام : **يا موسىٰ** ؛ **آليتُ** ـ أي : حلفت ـ **علىٰ نفسي قبل أن أخلق السماوات والأرض والدنيا والآخرة** : أنه من لقيني وهو يشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه . . **كتبت له براءة وعتقاً من النار** ، **وأوصيت ملك الموت** عند قبض روحه أن يكون أرفق به من والديه ، **وأوصيت منكراً ونكيراً** إذا دخلا عليه في قبره . . ألا يُرَوِّعاه ، **وأوسع له في قبره** ، **وأُؤنسه من وحشة قبره** ، **ولا يسألني يوم القيامة عن شيء** . . إلا أعطيته إياه)[1] .

[الطمع في مغفرة الله]

وفي خبر مسند : « أن رجلاً يؤمر به إلى النار ، فإذا بلغ ثلث الطريق . . التفتَ ، فإذا بلغ نصف الطريق . . التفتَ ، فإذا بلغ ثلثي الطريق . . التفتَ ، فيقول الله تعالىٰ : رُدُّوه ، ثم يسأله فيقول : لِمَ التفتَّ ؟

فيقول : لما بلغتُ ثلث الطريق . . تذكرت قولك : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ ، فقلت : لعلك تغفر لي .

فلما بلغتُ نصف الطريق . . تذكرت قولك : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فقلت : لعلك تغفر لي .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٤) مطولاً .

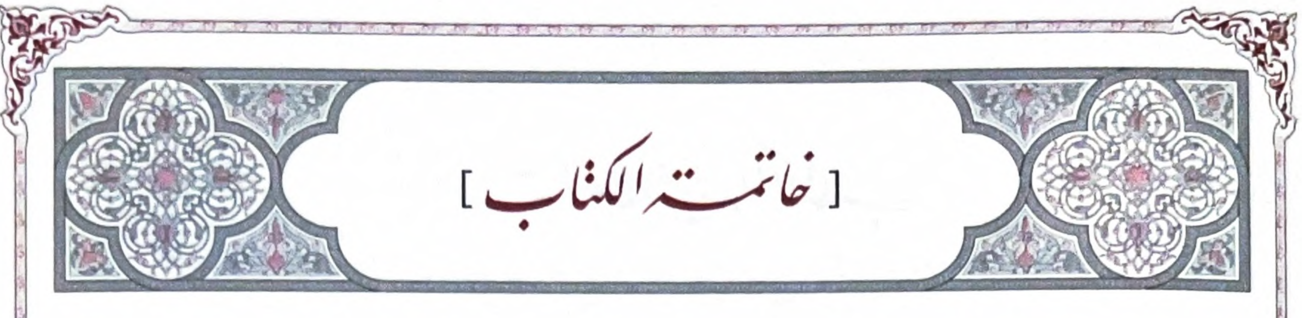
فلما بلغتُ ثلثي الطريق . . تذكرت قولك : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ .

فازددت طمعاً ، فيقول الله عز وجل : اذهب فقد غفرت لك »[١] .

فنسأل الله تعالىٰ من فضله بجاه النبي وآله وصحبه أن يغفر لنا ذنوبنا ، ويستر في الدارين عيوبنا .

❋ ❋ ❋

(١) أورده في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٩٣) .



[خاتمة الكتاب]

وهٰذا آخر ما سهل الله تعالىٰ جمعه علىٰ حسب الإمكان مع اشتغال البال بالهموم والأحزان ، وإني أقول كما قال بعضهم[1] : [من البسيط]

يا مَنْ غَدا ناظراً فيما جمعتُ وقدْ ... أَضْحَىٰ يُرَدِّدُ في أفنائِهِ النَّظَرا

سألتُكَ اللهَ إنْ عاينتَ مِنْ خطأٍ ... فاسْتُرْ عَلَيَّ فخيرُ الناسِ مَنْ سَتَرا

وأطلب من الله تعالىٰ أن يَمُنَّ بقبوله ، وينفع به كما نفع بأصوله ، وحسبي الله ونِعْم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله وسلم علىٰ سيدنا محمد النبي الكريم ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

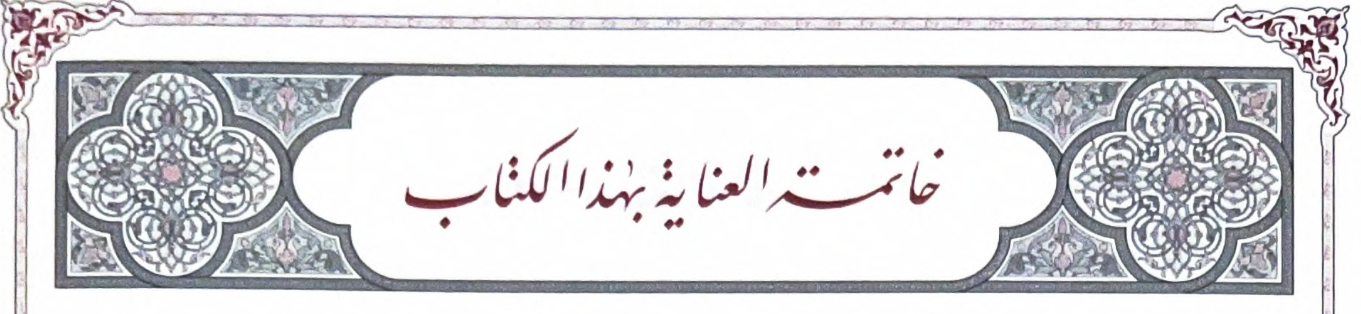
والحمد لله رب العالمين

وقد تم هٰذا الجمع بعون الله تعالىٰ في : يوم الثلاثاء ، الخامس عشر من شعبان ، سنة ألف وثلاث مئة وسبعة وعشرين من هجرة سيد ولد عدنان .

علىٰ يد الفقير الفاني : **محمد بن عبد الله الجرداني الدمياطي الشافعي** ، عامله الله بلطفه الخفي ، وغفر له ولوالديه ومشايخه والمسلمين ، بجاه خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد النبي المعظم صلى الله عليه وسلم ، ما لاح بدر التمام ، وفاح مسك الختام .

* * *

(١) البيتان في « الفتوحات الوهبية » (ص ٢٩٣) .



خاتمة العناية بهذا الكتاب

تم بعون الله تعالى الانتهاء من تحقيق هٰذا الشرح المبارك النافع وتصحيحه مساء يوم الاثنين ، الخامس عشر من شهر رجب الأصب ، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من هجرة سيد الخلق والأنام عليه الصلاة والسلام .

الموافق للرابع من شهر يونيو (حزيران) ، سنة اثني عشر وألفين للميلاد بدمشق الشام حرسها الله وسائر بلاد المسلمين من مكر الماكرين .

سائلاً الله أن يتقبل منا هٰذا العمل ، وأن ينفع به المسلمين ، وأن يجعله من أسباب الفرج على الأمة .

إنه سميع مجيب

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وكتبه

محمد غسان نصوح عزقول الحسيني

المشرف على أعمال البحوث والنشر

بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي

بَابُ
ٱلإِشَارَاتُ إِلَىٰ ضَبْطِ ٱلأَلْفَاظِ ٱلْمُشْكِلاَتِ [1]

هـٰذا البابُ وإن ترجمتُهُ بالمشكلاتِ فقد أُنبِّهُ فيه علىٰ ألفاظٍ من الواضحات .

في الخطبة

« **نَضَّرَ اللهُ امْرَأً** » رُوِيَ بتشديدِ الضاد وتخفيفها ، والتشديدُ أكثر ؛ **ومعناهُ** : حسَّنهُ وجمَّلَهُ .

الحديث الأول

(**أمير المُؤمِنِينَ**) عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، هو أوَّلُ من سُمِّي أميرَ المؤمنين .

قوله صلى الله عليه وسلم : « **إِنَّمَا الأعمَالُ بالنِّيَّاتِ** » **المراد** : لا تُحسبُ الأعمالُ الشرعيةُ إلاَّ بالنِّيَّة .

قوله صلى الله عليه وسلم : « **فَهِجرَتُهُ إِلَى اللهِ ورَسُولِه** » **معناهُ** : مقبولة .

الحديث الثاني

(**لا يُرىٰ عليهِ أثَرُ السَّفَرِ**) هو بضم الياء من (يرىٰ) .

قوله : « **تُؤمِنَ بِالقدرِ خيرِه وشرِّهِ** » **معناه** : تعتقدُ أنَّ الله تعالىٰ قدَّر الخيرَ والشرَّ قبلَ خَلْقِ الخلق ، وأنَّ جميعَ الكائناتِ قائمةٌ بقضاءِ اللهِ تعالىٰ وقَدَرِهِ ، وهو مريدٌ لها .

---

(١) هذا الباب لم يرد في « الجواهر الؤلؤية » ، وإنما ورد في آخر « الأربعين النووية » فأحببنا إضافته هنا ؛ تتميماً للفائدة والنفع .

قوله : « **فأخبرني عن أَمَارَتها** » هو بفتح الهمزة ؛ أي : علامتها[1] ، ويقالُ : (أمار) بلا هاء لغتان ، لـٰكن الرواية بالهاء .

قوله : « **تلِدَ الأَمَةُ ربَّتَهَا** » أي : سيِّدَتها ؛ **ومعناهُ** : أن تكثرَ السَّراري حتىٰ تلدَ الأمةُ السُّرِّيَةُ بنتاً لسيدها ، وبنتُ السيِّدِ في معنى السيد ، وقيل : يكثرُ بيعُ السَّراري ، حتىٰ تشتري المرأةُ أُمَّهَا ، وتستعبدها جاهلةً بأنها أمها ، وقيل غير ذلك ، وقد أوضحتُهُ في « شرح صحيح مسلم » بدلائلِهِ وجميعِ طرقه[2] .

قوله : « **العَالَةَ** » أي : الفقراء ؛ **ومعناهُ** : أنَّ أسافلَ الناسِ يصيرونَ أهلَ ثروةٍ ظاهرةٍ .

قوله : (**لبثت مليّاً**)[3] هو بتشديد الياء ؛ أي : زماناً كثيراً ، وكان ذلك ثلاثاً[4] ، هـٰكذا جاء مبيناً في روايةِ أبي داوود ، والترمذي وغيرِهِمَا[5] .

الحديث الخامس

« **مَنْ أحدَثَ في أمرِنا . . . فهُو رَدٌّ** » أي : مردود ، كالخَلْقِ بمعنى المخلوق .

الحديث السادس

« **فقد استبرأ لدينهِ وعِرضِه** » أي : صانَ دينَهُ ، وحمىٰ عرضَهُ من وقوعِ الناسِ فيه .

---

(١) في (ج) : (عن أماراتها . . . علاماتها) .
(٢) شرح صحيح مسلم (١/١٥٨ـ١٥٩) .
(٣) اللفظ في الحديث : (**فلبثت**) بالفاء ، وفي رواية : (**فلبث**) ، والقائل هو سيدنا عمر رضي الله عنه .
(٤) أي : ثلاثة أيام كما صرَّح به في « الترمذي » ، و« أبي داوود » فالتنوين في (**ثلاثاً**) يكون تنوين العوض عن المضاف إليه . **اهـ هامش (أ)**
(٥) أبو داوود (٤٦٩٥) ، والترمذي (٢٦١٠) عن سيدنا عمر رضي الله عنه ، وأخرجه أيضاً النسائي (٨/٩٧) ، وأحمد (١/٥٢) .

قوله : « **يُوشِكُ** » هو بضم الياء وكسر الشين ؛ أي : يُسرِع ويَقْرُب .

قوله : « **حِمى اللهِ محارِمُهُ** » **معناهُ** : الذي حماهُ اللهُ تعالىٰ ومنَعَ دخولَهُ . . هو الأشياءُ التي حرَّمها .

الحديث السّابع

قوله : (**عن أبي رُقَيَّةَ**) هو بضم الراء وفتح القاف وتشديد الياء .

قوله : (**الدَّاريّ**) منسوبٌ إلىٰ جدٍّ له اسمُهُ الدَّار ، وقيل : إلىٰ موضع يُقالُ له : دارين ، ويقالُ فيه أيضاً : الدَّيري نسبةً إلىٰ ديرٍ كانَ يتعبَّدُ فيه ، وقد بسطتُ القولَ في إيضاحِهِ في أوائلِ « شرح صحيح مسلم »[١] .

الحديث التّاسع

قوله : « **وٱختِلافُهُم** » هو برفع الفاء لا بكسرها .

الحديث العاشر

قوله : « **غُذِيَ بالحَرَام** » هو بضم الغين وكسر الذال المعجمة المخففة .

الحديث الحادي عشر

« **دَعْ ما يَرِيبُك** » بفتح الياء وضمها لغتان ، والفتح أفصح وأشهر ؛ **معناهُ** : اترك ما شككتَ فيه ، واعدل إلىٰ ما لا تشكُّ فيه .

الحديث الثّاني عشر

قوله : « **يَعنيه** » بفتح أوله .

---

(١) شرح صحيح مسلم (١/ ١٤٢) .

الحديث الرّابع عشر

قوله : « الثَّيِّب الزَّاني » معناهُ : المُحْصَن إذا زنىٰ ، وللإحصانِ شروطٌ معروفةٌ في كتبِ الفقه .

الخامس عشر

قوله : « لِيَصمُتْ » بضم الميم .

السّابع عشر

« القِتلَة » و« الذِّبْحَة » بكسر أوَّلِهِمَا .

قوله : « ولْيُحِدَّ » هو بضم الياء وكسر الحاء وتشديد الدال ، يقال : أَحَدَّ السكين ، وحدَّدها ، واستحدَّها بمعنىً .

الثّامن عشر

(جُنْدُب) بضم الجيم ، وضم الدال وفتحها .

و(جُنادَةُ) بضم الجيم .

التّاسع عشر

« تُجَاهَكَ » بضم التاء وفتح الهاء ؛ أي : أمامك كما في الرواية الأخرىٰ .

« تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاء » أي : تحبَّبْ إليه بلزومِ طاعته ، واجتنابِ مُخالفتِهِ .

العشرون

« إذَا لَم تستحِ . . فاصنعْ ما شِئت » معناهُ : إذا أردتَ فعلَ شيءٍ : فإن كان ممَّا لا تستحيي من الله ومن الناس في فعله . . فافعله ، وإلاَّ . . فلا ، وعلىٰ هـٰذا مدارُ الإسلام .

الحادي والعشرون

« **قُلْ آمنتُ بِاللهِ ثُمَّ استقِمْ** » أي : استقِمْ كما أُمرتَ ، ممتثلاً أمرَ اللهِ تعالىٰ ، مجتنباً نهيَهُ .

الثالث والعشرون

قوله صلى الله عليه وسلم : « **الطُّهورُ شطرُ الإيمان** » **المرادُ بالطُّهور** : الوضوء ، قيل : **معناهُ** : ينتهي تضعيفُ ثوابِهِ إلىٰ نصفِ أجرِ الإيمان ، وقيل : الإيمانُ يجُبُّ ما قبلَهُ من الخطايا ، وكذا الوضوء ، لٰكن الوضوء تتوقَّفُ صحَّتُهُ على الإيمان ، فصارَ نصفاً ، وقيلَ : **المرادُ بالإيمان** : الصلاةُ ، والطهورُ شرطٌ لصحتها ، فصارَ كالشَّطْرِ ، وقيل غيرُ ذلك .

قوله صلى الله عليه وسلم : « **والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ** » أي : ثوابُها .

« **وسُبحان اللهِ والحمدُ للهِ تملآنِ** » أي : لو قدِّرَ ثوابُهُمَا جسماً . . لملأا ، **وسببُهُ** : ما اشتملتا عليه من التنزيهِ والتفويضِ إلى الله تعالىٰ .

« **والصَّلاة نُورٌ** » أي : تمنعُ من المعاصي ، وتنهىٰ عن الفحشاء ، وتهدي إلى الصواب ، وقيل : يكونُ ثوابُها نوراً لصاحبها يومَ القيامة ، وقيل : إنَّها سببٌ لاستنارةِ القلب .

« **والصّدقةُ بُرهَانٌ** » أي : حجّةٌ لصاحبها في أداء حقِّ المال ، وقيل : حُجَّةٌ في إيمان صاحبها ؛ لأنَّ المنافقَ لا يفعلُهَا غالباً .

« **والصَّبرُ ضِياءٌ** » أي : الصبرُ المحبوبُ ، وهو الصبرُ علىٰ طاعةِ الله تعالىٰ ، والبلاءِ ، ومكاره الدُّنيا ، وعن المعاصي ؛ **ومعناهُ** : لا يزالُ صاحبُهُ مستضيئاً مستمراً على الصواب .

« **كُلُّ النَّاسِ يغدو ، فبائعٌ نفسَهُ** » **معناهُ** : كلُّ إنسانٍ يسعىٰ بنفسه ؛ فمنهم من يَبيعها للهِ تعالىٰ بطاعته ، فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوىٰ باتباعهما[1] .

---

(١) في (ب) : (من يبيعها من الشيطان . . .) .

« **فموبقُهَا** » أي : مهلكها[١] .

وقد بسطتُ شرحَ هـٰذا الحديثِ في أولِ « شرح صحيح مسلم » ، فمَنْ أرادَ زيادةً . . فليراجعْهُ ، وبالله التوفيق[٢] .

الرابع والعشرون

قوله تعالىٰ : « **حرَّمتُ الظلم علىٰ نفسي** » أي : تقدَّسْتُ عنه ، فالظلمُ مستحيلٌ في حقِّ الله تعالىٰ ؛ لأنه مجاوزةُ الحدِّ ، أو التصرفُ في غير ملك ، وهما جميعاً محالٌ في حقِّ الله تعالىٰ .

قوله تعالىٰ : « **فلا تَظالموا** » هو بفتح التاء ؛ أي : لا تتظالموا .

قوله تعالىٰ : « **كما ينقص المِخْيَطُ** » هو بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء ؛ أي : الإبرة ، **ومعناهُ** : لا ينقصُ شيئاً .

الخامس والعشرون

« **الدُّثور** » بضم الدال والثاء المثلثة : الأموال ، واحدها دَثْر ، كفَلْس وفلوس .

قوله : « **وفي بُضْعِ أحدكم** » هو بضم الباء وإسكان الضاد المعجمة ، وهو كنايةٌ عن الجماع إذا نوىٰ به العبادة[٣] ؛ وهو قضاءُ حقِّ الزوجة ، وطلبُ ولدٍ صالح ، وإعفافُ النفسِ ، وكفُّها عن المحارم .

السادس والعشرون

« **السُّلاَمىٰ** » بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم ، وجمعه سُلامَيات بفتح

---

(١) في (أ) و(ب) : (**فيوبقها** : أي : يهلكها) ، وهي في الحديث بالميم لا بالياء .
(٢) شرح صحيح مسلم (٣/ ١٠٠ـ ١٠٢) .
(٣) في (أ) و(ب) : (إذا نوى العبادة) .

الميم : وهي المفاصلُ والأعضاء ، وهي ثلاثُ مئةٍ وستون ، ثبتَ ذلكَ في « صحيح مسلم » عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

السّابع والعشرون

(**النَّوَّاس**) بفتح النون وتشديد الواو .

و(**سِمْعان**) بكسر السين وفتحها .

قوله : « **حاكَ** » بالحاء المهملة والكاف ؛ أي : تردَّد .

(**وابِصة**) بكسر الباء الموحدة .

الثّامن والعشرون

(**العِرباض**) بكسر العين وبالموحدة .

و(**سَارِيَة**) بالسين المهملة والياء المثناة من تحت .

قوله : (**ذَرَفتْ**) بفتح الذال المعجمة والراء ؛ أي : سالت .

قوله : « **بالنَّواجذ** » هو بالذال المعجمة ؛ وهي الأنياب ، وقيل : الأضراس .

و« **البدعة** » ما عُمل علىٰ غير مثالٍ سبق .

التّاسع والعشرون

و« **ذُروة السَّنَام** » بكسر الذال وضمها ؛ أي : أعلاه .

(**مِلاك الشيءِ**) بكسر الميم ؛ أي : مقصوده .

---

(١) مسلم (١٠٠٧) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، ولفظه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنه خُلِق كل إنسانٍ من بني آدم علىٰ ستين وثلاث مئة مفصل ، فمن كبَّر الله ، وحمد الله ، وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ، وعزل حجراً عن طريق الناس ، أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس ، وأمر بمعروف ، أو نهىٰ عن منكر عدد تلك الستين والثلاث مئة السلامىٰ . . فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار » .

قوله : « يَكُبّ » هو بفتح الياء وضم الكاف .

الثلاثون

(الخُشَني) بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين وبالنون ، منسوبٌ إلىٰ خُشينة ؛ قبيلة معروفة .

قوله : (جُرْثُوم) بضم الجيم والثاء المثلثة وإسكان الراء بينهما ، وفي اسمِهِ واسمِ أبيهِ اختلافٌ كثير .

الثاني والثلاثون

« وَلاَ ضِرَارَ » هو بكسر الضاد .

الرابع والثلاثون

« فإن لم يستَطِع . . فبقلبِهِ » معناهُ : فليكرهْهُ بقلبه .

« وذلك أضعَفُ الإيمانِ » أي : أقلُّه ثمرةً .

الخامس والثلاثون

« ولا يَكْذِبُهُ » هو بفتح الياء وإسكان الكاف .

قوله : « بحسْبِ ٱمرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ » هو بإسكان السين ؛ أي : يكفيه من الشرِّ .

الثامن والثلاثون

« فَقَدْ آذَنْتُهُ » هو بهمزةٍ ممدودةٍ ؛ أي : أعلمتُهُ بأنهُ مُحارِبٌ لي .

قوله : « استعاذني » ضبطوه بالنون وبالباء ، وكلاهما صحيح .

الأربعون

« كُنْ فِي الدُّنْيَا كأنَّكَ غَرِيبٌ » أي : لا تركَنْ إليها ، ولا تتَّخِذْها وطناً ، ولا تحدِّثْ نفسَكَ بطولِ البقاءِ فيها ، ولا بالاعتناءِ بها ، ولا تتعلَّقْ منها بما لا يتعلَّقُ به الغريبُ في غير وطنه ، ولا تشتغِلْ فيها بما لا يشتغلُ به الغريبُ الذي يريدُ الذهابَ إلىٰ أهله .

الثاني والأربعون

« عَنَانَ السَّماءِ » بفتح العين ؛ قيل : هو السحاب ، وقيل : ما عنَّ لك منها ؛ أي : ما ظهرَ إذا رفعتَ رأسَكَ .

قوله : « بِقُرَابِ الأَرْضِ » بضم القاف وكسرها لغتان رُوِيَ بهما ، والضم أشهر ؛ **ومعناهُ** : ما يقارِبُ مَلأْها[1] .

فَصْلٌ

[في معنى الحفظ في قوله صلى الله عليه وسلم : « من حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثاً »]

اعلم : أنَّ الحديثَ المذكورَ أولاً : « مَنْ حَفِظَ عَلَىٰ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثاً » **معنى الحفظ هنا** : أن ينقلها إلى المسلمين وإن لم يحفظها ، ولا عرف معناها ، هٰذا حقيقة معناه ، وبه يحصل انتفاع المسلمين ، لا بحفظ ما لا ينقله إليهم ، والله أعلم بالصواب .

❀ ❀ ❀

الحمد لله الذي هدانا لهٰذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلاته وسلامه علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) في (أ) : (ما يقارب مثلها) .

قال مؤلِّفه الشيخ الإمام ، العالم العامل ، الحافظ الضابط ، المتقن المحقق محيي الدين يحيى النووي عفا الله عنه : فرغت منه ليلة الخميس ، التاسع والعشرين من جمادى الأولىٰ ، سنة ثمان وستين وست مئة .

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله وصحبه وسلّم

أهمّ مصادر ومراجع التحقيق[1]

- الإتقان في علوم القرآن ، **للإمام الحافظ** عبد الرحمٰن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١هـ) ، تحقيق الدكتور مصطفىٰ ديب البغا ، ط٢ ، (١٩٩٣م) ، دار ابن كثير ودار العلوم الإنسانية ، سورية .
- الآحاد والمثاني ، **للإمام الحافظ الرحلة** أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني المعروف بـ **ابن أبي عاصم** (ت ٢٨٧هـ) ، تحقيق الدكتور باسم الجوابرة ، ط١ ، (١٩٩١م) ، دار الراية ، السعودية .
- الأحاديث المختارة ، المسمى « المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما » ، **للإمام الحافظ ضياء الدين** محمد بن عبد الواحد **المقدسي** (ت ٦٤٣هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الملك عبد الله بن دهيش ، ط٤ ، (٢٠٠١م) ، دار خضر ، لبنان .
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، المسمى « المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها » ، **للإمام الحافظ** علي بن بَلْبان بن عبد الله الفارسي المعروف بـ **ابن بلبان** (ت ٧٣٩هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط٣ ، (١٩٩٧م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- إحياء علوم الدين ، **لحجة الإسلام** محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** (ت ٥٠٥هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط١ ، (٢٠١١م) ، دار المنهاج ، السعودية .
- أخبار القضاة وتواريخهم ، المسمىٰ « طبقات القضاة » ، **للقاضي المؤرخ** محمد بن خلف بن حيَّان الضبي المعروف بـ **وكيع** (ت ٣٠٦هـ) ، عني به عبد العزيز مصطفى المَرَاغي ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة عن نشرة لدىٰ عالم الكتب ، لبنان .

---

(١) **اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي** : اسم الكتاب ، اسم المؤلف وتاريخ وفاته ، اسم المحقق ، رقم الطبعة ، تاريخ طبع الكتاب ، اسم الدار الناشرة ومقرها .

ـ أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بـ أبي الشيخ (ت ٣٦٩هـ) ، تحقيق الدكتور محمد الإسكندراني ، ط١ ، (٢٠٠٧م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

ـ أدب الإملاء والاستملاء ، للإمام الحافظ عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢هـ) ، عني به ماكس فايسنايلر ، ط١ ، (١٩٨١م) ، لبنان .

ـ الأدب المفرد ، لإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٤ ، (١٩٩٧م) ، نسخة مصورة لدىٰ دار البشائر الإسلامية عن طبعة المكتبة السلفية ، لبنان .

ـ الأذكار من كلام سيد الأبرار ، المسمىٰ « حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار » ، للإمام الحافظ المجتهد يحيىٰ بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط١ ، (٢٠٠٥م) ، دار المنهاج ، السعودية .

ـ الأربعون النووية ، للإمام الحافظ المجتهد يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، عني به قصي الحلاق وأنور الشيخي ، ط١ ، (٢٠٠٩م) ، دار المنهاج ، السعودية .

ـ الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين رحمة الله عليهن أجمعين ، للإمام الحافظ عبد الرحمٰن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقي ، المعروف بـ فخر الدين ابن عساكر (ت ٦٢٠هـ) ، تحقيق محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير ، ط١ ، (١٩٨٦م) ، دار الفكر ، سورية .

ـ إرشاد الساري إلىٰ شرح صحيح البخاري ، للإمام العلامة أحمد بن محمد بن أبي بكر القُسْطُلاني (ت ٩٢٣هـ) ، وبهامشه صحيح مسلم وشرح النووي عليه ، ط٦ ، (١٣٠٤هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة بولاق لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالىٰ وتلاوة كتابه العزيز وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين ، للإمام العلامة المحدث عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ت ٧٦٨هـ) ، عني به أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط١ ، (٢٠٠٧م) ، دار المنهاج ، السعودية .

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الله النمري المعروف بـ ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق عادل مرشد ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار الأعلام ، الأردن .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، للعلامة علي بن محمد الشيباني المعروف بـ ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد ، ط١ ، (١٩٧٠م) ، دار الشعب ، مصر .

- الإصابة في تمييز الصحابة ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، وبهامشه « الاستيعاب في أسماء الأصحاب » ، ط١ ، (١٣٥٩هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتاب العربي ، لبنان .

- إعانة الطالبين علىٰ حل ألفاظ فتح المعين ، للإمام العلامة بكري بن محمد شطا الدمياطي (ت ١٣١٠هـ) ، ط١ ، (١٩٩١م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق الدكتور نجم الدين خلف ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- الأعلام ، وهو قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، للأديب الكبير خير الدين بن محمود بن محمد الزِّرِكلي (ت ١٣٩٦هـ) ، ط١٢ ، (١٩٩٧م) ، دار العلم للملايين ، لبنان .

- اقتضاء العلم العمل ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت المعروف بـ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، ط٥ ، (١٩٨٤م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .

- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، للعلامة القاضي عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن العليمي المعروف بـ مجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٨هـ) ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة بدون اسم ناشر .

ـ الأوائل ، **للإمام الحافظ** سليمان بن أحمد **الطبراني** (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق محمد شكور امرير المياديني ، ط١ ، (١٩٨٣م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، **للعلامة المفسر المشارك الشريف** أحمد بن محمد بن المهدي الحسني ، المعروف بـ **ابن عجيبة** (ت ١٢٢٤هـ) ، تحقيق محمد أحمد حسب الله ، ط١ ، (١٩٨٣م) ، دار المعارف ، مصر .

ـ البحر الزخار ، المسمىٰ « مسند البزار » ، **للإمام الحافظ** أحمد بن عمرو **البزار** (ت ٢٩٢هـ) ، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمـٰن زين الله ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية .

ـ البداية والنهاية ، ومعه « الفتن والملاحم » ، **للإمام الحافظ** إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الدمشقي ، المعروف بـ **ابن كثير** (ت ٧٧٤ هـ) ، عني به مجموعة من المحققين بإشراف عبد القادر الأرناؤوط والدكتور بشار عواد معروف ، ط١ ، (٢٠٠٧ م) ، دار ابن كثير ، سورية .

ـ البر والصلة ، **للإمام** الحسين بن الحسن بن حرب **المروزي** (ت ٢٤٦هـ) ، تحقيق الدكتور محمد سعيد بخاري ، ط١ ، (١٤١٩هـ) ، دار الوطن ، السعودية .

ـ البرهان المؤيد لصاحب مد اليد مولانا الغوث الشريف الرفاعي أحمد ، **للإمام الحافظ العارف بالله السيد** أبي العباس أحمد بن علي **الرفاعي** (ت ٥٧٨هـ) ، تحقيق حسن بن عبد الحكيم عبد الباسط ، ط١ ، (٢٠٠٧م) ، نشره محققه ، سورية .

ـ بستان العارفين ، **لشيخ الإسلام الحافظ المجتهد** محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مُرِي **النووي** الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، تحقيق محمد الحجار ، ط٥ ، (١٩٩٩ م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

ـ بستان الواعظين ورياض السامعين ، **للإمام الحافظ المؤرخ** عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد البغدادي المعروف بـ **ابن الجوزي** (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق الدكتور السيد الجميلي ، ط١ ، (١٤٠٣هـ) ، دار الريان للتراث ، مصر .

- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، **للإمام الحافظ نور الدين** علي بن أبي بكر **الهيثمي** (ت ٨٠٧هـ) ، تحقيق الدكتور حسين أحمد صالح الباكري ، ط١ ، (١٩٩٢م) ، مركز خدمة السنة النبوية بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، السعودية .

- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، **للإمام الحافظ** يوسف بن عبد الله النمري المعروف بـ **ابن عبد البر** (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، ط٢ ، (١٩٨١م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- البيان والتبيين ، **لكبير أئمة الأدب** عمرو بن بحر بن محبوب الليثي ، المعروف بـ **الجاحظ** (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ط٧ ، (١٩٩٨ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- تاريخ أصبهان ، المسمىٰ « ذكر أخبار أصبهان » ، **للإمام الحافظ المؤرخ الثقة** أحمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بـ **أبي نعيم الأصبهاني** (ت ٤٣٠هـ) ، تحقيق سيد كسروي حسن ، ط١ ، (١٩٩٠م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، **للإمام الحافظ** محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي** (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق الدكتور عمر بن عبد السلام تدمري ، ط١ ، (١٩٨٧م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- تاريخ الخلفاء ، **للإمام الحافظ** عبد الرحمـٰن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط٢ ، (٢٠٠٣م) ، دار صادر ، لبنان .

- التاريخ الكبير ، **لإمام الدنيا الحافظ** محمد بن إسماعيل بن إبراهيم **البخاري** (ت ٢٥٦هـ) ، عني به مصطفىٰ عبد القادر عطا ، ط٢ ، (٢٠٠٨م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- تاريخ بغداد ، **للإمام الحافظ** أحمد بن علي بن ثابت المعروف بـ **الخطيب البغدادي** (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ تاريخ خليفة بن خياط ، **للمحدث الأخباري النسابة خليفة بن خياط** بن خليفة العُصفُري (ت ٢٤٠هـ) ، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ، ط٢ ، (١٩٨٥م) ، دار طيبة ، السعودية .

ـ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، **للإمام الحافظ** علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بـ **ابن عساكر** (ت ٥٧١هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العَمْروي ، ط١ ، (١٩٩٥م) ، دار الفكر ، لبنان .

ـ التبصرة ، **للإمام الحافظ المؤرخ** عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد البغدادي المعروف بـ **ابن الجوزي** (ت ٥٩٧هـ) ، ط١ ، (١٩٨٦م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ التبيان في آداب حملة القرآن ، **للإمام الحافظ المجتهد** يحيى بن شرف **النووي** (ت ٦٧٦هـ) ، تحقيق محمد شادي مصطفىٰ عربش ، ط١ ، (٢٠٠٥م) ، دار المنهاج ، السعودية .

ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، **للإمام الحافظ** علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بـ **ابن عساكر** (ت ٥٧١هـ) ، عني به حسام الدين القدسي ، ط٤ ، (١٩٩١م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ومعه « النكت الظِّراف على الأطراف » لابن حجر العسقلاني ، **للإمام الحافظ** يوسف بن عبد الرحمـٰن **المِزي** (ت ٧٤٢هـ) ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين ، ط٢ ، (١٩٨٣م) ، المكتب الإسلامي والدار القيمة ، لبنان والهند .

ـ تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين ، **للإمام الحافظ** علاء الدين أبي الحسن علي بن إبراهيم بن داوود بن سلمان الشافعي ، المعروف بـ **ابن العطار** (ت ٧٢٤ هـ) ، تحقيق مشهور آل سلمان ، ط١ ، (٢٠٠٧ م) ، الدار الأثرية ، عمان ـ الأردن .

ـ تخريج أحاديث الإحياء = المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار .

ـ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، **للإمام المحدث الفقيه** عبد الله بن يوسف بن محمد **الزيلعي** (ت ٧٦٢هـ) ، تحقيق سلطان بن فهد الطبيشي ، ط٢ ، (٢٠٠٩) ، دار ابن خزيمة ، مصر .

ـ التدوين في أخبار قزوين ، **للإمام الفقيه المحدث** عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم **الرافعي** (ت ٦٢٣هـ) ، تحقيق عزيز الله العطاردي ، ط١ ، (١٩٨٧م) ، دار الباز ، السعودية .

ـ تذكرة الحفاظ ، **للإمام الحافظ** محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي** (ت ٧٤٨هـ) ، تصحيح عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي ، ط١ ، (١٣٧٧هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند سنة (١٣٧٧هـ) لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ، **للإمام الحافظ** محمد بن أحمد **القرطبي** (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق الدكتور الصادق محمد إبراهيم ، ط١ ، (١٤٢٥هـ) ، مكتبة دار المنهاج بالرياض ، السعودية .

ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، **للإمام القاضي عياض** بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) ، عني به محمد سالم هاشم ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ تسهيل المقاصد لزوار المساجد ، **للإمام الفقيه** أحمد بن عماد بن محمد الشافعي المعروف بـ **ابن العماد الأقفهسي** (ت ٨٠٨هـ) ، تحقيق إبراهيم محمد بارودي ، ط١ ، (٢٠٠٧م) ، دار الصميعي ، السعودية .

ـ التسهيل لعلوم التنزيل ، **للإمام العلامة الحافظ** محمد بن أحمد **بن جزي** الكلبي (ت ٢٩٢هـ) ، صححها مجموعة من العلماء ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار الفكر ، لبنان .

ـ تصحيح لسان العرب ، **للعلامة المحقق** أحمد بن إسماعيل بن محمد **تيمور باشا** (ت ١٣٤٨هـ) ، عني به محمد عبد الجواد الأصمعي ، ط١ ، (١٣٣٤هـ) ، المطبعة الجمالية ، مصر .

- تفسير ابن عطية ، المسمى « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » ، **للإمام الفقيه المفسر** عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمـٰن الغرناطي المعروف بـ **ابن عطية** (ت ٥٤٦هـ) ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- تفسير البغوي ، المسمىٰ « معالم التنزيل » ، **للإمام الحافظ** الحسين بن مسعود **البغوي** (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق خالد عبد الرحمـٰن العك ومروان سوار ، ط١ ، (١٩٨٦م) ، دار المعرفة ، لبنان .
- تفسير البيضاوي ، المسمىٰ « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » ، **للإمام القاضي المفسر** عبد الله بن عمر بن محمد **البيضاوي** (ت ٦٨٥أو٦٩١هـ) ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، دار صادر ، لبنان .
- تفسير الثعلبي ، المسمى « الكشف والبيان » ، **للإمام المفسر** أحمد بن محمد **الثعلبي** (ت ٤٢٧هـ) ، تحقيق الشيخ أبو محمد بن عاشور ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .
- تفسير الطبري ، المسمىٰ « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » ، **للإمام العلامة** **محمد بن جرير الطبري** (ت ٣١٠هـ) ، عني به مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الأعلام ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار ابن حزم ودار الأعلام ، لبنان والأردن .
- تفسير القرطبي ، المسمى « الجامع لأحكام القرآن » ، **للإمام المفسر** محمد بن أحمد بن أبي بكر **القرطبي** (ت ٦٧١هـ) ، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني ، ط٢ ، (١٩٨٥م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .
- التفسير الكبير ، المسمى « البحر المحيط » ، **للإمام النحوي** محمد بن يوسف بن علي الأندلسي المعروف بـ **أبي حيان** (ت ٧٤٥هـ) ، وبهامشه « تفسير النهر الماد من البحر » للمؤلف و« الدر اللقيط من البحر المحيط » لابن مكتوم ت (٧٤٩هـ) ، ط٢ ، (١٩٩٠م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .
- التفسير الكبير ، المسمىٰ « مفاتيح الغيب » ، **للإمام المفسر فخر الدين** محمد بن عمر **الرازي** (ت ٦٠٦هـ) ، تصحيح مجموعة من العلماء ، ط٣ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ تلبيس إبليس ، **للإمام الحافظ المؤرخ** عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد البغدادي المعروف بـ **ابن الجوزي** (ت ٥٩٧هـ) ، ط٥ ، بدون تاريخ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

ـ التلخيص الحبير ، المسمى « التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز » ، **للإمام الحافظ الحجة** أحمد بن علي بن محمد الكناني المعروف بـ **ابن حجر العسقلاني** (ت ٨٥٢هـ) ، عني به الدكتور محمد الثاني موسىٰ ، ط١ ، (٢٠٠٧م) ، دار أضواء السلف ، السعودية .

ـ التمثيل والمحاضرة ، **لإمام اللغة والأدب** عبد الملك بن محمد بن إسماعيل المعروف بـ **أبي منصور الثعالبي** (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢ ، (١٩٨٣م) ، الدار العربية للكتاب ، مصر .

ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، **للإمام الحافظ** يوسف بن عبد الله النمري المعروف بـ **ابن عبد البر** (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ط١ ، (١٩٦٧م) ، وزارة الأوقاف ، المغرب .

ـ تنبيه الغافلين ، **للعلامة** نصر بن محمد **السمرقندي** (ت ٣٧٣هـ) ، تحقيق يوسف علي بديوي ، ط٣ ، (٢٠٠٠م) ، دار ابن كثير ، سورية .

ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة ، **للعلامة الفقيه** علي بن محمد **ابن عراق** الكناني (ت ٩٦٣هـ) ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق الغُماري ، ط٢ ، (١٩٨١م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ تنوير الحوالك شرح علىٰ موطأ مالك ، ومعه « إسعاف المبطأ برجال الموطأ » ، **للإمام الحافظ** عبد الرحمـٰن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١هـ) ، بدون تاريخ ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، مصر .

ـ تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأخبار ، **للإمام العلامة** محمد **بن جرير الطبري** (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط١ ، (١٩٨٣م) ، مطبعة المدني ، مصر .

- تهذيب الأسرار ، للعارف بالله العالم الفقيه عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي (ت ٤٠٧هـ) ، بسام محمد بارود ، ط١ ، (٢٠٠٨م) ، إصدارات الساحة الخزرجية ، الإمارات العربية المتحدة .

- تهذيب الأسماء واللغات ، للإمام الحافظ المجتهد يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، تحقيق عبده علي كوشك ، ط١ ، (٢٠٠٦م) ، دار الفيحاء ودار المنهل ، سورية .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الرحمٰن المِزِّي (ت ٧٤٢هـ) ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، ط١ ، (١٩٨٠م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- التوابين ، للإمام الفقيه عبد الله بن أحمد بن محمد الجماعيلي الحنبلي المعروف بـ ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط٢ ، (١٩٦٩م) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

- التواضع والخمول ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق لطفي محمد الصغير ، ط١ ، بدون تاريخ ، دار الاعتصام ، مصر .

- التوبة ، للإمام الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله ، المعروف بـ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ، تحقيق الدكتور محمد مطيع الحافظ ، ط١ ، بدون تاريخ ، دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدبي ، الإمارات العربية المتحدة .

- التوبيخ والتنبيه ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بـ أبي الشيخ (ت ٣٦٩هـ) ، تحقيق حسن بن أمين الندوة ، ط١ ، (١٤٠٨هـ) ، مكتبة التوعية الإسلامية ، مصر .

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، للإمام الحافظ الفقيه عبد الرحمٰن بن أحمد السلامي البغدادي المعروف بـ ابن رجب الحنبلي (ت ٧٥٩هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ، ط١٠ ، (٢٠٠٤م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- جامع بيان العلم وفضله ، **للإمام الحافظ** يوسف بن عبد الله النمري المعروف بـ **ابن عبد البر** (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، دار ابن الجوزي ، السعودية .

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، **للإمام الحافظ** أحمد بن علي بن ثابت المعروف بـ **الخطيب البغدادي** (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب ، ط١ ، (١٩٩١م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- الجامع لشعب الإيمان ، **للإمام الحافظ** أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط٢ ، (٢٠٠٤م) ، مكتبة الرشد ، السعودية .

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام علىٰ محمد خير الأنام صلى الله عليه وسلم ، **للإمام الحافظ** محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بـ **ابن قيم الجوزية** (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق محيي الدين ديب مستو ، ط٣ ، (١٩٩٦م) ، دار الكلم الطيب ودار ابن كثير ، سورية .

- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، **للأديب الفقيه** المعافى بن زكريا **الجريري** (ت ٣٩٠هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ) ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، عالم الكتب ، لبنان .

- الجواهر البهية في شرح الأربعين النووية ، **للعلامة الفقيه** محمد بن علي بن سالم **الشبشيري** (ت ٩٨٩هـ) ، تحقيق الدكتور مصطفى الذهبي ، ط٢ ، (٢٠٠٦م) ، مكتبة نزار الباز ، السعودية .

- حاشية الإمام الباجوري علىٰ جوهرة التوحيد ، المسمىٰ « تحفة المريد علىٰ جوهرة التوحيد » ، **للإمام العلامة** إبراهيم بن محمد **الباجوري** (ت ١٢٧٧هـ) ، تحقيق الدكتور علي جمعة محمد ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار السلام ، مصر .

- حاشية الجمل ، المسماة « فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب » ، **للعلامة الفقيه سليمان** بن عمر بن منصور العجيلي ، المعروف بـ **الجمل** (ت ١٢٠٤هـ) ، ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- حاشية الشنواني علىٰ مختصر ابن أبي جمرة للبخاري، **للعلامة النحرير شيخ الأزهر** محمد ابن علي **الشنواني** (ت ١٢٣٣هـ)، ط١ ، (٢٠٠٩م) ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر .

- حاشيتا قليوبي وعميرة علىٰ شرح المحلي ، المسمىٰ « كنز الراغبين علىٰ منهاج الطالبين » ، **للعلامة الفقيه** أحمد بن أحمد بن سلامة **القليوبي** (ت ١٠٦٩هـ) **والعلامة الفقيه** أحمد البرلسي المصري المعروف بـ **عميرة** (٩٥٧هـ) ، بدون تاريخ ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- الحاوي الكبير ، **للإمام الفقيه الأصولي المفسر** علي بن محمد بن حبيب **الماوردي** (ت ٤٥٠هـ) ، تحقيق الدكتور محمود مطرجي ، ط١ ، (٢٠٠٣م) ، دار الفكر ، لبنان .

- الحاوي للفتاوي ، **للإمام الحافظ** عبد الرحمٰن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١هـ) ، ط١ ، (١٣٥٢هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، لبنان .

- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، **للإمام الحافظ** إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي **الأصبهاني** (ت ٥٣٥هـ) ، تحقيق محمد ربيع المدخلي ، بدون تاريخ ، دار الراية ، السعودية .

- الحكم العطائية والمناجاة الإلـٰهية ، **للإمام الكبير العارف بالله** أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بـ **ابن عطاء الله السكندري** (ت ٧٠٩هـ) ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، دار الترمذي ، سورية .

- الحلم ، ويليه : « كتاب التوكل على الله » ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق مجدي السيد إبراهيم ، بدون تاريخ ، مكتبة القرآن ، مصر .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، **للإمام الحافظ المؤرخ الثقة** أحمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بـ **أبي نعيم الأصبهاني** (ت ٤٣٠هـ) ، ط٥ ، (١٩٨٧م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧هـ) لدىٰ دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، مصر ولبنان .

ـ حياة الحيوان الكبرىٰ ، **للإمام العلامة الفقيه الأديب** محمد بن موسى بن عيسى **الدميري** (ت ٨٠٨هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط١ ، (٢٠٠٥م) ، دار البشائر ، سورية .

ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، **لعلامة الأدب والتاريخ عبد القادر** بن عمر **البغدادي** (ت ١٠٩٣هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٢ ، (١٩٧٩م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

ـ خزينة الأسرار جليلة الأذكار ، **للعلامة المتصوف** محمد حقي بن علي بن إبراهيم **النازلي** (ت ١٠٣١هـ) ، وبهامشه « كتاب الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم » للعلامة محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الخيرية ، مصر .

ـ الخصائص الكبرى ، المسمىٰ « كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب صلى الله عليه وسلم » ، **للإمام الحافظ** عبد الرحمـٰن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١هـ) ، ط١ ، (١٣٢٠هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتاب العربي ، لبنان .

ـ الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار ، **للإمام الفقيه المفتي** محمد بن علي بن محمد بن علي **الحصكفي** الحنفي (ت ١٠٨٨ هـ) ، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم ، ط١ ، (٢٠٠٢ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، **للإمام الحافظ** عبد الرحمـٰن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١هـ) ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار الفكر ، لبنان .

ـ الدعاء ، **للإمام الحافظ** سليمان بن أحمد **الطبراني** (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق الدكتور محمد سعيد محمد حسن البخاري ، ط١ ، (٢٠٠٨م) ، مكتبة الرشد ناشرون ، السعودية .

ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، **للإمام الحافظ** أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، دار الريان ، مصر .

- دلائل النبوة ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، عني به عبد البر عباس ومحمد رواس قلعه جي ، ط١ ، (١٩٧٠م) ، دار ابن كثير ، سورية .

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، للإمام العالم إبراهيم بن علي المالكي ، المعروف بـ ابن فرحون (ت ٧٩٩هـ) ، تحقيق الدكتور علي عمر ، ط١ ، (٢٠٠٣م) ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر .

- ديوان أبي العتاهية ، للشاعر المكثر إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد المعروف بـ أبي العتاهية (ت ٢١١هـ) ، بعناية كريم البستاني ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان الأعشىٰ ، للشاعر الجاهلي صاحب المعلقة ميمون بن قيس بن جندل المعروف بـ أعشىٰ قيس وأعشىٰ بكر والأعشى الكبير (ت ٧هـ) ، شرح وتحقيق الدكتور محمد محمد حسين ، ط٧ ، (١٩٨٣م) ، مؤسسة الرسالة ، سورية .

- ديوان الإمام عبد الله بن المبارك ، للإمام الحافظ الرحلة عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي (ت ١٨١هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور مجاهد مصطفىٰ بهجت ، ط٣ ، (١٩٩٢م) ، دار الوفاء ، مصر .

- ديوان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسمىٰ « أنوار العقول لوصي الرسول صلى الله عليه وسلم » ، لأمير المؤمنين وأحد المبشرين بالجنة سيدنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي (ت ٤٠هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المجيد همو ، ط١ ، (٢٠١٠م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان الشافعي وحكمه وكلماته السائرة ، لإمام الدنيا محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ، جمع وضبط يوسف علي بديوي ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، مكتبة دار الفجر ، سورية .

- ديوان الطفيل الغنوي بشرح الأصمعي ، للشاعر طفيل بن عوف بن ضُبَيْس الغنوي (ت ٦١٠م) ، تحقيق فلاح أوغلي ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار صادر ، لبنان .

- ذم الدنيا ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

- ذم الهوىٰ ، **للإمام الحافظ المؤرخ** عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد البغدادي المعروف بـ **ابن الجوزي** (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي ، ط١ ، (٢٠٠٩م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، **للإمام البارع شيخ العرب والعجم** محمود بن عمر **الزمخشري** (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي ، ط١ ، (١٩٩٠م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الذخائر ، إيران .

- الرسالة القشيرية ، **لزين الإسلام الإمام** عبد الكريم بن هوازن **القشيري** (ت ٤٦٥هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف ، ط٢ ، (١٩٨٩م) ، دار الشعب ، مصر .

- الرسالة الكبرى في البسملة ، **لعالِم العربية** محمد بن علي **الصبان** الشافعي (ت ١٢٠٦ هـ) ، تحقيق فواز زمرلي وحبيب المير ، ط١ ، (١٩٩٥ م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت ، **للإمام الحافظ الفقيه** الحسن بن أحمد بن عبد الله البغدادي ، المعروف بـ **ابن البناء** (ت ٤٧١هـ) ، تحقيق عبد الله الجديع ، ط١ ، (١٤٠٩هـ) ، دار العاصمة ، السعودية .

- الرضا عن الله بقضائه ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق ضياء الحسن السلفي ، ط١ ، (١٩٩٠م) ، الدار السلفية ، الهند .

- روح البيان في تفسير القرآن ، **للإمام المفسر الأصولي إسماعيل حقي** بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي (ت ١١٢٧هـ) ، بعناية أحمد عزو عناية ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام ، **للأستاذ جاسم** بن سليمان **الفهيد الدوسري** ، ط١ ، (١٩٨٧م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

ـ روض الرياحين في حكايات الصالحين ، المسمىٰ « نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر في حكايات الصالحين والأولياء والأكابر » ، **للإمام العلامة المحدث** عبد الله بن أسعد بن علي **اليافعي** (ت ٧٦٨هـ) ، وبذيله « عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق » للعلامة الفقيه إبراهيم العبيدي (ت ١٠٩١هـ) ، بعناية الشيخ أحمد سعد علي ، ط١ ، (١٣٠٧هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الميمنية لدىٰ مؤسسة عماد الدين ، قبرص .

ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، **للإمام الحافظ** محمد **بن حِبَّان** البُسْتي (ت ٣٥٤هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبد الرزاق حمزة ومحمد حامد الفقي ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة ، **للإمام الحافظ الفقيه** أحمد بن عبد الله بن محمد الشافعي المعروف بـ **محب الدين الطبري** (ت ٦٩٤هـ) ، ط٢ ، (٢٠٠٣م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ الزهد الكبير ، **للإمام الحافظ** أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ، ط٣ ، (١٩٩٦م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

ـ الزهد والرقائق برواية المروزي ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن المبارك بن واضح **المروزي** (ت ١٨١هـ) ، ويليه زيادات رواية نُعيم بن حمّاد عليه ، تحقيق حبيب الرحمـٰن الأعظمي ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ الزهد ، **للإمام الحافظ** أحمد بن محمد **بن حنبل** الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، عني به محمد عبد السلام شاهين ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ الزهد ، **للإمام الحافظ هَنَّاد** بن السَّرِي بن مصعب الدارمي الكوفي (ت ٢٤٣هـ) ، تحقيق عبد الرحمـٰن بن عبد الجبار الفريوائي ، ط١ ، (١٤٠٦هـ) ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت .

ـ الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ، **للإمام الحافظ** محمد بن محمد بن محمد **بن الجزري** (ت ٨٣٣هـ) ، ط١ ، (١٣٣٢هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر ، **للإمام العلامة** أحمد بن محمد **ابن حجر الهيتمي** (ت ٩٧٤هـ) ، عني به محمد خير طعمة حلبي وخليل مأمون شيحا ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار المعرفة ، لبنان .

ـ سر العالمين وكشف ما في الدارين ، **لحجة الإسلام** محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** (ت ٥٠٥هـ) ، ط١ ، (١٣٢٧هـ) ، مطبعة السعادة ، مصر .

ـ سراج الملوك ، **للعلامة الفقيه** محمد بن الوليد المعروف بـ **أبي بكر الطرطوشي** (ت ٥٢٠هـ) ، تحقيق محمد فتحي أبو بكر ، ط٢ ، (٢٠٠٦م) ، الدار المصرية اللبنانية ، مصر .

ـ السنة ، **للإمام الحافظ** أحمد بن عمرو ، المعروف بـ **ابن أبي عاصم** (ت ٢٨٧هـ) ، ط١ ، (٢٠٠٤م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

ـ سنن ابن ماجه ، **للإمام الحافظ** محمد بن يزيد القزويني المعروف بـ **ابن ماجه** (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، (١٩٥٤م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

ـ سنن أبي داوود ، **للإمام الحافظ أبي داوود** سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى المكتبة العصرية ، لبنان .

ـ سنن الترمذي ، المسمى « الجامع الصحيح » ، **للإمام الحافظ** محمد بن عيسى بن سورة **الترمذي** (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق اللجنة العلمية للدار ، ط١ ، (١٤٢١هـ) ، جمعية المكنز الإسلامي ، مصر .

ـ سنن الدارقطني ، **للإمام الحافظ الحجة** علي بن عمر بن أحمد بن مهدي **الدارقطني** (ت ٣٨٥هـ) ، وبذيله التعليق المغني على الدارقطني ، عني به عبد الله هاشم يماني ، ط١ ، (١٩٦٦م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

ـ السنن الصغير ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، ط١ ، (١٩٨٩م) ، جامعة الدراسات الإسلامية ، باكستان .

ـ السنن الكبرىٰ ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، بعناية السيد هاشم الندوي ، وبذيله « الجوهر النقي » لابن التركماني ، ط١ ، (١٣٥٦هـ) ، طبعة مصورة عن دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

ـ السنن الكبرىٰ ، للإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ سنن النسائي (المجتبىٰ) ، للإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، ومعه « زهر الربىٰ على المجتبىٰ » للسيوطي ، وبذيله « حاشية الإمام السندي » ، ط١ ، (١٣١٢هـ) ، نسخة مصورة لدىٰ دار الكتاب العربي عن طبعة المطبعة الميمنية ، لبنان .

ـ سير أعلام النبلاء (مع السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين) ، للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، إشراف شعيب الأرناؤوط ، ط١١ ، (١٩٩٦م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ السيرة الشامية ، المسماة : « سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد صلى الله عليه وسلم » ، للإمام المحدث محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، وزارة الأوقاف ـ المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية ، مصر .

ـ شرح الأربعين النووية ، للإمام الحافظ الفقيه محمد بن علي المعروف بـ ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ، بدون تاريخ ، المكتبة الفيصلية ، السعودية .

ـ شرح الزرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك ، للإمام المحدث الحجة محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ، ط٣ ، (٢٠٠٤م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ شرح السنة ، للإمام الحافظ الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق سعيد اللحام ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، دار الفكر ، لبنان .

- شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ، للعلامة أحمد بن محمد المالكي **الصاوي** (ت ١٢٤١هـ) ، ط١ ، (١٩٨٠م) ، دار الإخاء ، سورية .

- شرح صحيح مسلم ، المسمى « المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج » ، لشيخ الإسلام الحافظ المجتهد محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مُرِي **النووي** الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، ط١ ، (١٣٤٩ هـ) ، طبعة مصورة لدى مكتبة الغزالي ، سورية .

- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ، للإمام الحافظ عبد الرحمٰن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١هـ) ، تحقيق قصي الحلاق ، ط١ ، (٢٠١١م) ، دار المنهاج ، السعودية .

- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، المسمى « الكاشف عن حقائق السنن » ، للإمام المشهور المحدث الحسين بن محمد بن عبد الله **الطيبي** (ت ٧٤٣هـ) ، عني به محمد علي سمك ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- شرح ديوان أبي تمام ، لإمام اللغة والأدب يحيى بن علي بن محمد المعروف بـ **الخطيب التبريزي** (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط٥ ، (١٩٨٧م) ، دار المعارف ، مصر .

- شرح مشكل الآثار ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن سلامة **الطحاوي** (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- شرف أصحاب الحديث ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت المعروف بـ **الخطيب البغدادي** (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق الدكتور محمد سعيد خطيب أوغلي ، ط١ ، بدون تاريخ ، كلية الإلٰهيات ـ جامعة أنقرة ، تركية .

- الشريعة ، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله **الآجري** (ت ٣٦٠ هـ) ، ط١ ، (٢٠٠٨ م) ، مؤسسة الريان ، لبنان .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، للإمام الحافظ القاضي **عِيَاض** بن موسى اليَحْصُبي (ت ٥٤٤هـ) ، تحقيق عبده علي كوشك ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، مكتبة الغزالي ودار الفيحاء ، سورية .

- الشمائل المحمدية ، **للإمام الحافظ** محمد بن عيسى بن سورة **الترمذي** (ت ٢٧٩هـ) ، ومعه المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية للإمام الفقيه إبراهيم الباجوري (ت ١٢٧٧هـ) ، عني بهما الشيخ محمد عوَّامة ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، نشره محققه ، لبنان .

- الصبر والثواب عليه ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- صحيح ابن خزيمة ، المسمىٰ « مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم » ، **للإمام الحافظ** محمد بن إسحاق **بن خزيمة** (ت ٣١١هـ) ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، ط٣ ، (٢٠٠٣م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .

- صحيح البخاري ، المسمى « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه » (الطبعة السلطانية العثمانية) ، **لإمام الدنيا الحافظ** محمد بن إسماعيل بن إبراهيم **البخاري** (ت ٢٥٦هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط١ ، (١٤٢٢هـ) ، دار طوق النجاة ، لبنان .

- صحيح مسلم ، المسمى « الجامع الصحيح » ، **للإمام الحافظ مسلم** بن الحجاج **القشيري النيسابوري** (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، (١٩٥٤م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- صفة الصفوة ، **للإمام الحافظ المؤرخ** عبد الرحمٰن بن علي بن محمد البغدادي المعروف بـ **ابن الجوزي** (ت ٥٩٧هـ) ، صنع فهرسه عبد السلام هارون ، ط٢ ، (١٩٩٢م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

- الصمت وآداب اللسان ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق أبو إسحاق الحويني ، ط١ ، (١٤١٠هـ) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

ـ الضعفاء ومن نسب إلى الكذب ووضع الحديث ومن غلب على حديثه الوهم ومن يتهم في بعض حديثه ومجهول روى ما لا يتابع عليه وصاحب بدعة يغلو فيها ويدعو إليها وإن كانت حاله في الحديث مستقيمة ، **للإمام الحافظ** محمد بن عمرو بن موسى بن حماد **العُقَيلي** (ت ٣٢٢هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، دار الصميعي ، السعودية .

ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، **للإمام الحافظ الناقد المؤرخ** محمد بن عبد الرحمـٰن **السخاوي** (ت ٩٠٢هـ) ، عني به محمد جمال القاسمي ، ط١ ، (١٩٩٢م) ، طبعة مصورة عن نشرة القاسمي سنة (١٣١٣هـ) لدى دار الجيل ، لبنان .

ـ طبقات الشافعية الكبرى ، **للإمام القاضي** عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي المعروف بـ **تاج الدين السبكي** (ت ٧٧١هـ) ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، ط١ ، (١٣٩٦هـ) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

ـ طبقات الصوفية ، المسمى « الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية » والمعروف بـ « الطبقات الكبرى » ، **للإمام العلامة** محمد عبد الرؤوف بن علي **المناوي** (ت ١٠٣١هـ) ، ويليه « إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمـٰن » ، المسمى « الطبقات الصغرى » ، تحقيق محمد أديب الجادر ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، دار صادر ، لبنان .

ـ الطبقات الكبرى ، المسماة : « لواقح الأنوار في طبقات الأخيار » ، **للإمام المجدد عبد الوهاب** بن أحمد بن علي **الشعراني** (ت ٩٧٣هـ) ، بعناية الشيخ أحمد سعد علي ، ط١ ، (١٩٥٤م) ، طبعة مصورة عن نشرة مصطفى البابي الحلبي ، سنة (١٩٥٤م) ، لدى دار الفكر ، لبنان .

ـ الطبقات الكبير ، **للإمام الحافظ المؤرخ** محمد بن سعد بن منيع البصري المعروف بـ **ابن سعد** (ت ٢٣٠هـ) ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

ـ طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بـ **أبي الشيخ** (ت ٣٦٩هـ) ، تحقيق عبد الغفور عبد الحق حسين البَلوشي ، ط٢ ، (١٩٩٢م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ طرح التثريب في شرح التقريب ، وهو شرح لكتاب « تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد » ، **للإمام الحافظ** أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين المعروف بـ **أبي زرعة العراقي** (ت ٨٢٦هـ) ، عني به محمود حسن ربيع ، ط١ ، (١٩٩٢م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ الطيوريات ، وهي مما انتخبه **الإمام الحافظ** أحمد بن محمد **السِّلفي** من كتب **الإمام الثقة المبارك** بن عبد الجبار المعروف بـ **ابن الطُّيوري** (ت ٥٠٠هـ) ، تحقيق دسمان معالي وعباس الحسن ، ط١ ، (٢٠٠٤م) ، دار أضواء السلف ، السعودية .

ـ العجالة في الأحاديث المسلسلة ، **للعلامة محمد ياسين** بن عيسى **الفاداني** المكي (ت ١٤١٠هـ) ، ط٢ ، (١٩٨٥هـ) ، دار البصائر ، سورية .

ـ العزلة ، **للإمام الحافظ** حَمْد بن محمد بن إبراهيم **البستي** الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق محمد منير الدمشقي ، ط١ ، (١٣٥٢هـ) ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر .

ـ العظمة ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بـ **أبي الشيخ** (ت ٣٦٩هـ) ، تحقيق رضاء الله بن محمد المباركفوري ، ط٢ ، (١٩٩٨م) ، دار العاصمة ، السعودية .

ـ العقد الفريد ، **للعلامة الأديب** أحمد بن محمد **بن عبد ربه** الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق أحمد الأمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري ، ط٢ ، (١٩٤٠م) ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر .

ـ العقل وفضله ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ)، تحقيق لطفي محمد الصغير، ط١، (١٤٠٩هـ)، دار الراية، السعودية .

ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، **للإمام الحافظ المؤرخ** عبد الرحمٰن بن علي بن محمد البغدادي المعروف بـ **ابن الجوزي** (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق الشيخ خليل الميس ، ط١ ، (١٩٨٣م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ العلل الواردة في الأحاديث النبوية ، **للإمام الحافظ الحجة** علي بن عمر بن أحمد بن مهدي **الدارقطني** (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمٰن زين الله ومحمد صالح الدباسي ، ط٣ ، (٢٠٠٣م) ، دار طيبة ودار ابن الجوزي ، السعودية .

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، **للإمام الحافظ المشارك** محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحلبي ، المعروف بـ **البدر العيني** (ت ٨٥٥هـ) ، ط١ ، (١٣٤٨هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة السلفية لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- عمل اليوم والليلة ، **للإمام الحافظ** أحمد بن شعيب **النسائي** (ت ٣٠٣هـ) ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

- عمل اليوم والليلة ، **للإمام الحافظ** أحمد بن محمد الدينوري المعروف بـ **ابن السني** (ت ٣٦٤هـ) ، تحقيق بشير محمد عيون ، ط٣ ، (١٩٩٤م) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

- عون المعبود شرح سنن أبي داوود ، **للإمام المحدث محمد شمس الحق** بن أمير علي بن مقصود علي **العظيم آبادي** (ت ١٣٢٩هـ) ، تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان ، ط٢ ، (١٩٦٨هـ) ، المكتبة السلفية ، السعودية .

- عيون الحكايات من قصص الصالحين ونوادر الزاهدين ، **للإمام الحافظ المؤرخ** عبد الرحمٰن بن علي بن محمد البغدادي المعروف بـ **ابن الجوزي** (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق الشحات الطحان ، ط١ ، (٢٠٠٦م) ، مكتبة فياض ، مصر .

- الفتاوى الموصلية ، **للإمام الفقيه** عبد العزيز **بن عبد السلام** السلمي (ت ٦٦٠هـ) ، تحقيق إياد خالد الطباع ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، دار الفكر ، سورية .

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، **للإمام الحافظ الحجة** أحمد بن علي بن محمد الكناني المعروف بـ **ابن حجر العسقلاني** (ت ٨٥٢هـ) ، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، (١٩٩٦م) ، طبعة مصورة لدىٰ مكتبة الغزالي ، سورية .

- الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي ، **للإمام العلامة** محمد عبد الرؤوف بن علي **المناوي** (ت ١٠٣١هـ) ، تحقيق أحمد مجتبىٰ بن نذير عالم السلفي ، ط١ ، (١٤٠٩هـ) ، دار العاصمة ، السعودية .

- الفتح المبين بشرح الأربعين ، **للإمام العلامة** أحمد بن محمد **ابن حجر الهيتمي** (ت ٩٧٤هـ) ، عني به أحمد المحمد وقصي الحلاق وأنور الشيخي ، ط١ ، (٢٠٠٨م) ، دار المنهاج ، السعودية .

- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ، **للإمام الفقيه المحدث** محمد علي **بن علان** بن إبراهيم الصديقي (ت ١٠٥٧ هـ) ، ط١ ، (١٣٥٨ هـ) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .
- الفتوحات المكية ، **لسلطان العارفين الشيخ الأكبر** محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي ، المعروف بـ **محيي الدين ابن عربي** (ت ٦٣٨هـ) ، علىٰ نفقة الحاج فدا محمد الكشميري ، ط١ ، (١٣٢٩هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة دار الكتب العربية الكبرىٰ لدىٰ دار صادر ، لبنان .
- الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين حديثاً النووية ، **للإمام الفقيه** إبراهيم بن مرعي بن عطية **الشبرخيتي** (ت ١١٠٦هـ) ، وبهامشه المجالس السنية في الكلام على الأربعين النووية للشيخ أحمد حجازي الفشني (ت بعد ٩٧٨هـ) ، ط١ ، (١٩٥٥م) ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
- الفردوس بمأثور الخطاب ، **للإمام الحافظ** شيرويه بن شهردار **الديلمي** (ت ٥٠٩هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط١ ، (١٩٨٦م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- فضائل الصحابة ، **للإمام الحافظ** أحمد بن محمد **بن حنبل** الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ، ط٤ ، (١٤٣٠هـ) ، دار ابن الجوزي ، السعودية .
- فضائل القرآن وما أُنزل من القرآن بمكة وما أُنزل بالمدينة ، **للإمام الحافظ** محمد بن أيوب بن يحيى **بن الضُّرَيس** (ت ٢٩٤هـ) ، تحقيق غزوة بدير ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، دار الفكر ، سورية .
- الفقيه والمتفقه ، **للإمام الحافظ** أحمد بن علي بن ثابت المعروف بـ **الخطيب البغدادي** (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق عادل يوسف العزازي ، ط٢ ، (١٤٢١هـ) ، دار ابن الجوزي ، السعودية .
- الفواكه الدواني علىٰ رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، **للعلامة** أحمد بن غنيم **النفراوي** المالكي (ت ١١٢٥هـ) ، تصحيح لجنة من رجال العلم ، ط١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار الفكر ، لبنان .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، **للإمام العلامة** محمد عبد الرؤوف بن علي **المناوي** (ت ١٠٣١هـ) ، ط١ ، (١٣٥٧هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

- قرى الضيف ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق عبد الله حمد المنصور ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، أصول السلف ، السعودية .

- قصر الأمل ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط١ ، (١٩٩٥م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- قضاء الحوائج ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، **للإمام المؤرخ الفقيه الطيب** بن عبد الله بن أحمد **بامخرمة** (ت ٩٤٧هـ) ، عني به بوجمعة مكري وخالد زواري ، ط١ ، (٢٠٠٨م) ، دار المنهاج ، السعودية .

- القناعة والتعفف ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

- القواعد الكبرى ، المسمىٰ « قواعد الأحكام في إصلاح الأنام » ، **للإمام عز الدين** عبد العزيز **بن عبد السلام** (ت ٦٦٠هـ) ، تحقيق الدكتور نزيه كمال حماد والدكتور عثمان جمعة ضميرية ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، دار القلم ، سورية .

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ، **للإمام الفقيه** محمد بن علي بن عطية المعروف بـ **أبي طالب المكي** (ت ٣٨٦هـ) ، وبهامشه « سراج القلوب وعلاج الذنوب وحياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب » للعلامة علي الفناني و« حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب » للعلامة محمد بن الحسن الإسنوي (ت ٧٦٤هـ) ، ط١ ، (١٣١٠هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الميمنية لدىٰ دار صادر ، لبنان .

ـ الكامل في التاريخ ، **للإمام المؤرخ** علي بن محمد بن محمد المعروف بـ **ابن الأثير** (ت ٦٣٠هـ) ، حققه الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، ط٢ ، (١٩٩٩م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

ـ الكامل في ضعفاء الرجال ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن عدي **الجرجاني** (ت ٣٦٥هـ) ، الطبعة الأولىٰ بتحقيق الدكتور سهيل زكار والثالثة يحيىٰ مختار غزاوي ، ط٣ ، (١٩٨٨م) ، دار الفكر ، لبنان .

ـ الكامل ، **لإمام العربية** محمد بن يزيد بن عبد الأكبر **المُبَرِّد** (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ الكبائر ، **للإمام الحافظ** محمد بن أحمد بن عثمان **الذهبي** (ت ٧٤٨هـ) ، بدون تاريخ ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، **للإمام البارع شيخ العرب والعجم** محمود بن عمر **الزمخشري** (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، وفي حاشيته الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير (ت ٦٨٣هـ) وفي آخره الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) وشرح شواهد الكشاف لمحب الدين أفندي ، ط٢ ، (٢٠٠١م) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس ، **للعلامة المحدث** إسماعيل بن محمد **العجلوني** (ت ١١٦٢هـ) ، ط٣ ، (١٣٥١هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، **للإمام الحافظ** عبد الرحمٰن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١هـ) ، تحقيق عبد الرحمٰن بن عبد الجبار الفريوائي ، ط١ ، (١٤٠٤هـ) ، مكتبة الدار ، السعودية .

ـ كشف المشكل من حديث الصحيحين ، **للإمام الحافظ المؤرخ** عبد الرحمٰن بن علي بن محمد البغدادي ، المعروف بـ **ابن الجوزي** (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق الدكتور علي البواب ، بدون تاريخ ، دار الوطن ، السعودية .

ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، **للإمام الحافظ** علي بن حسام الدين ، المعروف بـ **البرهان فوري** (ت ٩٧٥هـ) ، عني به بكري حيَّاني وصفوة السقا ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ لسان الميزان ، **للإمام الحافظ الحجة** أحمد بن علي بن محمد الكناني المعروف بـ **ابن حجر العسقلاني** (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة (ت ١٤١٧هـ) ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، **للإمام الحافظ الفقيه** عبد الرحمٰن بن أحمد السلامي البغدادي ، المعروف بـ **ابن رجب الحنبلي** (ت ٧٩٥هـ) ، تحقيق ياسين محمد السواس ، ط٦ ، (٢٠٠١م) ، دار ابن كثير ، سورية .

ـ لطائف المنن والأخلاق ، وبهامشه كتاب « لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية » ، **للإمام المجدد عبد الوهاب** بن أحمد بن علي **الشعراني** (ت ٩٧٣هـ) ، ط١ ، (١٣١١هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة العامرة لدىٰ دار الحكمة ، سورية .

ـ لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية ، **للإمام المجدد عبد الوهاب** بن أحمد بن علي **الشعراني** (ت ٩٧٣هـ) ، تقديم محمد علي الإدلبي ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، دار القلم العربي ، سورية .

ـ مجابو الدعوة ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق عبد الله عبد العزيز أمين ، ط١ ، (٢٠٠٥م) ، دار الرسالة ، مصر .

ـ المجالس السنية شرح الأربعين النووية وبهامشه السبعيات في موعظ البريات لأبي نصر الهمذاني ، **للعلامة المحدث الفقيه** أحمد بن حجازي بن بدير **الفشني** (ت بعد ٩٧٨هـ) ، ط٤ ، (١٩٥٥م) ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

ـ المجالسة وجواهر العلم ، **للعلامة الفقيه المحدث** أحمد بن مروان بن محمد **الدِّينوري** (ت ٣٣٣هـ) ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- مجربات الديربي الكبير ، المسمىٰ « فتح الملك المجيد المؤلف لنفع العبيد » ، **للعلامة الفاضل** أحمد بن عمر **الديربي** (ت ١١٥١هـ) ، وبهامشه مجربات الإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت ٨٩٥هـ) ، ط١ ، (١٣٥٣هـ) ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ، مصر .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، **للإمام الحافظ نور الدين** علي بن أبي بكر **الهيثمي** (ت ٨٠٧هـ) ، ط١ ، (١٩٨٦م) ، طبعة مصورة لدىٰ مكتبة المعارف ، لبنان .

- المحاسن والأضداد ، **لكبير أئمة الأدب** عمرو بن بحر **الجاحظ** (ت ٢٥٥هـ) ، ط٢ ، (١٩٩٤م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، **للعلامة الأديب الحكيم** الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني ، المعروف بـ **الراغب** (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق الدكتور رياض عبد الحميد مراد ، ط٢ ، (٢٠٠٦م) ، دار صادر ، لبنان .

- المحتضرين، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت٢٨١هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- المختار من الأنوار في صحبة الأخيار ، **للإمام المجدد عبد الوهاب** بن أحمد بن علي **الشعراني** (ت ٩٧٣هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الرحمـٰن عميرة ، ط٢ ، (١٩٨٦م) ، عالم الكتب ، لبنان .

- مختصر قيام الليل ، **للإمام الحافظ** محمد بن نصر **المروزي** (ت ٢٩٤هـ) ، اختصره مؤرخ الديار المصرية أحمد بن علي بن عبد القادر ، المعروف بـ تقي الدين المقريزي (٨٤٥هـ) ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، دار حديث أكاديمي ، باكستان .

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، **للإمام الحافظ** محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بـ **ابن قيم الجوزية** (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق بشير محمد عيون ، ط٢ ، (٢٠٠٧م) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، **للإمام العلامة المحدث** عبد الله بن أسعد بن علي **اليافعي** (ت ٧٦٨هـ) ، ط١ ، (١٣٣٧هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف بحيدر آباد الدَّكَّن لدىٰ دار الكتاب الإسلامي ، مصر .

- المراسيل ، **للإمام الحافظ أبي داوود** سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله مساعد الزهراني ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، دار الصميعي ، السعودية .

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، **للإمام العلامة** علي بن محمد الهروي ، المعروف بـ **ملا علي القاري** (ت ١٠١٤هـ) ، تحقيق جمال عيتاني ، ويليه « الإكمال في أسماء الرجال » للخطيب التبريزي (ت ٧٤١هـ) ، ط٢ ، (٢٠٠٧م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- المستدرك على الصحيحين ، **للإمام الحافظ** محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري المعروف بـ **الحاكم** (ت ٤٠٥هـ) ، وبذيله : « تلخيص المستدرك » للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، ط١ ، (١٣٣٥هـ) ، نسخة مصورة لدىٰ دار المعرفة عن طبعة دائرة المعارف النظامية في الهند بحيدر آباد الدكن ، لبنان .

- المستطرف من كل فن مستظرف ، **للأديب الخطيب** محمد بن أحمد بن منصور **الأبشيهي** (ت ٨٥٠هـ) ، عني به إبراهيم صالح ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، دار صادر ، لبنان .

- مسند ابن الجعد ، **للإمام الحافظ علي بن الجعد** بن عبيد الجوهري (ت ٢٣٠هـ) ، تحقيق عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، مكتبة الفلاح ، الكويت .

- مسند أبي داوود الطيالسي ، **للإمام الحافظ** سليمان بن داوود بن الجارود المعروف بـ **أبي داوود الطيالسي** (ت ٢٠٤هـ) ، ط١ ، (١٣٢١هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، لبنان .

- مسند أبي يعلى الموصلي ، **للإمام الحافظ** أحمد بن علي بن المثنى المعروف بـ **أبي يعلى الموصلي** (ت ٣٠٧هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط٢ ، (١٩٨٩م) ، دار المأمون للتراث ودار الثقافة العربية ، سورية .

- مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، **للإمام الحافظ أحمد** بن محمد **بن حنبل** الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف شعيب الأرناؤوط ، ط١ ، (١٩٩٥هـ) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- مسند الحميدي ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن الزبير **الحميدي** (ت ٢١٩هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط١ ، (١٩٩٦م) ، دار السقا ، سورية .

- مسند الدارمي ، المسمىٰ « سنن الدارمي » ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن عبد الرحمـٰن **الدارمي** (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، دار المغني ، السعودية .

- مسند الروياني ، **للإمام الحافظ** محمد بن هارون **الروياني** (ت ٣٠٧هـ) ، عني به أيمن علي أبو يماني ، ط١ ، (١٤١٦هـ) ، مؤسسة قرطبة ، مصر .

- مسند الشاميين ، **للإمام الحافظ** سليمان بن أحمد **الطبراني** (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط١ ، (١٩٨٩م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- مسند الشهاب ، المسمىٰ « شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب » ، **للإمام القاضي** محمد بن سلامة **القُضاعي** (ت ٤٥٤هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- المسند ، **للإمام الحافظ** الهيثم بن كليب **الشاشي** (ت ٣٣٥هـ) ، تحقيق محفوظ الرحمـٰن زين الله ، ط١ ، (١٤١٠هـ) ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية .

- مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار ، **للإمام القاضي عياض** بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) ، ط١ ، (١٣٣٣هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة فاس لدىٰ دار التراث ، مصر .

- مشيخة الحافظ أبو طاهر السلفي ، **للإمام الحافظ الرحلة** أحمد بن محمد الجرواءاني ، المعروف بـ **أبي طاهر السِّلفي** (ت ٥٧٦هـ) ، تحقيق الشريف حاتم العوني ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، دار الهجرة ، السعودية .

- مشيخة الرازي ، للعلامة محمد بن أحمد بن إبراهيم المعروف **بابن الحطاب** (ت ٥٢٥هـ) ، انتقاها **الإمام الحافظ الرحلة** أحمد بن محمد الجرواءاني ، المعروف بـ **أبي طاهر السِّلفي** (ت ٥٧٦هـ) ، تحقيق الشريف حاتم العوني ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، دار الهجرة ، السعودية .
- المصنف ، **للإمام الحافظ عبد الرزاق** بن همام **الصنعاني** (ت ٢١١هـ) ، تحقيق حبيب الرحمـٰن الأعظمي ، ومعه : « الجامع » للإمام معمر الأزدي (ت ١٥٣هـ) ، ط٢ ، (١٩٨٣م) ، المجلس العلمي بالتعاون مع المكتب الإسلامي ، لبنان .
- المصنف ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد **بن أبي شيبة** (ت ٢٣٥هـ) ، تحقيق الشيخ محمد عوَّامة ، ط٢ ، (٢٠٠٦م) ، دار المنهاج ، السعودية .
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، **للإمام الحافظ الحجة** أحمد بن علي بن محمد الكناني المعروف بـ **ابن حجر العسقلاني** (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق أيمن أبو يماني وأشرف علي ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، مؤسسة قرطبة والمكتبة المكية ، مصر والسعودية .
- معالم السنن ، **للإمام الحافظ** حَمْد بن محمد بن إبراهيم **البستي** الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، صححه محمد راغب الطباخ ، ط١ ، (١٩٣٣م) ، المطبعة العلمية ، سورية .
- المعجم الأوسط ، **للإمام الحافظ** سليمان بن أحمد **الطبراني** (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، مكتبة المعارف ، السعودية .
- معجم البلدان ، **للعلامة المؤرخ الأديب** ياقوت بن عبد الله الرومي **الحَمَوي** (ت ٦٢٦هـ)، عني به المستشرق وستنفيلد، ط٢ ، (١٩٩٥م) ، دار صادر ، لبنان.
- معجم السَّفر ، **للإمام الحافظ الرحلة** أحمد بن محمد الجرواءاني المعروف بـ **أبي طاهر السِّلفي** (ت ٥٧٦هـ) ، تحقيق عبد الله عمر البارودي ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، دار الفكر ، لبنان .
- معجم الصحابة ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد بن عبد العزيز **البغوي** (ت ٣١٧هـ) ، تحقيق محمد الأمين الجنكي ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، مكتبة دار البيان ، الكويت .

- المعجم الصغير ، **للإمام الحافظ** سليمان بن أحمد **الطبراني** (ت ٣٦٠هـ) ، ومعه « غنية الألمعي » للعظيم آبادي ، ط١ ، (١٩٨٣م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، لبنان .

- المعجم الكبير ، **للإمام الحافظ** سليمان بن أحمد **الطبراني** (ت ٣٦٠هـ) ، ومعه « الأحاديث الطوال » ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، بدون تاريخ ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة ، وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلىٰ نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ ميلادية ، **للأديب الكاتب يوسف** بن إليان بن **سَركيس** (ت ١٣٥١هـ) ، ط١ ، (١٤١٠هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ مكتبة المرعشي النجفي ، إيران .

- معجم المؤلفين ، **للأستاذ المؤرخ عمر رضا كحالة** (ت ١٤٠٨هـ) ، عني به مكتب تحقيق التراث بالدار ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم بترتيب الهيتمي والسبكي ، **للإمام الحافظ الناقد** أحمد بن عبد الله بن صالح **العجلي** (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق عبد العليم البستوي ، ط١ ، (١٩٨٥م) ، مكتبة الدار ، السعودية .

- معرفة السنن والآثار ، **للإمام الحافظ** أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، ط١ ، (١٩٩١م) ، دار قتيبة ودار الوعي ودار الوفاء ، سورية ومصر .

- معرفة الصحابة ، **للإمام الحافظ المؤرخ الثقة** أحمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بـ **أبي نعيم الأصبهاني** (ت ٤٣٠هـ) ، تحقيق عادل يوسف العزازي ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار الوطن ، السعودية .

- المعرفة والتاريخ رواية عبد الله بن جعفر بن درستويه ، **للإمام الحافظ الحجة** يعقوب بن سفيان بن جُوَّان **البسوي** (ت ٢٧٧هـ) ، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ، ط١ ، (١٤١٠هـ) ، مكتبة الدار ، السعودية .

- المغازي ، **للقاضي المؤرخ** محمد بن عمر **الواقدي** (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق الدكتور مارسدن جونس ، ط١ ، (١٩٦٦م) ، طبعة مصورة لدىٰ مؤسسة الأعظمي للمطبوعات ، لبنان .

- مغني المحتاج إلىٰ معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، **للإمام الفقيه** محمد بن أحمد **الخطيب الشربيني** (ت ٩٧٧هـ) ، اعتنىٰ به محمد خليل عيتاني ، ط١ ، (١٩٩٧م) ، دار المعرفة ، لبنان .

- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ، **للإمام الحافظ المجدد** عبد الرحيم بن الحسين ، المعروف بـ **زين الدين العراقي** (ت ٨٠٦هـ) ، عني به أشرف عبد المقصود ، ط١ ، (١٩٩٥م) ، مكتبة دار طبرية ، السعودية .

- مفتاح دار السعادة ومنشورات ولاية العلم والإرادة ، **للإمام الحافظ** محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بـ **ابن قيم الجوزية** (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق بشير محمد عيون ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، **للإمام الحافظ** أحمد بن عمر بن إبراهيم **القرطبي** (ت ٦٥٦هـ) ، تحقيق محيي الدين مستو ويوسف بديوي وأحمد السيد ومحمود بزال ، ط١ ، (١٩٩٦م) ، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب ، سورية .

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، **للإمام الحافظ الناقد** محمد بن عبد الرحمٰن **السخاوي** (ت ٩٠٢هـ) ، عني به عبد الله محمد الصديق الغُماري وعبد الوهاب عبد اللطيف ، ط٢ ، (١٩٩١م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها ، **للإمام الحافظ الحجة** محمد بن جعفر بن محمد بن سهل السامري **الخرائطي** (ت ٣٢٧هـ) ، أيمن عبد الجابر البحيري ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، دار الآفاق العربية ، مصر .

- مكارم الأخلاق ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ **ابن أبي الدنيا** (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق ياسين محمد السواس ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، دار صادر ، لبنان .

- مناقب الشافعي ، **للإمام الحافظ** أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق أحمد صقر ، ط١ ، (١٩٧١م) ، مكتبة دار التراث ، مصر .

- المنتخب من مسند عبد بن حميد ، **للإمام الحافظ** عبد الرحمٰن بن حميد **الكشي** (ت ٢٤٩هـ) ، تحقيق أحمد بن إبراهيم أبي العينين ، ط١ ، (٢٠٠٩ م) ، مكتبة ابن عباس ، مصر .

- المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، **للإمام الحافظ المؤرخ** عبد الرحمٰن بن علي بن محمد البغدادي المعروف بـ **ابن الجوزي** (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، ط١ ، (١٩٩٥م) ، دار الفكر ، لبنان .

- منهاج الطالبين وعمدة المفتين ، **للإمام الحافظ المجتهد** يحيى بن شرف **النووي** (ت ٦٧٦هـ)، عني به محمد شعبان ، ط١ ، (٢٠٠٥م) ، دار المنهاج ، السعودية.

- منهاج العابدين إلىٰ جنة رب العالمين ، **لحجة الإسلام** محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** (ت ٥٠٥هـ) ، عني به بوجمعة عبد القادر مكري ، ط١ ، (٢٠٠٦م) ، دار المنهاج ، السعودية .

- موافقة الخُبر الخَبر في تخريج أحاديث المختصر ، **للإمام الحافظ الحجة** أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ **ابن حجر العسقلاني** (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق حمدي السلفي وصبحي السامرائي ، ط٣ ، (١٩٩٨م) ، مكتبة الرشد ، السعودية .

- الموجز المبين في بيان المهم من علم الدين وما يَلحَق بذلك من مقام الراغبين ، **للعلامة** عبد الله بن محمد بن حكم **باقشير** (ت ٩٥٨هـ) ، عني به عبد الله محمد الحبشي ، ط١ ، (٢٠٠٤م) ، دار المنهاج ، السعودية .

- الموشىٰ أو الظرف والظرفاء ، **للإمام الأديب** محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى **الوشاء** (ت ٣٢٥هـ) ، تحقيق كمال مصطفىٰ ، ط٣ ، (١٩٩٣م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- الموضوعات ، **للإمام الحافظ المؤرخ** عبد الرحمٰن بن علي بن محمد البغدادي المعروف بـ **ابن الجوزي** (ت ٥٩٧هـ) ، عني به توفيق حمدان ، ط١ ، (١٩٩٥م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ الموطأ ، لإمام المدينة مالك بن أنس بن مالك بن نافع الأصبحي (ت ١٧٩هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، بدون تاريخ ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

ـ نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط١ ، (٢٠٠٠م) ، دار ابن كثير ، سورية .

ـ النجم الوهاج في شرح المنهاج ، للإمام العلامة الفقيه الأديب محمد بن موسى بن عيسى الدميري (ت ٨٠٨هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط١ ، (٢٠٠٤م) ، دار المنهاج ، السعودية .

ـ نزهة المجالس ومنتخب النفائس ويليه كتاب العلامة الفقيه عبد العزيز الدِّيريني (ت ٦٩٤هـ) « طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب » ، للعلامة الأديب المؤرخ عبد الرحمٰن بن عبد السلام بن عبد الرحمٰن الصَّفُّوري (ت ٨٩٤هـ) ، ط١ ، (١٣٤٦هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الأزهرية لدىٰ دار الفكر ، لبنان .

ـ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق الدكتور نور الدين عتر ، ط٣ ، (٢٠٠٠م) ، نشره محققه ، سورية .

ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للحافظ المؤرخ الأديب أحمد بن محمد بن يحيى المعروف بـ المَقَّري (ت ١٠٤١هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ) ، ط١ ، (١٩٨٨م) ، دار صادر ، لبنان .

ـ النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، للإمام الفقيه الأصولي المفسر علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، تحقيق عبد المقصود بن عبد الرحيم ، ط٢ ، (٢٠٠٧) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلىٰ علم الأصول ، للإمام الفقيه عبد الرحيم ابن الحسن الإسنوي (ت ٧٧٢هـ) ، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، ط١ ، (١٩٩٩م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- نهاية المطلب في دراية المذهب ، لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت ٤٧٨هـ) ، تحقيق الأستاذ الدكتور عبد العظيم محمود الديب ، ط٢ ، (٢٠١٠م) ، دار المنهاج ، السعودية .

- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، المسمىٰ « سلوة العارفين وبستان الموحدين » ، للإمام الولي محمد بن علي المعروف بـ الحكيم الترمذي (ت ٣١٨هـ) ، ويليه : « مرقاة الوصول حواشي نوادر الأصول » لابن إسماعيل الإمام، ط١ ، (١٢٩٣هـ) ، طبعة مصورة عن نسخة الأستانة لدىٰ دار صادر ، لبنان .

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، لعالِم الكتب البحاثة إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) ، ط١ ، (١٣٦٤هـ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، لبنان .

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للإمام الحافظ عبد الرحمـٰن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي ، ط١ ، (٢٠٠٥م) ، المكتبة التوفيقية ، مصر .

- الوافي بالوفيات ، للعلامة المؤرخ الأديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ط٢ ، (١٩٩١م) ، دار فرانز شتاينر ، ألمانيا .

- الوجيز في ذكر المجاز والمجيز ، للإمام الحافظ الرحلة أحمد بن محمد الجرواءاني المعروف بـ أبي طاهر السِّلفي (ت ٥٧٦هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الغفور عبد الحق البلوشي ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، مكتبة دار الإيمان ، السعودية .

- الورع ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، عني به الدكتورة زينب إبراهيم القاروط ، ط١ ، (١٩٨٣م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- الورع ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي ، ط١ ، (٢٠٠٢م) ، دار الجفان والجابي ودار ابن حزم ، لبنان .

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، **لإمام علماء التأويل المفسر** علي بن أحمد **الواحدي** (ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد صيرة والدكتور أحمد الجمل ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، **للإمام المؤرخ** أحمد بن محمد **ابن خلكان** (ت ٦٨١هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ) ، ط١ ، (١٩٦٨م) ، دار صادر ، لبنان .
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، **لإمام اللغة والأدب** عبد الملك بن محمد بن إسماعيل المعروف بـ **أبي منصور الثعالبي** (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، ط١ ، (١٩٨٣م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .



مُحتوى الكتاب